أعلام المسلمين
٩٩

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين والمفترى عليه في العالمين

بقلم
عبد الستار الشيخ

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

٩٩



أميرُ المؤمنين ورابعُ الخُلفاءِ الرَّاشدين
والمُفترى عليه في العالمين

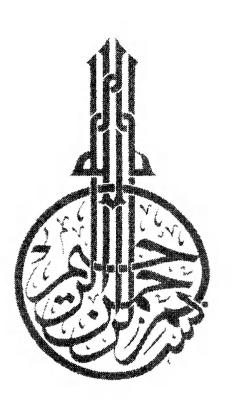
٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ

بقلم

عبد الستّار الشيخ

دار القلم

دمشق



دار القلم
دمشق
أسّسها:
محمّد علي دولة
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطّبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

هذا الرَّجُل

●● **قال الله تعالى:**

- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

❁ ❁ ❁

●● **قال رسول الله ﷺ:**

- **«يا عليُّ، أمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارون من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي!»** فقال علي: رضيتُ، رضيتُ.

- **«مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللَّهمَّ والِ مَن والَاهُ، وعادِ مَنْ عادَاهُ».**

- **«لأُعطِينَّ هذه الراية رجلاً يَفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه».** فأعطاها علي بن أبي طالب، ففتح الله على يديه خيبر.

- **«يا عليُّ، ألَا أُعلِّمُكَ كلماتٍ إذا قُلتَهنَّ غُفِر لك، مع أنه مغفورٌ لك؟».**

- **«إنَّ منكم مَن يُقاتِل علــى تأويلِ القرآن كما قاتلتُ على تنزيله»** قال أبو بكر: أنا هو يا رســول الله؟ قال: **«لا»** قــال عمر: أنا هو يا رســول الله؟ قال: **«لا، ولكنْ خاصِفُ النَّعْل»** وكان أعطى عليّاً نَعْلاً يَخْصِفُه.

- عن عليٍّ قال: والذي فَلَق الحَبَّة وبَرأَ النَّسَــمةَ؛ إنه لعهدُ النبيِّ الأُمــيِّ ﷺ إلــيَّ: **«أنْ لا يُحِبُّنــي إلا مؤمــنٌ، ولا يُبْغِضُني إلا منافقٌ»**.

❁ ❁ ❁

●● **قال علي** رضي الله عنه:

- العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمــل والمال تُنْقِصــه النفقة، العلــم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دِين يُدان بها، العلم يُكسِب العالم الطاعة في حياته وجميلَ الأُحْدُوثة بعد مماته، مات خُــزَّان المال وهــم أحياء والعلمــاء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

- يا أهلَ القبور، يا أهلَ الضِّيق والوحدة، يا أهل الغُربة والوحشة: أمَّا الدور فقد سُــكنت، وأما الأموال فقد قُسمت، وأما الأزواج فقد نُكحت، فهذا خبرُ ما عندنا؛ فما خبر ما عندكم؟. ثم التفت إلى أصحابه فقال: لو أُذِن لهم في الجواب لأجابوا: إن خير الزاد التقوى.

- مَن كَثُر كلامه كثُر خطؤه، ومن كثــر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قَلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعُه مات قلبُه، ومن مات قلبه دخل النار. ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمقُ بعينِهِ.

- اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

- لا تكنْ عبدَ غيرِك وقد خلقك الله حُرّاً.

- إمام عادل خير من مطر وابل.

- ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلا ظهر من فَلَتات لسانه وصفحاتِ وجْهِه.

- إذا أقبلتِ الدنيا على رجلٍ أعارَتْه محاسنَ غيرِه، وإذا أَدبَرتْ عنه سلبتْه محاسنَ نفسِه.

- موت الرؤساء أسهلُ من رياسة السَّفِلَة.

- أَجَلُّ ما يَنزِل من الســماء التوفيقُ، وأجَــلُّ ما يَصعد من الأرض الإخلاصُ.

❁ ❁ ❁

المقدمـة

الحمـد لله ربِّ العالمين كما ينبغي لكرم وجهـه وعزِّ جلاله، حمداً طيباً مباركاً فيه، ملْءَ السموات وملءَ الأرض وملءَ ما شاء من شيء بعد.

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد، وعلى آل بيته الطيبين وخلفائه الراشدين وصحابته الغُرّ الميامين، وعلى مَن أحبَّهم وترضَّى عنهم وسار على نهجهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين. **وبعد:**

فالخلفاء الراشدون الأربعة كانوا من الإسلام أشبَهَ بالأركان الأربعة التي تقوم عليها البَنِيّة ويُشَدّ عليها بنيانُها، بما لهم من السابقة في الدين والجهاد والبذل والمؤازرة، ثم استلام الراية وحمل الأمانة والقيام بأعباء الخلافة والدولة ونشر الرسـالة وتحقيق عالمية الدعوة الإسلامية. وقد حققوا التطبيق العملي الفذ للإسلام عقيدةً وشريعةً وديناً ودولة، فكانوا الوجهَ المشـرقَ الذي تتمثل على قسـماته معالم الوصف الكريم الذي جاء في محكم التنزيل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

●● وعلي بن أبي طالب لبنة ضخمة راسخة في ذلك الجيل الذي التف حول قطب رحى الإسـلام محمد ﷺ الذي جـاء وصْفُه هو ومن معه في قولـه تعالـى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومضى ﵁ في محاضن الإسلام مع إخوانه الصحابة الذين قال الله فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأعطى لدينه نفسَه وروحَه وعقلَه ومالَه وبنيه وكلَّ ملكاته وطاقاته وشمائله ومزاياه، وقد فاز هو والرعيل الذي معه بنعمة الله المحكمة في كتابه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وحياة علي ملحمةُ بطولات وملتقى مفاخر ومنبعُ مكرمات، إنه نبتة سامقة من دَوْحة بني هاشم نشأت بادرتُها في مغارس النبوة وفي معرِض غيثها ومشرق أضوائها ومهابِّ أنسامها، وفَتحت له الأقدار الحكيمة باباً عريضاً دخل منه إلى بيت النبوة قبل النبوة، فضَمَّه محمد ﷺ إلى كنفه ونشَّأَه في حِجْره وهو صبي صغير ابن ست سنين، وأحاطه برعايته ونفحه من معين أخلاقه وآدابه. حتى إذا نزل الوحي وأعلن أن محمداً رسولُ الله للعالمين، كان عليٌّ غلاماً حَدَثاً ابنَ عشر سنين، فأقبل على الإسلام وسبق الناس إليه فكان أولَ الصبيان إسلاماً. ولازَمَ النبيَّ ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة، فرضع من ثدي النبوة وتغذى بمكارمها، وصِيغَتْ شخصيتُه على عينها.

ثم وصل الرسول ﷺ بينه وبين علي بوشائج وثيقة؛ فأصهر إليه وزوَّجَه ابنته فاطمة البتول، وأضحى واحداً من أعيان آل البيت الأطهار.

وأبرز ما يميز عليّاً ﵁ بطولتُه وفروسيته وجرأته وشجاعته التي كانت مضرب الأمثال، فجعل صدره ونحره دِرعاً واقية للإسلام ونبيِّه ﷺ، وكان سيفُه شهاباً رصَداً للأعداء ينازل الرجال ويُجندِل الأبطال، وينصر دعوة الحق، ليث الحروب وفارس الميادين ومقدَّم

المجاهدين. خاض مع النبي ﷺ جميع غزواتــه، وأعطاه الراية واللواء، وكان النصر معقوداً على جبينه.

وهبه الله تعالى قلباً عقولاً ولســاناً ســؤولاً وعقلاً متوقداً وحكمة فياضة، وأخذ عن النبي ﷺ القرآن والسنن والعلم والعمل، ودعا له بأن يهدي قلبه ويثبت لســانه؛ فكان مــن أعلم الصحابة بالقرآن وتفســيره والسُّــنَّة وفقهها، وله الســبق في القضاء حتى إنه قال: (ما أَشكل عليَّ قضاءٌ)، يجيب عن المشكِلات ويحلّ المُعضِلات، وكان الفاروق عمر ـ في أيام خلافتــه ـ يأمره بالقضاء بيــن الناس، ويقــول: (أقضانا علي)، ويتعوَّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن!.

وجمع إلى هذا أكرمَ الأخلاق وأنبلَ الشِّيم وأرفَعَ الخصال وأجلَّ الأعمال، وكان على سَنَن النبي ﷺ، ومن خيار الصحابة ومقدَّميهم في الزهــد والورع والنُّبــل والجود والســخاء والتواضع والحيــاء والعفة والغَيْرة والبشاشة والعفو والإحسان والعبادة والتقوى ومداومة الأذكار وتلاوة القرآن.

وكان خطيبــاً مِصْقَعاً فصيحَ اللســان عالي البيــان، اتفقت كلمة العلمــاء والأدبــاء على أنه عَلَــمٌ من أعــلام البلاغة وإمــام من أئمة الفصاحة، امتلأت كتب الأدب والتاريخ بخطبه الرائعة وكلماته البديعة وحِكَمه النادرة وأمثاله السائرة مع شعره الرقيق. وقد عُزي إليه (**ديوان شعر**) أكثره لا تصحّ نسبتُه إليه. وجُمعت خطبه وأقواله وكتبه ورسائله في مجموع مشــهور يســمى (**نهج البلاغة**)، وأكثره موضوع عليه ولا تصح نسبته إليه.

وقد أكرمه رسول الله ﷺ وأطابَ الثناءَ عليه وأحبَّه وأَمر المؤمنين بحبِّه وموالاته فقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، وأخبر أنه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يُبغضه إلا منافق، وبشَّره بالجنة وبالشهادة، وأنه يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ، وأنه مغفور له، وضَمَّه هو وفاطمة والحسن والحسين وألقى عليهم الكساء، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

عاش رضي الله عنه طيلة عمر الرسالة مع النبي ﷺ على أحسن الهدي والإخلاص والوفاء والاجتهاد في خدمة الإسلام، حتى إذا لَحِق ﷺ بالرفيق الأعلى بقي علي وفيّاً لدينه ونبيه ﷺ، ما خرم من هديه وأخلاقه قِيد أُنملة؛ فكان مع الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان أخاً كريماً ووزيراً مخلصاً ومستشاراً ناصحاً وحارساً أميناً، وشارك بقوة وصدق وصراحة وإخلاص في سياسة الدولة بمختلِف أعمالها وواجباتها.

حتى إذا آلت الأمور إليه وجاءته الخلافة في وقتها وإبَّانها، لم يَسلبه أحدٌ حقه فيها، ولا أَخَّره عنه، بل جاءت في المقام الذي يستحقه، فكان رابع الخلفاء الراشدين، وبايعه المهاجرون والأنصار وكثير من أمصار الإسلام. وتولى مقاليد الخلافة وهي مثقلة بالأعباء، مليئة بالتحديات، موَّارة بالأحداث والفتن الجسام؛ فأخذ الراية غير هيَّاب ولا وَجِل، ومضَى على سجيته الصلبة وطبيعته الجريئة المقدامة، يحاول تذليل العقبات وحل المشكِلات وتوحيد الكلمة وجمع الأمة، لكن كَثُرت عليه الفتوق واصطلحت عليه المحن، فما وَهَن ولا استكان،

وبقي مستمســكاً بمبادئه ثابتاً على يقينه، حتى جاءه أجلُه مع السَّــحر وطلوع الفجر، فذهب إلى ربه صائماً شهيداً سعيداً.

•• وإذا كان من المتوقع أن تكون (سيرة علي المكتوبة والمنقولة إلينا) مثــلَ ما هي في واقع الحــال مع النبي ﷺ والصحابــة والخلفاء الثلاثة قبله؛ لكن الحق المــرَّ أن الأمر كان بخلاف ذلك إلى حد بعيد، فسيرتُه لكثرة ما شَــابَها قد غامَ وجهها وعَكِر موردُها واضطرب واردُها وتحيَّر قارئها! بسبب ما تراكم عليها من حُجب كثيفة على مدى القرون والأجيال، لأســباب مذهبية طائفية ونفســية ونمطية رتيبــة تقليدية في الأســلوب التأريخي والتراجمي الذي اتبعه المؤرِّخون والكُتَّاب قديماً وحديثاً في الأعم الأغلب، ولم يُنصَف علي حقَّ الإنصاف، ولم تُعرض ســيرته في صورتهــا الحقيقية وفق منهــج علمي نقــدي منصف يتبع الاســتعراض الأمين الدقيق المحايد للعصر الذي نشــأ فيه والمجتمع ورجاله وقادته، وصفاتهم ومبادئهم وتربيتهم وأخلاقهم، والأحداث التي تفاعلت مع كل ذلك، فتأثَّرت به وأثَّرت فيه.

والكتابــة عن أمير المؤمنيــن علي رضي الله عنه تعترضهــا مصاعب مضنية ومخاطر مخيفــة، وتتخللها محاذير جَمّة ومزالــق وَعِرة، وتكتنفها تركة ضخمة وموروثات مفزعة، وفيها مواقف كثيرة وأحداث جليلة هي أحدُّ من الشــفرة وأَدَقُّ من الشــعرة... مما يتطلب نمطاً فريــداً من التأليف، وفكراً متوقداً متحرراً، وقلباً ســليماً واعياً، وقلماً نابهــاً درَّاكاً، ومنهجاً معتدلاً منصفاً حياديّاً متأدباً؛ ويحيط ذلــك كلَّه التوفيقُ الإلٰهيُّ والورَعُ، والنُّبل والصدق والإخلاص، وسلامة الصدر وطهارة اللسان.

١ ـ فمن أكبر المصاعب وأخطرها وأضخمها حجماً ذلك الموروث التاريخي الهائل الـذي أضنَى كاهلَ التاريخ بما كُتب عن عليٍّ وحقبة حكمه وخلافته، وفيه الشيء الكثير جدّاً من الأخبار التالفة والواهية والموضوعة، وغالبها مدارُه على رواة متروكين أو أصحاب بدع أو متهمين بالوضع كأبي مِخْنَف لوط بن يحيى ونَصْر بن مُزاحم وعَوَانة بن الحَكَم والكَلْبي والواقدي! وقد ضَمّت هذا التراثَ كتبُ التاريخ العامة والخاصة؛ مثل: تاريخ الطبري، والمنتظم، وابن عساكر، والكامل في التاريخ، والبداية والنهاية، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتواريخ الشيعة كاليعقوبي والمسعودي، والكتب المفردة لوقعتي الجمل وصِفِّين، وكتب الأدب؛ كالبيان والتبيين، والكامل للمبرد، والعقد الفريد، والأغاني... أما كتب الشيعة الإمامية؛ مثل: الكافي، وأمالي الطوسي، وإثبات الوصية، وبحار الأنوار، والأنوار النعمانية، والشافي، والغارات للثقفي... فالسعيُ معها لا ينتهي إلى قرار بل يودي إلى فلاة مَضَلَّة!.

٢ ـ والأدهى من ذلك والأشد مرارةً كثرةُ الأحاديث الواهية والباطلة والموضوعة التي رُويت في علي وآل بيته الطاهرين؛ في منزلتهم ومناقبهم ووجوب موالاتهم والغَضّ من غيرهم. وانتشرت تلك الآثار في كتب التفسير والحديث والتاريخ والتراجم والسير والأدب... وشكَّلَتْ مع المصادر السابقة (موروثاً ضخماً خطيراً) على أصحابه وعلى الأمة والمؤرخين والكُتّاب والباحثين.

٣ ـ ولا يقلُّ عما سبق كثرةُ الأكاذيب على علي والافتراء عليه والغُلو المُفرِط فيه، والحق أننا لا نعرف رجلاً افتُري عليه مثل ما افتُري

على علي ﷺ! كما لا نعرف رجلاً تعارضَتْ فيــه الآراءُ وتعدَّدت مثل ما تشاجرت فيه؛ بين طائفة تدَّعي له العصمة بل الإلٰهيَّة، وطائفة أخرى أَكفرتْه وخرجــت عليه وأَوجبتْ قتالَه حتى قتلَتْــه! وبين النقيضين فِرق وطوائف مبتدعــة وخرافيون وكذابون مفترون ألصقــوا به ما لا يحتمله عقل ولا يخطر ببال.

فزعموا لعلــيٍّ أن فيه جــزءاً إلٰهيّاً، ثــم من بعده ابنــه محمد ابن الحَنفيّة، وادَّعى آخرون أنه يعلم الغيب، وأنه يحيـي الموتى ولو شــاء لأحيى عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً، واعتقد آخرون بأنه سيَرجع إلى الدنيا قبل يــوم القيامة، وادَّعَوا له النبــوة والعصمة وثبوت الإمامة بالنص، وغالوا في علومه فزعموا أنه يعلم طُرق السموات والأرض وأنه بابُ علم النبوة، وافتروا عليه بأن النبي ﷺ تشــفَّع به إلى ربه، وأنه ﷺ قال لعليٍّ: أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهنَّ أحــدٌ ولا أنا! وأن مَن ذَكَر واحدة من فضائله غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو صنو الرســول وشريك القرآن بــل القرآن الناطــق، وقد أفرغ النبــي ﷺ في أذنه علــوم الدنيا والآخرة، ولولاه ما قال قائل: لا إلٰه إلا الله محمد رســول الله، وهو سيد الكونين بعد النبي ﷺ، وهو النبأ العظيم الــذي هم فيه مختلفون، وأن الله خلق عليّاً كما يشاء وقال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه...

٤ ـ وثمة بُعْدٌ آخَر يضاف في قائمة المعضلات والمحاذير والمزالق والمخاطر، يتمثل فــي أن ما جاء من أخبار وروايات حول اســتخلاف علي ومقتل عثمان وفتنتي «الجمل» و«صفين» ـ الصفة العامة لها: الثناءُ على عليٍّ واتهامُ عامة الصحابة وبخاصة جِلَّتُهــم، أعني أبا بكر وعمر

وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف... وفي هذا الباب ما لا يحتمله قلب ولا عقل ولا أدب، ولا يقبله من عنده ذرةٌ من إنصاف أو مَسْكَةٌ من عقل أو مروءة!.

ونَقلتْ كتبُ التاريخ من السباب والشتائم والإقذاع في الكلام بين الصحابة، ما لا يصدر إلا عن السَّفِلة من الناس! هذا ناهيك عن الاتهام بالغدر والخيانة والكيد والحقد والكذب والتآمر والسعي للدنيا والتقاتل على المناصب وارتكاب كل موبقة في سبيلها. وبلغت الجرأة بل الوقاحة ببعض الروايات والكتّاب أن نقلوا عن معاوية أنه شتم الصحابي ابن الصحابي (قيس بن سعد بن عبادة) والي مصر من قِبل علي، فقال له: (إنك يهودي ابن يهودي)، فردَّ عليه قيس: (إنك وثن ابن وثن)!.

٥ ـ وأمر آخر يجب التنبيه عليه، وهو أن كثيراً ممن كتب من القدماء والمعاصرين خاصة قد ارتكبوا خطايا كبيرة في جرأتهم على الصحابة؛ حيث يجعلون صاحب الترجمة (عليّاً) مقياساً وميزاناً للحق والصواب، ويطعنون على كل مَن خالفه في رأي أو اجتهاد أو موقف، وهذا ما حدا بالكثيرين إلى إكفار من حاربه في «الجمل» و«صفين»، أو ما هو أخف ـ بزعمهم ـ فرموهم بالهوى والضلال والعصبية والقبلية وأنهم خالفوا الله ورسوله.

فزعم بعضهم أن العرب ـ يعني الصحابة ـ يعبدون الله على حرف، وأن عائشة في خروجها إلى البصرة كانت تسعى لتولية طلحة بن عُبيد الله أمرَ الخلافة، وأنها هتكت سِتر النبي ﷺ، وأنها مستمرة في كراهية علي والسعي لخلعه، وأن طلحة والزبير خرجا للبصرة وأرادا الغدر بعليٍّ

وسعَيًا للخلافة، وأن عمرو بن العاص ماكر مخادع باعَ دينه بولاية مصر، ومعاوية طليق ابن طليق وهو محل للاحتقار، وأبا موسى الأشعري ساذج مغفَّل، وأنس بن مالك لم يشـــهد لعليٍّ بحديث «غَدِيـــر خُمّ» وذلك من مخازيه، ويذكر حديثاً عـــن طلحة ولا يترضى عنه بل يقول فيه: (المقتول يوم الجمل)، وأن من الصحابة من نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١]، وأكثروا من الشتائم للفاروق عمر فاتهموه بأنه بطيء الفهم جاهل لم يعرف معنى ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ولا معنى ﴿الأب﴾، وأنه كان بليداً ويعرف نعمة الله وينكرها...

٦ ـ ومعضلـــة المعضـــلات وكبـــرى الطامـــات أن ذاك (الموروث الضخم بما فيه) أمسى (ملكاً عامّاً شـــائعاً)، تناقله المؤرخون والكتاب طبقاً عن طبق حتى وصل إلينا، فخاضت في لُجَجِه أقلام من مشـــارب شـــتى من الكُتَّاب والباحثين المعاصرين، حتى شارك فيه المستشرقون والمســـتغربون والشـــعوبيون والعلمانيـــون وأضافوا إلى تلـــك (التركة العملاقة) منظومـــة جديدة زعموا لها البحث النزيـــه والنقد والتمحيص وعَرْضَ السيرة بأسلوب عصري من التبويب والترتيب.

ولكن الواقع عنـــد المحاققة أن كثيراً مـــن المعاصرين زادوا الطين بِلَّة، وأضافوا لما اقترفه الســـابقون جراحات وجنايات وخطايا وأكاذيب وافتراءات؛ قدموها للنشء على أنها تاريخ أســـلافهم في أزهى العصور أيام الراشدين.

تجد أمثلة ذلك فيما كتبه طه حســـين في (الفتنـــة الكبرى) و(علي وبنوه)، وهشـــام جعيط في (الفتنـــة)، والعقاد فـــي (العبقريات)، وخالد

محمد خالد في (خلفاء الرسول)، ومحمد جواد مغنية في (فضائل الإمام علي)، وطلال الجنابي في (أبو تـراب)، وإبراهيم بيضون في (علي في رؤية النهج)، وأسعد القاسـم في (أزمة الخلافة والإمامة)، وأحمد التل في (لماذا تراجع العـرب؟)، وعبدالكريم الخطيب فـي (علي بن أبي طالب) وهو من أسوأ ما كُتب.

أمام هذا (المـوروث) كما وصفناه، وركام الكتـب التي صُنِّفت في (ترجمة علي وخلافتـه) يتوجب على الباحـث المنصف أن يضع نصب عينيه حقيقتين راسختين:

الأولى: إجـلال الصحابـة وإعظام شـأنهم، والحـذر من خدش مكانتهم بَلْهَ الإساءةَ إليهم أو اتهامهم والطعن عليهم.

الثانية: ملاحظة أن (كَمّاً كبيراً من ذاك التراث) قد انتشر على نطاق عريض بين الناس على مدار التاريخ وفي مختلِف شرائحهم ومستوياتهم حتى في وسـائل الإعـلام المتنوعة والكتب المدرسـية والدراسـات الجامعية والبحثية.

وهذا ما يوجب بذل جهد جبار في تقديم دراسـات علمية منهجية نقدية نقية صافية منصفة، مناسـبة لمختلف طبقات القرّاء، واسـتخراج خيـوط الحقيقة أو ما هو قريـب منها من (أضابير التاريـخ) المتراكمة وسـجلات الروايات الضخمة، وجمـع تلك الخيوط المضيئة وسـط ظلمـات الأباطيـل، وضَمّها إلى بعضهـا لتكوين (وثيقة مـن الحقيقة والصواب) يستمسـك بها القارئون، تنصف تاريخَنا ورجالاتنا، وتحترم عقول الناس وقلوبهم.

•• **ومنهجنا فيما نكتب وبخاصة في هذا الكتاب:**

١ ـ اتباعُ منهج أهل الحديث في نقد الروايات سنداً ومتناً، وبهرجة الأخبار الواهية والباطلة والموضوعة، وقبول الصحيح والحسن وما هو قريب منه، والتسامح في الضعيف الذي يتفق مع النسق العام لهدي الرجال المترجَم لهم وحقائق الإسلام ومبادئه وأدبياته، وهو منهج أقرَّه كبار المحدِّثين في التساهل بقبول الروايات الضعيفة التي لا تتعلق بحلال أو حرام أو عقائد ونحوها من أسس الدين. وقد قبِلنا ـ تأسيساً على هذا ـ بعضَ روايات نصر بن مزاحم ولوط بن يحيى وبابَتِهما.

وقد اعتمدتُ في هذا الجانب على كتب السُّنَّة، ففيها الكثير الطيب مما يشرح الأحداث العامة والخاصة أحياناً. ومعها كتب التاريخ والتراجم القديمة التي رويت بالأسانيد؛ مثل: تاريخ خليفة، والفَسَوي، وطبقات ابن سعد، وأخبار المدن؛ مثل: (المدينة، البصرة، بغداد، ودمشق)، والكتب المفردة للوقائع كالجمل وصفين.

٢ ـ جمعُ الروايات التاريخية من مصادر متعددة ومقارنتها ببعضها والجمع بينها، ثم عرضُها على ما جاء في الأحاديث إنْ أمكن ذلك، وعرضُها أيضاً على سجايا الصحابة وهَدْيهم وسيرتهم وأخلاقهم وأفعالهم ومواقفهم وتاريخهم، ومنه يُعرف مدى ملاءمة وقبول ذلك (الموروث التاريخي) لِما عُرف عنهم من هدي قويم وسيرة طاهرة تربوا عليها، وهم أهل القرآن وصنعة النبوة وحملة الرسالة.

هذا مع التنبيه على أن تبجيلَ الصحابة وحبَّهم والاعتذارَ لهم عما بدر منهم أو جرى بينهم، لا يعني عصمتَهم أو عدمَ وقوع الخطأ منهم،

وإنما نقول: إن ما صدر من بعضهم من هَنَاتٍ أو زلَّات، لا تنال من أقدارهم، وهي مغتفَرة في بحور حسناتهم.

وإنها لجرأة خاسرة أن يتطاول امرؤ على تلك القامات الكبيرة، وقُصارى الباحث المنصف أن يؤْثِر الحق على الهوى، والآخرة على الأولى، وأن يَسلم لسانُه من أعراضهم كما سلمتْ يدُه من دمائهم. ولأَنْ نخطئ مرة ومرتين في تبرئة الصحابة والثناء عليهم والتماس العذر لهم؛ خيرٌ وأتقى وأبرّ لديننا وأنفسنا وعقولنا وأقلامنا من أن نخطئ عُشْر مرَّة في ثَلْبهم أو العيب عليهم أو الإساءة العارضة لأحدهم، فمن خاصَمَ الصحابة خُزي وخُذل ورُذل في الدنيا والآخرة.

•• وكتابنا هذا عن أمير المؤمنين علي قد التزمنا فيه خطتنا في الترجمة لأعلام الإسلام، وسِرْنا في تصنيف الأبواب والفصول مع سيدنا علي في مسيرة حياته منذ ولادته ونشأته حتى آخر أيامه ووفاته، ووقفنا طويلاً عند (المحطات الكبرى) و(المعالم البارزة) في سيرته ومكونات شخصيته وأدائه ودوره التاريخي في صناعة الأحداث أو المشاركة فيها.

وعنوان الكتاب (**علي بن أبي طالب: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، والمفترى عليه في العالمين**)؛ قد اخترتُه نزولاً عند رغبة وتوجيه أستاذنا محمد علي دولة حفظه الله، وقد سعيتُ جاهداً لتحقيق الترجمة الوافية الصادقة لهذه المحاور الثلاثة الكبرى، وأقمت البراهين النقلية والتاريخية والعقلية على صحتها وثباتها. وكان المحور الثالث (المفترى عليه في العالمين) أبرزَها

وأطولَها وأكثرَها أخباراً وأطلَبَها تمحيصاً ونقداً؛ وذلك أن الباحث لا يكاد يجدُ صفةً من صفات عليٍّ أو مَعْلماً من معالم شخصيته أو فصلاً من سيرته أو مرحلة من مراحل حياته؛ إلا ويجدُ فيها الأحاديث الموضوعة والأخبار الباطلة والمجازفات الكبيرة والافتراءات العجيبة، كوَّنَتْ بمجموعها ركاماً من الأكاذيب شوَّهت رُواءَ سيرته، وجعلت منه إنساناً فوق الأناسي وخارج اعتبارات البشر! وكنت كثيراً ما أُثير هذه الناحية وأنبِّه عليها وأسوق طرفاً مما جاء فيها، ثم أعود عليها بالتمحيص والنقد والتحقيق. ومن أخطر الفِرى فِرية (الوصية بالخلافة)، وقد أطلتُ البحث فيها ونقضْتُها بأربعة وثلاثين دليلاً معتمِداً على: الأحاديث الصحيحة الصريحة، ونصوص من كتب الشيعة وبخاصة (نهج البلاغة)، وأقوال لعليٍّ صرَّح بها في مناسبات شتَّى، وأدلة منطقية عقلية وتاريخية كثيرة.

ووقفتُ طويلاً عند أحداث الفتنة، وفصَّلتُ القول فيها في مباحثَ عديدة، من حيثُ مباديها ومقدماتُها، وأسبابُها وأشخاصُها، وملابساتُها ومعضلاتُها، وأحداثُها ومروياتُها، وعواقبها ونتائجها وانعكاساتها، فاستغرق البحث فيها أكثر من ثلث الكتاب.

وبترجمتنا لأمير المؤمنين علي يكتمل (عِقد البحث والترجمة للخلفاء الراشدين الأربعة وتاريخ خلافتهم)، وتتكامل الكتب الأربعة لتعطي ـ فيما نحسب ـ صورة تفصيلية لتلك الحقبة المباركة التي امتدت نحو ثلاثين سنة كما ثبت في الحديث الصحيح.

وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقَّق الهدف الذي أُقيم له، ووفَّى الخليفةَ الراشدي الرابع بعضَ حقِّه علينا، ونفَى عنه ما لا يرضاه من الكذب والافتراء والغلو والتقديس!.

اللَّهمَّ إني أستهديك بلج الحق، وأستعين بك على السداد، وأعوذ بك من مساقط الهوى والميل عن جادة الرشاد، وأسألك الإنصاف والمعدلة، وأرجو منك العفو والمغفرة عما سَهَا به الفكر أو زَلَّ به القلم، فما أردتُ إلا الحق وما قصدتُ إلا الخير، و«**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى**».

عبدالستار الشيخ

الباب الأول

أخباره الشخصية وأسرته ونشأته وإسلامه وحياته بمكة

- أخباره الشخصية وصفاته الخلقية.
- أسرته وأقاربه.
- نشأته.
- إسلامه وحياته في مكة وهجرته.

• • •



الفصل الأول

أخباره الشَّخصيَّةُ وصِفاتُه الخِلْقية

أولاً: اسمه ونسبه ونسبته:

علي بن أبي طالب ـ واسمُ أبي طالب: عبدُ مناف ـ بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، القُرشي الهاشمي المكي المدني الكوفي[1].

وجاء عن علي: أن أمه سَمَّتْه (حَيْدَرة)، وقد ارتجز بذلك يوم خيبر فقال:

أنا الذي سمَّتْني أمِّي حَيْدَرة ... كليثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَره

وقد ذكروا أن علياً وُلد وأبو طالب غائب، فسمَّتْه أمه فاطمةُ بنت أسد: (حيدرة)، وحيدرة: اسم من أسامي الأسد، وهي أشجعُها. فلما قدِم أبو طالب كره هذا الاسم الذي سمته أمه به، وسمَّاه عليّاً[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ١٩/٣؛ تاريخ بغداد: ١٣٣/١؛ تاريخ ابن عساكر: ١٣/١، ١٦، ١٩، ٢٠.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٢١/١ ـ ٢٢؛ المستدرك: ١٠٨/٣.

ثانياً: كُنَاه:

ثبتت لعلي ثلاث كُنًى:

١ ـ أبو الحسن:

كُني باسم أكبر أبنائه (الحسن) رضي الله عنه، وثبت ذلك في حديث الصحابي عبد المطلب بن ربيعة في قصة طويلة: أن علياً رضي الله عنه قال: (أنا أبو حسن القَرْم)[1].

٢ ـ أبو تُراب:

كَنَاه بها رسول الله ﷺ، وكان علي يحبها ويفرح أن ينادَى بها.

قال سَهْل بن سعد رضي الله عنه: (إنْ كانت أحبَّ أسماءِ عليٍّ رضي الله عنه إليه لأبو تُراب، وإنْ كان لَيَفرح أن يُدْعى بها، وما سمَّاهُ أبو تراب إلا النبيُّ ﷺ)[2].

٣ ـ أبو القُصَم:

اكتنى بها في (غزوة أُحُد)، وتقدَّم وهو يحمل الراية وواجه المشركين، ونادى معرِّفاً بنفسه ودالّاً على مكانه: أنا أبو القُصَم!.

ويروى: (أبو الفُصَم) بالفاء، وأبو القُصَم: أي أبو الدواهي العظيمة. والقَصْم ـ بالقاف ـ: كسرٌ ببينونة، وبالفاء: كسر بغير بينونة[3].

---

(١) صحيح مسلم (١٠٧٢)؛ سنن أبي داود (٢٩٨٥). **القَرْم**: المُقدَّم في المعرفة بالأمور والرأي.

(٢) صحيح البخاري (٦٢٠٤)؛ وسيأتي الحديث بتمامه: ص ٨١ في هذا الكتاب. قوله: (**أبو تراب**) ليس خطأ، بل هو موجَّه على الحكاية.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ٧٣/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٢٨٧/٤، ٣٨٧.

ويقال لــه أيضــاً: **أبو الحســنين، وأبو السِّــبطين**، وهمــا ريحانتا رسول الله ﷺ الحسن والحسين.

ثالثاً: صفاته الخِلْقية وحِلْيته[١]:

نشأ علي متين البنيان، بهيَّ الطلعة، مهيبَ الشخصية، كاملاً بين الرجال، مثلاً بين السادة من الصفوة الكبار، وبقي على ذلك حتى تجاوز الستين!.

وصفه من رآه في تمــام الرجولية فقال: كان رجلاً رَبْعة، إلى القِصَر أقرب، ضخم البطن، ضخم المَنْكِبين، لِمَنْكِبه مُشَــاش كَمُشــاش السَّبُع الضارِي، لا يتبيَّن عضدُه من ســاعده قد أُدمجت إدماجاً، ضخمَ عضلة الذراع، دقيقَ مُسْــتَدَقِّها، ضخمَ عضلة الســاق، دقيق مُســتدقها، شَــثْن الكفين، عظيم اللحية، قد ملأتْ ما بين منكبيه، بيضاء كأنها قُطْن، أَدْعَج العينين عظيمهما، أصلع، كثير شــعر الصدر والكتفين. له قَلَنْسُوة بيضاء مصرية، يتختم باليسار، وكان نقش خاتمه: (الله الملك).

حســن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حُسْــناً، أَغْيَد، كأن عنقَه إبريقُ فضَّة، ضحوكُ السن، إذا مشــى تكفَّأ ـ على نحو مِشية النبي ﷺ ـ وإذا أمسك بذراع رجل أمســك بنَفَسه، فلم يستطع أن يتنفس، شديدُ الساعد واليد، إذا مشى للحرب هرول، ثَبْت الجَنان، قوي شجاع، منصورٌ على مَنْ لاقاه، رضي الله عنه وأرضاه.

❁ ❁ ❁

---

(١) طبقات ابن ســعد: ٢٥/٣ ـ ٣١، ابن عساكر: ١٧/١ ـ ١٨، ٢٦ ـ ٣٢؛ الاستيعاب: ٥٧/٣؛ تاريخ الإســلام (عهد الخلفاء)، ص ٦٢٣ ـ ٦٢٤. **المشاش**: ما برز من عظم المنكب. **شثن الكفين**: أي يميلان إلى الغِلَظ والقِصَر. **أدعج العينين**: أي أن سواد عينيه كان شديداً.

الفصل الثاني

أسرتُه وأقاربُه

أولاً: جده عبد المطلب بن هاشم[1]:

كان عبد المطلب كبير قريش وعظيمها، والسيد المطاع فيها، فهو الذي حفر (بئر زمزم)، وعلى يديه تفجرت مياهها المباركة.

ولما جاء أَبْرَهَة لهدم الكعبة توجَّه عبد المطلب إلى الله ﷻ، وجأر إليه يدعوه أن يمنع بيته الحرام ويحميه، وأخذ يقول:

لاهُمَّ إنَّ العبدَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَه فامنَعْ حِلَالَكْ[2]
إنْ كنتَ تاركَهم وقِبْـ ـلتنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وبلغ من كرمه وسخائه درجةً وصفوه معها بأنه: (الرجل الذي يطعم الناس في السهل، والوحوش في الجبال!).

وكانت إليه السّقاية والرِّفادة، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٤٢ ـ ١٧٨؛ تاريخ الطبري: ٢/٢٤٦ ـ ٢٥١؛ البداية والنهاية: ٢/٢٤٤ ـ ٢٥١، ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) **حِلال**: جمع حِلة، وهي جماعة البيوت، أو: القوم الحلول في المكان.

من آبائه، فأحبَّه قومه وعَظُمَ خطرُه فيهم، وكثُرت محامده حتى اشتهر بـ(شيبة الحمد).

ثانياً: أبوه أبو طالب(١):

من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، احتشدت فضائل العرب في شخصيته، فَسَادَ في قريش سيادة عظيمة، وكان من الخطباء العقلاء الأباة.

تولى رعاية ابن أخيه محمد ﷺ، وحَدَب عليه وأحبه حبّاً جمّاً، ولما نزل عليه ﷺ الوحي هَبَّ لنصرته، فبارزته قريش بالعداوة فلم تَلِنْ له قناة، وردَّ على عدائها ببأس وعزم مؤكِّداً أنه غيرُ مُسْلمٍ ابنَ أخيه، فقال:

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى(٢) محمداً ... ولمّا نُطاعِن دونه ونناضل
ونُسْلِمه حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونَذْهَلُ عن أبنائنا والحَلائِلِ(٣)

وتوجه للنبي ﷺ وقال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلمك لشيءٍ أبداً، ثم أنشد:

واللهِ لن يَصِلوا إليك بِجَمْعِهم ... حتى أُوسَّدَ في التراب دَفِينَا
فامْضِ لأمرك ما عليك غَضاضةٌ ... وابْشِرْ وقَرَّ بذاك منك عيونا

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٧٩ـ١٨٠، ٢٦٤ـ٢٨١، ٣٥٠ـ٣٥١، ٤١٥؛ البداية والنهاية: ٢/٢٨١ـ٢٨٥، ٣/٤١، ٤٢ ـ ٤٧ ـ٥٧، ٨٤ـ٨٦، ١٢٢ـ١٢٦.

(٢) أي: نُسلَبه ونُغلَب عليه.

(٣) **الحلائل**: الزوجات، واحدتها حَليلة.

وقد تمنَّى رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب أن يُسْلم وينطق بالشهادتين، وألحَّ عليه ورجاه، فامتنع أبو طالب خشية أن تعيِّره قريش بتركِهِ دينَ الآباء والأجداد!.

روى سعيد بن المسيِّب بن حَزْن، عن أبيه، قال: (لمَّا حضرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسولُ الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عَمِّ، قلْ: لا إله إلا الله، كلمةً أشهدُ لك بها عند الله**».

فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن مِلَّةِ عبد المطلب؟! فلم يَزلْ رسولُ الله ﷺ يَعْرِضُها عليه، ويُعيد له تلكَ المقالةَ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلَّمَهُم: هوَ على مِلَّةِ عبد المطلب، وأبَى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أمَا واللهِ، لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنكَ**»!.

فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأَنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦])[١].

وزعمت الرافضة أن أبا طالب أسلم، وهو من افتراءاتهم وما أكثرها، والأحاديث الصحيحة الصريحة ترد عليهم[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)؛ ومسلم (٢٤)؛ والنسائي في الكبرى (٢١٧٣)، وغيرهم.
(٢) البداية والنهاية: ٣/١٢٣ ـ ١٢٦، ٧/٣٣٤.

مات أبو طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، عن اثنتين وثمانين سنة.

ثالثاً: أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم(١):

هي بنت عمٍّ زوجها أبي طالب، وقد أسلمتْ وصحبت النبي ﷺ، وهاجرت إلى المدينة، وماتت بها، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في قبرها، وتولى دفنها، وألبسها قميصه، وأثنى عليها خيراً.

وكان النبي ﷺ يزورها، ويَقيل في بيتها.

رابعاً: إخوته(٢):

كان لعلي **ثلاثة إخوة**؛ هم: **طالب وعَقيل وجعفر**، وعلي أصغرهم، وبين كل واحد منهم والآخر عشر سنين. وله **أختان**؛ هما: **أم هانئ وجمانة**، وأمهم جميعاً فاطمة بنت أسد.

١ ـ طالب(٣):

لم يُسْلم، وكان محبّاً لرسول الله ﷺ وله فيه مدائح، وكان قد خرج مع قريش إلى بدر كرهاً، ورجع إلى مكة، وهلك مشركاً، بعد غزوة بدر.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٢٢/٨؛ سير أعلام النبلاء: ١١٨/٢؛ الإصابة: ٣٦٨/٤.

(٢) نسب قريش، ص ٣٩ ـ ٤٠؛ الجمهرة، لابن حزم، ص ٣٧، البداية والنهاية: ٢٢٣/٧.

(٣) المرتضى، للندوي، ص ٢٣.

٢ ـ عقيل[1]:

صحابي، شهد (غزوة بدر) مشركاً، وأُخرج إليها مكرهاً، فأُسر، ولم يكن له مال، ففداه عمه العباس.

تأخر إسلامه إلى عام الفتح سنة (٨هـ)، وقيل: أسلم بعد الحديبية سنة (٦هـ)، وهاجر في أول سنة ثمان، وشهد معركة مؤتة، وغزوة حُنين وكان ممن ثبت فيها.

وكان عالماً بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، وكان الناس يأخذون ذلك عنه في مسجد المدينة، وكان سريع الجواب المُسْكِت.

وفد إلى معاوية في دَين لَحِقه، ومات في أول خلافة يزيد بن معاوية أي بعد سنة ستين، وكان له من الولد (١٢) ذكراً، وتوفي وعمره (٩٦) سنة.

٣ ـ جعفر[2]:

الصحابي الجليل أحد السابقين، علَم المجاهدين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وهاجر من الحبشة إلى المدينة فوافى المسلمين بخيبر بعد فراغهم منها، ففرح رسول الله ﷺ بقدومه.

وأقام جعفر بالمدينة أشهراً ثم أمَّره النبي ﷺ على جيش (غزوة مؤتة[3])، فاستشهد هناك ﷺ، وعمره (٣٣) سنة، ووجدوا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية، وقُطعت يداه وهو يحمل اللواء فاحتضنه بعَضُديه! فأبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/٤٢؛ سير أعلام النبلاء: ١/٢١٨، ٣/٩٩؛ الإصابة: ٢/٤٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١/٢٠٦ـ٢١٧؛ نبوءات الرسول ﷺ: ١/١٧٥ـ١٨١.

(٣) بلدة في الأردن إلى الجنوب من الكرك بنحو (١١كم).

٤ ـ أخته أم هانئ[(١)]:

صحابية من عِلْية النساء، أسلمت عام فتح مكة، ودخل النبي ﷺ إلى منزلها وصلى عندها صلاة الضحى ثماني ركعات[(٢)].

وقد أجارت قريبين لها، فأقرَّها النبي ﷺ وقال: «**قد أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يا أمَّ هانئ**»[(٣)].

٥ ـ أخته جمانة[(٤)]:

صحابية، تزوجها الصحابي أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت له. قسم لها النبي ﷺ من غنائم خيبر.

خامساً: أزواج علي[(٥)]:

١ ـ فاطمة الزهراء:

بنت رسول الله ﷺ وسيدة نساء العالمين في زمانها، البَضْعة النبوية، أم الحسنين.

لم يتزوج علي عليها ولا تسرَّى، فلما توفيت تزوج وتسرّى.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣١١/٢؛ الإصابة: ٤٧٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري (١١٠٣)؛ ومسلم (٣٣٦) بعد الحديث (٧١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧)؛ ومسلم (٣٣٦) الموضع السابق.

(٤) طبقات ابن سعد: ٤٨/٨؛ الإصابة: ٢٥٢/٤.

(٥) طبقات ابن سعد: ١٩/٣ـ٢٠؛ تاريخ الطبري: ١٥٣/٥ـ١٥٥؛ نسب قريش، ص٤٠ـ٤٦؛ الجمهرة، لابن حزم، ص ٣٧ ـ ٣٨؛ البداية والنهاية: ٣٣١/٧ـ٣٣٣، وكتب الصحابة والتراجم.

ولدت له: الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى.

وسأفرد لها ترجمة في كتاب مستقل ضمن هذه السلسلة إن شاء الله تعالى.

٢ ـ خولة بنت جعفر:

من بني حَنيفة، من سَبْي خالد بن الوليد أيام حروب الردة، ولدت لعلي ابنه محمداً الأكبر.

٣ ـ ليلى بنت مسعود:

من بني تميم، ولدت لعلي: عُبيد الله وأبا بكر.

٤ ـ أم البنين بنت حِزام:

أنجبت العباس الأكبر وعثمان وجعفراً الأكبر وعبدالله بني علي.

٥ ـ أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَمِيَّة:

صحابية جليلة من المهاجرات الأُوَل، تزوجت أولاً جعفر بن أبي طالب فاستشهد يوم مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصديق ومات عنها، فتزوجها بعده علي ومات عنها. ولدت له يحيى وعوناً.

٦ ـ أم حبيب الصهباء بنت ربيعة:

من سبي عين التمر، ولدت لعليٍّ عمر الأكبر ورقية.

٧ ـ أمامة بنت أبي العاص بن الربيع:

وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في صلاته، وهي بنت ابنته زينب رضي الله عنها.

تزوجها علي في خلافة عمر، وولدت له محمداً الأوسط.

٨ ـ أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي:

أنجبت منه أم الحسن ورملة الكبرى.

٩ ـ محيَّاة بنت امرئ القيس الكلبية:

ولدت لعلي جارية لم تُسَمَّ، ماتت صغيرة، وكانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فيُقال لها: مَنْ أخوالُكِ؟ فتقول: وَهْ، وَهْ، تعني كلباً!.

١٠ ـ أمهات أولاد شتى:

رُزق علي منهن أولاداً كثيرين.

سادساً: أولاد علي:

مجمل أولاد علي **أربعون:** (٢١) ذكراً، و(١٩) أنثى.

- **أبناؤه الذكور:**

١ ـ **الحسن:** السيد الجليل الصحابي الإمام، سِبْط رسول الله ﷺ وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة.

وُلد سنة (٣هـ) وتُوفي سنة (٥٠هـ) في قول الأكثر. وسأفرد له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٢ ـ **الحسين:** السيد الشهيد السِّبْط، ريحانة رسول الله ﷺ، وسيد شباب أهل الجنة.

مولده سنة (٤هـ)، واستشهد بكربلاء سنة (٦١هـ). وسأفرد له ترجمة مستقلة بعد أمه وأخيه إن شاء الله تعالى.

٣ ـ **محمد**: يُعرف بابن الحَنَفيَّة وهي خولة بنت جعفر من بني حَنيفة، كان سيداً جليلاً وإماماً نبيلاً، ورعاً كثير العلم، مائلاً لعبد الملك بن مروان لإحسانه إليه.

ومن الشيعة من يتغالى فيه ويدَّعي فيه الإمامة والعصمة، ولقَّبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت، وكل ذلك باطل. تُوفي سنة (٨١هـ)، ودفن بالبقيع.

٤ ـ **عمر الأكبر**: وُلد في خلافة عمر بن الخطاب، وسمَّاه **عمرَ** باسمه. روى الحديث عن أبيه علي، وروى عنه أبناؤه: عُبيد الله وعلي ومحمد.

بقي حيّاً حتى وفد على الوليد بن عبدالملك الذي تولى الخلافة سنة (٨٦هـ).

٥ ـ **العباس الأكبر**: ويُلقب بالسَّقّاء، شهد مع أخيه الحسين كربلاء، واستشهد معه فيها.

ونسلُ عليٍّ من أبنائه الخمسة هؤلاء.

٦ ـ **محمد الأصغر**.

٧ ـ **العباس الأصغر**.

٨ ـ **عثمان الأكبر**.

٩ ـ جعفر الأكبر.

١٠ ـ عبدالله الأكبر.

١١ ـ أبو بكر عَتيق.

وهؤلاء الستة استشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين يوم كربلاء.

١٢ ـ محسن.

١٣ ـ عثمان الأصغر.

١٤ ـ جعفر الأصغر.

١٥ ـ يحيـى.

وهؤلاء الأربعة ماتوا صغاراً.

١٦ ـ عبدالله الأصغر.

١٧ ـ عمر الأصغر.

١٨ ـ عُبيد الله.

١٩ ـ عبدالرحمن.

٢٠ ـ حمزة.

٢١ ـ عون.

● **بناته:**

١ ـ **أم كلثوم الكبرى:** تزوجها الفاروق عمر، وولدت له.

٢ ـ زينب الكبرى: تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار، وولدت له.

٣ ـ أم كلثوم الصغرى: واسمها نفيسة.

٤ ـ زينب الصغرى.

٥ ـ رقية الكبرى.

٦ ـ رقية الصغرى.

٧ ـ فاطمة الكبرى.

٨ ـ فاطمة الصغرى.

٩ ـ رَمْلة.

١٠ ـ ميمونة.

١١ ـ خديجة.

١٢ ـ أم سلمة.

١٣ ـ أم جعفر: واسمها جمانة.

١٤ ـ أم الحسين.

١٥ ـ أم هانئ.

١٦ ـ أم الكرام.

١٧ ـ أُمامة.

١٨ ـ فاختة.

١٩ ـ أَمَة الله.

سابعاً: وقفة وتأمل:

لقد عُنِي سيدنا علي بأسماء أولاده، فسمَّاهم بأسماء أحبِّ الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وأجلِّهم مكانةً عنده وعند المؤمنين.

فسمَّى بعضَ ولده باسم النبي ﷺ، وعمَّيْه: حمزة والعباس، وأخيه الشهيد جعفر الطيار، وإخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، بل كرَّر ذلك فسمَّى (عمر الأكبر وعمر الأصغر) و(عثمان الأكبر وعثمان الأصغر).

كذلك سمى أكثر بناته بأسماء بنات النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين.

وهذا يبرهن على العلاقة الوثيقة والمحبة الغامرة والإجلال والإكبار لجميع هؤلاء، فرضي الله عن المرتضى أمير المؤمنين علي، وقَاتَل الله الرافضة أعداءه وأعداء الصحابة، الذين يفترون الكذب ويدَّعون وجودَ البغضاء بين الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ.

* * *

الفصل الثالث

نشـأتـه

أولاً: نبعته من قريش ومَحْتِدُه من بني هاشم:

من صميم قريش نَسَلَ عليٌّ، ومن ينبوع بني هاشم تفجرت أصوله، فتعاضدت وشـائج الأصل والمنبع فأخرجت الصحابيَّ المرتضى الذي أصبح بالإسلام حديثَ الزمان والمكان وملء السمع والبصر...

وقريش قـد تبوأت في الجزيـرة العربية الرئاسـة الدينية والزعامة الروحيـة، وأقرَّ العرب كلهم لقريش بعلوِّ النسـب والسـيادة، وفصاحة اللغة، ونصاعة البيان، وكرم الأخلاق، والشـجاعة والفتوة، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشاً ولا جدلاً.

أما بنو هاشـم فكانوا واسـطة العِقْد في قريش بما يمتازون به من المشـاعر الإنسـانية الكريمة، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت الحرام من مكانة عند الله، والبعدِ عن الظلم، وإكبارِ الحق، وعلوِّ الهمة، والعطف على الضعيف والمظلوم، والسخاء والشجاعة.

وتَنبَّلَ في أولاد هاشـم ابنُـهُ عبد المطلب جـدُّ النبي ﷺ وجدُّ علي، وورث عن أبيه مكانته فكانت إليه السِّـقاية والرِّفادة، وشَرُف

في قومه شـرفاً لم يبلغه أحد مـن آبائه، وأحبَّهُ قومُـه وعَظُم خطره فيهم[(١)].

ومن أصل عبد المطلب المُعْرِق في النبالة والسـيادة والشرف انبثق فرعُ **أبي طالب** الذي ساد في قومه سيادة عظيمة، وكان من أجلِّ أعماله أنه كفل النبـيَّ محمداً ﷺ، وربَّـاه ورعاه ثم حامَى عنـه عندما جاءته الرسـالة، فكان الـدرع الواقية والجبهـة العاتية ضد جبـروت قريش، فَحَاجَفَ عن النبوة والرسالة عشر سنين دأباً.

ومن الأصل الهاشـمي نبت فرعٌ جليل آخر أنجبَ المرأةَ العظيمة ـ والنساء شـقائق الرجال ـ هي **فاطمة بنت أسـد بن هاشم**، التي ولدت لزوجها أبي طالب رجالاً كراماً، وشـاركَتْه في تربيـة (محمد) ورعايته حتى اشتد عودُه واكتمل شبابه، وكانت له مثلَ أمِّه بعد أمّه.

من ذاكم الشـرف العالي والسـيادة الأصيلة والمجـد الممتد في أعماق التاريخ وضميرِهِ، ومن هذه الأسـرة الكريمة والنسب الشامخ، ومن ذَيْنَـك السـيدين النبيلين والهاشـميَّيْن الأصيلَيْـن (أبي طالب وفاطمة) تحدَّر عليّ، وفي الدوحة الهاشمية نشأ، وفي ربوع قريش نما وترعرع، حتى أصبح له في تاريخ العرب والمسلمين شأن أي شأن!.

وَوُرِّثَ فرعَ المجدِ من آل هاشمٍ وجـاءَ كريماً مـن كـرامٍ أَمَاثلِ

ولم تتوقف آلاء الله على علي عند ذاك ـ وما أعظمه ـ بل تواترت المكارم عليه، وتولَّتْه عينُ العناية حتى شـملَتْه بما لم يُتَح إلا للأقلِّين

---

(١) انظر: السيرة النبوية، للندوي، ص ٧٣ ـ ٧٤.

من النبلاء على مدار الحيـاة وتوالي الأجيال. فأتم الله عليه النعمة بأن نقله إلى أفضل بيوتات الأرض؛ ليتنسم عَبَق أخلاق النبوة قبل النبوة!..

ثانياً: ولادة علي، وكفالة النبي ﷺ له:

وُلد علي في (شِعْب بني هاشم)[1]، وفي رواية وإليها ذهب الشيعة أنه وُلد في جوف الكعبة[2]. ونحن نردُّ هذه الرواية الثانية لأنها ليست محمدةً لعليٍّ بل هي مَثْلَبة؛ حيث إن نساء قريش كنَّ يقصدن الولادة في الكعبة لينال المولودُ بركةَ (الصنم هُبل) الذي في الكعبة!.

وكانت ولادته قبل البعثة بعشر سنين على الراجح الصحيح كما ذكره ابن حجر وغيره[3]، أي: (٢٣ق.هـ). ويؤيده أنه توفي سنة (٤٠هـ) وعمره (٦٣) سنة على الأصح.

وكان مما أنعم الله به على علي ﷺ أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام[4].

قال مجاهد: كان من نعمة الله على عليٍّ، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير؛ أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمِّه ـ وكان من أَيْسرِ بني هاشم ـ: «**يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى**

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٩.

(٢) المستدرك: ٤٨٣/٣؛ شرح نهج البلاغة: ٤٢/١.

(٣) الإصابة: ٥٠١/٢؛ الفتح: ٦٦٣/٨ «باب مناقب علي».

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٤٥/١.

من هـذه الأزمة، فانطلِقْ بنا إليه، فَلْنخفِّف عنه مـن عياله، آخذُ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفّهما عنه»، فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنـا نريد أن نخفِّف عنك من عيالك حتى ينكشـف عن الناس ما هم فيه، فقال لهمـا أبو طالب: إذا تركتما لي عَقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسـول الله ﷺ عليّاً فضَمَّه إليه، وأخذ العبـاس جعفراً فضمَّه إليه، فلم يزل علي مع رسـول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيّاً، فاتبعه علي رضي الله عنه، وآمن بـه وصَدَّقه، ولم يزل جعفـر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١].

وتقول بعض الروايات: (كان علي في حَجْر رسول الله ﷺ منذ كان عمره ست سنين)[٢].

فـلازم علي ابنَ عمـه محمداً ﷺ مـن صغره ولم يفارقـه إلى أن لَحِق ﷺ بربِّه[٣].

ثالثاً: كفالة ورعاية مقابل كفالة ورعاية:

وسـيدنا رسـول الله ﷺ هو خير مَن وطِئ التراب، وأنبلُ نبلاء بني آدم، وأجلُّ عباد الله في خُلقه وسـماحته، وجوده ووفائه، وهو قد أمضى

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٤٦/١؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٠/٣؛ تاريخ الطبري: ٣١٢/٢_٣١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤٢/١.

(٣) الفتح: ٦٦٣/٨.

شطراً كبيراً من عمره في كنف (البيت الطالبي)، محاطاً بكل أنواع العناية والرعاية والرأفة والرحمة والشفقة والإجلال، من عمه أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد... وعندما بلغ مبلغ الرجال وأقام بيت الزوجية مع السيدة خديجة، ظل قلبه يخفق أبداً بحبِّ (بيت أبي طالب) الذي ضمه صبيّاً وكفله يافعاً ووسعه شابّاً.

ومحمد ﷺ قبل الرسالة مثلُ ما هو بعد الرسالة أصدق الناس وفاءً للناس عامة فكيف بخاصة الخاصة؟! وقد ثبت عنه أنه قال: «**ما لأَحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافَيْنَاه، ما خلا أبا بكر**».

فكان ذاك العمل النبوي من باب ردّ الجميل لعمه أبي طالب، وكانت كفالة مقابل كفالة، وتربية وتنشئة ورعاية تربو على تلك التي تلقَّاها محمد ﷺ في أحضان بيت عمه شيخ قريش وسيد بطحاء مكة.

ولا ندري أكان تصميماً من النبي ﷺ على أن يختار عليّاً الصغير على جعفر الأكبر منه بعشر سنين، أم هي الأقدار الحكيمة التي استأثرت بالغلام علي ليدلف إلى أعز بيت في الدنيا وأكرم بيت في التاريخ، ليُنشأ فيه على أرفع القيم وأنبل الشِّيَم، وليشهد ميلادَ أعظم حدث في تاريخ الإنسانية حيث يهبط جبريل الأمين برسالة الإسلام... والله يخلق ما يشاء ويختار!.

في بيت أبي طالب أبصر علي النور، وتفتحت عيناه ومداركه وقلبه وعقله على موروثات قريش، وتشربت أخلاقَ الأب المتشدِّد في تمثُّل صفات العرب وخصائصهم من الشهامة والسماحة والنُّبل والشجاعة والكرم والأَنَفة والإباء.

وانتقل ابن السنوات الست إلى بيت ابن عمه محمد ﷺ الذي يكبره بثلاثين سنة، ليجد نمطاً فذّاً من الأخلاق والهَدْي والسيرة والسلوك، وتحيط به أنوار النبوة قبل النبوة؛ فتتشرب روحه ونفسه وجوارحه الهديَ الفريد الذي عاش به محمد ﷺ وعُرف به في كل نادٍ، حتى صار مضربَ المثل في كل خير ونُبْل وفضل ومكرمة وعقل...

حياة زاخرة بالفضائل يعيشها علي في أحضان أسرة قريبة له، لصيقة به، حانية عليه، موجِّهة لعواطفه وتفكيره، فيترعرع حيث تدفقات الحياة النبيلة الهادفة بكلِّ سموها وشرفها ومكرماتها.. هاهنا نشأ ربيبُ النبوة، ورضيع ثديي الرسالة، المتقلب على فراش الإيمان، الناهد في مهد أكرم المكارم... فكان أحد أسبق السابقين إلى الإسلام[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ١/٥٠٨.

الفصل الرابع

إسلامُه وحياتُه في مكَّة وهجرتُه

أولاً: إسلامه:

من طبيعة الأشـياء وسـيرورة أحداث الحياة وضـرورات الفطرة السليمة التي تفتحت على الخير وتشربت الفضائل وعاشت في أحضان الطهر والاستقامة والنأي عن خرافات الجاهلية ودنسها ـ أن تُسرع بعليّ فطرتُه بطهرها ونقائها وأشـواقها إلى تصديق الرسـول محمد ﷺ لأول بيان يخبر فيه أن الله تعالى اصطفاه نبيّاً رسولاً للعالمين.

وعلي واحد من أفراد أسـرة النبي ﷺ المقيمين معه في ظل رعايته وتربيته، فكانوا مدعوِّين إلى الإسـلام بالفطرة والتربيـة، فأجابوا بهذه الفطرة وهذه التربية، وسبقوا إلى الإيمان وإلى الإسلام.

آمن علي رضي الله عنه في سنِّ الصبا قبل أن يبلغ الحلم، فشَبَّ معه الإيمان حتى خالط مشاعره ووجدانه وملأ قلبه، وأفعم بالنور روحه[1].

قال ابن إسـحاق: (ثم كان أولَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسـول الله ﷺ وصدَّق بما جاءه من الله عليُّ بن أبي طالب، كان رسول الله ﷺ وخديجة

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ١/٥٠٨، ٥١٦ـ٥١٧.

يصليان[1] سرّاً، ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته، وكُفْرٍ باللّات والعُزَّى**»، فقال علي: هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب. وكره رسول الله ﷺ أن يُفشِي عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمرُه، فقال له: «**يا علي، إذا لم تُسْلم فاكتم هذا**». فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع في قلب علي الإسلامَ، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضتَ علَيَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللّات والعزَّى، وتبرأ من الأنداد**».

ففعل علي رضي الله عنه وأسلم، فمكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم إسلامَه ولم يظهره)[2].

أسلم علي إسلامَ الفطرة الطاهرة، وإسلامَ الفكر الفتيِّ الوقاد، والمحاكمة العقلية الناضجة التي قارنت الدعوة الجديدة بأخلاق صاحب الرسالة وسيرته؛ فأعلن إسلامه بفطرته وعقله معاً.

وتضيف رواية أخرى موقفاً متمماً لفصول المشاهد الأولى من سيرة علي مع مشرق شمس الرسالة، وتبين أن أبا طالب عَثَر على ابنه يتعبد مع محمد ﷺ، فأقرَّه على ذلك وأمره بملازمته والثبات عليه.

---

(١) المراد مطلَق الصلاة قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء.

(٢) أسد الغابة: ٤/١٦؛ البداية والنهاية: ٣/٢٤؛ سبل الهدى والرشاد: ٢/٤٠٣.

يقول ابن إسحاق: (وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شِعَاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عَثَر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟) فأخبره ﷺ ودعاه إليه، فاعتذر أبو طالب بأنه لا يستطيع مفارقة دين قومه، وأكد نصرته له. وقال لابنه علي: (أي بُنَيَّ، ما هذا الدينُ الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنت باللهِ وبرسول الله، وصدَّقتُه بما جاء به، وصلّيتُ معه لله واتبعته. فقال له: أَمَا إنه لم يَدْعُك إلَّا إلى خيرٍ، فالزَمْه)[1].

ثانياً: عمره وقت إسلامه:

أكثر أقوال العلماء وأشهرُها وأرجحها وأصحُّها أن عليّاً أسلم وعمره (١٠ سنوات)، وقوَّاه الحافظ ابن حجر بموقف علي في قصة إسلام أبي ذَرّ الغِفَاريِّ حيث تهيَّأ لعليٍّ أن يستقلَّ بمخاطبة أبي ذر ـ الرجل الغريب عن مكة ـ ويضيفه في بيته ثلاثة أيام[2].

وعن عروة بن الزبير: أسلم علي وهو ابن ثماني سنين[3]. وقيل غير ذلك[4].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٢٤٦ـ٢٤٧؛ تاريخ الطبري: ٢/٣١٣ـ٣١٤.
(٢) الفتح: ٩/٢٤ (٣٨٦١)، وانظر: ٨/٦٦٣؛ والسيرة، لابن هشام: ١/٢٤٥.
(٣) الفتح: ٨/٦٦٣؛ المستدرك: ٣/١١١.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/٢١؛ تاريخ ابن عساكر: ١/٣٢ـ٣٧.

ولم يعبد الأوثان قط لصغره[١].

ثالثاً: تحقيق القول في أولية إسلامه:

●● كان سيدنا أبو بكر أولَ من أسلم من الناس خارج بيت النبوة، وإلى هذا ذهب جمهور أهل السُّنَّة وأئمة الإسلام، وفي طليعتهم حَبْر الأمة ابن عباس.

عن الشعبي قال: (سألتُ ابنَ عباس: مَن أول من أسلم؟ فقال: أما سمعتَ قول حسان:

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخي ثقةٍ   فاذْكُرْ أخاك أبا بكر بما فَعَلا

خيرَ البريَّة أتقاها وأعدلَها   بعد النبيِّ وأوفاها بما حَمَلا

الثانيَ التاليَ المحمودَ مَشْهَدُه   وأولَ الناس منهم صَدَّق الرُّسُلا)[٢]

بل هناك ما هو أقوى من ذلك إسناداً، فقد ثَبَتَ عن أبي بكر أنه صَرَّح بسَبْقِهِ إلى الإسلام في ملأ من الصحابة يوم السَّقيفة.

عن أبي سعيد الخُدْري قال: قال أبو بكر الصديق: (ألستُ أحَقَّ الناس بهذا الأمر، ألستُ أَوَّلَ مَن أسلم، ألستُ صاحبَ كذا، ألستُ صاحبَ كذا؟!)[٣].

---

(١) انظر: الحاشية السابقة.

(٢) المستدرك: ٣/٦٤؛ تاريخ الطبري: ٢/٣١٤؛ ومن طريق آخر عند الفسوي: ٣/٢٦٣.

(٣) أخرجه ابن حبان (٦٨٦٣) واللفظ له؛ والترمذي (٣٩٩٧)، وصحَّحه الألباني.

وهذا إجماعٌ من الصحابة على ذلك، فلم يعترض أحد منهم على قول أبي بكر هذا، فهو معلوم مشهور عندهم.

وأشار ابن كثير إلى حديث البخاري: عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله بَعَثني إليكم، فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صَدَق**»، وعقَّب عليه فقال: وهذا كالنص على أنه أول من أسلم، رضي الله عنه[1].

●● وقال آخرون: أول من أسلم خديجة .

وقال زيد بن أرقم وجماعة: أول من أسلم علي رضي الله عنه .

وذهب فريق آخر إلى أن أول من أسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه[2].

قال ابن كثير: (والجمع بين الأقوال كلها: أن خديجة أولُ من أسلم من النساء، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهلَ البيت، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفعَ من إسلام مَن تقدَّم ذِكْرُهم، إذ كان صدْراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرَّماً، وصاحبَ مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محبَّباً مأْلَفاً، يبذل المال في طاعة الله ورسوله)[3].

---

(١) البداية والنهاية: ٢٧/٣.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٤٥/١ـ٢٤٩، تاريخ الطبري: ٣٠٩/٢ـ٣١٨؛ البداية والنهاية: ٢٦/٣ـ٢٨؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٠٢/٢ـ٤٠٧.

(٣) البداية والنهاية: ٢٦/٣.

وقـال الحافظ ابن حجر: (اتفق الجمهور علـى أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال)[1].

رابعاً: صلاته مع رسول الله ﷺ في مطلع الدعوة:

عن زيد بن أرقم قال: (أول من صلَّى مع رسول الله ﷺ عليٌّ).

وفي رواية: (أولُ مَن أسلم عليٌّ)[2].

وعن ابن عباس قال: (أولُ من صلَّى عليٌّ)[3].

وروى الصحابي عَفيف الكِنْدي قال: (جئتُ في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعِطْرها، فأتيتُ العباس وكان رجلاً تاجراً، فإني عنده جالس، إذ أقبل شاب فنظر إلى السماء ثم قام مستقبِلَ الكعبة، فلم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب، فرفع الغلام والمرأة، فسجدَ الشاب، فسجدَ الغلام والمرأة. فقلت: يـا عباس، أمر عظيم! فقال: أمـر عظيم! تدري من هذا الشـاب؟ هذا محمد بن عبد الله ابنُ أخي، تدري مـن هذا الغلام؟ هذا علي بن أبي طالب ابن أخي، تـدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت

---

(١) الفتح: ٩/١٧، شرح الحديث (٣٨٥٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٨١)؛ والترمذي (٤٠٦٨) وقال: حسن صحيح؛ والحاكم: ٣/١٣٦ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٠٦٧)، وصحَّحه الألباني.

خويلد زوجته. إن ابن أخي هذا حدثني أن ربَّه ربَّ السموات والأرض أَمَـره بهذا الديـن، ولا والله ما على ظهر الأرض على هـذا الدين غير هؤلاء الثلاثة)[1].

زاد أحمد في روايته: (فكان عَفيف يقول ـ وأسلَم بعد ذلك فَحَسُنَ إسلامُه ـ: لو كان الله رزقني الإسلامَ يومئذٍ فأكونَ ثالثاً مع علي بن أبي طالب).

خامساً: أحاديث باطلة ومجازفات:

١ ـ عن أنس بـن مالك قال: (بُعِثَ النبيُّ ﷺ يـومَ الإثنين، وصلَّى عليٌّ يومَ الثلاثاء)[2].

وإسناده ساقط، فيه مسلم الأعور؛ قال غير واحد من النقاد: ليس بثقة.

٢ ـ عن عَبَّاد بن عبد الله الأَسَـدي، عن عليّ قال: (أنا عبدُ الله وأخو رسـولِه، وأنا الصِّدِّيق الأكبـرُ لا يقولُها بعـدي إلا كاذب، صلَّيتُ قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبدَه أحدٌ من هذه الأمة)[3].

---

(١) أخرجه النسـائي في الكبـرى (٨٣٣٧)؛ وأحمـد (١٧٨٧)؛ والحاكـم: ١٨٣/٣؛ والمزي في تهذيـب الكمـال: ١٨٤/٢٠، وغيرهم، وصحّحه الحاكـم والذهبي وأحمد شاكر.

(٢) أخرجـه الترمـذي (٤٠٦٢)؛ والحاكـم: ١١٢/٣، وضعفـه الألباني وشـعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن ماجـه (١٢٠)؛ وأحمد (٧٧٦)؛ والنسـائي فـي الكبرى (٨٣٣٨، ٨٣٣٩)؛ والحاكم: ١١١/٣ ـ ١١٢، وغيرهم.

ورواه حَبّة بن جُوَيْن عن علي.

وهو حديث باطل، ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»[1]، وقال ابن تيمية: وعَبَّاد يُروى من طريقه عن علي ما يُعلَم أنه كذبٌ عليه قطعاً، مثل هذا الحديث، فإنَّا نعلم أن عليّاً كان أبرَّ وأصدقَ وأتقى لله من أن يكذب ويقول مثلَ هذا الكلام الذي هو كذبٌ ظاهر معلوم بالضرورة أنه كذب[2].

وقال الذهبي في إسناد الرواية الأولى: حديث باطل. وقال في «الميزان»: هذا كذب على علي[3].

وقال ابن الجوزي في (رواية حَبَّة بن جُوَيْن): هذا حديث موضوع على عليٍّ عليه السلام، أما (حَبّة)، فلا يساوي حبةً! ومما يُبطل هذه الأحاديث أنه لا خلاف في تقدُّم إسلام خديجة وأبي بكر وزيد، وأن عمرَ أسلَم في سنة ست من النبوة بعد أربعين رجلاً، فكيف يصح هذا؟![4].

وقال الذهبي: هذا باطل[5].

وقال ابن كثير: هذا لا يصح أبداً وهو كذب[6].

٣ ـ وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: صلَّتْ عليَّ الملائكةُ وعلى عليِّ بن أبي طالب سبعَ سنين، ولم يَصعد ـ أو: لم يرتفع ـ شهادةُ أن

---

(١) الموضوعات: ٣٤١/١.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣٣٠/٤.

(٣) المستدرك: ١١٢/٣؛ ميزان الاعتدال: ٣٦٨/٢.

(٤) الموضوعات: ٣٤١/١ـ٣٤٢؛ منهاج السُّنَّة: ٣٣٢/٤.

(٥) المستدرك: ١١٢/٣.

(٦) البداية والنهاية: ٣٣٤/٧.

لا إلٰـه إلا الله مـن الأرض إلـى السـماء إلا منِّـي ومـن علي بـن أبي طالب[١].

وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: هذا إفك مبين![٢].

٤ ـ وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة، دَعي لي أخي ـ يعني عليّـاً ـ فإنه أولُ الناس بي إسـلاماً، وآخرُ الناس بـي عهداً عند الموت، وأول الناس بي لقياً يوم القيامة[٣].

أخرجه ابن عساكر وذكر أن في إسناده ثلاثةً من غُلاة الرافضة.

وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: إسناد مظلم[٤].

٥ ـ وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسـول الله ﷺ: لقد صلَّت الملائكة علَيَّ وعلى عليٍّ سبعَ سـنين، لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يصلي غيرُنا[٥].

حديث موضـوع، فيه محمد بن عُبيـد الله بن أبي رافـع: متروك، وعَمْرو بن ثابت: كذّاب وضّاع يَسبّ السَّلَف.

ومثله عن ابن عبـاس[٦]، وفيـه أحمد بن عبدالله بن يزيـد: يَضَع الحديث، وإبراهيم بن أبي يحيـى: متروك مُتَّهم!.

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٧١/١.

(٢) ميزان الاعتدال: ٣٦٩/٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٨٣/١.

(٤) ميزان الاعتدال: ٢١٧/٤.

(٥) تاريخ ابن عساكر: ٧٠/١.

(٦) المرجع السابق: ٦٤/١.

•• ومحقق ترجمة سيدنا علي من «تاريخ ابن عساكر» محمد باقر المحمودي، هو رافضيٌّ جَلْد، كثيرُ الطعن على الصحابة، وتراه يحشد الطرق التالفة لتقوية تلك الأحاديث المكذوبة!.

وسيرة أمير المؤمنين عليّ الطاهرة الرفيعة بريئةٌ من تلك الأكاذيب، وفي الأحاديث الحسنة والصحيحة الكثيرة غُنيةٌ لبيانِ فضائله وسابقته ومنزلته.

سادساً: مواقف لعلي في نصرة الدعوة:

•• تفتحت مدارك الفتى علي على الدعوة الجديدة، وأدرك ما يحتفُّ بها من تحديات ويعترضها من عقبات، وهو يعيش مع النبي ﷺ ومَنْ سَبق للإسلام مرحلة الاستسرار بالدعوة، وكان عوناً للوافدين إلى مكة باحثين عن الإسلام وراغبين في الدخول فيه، ودليلاً لهم إلى الرسول ﷺ، مع فراسة موهوبة وفِطْنة حاضرة وذكاء وقّاد وحُسْن تصرف مع أحداث المرحلة التي تمر بها الدعوة.

يعبِّر عن ذلك موقفُه الألمعي في (قصة إسلام أبي ذر) التي يرويها أبو جَمْرة قال: (قال لنا ابن عباس: ألا أُخْبِركم بإسلام أبي ذَرٍّ؟ قلنا: بلى، قال: قال أبو ذر: كنتُ رجلاً من غِفَار، فَبَلَغَنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعمُ أنه نبيٌّ، فقلتُ لأخي: انطلِقْ إلى هذا الرجل كَلِّمْه وائْتِني بخبره. فانطلَقَ فلَقِيَه ثم رجع، فقلتُ: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيتُ رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلتُ له: لم تَشْفِني من الخبر. فأخذتُ جِراباً وعَصاً، ثم أقبلتُ إلى مكة، فجعلتُ لا أعرفُه، وأَكرهُ أن أَسْأَل عنه،

وأَشربُ من ماء زمزمَ وأكونُ في المسـجد. قال: فمرَّ بي عليٌّ فقال: كأن الرجلَ غريبٌ؟! قال: قلـتُ: نعم، قال: فانطلِقْ إلى المنزل. قال: فانطلقتُ معه لا يسألُني عن شـيء ولا أُخبِره، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى المسجدِ لأسألَ عنه، وليس أحدٌ يُخبرني عنه بشـيء. قال: فمرَّ بي عليٌّ فقال: أَمَا نالَ للرجل يعرف منزلَه بعدُ؟! قال: قلت: لا، قال: انطلقْ معي. قال: فقال: ما أمرُك وما أَقْدَمَك هذه البلـدةَ؟ قال: قلت له: إنْ كتمتَ عليَّ أخبرتُك، قال: فإني أفعل. قـال: قلت له: بَلَغنا أنه قد خـرج هاهنا رجل يزعم أنه نبيٌّ، فأرسـلتُ أخي ليكلِّمَهُ، فرَجَع ولم يَشْـفِني من الخبر، فأردتُ أن ألقاه. فقال له: أمَا إنَّكَ قد رَشَدْتَ، هذا وجهي إليه فاتَّبِعْني، ادخُلْ حيثُ أَدْخُلُ، فإني إن رأيتُ أحداً أخافُه عليك قمـتُ إلى الحائط كأني أُصْلِح نَعْلي، وامْضِ أنتَ. فمضى ومضيـتُ معه، حتى دَخل ودخلتُ معه على النبي ﷺ، فقلتُ له: اعْرِضْ علَيَّ الإسلام، فعَرَضَه، فأسلمتُ مكاني)[1].

وشـهد مع النبي ﷺ طورَ الجهـر بالدعوة وعَرْضها علـى القبائل في المواسـم، وقد روى علي ذلك فقال: (لمّا أمـر الله عز وجل نبيَّه ﷺ أن يَعْرِض نفسَه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى مِنًى، حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم ـ وكان أبو بكر مقدَّماً في كل خير، وكان رجلاً نسَّـابة ـ فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم؟...)، فذكر الحديث بطوله، وفيه قال: (ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينةُ والوَقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم، فقال لهم: ممن القوم؟ قالوا: من بني شَـيْبان بن ثعلبة، فالتفتَ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٢)؛ ومسلم (٢٤٧٤). **أما نال**: أي أما آن.

فقال: بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عزٍّ في قومهم...)[١]. وعلي ﵁ آنذاك ابن (١٣) سنة، والدور الجليل في الدعوة كان لأبي بكر.

وعن نُعيم بن حَكيم المدائني، عن أبي مريم، عن علي قال: (انطلقتُ أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبةَ، فقال لي النبي ﷺ: «**اجلِسْ**»، وصَعِد على مَنْكِبيّ، فذهبتُ لأنهضَ به، فرأى مني ضَعْفاً فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: «**اصْعَدْ على منكِبيَّ**»، قال: فصَعِدْتُ على منكبَيْه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يُخيَّل إليّ أني لو شئتُ لنلْتُ أُفق السماء، حتى صعدتُ على البيت، وعليه تمثال صُفر ـ أو: نحاس ـ فجعلتُ أُزاوِله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه، قال لي رسول الله ﷺ: «**اقذفْ به**»، فقذفت به، فتكسَّر كما تتكسر القوارير، ثم نزلتُ فانطلقتُ أنا ورسول الله ﷺ نَستبِقُ، حتى توارينا بالبيوت، خشيةَ أن يلقانا أحد من الناس)[٢].

وقد استنكر الذهبي متن الحديث، فقال في «تلخيص المستدرك»: سنده نظيف ومتنه منكر! والنكارة جاءت من كون الدعوة المكية لم يكن فيها مواجهة مع المشركين ولا أمر بتكسير الأصنام.

---

(١) أخرجه الحاكم؛ وأبو نعيم في «الدلائل»؛ والبيهقي في «الدلائل»؛ وذكره ابن كثير بطوله في البداية والنهاية: ٣/١٤٢ـ١٤٥؛ وذكر الحافظ طرفاً منه في الفتح: ٩/٩٢، قبل شرح الحديث (٣٨٨٩) وحسَّن إسناده.

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٥٣)؛ والحاكم: ٢/٣٦٦، وغيرهم، وصحَّحه الحاكم وأحمد شاكر.

وهـذا الحديث ليس مـن (خصائـص علي) كمـا أوضحه ابن تيمية[١].

•• عن عَبّاد بن عبد الله الأَسَـدي، عن عليٍّ قـال: (لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، جَمَع النبي ﷺ أهلَ بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشـربوا، فقال لهـم: **«مَنْ يَضمـن عني دَيْني ومواعيـدي ويكونُ معي في الجنـة ويكون خليفتي فـي أهلي؟»** فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنتَ بحراً، من يقوم بهذا؟! قال: فعَرَض ذلك على أهل بيته، فقال عليٌّ: أنا)[٢].

وهو حديث ضعيف، (عَبّاد): ضَعَّفَه ابـنُ المديني، وقال البخاري: فيه نظر. وهو جرح شـديد فالبخاريُّ يقول هـذه العبارة فيمن تركوه أو متَّهم أو ليس بثقة[٣].

وأخرجه بنحوه أحمد والنسائي من طريق آخر عن (ربيعة بن ناجِد عن علي)[٤]، وربيعة مجهول، وقال الذهبـي: لا يكاد يعرف[٥]. وضَعَّف الحديثَ محققا (خصائص علي)[٦]. ومن عجب أن الشيخ العلاّمة أحمد شاكر صحَّحه!.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٢١٧/٣ ـ ٢١٨.

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٣).

(٣) انظر كتابي: الإمام البخاري، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٤) مسند أحمد (١٣٧١)؛ السنن الكبرى (٨٣٩٧).

(٥) ميزان الاعتدال: ٤٥/٢.

(٦) الخصائص، بتحقيق أبي إسحاق الحويني(٦٣)، وأحمد ميرين البلوشي (٦٦).

وأخرجه ابن عساكر من طريق (محمد بن زكريا الغَلَابي) عن محمد بن عبَّاد، عن نَصْر بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن عبدالغفار بن القاسم، بإسناده إلى علي بن أبي طالب[١].

وهو حديث باطل؛ فيه (الغَلَابي): متَّهم، و(عبدالغفار): ليس بثقة يضع الحديث.

وقد أورد هذا الحديثَ ابنُ المُطَهَّر الحِلِّي في كتابه «منهاج الكرامة»، ورَدَّ عليه شيخ الإسلام في كتابه العظيم «منهاج السُّنَّة» ردّاً جليلاً مُفحِماً، ونقد الحديث سنداً ومتناً على عادته، وذكر أنه كذب موضوع[٢].

ثم هو مخالِفٌ لِما ثبت في «الصحيحين» في سبب نزول الآية الكريمة، وقول النبي ﷺ: «**يا معشرَ قريش اشتروا أنفسَكم، لا أُغْنِي عنكم من الله شيئاً**» الحديث[٣].

وعلى مثلِ تلك الأخبار الواهية يعتمد الرافضة قديماً وحديثاً، بل ازداد افتراؤهم بتطاول الزمان، حتى قال أحدُ المُحْدَثين منهم: (فلقد تألَّبت قريش على النبي، وصَمَّمت على قتله حين أعلن دعوة الحق، ولم يجدْ ناصراً إلا عليّاً وأباه، ولما جَمعت له الجموعَ في بدر وأُحُد والأحزاب؛ كان عليٌّ سيفَ الله على أعدائه، ولولاه ما قال قائل: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)[٤].

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٨٨/١؛ وانظر: البداية والنهاية: ٤٠/٣.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٢٤٣/٤ ـ ٢٥٢.

(٣) البخاري (٢٧٥٣)؛ ومسلم (٢٠٦).

(٤) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ٣٠ ـ ٣١.

وقال نحوه الدكتور إبراهيم بيضون[١].

وهو افتراء على الله ورسوله ﷺ، وعلى الحقيقة التاريخية الثابتة، وعلى الصحابة الغُرِّ الميامين الذين نصروا رسولَ الله ﷺ في كل موطن، وصحاحُ الأخبار شواهد دامغة لكل معانِد، بل هم أَوْلى من علي في ذلك في مطالع الدعوة، فقد كان صغيراً آنذاك، وأين أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وحمزة وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقّاص وعبدالرحمن بن عوف وأمثال أولئك السادة الأماجد؟!.

قال ابن تيمية: (ولم يكن لعليٍّ اختصاص بنصر النبي ﷺ دون أمثاله، ولا عُرف موطن احتاج النبي ﷺ فيه إلى معونة علي وحده، لا باليد ولا باللسان، ولا كان إيمان الناس برسول الله ﷺ وطاعتهم له لأجل علي، بسبب دعوة علي لهم).

(وكان أنفعَ الجماعة في الدعوة باتفاق الناس أبو بكر ثم خديجة، لأن أبا بكر هو أول رجل حرٍّ بالغٍ آمَنَ به باتفاق الناس، وكان له قَدْر عند قريش لِما كان فيه من المحاسن، فكان أَمَنَّ الناسِ عليه في صحبته وذات يده)[٢].

(ولم يكن إيمان الناس ولا هجرتهم ولا نصرتهم على يد عليٍّ، ولم يكن علي منتصباً لا بمكة ولا بالمدينة للدعوة إلى الإيمان، كما كان أبو بكر منتصباً لذلك. ولم يُنقل أنه أسلم على يد عليّ

---

(١) في كتابه: الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص١٧.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٧٧ـ٧٨.

أحد من السابقين الأولين، لا من المهاجرين ولا الأنصار، بل لا نعرف أنه أسلم على يد علي أحد من الصحابة، لكن لمَّا بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قد يكون أسلم على يديه مَنْ أسلم، إن كان وقع ذلك، وليس أولئك من الصحابة، وإنما أسلم أكابر الصحابة على يد أبي بكر. ولا كان يدعو المشركين ويناظرهم كما كان أبو بكر يدعوهم ويناظرهم، ولا كان المشركون يخافونه كما يخافون أبا بكر وعمر)[١].

وثبت في الحديث الصحيح: أنه لمَّا كان يومُ أُحُد وانهزم المسلمون، قام أبو سفيان على الجبل وقال: (أَفي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرات، فَنَهاهُم النبي ﷺ أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابنُ أبي قُحافة؟ أفي القوم ابنُ الخطاب)، والنبي ﷺ يقول في كل مرة: «**لا تُجيبوه**». فلم يملك عمر نفسه فقال: (كذبتَ والله يا عدوَّ الله، إن الذين عَدَدْتَ لأحياءٌ كلهم، وقد بقي لك ما يَسُوءُك!)[٢].

فهذا جيش المشركين إذ ذاك لا يَسأل إلا عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلو كان القوم خائفين من علي أو عثمان أو طلحة أو الزبير أو نحوهم، أو كان للرسول تأييد بهؤلاء، كتأييده بأبي بكر وعمر، لكان يُسأل عنهم كما يُسأل عن هؤلاء، فإن المقتضي للسؤال قائم والمانع منتفٍ[٣].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٨١)، وغيرهما.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤/١٨٢، وكلامه طويل ونفيس جدّاً.

سابعاً: دفن علي أباه:

ومن مواقف علي في مكة أنه لما مات أبوه تردَّدَ في دَفْنِه لأنه كان مشركاً، فاستأمرَ النبيَّ ﷺ، فأمره بدفنه.

عن علي قال: (لمَّا توفي أبو طالب أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إن عمَّكَ الشيخ قد مات، قال: «**اذهَبْ فَوَارِه، ثم لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيني**» قال: فواريتُه ثم أتيته، قال: «**اذهب فاغتسِلْ، ثم لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيني**» قال: فاغتسلتُ ثم أتيته، قال: فدعا لي بدعوات ما يَسرُّني أن لي بها حُمْرَ النَّعَم وسُودَها)[1].

ثامناً: علي يفدي النبي ﷺ بنفسه يوم الهجرة:

في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنوّرة بلغ عليٌّ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة، وقد تتامَّتْ فتوّتُه واكتمل شبابه، فسجل في تلك الحادثة التاريخية الجليلة موقفاً بطوليّاً شامخاً سار مع الزمن مسيرة السيرة النبوية الطاهرة في تألقاتها وشموخها ورسوخها ورفعة مبادئها.

قال ابن إسحاق: (قال النبي ﷺ لعلي: «**نَمْ على فراشي وتَسَجَّ بِبُرْدي هذا الحَضْرميّ الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يخلُص إليك**

---

(١) أخرجه أحمد (٧٥٩) و(٨٠٧)؛ والنسائي في الكبرى (١٩٣) و(٨٤٨١)؛ وأبو داود (٣٢١٤)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ أما الدكتور علي الصلابي في كتابه عن (علي) ص٤٠ـ٤١، فقد نقل تضعيفه عن الموسوعة الحديثية، فأخطأ هو ومن ضعفه!.

شـــيء تكرهه منهم» وكان رســـول الله ﷺ ينام في بُـــرْدِهِ ذلك إذا نام)[١].

وصَدَع علي ﷺ بأمر رســـول الله ﷺ غيرَ عابئ بمـــا قد يكون من عواقـــب مهما كان شـــأنها، ولا ناظِرٍ إلـــى ما حوله من أخطـــار تكتنفه وتحفُّ بجوانبه، فتســـجَّى بِبُرْد رســـول الله ﷺ الذي كان ينام فيه، ونام على فراشه يورِّي عنه ويفديه بنفسه[٢].

وخرج النبي ﷺ على المتربِّصين به في رسوخ اليقين، وهم ينظرون بعيون مفتحة ولكنها لا تبصر، وقد أخذ الله بأنفسهم كأنهم أشباح نخل خاوية.

وجعل شـــباب قريش يتطلَّعون إلى بيت النبي ﷺ (فيرون عليّاً على الفراش متسجِّياً ببُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائماً عليه بُـــرده. فلـــم يبرحوا كذلـــك حتى أصبحـــوا، فقـــام علي ﷺ عن الفراش!)[٣].

ولم يعلم بخروج رســـول الله ﷺ أحدٌ حين خـــرج إلا عليُّ بن أبي طالب وأبـــو بكر الصديق وآل أبـــي بكر. أما عليّ: فإن رســـول الله ﷺ أخبره بخروجـــه، وأمـــره أن يتخلَّـــف بعـــده بمكة، حتى يـــؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ وليس

---

(١) السيرة النبوية: ٤٨٢/١ ـ ٤٨٣؛ تاريخ الطبري: ٣٧٢/٢.

(٢) محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٥٠٠/١.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٨٣/١؛ ونحوه عند الحاكم: ٤/٣، وصحّحه وأقره الذهبي.

بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لِما يُعلم من صدقه وأمانته ﷺ[١].

تاسعاً: علي يردّ الأمانات لقريش، ثم يهاجر إلى المدينة:

وأوكل النبي ﷺ إلى علـيٍّ القيامَ بمهمتين أخريين، فأداهما على أكمل وجه وأَنْبَله وأشجعه:

الأولى: أن يَخرج بأهله من مكة إلى المدينة.

والثانية: أن يؤدي عنه أمانته ووصايا مـن كان يوصي إليه وما كان يؤتمن عليه من مال[٢].

فأقام علي ﷺ بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحِق برسول الله ﷺ[٣].

فكان علي يَظهر[٤] للناس في هذه الأيام الثلاثة، ويقطع شوارع مكة ويقف على الملأ من أهلها باحثاً عن أصحاب الودائعِ والأمانات ليؤديها إليهم.

وبعد أداء تلـك المهمة على وجههـا، أخرج علي مـن مكة أهلَ النبي ﷺ، ثم خرج موجِّهاً إلى المدينة يمشي الليل ويكمن النهار، حتى

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٨٥/١؛ تاريخ الطبري: ٣٧٨/٢.

(٢) أسد الغابة: ١٩/٤.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٩٣/١؛ تاريخ الطبري: ٣٨٢/٢.

(٤) طبقات ابن سعد: ٢٢/٣.

قدِمِ المدينــة، فلما بَلَــغ النبيَّ ﷺ قدومُه قــال: «**ادعوا لــي عليّاً**» قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشــي! فأتاه النبي ﷺ، فلما رآه اعتَنقه وبكى رحمةً لِما بقدمَيْه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فتفل النبي ﷺ في يديه ومسح بهما رجلَيْه ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله عنه[١].

وكان سفراً بعيد الشُّقَّة، محفوفاً بالمخاطر، مليئاً بالمصاعب، بَيْدَ أنه في سبيل العقيدة هانَ على مِثل عليٍّ من أصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية، فقطع طريقاً موحشــاً يزيــد على (٤٠٠كم)، مشــياً على قدميه، يتحمل قسوة الطريق، ووَعْثَاء الســفر، ومخاوفَ الوحدة، ومخاطرَ الغدر من فلول قريش التي تحرص على إيذاء النبي ﷺ في نفســه أو من يَمتُّ إليه بأدنى صلة!.

وأدرك عليٌّ رســولَ الله ﷺ بقُبَــاء لم يَــرِمْ بعدُ، فنــزل معه على كُلثوم بن الهِدْم، وأقام معه بقُباء ليلة أو ليلتين[٢].

* * *

(١) أسد الغابة: ١٩/٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٢/٣؛ السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٩٣/١.



الباب الثاني

حياته مع رسول الله ﷺ في المدينة وجلائل أعماله

- في رحاب النبوة.
- مشاهده مع النبي ﷺ وبطولاته.
- مع النبي ﷺ في أيامه الأخيرة.

• • •

الفصل الأول

في رحابِ النُّبوَّةِ

انضمَّ عليٌّ إلى بيت ابن عمه محمد ﷺ وعمره (٦) سنين، وعاش في كفالته ورعايته وحَدَبِه عليه نحوَ (٤) سنين حتى جاء الإسلام وعمره (١٠) سنين، فأسرع إلى الإيمان برسالة النبي ﷺ، ولازمه ثلاث عشرة سنة طيلة الفترة المكية، وهو يعيش معه فيوضات الوحي وتنزُّل جبريل بالقرآن غدوة وعشيّاً، ويقتبس من هديه الخيرَ والفضائل والمكارم، ويقتدي به في مسلكه داخل البيت مع أهله وأقاربه وعشيرته، وخارجه مع عامة الناس، وتنمو ملكاته ومعارفه من خلال تلك المواقف وتقلبات الحياة وظروف الدعوة السرية والجهرية والمواجهة والبلاغ عن الله إلى الناس كافة، ويتعاهده الرسول الأعظم ﷺ بالتربية والتوجيه وتكليفه بالمهمات التي تنصر الدعوة وتدعم انطلاقاتها، حتى أنهى المرحلة المكيّة بحادثة الهجرة الجليلة.

ثم أسرع علي الخُطا إلى اللحاق برسول الله ﷺ في دار هجرته، ليصل حياته بحياة النبي ﷺ الذي أوى إلى كنفه وتربى في حَجْره منذ طفولته وعاش معه بمكة زُهاء (١٧) سنة، وأتمَّها بعشر في المدينة، لم يفارقه إلا حيث توجد مهمات وأوامر نبوية تقتضيها

مصلحة الإسلام والدعوة، فيكون علي قد أمضى مع المربي الأعظم نحو (٢٧) سنة؛ جعلت منه إنساناً فذّاً دوَّنَ في صحائف التاريخ ملحمة من سِير عظماء الرجال، فكان نبتةً من دَوْحة هاشم تفتحت في بيت النبوة، ونَمَت في معرِض غيثها ومطلع أضوائها ومهبِّ أنسامها، فبَسَقتْ تلكم الغرسة، واستحالت شجرةً طيبة مباركة أصلُها في منبت التقى والهدى، وتفرعت في سماء الإسلام تؤتي أطيب الثمار.

أولاً: بناء المسجد والمؤاخاة:

كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ (**بناءُ مسجده الأعظم**)، وقد شارك علي مع الصحابة في هذا العمل الجليل وارتجز قائلاً:

لا يَستوي من يَعْمُرُ المساجِدَا يدأبُ فيه قائماً وقاعِدا

ومن يُرى عن الغُبار حائِدا[١]

ثم قام الرسول ﷺ بإرساء الدعامة الثانية التي يستند عليها بناء المجتمع المسلم، وهي (**المؤاخاة**) بين عناصر هذا المجتمع على الحُبِّ في الله تعالى؛ فعقد الأخوَّة بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل مهاجريّ أخاً من الأنصار، فآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد الأنصاري، وبين عمر وعِتْبان بن مالك الأنصاري، وبين علي وسَهْل بن حُنيف الأنصاري[٢].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٩٧/١؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٨٧/٣.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٣/٣؛ السيرة النبوية، لابن هشام: ٥٠٥/١.

وأما ما روي من أن النبي ﷺ آخى بين نفسه الشريفة وبين علي، فلا يصحُّ منها شيءٌ لضعفِ أسانيدها ورِكّة بعضِ متونها،كما قال ابن كثير[١].

من ذلك ما رواه الترمذي: عن حَكيم بن جُبير، عن جُميع بن عُمير التيمي، عن ابن عمر قال: (آخَى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمعُ عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيتَ بين أصحابك ولم تُؤاخِ بيني وبين أحدٍ! فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»)[٢].

ثانياً: زواج علي بالسيدة فاطمة الزهراء:

وفتح القدر الأعلى لعليٍّ باباً جديداً عريضاً وَلَجَ منه إلى بيت النبوة، وأضاف وشيجةً أخرى لا تنفصم عُراها، فأَصْهَر إلى النبي ﷺ على ابنته الزهراء، التي امتدَّ بها نسلُ رسول الله ﷺ دون غيرها من أبنائه وبناته، وكان علي أبا السِّبطين الكريمين الحسن والحسين، وأصبح واحداً من أجلِّ آل البيت الطاهرين.

•• عن عبد الله بن بُرَيْدة بن الحُصَيْب، عن أبيه قال: (خَطَب أبو بكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها صغيرةٌ**» فخَطَبها عليٌّ، فزَوَّجها منه)[٣].

---

(١) البداية والنهاية: ٢٢٤/٧، ٣٣٦.

(٢) سنن الترمذي (٤٠٥٤)، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٣١٠)، والصغرى: ٦٢/٦؛ وابن حبان (٦٩٤٨)؛ والحاكم: ١٦٧/٢ وصحَّحه وأقره الذهبي، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

وُلِدت السيدة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها قبل البعثة بقليل، وتزوجها عليٌّ في ذي القعدة أو قُبيله من سنة (٢هـ) بعد معركة بدر[١]؛ فيكون زواجها وهي بنت (١٥) سنة، وعليٌّ ابنُ (٢٥) سنة، أما أبو بكر فله من العمر آنذاك (٥٢) سنة، والفاروق عمر (٤٢) سنة.

وقدَّم عليٌّ ما كان يملكه وتحت يديه مهراً للزهراء، كما أن النبي ﷺ جَهَّز كريمته جهازاً بسيطاً متواضعاً ليكون مضربَ المَثَل في تيسير الزواج. وقد بارك الله تعالى لهذين الزوجين وبارك فيهما وعليهما، فأنجبا ذرية طيبة مباركة أثنى الله عليها في محكم كتابه.

عن ابن عباس: (أن علياً قال: تزوَّجْتُ فاطمة، فقلتُ: يا رسولَ الله، ابنِ لي، فقال: «**أَعْطِها شيئاً**» قلتُ: ما عندي شيء، قال: «**فأين دِرْعُك الحُطَمِيَّةُ؟**» قلتُ: عندي، قال: «**فأَعْطِها إيَّاه**»)[٢].

والحُطميَّة: منسوبة إلى حُطَمَة بطْن من عبد القيس كانوا يعملون الدروع. وقيل: هي الدروع السابغة التي تحطم السلاح.

وجاء نحوه عن عبد الله بن عباس من «مسنده»[٣].

وعن عليٍّ قال: (جَهَّزَ رسولُ الله ﷺ فاطمةَ في خَميلٍ وقِرْبة ووسادة أدمٍ حَشوُها ليف الإِذْخِر)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١١٩/٢؛ البداية والنهاية: ٣٤٥/٣.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٥٤١)؛ والصغرى: ١٢٩/٦ـ١٣٠. وصحَّحه الألباني.

(٣) النسائي في الكبرى (٥٥٤٢)؛ وأبو داود (٢١٢٥)، وغيرهما.

(٤) أخرجه أحمد (٦٤٣)؛ وابن ماجه (٤١٥٢)؛ وابن حبان (٦٩٤٧)؛ والحاكم: ١٨٥/٢ وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

ويحدثنا علي عن موقف مثير مُعجِب يبين فيه كيفية استعداده لتأمين (تكاليف الزفاف) ونفقات وليمة العرس، فيروي الحسين بن علي عليهما السلام أن عليّاً قال:

(كانت لي شارِفٌ من نَصيبي من المغنَم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارِفاً من الخُمُس، فلما أردتُ أن أبتني بفاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ واعَدْتُ رجلاً صَوَّاغاً من بني قَيْنُقاع أن يرتحل معي فنأتيَ بإِذْخِرٍ أردتُ أن أبيعَه الصوّاغين وأستعينَ به في وليمة عُرْسي. فبينا أنا أجمع لشارِفَيَّ متاعاً من الأَقْتاب والغَرَائر والأحمال، وشارِفايَ مُنَاخان إلى جَنْب حجرة رجل من الأنصار، فرجعتُ حين جمعتُ ما جمعت، فإذا شارِفايَ قد اجْتُبَّ أسنِمتُهما وبُقِرتْ خواصرُهما، وأُخِذ من أكبادِهما، ولم أَملِك عينيَّ حين رأيتُ ذلك المنظر منهما، فقلت: مَن فعل هذا؟ فقالوا: فعلَ حمزةُ بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت في شَرْبٍ من الأنصار.

فانطلقتُ حتى أدخلَ على النبي ﷺ، وعنده زيدُ بن حارثة، فعَرَفَ النبي ﷺ في وجهي الذي لقيتُ، فقال النبي ﷺ: «**ما لَكَ؟**» فقلتُ: يا رسول الله، ما رأيتُ كاليوم قطُّ، عَدَا حمزةُ على ناقتيَّ فجَبَّ أسنمتَهما وبَقَر خواصرَهما، وهاهو ذا في بيت معه شَرْبٌ!.

فدَعَا النبي ﷺ بردائِه فارتدى، ثم انطلق يمشي، واتَّبعتُه أنا وزيدُ بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذَنَ، فأذِنوا لهم، فإذا هم شَرْبٌ. فطَفِقَ رسولُ الله ﷺ يَلومُ حمزةَ فيما فعل، فإذا حمزة قد ثَمِلَ محمرَّةً عيناهُ، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ، ثم

صَعَّدَ النظر فنظر إلى ركبتَيْه، ثم صعَّدَ النظر فنظر إلى سُرَّتِهِ، ثم صَعَّد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: هل أنتم إلا عبيدٌ لأَبي؟! فعرف رسول الله ﷺ أنه قد ثَمِلَ، فنَكَصَ رسول الله ﷺ على عَقِبَيْه القَهْقَرى، وخرجنا معه)[١].

وعن عِلْبَاء بن أحمر قال: قال علي بن أبي طالب: (خَطبتُ إلى النبي ﷺ ابنتَه فاطمة، فباع عليٌّ دِرعاً له وبعض ما باع من متاعه، فبَلَغ أربعَ مئة درهم وثمانين درهماً، وأمر النبيُّ ﷺ أن يجعل ثلثَيْه في الطِّيب، وثلثاً في الثياب، ومَجَّ في جَرَّة من ماءٍ فأمرهم أن يغتسلوا به)[٢].

•• وقد احتفَى المجتمع الإسلامي بهذا الزواج المبارك، وشارك فيه المهاجرون والأنصار، رجالاً ونساءً، واغْتَبطوا به، إكراماً وإجلالاً وإعزازاً للنبي ﷺ وآل بيته الكرام.

عن أبي يزيد المَدَني، عن أسماء بنت عُمَيْس قالت: (كنتُ في زِفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ فضَرَب الباب، ففَتحتْ له أم أيمن الباب، فقال: «**يا أَمَّ أيمن، ادْعِي لي أخي**» قالت: هو أخوك وتُنكحُه؟! قال: «**نعم يا أم أيمن**» وسمعنَ النساءُ صوتَ النبي ﷺ، فتَنَحَّيْنَ. قالت: واختبأتُ أنا في ناحية، قالت: فجاء عليٌّ، فدَعَا له رسول الله ﷺ، ونَضَح عليه من الماء، ثم قال: «**ادْعُوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٩) و(٣٠٩١) واللفظ له؛ ومسلم (١٩٧٩)؛ وأبو داود (٢٩٨٦)، وغيرهم. **الشارف**: المُسِنّ من النوق. **اجتبّ**: الجَبّ: الاستئصال في القطع. **شَرْب**: جمع شارب. **ثمل**: سكران. وهذا كان قبل تحريم الخمر.

(٢) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد: ١٧٥/٩.

لي فاطمــةَ» فجاءت خَرِقةً من الحياء، فقال لهــا: «**قد أنكحتُك أحبَّ أهــلِ بيتي إلــيَّ**» ودَعَــا لهــا، ونَضَــح عليها مــن المــاء. فخرج رسول الله ﷺ، فرأى سواداً، فقال: «**مَن هذا؟**» قلتُ: أسماء، قال: «**ابنةُ عُمَيْس؟**» قلت: نعم، قال: «**كنتِ في زِفاف فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ تُكْرِمينَه؟**» قلتُ: نعم، قالت: فدَعَا لي)[1].

خَرِقة: أي خَجلة مدهوشة.

وعن علي: (أن رســول الله ﷺ لمَّا زَوَّجه فاطمــةَ بعث معه بِخَميلة ووِسَــادةٍ من أَدَم حشــوها ليفٌ، ورَحْيَيْن وسُــقاء وجرَّتين...) الحديث بطوله[2].

وكان طعام الوليمة كبشــاً وذُرَة، فعن بُرَيْدة بن الحُصَيْب قال: (لمَّا خَطَبَ عليٌّ فاطمة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «**إنه لا بدَّ للعُرس من وليمة**» قال: فقال سعد: علَيَّ كَبشٌ، وقال فلان: علَيَّ كذا وكذا من ذرة)[3].

---

(١) أخرجه النســائي في الكبرى (٨٤٥٥)؛ والحاكــم: ٣/١٥٩؛ وبأطول منه: عبدالرزاق (٩٧٨١)؛ والطبراني في الكبيــر: ٢٤/١٣٧؛ وقال الهيثمي في (مجمــع الزوائــد: ٩/٢١٠): رجاله رجــال الصحيح. وقــال الحافظ في المطالب العالية (١٥٧٤): رجاله ثقات، لكن أسماء بنت عميس كانت في هذا الوقت بأرض الحبشــة، فلعل ذلك كان لأختها سلمى امرأة حمزة بن عبد المطلب.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٨)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه أحمــد (٢٣٠٣٥)؛ والطحاوي في شــرح مشــكل الآثــار (٣٠١٧)، وغيرهمــا؛ وقال الحافــظ في الفتــح: ١١/٥٣٤ (٥١٦٦): ســنده لا بأس به، وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٩).

١ ـ أحاديث باطلة في هذا الباب:

أ ـ عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أَمَرني أن أزوِّج فاطمةَ من عليٍّ، ففعلتُ»، وسَرَد حديثاً طويلاً.

حديث موضوع[١].

ب ـ عن يعقوب بن إسحاق، عن جعفر بن هارون، عن محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة قال: (لمّا خطب عليٌّ فاطمةَ من رسول الله ﷺ، دخل عليها فقال لها: «أيْ بُنَيَّة، إن ابن عمِّك عليّاً قد خطبك، فماذا تقولين؟» فبكت، ثم قالت: كأنك يا أَبَهْ إنما ادَّخَرْتَني لفقير قريش! فقال: «والذي بعثني بالحق ما تكلَّمتُ في هذا حتى أَذِن الله فيه من السماء» فقالت فاطمة: رضيتُ بما رضي الله لي ورسوله)[٢].

حديث باطل، فيه يعقوب: كذَّاب، وجعفر: متَّهم. وقال ابن كثير: مُنكَر.

وأورد الحافظ ابن عساكر ـ غفر الله له ـ في ترجمة علي المطوَّلة: أحاديثَ كُثر واهية وباطلة[٣].

ج ـ وعن أبي هريرة قال: (قالت فاطمة رضي الله عنها: يا رسول الله، زوجتني من علي بن أبي طالب وهو فقيرٌ لا مالَ له؟! فقال: يا فاطمة، أَمَا ترضينَ

---

(١) السلسلة الضعيفة (١٨٤٥)؛ ضعيف الجامع (١٥٦٤)؛ ميزان الاعتدال: ٦٧١/٢.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٢٣٠/١ـ٢٣١؛ البداية والنهاية: ٣٤٣/٧.

(٣) انظر مثلاً: ٢٣٤/١، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥.

أن الله ﷻ اطَّلعَ إلى أهل الأرض فاختار رجلين؛ أحدُهما أبوكِ والآخر بَعْلُك!)[1].

قال الذهبي: موضوع.

د ـ وبَلَغ من افتراء الرافضة أنهم رووا أن النبي ﷺ قال: (لو لم يَخلق الله عليّاً ما كان لفاطمة كفء)!.

وعلَّق أحدهم على هذا شارحاً فقال: (فكفاءةُ علي لفاطمة ليست كفاءةً نَسَبيَّة فقط، ولا خلقية فقط، وإنما هي كفاءة سماوية إلٰهية في تعادلهما بالقرآن، وتساويهما في ميراث النبوة، وفي الحكمة والهدى والرحمة، وفي افتراض الولاء والطاعة على الناس أجمعين)[2].

٢ ـ علي لم يتزوج على فاطمة امرأة أخرى:

كان من عادة العرب الإكثارُ من الزوجات، ودَرَج الصحابة الكرام على ذلك، وكثيراً ما كان الواحد منهم يجمع بين الاثنتين والثلاث والأربع، وعزم عليٌّ أن يفعل ذلك حيث أباحه الإسلام وجرى عليه الناس، فتحركت الغيرة الطبيعية في نفس السيدة الطاهرة فاطمة ـ وهي من بنات آدم ـ وأَخبرت النبيَّ ﷺ بذلك، فرَفَضَه لأن المرأة التي أراد علي خطبتَها هي بنت أبي جهل عدوّ الله وعدوّ رسوله، وكذلك مراعاةً منه ﷺ لخاطر ابنته، وهو حريص على سعادتها وعدم إيذائها وهي بَضْعَة منه!.

---

(١) المستدرك: ١٢٩/٣؛ تاريخ ابن عساكر: ٢٤٨/١ ـ ٢٥٠.

(٢) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ٢٢، ٢٤.

عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: (إنَّ علياً خَطَب بنت أبي جَهْلٍ، فسمعتْ بذلك فاطمةُ، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: يزعمُ قومك أنك لا تغضبُ لبناتِكَ، وهذا عليٌّ ناكحٌ بنتَ أبي جهل! فقام رسول الله ﷺ فسمعتُه حين تشهَّدَ يقول: «**أمَّا بعدُ، أنكحتُ أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصَدَقني، وإنَّ فاطمةَ بَضْعَةٌ منِّي، وإني أكرهُ أن يَسُوءَهَا. واللهِ لا تجتمعُ بنتُ رسول الله وبنتُ عدوِّ الله عند رجل واحد**» فترَكَ عليٌّ الخِطْبَة).

وفي رواية: قال ﷺ: «**فَلَا آذَنُ، ثم لا آذَنُ، ثم لا آذَنُ إلَّا أن يريدَ ابنُ أبي طالب أن يطلِّق ابنتي ويَنكح ابنتَهُم، فإنما هي بَضْعَةٌ منِّي؛ يُرِيبُني ما أَرَابها، ويُؤْذِيني ما آذاها**»[١].

وبنت أبي جهل التي خطبها علي هي (جويرية).

وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة، ولم يكن حينئذٍ تأخَّر من بنات النبي ﷺ غير فاطمة، وكانت أُصِيبت بعد أمها بإخوتها، فكان إدخال الغَيْرة عليها مما يزيد حزنها[٢].

ثالثاً: الزوجان الكريمان ينعمان بأرفع أنواع التربية على هدي النبوة ومكارمها:

في بيتهم المتواضع كان رسول الله ﷺ يجد أُنْسَه وهناءَه وسعادته، وينشر عليهم حُبَّه وحنانه، ويُحيطهم برعايته، ويَنفحُهم من زهده وتقواه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، (٥٢٣٠)؛ ومسلم (٢٤٤٩)؛ وأبو داود (٢٠٦٩) و(٢٠٧١)، وغيرهم.

(٢) الفتح ٦٨٦/٨، شرح الحديث (٣٧٢٩).

ومكارم أخلاقه؛ فكان لهم الرسولَ الهادي، والمربي الحاني، والأب العطوف، والمعلم المرشد، والقدوة العظمى... وكم كان علي وفاطمة وأبناؤهما سعداء بتلك الحياة والرعاية والتوجيه، وكم كانوا أهلاً لذاك التكريم والتعليم، وكم كانوا ـ أيضاً ـ ربانيين في تحقيق أعلى درجات الكمال الإنساني في تمثل هَدْي النبوة!.

•• عن عبد الرحمن بن أبي لَيْلى قال: (حدَّثَنا عليٌّ أنَّ فاطمة عليها السلام شَكَتْ ما تلْقَى من أَثَر الرَّحَى، فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بسَبْيٍ، فانطلَقَتْ، فلم تجِدْه، فوجدت عائشةَ فأخبرتْها. فلما جاء النبي ﷺ أخبرتْه عائشةُ بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أَخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبتُ لأقوم فقال: «**على مَكانِكما**» فقعد بيننا حتى وجدت بَرْدَ قدمَيْه على صدري! وقال: «**أَلَا أُعَلِّمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتُما مَضاجِعَكما: تكبِّران أربعاً وثلاثين، وتُسبِّحان ثلاثاً وثلاثين، وتَحْمَدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم**») لفظ البخاري.

وفي رواية لأحمد: (قال عليٌّ لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوْتُ حتى لقد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بِسَبْيٍ، فاذهبي فاستَخْدِميه. فقالت: وأنا والله قد طَحنتُ حتى مَجَلَتْ يَدَاي... وقد جاءك الله بِسَبْيٍ وسَعَة؛ فأَخْدِمْنا. فقال رسول الله ﷺ: «**واللهِ لا أُعْطِيكما وأَدَعُ أهلَ الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم لا أجدُ ما أُنْفِق عليهم، ولكني أَبيعُهم وأُنفِقُ عليهم أثمانهم**»)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)؛ ومسلم (٢٧٢٧)؛ وأبو داود (٥٠٦٢) وغيرهم.

فاختار النبي ﷺ لصِهره عليٍّ ما اختار لابنته من إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا ورضّاهما بذلك. واختار أن يوسّع على فقراء الصُّفَّة بما قدِم عليه، ورأى لأهله الصبرَ بما لَهم في ذلك من مزيد الثواب[1].

•• عن علي بن أبي طالب قال: (دخلَ علَيَّ رسولُ الله ﷺ وعلى فاطمةَ من الليل، فأَيْقَظَنا للصلاة، ثم رَجَعَ إلى بيته، فصلَّى هَوِيّاً من الليل، فلم يَسمع لنا حِسّاً، فرَجَع إلينا فأيقَظَنا، فقال: «**قُوما فَصَلِّيا**» قال: فجلستُ وأنا أَعْرُك عيني، وأقول: إنّا واللهِ ما نصلِّي إلا ما كَتب الله لنا، إنما أنفسُنا بيد الله، فإن شاء أن يَبْعَثَنا بَعَثَنا، قال: فولَّى رسول الله ﷺ وهو يقول ـ ويَضرِبُ بيدهِ على فَخِذِه ـ: «**ما نصلِّي إلا ما كَتب الله لنا!** ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»)[2].

قال الطبري: (لولا ما عَلِمَ النبي ﷺ من عِظَمِ فضل الصلاة في الليل ما كان يُزعج ابنتَه وابنَ عمه في وقت جعله الله لخَلْقه سَكَناً، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَّعَة والسكون، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية [طه: ١٣٢])[3].

وفي هذا الحديث فضيلةٌ ظاهرة لعليٍّ من جهة عِظَم تواضعه لكونه روى هذا الحديث مع ما يُشعر به عند مَن لا يعرف مقداره أنه يوجب

---

(١) الفتح: ٦٦٦/٨ (٣٧٠٥)، وانظر: ١٩٣/١٤ (٦٣١٨)؛ وصحيح مسلم (٢٧١٣)؛ وسنن ابن ماجه (٣٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٧)؛ ومسلم (٧٧٥)؛ والنسائي في الكبرى (١٣١٣)، والصغرى: ٢٠٦/٣ واللفظ له، وغيرهم.

(٣) الفتح: ١٨/٤ (١١٢٧).

غاية العتاب، فلم يَلتفت لذلك، بل حدَّث به لِما فيه من الفوائد الدينية، ومصلحة نشر العلم وتبليغه[١].

وتأمَّلْ هـذا الموقف النبيل والتربية الرفيعـة، حيث يعلم النبي ﷺ بأن خلافاً ما وقع في بيت ابنته، وقـد غاضَبَها عليٌّ وترك البيت وأوى إلى المسجد، فيجيء المربي الأعظم إلى صِهْره يؤانسه ويداعبه ويسكِّن من غضبـه ويُدَلِّلُه ويناديـه بكُنية لطيفة التصقت بعلـيٍّ وأحبَّها ما لم يحب غيرها من اسمه وكُناه:

عن سَهْل بن سَـعْد قال: (جاء رسـول الله ﷺ بيتَ فاطمة فلم يجدْ عليّاً في البيت، فقـال: «**أينَ ابنُ عمِّك؟**» قالت: كان بيني وبينه شـيء فغاضَبَني فخرج فلم يَقِلْ عندي. فقال رسـول الله ﷺ لإنسان: «**انظرْ أين هو؟**» فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقدٌ. فجاء رسول الله ﷺ وهـو مُضْطَجِع قـد سَـقَط رداؤه عـن شِـقِّه وأصابَهُ تـراب، فجعل رسول الله ﷺ يَمسَحُهُ عنه ويقول: «**قُمْ أبا تُرابٍ، قُمْ أبا تُرابٍ**»!)[٢].

●● وكان النبـي ﷺ يتعاهـد ابنتـه وصهره في جميع شـؤونهما، ويرتقي بهما إلى أوج المكارم، والتنزه عن الشـبهات بله المكروهات والمحرمات، ولربما يُهدى إليه الشيء فيؤثرهما به.

عن عبدالله بن عمر: (أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة، فوجد على بابها سِـتْراً فلم يَدخلْ، قال: وقلَّما كان يدخل إلا بدأ بهـا، فجاء عليٌّ فرآها مهتمَّةً، فقـال: ما لَكِ؟ قالت: جاء النبي ﷺ إليَّ فلـم يدخل. فأتاه علي

(١) الفتح: ١٩/٤، ١٥٧/١٧ (٧٣٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١)؛ ومسلم (٢٤٠٩)، وغيرهما.

فقال: يا رسول الله، إن فاطمة اشتدَّ عليها أنك جئتَها فلم تدخل عليها! قال: «**وما أنا والدنيا، وما أنا والرَّقْم؟!**» فذَهَب إلى فاطمة، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت: قُلْ لرسول الله ﷺ: فأتأمُرني به؟ قال: «**قلْ لها: فَلْتُرسِل به إلى بني فلان**»).

وفي رواية: «**إني رأيتُ على بابها سِتْراً مَوْشِيّاً**» وفي آخرها: «**تُرسِلي به إلى فلانٍ، أهلِ بيت بهم حاجةٌ**»[1] فقد كرِه النبي ﷺ لابنتِهِ ما كَرِهَ لنَفْسهِ من تعجيل الطيبات في الدنيا، لا أَنَّ ستر الباب حرام. وهو نظيرُ قوله لها لمَّا سألَتْه خادماً: «**أَلَا أدلُّكِ على خير من ذلك؟...**» فعلّمها الذِّكْر عند النوم[2].

وعن علي قال: (كنتُ شاكياً، فمرَّ بي رسولُ الله ﷺ وأنا أقول: اللَّهمَّ إنْ كان أَجَلي قد حَضَر فأَرِحْني، وإنْ كان متأخِّراً فارْفَعْنِي، وإنْ كان بلاءً فصبِّرني، فقال رسول الله ﷺ: «**كيف قلتَ؟**» قال: فأعادَ عليه ما قال، قال: فضَربَه برِجْلِه، وقال: «**اللَّهمَّ عافِهِ، أو اشْفِهِ**» قال: فما اشتكيتُ وجعي بعدُ)[3].

وعن علي قال: (أُهْدِيَتْ إلى رسول الله ﷺ حُلَّةٌ سِيَراءُ، فأَرسل بها إليَّ، فلبستُها فأتيتُه، فرأيتُ الغضبَ في وجهه، وقال: «**إنِّي لم أُرسِلْ بها إليك لِتلبَسَها!**» وأمرني فأَطَرْتُها بين نسائي).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٣)؛ وأبو داود (٤١٤٩)؛ وأحمد (٤٧٢٧) وغيرهم. موشيّاً: مزخرفاً. الرقم: أي عليه النقش والوشي.

(٢) الفتح: ٥٧/٧ (٢٦١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٨٠)؛ والنسائي في الكبرى (١٠٨٣٠)؛ وأحمد (٦٣٧)؛ والحاكم: ٦٢٠/٢ـ٦٢١ وصحَّحه، وأقرّه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

وفي رواية: (فقلتُ: يا رسـولَ الله، ما أَصنَعُ بها؟ أَلبَسُها؟ قال: «**لا، ولكن اجعَلْها خُمُراً بين الفَوَاطِم**»)(١).

والفواطم أربـع؛ هنَّ: فاطمة بنـت النبي ﷺ، وفاطمة بنت أسـد أم علي، وفاطمة بنـت حمزة بن عبد المطلب، وفاطمة بنت شـيبة بن ربيعة امرأة عقيل.

•• واشـتملت رعاية النبي ﷺ وتربيتُه لهذه الأسـرة على التزامها بآداب الإسلام وأخلاقه، وهَدْيه في الشؤون العامة والخاصة والواجبات والمندوبات والمباحات، حتى إنه تعاهَدَهُم في تسمية أبنائهم وتربيتهم لهم، وكان يعتمـد على عليٍّ في تنفيذ بعض أمور الإسـلام وشـؤون المسلمين.

روى محمد بن علي المعروف بابن الحَنَفيَّـة، عن أبيه قال: (كنتُ رجلاً مَذَّاءً، وكنتُ أسـتحيـي أن أسـألَ النبيَّ ﷺ لمكانِ ابنته، فأمرتُ المقدادَ بن الأسود فسألَه، فقال: «**يَغسِلُ ذَكَره ويتوضأ**»)(٢).

وعن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، أَلَا أُعلِّمُكَ كلماتٍ إذا قُلتَهنَّ، غُفِر لك مع أنه مغفورٌ لك: لا إلَهَ إلا الله العلِيُّ العظيم، لا إلَهَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٤)؛ ومسـلم (٢٠٧١)؛ وأبو داود (٤٠٤٣)؛ وابن ماجه (٣٥٩٦)، وغيرهم. سـيراء: فيها خطوط من حرير. بين نسائي: المراد زوجته مع أقاربه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢)؛ ومسـلم (٣٠٣) وغيرهما. المذي: الماء الذي يخرج من الرجل عند الملاعبة.

إلا الله الحليمُ الكريم، سبحانَ الله ربِّ السموات السبعِ وربِّ العرش العظيم، والحمدُ لله رب العالمين»[١].

وعن عليٍّ قال: (لمَّا وُلد الحَسن سمَّيْتُه حَرْباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أَروني ابني، ما سمَّيْتُموه؟**» قلنا: حرباً، قال: «**لا، بل هو حَسَنٌ**». فلما وُلد الحُسين سمَّيتُه حَرْباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سمَّيْتمُوه؟**» قلنا: حرباً، قال: «**بل هو حُسينٌ**». فلما وُلد لي الثالث سمَّيتُه حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**» فقلنا: سميناه حرباً، قال: «**بل هو مُحَسِّنٌ**». ثم قال: «**إنَّما سمَّيْتُهم بوَلَدِ هارون: شَبَّر وشَبِّير ومُشَبِّر**»)[٢].

رابعاً: حياة جادّة متقشّفة عنوانها الزهد والورع:

آتت التربية النبوية الحانية والرعاية الجادة أطيبَ الثمار؛ فكانت حياة علي وفاطمة قائمةً على النُّبل والجدّ والاجتهاد والصبر والزهد والورع ومعالي الأمور، واستمرت الأسرة على ذلك في مسيرتها ومسلكها في السرّاء والضرّاء، لأنها كانت في أسسها وتفصيلاتها صنعةَ النبوة!.

جاء في (حديث جابر الطويل) الذي يصف فيه (حَجَّة النبي ﷺ)؛ قال جابر: (وقدِمَ عليٌّ رضي الله عنه من اليَمن ببُدْنِ النبي ﷺ، فوَجد فاطمةَ رضي الله عنها

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٦٣٠)؛ وأحمد (٧١٢)؛ وابن حبان (٦٩٢٨)؛ والحاكم: ١٣٨/٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٩)؛ وابن حبان (٦٩٥٨)؛ والحاكم: ١٦٥/٣ وصحَّحه وأقره الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

ممن حَلَّ ولبسَتْ ثياباً صَبيغاً واكتحلتْ، فأنكر عليٌّ ذلك عليها، وقال: مَـن أمركِ بهذا؟ فقالـت: أبي. فكان علـي يقول بالعـراق: ذهبتُ إلى رسـول الله ﷺ محرِّشـاً على فاطمة في الأمر الـذي صَنَعَتْه، مسـتفتياً لرسـول الله ﷺ في الأمر الذي ذَكَرتْ عنه، فأخبرتُـه أني أنكرتُ ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا، فقال: «**صَدَقتْ صَدَقتْ!**»)[١].

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ: (أن عليَّ بن أبي طالب وجد ديناراً، فأتى به فاطمةَ، فسـألَتْ عنه رسـول الله ﷺ، فقال: «**هـو رِزْقُ الله**» فأكل منه رسـول الله ﷺ وأكل علي وفاطمة، فلما كان بعد ذلك أتته امرأة تَنشُـد الدينار، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، أدِّ الدينار**»)[٢].

وعن ابن عباس قال: (أصابَ نبيَّ الله ﷺ خَصَاصةٌ، فبَلَغ ذلك عليّاً، فخرج يلتمـس عملاً يُصيب فيه شـيئاً ليُغيثَ به رسـولَ الله ﷺ، فأتى بستاناً لرجل من اليهود، فاسـتقى له سبعةَ عشـرَ دلواً، كلُّ دلْوٍ بتمرة، فخيَّـره اليهـودي من تمره سـبعَ عشـرة عجـوةً، فجاء بها إلـى نبيِّ الله ﷺ !)[٣].

وستأتي أمثلة ومواقف أخرى في فصل (شمائله وأخلاقه).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ وأبو داود (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٠٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧١٤)، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٦)، ومختصراً (٢٤٤٧)؛ وفي مسند أحمد رواية أخرى (٦٨٧) و(١١٣٥)؛ ورواية ابـن ماجه الأولـى ضعيفة، والمختصرة حسـنة الإسـناد، قال الشـيخ شـعيب الأرنؤوط: ولعل مجموع الطرق يدل على أن للقصة أصلاً.

خامساً: استخلافه على المدينة في غزوة تبوك سنة (٩هـ):

كان رسول الله ﷺ إذا سافر في غزوة أو عمرة أو حج يَستخلِفُ على المدينة بعضَ الصحابة، وفي سنة (٩هـ) كانت غزوة تبوك في زَمن عُسْرة الناس وجَدْب البلاد وحرٍّ شديد وسفر بعيد وعدوٍّ كثير... فاستخلَف على المدينة علي بن أبي طالب، لا خوفاً عليه ولا ضَنّاً به، فما خاف عليه ولا ضَنَّ به في أشد المواطن خطراً وأكثرها تعرضاً للموت! فأَرْجَف به المنافقون وقالوا فيه أقوالاً شنيعة! وكانت حكمةً بالغة ونعمةً سابغة على سيدنا علي حيث أعلن النبي ﷺ على الملأ فضل صهره وصاحبه.

عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: (لمَّا كان عند غزوة جيش العُسْرة وهي تبوك، قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**إنه لا بدَّ من أن أُقيم أو تُقيم**»، فخَلَّفه. فلما فَصَل رسول الله ﷺ غازياً، قال ناس: ما خَلَّفَ عليّاً إلا لشيء كَرِهَه منه! فبَلَغ ذلك عليّاً، فاتبع رسولَ الله ﷺ حتى انتهى إليه، فقال له: «**ما جاء بك يا علي؟**» قال: لا يا رسول الله، إلا أني سمعتُ ناساً يزعمون أنك إنما خلَّفْتني لشيء كرِهْتَه مني، فتضاحَكَ رسول الله ﷺ وقال: «**يا عليُّ، أَمَا ترضَى أن تكون مني كهارون من موسى غيرَ أنك لستَ بنبيٍّ؟**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنه كذلك**»)[1].

وعن سعد بن أبي وقّاص قال: «لمَّا غزا رسولُ الله ﷺ غزوةَ تبوك خَلَّفَ عليّاً بالمدينة، فقالوا فيه: مَلَّهُ، وكَرِهَ صحبتَه، فتَبع عليٌّ النبي ﷺ

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٢٤ـ٢٥؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٨/٦٦٧ (٣٧٠٥) وقال: إسناده قوي.

حتى لَحِقه بالطريق، فقال: يا رسول الله، خلَّفْتَني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا: مَلَّهُ وكَرِه صحبتَه؟! فقال له النبي ﷺ: «**يا عليُّ، إنما خلَّفْتُك على أهلي، أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي!**»).

وفي رواية: (فقال علي: رضيتُ، رضيتُ)(١).

سادساً: علي مع أبي بكر في الحج سنة (٩هـ) لإعلان البراءة إلى المشركين:

ولَّى رسول الله ﷺ عَتّاب بن أَسِيد إمرة مكة، فحجَّ المسلمون والمشركون جميعاً في سنة (٨هـ)، وكان المسلمون مع عَتَّاب لكونه الأمير.

وفي سنة (٩هـ) بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج، وكان بعثُه بعد انسلاخ ذي القعدة، وحجَّ في ذي الحجة من سنة تسع، وأعلن الصديق أنه: لا يَحجّ بعد العام مشركٌ ولا يَطوف بالبيت عُريان.

ثم كانت (حَجَّةُ الوَدَاع) في سنة عشر من الهجرة.

وبعث الرسول ﷺ عليَّ بن أبي طالب بسورة براءة ليقرأها على الناس في الموسم، تحت إِمْرة أبي بكر.

عن أبي هريرة قال: (بَعَثني أبو بكر الصدِّيق في الحجَّة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ، قبل حَجَّة الوداع، في رَهْط يؤذِّنون في الناس يوم النَّحر: لا يَحُجُّ بعدَ العام مشركٌ، ولا يَطوفُ بالبيت عُرْيان) لفظ مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)؛ ومسلم (٢٤٠٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٨٢) و(٨٣٨٢) واللفظ له، وساقه من أكثر من عشرين طريقاً.

وزاد البخاري في رواية: (فنَبَذَ أبو بكـر إلى الناس في ذلك العام، فلم يَحُجَّ عامَ حجَّة الوداع الذي حجَّ فيه النبي ﷺ مشركٌ)[١].

وعن جابر بن عبدالله: (أن النبي ﷺ حين رجع من عُمرة الجِعْرَانَة، بعث أبا بكر على الحج، فأقبَلْنا معه، حتى إذا كنا بالعَرْج ثَوَّبَ بالصبح، ثم استوى ليُكبِّر، فسـمع الرَّغْوَة خلف ظَهْره، فوقف عن التكبير، فقال: هذه رَغوةُ ناقة رسول الله ﷺ! لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج، فلعلَّه أن يكون رسول الله ﷺ، فنصلي معه. فإذا عليٌّ عليها، فقال له أبو بكر: أميرٌ أم رسولٌ؟ فقال: لا، بل رسـولٌ، أرسلَني رسولُ الله ﷺ بـ(براءة) أقرؤها على الناس في مواقف الحج.

فقدمْنا مكةَ، فلما كان قبل التَّروية بيوم، قام أبو بكر فخَطَب الناسَ، فحدَّثهم عن مناسِكهم، حتى إذا فرغ، قام عليٌّ فقرأ على الناس (براءة) حتى ختمها.

ثم خرجنا معه، حتى إذا كان يومُ عرفة، قام أبو بكر فخطب الناسَ فحدَّثَهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ، قام عليٌّ فقرأ على الناس (براءة) حتى ختمها.

ثم خرجنا معه، ثم كان يـوم النحر، فأَفَضْنَا، فلمـا رجع أبو بكر، خطب الناس فحدَّثَهم عن إفاضَتِهم وعن نَحْرِهم وعن مناسِـكِهم، فلما فرغ، قام عليٌّ فقرأ على الناس (براءة) حتى ختمها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٧) و(٣٦٩)؛ ومسلم (١٣٤٧)؛ وأبو داود (١٩٤٦)، وغيرهم. وانظر: تفسـير ابن كثيـر: ٢/٤١٢ـ٤١٦؛ البدايـة والنهايـة: ٥/٣٦ـ ٣٩. والمراد بالتأذين: الإعلام.

فلمـا كان يوم النَّفْـر الأول، قام أبو بكر فخطب النـاسَ، فحدَّثَهم كيف يَنْفِرون وكيف يَرْمُون، فعلَّمَهُم مناسكَهم، فلما فرغ، قام علي فقرأ (براءة) على الناس حتى ختمها)[١].

وعن أنس بن مالك قال: «بَعث النبيُّ ﷺ بـ(براءة) مع أبي بكر، ثم دَعاهُ فقال: «**لا يَنبغي لأحدٍ أن يُبَلِّغَ هـذا إلا رجلٌ من أهلي**» فدَعَا عليّاً فأعطاه إياه) لفظ الترمذي.

وفي روايـة أحمد، عن أنس: (أن رسـول الله ﷺ بَعث بـ(براءة) مع أبي بكر الصديق، فلمَّا بَلَغ ذا الحُلَيْفَـة، قال: «**لا يُبلِّغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي**» فبَعث بها مع عليٍّ)[٢].

وعن علي بن أبي طالب قال: (لمَّا نزلَتْ عشرُ آيات من (براءة) على النبـي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكـر، فبَعَثَه بها ليقرأها علـى أهل مكة، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لـي: «**أَدْرِكْ أبا بكر، فحيثُما لَحِقْتَهُ فَخُذِ الكتابَ منه فاذهَبْ به إلى أهل مكة فاقـرأهُ عليهم**» فلحِقْتُه بالجُحْفة، فأخذت الكتاب منه. ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نزل فيَّ شيء؟! قال: «**لا، ولكنَّ جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك**»)[٣].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٩٧٠)، وفي الصغرى: ٥/٢٤٧ـ٢٤٨؛ والدارمي (١٩١٥)؛ وابـن خزيمة (٢٩٧٤)؛ وابـن حبان (٦٦٤٥)؛ وذكـره الحافظ في الفتح: ١٠/٢٥٧ (٤٦٥٥) وسكت عليه، فهو حسن على قاعدته.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٠٦)؛ وأحمد (١٣٢١٤)؛ وقـال الترمذي: حسـن غريب، وحسـنه الحافظ في الفتـح: ١٠/٢٥٧ـ٢٥٨ (٤٦٥٦)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٩٦)، وحسَّنه أحمد شاكر.

قال ابن كثير: (وليس المراد أن أبا بكر ﷺ رجع من فَوْره، وإنما رجع بعد قضائه المناسك التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ، كما جاء مبيَّناً في الرواية الأخرى)(١).

وقال في موضع آخر: (بعث رسول الله ﷺ عليّاً ﷺ بعد أبي بكر الصديق، ليكون معه، ويتولّى عليٌّ بنفسه إبلاغَ البراءة إلى المشركين نيابةً عن رسول الله ﷺ، لكونه ابنَ عمّه من عَصَبَتِه)(٢).

وقال ابن تيمية: (بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم، وأردَفَه بعليٍّ، فقال لعليٍّ: أميرٌ أم مأمورٌ؟ فقال: بل مأمور. فكان أبو بكر أميراً عليه، وعليٌّ معه كالمأمور مع أميره: يصلي خَلْفه، ويُطيع أمرَه، وينادي خلفه مع الناس بالموسم: ألَا لا يَحج بعد العام مشركٌ، ولا يَطوف بالبيت عُريان.

وإنما أردفه به لينبِذَ العهدَ إلى العرب، فإنه كان من عادتهم أن لا يَعقد العقود ويَنبذها إلا السيد المطاع، أو رجلٌ من أهل بيته، فلم يكونوا يَقبلون نقضَ العهود إلا من رجل من أهل بيت النبي ﷺ)(٣).

نقول: حديث أنس المتقدم حسَّنه الترمذي والحافظ ابن حجر والألباني كما قدّمنا، وضَعَّفه شعيب الأرنؤوط(٤)، وبالَغَ ابنُ تيمية فعَدَّه من الكَذِب، ونقل عن الخَطَّابي قوله: (عامة مَن بَلّغ عنه ﷺ غيرُ أهل

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤١٤/٢؛ وانظر: الفتح: ٢٥٨/١٠.

(٢) البداية والنهاية: ٣٧/٥.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٢٦٥/٤ـ٢٦٦.

(٤) سنن الترمذي: ٣٢٣/٥ (٣٣٤٤)، ٢٩١/٦ـ٢٩٢ (٤٠٥٣).

بيته؛ فقد بعث رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلم الأنصار القرآن، ويفقههم في الدين. وبعث العلاء بن الحَضْرمي إلى البحرين في مثل ذلك. وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن. وبعث عَتّاب بن أَسيد إلى مكة. فأين قولُ من زعم أنه لا يبلِّغ عنه إلا رجل من أهل بيته؟!)[١].

وليس الأمر كما ظَنَّ الخَطَّابي وأيَّده ابن تيمية من أن المراد بالبلاغ هو تبليغ الدعوة ورسالة الإسلام، بل كما قال الحافظ ابن حجر: المراد منه خصوص القصة لا مُطلَق التبليغ[٢]. بل إن ابن تيمية نفسه قال ذلك كما نقلنا كلامه في الفقرة السابقة!.

سابعاً: النبي ﷺ يبعث علياً إلى اليمن داعياً وقاضياً:

●● في سنة (٩هـ) تقاطرت الوفود إلى المدينة من كل وجه يدخلون في دين الله أفواجاً، وفيها وفد الأشعريين وأهل اليمن.

وبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، ومعه نفر من المسلمين، وبعد ستة أشهر بعث علياً[٣].

عن البراء بن عازب: (أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنتُ فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يُجيبوه. ثم

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٢٣٨/٣ـ٢٣٩.

(٢) الفتح: ٢٥٥/١٠ شرح الحديث (٤٦٥٦).

(٣) انظر: زاد المعاد: ٥٤٤/٣ـ٥٤٥؛ البداية والنهاية: ١٠٥/٥ـ١٠٧.

إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب، وأمره أن يُقْفِلَ خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد فأَحَبَّ أن يُعَقِّب مع عليٍّ فَلْيُعَقِّبْ معه. قال البراء: فكنتُ فيمن عَقَّبَ مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلَّى بنا عليٌّ، ثم صفَّنا صفّاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ، فأسلمتْ هَمْدانُ جميعاً. فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «**السَّلامُ على هَمْدانَ، السلامُ على هَمْدان**»)[1].

وهذه منقبة جليلة لعليٍّ رضي الله عنه حيث أسلمتْ قبيلة هَمْدان جميعها على يديه.

●● وفي هذا البعث أيضاً أبرز النبي ﷺ مكانة علي من قلبه ومنزلته في الإسلام، من خلال بعض الأحداث التي جرت له مع بعض الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

عن عبد الله بن بُرَيْدة بن الحُصَيْب قال: (حدثني أبي قال: لم يكن أحدٌ من الناس أبغضَ إليَّ من علي بن أبي طالب، حتى أحببتُ رجلاً من قريش لا أُحِبُّه إلا على بَغْضاء عليٍّ! فبُعث ذلك الرجل على خيل، فصحبتُه، وما أصحبه إلا على بغضاء علي! فأصاب سبياً، فكتب إلى النبي ﷺ أن يَبعثَ إلى من يُخَمِّسه، فبعث إلينا عليّاً، وفي السبي وَصِيفةٌ من أفضل السبي، فلما خمَّسه صارت الوصيفة في الخمس، ثم خمَّس فصارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم خمَّس فصارت في آل علي، فأتانا

(١) أخرجه البخاري مختصراً (٤٣٤٩)؛ والبيهقي في السنن الكبرى: ٣٦٩/٢ واللفظ له.

ورأسُه يَقْطُر، فقلنا: ما هذا؟ فقال: ألم تروا الوصيفة؟ صارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم صارت في آل علي، فوقعت عليها. فكتب وبعثني مصدِّقاً لكتابه إلى النبي ﷺ، مصدِّقاً لِما قال علي. فجعلتُ أقول عليه، ويقول: «صَدَق»، وأقول، ويقول: «صدق»، فأمسك بيدي رسولُ الله ﷺ وقال: «**أَتُبغِضُ علياً؟**» فقلت: نعم، فقال: «**لا تُبغِضْهُ، وإنْ كنتَ تحبُّه فازدَدْ له حُبّاً، فوالذي نفسي بيده لَنَصيبُ آل علي في الخمس أفضلُ من وَصيفة!**» فما كان أحدٌ بعد رسول الله ﷺ أحبَّ إليَّ من عليٍّ.

قال عبد الله بن بُريدة: والله ما في الحديث بيني وبين النبي ﷺ غيرُ أبي)[1].

فانظر إلى هذا الموقف العظيم من رسول الله ﷺ وهو يبرِّئ علياً ـ وهو بريءٌ ـ ويُعلِي مكانته، ويشيد بمنزلته وفضله! ثم تأمل موقف الصحابي بريدة وهو يُخرج مكنون صدره، فتتناقله الأجيال عبر الزمان، ثم ما آل إليه حاله بعد تلك الصراحة المدهشة، وبعد أن أظهر له النبي ﷺ صحة موقف علي ـ فأسرع إلى الحق وأناب، وانقلب بكلّيته حبّاً وإجلالاً لعلي لا يفوقه إلا حبه النبي ﷺ!.

●● وزاد فضلُ الله على علي، وإكرامُ النبي ﷺ له، وتنمية شخصيته وإبراز مَلَكاته، وحياطتُه والدعاء له؛ بأنه بعثه إلى اليمن قاضياً ومعلماً، وعمره إذ ذاك (٣٢) سنة، ففتح الله له القلوب، ووفَّقه في عمله، وسدَّده في أقضيته.

---

(١) أخرجه البخاري بأخصر منه (٤٣٥٠)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٢٨) واللفظ له؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٠٥١)، وغيرهم.

عن علي قال: (بَعثني رسـول الله ﷺ إلى اليمن وأنا شـاب، فقلت: يا رسول الله، تبعثني وأنا شـاب إلى قوم ذوي أسنان لأقضيَ بينهم ولا علمَ لي بالقضـاء؟! فوضع يده على صدري، ثم قال: «**إن الله سـيهدي قلبك ويثبِّت لسانك. يا عليُّ، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعتَ من الأول، فإنك إذا فعلتَ ذلك تبيَّن لك القضاء**» قال علي: فما أَشكَلَ عليَّ قضاءٌ بعدُ)[1].

ثامناً: مع النبي ﷺ في حجة الوداع:

في السنة العاشرة للهجرة أعلن رسـول الله ﷺ أنه حاجٌّ هذا العام، فلم يترك علي تلك الفرصة الجليلة تفوته، فأمَّر على اليمن رجلاً مكانه، وأَغَذَّ السـير إلى مكـة فوافى النبـيَّ ﷺ هناك، وحج معـه وأخذ عنه المناسك، وقام ببعض المهمات التي أمره بها النبي ﷺ.

في حديث جابر الطويل في (صفة حَجَّـة النبي ﷺ)؛ قال جابر: (وقَدِم عليٌّ من اليمن بِبُـدْن النبي ﷺ ... فقال له ﷺ: «**ماذا قلتَ حين فَرَضْـتَ الحجَّ؟**» قـال: قلـتُ: اللَّهمَّ إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسـولُك، قـال: «**فإن معـي الهديَ، فلا تَحِلَّ**». قال: فـكان جماعةُ الهَدْي الذي قدِم به علي من اليمن والذي أَتى بـه النبي ﷺ مئةً. قال: فحَلَّ الناس كلُّهـم وقَصَّروا، إلا النبـيَّ ﷺ ومن كان معه هَـدْي) الحديث، وفـي

---

(١) أخرجـه النسـائي فـي الكبـرى (٨٣٦٦)؛ وأبـو داود (٣٥٨٢)؛ وابن ماجه (٢٣١٠)؛ وأحمـد (٨٨٢)؛ وحسـنه الحافظ في الفتـح: ١٦/٥٥٣ (٧١٨٠)، وصحَّحه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

آخره: (ثم انصرف ﷺ إلى المَنحر، فنَحَر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى عليّاً فنَحَر ما غَبَر، وأَشْرَكه في هَدْيه. ثم أَمر من كل بَدَنةٍ ببَضْعَة، فَجُعِلت في قِدْر فطُبخت، فأكَلَا من لحمها، وشَرِبا من مَرَقها)[1].

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى: (أن عليّاً حدَّثه قال: أَهدى النبي ﷺ مئةَ بَدَنةٍ، فأَمَرني بلحومها فقَسَمْتُها، ثم أمرني بجلالها فقسَمتُها، ثم بجلودها فقسمتها)[2].

ووصف أعمالَ النبي ﷺ في حجته وأَداءَه المناسك، وهو يؤديها معه[3].

وعن رافع بن عَمْرو المُزني قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَخطُب الناسَ بِمِنًى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباءَ، وعليٌّ رضي الله عنه يُعَبِّر عنه، والناسُ بين قائمٍ وقاعدٍ)[4].

ومعنى (يعبِّر عنه): أي يُسمِع الناسَ ما عسى أن يخفَى عليهم.

وعن أم مسعود الأنصارية قالت: (لَكَأنِّي أنظرُ إلى عليّ بن أبي طالب وهو على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، حين وقف على شِعْب

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وتقدم طرف منه مع تخريجه: ص ٨٤ ـ ٨٥ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (١٧١٨)؛ ومسلم (١٣١٧)؛ وأبو داود (١٧٦٩)؛ وغيرهم.

(٣) انظر: الترمذي (٩٠٠).

(٤) أخرجه أبو داود (١٩٥٦)؛ وبأطول منه النسائي في الكبرى (٤٠٧٩)، وصحّحه شعيب الأرنؤوط والألباني.

الأنصار في حَجَّة الوداع، وهو يقول: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ليست بأيامِ صيامٍ، إنما هي أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذِكْر**»(١).

تاسعاً: يوم غَدِير خُمّ:

قدَّمنا أن رسول الله ﷺ بعث عليّاً إلى اليمن داعياً وأميراً، وأنه رضي الله عنه أخذ جارية من الخُمس وجامَعَها، فغضب لذلك بعض الصحابة! وفي واقعة أخرى لما غادر عليٌّ اليمن ليحجَّ مع النبي ﷺ، أمَّر مكانه رجلاً، فقام هذا بالتخفيف على الناس؛ فأَذِنَ لهم بركوب الإبل وكَسَا كلَّ رجل حُلَّة، فلما رجع عليٌّ إليهم لامَ الأميرَ على ذلك الفعل، واسترجَع الحُلل، ومَنَعهم من ركوب إبل الصدقة! فرأوا أنه قد ضَيّق عليهم في هذا، فشَكَوه إلى النبي ﷺ، وتكلَّموا فيه، وأظهروا بُغْضَهم له! فَنَهاهم ﷺ عن ذلك أشد النهي، وبرّأ عليّاً وامتدحه وأثنى عليه، وأمر الصحابة بحبِّه وموالاتِه، ومن ذلك ما ذكرناه من حديث الصحابي بُريدة بن الحُصَيْب.

وفي هذا السياق يجري موقفُ صحابة آخرين، منهم: عَمْرو بن شاس، وأبو سعيد الخُدْري، وعِمْران بن حُصَيْن، كما صرّحت الروايات بأسمائهم.

عن مُطَرِّف بن عبد الله، عن عِمران بن حُصَيْن قال: (بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب، فمضى في

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٨٩٩ـ٢٩٠١)؛ وأحمد (٧٠٨)؛ والحاكم: ٤٣٤/١ـ٤٣٥ وصحّحه ووافقه الذهبي.

السَّـــريَّة، فأصاب جارية، فأنكروا عليـــه، وتعاقد أربعـــةٌ من أصحاب رســـول الله ﷺ فقالوا: إذا لَقِينا رســـولَ الله ﷺ أخبرناه بما صنَع علي. وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ فسلَّموا عليه، ثم انصرفوا إلى رِحالهم. فلما قَدِمت السَّـــريّة، سلَّموا على النبي ﷺ، فقام أحدُ الأربعة فقال: يا رســـول الله، ألم تـــرَ إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟! فأَعْرَضَ عنه رســـول الله ﷺ. ثم قام الثاني فقال مِثلَ مقالته، فأعرضَ عنه. ثم قام إليه الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه. ثم قام الرابع فقال مثـــلَ ما قالوا، فأقبل إليه رســـول الله ﷺ والغضبُ يُعرف في وجْهِه، فقال: «**ما تريدون مـــن عليٍّ؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! إن عليّاً منِّي وأنا منه، وهـــو وَليُّ كلِّ مؤمنٍ من بعدي!**»)[1].

وكَثُر في عليٍّ القيلُ والقال من ذلك الجيش: بســـبب منعِه إياهم استعمالَ إبل الصدقة واســـترجاعِه منهم الحُلَلَ التي أطلَقها لهم نائبه. وعليٌّ معذور في ما فَعَل، لكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج، فلذلك ـ والله أعلم ـ لما رجع رســـول الله ﷺ من حَجَّته، وتفرَّغ من مناسكه، ورجع إلى المدينة، فمرَّ (بغديرِ خُمٍّ)؛ قام في الناس خطيباً فبرّأ ساحة علي، ورفع من قَدْره ونَبَّه على فضله، ليزيـــلَ ما وَقَرَ في نفوس كثير من الناس.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٤٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٢٠)؛ وأحمد (١٩٩٢٨)؛ وابن حبان (٦٩٢٩)؛ وغيرهم، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّحه الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

فقام سيدنا رسول الله ﷺ فخَطَب بمكان بين مكة والمدينة ـ مَرجِعَه من حَجَّة الوداع ـ قريب من الجُحْفة يُقال له: (غَدِير خُمّ)؛ فبيَّن فيها فضل علي، وبراءةَ عِرْضه مما كان تكلم فيه بعضُ مَن كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المَعْدَلة التي ظنَّها بعضهم جَوْراً وتضييقاً وبُخلاً، والصواب كان معه في ذلك. ولهذا لما تفرَّغ النبي ﷺ من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة، بيَّنَ ذلك في أثناء الطريق؛ فخطب خطبة عظيمة في (يوم الأحد ١٨ ذي الحجة سنة ١٠هـ) بغَدير خُمّ تحت شجرة هناك، فبيَّن فيها أشياء، وذكر من فضْل عليٍّ وأمانته وعدله وقُرْبه إليه، ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه[١].

وقد رويت في تلك الحادثة أحاديث كثيرة جدّاً، فيها الصحيح والضعيف والباطل المكذوب، ونشير هنا إلى شذرة مما صحَّ، وسيأتي في فصل لاحق طرف من الأحاديث الباطلة في هذا الباب وغيره[٢].

١ ـ عن زيد بن يُثَيْع قال: (سمعتُ عليَّ بن أبي طالب يقول على مِنبر الكوفة: إني مُنشِدٌ اللهَ رجلاً، ولا أَنشُدُ إلا أصحابَ محمد ﷺ؛ مَن سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خُمٍّ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهمَّ والِ مَن والاَهُ وعادِ مَن عاداهُ**»؟ فقام ستة من جانب المنبر، وستة من الجانب الآخر، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك)[٣].

(١) البداية والنهاية: ٥/١٠٦، ٢٠٨.

(٢) انظر: ص ٢٤١ ـ ٢٤٩ في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤١٩)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند =

٢ ـ وعن فِطْر بن خليفة، عن أبي الطُّفَيْل قال: (جمع عليٌّ رضي الله عنه الناسَ في الرَّحْبة، ثم قال لهم: أَنْشُد اللهَ كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غَدِير خُمٍّ ما سمع؛ لَمَا قام، فقام ثلاثون من الناس، فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «**أتعلمون أنِّي أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**مَن كنتُ مولاه فهذا مولاهُ، اللَّهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه**». قال: فخرجتُ وكأنَّ في نفسي شيئاً، فلقيتُ زيدَ بن أَرْقَم، فقلت له: إني سمعتُ عليّاً يقول كذا وكذا! قال: فما تُنكِر، قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك له)[1].

٣ ـ وعن أبي الطفيل، عن زيد بن أَرْقَم قال: (لمّا رجع رسول الله ﷺ من حَجّة الوداع، ونزل غَدير خُمٍّ، أَمَر بدَوْحاتٍ فَقُمِمْنَ، ثم قال: «**كأني قد دُعِيتُ فأجبتُ، إني قد تركتُ فيكم الثَّقَلَيْن، أحدُهما أكبرُ من الآخر: كتاب الله، وعِترتي أهلَ بيتي، فانظروا كيف تَخْلُفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوض**». ثم قال: «**إن الله مولاي، وأنا وليُّ كل مؤمن**»، ثم أخذ بيدِ عليٍّ فقال: «**مَن كنتُ وليَّه فهذا وليُّه، اللَّهمَّ والِ مَن والاهُ، وعادِ من عاداه**». فقلتُ لزيدٍ: سمعتَهُ من

= (٩٥٠)؛ وجاء عن علي من تسع طرق، وصحَّحه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة: ٤/٣٣٧ـ٣٤٠.

(١) أخرجه أحمد: ٤/٣٧٠ (١٩٢٥٠)؛ وابن حبان (٦٩٣١)، وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري، الصحيحة: ٤/٣٣١.

رسـول الله ﷺ؟ قال: ما كان في الدَّوْحاتِ رجلٌ إلا رآهُ بِعَينِه وسمعَه بأُذُنِه)[١].

وهذا الحديث معروف بـ (حديث الغَدِير)، وطُرقه كثيرة جدّاً، وقد رواه عن النبي ﷺ غيرُ من ذكرناهم: أبو أيوب الأنصاري، وجابر، وابن عمر، وطلحة، وسـعد بن أبي وقّاص، وحُبْشِـي بن جُنَادة، والبَرَاء بن عازب، وابن عبـاس، وبُريدة بن الحُصيب، وأنـس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخُدْري.

وأطنب ابن عساكر في ذكر طرقه[٢]، وأفرده بالتصنيف جماعة: منهم الطبري، والدَّارَقُطْني، وابن عُقْدة الشيعي. وأورد طرفاً جيداً منها الحافظ ابن كثير وصَحّـح كثيراً منها[٣]، ونقل عن شـيخه الحافظ الذهبي ذلك أيضاً، وقال: قال شـيخنا أبو عبدالله الذهبي: (وصَـدْرُ الحديث متواترٌ أتيقَّنُ أن رسول الله ﷺ قالَه، وأما: «**اللَّهمَّ والِ مَن والاهُ، وعادِ من عاداه**» فزيادةٌ قوية الإسناد).

وأورد خلاصتها العلّامة الألباني فـي «الصحيحة»[٤]، وقال في آخر كلامه: (وقد ذكرتُ وخرَّجتُ ما تيسّـر لي من طُرقه، مما يَقطَع الواقف

---

(١) أخرجه النسـائي فـي الكبـرى (٨٠٩٢)؛ والحاكـم: ٣/١٠٩ـ١١٠؛ والطبراني (٤٩٦٩)؛ وأخرجه مختصـراً: الترمذي (٤٠٤٦)؛ وعبدالله بـن أحمد في زوائد المسند (٩٥٢)؛ وصحَّحه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة: ٤/٣٣٠ (١٧٥٠).

(٢) في ترجمة علي: ١/٣٦٤ـ٣٨٥، و٢/٥ـ٨٦.

(٣) البداية والنهاية: ٥/٢٠٨ـ٢١٤.

(٤) الصحيحة: ٤/٣٣٠ـ٣٤٤.

عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحةِ الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان)[١].

وأما الإمام ابن تيمية فقد ضَعَّف قوله ﷺ: «**مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**»، وحكم بكذبِ: «**اللَّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه!**»[٢] وهذا من أخطائه وتسرعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ !.

وقد ردَّ العلّامة الألباني عليه، فقال: (ورأيتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية قد ضَعَّف الشطرَ الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزَعَم أنه كَذِبٌ! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرُّعهِ في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طُرقها ويدقّق النظرَ فيها).

وقال في موضع آخر: (فمن العجيب حقّاً أن يتجرَّأ شيخُ الإسلام ابن تيمية على إنكارِ هذا الحديث وتكذيبهِ في «منهاج السُّنَّة»...)[٣].

قال ابن كثير: وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في أيام (بني بُوَيْه) في حدود سنة (٤٠٠هـ). ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تُعَلَّق المُسوح على أبواب

(١) السلسلة الصحيحة: ٣٤٣/٤؛ وكلام ابن حجر في الفتح: ٦٦٨/٨، آخر مناقب علي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٤١٧/٤ـ٤١٨؛ منهاج السُّنَّة: ٢٥٢/٤ـ٢٥٩.

(٣) السلسلة الصحيحة: ٣٤٤/٤، ٢٦٣/٥ـ٢٦٤.

الدكاكين، ويُذرّ التِّبْن والرماد، وتدور الذراري والنساء في سِكك البلد تنوح على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب في قتله[1]!.

* * *

(١) البداية والنهاية: ٣٣٥/٧ـ٣٣٦.

الفصل الثاني

مشاهدُه مع النبيّ ﷺ وبطولاتُه

من أبرز معالم شخصية عليٍّ إن لم تكن أبرزَها شجاعتُه وجرأتُه وبطولته وقوته، شهد ساحات الوغى، وخاض غمرات الحروب، ونازل أشداء الأبطال، فكان سيفه شهاباً رَصَداً لأعداء الإسلام، يرميهم بالدواهي، ويُلبِسهم ثيابَ الخزي والهزيمة، وكان صدره درعاً واقية للدعوة ونصرتها من أول يوم وقع فيه الصدام مع قوى الشرك والوثنية.

كان في المعركة كالفئة المتراصة من الرجال، ثابتَ القدم، رابطَ الجأش، عفيفَ النفس، تام اليقظة، كثيرَ التلفُّت والحركة، ما فرَّ من حرب، ولا خاف من جيش، ولا انكسر له سيف، ولا سقطت له راية، وما واجه أحداً إلا هزمه، ولا بارز قِرْناً إلا انتصف منه، معقودٌ برايته الظَّفَر، منصور على من لاقاه، رضي الله عنه وأرضاه.

شهد مع رسول الله ﷺ جميعَ مشاهده وغزواته، ما عدا غزوة تبوك حيث استخلفه ﷺ على المدينة، وقاد بعض السرايا فوفى بالغرض وحقق المراد.

لكن من الكذب السَّمْج قولُ محمد جواد مغنيَّة: (لما جُمعت له ﷺ الجموع في بدر وأُحُد والأحزاب، كان عليٌّ سيفَ الله على أعدائه، ولولاه ما قال قائل: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله!)[١].

وهو كلام يَعرف بطلانَه صبيانُ المكاتب! وقد سبقه إلى مثل هذا إمامه ابن المُطَهَّر الحِلِّي حيث يقول عن عليٍّ: (بسيفه ثبتَتْ قواعدُ الإسلام، وتشيَّدت أركان الإيمان) وعلق ابن تيمية عليه فقال: (فهذا كذب ظاهر لكل من عرف الإسلام، بل سيفه جزء من أجزاء كثيرة، جزء من أجزاء أسباب تثبيت قواعد الإسلام، وكثيرٌ من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير، كيوم بدر: كان سيفاً من سيوف كثيرة)[٢].

أولاً: في الغزوات:

١ ـ في غزوة العُشيرة[٣]:

علمَ النبي ﷺ أن عِيراً لقريش خرجت من مكة متجهة إلى الشام، فخرج في مئتين من المهاجرين يعترض تلك العِير، وسار حتى بَلَغ ذا العُشيرة، فوجد العير قد فاتَتْه، فوادع بني مُدْلِج ثم عاد إلى المدينة.

وقد شهد علي هذه الغزوة مع النبي ﷺ، وفيها كَنَّاه بأبي تُراب[٤].

---

(١) فضائل الإمام علي: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٢٥ ـ ٤٢٦، ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٣) أول قرى وادي ينبع النخل مما يلي الساحل.

(٤) السيرة، لابن هشام: ١/٥٩٨ ـ ٦٠٠؛ طبقات ابن سعد: ٢/٩ ـ ١٠؛ فضائل الصحابة، لأحمد (١١٧٢)؛ المستدرك: ٣/١٤٠ ـ ١٤١ وصحَّحه الحاكم ووافقه =

٢ ـ في غزوة بدر الأولى:

وبعد «العُشيرة» بليالٍ أغار كُرْز بن جابر على سَرْح[١] المدينة، فخرج النبي ﷺ في طلبه، وحمل لواءَه علي بن أبي طالب، وسار حتى بلغ (وادي سَفْوان) من ناحية بَدْر، فهرب كُرْز، ولم يدركْه النبي ﷺ فرجع إلى المدينة[٢].

٣ ـ في غزوة بدر الكبرى:

وفي رمضان من سنة (٢هـ) خرج رسول الله ﷺ لاعتراض عِير قريش ـ التي فاتته في غزوة العُشَيْرة، وكانت في ألف بعير ـ وهي عائدة من الشام إلى مكة، وعليها أبو سفيان، وفيها معظم أموال قريش. وانتَدَب النبيُّ ﷺ أصحابه للخروج، وقدَّر الله ﷻ أن تكون أول معركة فاصلة بين المسلمين ومشركي مكة، وكان لعليٍّ فيها مواقف مشهورة، ومكارم مأثورة، تناقلَتْها ألسنة المحدثين والمؤرخين، ولا تزال نبراساً للأجيال في الشجاعة والبطولة والفداء والتضحية والذِّكْر الجميل.

وكان علي آنذاك ابنَ خمس وعشرين سنة.

وكانت إبل المسلمين يومئذٍ سبعين بعيراً، يتناوب كل ثلاثة على بعير.

= الذهبي. وانظر ما كتبناه: ص ٨١ في هذا الكتاب، عن كنيته بأبي تراب.

(١) هي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

(٢) السيرة، لابن هشام: ٦٠١/١؛ طبقات ابن سعد: ٩/٢.

يروي زِرُّ بن حُبَيْش، عن عبد الله بن مسعود: (أنهم كانوا يوم بَدْر بين كل ثلاثةٍ بعيرٌ، وكان زميلَيْ رسول الله ﷺ عليٌّ وأبو لبابة، فإذا حانت عُقْبَةُ النبي ﷺ قالا: اركَبْ ونحن نمشي، فيقول النبي ﷺ: **«ما أنتما بأقوى منِّي، وما أنا بأغنى عن الأجرِ منكما»**)(١).

ودفع النبي ﷺ اللواءَ إلى مصعب بن عُمير، وكان أبيضَ، وأمامه ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع عليٍّ يُقال لها: (العُقَاب)، والأخرى مع بعض الأنصار(٢).

وكان علي يومَ بدر مُعْلَماً بصوفة بيضاء، أي: جعل لنفسه علامة ليُعْرَف بها!.

●● عن علي رضي الله عنه قال: (تقدَّم ـ يعني: عُتبة بن ربيعة ـ، وتبعَه ابنُه وأخوه، فنادى: من يُبارز؟ فانتَدَب له شبابٌ من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجةَ لنا فيكم، إنما أردنا بني عَمِّنا! فقال رسول الله ﷺ: **«قُمْ يا حمزةُ، قم يا عليُّ، قم يا عُبيدةُ بن الحارث»** فأقبل حمزة إلى عُتْبة، وأقبلتُ إلى شيبة، واخْتُلِف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأَثْخَنَ كلُّ واحد منهما صاحبَه، ثم مِلْنا على الوليد فقتلناه، واحتَمَلْنا عُبيدة)(٣).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٧٥٦)؛ وأحمد (٣٩٠١)؛ وابن حبان (٤٧٣٣)، وغيرهم. وحسنه شعيب الأرنؤوط. **عقبته**: نوبته في المشي.

(٢) السيرة، لابن هشام: ٦١٢/١ـ٦١٣؛ سبل الهدى والرشاد: ٣٩/٤.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٦٥)؛ وبأطول منه: أحمد (٩٤٨)؛ وابن أبي شيبة: ٤٧٢/٨ـ٤٧٣، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

وقد نزل قرآن كريم في هؤلاء الذين تبارزوا يوم بدر، فعن قيس بن عُبَاد، عن علي بن أبي طالب: أنه قال: (أنا أولُ مَن يَجْثُو بين يدَي الرحمن للخُصومةِ يومَ القيامة، وقال قيس بن عُبَاد: وفيهم أُنزِلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، قال: هم الذين تبارزوا يومَ بَدْر: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدة بن الحارث، وشيبةُ بن ربيعة وعُتبة بن ربيعة والوليدُ بن عتبة)[١].

وقتل علي عدداً من رجال المشركين، وشارك في قتل آخرين[٢].

وأما قولُ ابنِ المُطَهَّر الحِلِّي: (قَتَل عليٌّ منهم ستة وثلاثين رجلاً بانفراده، وهم أعظمُ من نصف المقتولين، وشَرَك في الباقين). ومثله قول الشيخ المفيد، وأقرَّه عليه محمد جواد مغنية[٣]. **فهو من الكذب البيِّن المفترى باتفاق أهل العلم العالمين بالسِّيَر والمغازي، ولم يذكر هذا أحد يُعتمد عليه في النقل**[٤].

●● وفي تلك المعركة زفَّ النبيُّ ﷺ بشرى جليلة لأبي بكر ولعلي، أكرمهما الله تعالى بها:

عن علي بن أبي طالب قال: قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر: «**مع أحدِكما جبريلُ ومع الآخَر ميكائيلُ، وإسرافيلُ مَلَكٌ عظيم يَشهد القتال ويكون في الصف**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٩٦).

(٢) انظر: السيرة، لابن هشام: ١/٧٠٨ـ٧١٣.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٣٦؛ فضائل الإمام علي، ص ٩٨.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٣٦.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٥٦)؛ وابن أبي شيبة: ٨/٤٦٩؛ وابن سعد: ٣/١٧٥ـ١٧٦؛ والحاكم: ٣/٦٨، ١٣٤، وصحَّحه وأقره الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

وأما ما يُروى عن أبي جعفر الباقر قال: (نادى منادٍ في السماء يوم بدر يُقال له رضوان: لا سيفَ إلا ذو الفَقَار، ولا فتى إلا علي)[١].

فقد حكَم عليه كثير من الأئمة بالوضع[٢]، وأخفُّ الأقوال فيه أنه مرسَل ضعيف. وهو مردودٌ من حيثُ المتنُ: فإن (ذا الفقار) لم يكن لعليٍّ، وإنما كان سيفاً من سيوف أبي جهل غَنِمه المسلمون منه يوم بدر، فلم يكن يوم بدر (ذو الفَقَار) من سيوف المسلمين، بل من سيوف الكفار، كما روى ذلك ابن عباس: (أن النبيَّ ﷺ تَنفَّلَ سيفَه ذا الفَقَار يومَ بدرٍ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحُد)[٣].

٤ ـ في غزوة أُحُد:

في سنة (٣هـ) زحفت قريش ببأْوِها وخُيلائها إلى المدينة المنوّرة تريد استرداد هيبتها التي مُرِّغَت في التراب، وتثأر لقتلاها السبعين في غزوة بدر.

كان لواء المسلمين مع الصحابي الجليل مصعب بن عُمير، فلما قضى شهيداً، أعطى النبي ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب، فقاتل أشد القتال.

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٤١/١.

(٢) الموضوعات: ٣٨١/١ـ٣٨٢؛ اللآلئ المصنوعة: ٣٦٤/١ـ٣٦٥؛ تنزيه الشريعة: ٣٨٥/١.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٤٥)؛ والترمذي (١٦٤٨)؛ وابن ماجه (٢٨٠٨)، وصحّحه أحمد شاكر، وحسنه الألباني. وانظر: منهاج السُّنَّة: ٢٤٣/٤.

عن مَسْلَمة بن عَلْقمة المازني قال: لمَّا اشتد القتال يوم أُحُد، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي أنْ قَدِّم الراية. فتقدَّم علي فقال: أنا أبو القُصَم! فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ـ وهو صاحبُ لواء المشركين ـ: أنْ هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزَا بين الصفين، فاختَلَفا ضربتين، فضربه عليٌّ فصرَعَه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزتَ عليه؟ فقال: إنه استقبَلَني بعورته، فعَطَفَتْني عنه الرحمُ، وعرفتُ أن الله ﷻ قد قتله. وأجهز عليه سعد بن أبي وقّاص[١].

ولمَّا خالَف الرُّماة أمْرَ النبيِّ ﷺ، وحاقَتِ الهزيمة بالمسلمين، ثبتَ النبي ﷺ في وجْه العدو، وثَبَتَتْ معه عصابةٌ من المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة[٢].

ويحدِّث علي عن ذلك الموقف العصيب فيقول: (لمَّا انجلَى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد، نظرتُ في القتلى فلم أرَ رسول الله ﷺ، فقلتُ: والله ما كان ليفرَّ! ولا أَراه في القتلى، ولكنْ أرى الله غضِب علينا فيما صنعنا، فرَفع نبيَّه ﷺ! فما لي خيرٌ من أن أقاتل حتى أُقتل، فكسرتُ جَفْنَ سيفي ثم حملت على القوم، فأفرَجُوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم)[٣].

---

(١) السيرة، لابن هشام: ٢/ ٧٣ـ٧٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢/ ٤٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٤/ ٢٩٢.

(٣) مجمع الزوائد: ٦/ ١١٢؛ حياة الصحابة: ١/ ٥١٥ـ٥١٦.

وأصابَتْ عليّاً في ذلك اليوم ست عشـرة ضربة[١]. ونالت الجراحُ من النبي ﷺ، فأحـاط به أصحابه يداوون جراحــه، وكان علي وفاطمة يغسلان عنه دمه الطاهر!.

عن أبي حازم: أنه سـمع سَـهْل بن سـعد وهو يُسـأل عن جُرْح رسـول الله ﷺ فقـال: (أمَـا والله إنـي لأعرف مـن كان يَغسـل جُرْحَ رسـول الله ﷺ، ومن كان يَسْـكُب الماء وبما دُووي؛ قال: كانت فاطمة عليها السـلام بنت رسول الله ﷺ تَغْسِله، وعلي يَسْـكُب الماء بالمِجَنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرةً، أخذتْ قطعة من حَصير فأحرقتْها وألصقَتْها، فاستمسك الدم)[٢].

٥ ـ في حَمْراء الأَسَد:

لما انتهت معركة أُحُـد بما انتهت به وانصرف المشـركون، نادى قائدهم أبو سـفيان ليُسـمِع المسـلمين: موعدُكم الموسـم ببدر، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: نعم قـد فعلنا**» فقال أبو سـفيان: فذلكم الموعد. ثم انصرف هـو وأصحابه، فظنَّ المسـلمون أنهم قَصَـدوا المدينة لإحراز الذراري والأموال، فشَـقَّ ذلك عليهـم، فقال النبـي ﷺ لعلي بن أبي طالـب: «**اخرُجْ في آثار القـوم فانظر ماذا يصنعون ومـاذا يريدون، فإنْ كانوا قد جَنَّبوا الخيـلَ وامْتَطَوا الإبلَ فإنهم يريـدون مكة، وإنْ ركبوا الخيل وسـاقوا الإبل فإنهم يريـدون المدينة، والذي نفسـي بيده لئن**

---

(١) مسند أبي يعلى: ١/٤١٥ـ٤١٦.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٧٥)؛ ومسلم (١٧٩٠)؛ والترمذي (٢٢١٧)، وغيرهم.

أرادوها، لأَسيرنَّ إليهم فيها، ثـم لأُناجِزَنَّهم» قال علـي: فخرجتُ في آثارهم أنظرُ ماذا يصنعون، فجنَّبوا الخيـل وامتطَوا الإبل، ووجَّهُوا إلى مكة(١).

ومع ذلك فـإن النبي ﷺ عـزم على ملاحقة قريـش، فخرج ومعه (٧٠٠) صحابـي، حتى وصلوا حمراءَ الأَسَـد ـ على مسـافة (٢٠ كم) جنوب المدينة ـ وأقامـوا هناك ثلاث ليالٍ، ثم عادوا إلى المدينة، وكان علي مع ذلك الجيش(٢).

٦ ـ في غزوة الخندق:

في شوّال من سنة (٥هـ) جاءت جموع الأحزاب من قريش وغَطَفان في (عشـرة آلاف مقاتل) إلى المدينة، يريدون في محاولة يائسة أخيرة استئصالَ الإسلام والمسلمين، وظاهَرَهم على ذلك يهود بني قُرَيْظة.

وكان المسـلمون قد حفروا الخندق في السهل الواقع شمال غرب المدينة، والجانب المكشوف الذي يُخاف منه اقتحام العدو(٣).

وفي هذه الوقعة تجلَّـت عبقرية علي الحربية وبطولتُه وشـجاعته الفطرية والنفسية والجسـمية والقتالية، وإيمانُه ويقينُه وإخلاصه وثباته، وذلك في منازلتـه الفارسَ المشـهور الـذي كان يُقوَّم بألـفِ فارس: (عَمْرو بن عبد ودّ) وقتلِه له!.

---

(١) السيرة، لابن هشام: ٩٤/٢؛ زاد المعاد: ٢١٦/٣.

(٢) السيرة، لابن هشام: ١٠١/٢ ـ ١٠٢؛ طبقات ابن سعد: ٤٨/٢ ـ ٤٩.

(٣) السيرة النبوية، للندوي، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

وكان (عمرو) قد قاتل يوم بدر حتى أَثبَتَتْه الجراح فلم يشهد أُحُداً، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً ـ أي: جعل لنفسه علامة ليُعرف بها ـ ليُرى مكانه، ووقف على الخندق واقتحمه، ونادى في المسلمين: مَن يبارز؟.

فقام بطلُ الإسلام وفارسُ ميادينه علي بن أبي طالب، فقال: أنا يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «**اجلِسْ، إنه عَمْرو!**» فقال عمرو: أَلَا رجلٌ يُبارز؟ وجعل يؤنِّب المسلمين ويقول: أينَ جَنَّتكم التي زعمتُم أن من قُتل منكم دخلها؟! أفلا تُبرِزون إليَّ رجلاً! فقام عليٌّ فقال: أنا له يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «**اجلس**» ثم نادى عَمْرو الثالثةَ بشِعرٍ يعيِّر به المسلمين، ويرميهم بالجُبْن، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**إنه عَمْرو!**» فقال علي: وإنْ كان عَمْراً! فأذِن له النبي ﷺ، ودَعَا له، وعمَّمه، وأعطاه سيفه. فمشى إليه علي وهو مقنَّع بالحديد، فقال عمرو: مَن أنت؟ قال علي: أنا علي! فقال له عمرو: ابنُ عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال عمرو: يا ابن أخي مِن أعمامك مَن هو أسنُّ منك؛ فإني أكره أن أُهْرِيق دَمَك! فقال له علي: لكنّي والله لا أكره أن أُهريق دمك!.

وفي رواية: قال له علي: يا عَمْرو، إنك كنتَ تقول في الجاهلية: لا يَدْعُوني أحدٌ إلى واحدة من ثلاث إلا قَبِلْتُها، قال: أَجَلْ. فقال علي: فإني أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتُسلِم لربِّ العالمين، قال: يا ابن أخي أَخِّر عني هذه. قال: وأُخرى ترجع إلى بلادك، فإنْ يكُ محمد صادقاً كنتَ أسعدَ الناس به، وإن يكُ كاذباً كان الذي تريد،

قال: هذا ما لا تُحدِّثُ به نســاءُ قريش أبداً، وقد نَذرتُ ما نذرت، وحرَّمتُ الدُّهن. قال: فالثالثة؟ قــال: البِراز. فضَحك عمرو، وقــال: إن هذه لخصلةٌ ما كنتُ أظن أن أحداً من العرب يَرُومُني عليها! فمن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: يا ابن أخي، من أعمامِك من هو أسنُّ منك، فإني أكره أن أُهْريق دمك، فقال علي: لكني والله لا أكره أن أُهريق دمك! فغضب عمرو، فنزل عن فرســه وعَقَرها، وسَلَّ ســيفَه كأنه شُــعْلَةُ نار، ثم أقبل نحو علي مُغْضَباً، واستقبله عليٌّ بدَرَقتِه، ودنا أحدهما من الآخر، وثارت بينهما غبرة، فضَربــه عَمْرو فاتقى علــي الضربة بالدَّرقــة فقَدَّها، وأُثبِتَ فيها الســيف، وأصابَ رأسه فشــجَّه. وضَربه علي على حَبْل عاتِقهِ فســقط وثارَ العَجَاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف أن علياً قد قتله!.

ثم أقبل علي نحوَ رســول الله ﷺ ووجهه يتهلّــل، فقال له عمر بن الخطاب: هَلَّا اسْــتَلَبْتَه دِرعه فإنــه ليس للعرب درعٌ خيــر منها؟ فقال: ضربتُه فاتَّقاني بِسَوْءَتِهِ، فاستحييتُ ابنَ عمي أن أَسلبه!.

وخرجتْ خيولهم منهزمه حتى اقتحمت من الخندق[1].

وقولــه ﷺ لعلي: «اجلِــسْ إنه عمرو»: لــم يَقصد منــه إخافةَ علي وإرعابه، وهو ﷺ أعرف الناس به وبشجاعته وبطولته، وإنما قصد إثارة حميــة البطولة ونخوتهــا في نفس علي، لينــازل قِرْنه وهــو يرى آمالَ رسول الله ﷺ متعلقة به؛ **فيستحضر أقصى غايات بأسه وشجاعته**[2].

---

(١) انظر: السيرة، لابن هشــام: ٢/٢٢٥؛ طبقات ابن سعد: ٢/٦٨؛ البداية والنهاية: ٤/١٠٥ـ١٠٧؛ سبل الهدى والرشاد: ٤/٥٣٢ـ٥٣٥.

(٢) محمد رسول الله، للصادق عرجون: ٤/١٧٤.

٧ - في غزوة بني قريظة:

بعد الفراغ من غزوة الخنــدق، توجَّه النبي ﷺ إلى يهود بني قُرَيْظة للتنكيل بهم، لأنهم نقضوا عهدهم مع المســلمين وغدروا بهم وتآمروا مع الأحزاب ضدهم.

وقدَّم النبي ﷺ عليَّ بن أبــي طالب برايته إلى بني قريظة، فســار حتى دنا من الحصون، وصاح وهم محاصروها: يا كتيبة الإيمان. وتقدم هو والزبير بن العــوام، وقــال: والله لأذوقنَّ ما ذاق حمــزة أو لأفتحنَّ حصنَهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حُكْم سعد بن معاذ[١].

وحكم فيهم ســعد بحكم الله تعالى: بــأن تُقتل مقاتِلتُهم وتُســبى ذراريهم[٢].

وكان الذين يَلُون قتْلَهم: علي بن أبي طالب والزبير بن العوام[٣].

٨ - في صلح الحُدَيْبِيَة:

في ذي القعدة من سنة (٦هـ) خرج النبي ﷺ في زُهَاء (١٥٠٠) من المهاجرين والأنصــار، قاصدين الاعتمار إلى البيت الحــرام، فصَدَّتْهم قريش، ووقع بين الطرفين (صلح الحديبية) وكان لعلي ﷺ موقف جليل في كتابة (كتاب الصلح) بين رسول الله ﷺ وممثلي قريش.

---

(١) السيرة، لابن هشام: ٢/٢٣٤، ٢٤٠.

(٢) انظر: البخاري (٤١١٧، ٤١١٩، ٤١٢١).

(٣) سبل الهدى والرشاد: ٥/٢٣.

عن البراء بن عازب قال: (لمَّا صالَح رسولُ الله ﷺ أهلَ الحُديبيَة، كتب علي بن أبي طالب بينهم كتاباً: «**هذا ما قاضَى عليه محمدٌ رسول الله** ﷺ» فقالوا: لا نُقِرُّ بها، فلو نعلمُ أنك رسولُ الله ما مَنَعْناكَ، لكنْ أنتَ محمدُ بن عبدالله، قال: «**أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبدالله**» ثم قال لعليٍّ: «**امْحُ رسول الله**» قال: لا والله لا أَمْحُوكَ أبداً! فأخذ رسول الله ﷺ الكتابَ فكتب: هذا ما قاضَى عليه محمد بن عبدالله...).

وفي رواية: (فقال لعليٍّ: «**امْحُ رسولَ الله**» فقال علي: واللهِ لا أَمْحَاهُ أبداً، قال: «**فأَرِنيه**» قال: فأَراه إياه، فمَحَاه النبي ﷺ بيده)[1].

وهذا لون من الأدب الرفيع والإجلال لمكان النبي ﷺ، ومجابهة المشركين بما يُرغم أنوفَهم من أنه ﷺ رسول الله حقّاً وصدقاً.

٩ ـ في غزوة خيبر:

خيبر مدينة معروفة قائمة إلى الآن في (السعودية)، تبعد عن المدينة المنوّرة (١٦٥كم) شمالاً على طريق الشام. وكانت مستعمرةً يهودية ذات أهمية عسكرية واستراتيجية، تتضمَّن قِلاعاً حصينة وقاعدة حربية لليهود، وكانت آخرَ معقل من معاقلهم في جزيرة العرب. وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم ويأمن من جهتهم[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٨)، (٢٦٩٩)، (٣١٨٤)؛ ومسلم (١٧٨٣)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٢٤)، وغيرهم.

(٢) المرتضى، ص ٤٨؛ السيرة النبوية، للندوي، ص ٣١٥.

فغزاهم النبي ﷺ في مطلع سنة (٧هـ)، ومعه زُهاء (١٦٠٠) صحابي، ودفع الراية إلى علي، وكانت بيضاء[١]. وأظهَرَ عليٌّ في هذه الغزوة ألواناً من الشجاعة والبطولة ما خلَّدتْه صفحات التاريخ.

توجَّه رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر ونازل حصونها، وبدأ يفتتحها حِصْناً حِصناً، واستعصت عليه بعض الحصون، فبعث أبا بكر برايته فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع ولم يكن فتح، وقد جهد. ثم بعث من الغدِ عمر بن الخطاب، فأخذ الراية، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع ولم يكن فتح، وقد جهد. فقال رسول الله ﷺ: «**لأُعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَه، يَفتح الله على يديه**»، فبعث عليّاً، ففتح الله على يديه[٢].

عن سَهْل بن سعد: (أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطِينَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يَفتحُ الله على يديه، يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه الله ورسولُه**» قال: فبات الناس يدوكُون ليلتَهم أيُّهم يُعطاها! فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينَيْه، قال: «**فأرسلوا إليه**» فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبَرَأ حتى كأنْ لم يكن به وجَعٌ. فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله، أُقاتِلُهم حتى يكونوا مثلَنا؟ فقال: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتِهم، ثم ادْعُهم**

---

(١) السيرة، لابن هشام: ٣٢٨/٢.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي (٨٣٤٦)؛ السيرة، لابن هشام: ٣٣٤/٢؛ تاريخ الطبري: ١٢/٣؛ البداية والنهاية: ١٨٦/٤.

إلى الإسلام، وأخبِرْهُم بما يجبُ عليهم من حق الله فيه، فوالله لأَنَّ يَهدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَم!»)[1].

وقد روى هذا الحديث أكثر من عشرة من الصحابة، منهم: أبو هريرة وعمران بن الحُصين وبُريدة الأَسْلمي وسَلَمة بن الأَكْوَع[2].

وهذه مكرمة لعلي وفضيلة رفيعة ومنقبة جليلة؛ حيث أثبت النبي ﷺ له أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. كذلك تمَّت لعلي مكرمات أخرى في هذا الموقف الجليل، تحدثت عنه روايات أخرى نقلها علي وغيره من الصحابة.

فعند الحاكم في «الإكيل» من حديث علي نفسه قال: (فوَضَع ﷺ رأسي في حَجْره، ثم بَزق في إلْيَة راحته، فدَلَك بها عينيَّ).

وعن بُريدة في «الدلائل» للبيهقي: (فما وَجِعها علي حتى مضَى لسبيله) أي: مات.

وعند الطبراني من حديث علي: (فما رَمِدتُ ولا صُدِعْت مذ دفع النبي ﷺ إليَّ الراية يوم خيبر).

وله من وجه آخر: (فما اشتكيتُها حتى الساعة. قال: ودعا لي فقال: «**اللَّهمَّ أَذْهِبْ عنه الحرّ والقُرّ**» قال: فما اشتكيتُهما حتى يومي هذا)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠) وأطرافه في (٢٩٤٢)؛ ومسلم (٢٤٠٦)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٣)؛ وابن حبان (٦٩٣٢)، وغيرهم.

(٢) الفتح: ٥٠٥/٩ (٤٢١٠).

(٣) الفتح: ٥٠٦/٩ شرح الحديث (٤٢١٠).

أ ـ بين علي ومَرْحَب اليهودي:

تقدم عليٌّ إلى أمنع حصون خيبر وهو (القَمُوص) لفتحه، وكان فيه جيش من مقاتلي اليهود وعلى رأسهم فارسُهم المشهور (مَرْحَب)، الذي خرج مُنْتَفِجاً يستعرض بطولته وصولته وخوضَه غمرات الحروب وشدائدها، وأنه بطل مجرَّب، فانقضَّ علي عليه وفلَق هامته وجعله كأمسٍ الدابر، وكان الفتح!.

ففي حديث طويل جدّاً يرويه سَلَمة بن الأَكْوع ﷛، يقول: (أَرسلَني رسول الله ﷺ إلى عليِّ بن أبي طالب، فأتيتُه وهو أرمدُ، فقال: «**لأُعطينَّ الرايةَ اليومَ رجلاً يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» فجئتُ به أقودُه وهو أرمدُ، حتى أتيتُ به النبيَّ ﷺ، فبَصَق في عَيْنِه فبَرَأ، وأعطاه الراية. وخرج مَرْحَبٌ فقال:

قد عَلِمتْ خيبرُ أني مَرْحَبُ شاكِي السِّلاح بطلٌ مجرَّبُ
إذا الحروبُ أقبلَتْ تَلهَّبُ

فقال علي بن أبي طالب:

أنا الذي سَمَّتْنِي أمِّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غاباتٍ كَريهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهمُ بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قال: فضَربه، ففلَق رأسَ مرحبٍ، فقَتلَه، وكان الفتحُ على يدي علي بن أبي طالب)[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧)؛ وابن حبان (٦٩٣٥) وغيرهما. **شاكي السلاح**: تام السلاح. **السندره**: مكيال واسع، والمعنى: أقتل الأعداء قتلاً ذريعاً عاجلاً.

ب ـ حكاية حملِ عليٍّ بابَ الحصن:

قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن الحسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: (خرجنا مع علي بن أبي طالب ﷺ، حين بعثه رسول الله ﷺ برايتهِ، فلما دنا من الحِصْن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطاح تُرسه من يده، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتُني في نَفَر سبعة معي أنا ثامنهم، نَجْهَد على أن نَقْلب ذلك الباب، فما نَقلبه!)[1].

وفي رواية: اجتمع على حمله (أربعون رجلاً)، وفي أخرى: (سبعون)، فما استطاعوا!.

وهي حكاية واهية وخبر منكر ضَعَّفه الأئمة النقاد. وأَطْلَق محمد جواد مغنيَّة[2] العنان لخياله فذكر حكايات هي أشبه بما نُسب لأبي محمد عبدالله البَطّال والزيبق المصري وعنترة بن شداد!.

وشجاعة علي وبطولته الباهرة ثابتة بالأخبار الصحيحة، وهو في غُنية عن الأباطيل التي تُنسب إليه في هذا الباب أو غيره.

قال ابن كثير: في هذا الخبر جَهالة وانقطاع ظاهر[3].

---

(١) السيرة، لابن هشام: ٣٣٥/٢؛ ابن عساكر: ٢٠٤/١ ـ ٢٠٥؛ سبل الهدى والرشاد: ٢٠٠/٥ ـ ٢٠١.

(٢) فضائل الإمام علي، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) البداية والنهاية: ١٨٩/٤.

وذكر الحافظ رواية في «مسند أحمد» من زوائد ابنه عبد الله، وقال: في سنده (حرام بن عثمان)، متروك[١].

وقال العلّامة محمد تقي العثماني: هذه الرواية اشتهرت على ألسنة الناس، ولكنها رواية ضعيفة منقطعة لا يوثق بها، وقد أنكرها المحدِّثون[٢].

١٠ ـ في فتح مكة:

وشهد علي فتح مكة وكان له فيها مواقف جليلة مع النبي ﷺ وتنفيذ أوامره، ونصرة الإسلام والشدة على أعدائه.

من ذلك أنه قُبيل انطلاق جيش المسلمين إلى مكة، بعث النبي ﷺ عليّاً مع صحابيَّيْن آخَرَيْن، فأَحْبَطوا محاولة تجسُّسٍ أخطأ أحدُ الصحابة في اقترافها لصالح قريش!.

فعن علي قال: (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمِقْداد بن الأسود، وقال: «**انْطَلِقوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فإنَّ بها ظَعِينَةً ومعها كتابٌ، فخذوه منها**». فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظَّعينة، فقلنا: أَخْرِجي الكتابَ، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لَتُخْرِجنَّ الكتابَ، أو لَنُلْقِينَّ الثيابَ! فأخرجَتْه من عِقاصِها. فأتينا به رسولَ الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بَلْتعة إلى أناسٍ من

---

(١) الإصابة: ٥٠٢/٢.

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٦/٥.

المشركين من أهل مكة، يُخْبِرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطبُ، ما هذا؟!**» الحديث[١].

وخرج النبي ﷺ من المدينة في (١٠ رمضان سنة ٨هـ) في جيش عرمرم، وكان مع علي إحدى رايات المهاجرين الثلاث[٢].

وبعد أن تمَّ فتحُ مكة وتحررت من الشِّرك، فرَّ إلى أم هانئ ـ أختِ علي ـ رجلان من أحمائها من بني مخزوم، فدخل عليٌّ عليها يريد قتْلَهما، فأغلقت عليهما باب بيتها، وذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته الخبر، فأكرمها بأن أقرَّها على إجارتها لهما.

قالت أم هانئ: (قلتُ: يا رسولَ الله، زعمَ ابنُ أمِّي عليُّ بن أبي طالب أنه قاتِلٌ رجلاً أَجَرْتُه، فلانَ ابن هُبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أَجَرْنَا من أَجَرتِ يا أمَّ هانئ**»)[٣].

١١ ـ في غزوة حُنَيْن:

وشهد علي مع رسول الله ﷺ غزوة حُنين، وكان ممَّن ثَبَت معه حين ولَّى الناس منهزمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)؛ ومسلم (٢٤٩٤)، وغيرهما. **روضة خاخ**: موضع بقرب حمراء الأسد ـ وهذه تقع جنوب المدينة على مسافة ٢٠ كم على طريق مكة ـ. **الظعينة**: المرأة المسافرة في الهودج. **عقاصها**: هو الشعر المضفور.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٣/٣.

(٣) البخاري (٣٥٧)؛ ومسلم (٣٣٦) بعد الحديث (٧١٩)؛ السيرة، لابن هشام: ٤١١/٢.

روى جابر بن عبد الله: أنه لمَّا انهزَمَ النــاس، ثَبَت النبي ﷺ في رَهْط من المهاجريــن والأنصار وأهل بيتــه؛ (وفيمن ثبت معه ﷺ: أبو بكر وعمر، ومن أهــل بيته: علي بن أبي طالــب، والعباس بن عبد المطلب، وابنــه الفَضْل بن العباس، وأبو ســفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عُبيد وهو ابن أم أيمن، وأســامة بن زيد)[١].

ثانياً: سرايا علي:

١ ـ سَرِيَّته إلى بني سَعْد بن بَكْر بفَدَك (في شعبان ٦هـ):

بلَغَ النبيَّ ﷺ أن جمعاً لبني ســعد بن بكر يريدون أن يَمُدُّوا يهود خيبر، فبعث إليهم عليّاً في مئة رجل، فســار الليــل وكَمَن النهار حتى انتهى إلى منازلهم، فأغاروا عليهم، فهربت بنو ســعد بنســائهم، وغَنِم المســلمون الإبل والشاء، فعزل علي الخمس وقســم سائر الغنائم على أصحابه، وقدِم المدينة ولم يَلْقَ كيداً[٢].

٢ ـ سريته إلى (الفُلُس) صنمِ طيِّئٍ ليهدمه (في ربيع الآخر ٩هـ):

بعد فتح مكــة أخذ النبي ﷺ يطهِّــر أرض الجزيرة مــن الأصنام، ويرسل السرايا لهدمها، ومن ذلك أنه بعث عليّاً في (١٥٠) من الأنصار، على مئة بعير وخمسين فرســاً إلى (الفُلُس) ليهدمَه، فشنّوا الغارة على

(١) أخرجه ابن إسحاق في الســيرة: ٢/٤٤٢ـ٤٤٣؛ ومن طريقه أحمد في مسنده: ٣/٣٧٦ وإسناده صحيح، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢/٨٩ـ٩٠؛ سبل الهدى والرشاد: ٦/١٥٤ـ١٥٥.

محلَّة آل حاتم، فهدموا (الفُلُس) وخرَّبوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنَّعَم والشاء[١].

وكان في السبي سَفَّانة أختُ عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، وقد مَنَّ النبي ﷺ على سفَّانة فأَطْلَقها، فأسلمت وخرجت إلى أخيها في الشام وأشارت عليه بالقدوم على النبي ﷺ، ففعل، وأسلم رضي الله عنه.

٣ ـ سريته إلى اليمن (٩هـ):

عن البراء قال: (بَعث النبي ﷺ جيشين، وأَمَّر على أحدِهما عليَّ بن أبي طالب، وعلى الآخر خالدَ بن الوليد، وقال: «**إذا كان القتالُ فعليٌّ**» قال: فافتتح علي حِصْناً، فأخذ منه جاريةً، فكتب معي خالِدٌ كتاباً إلى النبي ﷺ يَشِي به...) الحديث[٢].

ورواه أيضاً عمران بن الحُصَيْن وبُريدة بن الحُصَيْب[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/١٦٤؛ سبل الهدى والرشاد: ٦/٣٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٩٩) و(٤٠٥٩)، وحَسَّنه. وقد تقدم مفصلًا: ص٩١ـ٩٤، في هذا الكتاب.

(٣) انظر: السنن الكبرى، للنسائي (٨٤٢٠) (٨٤٢١).

الفصل الثالث

مع النبيّ ﷺ في أيامِهِ الأخيرةِ

كَمَلَت مهمّةُ التبليغ والتشـريع، وأقرّ الله سبحانه وتعالى عيـنَ نبيه ﷺ بدخول الناس في هذا الدين أفواجاً، وبَدَتْ طلائع انتشـاره في العالم، واطمأن إلى وفاء مَن ربَّاهم في حَجْره، ونشؤوا تحت سمعه وبصره، لهذا الدين وتنفيذهم لتعاليمه، والغَيْرة على أصالته ونقائه، وظهرت شواهد ذلك من غير شـك وريبة، فتهيّأ للقاءِ الله، وقد أحبَّ الله لقاءه، وأوصى المسلمين وخطب فيهم مراراً.

وفي أيام حياته ﷺ الأخيرة وقعت أحداث وبرزت مواقف شـارك فيها جمهرة من أكابر الصحابة والمقربين عنده ﷺ، وكان علي أحدَهم، حيث لازمه في مرضه، وشـهدَه في أواخر سـاعاته ووفاته، ووَلِي مع آخرين تجهيزه وغَسْلَه ودفْنَه، ووعى وصاياه للصحابة وللأمة كافة[1].

•• عن عُبيد الله بن عبد الله قال: (دخلتُ على عائشة فقلتُ لها: ألا تُحدِّثيني عن مرضِ رسـول الله ﷺ؟ قالت: بلى؛ ثَقُـلَ النبي ﷺ فقال: «**أصَلَّى الناسُ؟**» قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله! قال: «**ضَعُوا لي**

---

(١) المرتضى، ص ٥٣؛ السيرة النبوية، للندوي، ص ٤٠١.

ماءً في **المِخْضَب**» ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب **لِيَنُوءَ** فأُغْمِي عليه... فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلِّي بالناس... قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام. ثم إن رسول الله ﷺ وجَد من نفسه خِفَّةً فخرج بين رجلين أحدُهما العباس، لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذَهَب ليتأخَّر، فأومأَ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخَّر، وقال لهما: «**أَجْلِسَاني إلى جَنْبه**» فأجْلَساه إلى جَنْب أبي بكر. وكان أبو بكر يصلي وهو قائمٌ بصلاة النبي ﷺ، والناسُ يصلُّون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعدٌ.

قال عُبيد الله: فدخلتُ على عبد الله بن عباس، فقلتُ له: أَلَا أَعرِضُ عليك ما حدثتْني عائشةُ عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقال: هاتِ، فَعَرضْتُ حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غيرَ أنه قال: أَسَمَّتْ لك الرجلَ الذي كان مع العباس؟ قلتُ: لا، قال: هو علي)[١].

وقد روى هذا الحديث جماعةٌ من الصحابة منهم علي، وهو حديث متواتر[٢].

وعن عبد الله بن عباس: (أن عليَّ بن أبي طالب خرج من عند النبي ﷺ في وَجعِه الذي توفِّي فيه، فقال الناس: يا أبا حَسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمدِ الله بارئاً) الحديث[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨)؛ ومسلم (٤١٨)؛ والنسائي في الكبرى (٩٠٩، ٩١٠)، وغيرهم. **المخضب**: إناء نحو المركن الذي يغسل فيه. **لينوء**: أي يقوم وينهض.

(٢) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص٢٣٨.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٦٦)؛ وسيأتي بتمامه: ص٣٥٢، في هذا الكتاب.

•• وكان علي مِن آخر الناس عَهْداً برسـول الله ﷺ وليس آخرَهم، فعن أم المؤمنين أم سَلَمة قالت: (والذي تحلِفُ به أم سَلَمة إنْ كان أقربَ الناس عهداً برسول الله ﷺ علـيٌّ، قالت: لمَّا كان غداةَ قُبِض رسول الله ﷺ، فأَرسَل إليه رسول الله ﷺ، وكان ـ أُرى ـ في حاجة أظنُّه بَعَثه، فجعل يقـول: «جاءَ عليٌّ؟» ثلاث مرات. قالـت: فجاء قبل طلوع الشمس، فلما أنْ جاء عَرفْنا أنَّ له إليه حاجةً، فخرَجْنا من البيت، وكنَّا عُدْنا رسولَ الله ﷺ يومئذٍ في بيت عائشة، فكنتُ في آخر مَنْ خرج من البيت، ثم جلستُ أدناهنَّ من الباب، فأكَبَّ عليه عليٌّ، فكان آخرَ الناس به عهداً، جعل يُسَارُّهُ ويُناجِيه)[1].

والأحاديث الثابتة في «الصحيحين» وغيرهما تنصُّ على أن آخرَ الناس عهداً به ﷺ هي أم المؤمنين عائشة، ومات ﷺ ورأسُه على صدرها[2].

قال الحافظ: وحديث عائشة أثبت من حديث أم سلمة، ولعلها أرادت: علي آخر الرجال به عهداً[3].

وأما الأخبار التي رُوِيت بأنه ﷺ توفي ورأسه في حَجْر علي؛ فأحاديث واهية ضعيفة جدّاً، فيها انقطاع، ومتروكون مثل الواقدي

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤٨٦، ٨٤٨٧)؛ والحاكم: ١٣٨/٣ـ١٣٩ وصحَّحه وأقره الذهبي؛ وحسنه أبو إسحاق الحويني في: خصائص علي (١٥٠، ١٥١)، وضعفه أحمد ميرين البلوشي!.

(٢) انظر مثلًا: البخاري (٤٤٣٨)؛ ومسلم (٢٤٤٣).

(٣) الفتح: ٧٨٨/٩ (٤٤٣٨).

وحرام بن عثمان، ومن لا يُعرف حاله وليس بثقة كأبي الحويرث عبدالرحمن بن معاوية المدني، وهي معارضة للثابت في «الصحيحين»[(١)].

●● وكان علي رضي الله عنه في جملةِ من غَسَّلَه ﷺ من الرجال:

عن عائشة أم المؤمنين قالت: (لمَّا أرادوا غَسْلَ رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نصنع، أَنُجَرِّد رسول الله ﷺ كما نُجرِّد موتانا أم نغسِّله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختَلفوا أرسل الله عليهم السِّنَة حتى والله ما من القوم من رجلٍ إلا ذَقَنُه في صدره نائماً! قالت: ثم كلَّمهم مكلِّمٌ من ناحية البيت، لا يدرون من هو، فقال: اغْسِلوا النبي ﷺ وعليه ثيابُه. قالت: فثاروا إليه، فغسَّلوا رسولَ الله ﷺ وهو في قميصه يُفاض عليه الماء والسِّدْر، ويَدْلُكُه الرجال بالقميص. وكانت عائشة تقول: لو استقبلتُ من الأمر ما اسْتَدْبَرْتُ، ما غَسَّل رسولَ الله ﷺ إلا نساؤه)[(٢)].

وروى سعيد بن المسيِّب: (عن علي بن أبي طالب قال: لمَّا غَسَّلَ النبيَّ ﷺ ذَهَب يَلتمِس منه ما يُلتَمَسُ من الميِّت، فلم يجدْه، فقال: بأبي الطَّيّبُ، طِبْتَ حيّاً وطبتَ مَيْتاً!)[(٣)].

---

(١) ساقها ابن سعد: ٢/٢٦٢ـ٢٦٣؛ وتكلم عليها الحافظ وضعفها كلها في الفتح: ٩/٧٨٧ـ٧٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٤١)؛ وأحمد (٢٦٣٠٦)؛ وابن حبان (٦٦٢٧)، (٦٦٢٨)؛ والحاكم: ٣/٥٩ـ٦٠؛ وصحَّحه الذهبي في تاريخ الإسلام ـ السيرة النبوية، ص٥٧٥، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٤٦٧)؛ والحاكم: ١/٣٦٢، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

ووَلي دفنَ النبي ﷺ أربعةٌ فيهم علي، فعن عامر الشعبي قال: (غَسَّلَ النبيَّ ﷺ عليٌّ والفَضْل وأسامة بن زيد، وهم أدخلوه قبرَه. قال: وحدثني مَرْحَبٌ أو ابن أبي مَرْحَب؛ أنهم أدخلوا معهم عبدَ الرحمن بن عوف. فلما فرغ عليٌّ قال: إنما يَلِي الرجلَ أهلُه)[1].

توفي سيدنا رسول الله ﷺ يوم الإثنين، وتولَّى أهلُه غسلَه، وأخَّروا دفنه ليصلي المسلمون عليه، فإنهم صلوا أفراداً، واحداً بعد واحد، رجالهم ونساؤهم: خلق كثير، فلم يتسع يوم الإثنين لذلك مع تغسيله وتكفينه، بل صلوا عليه يوم الثلاثاء، ودُفن يوم الأربعاء[2].

وبوفاته ﷺ طُوِيت صفحات مشرقة من (كتاب حياة علي) في رحابه ﷺ وكنف رعايته وأنوار هديه وتوجيهاته.

فلنفتح صفحات أخرى نتلو فيها أخبار المرتضى وجلائل أعماله وسيرته.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٠٩)؛ وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط؛ وأخرجه أيضاً ابن سعد: ٢/٢٧٧، ٣٠٠؛ والبيهقي: ٤/٥٣.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٧١١؛ وانظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٢٥٦_٢٥٧.

الباب الثالث

علمُه وعبادتُه وشمائلُه وأخلاقُه

- علمُهُ.
- فصاحتُهُ وشعرُه وخُطَبُه وحِكَمُه.
- عبادتُهُ.
- شمائلُهُ وأخلاقُهُ.

• • •

الفصل الأول

عِلْمُـه

الخلفاء الراشدون الأربعة هم من خواصّ أصحاب رسول الله ﷺ، وأعلمُ الأمة، ولهم في تبليغ كليات الدين ونشر أصوله وأخذ الناس ذلك عنهم ما ليس لغيرهم[1].

ومنزلة علي في العلوم بالمحل العالي، وَهَبَه الله ﷻ قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً، وحافظة باهرة، وفهماً ثاقباً. وَردَ منبعَ العلم ومصدرَ الحكمة ﷺ ولازمه طيلة مدة الرسالة، وصَدَر عن بحره الصافي وقد امتلأ علماً وفهماً وحكمة، ونالَتْه بركةُ دعوته في القضاء، وأخذ عنه القرآنَ غضّاً طريّاً، فكان ﵁ من بحور العلم؛ قارئاً لكتاب الله، مفسِّراً له، محدِّثاً فقيهاً قاضياً، خطيباً شاعراً بليغاً مفوَّهاً.

أولاً: أخذه العلم عن النبي ﷺ، وأبي بكر:

●● ١ ـ عن علي قال: (ألَا أُخْبِركم بأفضلِ آيةٍ في كتاب الله تعالى، حدثنا بها رسولُ الله ﷺ؟ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]؛ «**وسأفسِّرُها لك يا عليّ:**

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣١٨/٤.

ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرمُ من أن يُثَنِّي عليهم العقوبة في الآخرة، وما عَفَا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلَمُ من أن يعودَ بعد عفوه»)[١].

٢ ـ وعن علي قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بِحَرَّة السُّقْيا التي كانت لسعد بن أبي وقّاص، فقال رسول الله ﷺ: «**ائْتُوني بوَضُوءٍ**» فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة، فقال: «**اللَّهمَّ إن إبراهيمَ كان عبدَك وخليلَكَ، ودَعَا لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدُك ورسولُك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعِهِم مِثْلَي ما باركْتَ لأهلِ مكة مع البَرَكة بَرَكتَيْنِ**»)[٢].

٣ ـ وعن علي قال: (كان النبي ﷺ يصلِّي قبل الظهر أربعاً، وبعدها ركعتين)[٣].

٤ ـ وعنه ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات، يَفْصِلُ بينهنَّ بالتسليم على الملائكة المُقرَّبين ومَنْ تَبِعَهم من المسلمين والمؤمنين)[٤].

٥ ـ وعن علي: أن النبي ﷺ كان يقول في وِتْرِه: «**اللَّهمَّ إني أَعوذ**

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩)؛ ومن طريق آخر: الترمذي (٢٨١٤)؛ وابن ماجه (٢٦٠٤)؛ وحسنه الترمذي، وأحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢٥٥)؛ والنسائي في الكبرى (٤٢٥٦)؛ وأحمد (٩٣٦)؛ وقال الترمذي: حسن صحيح، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٦) وحسنه، وصحَّحه الألباني.

(٤) أخرجه الترمذي (٤٣١) وحسنه، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

بِرِضاكَ من سَخَطِك، وأعوذ بمعافاتِكَ من عُقوبَتِك، وأعوذ بك منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نَفْسِك»[١].

٦ ـ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**قد عَفَوْتُ عن صَدَقةِ الخَيْلِ والرَّقيقِ، فَهَاتُوا صدقةَ الرِّقَةِ: من كلِّ أربعين درهماً درهمٌ، وليس في تسعينَ ومئةٍ شيء، فإذا بَلَغتْ مئتينِ ففيها خمسةُ الدّراهمِ**»[٢].

٧ ـ وعن علي قال: وقف رسول الله ﷺ بعَرَفَة، فقال: «**هذا الموقفُ، وعرفةُ كلّها موقفٌ**»[٣].

•• ولم يكتفِ علي بأن يستمع إلى النبي ﷺ ويروي عنه وينقل سُنَنه، بل كان يسأله مستفسراً أو متثبّتاً؛ فعن علي قال: (سمعتُ رجلاً يَستغفرُ لأبوَيْه وهما مُشْركانِ، فقلتُ: أَتَستغفرُ لهما وهما مشركان؟! فقال: أَوَ لم يستغفرْ إبراهيم لأبيه؟! فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ، فنزلَتْ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣]). وفي رواية النسائي: (فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة: ١١٤])[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)؛ والترمذي (٣٨٨٢)؛ وابن ماجه (١١٧٩)، وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٧٤)؛ والترمذي (٦٢٥)؛ وابن ماجه (١٧٩٠)، وغيرهم، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **الرقة**: الفضة والدراهم المضروبة منها.

(٣) أخرجه أبو داود (١٩٣٥)؛ والترمذي (٩٠٠)؛ وابن ماجه (٣٠١٠)؛ وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) وحسنه؛ والنسائي في الكبرى (٢١٧٤)؛ وأحمد (٧٧١)، وصحَّحه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

كذلك كان النبي ﷺ يبتديه بالتعليم والتوجيه، كما أوضحنا في فصل: (في رحاب النبوة).

وقد حَفظ عليٌّ الكثير الطيب من سُنن رسول الله ﷺ وأيامه في: صفة الوضوء، والصلاة وكيفيتها وأفعالها وأقوالها، والسنن الراتبة، والأذكار والأدعية فيها وبعدها، وتفصيلات أركان الصيام والزكاة والحج، وأحكام الجنائز، وأمور الجهاد، والأضاحي والأطعمة، والحلال والحرام، والفرائض والوصايا، والدّيات والحدود، والآداب والعقائد، وغير ذلك من أمور الإسلام، وهو مدوّن في كتب السُّنَّة.

•• وأخذ علي العلم أيضاً عن أبي بكر الصديق وروى عنه الحديث، ومن ذلك هذا الموقف الجليل الذي يعبر عن عمق العلاقة والحب بين الصحابيين الجليلين:

عن أسماء بن الحَكَم الفَزَاريِّ قال: سمعتُ عليّاً يقول: (إني كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رسولِ الله ﷺ حديثاً نَفَعني الله منه بما شاء أن ينفعَني به، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلَفْتُه، فإذا حَلَف لي صدَّقْتُه، وإنه حدثني أبو بكر وصَدَق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجلٍ يُذنب ذَنْباً، ثم يقوم فيتطهَّرُ، ثم يصلي، ثم يستغفرُ الله، إلا غَفَر الله له**» ثم قرأ هذه الآية: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ** ...﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٣٥])[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢١)؛ والترمذي (٤٠٨)؛ والنسائي في الكبرى (١٠١٧٥)، وغيرهم. وحسنه الترمذي والألباني. واستحلاف علي للصحابة هو من مزيد تحريه، والصحابة كلهم عدول أمناء.

ثانياً: القارئ الحافظ لكتاب الله تعالى:

●● قرأ علي ﷺ القرآن على النبي ﷺ.

وعَرَض عليه القرآن: أبو عبدالرحمن السُّلَمي، وأبو الأسود الدُّؤَلي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى.

وهو ممن حفِظ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ، وقد أَبْطَل العلماءُ قولَ الشعبي أنه لم يحفظه. وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمي قال: ما رأيتُ أحداً كان أقرأ من علي[1].

●● وقد جمع القرآن في مصحف واحد بين دفتين أبو بكر الصديق بإشارة من عمر، وبمشهد من جماهير الصحابة من المهاجرين والأنصار ومنهم علي، فقد ثبت عنه أنه قال: (أعظمُ الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أوَّلَ مَنْ جَمع القرآن بين اللوحين)[2].

وزَعْمُ الرافضة أنه لم يَجمع القرآن غيرُ عليٍّ والأوصياء، هو كذبٌ مفترى وزندقة وتكذيب للصحابة وفيهم علي الذي يَدَّعون حبَّه وإمامته لهم!.

نقل صاحِبُ «بصائر الدرجات» عن أبي جعفر الباقر: أنه قال: (ما يستطيع أحدٌ أن يدَّعي أنه جَمع القرآنَ كلَّه ظاهرَه وباطنَه غيرُ الأوصياء).

---

(١) معرفة القرّاء الكبار: ١/٢٧ـ٢٨؛ غاية النهاية: ١/٥٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» من طرق: ١/١٦٥ـ١٦٧؛ وابن أبي شيبة: ٧/١٩٦؛ وابن سعد: ٣/١٩٣؛ وصحَّحه ابن كثير في «فضائل القرآن»، ص١٥؛ وحسنه الحافظ في الفتح: ١١/٢٠٧ (٤٩٨٦).

وعنه أيضاً قال: (ما مِن أحدٍ من الناس يقول: إنه جمع القرآن كلَّه كما أَنزل الله؛ إلا كذَّاب، وما جمعه وما حَفِظه كما أُنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده)[1]!.

وإذا كان علي رضي الله عنه قد جمع القرآن وهو مغايرٌ لِما جمعه أبو بكر الصديق وتواتر عن الصحابة؛ فلماذا لم يُظْهِره علي، أفكان خائفاً أم جباناً؟! لم يعرف أحد من العقلاء ذلك عن علي! وإذا كان أخفاه تقيَّة طيلة عهد الخلفاء الثلاثة، فلماذا لم يُظهره للمسلمين في أيام خلافته وزمان إمارته وقد بايعه المسلمون؟! وقد ذهب الخوف وانتفت التقيّة التي يدَّعيها المُبطِلون! ولو أنه أظهره وقرأه على الناس وتعلَّموه منه، لنقلوه عنه بالتواتر، وهذا ما لم يكن. وإنْ كان أخفاه عنهم وتركه للأوصياء من بعده ليقوم به (القائم المزعوم)؛ فهو بذلك غاش للأمة وخائن للعهد ومضيع لشرع الله تعالى وقد حماه الله من ذلك، فما مِثلُ علي بالذي تحوم حول سيرته شبهة.

إن هؤلاء القوم لا يعقلون، لأنهم بهذا القول المفترى يطعنون في سيدنا علي، في دينه وصدقه وإخلاصه وأمانته وأحقيته بالقيام بأمر الإسلام والمسلمين.

●● وأما الأثر الذي يرويه محمد بن سيرين قال: (لمّا توفي النبي ﷺ أَقْسَم عليٌّ أن لا يرتدي برداءٍ إلا لجمعة، حتى يَجمع القرآن

---

(١) بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصفار، ص٢١٣؛ الشيعة والقرآن، ص٣٩.

في مصحف، ففعل)[١]، فهو خبر ضعيف مُعْضَل، ضعَّفَه ابن كثير والسيوطي، ثم هو لا يفيد بأنه لم يجمع القرآن غير علي.

ثالثاً: المفسّر:

•• عن سُليمان بن مَيْسرة الأَحْمَسي، عن أبيه قال: قال علي: (واللهِ ما نَزلت آية إلا وقد علمتُ فيمَ أُنزلت، وأين أُنزلت، إن ربي وَهَب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً)[٢].

وعن أبي الطُّفيْل قال: قال علي: (سَلُوني عن كتاب الله؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليلٍ نزلت أم بنهار، في سَهْل أم في جبل)[٣].

وعن علي قال: (لما نَزَلتْ هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] أحزَنَتْنا، قلنا: يُحدِّث أحدُنا نفسَه فيُحاسَبُ به؛ لا ندري ما يُغفر منه ولا ما لا يغفر منه! فنَزلت هذه الآية بعدها فنسَختْها: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦])[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: ١/١٨٠؛ وابن أبي شيبة: ٧/١٩٧؛ وابن سعد: ٢/٣٣٨. وانظر: فضائل القرآن، لابن كثير، ص ٢٥؛ والفتح: ١١/٢٠٧ـ٢٠٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢/٣٣٨؛ الحلية: ١/٦٧ـ٦٨.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢/٣٣٨؛ الجرح والتعديل: ٦/١٩٢؛ ابن عساكر: ٣/٢٠ـ٢٢.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وصحَّحه بشواهده شعيب الأرنؤوط.

وروى رِبْعِيُّ بن حِرَاش: (عن علي في قوله عز وجل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، قال: علِّموا أنفسَكم وأهليكم الخيرَ)[١].

•• عن أبي الطُّفَيْل قال: (سمعتُ عبدَ الله بن الكَوَّاء يَسأل عليَّ بن أبي طالب عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾؟ قال: الرياح. وعن ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾؟ قال: السحاب. وعن ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾؟ قال: السفن. وعن ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾؟ قال: الملائكة)[٢].

ـ وعن علي في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩]، قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه[٣].

ـ وقال أبو الطُّفَيلِ عامر بن واثِلَة: (سمعت عليّاً قام فقال: سَلُوني قبل أن تَفْقِدوني، ولن تَسألوا بعدي مثلي! فقام ابن الكَوَّاء فقال: من ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؟ قال: منافقو قريش. قال: فمن ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]؟ قال: منهم أهل حَرُورَاءَ)[٤]. **وأهل حروراء: هم الخوارج.**

ـ وعن علي: (في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾

---

(١) أخرجه الحاكم: ٢/٤٩٤، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) علقه البخاري مختصراً جدّاً: الفتح: ١٠/٦٨٠؛ ووصله ابن عيينة في «تفسيره»، ص ٣٢٥؛ والحاكم من وجه آخر: ٢/٤٦٦ـ٤٦٧.

(٣) أخرجه الحاكم: ٢/٣١٢، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الحاكم: ٢/٣٥٢، وصحَّحه.

[التكوير: ١٥ ـ ١٦]، قال: هن الكواكب تَكْنُس بالليل، وتخنَس بالنهار فلا تُرى)[(١)].

ـ وعن عَبَّاد بن عبد الله قال: (سأل رجلٌ عليّاً: هل تبكي السماء والأرض على أحدٍ؟ فقال له: لقد سألتَني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، إنه ليس عبدٌ إلا له مصلًّى في الأرض، ومصعَدُ عملِه من السماء، وإنَّ آل فرعون لم يكن لهم عملٌ صالح في الأرض، ولا عملٌ يَصعَد في السماء) ثم قرأ علي: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩][(٢)].

رابعاً: المحدّث:

كان علي رضي الله عنه محدِّثاً جِهْبِذاً متحرِّياً في تحمُّل الحديث وروايته، حتى إنه لَيَستحلِف مَن يحدِّثه كما قدمنا[(٣)]، ويأمر تلامذته أن يحدثوا الناس بما تُطيقه عقولهم.

عن أبي الطُّفَيْل، عن عليٍّ قال: (حَدِّثُوا الناسَ بما يَعْرِفون، أَتُحِبُّون أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه؟!)[(٤)].

•• روى **علي الحديث** عن رسول الله ﷺ فأكْثَر وأَطابَ، وروى عن أبي بكر وعمر والمِقداد بن الأسود، وعن زوجته فاطمة بنت النبي ﷺ.

---

(١) الفتح: ١١/١١٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وحسَّنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/١٦٨. وعبَّاد: ضعيف.

(٣) انظر: ص١٣٤، حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٧).

وحدث عنه: أولاده الحسن والحسين ومحمد ابن الحَنَفيَّة وعُمر وفاطمة.

ومن الصحابة: ابن مسعود، والبراء بن عازب، وابن عباس، وابن عُمر، وابن الزبير، وجابر بن عبدالله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخُدْري، وأبو موسى الأشعري، وأبو جُحَيْفة وَهْب بن عبدالله السُّوائي، وأبو الطُّفيل عامر بن واثِلة الليثي، وآخرون.

ومن التابعين: زِرُّ بن حُبَيْش، وزيد بن وَهْب، والحارث بن سُويد، والحارث بن عبدالله الأعور، ورِبْعي بن حِرَاش، وشُريح بن هانئ، وأبو وائل شَقيق بن سَلَمة، وسُويد بن غَفَلَة، وعامر بن شُراحيل الشعبي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وعَبيدة السَّلْماني، وعَلْقمة بن قيس بن عُبَاد، ومَسْروق بن الأَجْدَع، ومُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير، ونافع بن جُبير بن مُطعِم، وأبو الأسود الدُّؤَلي، وأبو بُرْدة بن أبي موسى الأشعري، وخلائق سواهم[1].

•• روت له كتب السُّنَّة (٥٨٦) حديثاً، في الصحيحين منها (٤٤)، وخرَّج له الجماعة[2].

وهو عدد قليل قياساً بالمدة التي لازَمَ فيها عليٌّ رسولَ الله ﷺ، وبالسنين الطويلة التي عاشها بعده وهي نحو (٣٠) سنة، وسببُ ذلك: أنه في عهد الخلفاء الثلاثة كان من رجال الشورى الذين يديرون أمور

---

(١) تهذيب الكمال: ٢٠/٤٧٣ـ٤٧٩؛ كتابي: أعلام الحفاظ: ١/٢٥٢ـ٢٥٣.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ١/٣٤٥.

الدولة والأمة والفتوحات، ولم يتصدر للتحديث ونشر العلم كما كان حال علماء الصحابة وشبابهم كأبي هريرة وابن عمر وأنس وابن عباس وجابر وأبي سعيد الخدري وعائشة وأمثالهم. ثم قيامه بشؤون الخلافة عندما أضحى أميراً للمؤمنين. وأيضاً انشغاله بمقارعة الفتن العريضة التي فُتحت في عهده.

والخبر الذي رواه محمد بن عُمر بن علي بن أبي طالب: (أنه قيل لعلي: ما لَكَ أكثَر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً؟ فقال: إني كنتُ إذا سألتُه أنبأَني، وإذا سكتُّ ابتدأني)[١]، هو خبر ضعيفٌ، ومحمد: روايتُه عن جدِّه علي مرسَلة.

وواقع الحال يردُّه، فلقد روى غيرُ واحد من الصحابة أضعافَ ما رواه علي، ولا يعني هذا أنهم أعلمُ منه، فالخلفاء الأربعة أعلم الأمة، وقد أَمر النبي ﷺ جميعَ الأمة أن يقتدوا بِسُنَّتهم.

خامساً: الفقيه:

علي رضي الله عنه من أكابر فقهاء الإسلام، ومن المكثِرين في الفُتيا، ومن يستعرض ـ مثلاً ـ سنن الترمذي ومصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبي شيبة؛ يجد برهان ذلك، حيث يملأ اسمه مختلِف أبوابِ الفقه وشرائع الإسلام.

وكان ممن يُفتون على عهد النبي ﷺ؛ فعن القاسم بن محمد

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/٣٣٨.

قال: (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون على عهد رسول الله ﷺ)[١].

ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن داعياً وقاضياً، فكان يفتي الناس ويقضي بينهم، وحُفظ عنه الكثير من ذلك كما سنشير إليه في المبحث التالي.

وكان رضي الله عنه إماماً مجتهداً ملازماً للسُّنَّة، روى عَبْد خير، عن عليّ قال: (لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يَمسح على ظاهر خُفَّيْه)[٢].

●● شذرات من فقه علي وفتاويه:

وهذا باب واسع جدّاً، ونذكر هنا نماذج في أبواب الفقه المختلفة، لتتكامل صورة الشخصية العلمية لأمير المؤمنين علي.

وقد ذكر الإمام ابنُ حزم ونقله عنه ابن القيِّم: أن المُكثِرين من الفُتيا من الصحابة سبعةٌ، وعليّ أحدهم، وقال: (ويمكن أن يُجمع من فتوى كل واحد منهم سِفْر ضخم)[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/٣٣٥، ومن طريق آخر: ٢/٣٥٠.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٢، ١٦٣)؛ وأحمد (٧٣٧)؛ والدارقطني (٧٦٩)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أصحاب الفتيا من الصحابة «ملحق بجوامع السيرة»، ص ٣١٩؛ إعلام الموقعين: ١/١٢.

١ ـ في الطهارة والوضوء:

١ ـ عن أبي الغَريف الهَمْداني قال: (شهدتُ علي بن أبي طالب بالَ، ثم قال: اقرؤوا القرآنَ ما لم يكن أحدُكم جُنباً، فإذا كان جنباً فلا، ولا حرفاً واحداً)(١).

٢ ـ وعن كعب بن عبد الله العَبْدي قال: (رأيتُ عليّاً بالَ، ثم توضأ فمَسَح على جوربَيْه ونَعْليه، ثم قام يصلي)(٢).

٣ ـ وروى زاذان الكِنْدي، عن عليٍّ قال: (إذا أَجْنَب الرجل في أرض فَلَاة ومعه ماء يسير، فلْيُؤْثر نفسَه بالماء، ولْيَتيمَّم بالصَّعيد)(٣).

٤ ـ وعن الحارث، عن علي قال: (إذا طَهُرت المرأة من المحيض ثم رأت بعد الطُّهر ما يَرِيبُها، فإنما هي رَكْضَةٌ من الشيطان في الرحم، فإذا رأتْ مثل الرُّعاف أو قطرة الدم أو غُسالة اللحم؛ توضأتْ وُضوءَها للصلاة ثم تصلي، فإنْ كان دماً عَبِيطاً الذي لا خَفاءَ فيه فلْتَدعِ الصلاة)(٤).

٢ ـ في الصلاة:

٥ ـ عن عُبيد الله بن أبي رافع، عن علي: (أنه كان يأمر ويحبُّ أن يُقرأ خَلْفَ الإمام في الظهر والعصر في الركعتين الأُولَيَيْن

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١٣٠٦)؛ وابن أبي شيبة: ١/١٢٥ـ١٢٧. وجاء عن علي مرفوعاً: سنن الترمذي (١٤٦)؛ وسنن أبي داود (٢٢٩).

(٢) أخرجه عبدالرزاق (٧٧٣)؛ وابن أبي شيبة: ١/٢١٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: ١/١٢٨.

(٤) أخرجه الدارمي (٨٧٣)؛ وعبدالرزاق (١١٦١)؛ وابن أبي شيبة: ١/١١٦.

فاتحة الكتاب وسورة سورة، وفي الركعتين الأُخريين بفاتحة الكتاب)(١).

٦ ـ وعن سعيد بن حَيّان: (عن علي قال: لا صلاةَ لجار المسجد إلا في المسجد. قيل لعليٍّ: ومَن جارُ المسجد؟ قال: مَن سمع النداءَ)(٢).

٧ ـ وعن عاصم بن ضَمْرة قال: قال علي: (أيُّما رجلٍ خرج إلى أرض قِيٍّ ـ أي: قَفْر ـ فحضرتِ الصلاة، فليتخيَّرْ أطيبَ البقاع وأنظَفَها، فإن كلَّ بقعةٍ تحبُّ أن يُذكرَ اللهُ فيها، فإن شاء أَذَّنَ وأقامَ، وإنْ شاءَ أقامَ إقامة واحدة وصلَّى)(٣).

٨ ـ وعن علي بن ربيعة قال: (سمعت عليّاً يقول لمؤذِّنه: أَسْفِر، أَسْفِر. يعني صلاة الصبح)(٤).

٩ ـ وعن علي بن ربيعة قال: (خرجنا مع علي متوجِّهين هاهنا ـ وأشار بيده إلى الشام ـ فصلى ركعتين ركعتين، حتى إذا رجعنا ونظرنا إلى الكوفة حضرت الصلاة، قالوا: يا أمير المؤمنين، هذه الكوفة أَتِمَّ الصلاةَ، قال: لا، حتى ندخلَها)(٥).

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٤١٩/١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٤٠٧/١.
(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٩١٥)؛ وابن أبي شيبة: ٣٨٠/١.
(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٩٥٠)؛ وابن أبي شيبة: ٢٤٨/١.
(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢١٦٥).
(٥) علقه البخاري، ووصله الحاكم والبيهقي، انظر: الفتح: ٧٠٠/٣ـ٧٠١ قبل الحديث (١٠٨٩).

١٠ ـ وعن علي: أنه قال في الرجل يَنْسى الصلاة: (يصلِّيها متى ما ذَكَرها، في وقتٍ أو في غير وقتٍ)(١).

٣ ـ **في الصيام:**

١١ ـ قال الوليد بن عتبة اللَّيثي: (صُمْنَا مع عليٍّ ثمانيةً وعشرين يوماً، فأَمَرنا يوم الفطر أن نقضي يوماً)(٢).

١٢ ـ وعن محمد الباقِر: (أن رجلاً أتى علي بن أبي طالب فقال: أصبحتُ ولا أريد الصيام؟ فقال: أنت بالخِيار بينكَ وبين نصف النهار، فإن انتصف النهار فليس لك أن تُفطر)(٣).

١٣ ـ وروى الحارث عن عليٍّ في الهلال، قال: (إذا شهد رجلان ذوا عَدْل على رؤية الهلال، فأَفْطِروا)(٤).

١٤ ـ وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمي، عن علي قال: (لا اعتكافَ إلا في مسجد جماعة)(٥).

٤ ـ **في الزكاة:**

١٥ ـ عن عاصم بن ضَمْرة، عن علي قال: (ليس على عوامل البقر صدقة)(٦).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٥١٣/١؛ وسنن الترمذي، عقب الحديث (١٧٦).

(٢) مصنف عبدالرزاق (٧٣٠٨)؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ٢٥١/٤.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٧٧٨٢).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٨٢/٢.

(٥) مصنف عبدالرزاق (٨٠٠٩).

(٦) مصنف عبدالرزاق (٦٨٢٩)؛ وابن أبي شيبة: ٢٣/٣.

وعوامل البقر: التي تستخدم في الحرث والسقي ونحوهما.

١٦ ـ وعن عُبيد الله بن أبي رافع قال: (بـاعَ لنا عليٌّ أرضاً بثمانين ألفاً، فلما أردنا قَبْضَ مالنا نَقَصت! فقال: إني كنت أزكِّيه. وكنا يتامى في حَجْره)[١].

١٧ ـ وعن عَبِيدة السَّلْماني قال: (سئل علي عن الرجل يكون له الدَّين المظنون: أَيزكِّيه؟ فقال: إن كان صادقاً فليُزكِّه لِما مضَى إذا قَبَضَه)[٢].

١٨ ـ وعن علي قال: (ليس في الخُضَر صدقة: البَقْل والتفاح والقثّاء)[٣].

٥ ـ في الحج:

١٩ ـ عن علي قال: (إذا قبَّل المُحْرِم امرأته فعليه دمٌ)[٤].

٢٠ ـ وعن عمر وعلي قالا: (المُحْرِم لا يَنْكِحُ ولا يُنْكِح، فإنْ نكح فنِكاحُه باطل)[٥].

٢١ ـ وسُئل عُمر وعلي وأبو هريرة: (عن رجلٍ أصاب أهله وهو مُحْرِم بالحج؟ فقالوا: يَنْفُذان، يَمْضِيان لوجْهِهما حتى يقضيَا حجَّهما، ثم عليهما حجُّ قابلٍ والهَدْي.

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٦٩٨٦)؛ التاريخ الأوسط (٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٣/٣؛ ومصنف عبدالرزاق (٧١١٦).

(٣) مصنف عبدالرزاق (٧١٨٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٢١٠/٤.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٢٦/٤؛ سنن الترمذي، عقب الحديث (٨٥٦).

وقال علي: إذا أَهلَّا بالحج من عامٍ قابلٍ، تفرَّقا من المكان الذي أصابها حتى يَقضِيا حجَّهما)[١].

٢٢ ـ وفي هَدْي الكفّارة وجزاء الصيد، قال علي: (لا يُؤكل من النذر، ولا من جزاء الصيد، ولا مما جُعل للمساكين)[٢]

٢٣ ـ وفي مَن نَذَر الحجَّ ماشياً ثم عَجَز، قال علي: (إذا جَعل عليه المشيَ فلم يستطع، فليُهدِ بَدَنةً، ويَركب)[٣].

٦ ـ في البيوع:

٢٤ ـ عن علي قال: (لا يَصلح الحيوان بالحيوانين، ولا الشاة بالشاتين إلا يداً بيد)[٤].

٢٥ ـ وروى محمد ابن الحَنفيّة، عن أبيه قال: (العاريَّةُ ليست بيعاً ولا مضمونة، إنما هو معروف، إلا أن يُخالف فيضمن)[٥].

٢٦ ـ وروى أبو جعفر الباقر قال: (كان علي يُضمِّن الخياطَ والصبّاغَ وأشباهَ ذلك، احتياطاً للناس)[٦].

---

(١) موطأ مالك: ١/٣٨١ـ٣٨٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٢٣٩.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٢٥٢.
(٣) المرجع السابق: ٤/٢٩٦.
(٤) المرجع السابق: ٥/٥٣.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٦٥؛ مصنف عبد الرزاق (١٤٧٨٨).
(٦) مصنف عبد الرزاق (١٤٩٤٨).

٢٧ ـ وعن علي: (أنه لم يرَ بأساً بالمزارعة على النصف)[1].

٧ ـ في النكاح والطلاق:

٢٨ ـ روى الشعبي قال: (ما كان أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أشدَّ في النكاح بغير وليٍّ من علي، حتى كان يَضرب فيه)[2].

٢٩ ـ وعن علي قال: (إذا تزوج بغيرِ إذْنِ وليٍّ ثم دخل بها، لم يُفرَّق بينهما، وإنْ لم يُصِبْها فُرِّق بينهما)[3].

٣٠ ـ وعن علي قال: (في الرجل يتزوَّج المرأة فيموتُ عنها، ولم يَدخلْ بها، ولم يَفرض لها؟ كان يَجعلُ لها الميراث، وعليها العِدَّة، ولا يَجعل لها صَداقاً)[4].

٣١ ـ وفي عِدَّة المتوفَّى عنها زوجُها تضَعُ بعد وفاته بيسير، روى ابن المسيِّب: (أن عمر استشار علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، قال زيد: قد حَلَّتْ، وقال علي: أربعةَ أشهر وعشراً، قال عمر: لو وَضعتْ ذا بطْنِها وزوجُها على نعْشِه لم يُدخل حفرته؛ لكانت قد حَلَّتْ)[5].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ١٤٤/٥.

(٢) المرجع السابق ٢٧٢/٣.

(٣) مصنف عبدالرزاق (١٠٤٧٧).

(٤) مصنف عبدالرزاق (١٠٨٩٣، ١٠٨٩٤، ١١٧٣٧).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٩٣/٣.

وهذا مما خالَـفَ عليٌّ فيــه الصحابةَ، والجمهــورُ على قول عمر وزيد، ويؤيده الحديث الصحيح[٦].

٣٢ ـ وعــن علي قــال: (لا يُحــرِّم مــن الرَّضاع إلا مــا كان في الحَولَيْن)[٧].

٣٣ ـ وعن إبراهيم النَّخَعي: (أن امرأةً افتَضَّتْ جاريةً بإصبعها، وقالت: إنها زَنتْ، فرُفِعَتْ إلى عليٍّ، فغَرَّمها العُقْر، وضَربَها ثمانين لِقذفِها إياها)[٨].

والعقر: المهر.

٣٤ ـ قوله في (نكاح المُتْعَة وشدَّتُه على ابن عباس في مذهبه):

عن محمد ابن الحنفية، عن علي: (أنه ســمع ابــن عباس يلين في متعة النســاء، فقال: مهلاً يا ابن عباس، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية).

وفــي روايــة: (أن عليّاً قــال لابن عبــاس: إنك امــرؤٌ تائِــهٌ، إن رســول الله ﷺ نهى عن نكاح المُتْعَــة وعن لحوم الحُمُــر الأهلية زمن خيبر، لا تُفْتِ بنكاح المتعة!)[٩].

رجل تائــه: هو الحائر الذاهب عن الطريق المســتقيم، وإنما وصفه علي بذلك إشارة إلى أنه تمسك بالمنسوخ وغفل عن الناسخ.

---

(٦) البخاري (٤٩٠٩)؛ ومسلم (١٤٨٥)؛ والنسائي في الكبرى (٥٦٧٢) وغيرهم.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة: ٣/٣٨٨.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة: ٣/٤٣٨، وانظر: ٣/٤٣٧.

(٩) أخرجه البخاري (٤٢١٦)؛ ومســلم (١٤٠٧)؛ والترمذي (١١٤٩)؛ والفسوي: ٢/٧٤٢، وغيرهم.

٣٥ ـ روى عابس بن ربيعة عن علي قال: (كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه)[1].

٣٦ ـ وروى الحسن البصري، عن علي: (أنه كان لا يَرى طلاقَ المُكْرَه شيئاً)[2].

٣٧ ـ وسُئل عن رجل قال لزوجته: حَبْلُك على غارِبِك؟ فاستحلفه علي: ما نويتَ؟ قال: الطلاق، ففرَّق بينهما[3].

٣٨ ـ وعن علي: أنه كان يقول في الرجل يقول لامرأتِه: أنتِ عليَّ حرامٌ، إنها ثلاثُ تطليقات[4].

٣٩ ـ وروى محمد الباقر، عن علي في رجلٍ طلَّق امرأتَه حملَ بعيرٍ؟ قال: لا تحلُّ له حتى تنكح زوجاً غيره[5].

٨ ـ في الحدود والجنايات:

٤٠ ـ عن هُنَيْد بن خالد قال: (أتى علياً رجلٌ في حدٍّ، فقال: اضرِبْ، وأَعْطِ كل عضو حقَّه، واجتنِبْ وجْهَه ومذاكيرَه)[6].

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٥٢٦٩)؛ ووصله عبدالرزاق (١١٤١٥)، وابن أبي شيبة: ٤/٢٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٣٨؛ ومصنف عبدالرزاق (١١٤١٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٣٣.

(٤) موطأ مالك: ٢/٥٥٢؛ مصنف عبدالرزاق (١١٣٨٠).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٦٠.

(٦) مصنف عبدالرزاق (١٣٥١٧)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٥٣٨.

٤١ ـ وعن الشعبي: (أن شُرَاحة الهَمْدانية أَتتْ عليّاً فقالت: إنِّي زنيتُ، فقال: لعلَّكِ غَيْرَى، لعلكِ رأيتِ في منامك، لعلكِ استُكْرِهتِ؟ فكلٌّ تقول: لا، فجلدها يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، وقال: جلدتُها بكتاب الله، ورجمتُها بسُنَّة نبي الله ﷺ)[١].

٤٢ ـ وعن يزيد بن قيس الأَرْحبي: (أن عليّاً رَجَم لوطيّاً)، زاد في رواية: (وكان مُحصناً)[٢].

٤٣ ـ وروى أبو مروان الأَسْلَمي: (أن عليّاً أُتي برجلٍ سكران من الخمر في رمضان، فتركه حتى صَحَا، ثم ضربه ثمانين، ثم أَمر به إلى السجن، ثم أخرجه من الغد فضربه عشرين، وقال: ثمانين للخمر، وعشرين لجرأتِكَ على الله في رمضان!)[٣].

٤٤ ـ وعن علي قال: (ما كنتُ لأُقيمَ حدّاً على أحد فيموتَ فأجد في نفسي، إلا صاحبَ الخمر فإنه لو مات وَدَيْتُه، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يَسُنَّه)[٤].

ومعنى (لم يَسُنّه): أي لم يَسُنَّ فيه عدداً معيناً.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩، ٩٤١، ١١٨٥). وانظر: صحيح مسلم (١٦٩٠)؛ والترمذي (١٤٩٩).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٤٩٤؛ سنن البيهقي: ٨/٢٣٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٥٣١، ٥٤٠.

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٧٨)؛ ومسلم (١٧٠٧)؛ والنسائي في الكبرى (٥٢٥٢)، وغيرهم.

٤٥ ـ وقطع علي يد السارق من الكف:

روى سَمُرة بن عبد الرحمن قال: (رأيتُ بالحِيْرة مقطوعاً من المَفْصِل، فقلتُ: مَن قطَعَك؟ قال: قطَعَني الرجلُ الصالح عليٌّ، أمَا إنه لم يَظلِمْني)[1].

٤٦ ـ وأُتي عليٌّ برجل سَرَق من الخُمس، فقال: له فيه نصيب، ولم يقطعْه[2].

٤٧ ـ وعن علي قال: يُستتاب المرتدّ ثلاثاً، فإن عاد قُتل[3].

٩ ـ في الديات:

٤٨ ـ قضَى عليٌّ في دِية مَن قُتل خطأً أو شبهَ العمد: (١٠٠) من الإبل.

وروى عاصم بن ضمرة، عن علي قال: (شبه العمد الضربة بالخشبة العظيمة، والحجر العظيم)[4].

٤٩ ـ وقضَى عليٌّ: في الأُذن نصف الدية. وفي العين نصف الدية. وفي رجل أَعور فُقئت عينُه الصحيحة عمداً: إن شاء أخذ الدية كاملة،

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٦٧٨٩)، ووصله ابن أبي شيبة: ٥٢٨/٦.

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٨٨٧١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٩٩/٧.

(٤) انظر: سنن أبي داود (٤٥٥١، ٤٥٥٣)؛ مصنف عبد الرزاق (١٧٢٣٦) و(١٧٢٠٥).

وإن شاء فَقأ عيناً وأخذ نصف الدية. وفي الشفتين الدية. وفي السن خمس من الإبل. وفي الذَّكَر الدّية. وفي البيضة (الخِصْية) نصف الدية. وفي اليد نصف الدية، وفي الرجل نصف الدية. وفي الأصابع عشر عشر من الإبل[١].

٥٠ ـ وعن يزيد بن مذكور الهَمْداني: (أن رجلاً قُتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي ديته من بيت المال)[٢].

٥١ ـ وعن علي قال: (دية اليهودي والنصراني وكل ذِمّي مثلُ دية المسلم)[٣].

١٠ ـ في الوصايا:

٥٢ ـ عن علي: في رجل أَوْصَى لرجلٍ، فمات الذي أُوصِي له قبل أن يأتيه؟ قال: هي لورثة الموصَى له[٤].

٥٣ ـ وفي الرجل عنده المال القليل، روى عروة بن الزبير: (أن عليّاً دخل على رجل من بني هاشم يَعودُه، فأراد أن يوصي، فنهاه وقال: إن الله يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وإنك لم تَدَعْ مالاً، فدَعْه لعيالِك).

---

(١) مصنف عبدالرزاق (١٧٣٨٩، ١٧٤٠٩، ١٧٤٣٢، ١٧٤٨٤، ١٧٤٩٢، ١٧٦٣٥، ١٧٦٤٦، ١٧٦٨٠، ١٧٦٩٥) بالترتيب.

(٢) مصنف عبدالرزاق (١٨٣١٦)، مصنف ابن أبي شيبة: ٤١٧/٦.

(٣) مصنف عبدالرزاق (١٨٤٩٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٨٤/٧.

وفي رواية: (إنما تركتَ شيئاً يسيراً، فاتركْه لولدِك)[١].

٥٤ ـ وعن علي قال: (لأَن أُوصِي بالخُمس أحبُّ إليَّ من أن أوصي بالربع، وأن أوصي بالربع أحبّ إليَّ من أن أوصي بالثلث، ومن أوصَى بالثلث فلم يترك شيئاً)[٢].

سادساً: القاضي:

●● من جلائل نعم الله على عليٍّ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن داعياً وقاضياً، ودعا له بأن يثبّت الله لسانه ويهدي قلبه، وأوصاه بأن لا يقضي بين اثنين حتى يسمع منهما جميعاً، قال علي: (فما أَشْكَل علَيَّ قضاءٌ بعد)[٣].

وشهد له أكابر الصحابة بأنه من أكابر قضاة الأمة:

روى ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: (أَقْرؤنا أُبَيٌّ، وأقضانا عليٌّ)[٤].

وعن ابن مسعود قال: (كنا نتحدث أن أقضَى أهلِ المدينة علي بن أبي طالب)[٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٣٠٩/٧؛ تفسير ابن كثير: ٢٦٣/١.

(٢) مصنف عبدالرزاق (١٦٣٦١)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٧/٧.

(٣) انظر ما تقدم: ص ٩٤، حاشية (١)، في هذا الكتاب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٨١)؛ وابن سعد: ٣٣٩/٢.

(٥) أخرجه ابن سعد: ٣٣٨/٢ ـ ٣٣٩؛ والحاكم: ١٣٥/٣ وصحّحه، وصحّحه أيضاً الحافظ في الفتح: ٦٦٨/٨، آخر مناقب علي.

وقال تلميذه عامر الشعبي: (قضاة هذه الأمة أربعةٌ؛ عمر وعلي وزيد وأبو موسى الأشعري)[١].

وأما ما رُويَ مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «**أقضَى أمتي عليٌّ بن أبي طالب**»، و«**أَرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر... وأقضاهم عليٌّ**»، فهو حديث ضعيف[٢].

•• نماذج من أقضيته:

١ ـ عن زيد بن أرقم قال: (أُتِيَ عليٌّ بثلاثة وهو باليمن وقَعُوا على امرأة في طُهْر واحد، فسأل اثنين: أَتُقِرَّان لهذا بالولد؟ قالا: لا، حتى سألهم جميعاً، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا، فأَقرع بينهم، فألحق الولدَ بالذي صارت عليه القُرعة، وجعل عليه ثُلُثي الدية. قال: فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ، فضحك حتى بَدَتْ نَواجِذُه)[٣].

٢ ـ وعن قتادة قال: (شَهد رجلان بسرقةٍ على رجل، فقَطَع عليٌّ يدَه، ثم جاءا الغد برجل فقالا: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخَر، فأَبْطَل شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دِيَةَ الأول)[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٥١/٢.

(٢) ضعيف الجامع الصغير (٧٧٤ـ٧٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٧٠)؛ وابن ماجه (٢٣٤٨)؛ والنسائي في الكبرى (٥٦٥٢)، وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

(٤) مصنف عبدالرزاق (١٨٤٦٠ـ١٨٤٦٢)، وعلَّقه البخاري قبل الحديث (٦٨٩٦).

٣ ـ وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود قال: (كنتُ قاعداً عند علي، فجاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد سرقتُ، فانتهرَهُ! ثم عاد الثانية فقال: إني قد سرقتُ، فقال له علي: قد شهدتَ على نفسك شهادتين، قال: فأَمر به فقُطعت يده، فرأيتُها معلَّقة ـ يعني في عنقه ـ)(١).

٤ ـ وعن عامر الشعبي قال: (جاءت امرأة إلى علي تُخاصم زوجَها طلَّقها، فقالت: حِضتُ في شهر ثلاث حِيَض؟ فقال علي لشريح: اقضِ بينهما، قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقضِ بينهما، قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقضِ بينهما، فقال: إنْ جاءت من بطانة أهلها ممَّن يُرضَى دينُه وأمانته تزعمُ أنها حاضت ثلاث حِيض تطهرُ عند كل قُرْءٍ وتصلي؛ جازَ لها، وإلا فلا. فقال علي: قالون! وقالون بلسان الروم: أحسنتَ)(٢).

٥ ـ وعن الشَّموس الكِنْدية قالت: (قاضيتُ إلى عليٍّ في أب مات لم يَدَعْ أحداً غيري ومولاه، فأعطاني النصف، وأعطَى مولاه النصف)(٣).

٦ ـ وروى خِلَاس بن عَمْرو: (عن علي، قال: رمَى رجلٌ أمَّه بحجر فقَتَلَها، فطلب الميراثَ من إخوته، فقال له إخوته: لا ميراثَ لك. فارتفَعُوا إلى علي، فجعل عليه الدِّيَةَ، وأَخرجه من الميراث!)(٤).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٧٦/٦؛ مصنف عبدالرزاق (١٨٧٨٤).

(٢) علَّقه البخاري مختصراً قبل الحديث (٣٢٥)؛ ووصله الدارمي (٨٥٥)؛ وقال الحافظ في (الفتح: ١١١/٢): رجاله ثقات.

(٣) سنن الدارمي (٣٠١٤، ٣٠١٧).

(٤) سنن الدارمي (٣٠٧٨)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٤٢٤/٦.

وانظر قضاء علي في قصة الذين قُتلوا في زُبْيَة الأسد[١]، وقصة الأرغفة الثمانية[٢]، وستأتي أمثلة أخرى في فصول الكتاب.

سابعاً: نشره العلم:

للخلفاء الراشدين الأربعة فضل كبير ودورٌ جليل في نشر علوم الإسلام وتبليغِ شرائعه في الأمصار، واستنابتهم الولاة وبعثهم العلماء للقيام بواجب الدعوة وتعليم الناس.

وقد نشر سيدنا علي علومه الغزيرة في عهد النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين الثلاثة، وكذلك في أيام إمارته، وعلمُه بالعراق كثير جدّاً، حدَّث عنه الجَمُّ الغَفير، وتفقَّه به خلائق، وحديثُه وفقهُه وأقضيته وعلومه مدوَّنة في الكتب ومنشورة بين الناس.

١ ـ تحرِّيه في نشر العلم:

روى سُويد بن غَفَلَة، عن علي رضي الله عنه قال: (إذا حدَّثْتُكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فواللهِ لأَنْ أَخِرَّ من السماء أَحَبُّ إليَّ مِن أن أكذِبَ عليه، وإذا حدَّثْتُكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خَدْعَة، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداثُ الأسنان، سُفهاءُ الأحلام...**») الحديث في صفة الخوارج[٣].

---

(١) مسند أحمد (٥٧٣، ٥٧٤)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٤٢٠؛ شرح مشكل الآثار (٢٢٠٠).

(٢) الاستيعاب: ٣/٤١ـ٤٢؛ تهذيب الكمال: ٢٠/٤٨٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، وغيره، وسيأتي بتمامه في آخر الكتاب.

وروى أبو عبد الرحمن السُّلَمي، عن علي قال: (صنَعَ لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعَانا، وسقانا من الخَمْر، فأخذتِ الخمرُ منَّا، وحضرتِ الصلاة فقدَّموني فقرأتُ: قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون! قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣])[١].

وهذا من عظيمِ نُبْله وورعه وتحرِّيه وأمانته في نشره هذا الحديثَ الذي يذكر أنهم شربوا الخمر حتى سكروا، وهذا قبل أن يَنزل الحكم الباتُّ بتحريمها مُطلَقاً.

وروى زاذان وغيره، عن علي قال: (وابَرْدَها على الكبِد أن تقول لِما لا تعلمُ: الله أعلم)[٢].

وقال ﷺ: (أيُّ أرضٍ تُقِلُّني، أو أي سماء تُظلُّني؛ إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم؟!)[٣].

٢ ـ تحديثه الناس وتعليمهم:

●● عن عبدِ خيرٍ قال: (أتانا علي وقد صلَّى ـ الفجر ـ فدعا بطَهُورٍ، فقلنا: ما يَصنع بالطَّهور وقد صلَّى؟! ما يريد إلا ليُعَلِّمَنا. فأُتي بإناءٍ فيه ماء وطَسْتٍ، فأفرغ من الإناء على يمينه فغَسَل يديه ثلاثاً، ثم

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٤١)؛ وأبو داود (٣٦٧١)؛ والترمذي (٣٢٧٥) وقال: حسن غريب صحيح، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) سنن الدارمي (١٧٥ ـ ١٧٨)؛ جامع بيان العلم: ٢/٦٦.

(٣) جامع بيان العلم: ٢/٦٥.

تمضمض واستنثر ثلاثاً، فمضمض ونَثَر من الكَفِّ الذي يأخذ فيه، ثم غَسَل وجهه ثلاثاً، وغسل يده اليمنى ثلاثاً، وغسل يده الشِّمال ثلاثاً، ثم جعل يده في الإناء فمَسَح برأسه مرة واحدة، ثم غَسَل رجلَه اليمنى ثلاثاً، ورجله الشِّمال ثلاثاً، ثم قال: مَنْ سَرَّه أن يعلَمَ وُضوءَ رسول الله ﷺ فهو هذا)[١].

ووصف للناس صلاة النبي ﷺ وما يقوله فيها من افتتاحها وحتى الفراغ منها، ودعاءه بعد السلام[٢].

وعن النزَّال بن سَبْرة: (أن عليّاً دعا بماءٍ فشَرِبه وهو قائم، ثم قال: إن رجالاً يَكره أحدُهم أن يفعل هذا، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعل مثلَ ما رأيتُموني فعلتُ)[٣].

●● وكان رضي الله عنه يغتنم الفرص والمناسبات لنشر العلم وتعليم الناس آداب الإسلام وهدي النبوة.

يقول أبو فاخِتة سعيد بن عِلَاقة: (أَخذ عليٌّ بيدِي، قال: انطلِقْ بنا إلى الحسن ـ هو ابن علي ـ نَعودُه، فوجدنا عنده أبا موسى الأشعري، فقال علي: أعائداً جئتَ يا أبا موسى أم زائراً؟ فقال: لا، بل عائداً، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمٍ يَعودُ مسلماً غُدْوةً، إلا**

---

(١) أخرجه أبو داود (١١١)؛ والنسائي في الكبرى (٧٧)؛ وأحمد (٨٧٦)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.
(٢) صحيح مسلم (٧٧١)؛ وسنن أبي داود (٧٦٠، ١٠٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٥)؛ وأبو داود (٣٧١٨)، وغيرهما.

صلَّى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يُمْسي، وإنْ عادَه عشيَّةً، إلا صلَّى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يُصْبِح، وكان له خَرِيفٌ في الجنة»)[1].

وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمِيِّ قال: (أخذ بيدِي عليٌّ فانطَلَقْنا نمشي حتى جلسنا على شَطّ الفُرات، فقال علي: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن نفسٍ منفوسةٍ إلا قد سَبَق لها من الله شقاءٌ أو سعادةٌ**» فقام رجل فقال: يا رسول الله، فيمَ إذن نعمل؟ قال: «**اعملوا، فكلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِق له**» ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠])[2].

●● وتصدَّر علي لتعليم الناس وكان يقول لهم: سَلُوني فيُجيبهم على سؤالاتهم ويفقّههم ويُفتيهم.

روى أبو إسحاق السَّبِيعي، عن عاصم بن ضَمْرة السَّلُوليِّ قال: (سأَلْنا عليّاً عن تطوُّعِ رسول الله ﷺ بالنهار؟ فقال: إنكم لا تُطِيقُوه! فقلنا: أخبِرْنا به نأخذْ منه ما استطعنا. قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الفجر يُمْهِل، حتى إذا كانت الشمس من هاهنا ـ يعني من قِبَل المَشْرق ـ مقدارَها من صلاة العصر من هاهنا ـ يعني من قِبَل المغرب ـ قام فصلَّى ركعتين. ثم يُمْهِلُ حتى إذا كانت الشمس من هاهنا ـ يعني من قِبل المشرق ـ مقدارَها من صلاة الظهر من هنا ـ يعني من قبل المغرب ـ قام فصلَّى أربعاً، وأربعاً قبل الظهر إذا زالتِ الشمس وركعتين بعدها، وأربعاً قبل

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٩١)؛ وأبو داود (٣٠٩٩)؛ وابن ماجه (١٤٤٢)؛ وأحمد (٦١٢، ٩٧٥)، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني. **الخريف**: البستان.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٢)؛ ومسلم (٢٦٤٧)؛ وأحمد (١٣٤٨)، وغيرهم.

العصر يَفصِلُ بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المُقرَّبين والنبيين، ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين. قال علي: فتلك ستَّ عشرةَ ركعةً، تطوُّعُ رسول الله ﷺ بالنهار، وقَلَّ من يُداوِم عليها)(١).

قال حبيب بن أبي ثابت لأبي إسحاق حين حدَّثه: يا أبا إسحاق، ما أُحِبُّ أن لي بحديثك هذا ملء مسجدك هذا ذهباً!.

وقال زِرُّ بن حُبَيْش: (قلنا لعَبِيدة: سَلْ عليّاً عن صلاة الوسطى، فسأَلَه، فقال: كنَّا نُراها الفجرَ، فسمعتُ النبي ﷺ يقول يومَ الأحزاب: «**شَغَلُونا عن صلاةِ الوسطى صلاةِ العصر، ملأ الله قبورَهم وأجوافَهم ناراً**»)(٢).

وعن أبي راشد السَّلْماني قال: (كنتُ أرعى منائحَ لأهلي بظهر الكوفة، فتردَّى منها بعير، فخشيتُ أن يَسبقني بذكاته، فأخذتُ حديدة فوجأت بها في جَنْبه أو في سَنَامه، ثم قطَّعتُه أعضاء وفرَّقْتُه على سائر أهلي، ثم أتيت أهلي فأبَوا أن يأكلوا حيث أخبرتهم خبرَه، فأتيت عليّاً فقمتُ على باب قصره فقلت: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين! فقال: يا لَبَّيْكاهُ، يا لبَّيكاه! فأخبرتُه خبره، فقال: كُلْ، وأطعمني عَجُزَه)(٣).

٣ ـ ثناء الصحابة على علم علي رضي الله عنه:

ـ عن ابن عباس قال: إذا حدَّثَنا ثقةٌ عن علي بِفُتْيا لا نَعْدوها(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٠٤)؛ وابن ماجه (١١٦١)؛ وأحمد (٦٥٠)، وصحَّحه أحمد شاكر وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣١)؛ ومسلم (٦٢٧)؛ والنسائي في الكبرى (٣٥٨)، وغيرهم.

(٣) علَّقه البخاري قبل الحديث (٥٥٠٩)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٦٣٠/٤.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣٣٨/٢.

وقال أيضاً: كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[١].

- وقال عبد الله بن مسعود: أعلم أهل المدينة بالفرائض علي[٢].

- وعن شُريح بن هانئ قال: سألتُ عائشة عن المسح على الخُفَّين؟ فقالت: سَلْ عليّاً فإنه أعلمُ بهذا منِّي، كان يسافر مع النبي ﷺ. قال: فسألت عليّاً؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**للمسافر ثلاثةُ أيام ولياليهنَّ، وللمقيمِ يومٌ وليلة**»[٣].

والأخبار في هذا كثيرة، وقد تقدم طرف آخر منها.

ثامناً: أكاذيب وأباطيل حول علم علي:

اختلَق الرواة المتروكون والمتهمون روايات وأخباراً وأباطيل، وألصقوها بسيرة الصحابي الأجل والخليفة الراشدي أمير المؤمنين علي. **وافترت الرافضة أكاذيبَ أخرى كثيرة وأصبحت عندها مرضاً وراثيّاً** انتقل داؤه عبر الأجيال آخذاً بالانتشار مع الاستفحال. **والْتَاثَ بذلك كثير من الكتّاب قديماً وحديثاً،** فأثبتوا في سيرة علي ما هو منه بريء، وعنه متنزه.

ونحن نعتقد جازمين أن سيدنا عليّاً كان أعقَلَ وأرفعَ، وأنبلَ وأورعَ، وأنقى وأتقى لله من أن يَقبل بتلك الأكاذيب، أو يسكت عن هاتيك الفِرى والأباطيل!.

---

(١) ابن عساكر: ٤٦/٣؛ تهذيب الكمال: ٤٨٦/٢٠.

(٢) الاستيعاب: ٤١/٣.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦)؛ وابن ماجه (٥٥٢)؛ وأحمد (٧٤٨).

أخرج الإمام مسلم في «مقدمة صحيحه»: عن الإمام الحافظ العلم أبي إسحاق السَّبِيعي ـ وهو من تلاميذ علي ـ قال: (لمَّا أَحْدَثُوا تلكَ الأشياءَ بعدَ عليٍّ ﷺ قال رجلٌ من أصحاب عليّ: قاتَلَهُم اللهُ أيَّ علمٍ أَفْسَدُوا!).

وأشار بذلك إلى ما أَدْخَلَتْه الروافضُ والشيعة في علمِ عليٍّ ﷺ وحديثهِ، وتقوَّلُوه عليه من الأباطيل، وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المُفتعَلة والمُختَلَقَة، وخَلَطوه بالحق فلم يتميَّز ما هو صحيحٌ عنه مما اختلقوه[1]!.

وقد كان ذلك قديماً جدّاً في عصر الصحابة، كما يدل عليه هذا الخبر الصحيح، حيث يستنكر ذلك التابعي من أصحاب علي ما أدخلوه على علمه وسيرته ومواقفه من أكاذيب وأخلوقات وافتراءات.

ويؤكِّد ذلك خبر آخر ساقه مسلم أيضاً في «مقدمة صحيحه»: عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (كتبتُ إلى ابن عباس أسأَلُه أن يكتبَ لي ويُخْفِي عنِّي، فقال: ولدٌ ناصحٌ، أنا أختار له الأمورَ اختياراً وأُخْفِي عنه، قال: فدَعَا بقضاءِ عليٍّ، فجعل يكتبُ منه أشياءَ، ويمرُّ به الشيء فيقول: واللهِ ما قضَى بهذا عليٌّ، إلا أنْ يكون ضَلَّ!).

قال النَّووي: معناه: ما يقضي بهذا إلا ضالٌّ ولا يَقضي به علي إلا أن يَعرف أنه ضَلَّ، وقد عَلِم أنه لم يَضِلّ، فيُعلَم أنه لم يقضِ به[2]!.

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ١/١١٣، ١١٨؛ فتح الملهم: ١/٢٦٢ـ٢٦٣.

(٢) المرجعان السابقان.

•• ونشير في هذا المبحث إلى رؤوس تلك الأباطيل والأخلوقات التالفة عند المتقدمين والمتأخرين:

١ ـ من ذلك: ما روي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها.

وفي رواية: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب.

وهو خبر باطل موضوع، سيأتي تفصيل القول فيه[١].

٢ ـ والخبر الآخر عن عليٍّ: أنه دخل على النبي ﷺ وانكَبَّ عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال: علَّمَني ألفَ بابٍ، يَفتح كل باب ألف باب[٢]!.

قال ابن عَديّ: هذا حديث مُنكَر، ولعل البلاء فيه من ابن لَهِيعَة فإنه شديد الإفراط في التشيع.

قلتُ: بل هو حديث خرافة، فهو يذكر أنه علَّمه (١٠٠٠ باب) هي من رؤوس الأبواب، لأنه قال: يَفتح كل باب ألفَ باب، فلو أن تعليمَه البابَ الواحد استغرق (دقيقة واحدة) فيكون مقدار هذا المجلس نحو (١٧ ساعة)، فأين الصلاة وغيرها من الأمور التي يقوم بها النبي ﷺ؟! لكن الكذابين لا يعقلون!.

---

(١) انظر: ص ٢٤٤ حاشية رقم (٣)، في هذا الكتاب.

(٢) الكامل، لابن عدي: ٤٥٠/٢ «ترجمة حيي بن عبدالله»؛ تاريخ ابن عساكر: ٤٨٤/٢ ـ ٤٨٥؛ البداية والنهاية: ٣٦٠/٧.

٣ ـ ومنها: الحديث الذي يُروى فيه أنه جاءه أربعون يهوديّاً ـ وهو أمير المؤمنين ـ فوقفوا ببابه وقالوا: يا علي، صِفْ لنا ربَّك هذا الذي في السماء كيف هو، وكيف كان، ومتى كان، وعلى أي شيء هو؟ فأجابهم بكلام طويل ينبو عنه السمع، وحاشى عليّاً أن يقوله، ورسولُ الله ﷺ الذي يُوحى إليه لم يُؤثَر عنه مثل ذلك.

والخبر ضعيف جدّاً، رواه ابن إسحاق مرسَلاً وفيه راوٍ مجهول[١].

٤ ـ وكذلك يروون عن علي: أن رجلاً سأله: هل سمعتَ رسول الله ﷺ ينعتُ الإسلامَ؟ فقال: نعم، وسَردَ حديثاً طويلاً فيه من تشقيقِ الكلام ما يتنزَّه عنه الأسلوب النبوي في فصاحته ونوره[٢].

والخبر فيه (إسحاق بن بِشْر، ومُقاتِل بن سُليمان)، وهما كذابان!.

٥ ـ ومنها ما نَسبه ابن المُطهَّر الحِلِّي إلى علي: أنه قال: (سَلُوني قبل أن تفقِدوني، سَلُوني عن طُرُق السماء فإني أعرفُ بها من طُرق الأرض... والله لو ثُنيت لي وِسادة فجلست عليها؛ لأَفتيتُ أهلَ التوراة بتوراتهم، وأهلَ الإنجيل بإنجيلهم، حتى يُنطِق الله التوراة والإنجيل فتقول: صَدَق عليٌّ، قد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون؟!)[٣].

---

(١) الحليـة: ١/٧٢ـ٧٣. ولابن تيمية ردٌّ مطوَّل على ما يشبه هذا الكلام؛ منهاج السُّنَّة: ٤/٣٨٥ـ٤٠٦.

(٢) الحلية: ١/٧٤ـ٧٥.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣/٥١٠.

ونحو هذا الكلام موجود في «نهج البلاغة»، وشَرَحَه ابنُ أبي الحديد فقال: (المراد بقوله: «فلأَنَا أعلمُ بِطُرق السماء مني بطُرقِ الأرض»؛ ما اختُصَّ به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيما في الملاحم والدول، وقد صَدَّق هذا القولَ عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكررة، لا مرة ولا مئة مرة!)[١].

وهذا وذاك كذبٌ ظاهرٌ لا تجوز نسبةُ مثلِه إلى علي؛ فإن علياً أعلمُ بالله وبدين الله من أن يَحكم بالتوراة والإنجيل، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله في القرآن[٢].

وقوله: (أعلم بطرق السماء...) هو كلام باطل لا يقوله عاقل، فإن ذاك لا يعلمه رسول الله ﷺ إلا بمقدار ما أعلمه ربه به وكَشَفَه له من الغيب، فكيف يزعم زاعم ذلك لعليٍّ؟!.

ومَن اعتقد هذا من الغُلَاة في أحد من المشايخ وأهلِ البيت، فهو من الضُّلَّال، من جنس مَن اعتقد من الغُلاة في أحد من هؤلاء النبوةَ، أو ما هو أفضل من النبوة، أو الإلٰهية[٣].

٦ ـ وقول ابن المطهَّر الحِلِّي: (إن علياً كان أعلمَ الناس بعد رسول الله ﷺ)[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧/٧٤، ٧٧، ١٠/٥٨١.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٥١١.

(٣) المرجع السابق: ٤/٤١٦.

(٤) المرجع السابق: ٤/٣٦٣.

هو كلام باطل، فأعلمُ الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر.

وقد ذكر غير واحد من العلماء الإجماع على **أن أبا بكر أعلمُ الصحابة كلهم**، وقد ذكرتُ دلائل ذلك في كتابي «أبو بكر الصِّدِّيق».

(ولم يُحفظ لأبي بكر فُتيا تخالِف نصّاً، وقد وُجد لعمر وعلي وغيرِهما فتاوى كثيرة تخالف النصوص، حتى جمع الشافعي مجلداً في خلاف علي وابن مسعود، وجمع محمد بن نصر المَرْوَزي كتاباً كبيراً في ذلك).

(وكان النبي ﷺ في مشاورته لأهل الفقه والرأي يقدِّم في الشورى أبا بكر وعمر، فهما اللذان يتكلمان في العلم، ويتقدَّمان بحضرته على سائر الصحابة، مثل مشاورته في أسارى بدر وغير ذلك)[1].

وقال ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي**»، وأشار إلى أبي بكر وعمر. وقال: «**إنْ يُطعِ الناسُ أبا بكر وعمر فقد أَرْشَدُوا**».

وقد برهن الإمام ابن حزم على تقدُّم الصدِّيق في العلم على سائر الصحابة بكلام نفيس؛ خلاصته: أن رسول الله ﷺ قدَّمه ليؤُمَّ الناسَ في الصلاة، واستعمله على الصدقات وبعثه أميراً على الحج، وهذه دعائم الإسلام[2].

وأما الفاروق عمر: فالأحاديث الصحيحة الكثيرة تدل على تقدُّمِه في العلم على جميع الصحابة ما عدا الصديق، منها: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر**»، «**إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه**»، «**لقد كان فيما**

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٥٨٥، ٤/٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) الفِصَل: ٢/٢١٢ـ٢١٤؛ منهاج السُّنَّة: ٤/٣٧٣ـ٣٧٤.

قبلكم من الأمم محدَّثون، فإنْ يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر»، «**بينا أنا نائم أُوتِيت بقَدَحٍ من لبن، فشربتُ حتى إني لأَرى الرِّيَّ يَخرُج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضْلي عمرَ بنَ الخطاب**»، قالوا: فما أَوّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «**العلم**».

وأيضاً كثرة موافَقَاتِه ونزول القرآن بما كان يراه ويقترحه، وأهل المدينة أميَلُ إلى قول عمر، ويقدِّمونه على قول علي، ومذهبُهم أرجح مذاهب أهل الأمصار[١].

وهذا باب واسع قد أقمنا براهينه في كتابنا «عمر بن الخطاب».

٧ ـ ومن الأُخلوقات في «باب علم علي» قول ابنِ المُطهَّر ومن تابعه: (أما النحو: فهو واضعُه، وفي الفقه: الفقهاء يرجعون إليه، والمالكية: أخذوا علمَهم عنه وعن أولاده، وعلمُ الفقهاء الأربعة ينتهي إليه، وأما علمُ الكلام: فهو أصله، ومن خُطَبِه تعلَّم الناس، وكل الناس تلاميذه!). (وعلمُ التفسير إليه يُعزى، وأما علم الطريقة فإليه منسوب، فإن الصوفية يُسندون الخرقة إليه، وأما علم الفصاحة فهو منبعه حتى قيل: كلامُه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ومنه تعلم الخطباء)[٢].

إلى آخر هذه المبالغات والمجازفات، وقد أطنب شيخ الإسلام ابن تيمية في عرضها، والردّ عليها وتوضيح وجه الحق فيها بالحجة والدليل المبين[٣].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٥٥٢/٣.

(٢) المرجع السابق: ٣٨٠/٤ـ٣٨٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٢.

(٣) المرجع السابق: ٣٨٠/٤ـ٤٢٥.

٨ ـ وسَبَق ابنَ المطهَّر: ابنُ أبي الحديد في «مقدمة شرح نهج البلاغة»، وزاد عليه مجازفات كثيرة: فزعم أن المعتزلة ـ وهم أهل التوحيد والعدل كما يقول ـ تلامذته وأصحابه، وإليه تنتهي الأشعرية، وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر!.

وكل فقيه في الإسلام عِيالٌ عليه حتى الأئمة الأربعة الفقهاء، ومن بحر علمه تستقي وتتفرع علوم الفقه والتفسير والقراءات والطريقة والحقيقة والتصوف، والنحو والعربية، والرأي والتدبير والسياسة[(١)]!.

وعلى سَنَن أولئك مشى فريق من الأخلاف من كتَّاب زماننا، ولم يأتوا بجديد بل هو مَحْضُ التكرار والتقليد والتزويق والتسويق.

٩ ـ فالدكتور طلال الجنابي يذكر نحو ما سبق، فيقول: (وله الهداية الأولى في التوحيد الإسلامي والقضاء الإسلامي والفقه الإسلامي، وعلم النحو العربي وفنِّ الكتابة العربية، فهو أساسٌ صالح لموسوعة المعارف الإسلامية في جميع العصور، ويجوز لنا أن نسمِّيه: موسوعةَ المعارف الإسلامية كلها في الصدر الأول من الإسلام)[(٢)].

١٠ ـ وعبدالكريم الخطيب يدَّعي أن عليّاً انفرد وحده بصفتين لا يكاد يُنازعه أحدٌ فيهما، وهما: الضربُ بالسيف في سبيل الله، والفقه الحق لدين الله ولكتاب الله... وكان علي فقيه الإسلام، وعالم الإسلام، وحكيم الإسلام، غيرَ مدفوعٍ عن هذا أو منازَع فيه[(٣)]!.

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة: ١/٤٤ ـ ٥٢.

(٢) أبو تراب، ص ٢٨٢، وانظر: ٢٨١ ـ ٢٨٥.

(٣) علي بن أبي طالب، ص ٨٧.

وهو كلام قد توافرت أخبار التاريخ الصادق على بطلانه؛ أما الضرب بالسيف فيُضارعه فيه عشرات الصحابة من أمثال الزبير وطلحة وأبي طلحة وأبي دُجانة وسعد بن أبي وقّاص والبراء بن مالك وسيف الله خالد... وأما العلم فأبو بكر وعمر أعلم منه، ويضارعه ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وعائشة وغيرهم.

١١ـ ويزعم محمد جواد مغنية ـ وهو من رموز الشيعة في عصرنا ـ أن عليّاً قد نطق بتنبؤات علمية هي من باب المغيبات، فأشار إلى الراديو والتلفزيون، وأن الإنسان سيأكل ثمرة الصيف في الشتاء، وإلى سرعة المواصلات فتكون السنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم واليوم كالساعة... إلخ[١].

وتقدَّم مثلُ هذا الكلام عن ابن أبي الحديد وابن المُطهَّر الحِلِّي، وبَينَّا أنه كلام باطل، وعلي بريء منه[٢].

١٢ ـ ومشى عباس محمود العقاد على سَنَن ابن أبي الحديد وابن المُطَهَّر وأشباههما من عُتاة الرافضة، فقال وهو يتحدث عن خصوصيات علي رضي الله عنه:

(وخاصة أخرى من خواص الإمامة، ينفرد بها علي ولا يجاريه فيها إمام غيره، وهي اتصالُه بكل مذهب من مذاهب الفِرق الإسلامية منذ وُجدت في صدر الإسلام، فهو مُنْشِئ هذه الفِرق أو قُطْبُها الذي تدور

---

(١) فضائل الإمام علي، ص ٥٠ـ٥١.

(٢) وانظر: شرح نهج البلاغة: ١/٥٠٧ـ٥١٥.

عليه. ونَدَرتْ فِرقةٌ في الإسـلام لم يكن علي معلِّماً لها منذ نشأتها، أَوْ لم يكن موضوعاً لها ومحوراً لمباحثها، تقول فيه وترد على قائلين.

وقد اتصلت الحلقـات بينه وبيـن علماء الـكلام والتوحيد، كما اتصلـت الحلقات بينـه وبين علماء الفقـه والشـريعة، وعلماء الأدب والبلاغة، فهو أستاذ هؤلاء جميعاً بالسند الموصول!)[١].

وتقـدم نحو هذا الـكلام، وهـو ظاهر البطـلان، فعلـيٌّ وجميعُ الصحابة ﷺ بُرآء مـن علم الكلام والبدع والمذاهـب والفِرق الضالة، ولم يَثبت عن أحد منهم خوضه فـي تلك المباحث، بل ذَمُّوا مَن تكلم فيها وحذّروا منه. بل إن عليّاً حرق الزنادقة، وهَمَّ بقتل ابن سـبأ، وقاتل الخوارج وقَتَلَهم! فما قيمة مزاعم العقاد ومن سبقه ومن يأتي بعده؟!.

واخترع العقاد مجازفةً أخرى فقـال: (وقد لَبِث علي بن أبي طالب زُهاءَ ثلاثين سـنة منقطعاً أو يكاد ينقطع عن جهاد الحكم والسياسـة، متفرِّغاً أو يـكاد يتفرغ لفنون البحث والدراسـة، يتأمل كلَّ ما سـمع، ويُراجـع كل ما قرأ، ويعرف كل ما يعرف، ممن يلقاه، ويسـتطلع أنباءَه وآراءه وقضاياه)[٢].

وهو كلام باطل سنداً ومتناً:

فالعقاد على عادته ساق كلاماً مرسَلاً لا سنَدَ له، فهو خبر لَقيط واهٍ لا يُعرف مصدره ولا يُدرى نَسَبه حتى ننظر فيه.

---

(١) عبقرية علي، ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣١.

ثم هو باطل في مَتْنه ومضمونه: فسيرةُ سيدنا علي ظاهرة مشهورة منشورة، وهو منذ طفولته في رعاية النبي ﷺ، وآمَنَ به واتبعه ولازَمَه طيلة ثلاث وعشرين سنة هي عُمُر الدعوة. ثم لازم الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، وكان من مقدَّمي مجلس الشورى ومشاركاً في سياسة دولة الخلافة، واستمر على ذلك قائماً بشؤون الحكم في أيام خلافته، فأين ذلك الانقطاع المزعوم عن الناس والأحداث ومسيرة الحياة، والتفرغ لفنون البحث والدراسة؟! وأين ثمرةُ ذلك البحث ونتائجه التي خرج بها علي؟ ومَن دوَّنَها؟ وأين هي تلك الدواوين التي تفرد بها؟!.

ثم ما هي يا ترى تلك الأنباء والآراء والقضايا التي كان يستطلعها؟ ومن هم أولئك الذين يَلْقاهم ويسمعُهم ويَعرف منهم ما يعرف؟! أَهُمُ الشعراء والكهّان والفلاسفة وحَمَلة التوراة والإنجيل؟! ما هذا الكلام القائم القاعد؟!.

إن سيدنا علياً مثل غيره من الخلفاء الراشدين وأعلام الصحابة وعلمائهم، قد نُقلت أخباره وآراؤه وعلومه وفقهه وأقضيته، ودَوَّنها الثقات في كتب السنن والآثار والفقه والآداب، تماماً كما نقلوا عن غيره من الصحابة الكرام.

فليس ثمَّة دليلٌ ـ ولو كان ضعيفاً ـ على تفرد عليٍّ عن غيره من علماء الصحابة وأكابرهم، حتى يزعم له الزاعمون تلك الأباطيل التي أشرنا إليها.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

فَصَاحتُه وشِعْره وخُطَبُه وحِكَمُه

توطئة: في «فصاحة علي»، والمغالاة فيما زعمه له الزاعمون:

•• اتفقت كلمة الأدبـاء والعلماء على أن علي بن أبي طالب عَلَمٌ من أعلام البلاغـة وإمامٌ من أئمـة الفصاحة، حتى قال إمـام الكتّاب والمترسّـلين وأحدُ مشـاهير الفصحـاء والبلغـاء عبدالحميد الكاتب (المتوفى سنة ١٣٢هـ): حفظتُ سبعين خُطبة من خُطَب الأصلع ـ يعني عليّاً ـ ففاضت ثم فاضت. وقال ابن المُقفَّع: شـربت الخطب ريّاً، ولم أضبط لها رويّاً، ففاضت ثم فاضت، فلا هي كلاماً، وليس غيرُها نظاماً. يريد خُطَب علي. وترجم له ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء».

امتزجت في أسـلوبه آثار تعلُّقه بالقرآن الكريم وتدبُّره له، والبيانِ النبـوي الرفيع، مع سـليقته العربيـة الصافية التي أخـذت من فحولة الأعراب وحضارة المكيين.

وعبَّرت أقوالـه وحِكَمُه ومواعظه وخطبه عن مكنونات شـخصيته ووثبات روحه ووَجِيب فؤاده، فاكتسـت كلماته لباساً من خوالج نفسه وأحداث زمانه.

ولم يحدِّثنا التاريخ أن عليّاً كان يحبِّر خُطَبه، أو يزوِّق في نفسه مواعظَه، بل حدثنا أن عليّاً كان يَرتجِل أقواله في كثير من المواطن. وله في المواقف الطارئة والأحداث المرتجلة كلمات وعِظات هي أشبه بالأمثال السائرة والحِكَم النادرة.

●● وكان فيما أُثِر عنه وصحَّت نسبتُه إليه فصيحَ اللسان، قويَّ البرهان، واضحَ البيان، إذا تكلم تفجرت ينابيع الحكمة من صدره، وتدفَّقت البلاغة على لسانه، فلا يتلعثم ولا يَتجَمْجَم، ولا يتحبَّس ولا يتنحنح ولا يتوقف.

وكان في أكثر خطبه ميّالاً إلى التوسط بين الإيجاز والإطناب، ويقتبس في كلامه من آي القرآن، وأحاديث النبي ﷺ، ويُكثِر الحِكم والأمثال. أما كلماته المفردة فيندر فيها الغريب، وأكثرها من المأنوس الجميل الجَرْس. ويغلب على كلامه الوضوح والجلاء وقلَّ ما تجد له معنى عويصاً أو مُبهَماً.

وقد أَدمج في كلامه كثيراً من أمثال العرب، واستشهد بأبيات من الشعر، وأصبح (موروثه الأدبي) مَطْلَباً لأصحاب البلاغة، وزاداً لأهل الهداية، ومَعيناً للمتأدبين، ومَنْهلاً للدعاة والمربِّين الساعين إلى تنوير العقول، وتهذيب النفوس، وإحياء القلوب، وتقويم اللسان، وتنمية البيان.

ولعليٍّ ﷺ أبياتٌ من الشعر الرقيق والنظم الرائق، وكثير منه لا تَصحُّ نسبته إليه. وهو خطيب مِصْقَع، وكاتب بليغ مبدِع، وليس بشاعرٍ مُفْلِق، وكلامه في نثره أعلى من كلامه في نظمه[١].

---

(١) اقتبست في هذه الفقرة جُملًا من «مقدمة كتاب دستور معالم الحِكَم» التي كتبها العلّامة سليم الجندي، ص ٨٧ـ١٣٢.

•• ولا يصحّ البتَّة أن نقول: إن كلامَه دونَ كلام الخالق وفوق كلام المخلوق! كما يزعم الغلاة ممن يدَّعون محبته وموالاته، مثل: ابن أبي الحديد الذي يقول في فاتحة شرح نهج البلاغة: (وأما الفصاحةُ: فهو عليه السلام إمامُ الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين!)[1].

وقال مثلَه ابن المُطَهَّر الحِلِّي[2].

وهذا يقتضي أنه أفصحُ من رسول الله ﷺ وأبلَغُ منه، لأنه ﷺ من المخلوقين! فهذا من ابن أبي الحديد وغيره كذبٌ على عليٍّ، وافتراءٌ على الحقيقة الساطعة؛ فسيدُ الفصحاء وإمام البلغاء هو رسولُ الله ﷺ الذي أُوتي جوامعَ الكَلِم، ولا يدانيه في ذلك أحد، لا عليٌّ ولا غيره!.

وسبقهما إلى هذا الشريفُ الرضي واضعُ «نهج البلاغة» حيث يقول في خطبته مجازفاً ومُغالِياً: (كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَعَ الفصاحةِ ومَورِدَها، ومَنْشأَ البلاغة ومَوْلِدَها، ومنه عليه السلام ظَهر مكنونُها، وعنه أُخِذت قوانينُها، وعلى أمثلتِه حَذَا كل قائل خطيب... لأن كلامَه الكلامُ الذي عليه مَسْحة العلمِ الإلٰهي، وفيه عَبْقة من الكلام النبوي!)[3].

وهو كلام باطل وغلوٌّ ممقوت، فخُطباء الصحابة كثيرون؛ منهم: أبو بكر وعمر وثابت بن قيس خطيب النبي ﷺ وابن عباس ومعاوية وعائشة، ولم يأخذوا عن علي!.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٩.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/ ٤١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ٦٦.

قال الراغب الأصفهاني: قد انتهت الفصاحة إلى أربعة: علي وابن عباس وعائشة ومعاوية[١].

وكان الخطباء الفصحاء كثيرين في العرب قبل الإسلام وبعده، وجماهيرُ هؤلاء لم يأخذوا عن علي شيئاً. فقول القائل: «إنه منبَع علم الفصاحة»، كذبٌ بيِّنٌ، ولو لم يكن إلا أن النبي ﷺ كان أخطَبَ منه وأفصَحَ، ولم يأخذْ منه شيئاً[٢]!.

أولاً: نماذج من خطبه:

١ ـ عن أوفى بن دَلْهَم، عن علي بن أبي طالب: أنه خَطب الناسَ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعدُ، فإن الدنيا قد أدبرتْ وآذنَتْ بوداع، وإن الآخرة قد أقبلَتْ وأشرفت باطِّلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق. ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيَّب عملَه. ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة. ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولم أرَ كالنار نام هاربُها. ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضرَّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حارَ بهِ الضلال. ألا وإنكم قد أُمرتم بالظَّعْن، ودللتم على الزاد. ألا أيها الناس إنما الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها مَلِك قادر. ألا وإن ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

---

(١) مقدمة «دستور معالم الحِكَم»، ص ٨٧.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٤١٣.

أيهـا الناس أحسنوا في أعماركم تُحفَظوا في أعقابِكم، فإن الله وَعَد جنته من أطاعــه، وأَوْعَد ناره من عصــاه، إنها نار لا يَهــدأ زفيرها، ولا يُفكّ أسيرُها، ولا يُجبر كسيرها، حرُّها شــديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوفَ ما أخاف عليكم اتبــاعُ الهوى وطولُ الأمل، فإن اتباع الهوى يصدُّ عن الحق، وإن طول الأمل يُنسي الآخرة).

وفي رواية: (ارتحلت الدنيا مُدبِــرةً، وارتحلت الآخرة مقبِلةً، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حسابَ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ)[١].

٢ ـ وعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه: (أن عليّاً شــيَّع جنازة، فلما وُضِعت في لحدها عَجَّ أهلها وبكوا، فقال: ما تبكــون؟ أما والله لو عاينــوا ما عاين ميِّتُهم لأذهلَتْهــم معاينتهم عن ميتهم، وإن له[٢] فيهم لعودةً ثم عودة حتى لا يُبقي منهم أحداً.

ثم قام فقال:

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقَّت لكم الآجال، وجعل لكم أســماعاً تعي ما عَناهــا، وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها في تركيب صورها وما أعمرها، فــإن الله لــم يخلقكــم عبثاً، ولــم يضــرب عنكــم الذِّكْر صَفحــاً،

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٣/٢١٠ـ٢١١، ٢١٣ـ٢١٤؛ البداية والنهاية: ٧/٣٠٨ـ٣٠٩، ٨/٧؛ وعلّق البخاري الرواية الثانية: قبل الحديــث (٦٤١٧)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٨/١٥٥؛ والحلية: ١/٧٦. والخطبة في نهج البلاغة: ١/٣٦٧.

(٢) يعني ملك الموت.

بل أكرمكم بالنِّعَم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السرّاء والضرّاء. فاتقوا الله عباد الله وجدُّوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطّع النَّهَمات وهاذِمَ اللذات؛ فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسِناد مائل.

اتَّعِظوا عبادَ الله بالعِبَر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازْدَجِروا بالنُّذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالبُ المنيَّة، وضَمّكم بيت التراب، ودهمتكم مُفْظِعات الأمور، بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار! كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩].

فارتجَّتْ لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكُشف عن ساق، وحُشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجَّت الأفئدة، وبُرِّزت الجحيم قد تأجَّج جحيمُها وغلا حَميمُها.

عباد الله، اتقوا الله تقيَّةَ من وَجِل وحَذِر، وأَبصر وازدجَر، فاحتثَّ طلباً، ونجا هرباً، وقدَّم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً وبصيراً، وكفى بالكتاب خَصماً وحَجيجاً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً، وأستغفر الله لي ولكم)[1].

---

(١) الحلية: ١/٧٧ـ٧٩؛ صفة الصفوة: ١/٣٢٧ـ٣٢٩.

ثانياً: شذرات من مواعظه ووصاياه:

١ ـ عن أبي أراكة قال: (صليتُ مع علي بن أبي طالب صلاة الفجر، فلما سلَّم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبةً، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قِيدَ رمح، قال وقلَّب يده:

لقد رأيتُ أصحابَ رسول الله ﷺ فما أرى اليوم أحداً يُشْبِهُهم! والله لقد كانوا يصبحون شُعْثاً غُبْراً صُفْراً بين أعينهم مثل رُكَب المِعْزى، قد باتوا لله سُجَّداً وقياماً، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما تَمِيد الشجرة في يوم ريح، وهَملت أعينُهم حتى تبلّ والله ثيابَهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين!.

ثم نهض فما رُئي مُفترّاً يضحك حتى ضربه ابن ملجم)[1].

٢ ـ وعن كُمَيْل بن زياد قال: (أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجَبَّان[2]، فلما أَصْحَرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كُميل بن زياد، القلوب أوعية فخَيْرُها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهَمَج رَعَاع أتباع كل ناعِق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تُنْقِصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم

---

(١) الحلية: ١/٧٦؛ تاريخ ابن عساكر: ٣/٢٠٦ـ٢٠٧؛ شرح نهج البلاغة: ٤/٥٧.

(٢) **الجبَّان والجبَّانة**: الصحراء، وتسمى بهما المقابر.

عليه، وصنيعة المال تـزول بزواله ومحبة العالم دِين يُـدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته وجميلَ الأُحْدُوثة بعد مماته. مات خُزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

هاه! إن هاهنا ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ علمـاً لو أصبتُ له حَمَلة! بلى أصبتُه لَقِناً غيرَ مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بنِعَم الله على عباده، وبحُججه على كتابـه، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرةَ له في إحيائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك! أو منهوماً باللذات سـلِسَ القياد للشـهوات، أو مُغْـرًى بجمع الأموال والادِّخار، ليسا من دعاة الدين في شيء، أقربُ شبهاً بهم الأنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللَّهمَّ بلى، لن تخلو الأرض من قائم للهِ بحجة لكي لا تَبْطُل حُجَج الله وبيِّناتُه؛ أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حُججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشـباههم، هَجَـم بهم العلم علـى حقيقة الأمر، فاستلانوا ما اسـتوعَر المُتْرَفون، وأَنِسُوا بما اسـتوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقة في المحل الأعلى، أولئك خلفاءُ الله في بـلاده ودعاته إلى دينه، آه آه شـوقاً إلى رؤيتهم! وأسـتغفر الله لي ولك، إذا شئتَ فقُمْ)[١].

---

(١) الحلية: ١/٧٩ـ٨٠؛ صفة الصفوة: ١/٣٢٩ـ٣٣١؛ دسـتور معالم الحِكَم، ص ٢٣٧ـ٢٣٩؛ وذكر طرفاً منه ابن عبدالبرّ في «جامع بيان العلم»: ٢/١٣٧ـ١٣٨، وقال: هو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم.

٣ ـ وعن عاصم بن ضَمْرة ومعروف المكي وغيرهما، قالوا: قام رجل إلى علي بن أبي طالب فذَمَّ الدنيا، فقال له علي:

(إن الدنيا دار صدقٍ لمن صَدَقها، ودار غنًى لمن تزود منها، ودار عافية لمن فَهِم عنها؛ هي مسجد أحباء الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الجنة وربحوا فيها الرحمة، فمن ذا الذي يذمُّها وقد آذنت بِبَيْنِها، ونادت بانقطاعها، ونَعَتْ نفسها وأهلها؟!.

فيا أيها الذام للدنيا المعتل بغرورها، متى استذمَّت إليك الدنيا؟ ومتى غرَّتك؟ أبمنازل آبائك من الثرى؟ أو بمضاجع أمهاتك من البِلى؟ كم مرَّضتَ بكفيك وعالجتَ بيديك تبتغي له الشفاء وتستوصف له الأطباء، لا يغني عنك دواؤك ولا ينفعك بكاؤك!).

ثم انصرف علي إلى القبور فقال: (يا أهلَ القبور، يا أهل الضيق والوحدة، يا أهل الغربة والوحشة؛ أمَّا الدور فقد سُكنت، وأما الأموال فقد قُسمت، وأما الأزواج فقد نُكحت، فهذا خبرُ ما عندنا فما خبر ما عندكم؟).

ثم التفت إلى أصحابه فقال: (لو أُذِن لهم في الجواب لأجابوا: إن خير الزاد التقوى)[1].

ثالثاً: درر من أقواله وحكمه:

١ ـ يا حَمَلَةَ العلم اعملوا به، فإنما العالم من عَمِل بما عَلِم ووافق علمَه عملُه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يُجاوز تراقيهم يُخالِف

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٢١٤/٣ـ٢١٦؛ البداية والنهاية: ٧/٨.

عملُهم علمَهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حِلَقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويَدَعَه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله![1].

٢ ـ أَلَا إن الفقيه كلَّ الفقيه الذي لا يُقنِّط الناسَ من رحمة الله، ولا يؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم في معاصي الله، ولا يَدَع القرآن رغبةً عنه إلى غيره. ولا خيرَ في عبادة لا علمَ فيها، ولا خيرَ في علمٍ لا فهمَ فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها[2].

٣ ـ ليس الخيرُ أن يكثر مالُك وولدك، ولكنَّ الخيرَ أن يَكثر علمك، ويَعظُم حِلمُك، وأن تباهي الناسَ بعبادة ربك، فإن أحسنتَ حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجلٍ أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجلٍ يسارع في الخيرات. ولا يَقِلُّ عمل في تقوى وكيف يقلّ ما يُتَقبَّل؟![3].

٤ ـ احفظوا عني خمساً فلو ركبتم الإبل في طلبهن لأَنْضَيْتُموهن قبل أن تدركوهن: لا يرجو عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخافُ إلا ذَنْبه، ولا يستحيي جاهل أن يَسأل عما لا يعلم، ولا يستحيي عالم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمانَ لمن لا صبرَ له[4].

---

(١) سنن الدارمي (٣٨٢)؛ جامع بيان العلم: ٢/٩.

(٢) الحلية: ١/٧٧؛ سنن الدارمي (٢٩٨)؛ ابن عساكر: ٣/٢٣٠.

(٣) الحلية: ١/٧٥؛ صفة الصفوة: ١/٣٢١؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٢٩٤.

(٤) الحلية: ١/٧٥ـ٧٦؛ ابن عساكر: ٣/٢٢٩ـ٢٣٠.

٥ ـ ما كان الله لِيفتَحَ على عبد بابَ الشكر ويُغلِقَ عنه باب الزيادة، ولا لِيفتح على عبد بـاب الدعاء ويُغلق عنه بـاب الإجابة، ولا لِيفتح عليه باب التوبة ويُغلِق عنه باب المغفرة(١).

٦ ـ مَنْ نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يَحزن على ما فاته، ومن سَـلَّ سـيف البغي قُتِل بـه، ومن كابَدَ الأمور عَطِب، ومن اقتحم اللُّجَجَ غَرِق، ومن دخل مداخل السوء اتُّهِم.

ومن كَثُر كلامه كَثُـر خطؤه، ومن كثر خطؤه قـلَّ حياؤه، ومن قَلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعُه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمقُ بعينهِ.

ومن عَلِمَ أن كلامه من عملِه قلَّ كلامه إلا فيما يَعنيه(٢).

٧ ـ لا شرفَ أعلى من الإسلام، ولا عِزَّ أعَزُّ من التقوى، ولا لباسَ أجملُ مـن العافية، ولا كنزَ أغنى مـن القناعة، ولا مَعْقِـلَ أحصنُ من الورع، ولا شفيعَ أنجحُ من التوبة، ولا وقايةَ أمنَعُ من السلامة، ولا مالَ أذهَبُ للفاقة من الرضا بالقوت(٣).

٨ ـ الدهر يومان: يومٌ لك ويومٌ عليك، فإذا كان لك فلا تَبْطَرْ، وإذا كان عليك فاصبِرْ(٤).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤٢٧/١٠؛ حياة الصحابة: ٦٠٣/٢.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٢٩/١٠؛ دستور معالم الحِكَم، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٦٠/١٠؛ دستور معالم الحِكَم، ص ١٨٨.
(٤) شرح نهج البلاغة: ٣١٠/١٠.

٩ ـ مَنْ أصلَحَ سَرِيرتَه أصلَحَ الله علانيتَه، ومن عمِل لدينِه كَفَاه الله أمرَ دنياه، ومن أحسنَ فيما بينَه وبين الله أحسنَ الله ما بينَه وبين الناس[1].

رابعاً: فرائد حِكَمه ونصائحه ووصاياه[2]:

١ ـ لا تكنْ عبدَ غيرِك وقد خلقَكَ الله حُرّاً.

٢ ـ الغريب من ليس له حبيب.

٣ ـ رأس الدين صحة اليقين.

٤ ـ السلامة مع الاستقامة.

٥ ـ رسولك تَرْجُمان عقلك.

٦ ـ ظلمُ الضعيفِ أفحشُ الظلم.

٧ ـ إمامٌ عادلٌ خير من مطرٍ وابلٍ.

٨ ـ سَبُعٌ أكولٌ حَطومٌ خير من والٍ غشوم ظَلومٍ.

٩ ـ الفرصة تمرُّ مرَّ السحابِ فانتهِزوا فُرصَ الخير.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤١٣/١٠.

(٢) هذه الفقرة منتقاة من «دستور معالم الحِكَم»: ١٦٩ ـ ١٨٩، ٢٢٣ ـ ٢٣٢. وفي نهج البلاغة: ٥٦١/١٠ ـ ٦٢٧: (٩٩٨) حكمة بين قصيرة ومتوسطة ومطولة، اقتطفت قليلاً منها.

١٠ ـ تَذِلُّ الأمور للمقادير حتى يكون الحَتْفُ في التدبير.

١١ ـ إن أغنَى الغِنى العقلُ، وأكثرَ الفقر الحمقُ.

١٢ ـ ما أضمــرَ أحدٌ شــيئاً إلا ظَهر من فَلَتات لســانه وصفحاتِ وجْهِه.

١٣ ـ إذا أقبلتِ الدنيا على رجل أعارَتْه محاسنَ غيرِه، وإذا أدبرَتْ عنه سلَبَتْه محاسنَ نفسه.

١٤ ـ من غلَبَ لسانَه أمَّرَه قومُه.

١٥ ـ مَنْ خالَطَ العلماءَ وُقِّرَ، ومن خالَطَ الأنذالَ حُقِّر.

١٦ ـ من هَتَك حجابَ غيرِه انكشَفَتْ عوراتُ بيتِهِ.

١٧ ـ أَنفِقْ في حقّ ولا تكنْ خازناً لغيرِك.

١٨ ـ احذَرْ دمعــةَ المؤمنِ في السَّــحَر، فإنها تَقْصِــفُ مَن دمَّعَها، وتُطفِئ بحورَ النيران عمَّن دَعَا بها.

١٩ ـ موت الرؤساء أسهلُ من رياسة السَّفِلَة.

٢٠ ـ إذا لم تُرزَقْ غِنًى فلا تُحْرَمنَّ تقوًى.

٢١ ـ الدنيا طوَّاحة طرَّاحة فضَّاحة آسِيَةٌ جرَّاحة.

٢٢ ـ أَجَلُّ ما يَنزِل من السماء التوفيقُ، وأجلُّ ما يَصعد من الأرض الإخلاصُ.

خامساً: كلمة في «نهج البلاغة»:

«نهج البلاغة» ضَمَّ بين دَفَّتَيْه خُطب سيدنا علي ورسائلَه وكُتبه وأقوالَه ومواعظَهُ ونصائحه ووصاياه وحِكَمَه وفرائدَ كَلِمِه، وهو الكتاب الموثوق به والمتفق عليه بين الشيعة الإمامية، أَلَّفه الأديب الكبير والشاعر الهاشمي الشيعي المعروف بـ«الشريف الرضي» (٣٥٩ ـ ٤٠٤هـ)، ولا يزال هذا الكتاب متداولاً يتمتع بإجلال واحترام عند الشيعة، وقد شرحه العالم الشيعي المعتزلي الشهير ابن أبي الحديد (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ)، وغير واحد.

والذي عليه علماؤنا من المحدِّثين والمؤرخين والنقاد أن «نهج البلاغة» كتابٌ موضوعٌ على عليٍّ، وأكثَرُ ما جاء فيه لا تصحُّ نسبتُه إليه، بل أكثره مكذوبٌ عليه.

وهذا ما يَقتضيه النظرُ الصحيح والنقد الموضوعي؛ فمؤلفه (الشريف المرتضى) والبعض ينسبه لأخيه (الشريف الرضي)، وقد وُلد سنة (٣٥٥هـ)، بعد وفاة أمير المؤمنين علي بـ(٣١٥) سنة! ولم يَسُق إسنادَه إليه، بل أورد كل ما جمعه مقطوعَ النسب إلى علي، ليس للمرء أن يصدِّقه إلّا لأن الشريف قد جمعه وبوَّبه!.

هذا فضلاً عن قوادح كثيرة في مَتْن النصوص تجعل من المُحَال أن يكون علي رضي الله عنه قاله أو رضي به، كما سيأتي.

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (صاحبُ «نهج البلاغة» وأمثالُه أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يُحكى عن

علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حقٌّ يَليق به أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره.

ولهذا يوجد في كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيرِه من الكتب، كلامٌ منقول عن غير عليٍّ، وصاحبُ «نهج البلاغة» يجعلُه عن علي.

وهذه الخطب المنقولة في كتاب «نهج البلاغة» لو كانت كلُّها عن عليٍّ من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنف، منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها. فإذا عَرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها ـ بل أكثرها ـ لا يُعرف قبل هذا؛ عُلِم أن هذا كذبٌ، وإلا فَلْيُبيِّن الناقل لها في أي كتاب ذُكر ذلك؟ ومَن الذي نقله عن علي؟ وما إسنادُه؟ وإلا فالدعوى المجرَّدة لا يَعجز عنها أحد)[١].

٢ ـ وقال الحافظ الذهبي في «ترجمة الشريف المُرْتَضى»: (هو جامعُ كتاب «نهج البلاغة» المنسوبة ألفاظُه إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولا أسانيدَ لذلك، وبعضُها باطل، وفيه حقٌّ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمامَ من النطق بها، ولكن أين المُنْصِف؟!.

وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرضي)[٢]. وهذا هو المشهور.

وقال في ترجمته من «الميزان»: (علي بن الحُسين العَلَوي الحسيني الشريف المرتضَى المتكلِّم الرافضي المعتزلي... وهو المُتَّهم بوَضْعِ كتاب «نهج البلاغة»، وله مشاركةٌ قوية في العلوم، ومَن طالَعَ كتابه

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤١٤ـ٤١٥.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٥٨٩.

«نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوبٌ على أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، ففيه السبُّ الصُّراح والحَطّ على السيدين أبي بكر وعمر ﷺ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي مَن له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة وبنَفَس غيرِهم ممَّن بعدهم من المتأخرين: جَزَمَ بأن الكتاب أكثره باطل!)[١].

٣ ـ وأَيَّدَ الذهبيَّ وأقرّه على هذا: الحافظُ ابن حجر[٢].

٤ ـ وممن شَكَّك في صحة نسبة «نهج البلاغة» إلى علي: العلّامةُ محمد العربي التَّبّاني الجزائري، أحدُ كبار علماء الحجاز، والمدرّس بالحرم المكي الشريف[٣].

وقد أَقذَع في الردّ عليه محمد جواد مغنيّة[٤].

٥ ـ وشَكَّكَ في صحةِ أكثر ما جاء فيه: العلّامة صالح بن مهدي المَقْبَلي في كتابه: «العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ».

٦ ـ وقال الأديب الكبير أحمد حسن الزيّات: (ومن الناس من يميل إلى أن أكثر هذا الكتاب من صُنْع الشريف؛ لِما فيه من التعرُّض للصحابة بالأذى والهُجْر، ولأن فيه من فلسفة الأخلاق، وقواعد الاجتماع، ودقة الوصف، وتكلُّف الصُّنْع ـ ما ليس في إمكان ذلك

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣/١٢٤.

(٢) لسان الميزان: ٤/٢٢٣.

(٣) انظر كتابه: تحذير العبقري من محاضرات الخضري: ٢/١١٢ فما بعدها.

(٤) في كتابه: فضائل الإمام علي، ص ١٥٩ ـ ١٦٣.

العصر ولا في طبعه. والظاهر أن الشريف جمع كل ما نُسِب إلى الإمام وفيه الصحيح والمَشُوب)[١].

٧ ـ وذكر العلّامة الشاعر الأديب النحوي محمد سليم الجندي كلام المشكِّكين في صحة نسبة الكتاب إلى علي، واختار أنه ليس كل ما في «نهج البلاغة» موضوعاً على علي، وأن ذلك لا ينفي أن يكون بعضُه موضوعاً على لسانه، ويشهد لذلك:

١ ـ وجود كلمات لم تتكلم بها العرب في الجاهلية ولا في الإسلام.

٢ ـ وجود كلمات مخالفة لقواعد اللغة والفصيح المشهور منها.

٣ ـ وجود كلمات مولَّدة.

٤ ـ وجود مبالغة في الوصف والخيال.

٥ ـ فيه ما ينافي زهدَ علي في الدنيا، ولا يلائم ما عُرف عنه من الورع والأدب، كتلهُّفِه على الخلافة، وتذمُّرِه من خلافة عمر، وكلام بذيء ولعن وشتم لعثمان وطلحة وعمرو بن العاص ومعاوية والأشعث بن قيس وغيرهم.

٦ ـ وفيه إخبار عن كثير من أمور الغيب.

٧ ـ وفيه ما يُصادِم أحكام الشريعة.

٨ ـ وفيه كثير من امتداح نفسه.

٩ ـ وفيه كثير من كلام النبي ﷺ، وكلام عمر، وأَكْثَم بن صَيْفي[٢].

---

(١) تاريخ الأدب العربي، للزيّات، ص ٧١.

(٢) مقدمة «دستور معالم الحِكَم»، ص ١٣٥ ـ ١٥٢.

أقول: وقد ظهرت لي بالاستقراء لهذا الكتاب أمورٌ شنيعة ومخالفات عَقَدية وأكاذيبُ أدبية وأخلاقية وتاريخية؛ يستحيل أن تصدر عن صحابي فضلاً عن واحدٍ من أكابر الصحابة وأخصِّهم بالنبي ﷺ، ومِن أَعْلَمِهم وأزهدِهم وآدَبِهم وأتقاهم وأنقاهم! أشير إليها باختصار:

١ـ اتهام النبي ﷺ بأنه يتشفع ويتوسَّل بعليٍّ عند الله تعالى!.

ذَكر علي أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له، فقال ﷺ: «اللَّهمَّ بحقِّ عليٍّ عندك اغفِرْ لعلي»، فقلتُ: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «أوَاحِدٌ أكرمُ منك عليه فأَستشفِعَ به إليه؟!»[1]. ذكرت هذا المثال لبشاعتهِ بل لزندقتِهِ!.

٢ ـ وجود أقوال كثيرة هي أحاديث نبوية.

٣ ـ توجد خُطَب كثيرة يُزعم له فيها أنه يَعلم الغيب، ولو أراد لأخبر كل رجل بمخرجه ومولجه وجميع شأنه... ويعلم طرق السماء والأرض!.

٤ ـ توجد خُطب تتكلم في الألوهية والذات والصفات، ونفي الصفات، وهذا أمر مبتدَع لم يُعرف في الصدر الأول، ونفيُ الصفات يوافق رأي المعتزلة.

٥ ـ وفي الكتاب خطب ونصوص فيها مباحث كلامية، وشقشقات أهل الكلام، مما تنزه عنه عصر الصحابة والتابعين.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦٠٤/١٠، بآخر الكتاب.

٦ ـ وجود خطب كثيرة تزعم الوصيةَ لعليٍّ بالخلافة، وأن قريشاً اغتصبوا حقَّه وقطعوا رحمه، وأنه ذِيدَ عن الخلافة... والنصوص الصحيحة الثابتة عن علي تكذِّب ذلك.

٧ ـ وجود نصوص وخُطب على لسان علي تذكر أن (آل البيت) فيهم الوصية والوراثة وأنهم صنائع الله، وغيرهم صنائع آل البيت!.

٨ ـ اتهام الشيخين أبي بكر وعمر باغتصابهما الخلافة ودفع علي وآل البيت عنها. والمتواتر عن علي امتداحهما، وسيرته معهما تكذب ذلك.

٩ ـ فيه كلام شنيع باتهام الصحابة بالردة وتغيير أسس الدين وأنهم معادن كل خطيئة!.

١٠ ـ كثير من الخُطَب والرسائل والكتب فيها إقذاع على الصحابة وسباب وشتائم وكلام قبيح ووصف بعضهم كطلحة والزبير وعمرو بن العاص ومعاوية والأشعث بن قيس بالضلال والظلم والنكث بالعهد وأنهم لا يمتُّون إلى الله بحبل، بل فيه لعنٌ لبعضهم واتهامٌ بالكفر!.

وغير ذلك كثير يمكن استيعابُه بدراسة موضوعية تحليلية نقدية، مع ذِكْر النصوص الدالة على ذلك وذكر مواضعها في الكتاب[١]، لتبيين القيمة العلمية لهذا الكتاب وعدم صحة نسبة أكثره إلى سيدنا علي.

---

(١) وقد تركتُ هنا ذِكْر الأمثلة ومواضعها، للتخفيف.

سادساً: الشاعر الحكيم الرقيق:

●● نَسَب كثير من العلماء والمؤرخين كثيراً من الشعر إلى علي رضي الله عنه، وذكر لنا بعضُ تلامذته أنه كان شاعراً؛ فعن عامر الشعبي قال: (كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي يقول الشعر، وكان علي أشعرَ الثلاثة)[١].

ولا شك في شاعرية علي وإمامته اللغوية والأدبية، (ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غايةً عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمحَ له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنَّانة المؤثِّرة)[٢].

وكما يقول الأديب النحوي الشاعر محمد سليم الجندي: (علي خطيب مِصْقَع، وكاتبٌ بليغٌ مُبدِع، وليس بشاعر مُفْلِق، وكلامُه في نَثْرِهِ أعلى من كلامه في نَظْمِه)[٣].

●● وقد اشتهر لعلي كثير من الشعر، ونُسب إليه «ديوان» يشتمل العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية، وقد شَكَّك النقاد في صحة نسبة كثير من الشعر إليه، وأولُهم ابن هشام (مهذِّب سيرة ابن إسحاق)، فقد روى أن عليّاً كان يرتجز في أثناء بناء المسجد النبوي في المدينة:

لا يَسْتَوي مَنْ يَعْمُر المساجدا يَدْأَبُ فيه قائماً وقاعِدا

ومَن يُرى عن الغُبار حائِدا

---

(١) ابن عساكر: ٣/٢٤٢؛ البداية والنهاية: ٨/٨.

(٢) الأدب الإسلامي، لنايف معروف، ص ١٩٣.

(٣) مقدمة «دستور معالم الحِكَم»، ص ١٣٢.

ويعقِّب ابن هشام قائلاً: سألتُ غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بَلَغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز بـه، فلا يُدرى: أهو قائله أم غيره؟[١].

وقد روى ابن إسحاق ثلاثَ قصائد منسوبة لعليّ، ويرى ابن هشام أنها لم تصحَّ له، ويرجِّح أنها قيلت في المعارك الإسلامية من قِبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب عليّاً فنسبوها إليه[٢].

أما الديوان الذي نُسب إليه: فلم يزل النقّاد يشكُّون في صحة كثير مما احتوى عليه، ونرى أن عليّاً ﷺ بفصاحته المعهودة وبلاغته المشهورة هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان. ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة، قام بجمعها بعض محبِّيه الذين عَزَّ عليهم ألا يكون له ديوان! علماً أن عليّاً لم يكن بين شعراء الرسول ﷺ الذين تولَّوا الردَّ على الحملة الدعائية التي شنَّها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين.

بَيْدَ أن الأمر لا يصل إلى زعم الرواية التي نقلها ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني؛ حيث يزعم أنه لم يَصحَّ أن عليّاً تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[٣]! فهناك روايات عديدة تنقض هذا القول، إذ

---

(١) السيرة النبوية: ١/٤٩٧؛ الأدب الإسلامي، ص ١٩٣.
(٢) السيرة النبوية: ٢/١١، ١٦٥، ١٩٦؛ الأدب الإسلامي، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٣) انظر: معجم الأدباء: ١٤/٤٣ «ترجمة علي».

أثبت له الرواة عدداً من المقطوعات التي صحت نسبتُها إليه عندهم[(١)].

ومن الشعر الذي أثبته العلماء في كتبهم لعليّ:

١ ـ في العسر واليسر[(٢)]:

أَلَا فاصبِرْ على الحدَثِ الجليلِ ... وداوِ جَوَاكَ بالصبرِ الجميلِ
ولا تجزَعْ فإنْ أعْسَرْتَ يوماً ... فقد أَيْسَرْتَ في الدهرِ الطويلِ
ولا تَظْنُنْ بربِّك ظنَّ سُوءٍ ... فإنَّ اللهَ أَوْلى بالجميلِ
فإنّ العُسرَ يتبعُه يَسَارٌ ... وقولُ اللهِ أصدقُ كلِّ قيلِ
فلو أنَّ العقولَ تجرُّ رزقاً ... لكانَ الرزقُ عندَ ذَوِي العقولِ
فكم مِن مؤمنٍ قد جاعَ يوماً ... سَيُرْوَى من رحيقِ السلسبيلِ

٢ ـ الفرج بعد الشدة[(٣)]:

إذا اشتَمَلَتْ على اليأسِ القلوبُ ... وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحيبُ
وأَوْطَنتِ المكارهُ واطمأنَّتْ ... وأَرْسَتْ في أماكنها الخُطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضُّرِّ وجْهاً ... ولا أَغْنَى بحيلتهِ الأرِيبُ
أتاكَ على قُنوطٍ منكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ به القريبُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهَتْ ... فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

---

(١) الأدب الإسلامي، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) ابن عساكر: ٢٤٧/٣؛ البداية والنهاية: ١٠/٨.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

٣ ـ في حسن الصحبة(١):

ولا تَصْحَبْ أخا الجهلِ وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فكمْ مِن جاهلٍ أردَى حليماً حين آخَاهُ
يُقاس المرءُ بالمرءِ إذا ما هوَ ماشَاهُ
وللشيءِ من الشيءِ مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ دليلٌ حينَ يَلْقاهُ

٤ ـ في التواضع(٢):

حَقيقٌ بالتواضعِ مَنْ يموتُ ويكفي المرءَ من دنياهُ قُوتُ
فما للمرءِ يُصبِحُ ذا هُمومٍ وحرصٍ ليس تُدركهُ النُّعوتُ
صَنِيعُ مَليكنا حَسنٌ جميلٌ وما أرزاقُهُ عنَّا تفوتُ
فيا هذا سَترحَلُ عن قليلٍ إلى قومٍ كلامُهُم السكوتُ

٥ ـ في الجد والاجتهاد والصبر(٣):

اصْبِر على مَضَضِ الإدْلاج بالسَّحَرِ وبالرَّوَاحِ إلى الحاجاتِ بالبُكَرِ
لا تعجزنَّ ولا تُعجِزْكَ مَطْلبةٌ فالنُّجْحُ يَتلفُ بين العجزِ والضَّجرِ
إنِّي رأيتُ وفي الأيامِ تجربةٌ للصبرِ عاقبةً محمودةَ الأَثرِ
فقلَّ مَنْ جَدَّ في شيءٍ يُطالِبُهُ فاسْتَصْحَبَ الصبرَ إلا فازَ بالظَّفَرِ

* * *

(١) ابن عساكر: ٢٤٩/٣؛ البداية والنهاية: ١١/٨؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٣٤٥.

(٢) ابن عساكر: ٢٥٢/٣؛ البداية والنهاية: ١١/٨.

(٣) ابن عساكر: ٢٥٣/٣؛ دستور معالم الحِكَم، ص ٣٤٦.

الفصل الثالث

عبادتـه

علي رضي الله عنه أحد أولياء الله تعالى، العبَّاد الزهَّاد، المتقين القانتين، زيَّن أوقاته بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن والأذكار، وأقام عمادَ عبادته على ملازمة السُّنَّة، وطهَّر نفسَه ومالَه بالزكوات والصدقات؛ فكان مثالاً لصنعة النبوة.

أولاً: صلاتـه:

•• وكان إذا صلَّى ذكَّر الناسَ بصلاة النبي ﷺ في تمامها وكمالها وخشوعها، ويُقيم السنن الرواتب، ويحرص على النوافل ويُطيل فيها اقتداءً برسول الله ﷺ.

عن مُطرِّف بن عبد الله قال: (صليتُ خلْفَ علي بن أبي طالب أنا وعمران بن حُصَيْن، فكان إذا سجد كَبَّر، وإذا رفع رأسَه كَبَّر، وإذا نَهض من الركعتين كَبَّر. فلما قضَى الصلاة أخذ بيدِي عمرانُ بن حُصين فقال: قد ذكَّرَني هذا صلاة محمدٍ ﷺ)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٨٤، ٧٨٦)؛ ومسلم (٣٩٣)، وغيرهما.

وعن عُمر بن علي بن أبي طالب: (أنَّ عليّاً كان إذا سافر سار بعدما تغرب الشمس حتى تكادَ أن تُظْلِمَ، ثم ينزل فيصلِّي المغربَ، ثم يدعو بعَشَائه فيتعشَّى، ثم يصلي العشاءَ، ثم يرتحلُ، ويقول: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع)[1].

وكان يصلي قبل الظهر أربعاً، فعن حذيفة بن أَسِيد قال: (رأيتُ عليّاً إذا زالت الشمس صلَّى أربعاً طوالاً)[2].

وعن عطاء أبي محمد قال: (رأيتُ عليّاً يصلي الضحى في المسجد)[3].

●● وأما ما زعمه ابن المُطَهَّر الحِلِّي ومن سار على دربه: (أن عليّاً كان يصلي في ليله ونهاره ألفَ ركعة)[4] ؛ فكذبٌ سَمْج وهو من المُحال، فلو أن الركعة الواحدة استغرقت دقيقة واحدة فقط، لتطلَّبتْ صلاةُ (ألف ركعة) نحوَ (١٧ ساعة)! فماذا بقي لعليٍّ من اليوم لمعاشه وأهله وأمور الخلافة وشؤون الأمة؟!.

ومن هذا القَبيل قول محمد جواد مُغنيّة: (وعلمُ عليّ بالله ﷻ تماماً كعلمِ النبي، لا يختلِف عنه في شيء، ومن هنا كانت حالتُهما في الصلاة واحدة!)[5].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٣٤)؛ والنسائي في الكبرى (١٥٨٤)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١١٤٣). وصحّحه أحمد شاكر والألباني.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ١٠٦/٢.

(٣) حياة الصحابة: ١٤٧/٣؛ وانظر: طبقات ابن سعد: ٢٩/٣ـ٣٠.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٣٦٠/٤؛ وانظر ردَّ ابن تيمية: ٣٦٢/٤.

(٥) فضائل الإمام علي، ص ٤٧.

فهذا الكلام من أَبْطَلِ الباطل، ولا يخفى بطلانُه على أجهل الناس، فليس على وجه الأرض إنسانٌ مثلَ رسـول الله ﷺ في علمه بربه سبحانه وتعالى، ولا في صلاته وخشوعه وتبتله!.

ثانياً: حَجُّه:

حج عليٌّ مع أبي بكر سنة (٩هـ)، وذلك عن أمر النبي ﷺ، وأعلَن البراءة من المشركين كما تقدم.

وقـدِمَ رضي الله عنه من اليمن وحج مع رسـول الله ﷺ سـنة (١٠هـ) حِجّة الوداع[١].

وحـج بعد ذلك في عهـد الخلفاء الثلاثـة قبله، كما تشـير رواية الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: (أَفَضْتُ مع أبي من المزدلفة فلم أَزَلْ أسمعُه يلبِّي حتى رمى جَمْرة العَقَبة، فسـألته، فقال: أفضـتُ مع النبي ﷺ من المزدلفة فلم أزل أسمعه يلبي حتى رمى جمرة العقبة)[٢].

وكان إذا استلم الحجر الأسود يقول: (اللّهمَّ تصديقاً بكتابك وسُنَّة نبيك)[٣].

ولم يَحجَّ في أيام خلافته، حيث شـغلته الفتـن والحروب، فكان يُنيب على الموسم من يُقيم للناس حجَّهم ومناسكَهم.

---

(١) انظر ما تقدم: ص٨٧ وما بعدها، ٩٤ وما بعدها في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أحمد (٩١٥)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٥٤٦/٤.

ثالثاً: صَدَقاتُـه:

عاش علي مع رسول الله ﷺ حياة الزهد والتقشف والقناعة بالقليل، ولما جاءته الدنيا وكثرت أرزاقه، لم يمسك منها صفراء ولا بيضاء، بل أنفق الأموال وأوقف الأوقاف وبذل إحسانه للمحتاجين.

عن محمد بن كعب القُرَظي قال: سمعتُ عليّاً يقول: (لقد رأيتُني أَربط الحجر على بطني من شدة الجوع على عهد رسول الله ﷺ، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار)[1].

قال العلماء: لم يُرِدْ بقوله: (أربعون ألفاً) زكاةَ مالٍ يملكُه، وإنما أراد الوقوفَ التي تصدَّق بها وجعلها صدقةً جارية وكان الحاصلُ من غلّتها يبلغ هذا القدر، قالوا: ولم يدَّخرْ قطُّ مالاً يقارب هذا المبلغ[2].

عن عُبيد الله بن محمد بن عائشة قال: (وقف سائل على أمير المؤمنين علي، فقال للحسن أو للحسين: اذهَبْ إلى أمِّك فقل لها: تركتُ عندك ستة دراهم فهاتِ منها درهماً، فذهب ثم رجع فقال: قالت: إنما تركتَ ستة دراهم للدقيق! فقال علي: لا يَصْدُق إيمان عبد حتى يكونَ بما في يدِ الله أوثقَ منه بما في يده، قل لها: ابعثي بالستة دراهم، فبعثتْ بها إليه، فدَفَعها إلى السائل. قال: فما حَلَّ حَبْوَته حتى مرَّ به رجل معه جملٌ يبيعه، فقال علي: بكم الجمل؟ قال: بمئة وأربعين

(١) أخرجه أحمد (١٣٦٧، ١٣٦٨)؛ وأبو نعيم في الحلية: ١/٨٥ـ٨٦، وضعفه أحمد شاكر.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ١/٣٤٦؛ أسد الغابة: ٤/٢٤.

درهماً، فقال علي: اعقِلْه على أن نؤخِّرَك بثمنِه شيئاً، فعَقَله الرجل ومضى. ثم أقبل رجل فقال: لمن هذا البعير؟ فقال عليٌّ: لي، فقال: أتبيعُه؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بمئتي درهم، قال: قد ابتعتُه، قال: فأخذ البعير وأعطاه المئتين. فأعطى الرجلَ الذي أراد أن يؤخِّره مئةً وأربعين درهماً، وجاء بستين درهماً إلى فاطمة ، فقالت: ما هذا؟ قال: هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠])[1].

وأقطع أميرُ المؤمنين عمرُ علياً (يَنْبُعَ)، ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر أشياء، فحفر فيها عيناً، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثلُ عنق الجَزُور من الماء! فأُتِي علي وبُشِّر، فتصدَّق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرفَ الله تعالى بها وجْهَه عن النار ويصرف النار عن وجهه!.

وكتب في صدقته: هذا ما أَمر به علي بن أبي طالب وقضى في ماله: إني تصدقتُ بينبعَ ووادي القرى والأُذَيْنِبَة ورِعان في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، يُنفَق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود، وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يُباع ولا يُوهَب ولا يُورث حيّاً أنا أو ميتاً... فذلك الذي قضيتُ فيها بيني وبين الله عز وجل[2].

---

(١) حياة الصحابة: ٢/١٥٠ـ١٥١.

(٢) مصنف عبدالرزاق (١٩٤١٤)؛ المحلى: ٦/١٨٠.

رابعاً: تلاوتُه القرآنَ وأذكارُه وأدعيتُه واقتداؤه بالنبيِّ ﷺ:

وكان علي رضي الله عنه من صفوة الصفوة في تعبده بتلاوة كتاب الله، وملازمته الأذكار والأدعية التي علَّمه إياها النبي ﷺ، فلم يتركها في أقسى الظروف وأشدّ المِحن وهو في حروبه ليالي صِفِّين!.

عن سالم بن أبي الجَعْد قال: (كان علي إذا فرغ من وُضوئه قال: أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ربِّ اجعلْني من التوابين واجعلني من المتطهرين)[1].

وعن علي قال: (ما كنتُ أَرى أن أحداً يَعقِل ينامُ حتى يقرأَ هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة، وإنهن لمن كنز تحت العرش)[2].

وفي الحديث الذي علَّمه فيه النبيُّ ﷺ (التسبيح والتحميد والتكبير مئة مرة)، يقول علي: (فواللهِ ما تركتُهنَّ منذ علمنيهنَّ رسول الله ﷺ، فقال له ابنُ الكَوَّاء: ولا ليلةَ صِفِّين؟! فقال: قاتَلَكُم الله يا أهلَ العراق، نعم ولا ليلةَ صفِّين!)[3].

وروى عبدالله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب قال: (علَّمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولهنَّ عند الكَرْب إذا نزل بي، ما علّمتُهنَّ حسناً ولا حسيناً، خَصَصْتُك بهن، إذا كَرَبَك أمرٌ فقُلْ: «**لا إلٰه إلا الله الحليم الكريم سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين**»)[4].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ١/١٣.

(٢) سنن الدارمي (٣٣٨٤).

(٣) مسند أحمد (٨٣٨)؛ وتقدم الحديث بتمامه: ص ٧٩ في هذا الكتاب.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٦٢٦، ١٠٣٩٠)؛ وأحمد (٧٠١)، وصحَّحه أحمد شاكر.

وعن علي بن ربيعة قال: (شهدتُ عليّاً وأُتِي بدابَّة ليركبَها، فلما وضع رجلَه في الرِّكاب قال: باسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمدُ لله، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤]، ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمتُ نفسي فاغفِرْ لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكتَ؟ قال: رأيتُ النبي ﷺ فعل كما فعلتُ ثم ضحك، فقلتُ: يا رسول الله، من أي شيء ضحكتَ؟ قال: «**إن ربك يعجَبُ من عبده إذا قال: اغفِرْ لي ذُنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**»)[١].

وكان علي إذا رأى الهلالَ قال: (اللَّهمَّ إني أسأَلُك خيرَ هذا الشهر وفتحه ونصرَهُ وبركَته ورزقَه ونورَه وطُهره وهداه، وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما فيه وشرِّ ما بعده)[٢].

ومن أدعيته ومناجاته[٣]:

(إلٰهي، كَبِرت سنِّي، ودَقَّ عظْمي، ورَقَّ جِلْدي، ونالَ الدهر مني، واقترب أَجَلي، ونَفِدتْ أيامي، وذَهبتْ شهوتي، وبقيتْ تبعتي، وامْتَحتْ

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)؛ والترمذي (٣٧٤٩)، وغيرهما، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصحَّحه الألباني.

(٢) حياة الصحابة: ٣/٣٨٠.

(٣) انظر فصلاً مطولاً في: دستور معالم الحِكَم، ص ٣٠٩ـ٣٢٨.

محاسني، وبَلي جسمي، وتقطَّعتْ أوْصَالي، وتفرَّقتْ أعضائي - إلٰهي فارحمني)[١].

(إلٰهي، إن ذُنوبي قد أخافَتْني، ومحبَّتي لك قد أجارَتْني، فتَولَّ من أمري ما أنت أهلُه، وعُدْ بفضْلِك على مَنْ غَمَره جهلُه. يا مَنْ لا تخفى عليه خافية، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، واغفِرْ لي ما خَفِي عن الناس من أمري)[٢].

❁ ❁ ❁

(١) دستور معالم الحِكَم، ص ٣١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١٨.

الفصل الرابع

شمائلُه وأخلاقُه

مفتاح شمائل علي وعنوان أخلاقه لَخَّصها بكلام عبقري موجز أحدُ أصحابه الذين عاصروه وعاشوا معه وتربوا في كَنَفِه ونهلوا من مَعين خلقه ونُبْل صفاته وشِيَمِه. وهي كلمات رقيقة رفيعة جاءت عفوَ الخاطر؛ وَصَفتِ المخايلَ والمشاعر والميول والاتجاهات والأخلاق والشمائل والمَلَكات التي طُبع عليها علي ﷺ، فجاءت (قطعة بيانية بليغة صادقة)، مثَّلت الشهادة بالحق والصدق والشعور بالمسؤولية. وزاد من قيمتها وضوحُها وجرأتُها لأنها أُلقِيت بين يدي معاوية ﷺ، وجواباً على سؤاله وتلبية لطلبه!.

عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضِرار بن ضَمْرة الصُّدَائي: (صِفْ لي عليّاً، فقال: أَوَتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أُعفيك، قال: أما إذْ لا بدّ؛ فإنه والله كان بعيدَ المدى، شديدَ القوى، يقول فَصْلاً ويحكم عدلاً، يتفجَّر العلم من جوانبه، وتنطِق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظُلمته.

كان والله غزيرَ الدمعة، طويلَ الفكرة، يقلِّب كفَّه ويخاطِب نفسه، يُعجبه من اللباس ما خَشُن، ومن الطعام ما جَشُب.

كان والله كأحدنا؛ يُجيبنا إذا سـألناه، ويُدْنينـا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلِّمه هيبة له، ولا نبتديه لعِظَمِهِ! فإن تبسَّم فعَنْ مِثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظِّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يَطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيفُ من عدله.

وأشـهد بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُـدولَه وغارَتْ نجومه، وقد مَثُل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململُ تململَ السَّـليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسـمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنـا ـ يتضرع إليـه ـ ثم يقول: يـا دنيا يا دنيـا، أبِـي تعرَّضْتِ أم لي تشـوَّفْتِ؟! هيهات هيهات غُرِّي غيري، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيكِ، فعمرُكِ قصير، وعيشُـك حقير، وخطرُكِ يسير، آه آه من قلَّة الزاد، وبُعْدِ السفر، ووحشةِ الطريق!.

قـال: فذَرفَتْ دمـوعُ معاوية ﵁ حتـى جَرَت علـى لحيته فما يملكها، وهو ينشِّفها بكمِّهِ، وقد اختنق القوم بالبكاء! ثم قال معاوية: رحمَ الله أبا الحسـن، كان والله كذلك، فكيف حزنُك عليه يا ضرار؟ قال: حزنُ مَنْ ذُبح واحدُها في حِجْرها، فلا تَرْقأ عبرتُها، ولا يَسـكن حزنها)[1].

---

(١) الحليـة: ١/٨٤ ـ ٨٥؛ صفـة الصفـوة: ١/٣١٥ ـ ٣١٦؛ الاسـتيعـاب: ٣/٤٣ـ٤٤. ما جَشُب: ما خَشُن. السليم: الملدوغ. بتتك: طلقتك طلاقاً بائناً قاطعاً.

أولاً: زهدُه وطعامُه ولباسُه:

عاش علي ﷺ حياة الزهد مذ كان صغيراً في كَنَف النبي ﷺ، ونشأ على ذلك وشَبَّ عليه، وعندما تزوج ضَرب مع زوجته فاطمة أروعَ أمثلة النبل والتقلُّل من الدنيا، حتى إذا آلَتْ إليه الخلافة توَّج سيرته بنفس الهدي، فلم يَرْزَأ بيتَ مال المسلمين إلا بما يُقيم الأَوَد ويستُر الجسد، ويأكل الخشن ويلبس المرقوع، ويقول للدنيا: غري غيري!.

●● عن الحارث الأعور، عن علي قال: (أُهديتْ ابنةُ رسول الله ﷺ إليَّ، فما كان فراشُنا ليلة أُهدِيت إلا مَسْكَ كَبْشٍ)[1].

وروى عامر الشعبي، عن علي قال: (لقد تزوجتُ فاطمة بنت محمد ﷺ وما لي فراش غيرُ جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها)[2].

وحدَّث علي أنه لمَّا تزوج فاطمة كان يَستقي الماء حتى اشتكى صدره، وكانت فاطمة تطحن بالرحى حتى مَجَلَتْ يداها وظهر فيها ما يشبه البَثْر![3].

ويذكر والي (عُكْبَرا) أنه دخل على أمير المؤمنين عليٍّ، فوجده

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٤)؛ وأبو يعلى (٤٧١)، وضعفه الألباني. مَسْك كَبْش: جِلد كبش.

(٢) ابن عساكر: ٤٥٢/٢؛ حياة الصحابة: ٣٢٧/١.

(٣) انظر ما تقدم: ص٧٩ في هذا الكتاب.

جالساً وعنده قَدَح وكوز من ماء، فجاء بشـــيء من السَّوِيق فصَبَّ عليه الماء فشرب وسقى الوالي[١].

وعن شَـــريك العامري، عن علي: (أنه أُتي بفالُــوذَج، فوضع قدَّامه بين يديه، فقال: إنك طيِّب الريح، حسنُ اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعوِّدَ نفسي ما لم تَعْتَدْه)[٢].

●● وقال عبد الله بن أبي الهُذيل: (رأيــتُ على علي بن أبي طالب قميصاً رازيّاً؛ إذا أرخى كُمَّه بلغ أطراف أصابعــه، وإذا أطلَقه صار إلى الرسغ)[٣].

وعن عَمْرو بن قيس: (أن عليّاً رُئي عليه إزارٌ مرقوع، فقيل له! فقال: يخشع القلب، ويقتدي به المؤمن)[٤].

وعن مولــى لأبي غُصَيْن قــال: (رأيتُ عليّاً خــرج فأتى رجلاً من أصحاب الكَرَابيس، فقال له: عندك قميص سُــنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصاً، فلبســه فإذا هو إلى نصف ســاقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال: ما أرى إلا قدراً حســناً، بكم هــذا؟ قال: بأربعــة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلَّها من إزاره فدفعها إليه، ثم انطلق)[٥].

---

(١) الحلية: ١/٨٢؛ وسيأتي الخبر بتمامه: ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ في هذا الكتاب.

(٢) الحلية: ١/٨١؛ الزهد، لأحمد (٧٠٨). والفالوذج: نوع من الحلوى.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/٢٧ـ٢٨؛ الاستيعاب: ٣/٥١.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/٢٨؛ الحلية: ١/٨٣.

(٥) البداية والنهاية: ٨/٣؛ حياة الصحابة: ٢/٧١٠. **الكرابيس**: الثياب من القطن.

•• قال الحَسن بن صالح: تذاكَروا الزهَّاد عند عمر بن عبدالعزيز، فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبدالعزيز: أزهدُ الناس في الدنيا عليُّ بن أبي طالب)[١].

يعني أزهدَ الناس في زمانه، ومَن عَرف سِير الصحابة والمنقولَ الثابت من هديهم، علم يقيناً أن أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر[٢].

ثانياً: وَرَعُه:

الورع صِنْو الزهد وتوءمه، وهما من أنبل الشمائل التي يتصف بها الأكابر، ومَن أمعن الفكر في سير الخلفاء الراشدين الأربعة وأجلَّاء الصحابة، يجد أروعَ الأمثلة في النأي عن الشبهات، والتورع عما أُبيح لهم من أموال الأمة من رواتب وأَعْطيات، وعلى هذا السبيل مشى أمير المؤمنين علي.

•• عن أبي مطر البصري قال: (رأيتُ عليّاً مؤتزراً بإزار مرتدياً برداء، ومعه الدِّرَّة كأنه أعرابي بدوي، حتى بَلَغ سوق الكَرَابيس، فقال: يا شيخ، أَحسِنْ بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشترِ منه شيئاً. فأتى غلاماً حَدَثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم. ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهماً ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير

---

(١) ابن عساكر: ٣/٢٠٢_٢٠٣.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٤/٣٥٢_٣٥٤، ٣٥٩.

المؤمنين، فقال: ما شـأنُ هذا الدرهم؟ قال: كان ثمنُ القميص درهمين، فقال: باعني رِضاي وأَخذ رضاه)[١].

وقال أبو سـعيد الأَزْدِي: (رأيتُ عليّاً أتى السـوق فقـال: مَن عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجـل: عندي، فجاء به فأعجبه، قال: لعلّه خيرٌ مـن ذلك؟ قال: لا، ذاك ثمنهُ. قال: فرأيـتُ عليّاً يقرض رباط الدراهم من ثوبه، فأعطاه فلبسـه، فإذا هو يَفضُل عـن أطراف أصابعه، فأَمر به فقُطع ما فَضَل عن أطراف أصابعه)[٢].

ويروي فرُّوخ ـ مولى لبني الأشـتر ـ قال: (رأيـتُ عليّاً وأنا غلام، فقال: أتعرفُني؟ فقلت: نعم، أنت أمير المؤمنيـن، فتركني. ثم أتى آخرَ فقال: أتعرفُني؟ فقال: لا، فاشـترى منـه قميصاً زابيّاً، فلبسـه فمدَّ كُمَّ القميـص فإذا هو مع أصابعه، فقـال له: كُفَّه، فلما كفَّـه قال: الحمدُ لله الذي كسا علي بن أبي طالب)[٣].

ومن ورعه: ما رواه أبو جعفر الباقر قال: (أكل عليٌّ من تَمْرٍ دَقَل، ثم شـرب عليه من الماء، ثم ضرب على بطنه وقال: مَن أدخله بطنُه النار فأبعدَه الله! ثم تمثل:

فإنكَ مهمـا تُعْطِ بطْنَكَ سُـؤْلَه ... وفرجَكَ نالا مُنتهـى الذمِّ أجمعا)[٤]

---

(١) الزهد، لأحمد (٦٩٢)؛ صفة الصفوة: ٣١٧/١.

(٢) الحلية: ٨٣/١.

(٣) طبقات ابن سـعد: ٢٨/٣؛ ابن عسـاكر: ١٩٢/٣. **الزابي**: نسـبة إلى (الزاب)، ناحية بواسط.

(٤) حياة الصحابة: ٦٥١/٢. **الدَّقَل**: رديء التمر ويابسه.

وعن زاذان، عن علي: (عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَرك موضعَ شعرةٍ من جَسَده من جنابة لم يغسلْها؛ فَعل به كذا وكذا من النار**»! قال علي: فمِن ثَمَّ عاريتُ شعري. قال: وكان يَجُزُّ شعرَه)[1].

وتأمَّلْ هذا الموقف الذي رواه دِرهم أبو عُبيد المُحاربي قال: (رأيتُ عليّاً أصابتْه السماءُ وهو في السوق، فاستظلَّ بخيمة الفارسي، فجعل الفارسي يدفعه عن خيمته، وجعل علي يقول: إنما أستظلُّ من المطر! فأُخبِر الفارسي بعدُ أنه علي، فجعل يضرب صدره!)[2].

●● وأما ورعه عن أموال الأمة فشيء عجيب، من ذلك: ما رواه هارون بن عنترة، عن أبيه قال: (دخلت على علي بن أبي طالب بالخَوَرْنَق وعليه سَمَلُ قَطيفةٍ، وهو يُرْعَد من البرد! فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل بنفسك هذا؟! فقال: إي والله، لا أَرْزَؤكم من أموالكم شيئاً، وهذه هي القَطيفة التي أخرجتُها من بيتي، أو قال: من المدينة)[3].

وعن أبي عَمْرو بن العلاء، عن أبيه قال: (خطب علي فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو ما رَزَأْتُ من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ١/١٢٣؛ وأحمد (٧٢٧، ٧٩٤)؛ وابن ماجه (٥٩٩)، وصحَّحه أحمد شاكر، وضعفه الألباني.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٣٢١.

(٣) الحلية: ١/٨٢؛ الأموال، لأبي عبيد (٦٧١)؛ ابن عساكر: ٣/١٨١، ١٨٨. **الخورنق**: موضع بالكوفة. **القطيفة**: كساء له خَمْل. **السَّمَل**: الخَلَق من الثياب.

هذه. وأخرج قارورة من كُمِّ قميصه فيها طِيب، فقال: أهداها إليّ دِهْقان)[١].

وسيأتي مزيد لذلك في الحديث عن «دولة الخلافة وهدي علي في سياستها».

ثالثاً: تواضعُه:

أصحاب النفوس الكبيرة كلما ارتفعت منزلتهم واتسع سلطانهم، كانوا أعظم تواضعاً وألين جانباً وأسهل معاملة... وهكذا كان أمير المؤمنين علي.

روى صالح بياع الأكسية، عن جدَّته قالت: (رأيتُ عليّاً اشترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقالوا له: نحملُ عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل)[٢].

وعن صالح بن أبي الأسود، عمَّن حدثه: (أنه رأى عليّاً قد ركب حماراً ودلَّى رجلَيه إلى موضع واحد، ثم قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا)[٣].

وعن زيد بن وَهْب قال: (قدِم على عليٍّ وفد من أهل البصرة، وفيهم رجل من رؤوس الخوارج يُقال له: الجعد بن بَعْجة، فعاتبه في لُبوسه فقال: ما يمنعُك أن تلبس؟ فقال علي: ما لَكَ ولِلُبوسي! إن لُبوسي هذا أبعد من الكِبْر، وأجدرُ أن يقتدي به المسلم)[٤].

---

(١) الحلية: ١/٨١؛ ابن عساكر: ٣/١٨٤. ما رزأت: أي ما نقصت.

(٢) الأدب المفرد (٥٥١)؛ الزهد، لأحمد (٧١٠).

(٣) ابن عساكر: ٣/٢٠٢.

(٤) الزهد، لأحمد (٧٠٧)؛ الحلية: ١/٨٢-٨٣.

وقال أبو النوَّار بيـاع الكَرَابيس: (أتاني علي بـن أبي طالب ومعه غلامٌ له، فاشـترى مني قميصَـيْ كرابيس، ثم قال لغلامـه: اختَرْ أيهما شئتَ! فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر، فلَبسه ثم مدَّ يدَه ثم قال: اقطَعْ الذي يَفْضُل من قدْر يديّ. فقطعه وكَفَّه فلبسه ثم ذهب)[١]. وفي رواية أن الغلام هو (قنبر) مولى علي.

وعن صهيب مولى العباس قال: (رأيتُ علياً يقبّل يدَ العباس ورجليه)[٢].

رابعاً: جودُه وسخاؤُه:

عن علي قال: (ما أدري أيُّ النعمتين أعظمُ علَيّ مِنَّةً: من رجل بَذل مُصَاصَ وجهه إليّ فرآني موضعاً لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسَّـره على يديَّ. ولأَنْ أقضي لامرئ مسـلم حاجة أحبُّ إليّ من ملْءِ الأرض ذهباً وفضة!)[٣].

وروى محمد ابن الحنفيّة، عن أبيـه علي رضي الله عنه قال: (لأَنْ أجمعَ نفراً من إخواني على صاع أو صاعين من طعام؛ أحبُّ إليّ من أن أَخرج إلى سوقكم فأُعتِق رقبة)[٤].

---

(١) الزهد، لأحمد (٧٠٩)؛ وبأخصر منه في صفة الصفوة: ٣١٨/١.

(٢) الأدب المفرد (٩٧٦)؛ وذكره الذهبي في (سـير أعلام النبـلاء: ٩٤/٢) وقال: إسناده حسن، وصهيب لا أعرفه! وهذا عجيب من الذهبي كيف يحسن إسناده وصهيب مجهول. وهذا الحديث ضعفه الألباني، وأما الدكتور علي الصلابي، في كتابه (علي، ص ٢٦٤) فقال: إسناده صحيح! ولا أدري من أين له هذا؟!.

(٣) حياة الصحابة: ٤٣٦/٢.

(٤) الأدب المفرد (٥٦٦).

وحسبك أنه وَقَف أرضَه بيَنْبُع وغيرها، وقد بلغت أوقافه (٤٠ ألف دينار) كما تقدَّم.

خامساً: حياؤه وعفتُه وغيرتُه وبشاشتُه:

وهذه الشمائل الكريمة من جملة ما تحلَّى به علي ﵁، وقد شهدتْ وقائع حياته مصداقها في ساعات الشدة والرخاء، ومع الصديق والعدو، وعبَّر عن ذلك بكلمة عبقرية قال فيها: (إني لأَستحيي من الله أن يكون ذَنْبٌ أعظمَ من عفوي، أو جهلٌ أعظمَ من حِلْمي، أو عورةٌ لا يُواريها سَتْري، أو خَلَّة لا يَسدُّها جُودي)[1].

وبلَغ الحياءُ بعليٍّ أنه تحرَّج من سؤال النبي ﷺ عن حُكْم المَذي، لمكان السيدة فاطمة ﵂[2].

وفي غزوة الخندق لمَّا قَتل عمرَو بن عبد وُدّ لم يَسلبْه دِرْعَه، وقال في سبب ذلك: اتقاني بسوءته، فاستحييتُ أن أسلبَه!.

وهكذا فعل في غزوة أُحُد مع حامل لواء المشركين[3].

ومما يعبِّر عن غَيْرة علي ما جاء عنه في قوله مخاطباً بعض الرعية: (أَلَم يبلغْني عن نسائكم أنهن يُزاحمن العلوجَ في الأسواق، ألا تغارون؟! من لم يغر فلا خير فيه)[4].

---

(١) دستور معالم الحِكَم، ص ٢٩٢.

(٢) انظر ما تقدم: ص٨٣ حاشية (٢)، في هذا الكتاب.

(٣) انظر ما تقدم: ص١٠٩، ١٠٣، في هذا الكتاب.

(٤) حياة الصحابة: ٢/٦٤٠.

وكان ودوداً بشوشاً، وقد جاء في وصفه: كان حسنَ الوجه، ضحوكَ السنّ، خفيفَ المشي على الأرض[١].

سادساً: مقارنةُ العلمِ بالعمل:

وقد نهض أميـر المؤمنين علي بأعباء العلـم والعمل، وكان يقول: (إذا أتى علَيَّ يوم لا أزداد فيه عملاً يقرّبني إلـى الله، فلا بُورِك لي في طلوع شمس ذلك اليوم!)[٢].

وأوصى أصحابـه فقال: (كونـوا لِقَبول العمل أشـدَّ اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يَقِلَّ عملٌ مع التقوى، وكيف يَقلُّ عملٌ يُتقبَّل؟!)[٣].

ونصح حَملَة القـرآن والعلماءَ وطلبة العلم فقـال: (يا حَمَلة القرآنِ اعملوا به، فإنما العالم مَنْ عَلِم ثم عَمِل بما علم)[٤].

وتقدمت أمثلة كثيرة عن ملازمته السُّنَّة واقتدائه بالنبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٠/٥٨٥.

(٣) الحلية: ١/٧٥؛ ابن عساكر: ٣/٢٣٠.

(٤) ابن عساكر: ٣/٢٢٨؛ وتقدم بتمامه: ص ١٨١ ـ ١٨٢ في هذا الكتاب.

الباب الرابع

فضائلُ عليٍّ ومكانَتُه

- ما نزلَ مِنَ القرآنِ الكريمِ.
- المبشَّر بالجنَّة.
- مكانته عند النبيِّ ﷺ.
- مناقبه وخصائصه.
- منزلته عند الصَّحابة وفي قلوب الأُمَّة.
- الغلوُّ في عليٍّ، ومكانته بين الإفراط والتفريط.

• • •



تمهيد

انعقد الإجماع بين أهل السُّنَّة على أن ترتيب الخلفاء الراشدين الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة[1].

وأَوْعَبُ من جمع مناقبَ علي من الأحاديث الجياد الإمامُ النَّسائي في كتابه «خصائص علي». وقد اختَلَق الكذابون والمتروكون والرافضة أحاديثَ كثيرة جدّاً موضوعة وواهية؛ زعموا أنها جاءت في مناقب علي، وفَضَّلوه على كافة الصحابة حتى على الشيخين أبي بكر وعمر، وشوَّهوا سيرته بما يتبرأ هو منه ويتنزه عنه.

ونورد في هذا الباب أخباراً كثيرة ومباحثَ مهمة تدل على منزلته السامقة ومكانته الرفيعة، مما صَحَّ سندُه واستقام مَتْنُه، وننبِّه أيضاً على كثير من الأكاذيب والفِرى التي شوَّهت سيرته في هذا الباب.

* * *

(١) انظر: جامع بيان العلم: ٢/٢٢٥ـ٢٢٩؛ الفتح: ٨/٦٠٣ (٣٦٧١)؛ كتب مصطلح الحديث: (النوع ٣٩)؛ فتح المغيث، للسخاوي: ٤/١١٠ـ١١٨.

الفصل الأول

ما نزلَ فيه مِنَ القرآنِ الكريم

١ ـ عن قيس بن عُبَاد قال: (سمعت أبا ذَرّ يُقْسِم قَسَماً: إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في الذين برزوا يومَ بَدْر: حمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث، وعُتْبة وشَيْبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة)(١).

٢ ـ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: (خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شعرٍ أسودَ، فجاء الحسن بن علي فأدخَله، ثم جاء الحسين فدَخَل معه، ثم جاءت فاطمة فأَدْخَلَها، ثم جاء علي فأدخَله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])(٢).

٣ ـ وعن عُمر بن أبي سَلَمة رَبيبِ النبي ﷺ قال: (لمّا نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ

(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٦، ٣٩٦٩)؛ ومسلم (٣٠٣٣) وغيرهما. وتقدم من حديث علي: ص١٠٦ ـ ١٠٧ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٢٤). مرط مرحل: كساء مخطط.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سَلَمة، فدَعَا فاطمةَ وحسناً وحسيناً فَجَلَّلَهُم بِكسَاءٍ، وعليٌّ خلْفَ ظهره فجَلَّله بكساءٍ، ثم قال: «**اللَّهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي، فأَذْهِبْ عنهم الرجْسَ، وطَهِّرْهم تطهيراً**» قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبيَّ الله؟ قال: «**أنتِ على مكانِكِ وأنتِ على خيرٍ**»)[١].

وقوله ﷺ لأم سلمة: «**أنت على مكانك وأنت على خير**»؛ معناه: أنتِ خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي، ولا حاجةَ لك في الدخول تحت الكساء، كأنه مَنَعها من ذلك لمكان علي[٢].

وأزواج النبي ﷺ من أهل البيت قطعاً لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣]، وسياق الآيات صريح في أن الآية إنما وردت في أمهات المؤمنين، ومن تأمل في ما سبقها من الآيات لم يشك في ذلك[٣].

٤ ـ ومن حديث سعد بن أبي وقّاص في ذِكْر مناقب علي، قال سعد: (ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ...﴾ [آل عمران: ٦١]؛ دعا رسولُ الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلي**»)[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣، ٤١٢١)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٧١)، وصحَّحه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) تحفة الأحوذي: ١٨٨/٨.

(٣) انظر: تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥، وفيه كلام نفيس.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)؛ والترمذي (٣٢٤٤، ٤٠٥٨). وانظر كلام ابن تيمية على الآية والحديث في: منهاج السُّنَّة: ١٣٦/٤ـ١٤٠.

وهذه الأحاديث الأربعة فيها مناقب ظاهرة لعليٍّ، لكنها ليست من خصائصه، فقد شاركه فيها غيره[١].

ولم يَصحَّ خبر واحد بأنه نزل قرآن في علي خاصة؛ قال ابن كثير: (ولم ينزل في علي شيء من القرآن بخصوصيته. وكل ما يروونه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي ـ لا يَصحّ شيء منها).

(وما روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل في أحدٍ من الناس ما نزل في علي. وفي رواية عنه: أنه قال: نزل فيه ثلاث مئة آية ـ فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا)[٢].

والخبر عن ابن عباس رواه ابن عساكر: عن جُوَيبر بن سعيد، عن الضَّحاك بن مُزاحم، عن ابن عباس قال: (نزل في علي ثلاث مئة آية)[٣].

وهو خبر واهٍ لا يُشتغل به، جُويبر: متروك، ليس بشيء.

وقد ساق ابن عساكر ـ غفر الله له ـ في ترجمة علي في «هذا الباب» أخباراً كثيرة باطلة وموضوعة[٤].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٢١١ـ٢١٢، ٢٢٩، ٤/١٠٣ـ١٠٧.

(٢) البداية والنهاية: ٧/٣٥٨ـ٣٥٩.

(٣) ابن عساكر: ٢/٤٣١.

(٤) انظر: ابن عساكر: ٢/٤٠٩ ـ ٤٣١.

وأورد ابن المُطَهَّـر الحِلِّي (أربعيـن دليلاً من القـرآن)، ذكر فيها الآيات التي نزلـت ـ بزعمه ـ بحق علي ومناقبه، وأنـه إمام الأمة بعد النبي ﷺ.

وقد أَطْنَـب ابن تيمية في الرد عليه، وتنـاول تلك المزاعم ونقدها سنداً ومتناً بكلام نفيس جدّاً استغرق زهاء (١٨٠) صفحة[1]!.

❁ ❁ ❁

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٦٥ـ٢٤٢.

الفصل الثاني

المُبَشَّر بالجَنَّـة

١ ـ عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقّاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنة**»[1].

٢ ـ وعن عبدالرحمن بن الأخنس: (أنه كان في المسجد، فذَكَر رجلٌ عليّاً، فقام سعيد بن زيد فقال: أشهدُ على رسول الله ﷺ أني سمعتُه وهو يقول: «**عشرةٌ في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت لسميتُ العاشرَ، قال: فقالوا: مَنْ هو؟ فسَكَتَ، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو **سعيد ابن زيد**).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٨٠)؛ والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)؛ وأحمد (١٦٧٥)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

زاد في رواية: (لمشهدُ رجل منهم مع رسول الله ﷺ يُغَبِّر فيه وجْهَه خيرٌ من عملِ أحدِكم عُمرَه ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوح!)[١].

والرجل الذي سَبَّ عليّاً جاء مسمًّى صريحاً وهو: (قيس بن علقمة)[٢]، وكان ذلك في مجلس المغيرة بن شعبة، هذا هو الصحيح، وليس الذي سَبّ هو المغيرة كما جاء في بعض الروايات.

٣ ـ وعن علي قال: (زارنا رسول الله ﷺ فباتَ عندنا، والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن، فقام رسول الله ﷺ إلى قِرْبة لنا فجعل يعصرها في القَدَح ثم يسقيه، فتناوله الحسين ليشربَ فمَنَعَه وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنه أحبُّهما إليك؟ فقال: «**لا، ولكنه استسقى أول مرة**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي وإياكِ وهذين وهذا الراقدَ ـ يعني عليّاً ـ يوم القيامة في مكان واحد**»)[٣].

٤ ـ وعن علي أيضاً: أن النبيَّ ﷺ قال له: «**يا عليّ، إنَّ لك كنزاً في الجنة، وإنك ذو قَرْنَيْها، فلا تُتْبع النظرةَ النظرةَ، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)؛ والترمذي (٤٠٨١)؛ وابن ماجه (١٣٣)؛ وأحمد (١٦٢٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨١٣٧، ٨١٣٩)، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٢) انظر: سنن أبي داود (٤٦٥٠)؛ والسُّنَّة، لابن أبي عاصم (١٤٣٦).

(٣) أخرجه الطيالسي (١٩٠)؛ وابن أبي عاصم (١٣٢٢)؛ والطبراني (٢٦٢٢)؛ وذكره الألباني في الصحيحة (٣٣١٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٣٧٣)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٨٦٥)؛ وابن حبان (٥٥٧٠)؛ والحاكم: ١٢٣/٣، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه أحمد شاكر.

ذو قرنيها: أي طرَفَي الجنة وجانبيها. وقيل غير ذلك.

٥ ـ وعن جابر بن عبدالله قال: (مشيتُ مع رسول الله ﷺ إلى امرأةٍ من الأنصار، فذَبحتْ لنا شاةً، فقال رسول الله ﷺ: «**لَيَدخُلَنَّ رجل من أهل الجنة**» فدخل أبو بكر. فقال: «**لَيدخُلَنَّ رجل من أهل الجنة**» فدخل عمر. فقال: «**لَيدخُلَنَّ رجل من أهل الجنة، اللَّهمَّ إنْ شئتَ فاجعَلْه عليّاً**» فدخل علي)[1].

٦ ـ وعن عبدالله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**القائمُ بعدي في الجنة، والذي يقوم بعده في الجنة، والثالث والرابع في الجنة**»[2].

* * *

---

(١) أخرجه أحمد: ٣٨٧/٣ (١٥١٤٣)؛ وابن أبي عاصم (١٤٥٦)؛ والحاكم: ١٣٦/٣ وصحَّحه ووافقه الذهبي؛ وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام «عهد الراشدين»، ص٦٣٦ وقال: حديث حسن.

(٢) أخرجه الفسوي: ١٩٧/٣؛ وصحَّحه الألباني بشواهده: الصحيحة (٢٣١٩)؛ صحيح الجامع الصغير (٤٤٣٥).

الفصل الثالث

مكانتُه عندَ النبيِّ ﷺ

يتبوَّأ سيدنا علي مكانة سـامقة عند رسول الله ﷺ، وله من قلبه المحلُّ الرفيع والمحبـة البالغة والقربى القريبة والنشـأة في حِجْره وتربيته على عينه، وزاد من ذلك إصهـارُه إليه على أحبِّ بناته إلى قلبه. ولقد قرَّبه النبي ﷺ إليه وأدناه منه وألقى عليه الكسـاء وحث الأمة على محبتـه وموالاته ونهاهم أشـدَّ النهي عن مشـاقته أو الإساءة إليه.

لكن لا يجوز لنا أن نُغالي فيـه ونرفعه فوق المنزلة التـي أنزله إياها رسول الله ﷺ، فمرتبتُه بعد الشيخين العظيمين أبي بكر وعمر عند النبي ﷺ وعند الأمة في المحبة والتفضيل والتقديم وعامة الفضائل في خدمة الإسلام ونصرته والأعمـال الجليلـة، فَضْلاً عن السـوابق والمناقب التـي أثبتتها الأحاديث الصحيحة وشهدَتْها أيامُ عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

وقد تواتر عن عليٍّ: أنه قـال على منبر الكوفة في أيام خلافته ودار إمارته: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر[1].

---

(١) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٦٢ـ٣٦٦.

١ ـ عن سعد بن أبي وقّاص قال: (خَلَّفَ رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب في غزوة تبوكَ، فقال: يا رسول الله، تُخَلِّفُني في النساءِ والصِّبيانِ؟ فقال: «**أَمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بَعْدِي**»!)[1].

٢ ـ وفي «قصة غَدير خُمّ» من حديث زيد بن أرقم قال: (لمَّا رجَعَ رسول الله ﷺ من حَجَّة الوداع، ونزلَ غَدِيرَ خُمّ... أخذ بيدِ عليٍّ فقال: «**مَنْ كنتُ وليُّه فهذا وليُّه، اللَّهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»).

وهو حديث صحيح جدّاً، والفصل الأول منه متواتر، وقد ذكرنا عدة روايات له، وأوضحنا مدلوله فيما سبق[2].

٣ ـ وعن البَرَاء بن عازِب قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «**أنت منِّي، وأنا منكَ**». والحديث فيه قصة طويلة[3].

٤ ـ وعن حُبْشِيِّ بن جُنَادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليٌّ منِّي وأنا من عَليٍّ، ولا يُؤدِّي عنِّي إلا أنا أو عليٌّ**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم وغيره، وانظر ما تقدم: ص٨٦ ـ ٨٧، حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) انظر ما سبق: ص٩٦ـ١٠٢ في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٩)؛ والترمذي (٤٠٤٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٠١)، وغيرهم.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٩١)؛ وابن ماجه (١١٩)؛ والترمذي (٤٠٥٣) وقال: حسن غريب صحيح، وحسنه الألباني.

وهو حديث حسن، ولا وجهَ لتضعيفه كما ذهب إليه الشيخ شعيب الأرنؤوط، ولا لتكذيبه كما فعل ابن تيمية، وجملةُ «**لا يؤدِّي عني**» كانت لواقعة محدَّدة هي إعلانُ البراءة إلى المشركين، كما أوضحناه مفصلاً[١].

٥ ـ وعن البَرَاء بن عازب قال: (بعث النبي ﷺ جيشين، وأَمَّر على أحدهما عليَّ بن أبي طالب وعلى الآخر خالدَ بن الوليد، وقال: «**إذا كان القتالُ فعليٌّ**» قال: فافتتح عليٌّ حِصْناً، فأخذ منه جاريةً، فكتب معي خالدٌ كتاباً إلى النبي ﷺ يَشِي به. قال: فقدِمتُ على النبي ﷺ، فقرأ الكتابَ، فتغيَّر لونُه، ثم قال: «**ما ترى في رجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه؟!**» قال: قلت: أعوذُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسولٌ. فسكَتَ)[٢].

وللحديث قصة رواها أيضاً بُريدة بن الحُصَيب وعمران بن حُصَيْن، وقد شرحناها مفصلة[٣].

٦ ـ وذات يوم غاضَبَ عليٌّ زوجَه فاطمة، فترك البيت وأوى إلى المسجد، فذهب إليه النبي ﷺ وجاء (وهو مُضْطجع قد سَقَط رداؤه عن شِقِّه وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يَمسحُه عنه ويقول: «**قُمْ أبا ترابٍ، قُمْ أبا ترابٍ!**»)[٤].

---

(١) انظر ما تقدم: ص٨٧ـ٩١ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٩٩، ٤٠٥٩) وحسنه؛ وحسنه شعيب الأرنؤوط؛ وأصله في البخاري. انظر ما تقدم: ص٩١ ـ ٩٢ حاشية (١)، في هذا الكتاب.

(٣) انظر: ص٩٢ـ٩٣ في هذا الكتاب.

(٤) تقدم الحديث بتمامه: ص٨١، حاشية (٢)، في هذا الكتاب.

٧ ـ وفي حديث طويل في زواج السيدة فاطمة ، قال لها رسول الله ﷺ : «**يا فاطمةُ، إنِّي لم آلُ أن أنكحتُكِ أحَبَّ أهلي إليَّ**»[١].

٨ ـ وعن سَعْد بن عُبيدة قال: (جاء رجل إلى ابن عُمر فسَأَله عن عثمانَ، فذَكَر عن محاسنِ عملهِ، قال: لعلَّ ذاك يَسوءُك؟! قال: نعم، قال: فأَرْغَم الله بأنْفِك. ثم سأله عن عليٍّ، فذَكَر محاسنَ عمله، قال: هو ذاك بيتُه أوسطُ بيوت النبي ﷺ. ثم قال: لعلَّ ذاك يسوءُك؟! قال: أَجَلْ، قال: فأَرْغَم الله بأنفِك، انطلِقْ فاجْهَدْ عليَّ جَهْدَك)[٢].

وتقدمتْ أحاديث أخرى في فصل (في رحاب النبوة).

❁ ❁ ❁

(١) المطالب العالية (١٥٧٤)، وتقدم بطوله: ص ٧٤ ـ ٧٥ في هذا الكتاب.
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٣٧).

الفصل الرابع

مناقبُه وخصائصُه

مناقب علي رضي الله عنه كثيرة جليلة، رواها أعلام الصحابة الكرام، وهي مسطورة في الصِّحَاح والسنن والمسانيد، وأفردها بعضهم بالتصنيف كما فعل الإمام أحمد والنسائي، وفيها الصحيح والحسن والضعيف والباطل والموضوع، ونشير في هذا الفصل ـ إضافة إلى ما تقدم ـ إلى أنواع أخرى من مناقبه وخصائصه:

١ ـ عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: «**لأَدفَعنَّ الرايةَ اليومَ إلى رجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» فتطاوَلَ القوم، فقال: «**أينَ عليٌّ؟**» قالوا: يشتكي عينَيْه، فدَعَا به، فبَزَق نبي الله ﷺ في كفَّيْهِ، ثم مسح بهما عينَي عليٍّ، ودَفَع إليه الرايةَ، ففَتح الله عليه يومئذٍ)[1].

وقد رواه أكثر من عشرة من الصحابة[2].

قال ابن تيمية: في ذلك شهادةُ النبي ﷺ لعليٍّ بإيمانه باطناً وظاهراً[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٥)، وغيرهما.

(٢) انظر ما تقدم: ص١١٦ ـ ١١٧ في هذا الكتاب.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣/٢٣٠.

وقال الحافظ ابن حجر: (في الحديث تلميحٌ بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فكأنه أشار إلى أن علياً تامّ الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصفَ بصفةِ محبَّة الله له، ولهذا كانت محبتُه علامةَ الإيمان وبُغْضُه علامةَ النفاق)[١].

٢ ـ وعن علي قال: (والذي فَلَق الحَبَّةَ وبَرأَ النَّسمةَ؛ إنه لعهدُ النبيِّ الأُميِّ ﷺ إليَّ: «**أنْ لا يُحِبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُني إلا منافقٌ**»)[٢].

قال الشيخ العلّامة شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «سنن الترمذي»: (وجدتُ في هامش الأصل الخطي لـ«سير أعلام النبلاء» في الإجابة على استشكال الذهبي هذا الحديث ما نصّه: المرادُ: لا يُحبُّك الحبَّ الشرعيَّ المعتدَّ به عند الله تعالى، أما الحبُّ المتضمِّن لتلك البلايا والمصائب، فلا عبرةَ به، بل هو وبالٌ على صاحبه كما أحبَّ النصارى المسيحَ)[٣]. يعني كما هو حال الرافضة في مزاعمهم حبَّ علي وما يفترونه له وعليه!.

٣ ـ وعن أبي هريرة: (أن النبي ﷺ صعِدَ حِراءَ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرَّك بهم الجبلُ، فقال رسول الله ﷺ: «**اسكُنْ حِراءُ، فإنما عليك نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدٌ**»)[٤].

٤ ـ وعن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عليُّ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ إذا قلتهنَّ غُفِر لكَ، مع أنه مغفورٌ لك...**» الحديث[٥].

---

(١) الفتح: ٨/٦٦٤ (٣٧٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨)؛ والترمذي (٤٠٦٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٧)، وغيرهم.

(٣) سنن الترمذي: ٦/٣٠٤، تعليقه على الحديث (٤٠٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤١٧)؛ والترمذي (٤٠٢٩)؛ وابن حبان (٦٩٨٣)، وغيرهم.

(٥) أخرجه أحمد وغيره، وقد تقدم بتمامه: ص٨٣ ـ ٨٤، حاشية (١)، في هذا الكتاب.

٥ ـ وعن ابن عباس قال: (قال النبي ﷺ لعليٍّ: «**أَمَا إنكَ ستَلْقَى بعدي جَهْداً**» قال: في سلامةٍ من ديني؟ قال: «**في سلامة من دِينك**»)[١].

٦ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ منكم مَنْ يُقاتِلُ على تأويلِ القرآن كما قاتلتُ على تنزيله**» قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «**لا**» قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكنْ خاصِفُ النَّعْل**» قال: وكان أعطَى عليّاً نَعْلاً يَخْصِفُه)[٢].

•• كلمة في خصائص علي:

صنَّف الإمام الحافظ النَّسائي كتاب «خصائص علي»، وهو كتاب جليل القدر، أورد فيه (١٩٤) حديثاً بالمكرر، فيها الصحيح والحسن والضعيف بل والباطل الموضوع! ولو أن النسائي سمَّاه «مناقب أو فضائل علي» لكان أحسنَ وأصَحَّ؛ فكثير جدّاً مما أورده ليس من خصائص علي بل قد شاركه غيره في كثير منها، يظهر ذلك بالتأمل والمقارنة، وقد نبَّه على كثير من ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال ابن تيمية: (إن فضائل علي الثابتة عامتها مشترَكة بينه وبين غيره، بخلاف فضائل أبي بكر وعمر فإن عامتها خصائص لم يُشارَكا فيها)[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم: ١٤٠/٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٤٨٨)؛ وأحمد (١١٢٥٨)؛ وابن حبان (٦٩٣٧)؛ والحاكم: ١٢٢/٣ـ١٢٣، وغيرهم، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني. وانظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١٣٧/٢.

(٣) منهاج السُّنَّة: ١٦٧/٤.

وقال: (والذي في «الصحيح» ـ من فضائل علي ـ ليس من خصائص علي، بل قد شاركَه فيه غيرُه؛ مثل كونه يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه الله ورسوله، ومثل استخلافه وكونه منه بمنزلة هارون من موسى، ومثل كون علي مولى مَن النبيُّ ﷺ مولاه فإن كل مؤمن موالٍ لله ورسوله، ومثل كون (براءة) لا يبلِّغها إلا رجل من بني هاشم فإن هذا يشترك فيه جميع الهاشميين)[1].

وقال الحافظ في معنى حديث «**آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنصار**»[2]: (وخُصُّوا بهذه المَنْقَبة العظمى لِما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومَن معه، والقيامِ بأمرهم، ومواساتِهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارِهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم... فلهذا جاء التحذيرُ من بُغْضِهم والترغيبُ في حبِّهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظيم فَضْلهم، وتنبيهاً على كريم فِعْلهم، وإن كان مَنْ شارَكَهم في معنى ذلك مشارِكاً لهم في الفضل المذكور كلٌّ بقِسْطِه. وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن علي: أن النبي ﷺ قال له: «**لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق**» وهذا جارٍ باطِّراد في أعيانِ الصحابة، لتحقق مشترَك الإكرام، لِما لهم من حُسْن الغَنَاء في الدين)[3].

* * *

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٢٢٤/٣. وانظر: ٢٠٧/٣ـ٢٠٨، ٢١١ ـ ٢١٢، ٢١٥، ٢١٨، ١٥٤/٤ ـ ١٥٥، ٢٨٥.

(٢) البخاري (١٧)؛ ومسلم (٧٤).

(٣) الفتح: ١٤١/١ـ١٤٢؛ ونحوه قول ابن تيمية في منهاج السُّنَّة: ١٥٥/٤.

الفصل الخامس

منزلته عند الصحابة وفي قلوب الأمة

١ ـ عن سعد بن أبي وقّاص قال: (أَمَر معاويةُ بن أبي سفيان سعداً فقال: ما مَنَعَك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟ فقال: أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالَهنَّ له رسولُ الله ﷺ فلن أَسُبَّه، لأَنْ تكونَ لي واحدةٌ منهن أَحَبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَمِ:

سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول له، خَلَّفَه في بعضِ مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول الله، خلَّفْتَني مع النساء والصِّبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**أَمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوَّةَ بعدِي**».

وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأُعطينَّ الرايةَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» قال: فتطاوَلْنا لها، فقال: «**ادْعُوا لي عليّاً**» فأُتِي به أرمدَ، فبَصَقَ في عينِه، ودَفع الراية إليه، ففَتَح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلي**»)[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٣٤٢)؛ والترمذي (٤٠٥٨).

وكلمة السبِّ تُستعمل في القرون الأولى بمعنى الملامة والتخطئة:

ففي «صحيح مسلم»: أن رسول الله ﷺ مَنَع رفقتَه من الشرب من عَيْن تبوك قبل أن يصل إليها النبي ﷺ، ثم سبقه رجلان إليها، (فسألَهما رسول الله ﷺ: «**هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً؟**» قالا: نعم، فسبَّهما النبي ﷺ)[1]. وظاهرٌ أن السبَّ هاهنا ليس بمعنى الإقذاع في الكلام، وإنما هو بمعنى الملامة والتخطئة.

وقد أخرج البخاري في مناقب علي: (أن رجلاً جاء إلى سَهْل بن سعد فقال: هذا فلان ـ لأميرِ المدينة ـ يدعو عليّاً عند المنبر)، وفي رواية الطبراني: (يدعوك لتسبَّ عليّاً)، فقال سهل بن سعد: (فيقول ماذا؟ قال: يقول له: أبو تراب!)[2]. فقد أُطلقت كلمة السب هنا على مجرد تلقيب علي ﷺ بأبي تراب.

فما ذُكِر عن معاوية ﷺ في الحديث المتقدم لا يدل على أنه كان يحب أن يُسَبَّ عليٌّ ﷺ بالإقذاع في الكلام في حقه، وإنما المقصود تخطئته بإزاء موقف معاوية ﷺ، وملامته بذلك[3].

٢ ـ وعن سعد بن عُبيدة قال: (جاء رجلٌ إلى ابن عُمر فسأله عن عليٍّ، فقال: لا تَسَلْ عن علي ولكن انظُرْ إلى بيته من بيوت النبي ﷺ! قال: فإني أُبْغِضُه، قال: أَبْغَضَك الله)[4].

---

(١) صحيح مسلم (٧٠٦)، عقب الحديث (٢٢٨١).

(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٣).

(٣) تكملة فتح الملهم: ٥/٥٦؛ شرح مسلم، للنووي: ٨/١٩٣.

(٤) السنن الكبرى، للنسائي (٨٤٣٨)، وتقدمت رواية أخرى: ص٢٢٨ في هذا الكتاب.

٣ ـ وعن مصعب بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه سعد: (أن رجلاً نالَ من علي ﷺ، فدَعَا عليه سعدُ بن مالك[١]، فجاءته ناقةٌ ـ أو: جملٌ ـ فقَتَلَه، فأَعْتقَ سعد نَسَمة، وحَلَف أن لا يدعوَ على أحد!)[٢].

٤ ـ وعن رياح بن الحارث: (أن المُغيرة بن شُعبة كان في المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاءه رجل يُدعى سعيدَ بن زيد، فحيَّاه المغيرة وأجلسه عند رجلَيْه على السرير، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرةَ فَسَبَّ وسبَّ، فقال: مَن يَسُبُّ هذا يا مغيرةُ؟ قال: يَسبُّ عليَّ بن أبي طالب! قال: يا مغيرَ بن شُعْبَ، يا مغيرَ بن شُعْبَ ـ ثلاثاً ـ أَلَا أسمعُ أصحابَ رسول الله ﷺ يُسَبُّون عندك لا تُنكِرُ ولا تُغيِّر؟! فأنا أشهدُ على رسول الله ﷺ بما سمعتْ أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ، فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألُني عنه إذا لقيتُه؛ أنه قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة،...**») الحديث[٣].

٥ ـ وعن عبدالله بن عُمر قال: (كنا نقول في زمن النبي ﷺ: رسول الله خيرُ الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر. ولقد أوتي ابنُ أبي طالب ثلاثَ خِصالٍ؛ لأَنْ تكونَ لي واحدةٌ منهنَّ أَحَبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم: زوَّجه رسول الله ﷺ ابنتَه وولدتْ له، وسَدَّ الأبوابَ إلا بابَه في المسجد، وأعطاه الرايةَ يومَ خيبر)[٤].

---

(١) هو سعد بن أبي وقّاص، وكان مُجاب الدعوة.
(٢) أخرجه الحاكم: ٣/٤٩٩، ومن طريق آخر: ٣/٤٩٩ ـ ٥٠٠، وصحَّحه وأقره الذهبي.
(٣) أخرجه أحمد (١٦٢٩)، وقد تقدم: ص٢٢٢، رقم (٢)، في هذا الكتاب.
(٤) أخرجه أحمد (٤٧٩٨)؛ وابن أبي عاصم (١١٩٩)، وقال الألباني: إسناده جيد.

٦ ـ وعن زياد بن أبي زياد قال: (سمعتُ عليَّ بن أبي طالب يَنْشُدُ الناسَ فقال: أَنْشُد اللهَ رجلاً مسلماً سمع رسولَ الله ﷺ يقول يومَ غَدِير خُمٍّ ما قال؟ فقام اثنا عشر بدريّاً فشهدوا)[1].

٧ ـ وعن أبي عبد الله الجَدَلي قال: (قالت لي أم سلمة: أيُسَبُّ رسولُ الله ﷺ بينكم على المنابر؟! قلتُ: سبحان الله! وأنَّى يُسَبُّ رسول الله ﷺ؟! قالت: أليس يُسَبُّ علي بن أبي طالب ومَن يحبُّه؟ وأشهدُ أن رسول الله ﷺ كان يحبُّه)[2].

وفي الحديث المرفوع: «**مَن سَبَّ عليّاً قد سبَّني**»[3]، وهو حديث ضعيف.

قلتُ: ما جاء من (سب علي) رضي الله عنه من بعض الغلاة والجهال والموتورين، كان بسبب تلك الحروب بين أهل العراق وأهل الشام، وكذلك من الخوارج، ومَن يفعل ذلك أو يستبيحه فهو مقبوح مرذول، والصحابة والتابعون وعامة أهل الإسلام ممن حفظهم الله من التنطع والغلو والغل؛ يعرفون للصحابة منزلتهم وبخاصة أكابرُهم مثل علي، وقد اندثر ذلك في حقه وتلاشى. **أما داء الرفض والوقوع في عامة الصحابة فداءٌ عُضَال وراثي يستفحل شرُّه مع تطاول الزمن!.**

---

(١) أخرجه أحمد (٦٧٠)، وصحَّحه أحمد شاكر، وانظر ما تقدم: ص٩٦ ـ ١٠٢، في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الطبراني وأبو يعلى؛ وذكره الألباني في الصحيحة (٣٣٣٢).

(٣) السنن الكبرى، للنسائي (٨٤٢٢)؛ المستدرك: ١٢١/٣؛ وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٣١٠)؛ وضعيف الجامع (٥٦١٨).

٨ ـ وعن حماد بن سَلَمة، عن أيوب السَّخْتِياني قال: (من أحبَّ أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضَحَ السبيلَ، ومن أحبَّ عثمانَ فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليّاً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برِئ من النفاق)(١).

وأيوب إمام فقيه حافظ ثَبْت حجة، زاهد عابد قوَّام بالليل تلَّاءٌ لكتاب الله، من خيار عباد الله، ومن أعظم الناس إخلاصاً وورعاً ونُبلاً.

وكلامه هذا لم يُعجب الرافضةَ، فقال محقق «ترجمة علي من تاريخ ابن عساكر» ـ وهو رافضي جَلْد ـ معلِّقاً عليه: (للشيطان شَرَةٌ ما أخفَّ عقلَه وأعمى قلبه! أليس هذا ردّاً على الله ورسوله وكتابه؟! أَمَا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾؟! أما قال الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾؟! أما كان من أصحابه عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين؟! فتعميمُ أيوب ومَن على شاكلته إعلانٌ بالكفر والشقاق!).

وأنا أترك هذا الكلامَ المتزندق لعقلِ القارئ ليتأمَّله ويُجيل فكره فيه، ويرى حقيقة الرافضة على مرِّ العصور!.

ومنزلةُ أمير المؤمنين علي ﵁ في قلوب المؤمنين رفيعة عالية، راسخة ثابتة، لا تشوبها شائبة، ولا تزلزلها عاصفة، وما جاء في بعض المواقف والأقوال من بعض الجهال والطائشين والموتورين والغُلَاة في

(١) ابن عساكر: ٢٥٣/٣؛ البداية والنهاية: ١١/٨.

أوائل عهد بني أمية قد اضمحلَّ واندثر، ومحبَّةُ سيدنا علي في قلوب أهل الشام عظيمة جليلة ثابتة صافية، كحبِّهم للخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، وليس على وجه الأرض سُنِّيٌّ يُبغِض عليّاً أو يقع فيه أو يحطُّ عليه أو على أحد من آل البيت الطاهرين.

وحسبك أن المسلمين عامة وأهل الشام خاصة يُسمُّون أبناءهم بأسماء علي والحسن والحسين وجعفر وفاطمة وزينب وغيرهم، بل إن اسم علي والحسن والحسين شائع فيهم، بخلاف أبي بكر وعثمان فنادر، ومعاوية أندر من النادر! وأكثر من ذلك تجد بعضهم يَقرن بين اسمَيْ (محمد) و(علي) في اسم مركب فيسمُّون (محمد علي)!.

فأين هذا مما يفتريه رافضة أمس واليوم من أن أهل الشام نواصب؟! وأين هؤلاء المفترون مما هم عليه من بُغْضهم الصحابةَ وتنقصهم وسبِّهم، بل وتكفيرهم لعامة الصحابة وبخاصة أبو بكر وعمر؟!.

* * *

الفصل السادس

الغلوُّ في عليّ
ومكانتُه بين الإفراط والتفريط

لم تتعرض شخصية رجل من الصحابة مثل ما تعرض له سيدنا علي رضي الله عنه من التشويه والدس والكذب والافتراء، بسبب تحريف الغالين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين، وأكثر ما كان ذلك ممن يدَّعون ـ كذباً ـ حبَّه وموالاته وتشيُّعَهم له!.

فكثرت في سيرته الأخبار المكذوبة، والروايات التالفة، والأحاديث الواهية والموضوعة، ونُسِبت إليه كثير من الأساطير والأفكار الغريبة والعلوم المزعومة والمعارف الموهومة. وتزاحمت في هذا الميدان ألسنة وأقلام، وصدرت كتب كثيرة جدّاً بين مطوَّل ومختصر، وعام وخاص، واختلط الحق بالباطل، وامتزج الصدق بالكذب، واسوَدَّ وجهُ الحقيقة الأبيض، وانجرف الأغرار والأغمار وراء الأكاذيب والأباطيل، التي قام على تدبيجها وتزويقها دهاقنة الوضَّاعين والأخباريين والرافضة، وجماعة من المحبين الحب الأعمى الذي لا يستند إلى علم راسخ وعقل ناقد وفكر متحرِّر.

وتمادى الباطل بالكثيرين مع تطاول الزمان حتى زعموا لعليٍّ من السوابق والمناقب والصفات والعلوم ما لم يُؤْتَه أحدٌ من الأولين والآخِرين، وشُحنت الكتب بالأساطير التالفة والأكاذيب السَّمْجة، مستخِفَّةً بعقول عامة الأمة، حتى غدا كثير منها عند كثيرين كأنها حقائق لا تقبل النقد أو الطعن أو النقض!.

وغالَى بعضهم فزَعَم لعلي الوصيةَ، والعملَ بالتَّقِيَّة، وأنه وارثُ علم النبوة ومفتاح مدينة علمها، وأن الحق يدور معه حيث دار، وأن ذِكْره عبادة، وحبَّه حسنة لا تضرُّ معها سيئة، ومَن أبغضه لا تنفعه عِبادة، وأنه سيرجع بعد موته وقبل يوم القيامة، وادَّعَوا له العصمةَ والمشاركة في النبوة، وأنه يعلم الغيب، بل وُجِد من زعم له الإلٰهية، وظهرتْ نابِتَتُهم في زمن علي وواجهوه بذلك فتصدَّى لهم وحرَّقهم بالنار!.

ونحن نتناول في هذا الفصل بشيء من التفصيل أصنافَ تلك الأباطيل والأساطير والغلو، ونقف من ذلك موقفاً معتدلاً وسطاً يقوم على النقل الصحيح والدليل الصريح، مشفوعاً بأقوال أهل الاعتدال والنقد والتمحيص ممن ائتمنهم الله تعالى على دينه وكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ من الصحابة العدول المعدَّلين بنصِّ الكتاب والسُّنَّة، ومَن بعدهم من التابعين وأتباعهم وعلماء الأمة الأمناء الذين لا ينحرف بهم الهوى عن جادة الحق، ونبحث ذلك في ثلاثة مباحث:

❁ ❁ ❁

المبحث الأول
ما جاء في مناقب علي من أحاديث
ضعيفة وواهية وموضوعة

وهو باب واسع قد تكفَّلَتْ في استيعاب ما جاء فيه كتبُ (الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة) مثل: «الموضوعات» لابن الجوزي، و«اللآلئ المصنوعة» للسيوطي، و«تنزيه الشريعة» لابن عَرَّاق، و«المنار المنيف» لابن القيِّم، و«المصنوع» لعلي القاري، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، وغيرها كثير.

ويوجد شيء كثير من تلك الأحاديث في كتب المجروحين من الرواة، مثل: «الكامل» لابن عدي، و«المجروحين» لابن حِبَّان، و«الضعفاء» للعُقيلي، و«ميزان الاعتدال» للذهبي.

كما تضمنت كتب التراجم أمثلة أخرى في هذا، وتجده في «الحلية» لأبي نعيم، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر. وكتب السيوطي مثل: «القول الجلي في فضائل علي» أورد فيه (٤٠ حديثاً) غالبها موضوعات وواهيات، فلا أدري لِمَ صنَّفه؟! ومن تأمل ترجمة علي في تاريخ ابن عساكر ـ وهي تناهز ألف صفحة ـ هالَهُ كَمُّ الموضوعات والبواطيل التي فيه، غفر الله لمصنِّفه ما كان أغناه وأغنى الأمة عن إضاعة الوقت والورق في حفظ هذا التراث المكذوب.

وفي «المستدرك» للحاكم أحاديث كثيرة في فضائل علي ضعيفة ومنكَرة وموضوعة.

وأورد ابن تيمية فصولاً مطولة في (مناقب علي وخصائصه) منقولة عن الرافضة، أكثرها أكاذيب وأباطيل، وردَّ عليها بالنقد العلمي سنداً ومتناً[١].

وأشير في هذا المبحث إلى (نماذج من ذلك)، جمعتُها وألَّفتُ بينها من بين كل تلك المصادر التي أشرتُ إليها ومن غيرها:

١ ـ عن ابن عباس: أن عليّاً قال: (إنِّي لأَخو رسول الله ﷺ، ووليُّه، وابنُ عمه، ووارثه، فمن أحَقُّ به مني؟!)[٢].

قال الذهبي في «الميزان»: هذا حديث منكر.

٢ ـ وعن علي قال: (أنا عبدُ الله، وأخو رسوله ﷺ، وأنا الصِّدِّيقُ الأكبرُ، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صلَّيتُ قبل الناس بسبع سنين!)[٣].

ضرب عليه الإمام أحمد وقال: حديث منكر، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال الذهبي في «الميزان»: هذا كذب على علي.

٣ ـ وعن أنس بن مالك قال: (كان عند النبي ﷺ طَيرٌ، فقال: «اللَّهمَّ ائتِني بأحبِّ خلقِكَ إليك يأكلُ معي هذا الطيرَ»، فجاء عليٌّ فأكلَ معه)[٤].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٢٠٧ـ٢٤٩، ٤/٧ـ٢٤١.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي (٨٣٩٦)؛ المستدرك: ٣/١٢٦؛ ميزان الاعتدال: ٣/٢٥٥.

(٣) السنن الكبرى، للنسائي (٨٣٩٨)؛ وابن ماجه (١٢٠)؛ والمستدرك: ٣/١١١ـ١١٢؛ ميزان الاعتدال: ٢/٣٦٨؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٣٤١.

(٤) السنن الكبرى، للنسائي (٨٣٤١)؛ وسنن الترمذي (٤٠٥٥)؛ المستدرك: ٣/١٣٠ـ١٣٢.

وقد أطنب ابن عساكر في ذكر طرقه[١]، وزاد محققه طرقاً أخرى[٢]، وجمع العلماء فيه مصنفات مفردة؛ منهم أبو بكر بن مردويه وابن جرير الطبري.

وأورده في «الموضوعات»: ابنُ الجوزي، والسيوطي، وابن عَرَّاق، وإليه ذهب ابن تيمية، وصنف الإمام أبو بكر الباقلّاني «مجلداً كبيراً» في ردِّه وتضعيفه سنداً ومتناً[٣]. وأورد طرقه عن أنس الأستاذ أحمد ميرين البلوشي في تحقيقه «خصائص علي»[٤]، وفصَّل القول فيها طريقاً طريقاً فأجاد وأفاد.

وتوسَّط ابنُ كثير فنقل عن شيخه الإمام الذهبي أنه صنف في طُرق هذا الحديث جزءاً مفرداً تتبَّعَ فيه طُرقه، وقال: (الجميع بضعة وتسعون نفساً: أقربُها غرائبُ ضعيفة، وأردؤها طُرق مختَلَقة مفتَعَلة، وغالبُها طرق واهية)[٥].

٤ ـ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دارُ الحِكْمةِ وعليٌّ بابُها».

وفي رواية: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمن أراد المدينةَ فليأتِ البابَ»[٦]!.

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ١٠٥/٢ ـ ١٣٤.

(٢) انظر: ١٣٦/٢ ـ ١٥١.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٢٨٦/٤ ـ ٢٨٧؛ البداية والنهاية: ٣٥٤/٧.

(٤) انظر: ص ٢٨ ـ ٣٦.

(٥) البداية والنهاية: ٣٥٣/٧.

(٦) سنن الترمذي (٤٠٥٧)؛ والمستدرك ١٢٦/٣؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٤٩/١.

قال ابن حِبَّان: هذا خبر لا أصل لـه[١]. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: موضوع. وحكم شعيب الأرنؤوط ببطلانه، وقال الألباني في «الضعيفة»: موضوع. وجوَّد القولَ ببطلانه العلامة عبدالرحمن المُعَلِّمي اليماني[٢].

وقد ذكر طرقَه الكثيرة ابنُ عساكر، وزاد محققه الرافضي طرقاً أخرى، وأكثَر من السبِّ والطعنِ على أهل السُّنَّة الذين حكَموا بوضع الحديث، واتهمهم بالانحراف عن آل البيت[٣].

• ـ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عليّاً، اللَّهمَّ أَدِرِ الحقَّ معه حيثُ دارَ»[٤].

وقد ردَّ الذهبي على الحاكم تصحيحَه الحديث، فقال: المختار بن نافع ـ أحد الرواة ـ ساقط، وقال النسائي وغيره: ليس بثقة.

وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «سنن الترمذي»: إسناده ضعيف جدّاً، وكذا قال الألباني[٥].

---

(١) كتاب المجروحين: ٦٨/٢، ترجمة (٦٥٦).

(٢) في تعليقه على «الفوائد المجموعة»، ص ٣٤٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي»: ٤٥٩/٢ ـ ٤٨٠.

(٤) سنن الترمذي (٤٠٤٧)؛ والمستدرك: ١٢٤/٣ ـ ١٢٥؛ الضعفاء، للعقيلي: ٢١٠/٤ ـ ٢١١.

(٥) السلسلة الضعيفة (٢٠٩٤)؛ وضعيف الجامع الصغير (٣٠٩٥).

٦ ـ وعن علي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] قال علي: (رسولُ الله ﷺ المنذِرُ، وأنا الهادي)(١).

قال الذهبي: كذبٌ، قبَّح الله واضِعَه.

٧ ـ وعن عائشة: أن النبي ﷺ قال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم، وعلي سيدُ العرب»(٢).

حكم عليه الذهبي بالوضع لوجود أكثر من راوٍ وضَّاع في إسناده.

٨ ـ ٩ ـ وعن عمران بن حُصَين قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرُ إلى عليٍّ عبادة»(٣).

قال الذهبي: موضوع. وأشار ابن كثير إلى روايته عن عدد من الصحابة، ثم قال: لا يَصِحُّ شيء منها؛ فإنه لا يخلو كل سندٍ منها من كذاب أو مجهول لا يُعرف حاله(٤).

وقال الألباني: موضوع. وذكر حديثاً آخر رواه ابن عساكر عن عائشة مرفوعاً: «ذِكْرُ عليٍّ عبادة»، وقال الألباني: موضوع(٥).

---

(١) المستدرك: ٣/١٢٩ـ١٣٠.

(٢) المستدرك: ٣/١٢٤؛ الحلية: ١/٦٣؛ ابن عساكر: ٢/٢٦١.

(٣) المستدرك: ٣/١٤١ـ١٤٢؛ ابن عساكر: ٢/٣٩١ـ٤٠٥.

(٤) البداية والنهاية: ٧/٣٥٨.

(٥) السلسلة الضعيفة (٣٥٦، ١٧٢٩)؛ ضعيف الجامع (٣٠٤٩، ٥٩٩٢)؛ ابن عساكر: ٢/٤٠٨.

١٠ ـ وعن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ: أنه قال: «حُبُّ عليٍّ حسنةٌ لا تضرُّ معها سيئة، وبُغْضُه سيئة لا تنفع معها حسنة».

وفي رواية أخرى: «حُبُّ علي بن أبي طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب»[1].

أورده ابن الجوزي والسيوطي في الموضوعات، وحكم عليه ابن تيمية بالوضع، ونقد متنه بكلام نفيس جدّاً.

١١ ـ وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «عليٌّ بابُ حِطّة، مَن دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً»[2].

قال الذهبي في «الميزان»: هذا باطل. وقال الألباني: موضوع.

١٢ ـ وعن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «عليٌّ إمامُ البَرَرة، وقاتِلُ الفجرةِ، منصورٌ مَن نَصَره، مخذولٌ مَن خذَلَه»[3].

قال ابن تيمية: هو كذب. وردَّ الذهبي على الحاكم تصحيحه الحديث، وقال: والله موضوع، فما أجهلك على سعة معرفتك! وقال الألباني: موضوع.

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٣٧؛ اللآلئ المصنوعة: ١/٣٥٥؛ منهاج السُّنَّة: ٣/٢٤٤ـ٢٤٥.

(٢) مسند الفردوس، للديلمي: ٢/٢٩٧؛ القول الجلي (٣٩)؛ السلسلة الضعيفة (٣٩١٣)؛ وضعيف الجامع الصغير (٣٨٠٠)؛ ميزان الاعتدال: ١/٥٣٢.

(٣) المستدرك: ٣/١٢٩؛ القول الجلي (٣٣)؛ تاريخ بغداد: ٤/٢١٩؛ منهاج السُّنَّة: ٤/٦٥، ٧٤؛ السلسلة الضعيفة (٣٥٧)؛ وضعيف الجامع (٣٧٩٩).

١٣ ـ وعن أنس قال: (قال لي رسول الله ﷺ: «يا أنس، اسكُبْ لي وَضوءاً» ثم قام فصلَّى ركعتين، ثم قال: «يا أنس، أولُ مَن يدخل عليك من هذا الباب: أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغُرّ المُحَجَّلين، وخاتم الوصِيِّين» قال أنس: قلت: اللَّهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار ـ وكتمتُه ـ إذ جاء علي، فقال: «مَن هذا يا أنس؟» فقلت: عليٌّ، فقام مستبشراً فاعتَنَقه، ثم جعل يمسحُ عَرق وجهه، ويمسح عرقَ علي بوجهه، فقال علي: يا رسولَ الله، لقد رأيتُك صنعتَ شيئاً ما صنعتَه بي قطُّ، قال: «وما يَمنعُني وأنت تؤدِّي عنِّي، وتُسمعُهم صوتي، وتبيِّن لهم ما اختَلَفوا فيه من بعدي؟!»)[1].

ذكره ابن الجوزي وغيره في الموضوعات، وقال الذهبي في «الميزان»: موضوع. وقال ابن تيمية: هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث. ونقد متنه بكلام نفيس[2].

١٤ ـ وعن أسماء بنت عُمَيْس قالت: (كان رسول الله ﷺ يُوحى إليه، ورأسُه في حَجْر علي، فلم يصلِّ العصرَ حتى غَربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «صلَّيتَ يا عليُّ؟» قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ إنه كان في طاعتِك وطاعةِ رسولك،

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٣٧٦ـ٣٧٧؛ اللآلىء المصنوعة: ١/٣٥٩؛ تنزيه الشريعة: ١/٣٥٧؛ ابن عساكر: ٢/٤٨٧؛ ميزان الاعتدال: ١/٦٣، ٦٤؛ لسان الميزان: ١/١٠٧.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٢٨٧، ٢٩٦ـ٢٩٨.

فـــارْدُدْ عليه الشمسَ» قالت أسماءُ: فرأيتُها غَربَتْ، ثم رأيتُها طلَعتْ بعدما غَرَبتْ)[١].

أورده الجورقانـــي وابن الجوزي وغيرهما فـــي الموضوعات، وحكم الذهبي بوضعه في «ترتيب الموضوعات»، وتوسع ابن كثير في إيراد طرقه ونقده ســـنداً ومتناً ونقل أقاويل الأئمة فيه، وأوضح أن أسانيده منكرة جدّاً ومظلمة وواهية فيها متروكون ومجاهيل ومبتدعة[٢]. وكذلك أَطْنَب في ذِكر طرقه ونقدها سنداً ومتناً شيخ الإسلام ابن تيمية، وأورد كلاماً نفيساً[٣].

١٥ ـ وعن علي وجابر وحذيفة قالوا: قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ خيرُ البشرِ، مَن أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر»[٤].

قال ابن كثير: موضوع، قبَّح الله من وضَعَه واختَلَقه!.

وذكر الذهبي في «الميزان» إحدى الروايات وقال: هذا كذب[٥].

١٦ ـ وعن أبي الحمراء قال: قال رســـول الله ﷺ: «مَنْ أراد أن ينظرَ إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلـــى إبراهيم في حِلْمه، وإلى

---

(١) شرح مشكل الآثار (١٠٦٧)؛ الأباطيل، للجورقاني: ١/١٥٨؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٣٥٥؛ تنزيه الشريعة: ١/٣٧٨؛ الضعفاء، للعقيلي: ٣/٣٢٧ـ٣٢٨.

(٢) انظر: البداية والنهاية: ٦/٧٧ـ٨٧.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٧٥ـ٤٩٥.

(٤) ابـــن عســـاكر: ٢/٤٤٢ـ٤٤٨؛ البداية والنهايـــة: ٧/٣٥٩؛ اللآلـــئ المصنوعة: ١/١٦٩ـ١٧٠.

(٥) ميزان الاعتدال: ١/٩٩ـ١٠٠.

يحيى بن زكريا في زهدِهِ، وإلى موسى بن عمران في بَطْشه - فَلْينظر إلى علي بن أبي طالب»[1].

أورده ابن الجوزي وغيره في الموضوعات، وقال ابن تيمية: كذب موضوع، وقال الذهبي: منكر، وقال ابن كثير: منكر جدّاً ولا يصح إسناده[2].

وكُتُب الموضوعات طافحةٌ بمثل هذه الأباطيل، ونكتفي بهذه الإشارة، ورسولُ الله ﷺ بريء من هذه الأحاديث الباطلة وممن افتراها، وكذلك علي رضي الله عنه منها بَراءٌ، وسيرتُه الطيبة غنية بالأحاديث الصحيحة المشرقة.

❁ ❁ ❁

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٣٧٠؛ اللآلئ المصنوعة: ١/٣٥٥؛ تنزيه الشريعة: ١/٣٨٥؛ ابن عساكر: ٢/٢٨٠.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٥١٢؛ ميزان الاعتدال: ٤/٩٩؛ البداية والنهاية: ٧/٣٥٧.

المبحث الثاني
تقديم علي على جميع الصحابة في مناقبه ومنزلته والطعن على الصحابة

•• عن أحمد بن حنبل قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وقال نحوَه إسماعيل القاضي وأبو علي النَّيْسابوري[٢].

وأوعبُ مَن جمع مناقبه من الأحاديث الجياد الإمامُ النسائي في كتابه «خصائص علي»، وقد طُبع مفرداً، وضمن كتابه الجليل «السنن الكبرى».

وكأن السببَ في ذلك أنه تأخّرت وفاتُه، ووقع الاختلاف في زمانه، وخروج من خرج عليه؛ فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان بَيَّنَها من الصحابة ردّاً على من خالفه. ثم وقعت تلك الحروب، وظهرت بدعة الخوارج، وتنقَّصت طائفة من الناس عليّاً، فاحتاج أهل السُّنَّة إلى بثِّ فضائله، فكَثُر الناقلُ لذلك لكثرةِ من يخالف ذلك[٣].

وقد ولَّد له الرافضة والوضاعون والأخباريون مناقبَ مكذوبة هو غني عنها، وأشرنا إلى طرف منها في المبحث السابق.

---

(١) المستدرك: ١٠٧/٣؛ ابن عساكر: ٦٣/٣.

(٢) الفتح: ٦٦٣/٨، باب مناقب علي.

(٣) المرجع السابق، باختصار.

وقول الإمام أحمد لا يعني أنه (صَحَّ لعليٍّ من الفضائل ما لم يَصِحَّ لغيره)، بل معناه: رُوِي له ما لم يُرْوَ لغيره من الصحابة[١].

والتحقيق: أن الفضائل الثابتة بالأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثَرُ وأعظمُ من الفضائل الثابتة لعليٍّ. والأحاديث التي رويت في فضائل علي كثير منها ضعيف وباطل وموضوع، والصحيح الذي فيها ليس فيه ما يدل على إمامة علي، ولا على أفضليته على أبي بكر وعمر، بل وليست من خصائصه وإنما هي فضائل شاركه فيها غيره، بخلاف ما ثبت من فضائل أبي بكر وعمر، فإن كثيراً منها خصائص لهما[٢].

●● وزَعْمُ محمد جواد مغنيّة وغيرِه من الرافضة أن كثرة ما روي من فضائل علي يقتضي أنه أفضلُ من الخلفاء الثلاثة قبله ومن غيرهم من الصحابة[٣] ـ هو زعمٌ باطل تردُّه الأحاديث الصحيحة الصريحة الواضحة كالشمس، بل وبشهادة علي وآل البيت أنفسهم، وقد تواتر عن علي قوله: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر[٤].

وأئمة العِتْرة كابن عباس وغيره يقدِّمون أبا بكر وعمر في الإمامة والأفضلية، وكذلك سائر بني هاشم من العباسيين والجعفريين وأكثر العلويين، وهم مُقِرُّون بإمامة أبي بكر وعمر.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٤/٢٨٨.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٢٠٧ـ٢٠٨، وما كتبناه: ص ٢٢٥ في هذا الكتاب.

(٣) كتابه: فضائل الإمام علي، ص ١٦٠ـ١٦١.

(٤) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٦٢ـ٣٦٦.

والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم، من التابعين وتابعيهم، ممَّن ولد الحسن والحسين وغيرهما: أنهم كانوا يتولَّون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على عليٍّ، والنقول عنهم ثابتة متواترة(١).

وعليٌّ رضي الله عنه فَضَّله الله وشرَّفه بسوابقه الحميدة وفضائله العديدة لا بما جرى في زمن خلافته من الحوادث، بخلاف أبي بكر وعمر وعثمان؛ فإنهم فُضِّلوا مع السوابق الحميدة والفضائل العديدة، بما جرى في خلافتهم من الجهاد في سبيل الله، وإنفاقِ كنوز كسرى وقيصر، وغير ذلك من الحوادث المشكورة والأعمال المبرورة(٢).

ثم إن الرافضة تطعن في جميع الصحابة إلا نفراً قليلاً نحو بضعة عشر! وهذا فيه إسقاط لفضائل علي وخصائصه؛ لأن أكثرها قد رواها الصحابة مثل سعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وابن عُمر وجابر وأبي سعيد الخُدْري وأبي هريرة وأنس وزيد بن أرقم وعائشة وأم سلمة، وغيرهم كثير.

●● وقد شاع عند الرافضة وكثير من كتاب أهل السُّنَّة وعامتهم تخصيص علي بعبارتين: الأولى قولهم: (الإمام علي)، والثانية قولهم: (كرّم الله وجهه).

والعبارة الأولى: تفوح منها رائحة الرَّفْض، وتدل على عقيدة (الإمامة) عند الإمامية الإثني عشرية، وأول الأئمة عندهم هو علي.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٣٠١.

(٢) المرجع السابق: ٤/٣٤٨.

وليس هناك من دليل ولو ضعيف على وصف علي بهذا الوصف فضلاً عن تخصيصه به، ولم يَرِدْ ذلك على ألسنة القرون الفاضلة ولا في كتاباتهم، ولذا نرى عدم تخصيص سيدنا علي به.

والعبارة الثانية: هي أيضاً لا دليل على تخصيص عليٍّ بها، وزعمُ بعضهم أنه وُصِف بذلك لأنه لم يسجد لصنم، هو زعمٌ باطلٌ؛ فعليٌّ نشأ وشَبَّ في الإسلام ولو كان ذلك سبقاً وخصوصية لكان أبو بكر أَوْلَى به منه، فقد جاء الإسلامُ وعمره (٣٧ سنة)، والمشهور في سيرته أنه لم يسجد لصنم قطّ.

❀ ❀ ❀

المبحث الثالث
الغلو في علي

•• غالَى الروافض وغيرهم من أصحاب الأهواء في علي رضي الله عنه، حتى فَضَّلوه على جميع الناس، وأَوغلَتْ طوائف في الضلال والتِّيه حتى ادَّعَوا له أنه يعلم الغيب، ورفعوه إلى منزلة الألوهية، وهو ضلال ليس وراءه ضلال!.

وقد أشار عليٌّ إلى أولئك الغُلاة ونَعَى عليهم، وكذلك فعل ابنه الحسن، وحفيده علي بن الحسين، رضي الله عنهم جميعاً.

عن أبي حِبَرة قال: سمعتُ عليّاً يقول: (يَهْلِكُ فيَّ رجلان: مُفرِط في حُبِّي، ومفرط في بُغْضي)[1].

ونحوه ما رواه أبو جُحَيْفَة قال: سمعتُ عليّاً يقول على المنبر ـ وأشار بإصبعَيْه السبابة والوسطى ـ: (هَلَكَ فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ، ومُبغِض قالٍ)[2].

وعن أبي البَخْتَرِي قال: قال عليٌّ: (لَيُحِبُّني قومٌ حتى يُدخِلَهم حبِّي النارَ، ولَيُبغِضُني أقوام حتى يُدخِلهم بُغْضي النار)[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٨٤)، وحسنه الألباني.

(٢) المطالب العالية (٣٩٧١)، وقال البوصيري: رواته ثقات؛ وهو عند ابن عساكر: ٢٤٠/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٨٦)، وقال الألباني: إسناده جيد.

وهذا حديث عجيب ما نَطَق به علي من عند نفسِه إنما أخذه عن النبي ﷺ، فهذه الأحاديث موقوفة على عليٍّ لكنها ـ عند علماء الأصول ـ في حكم المرفوع؛ لأنها من الغيب الذي لا يُعرف بالرأي.

وعن عَمْرو الأَصمّ قال: (قلتُ للحسن بن علي: إنَّ هذه الشيعةَ يزعمون أن عليّاً مبعوث قبل يوم القيامة؟! قال: كَذَبوا، واللهِ ما هؤلاء بشيعتهِ، لو علمنا أنه مبعوث ما زَوَّجْنا نساءَهُ ولا اقتسمنا مالَه!)[1].

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: سمعت عليَّ بن الحُسين يقول: (يا أهلَ العراق أَحِبُّونا لحبِّ الإسلام، فوالله إنْ زال[2] حبُّكم بنا حتى صار شَيْناً!).

وقال علي بن الحسين: (جاءني رجل من أهل البصرة فقال: ما جئتُ حاجّاً ولا معتمراً، قلت: فما جاءَ بك؟ قال: جئتُ أسألُكَ متى يُبعث عليٌّ؟ قلت: يُبعث يوم القيامة وهمُّه نفسُه).

وقال مسعود بن الحَكَم: (قال لي علي بن الحسين: تجالِس سعيدَ بن جُبير؟ قلت: نعم، قال: إني لأُحبُّ مجالسته وأُحِبّ حديثَه، قال: ثم أشار بيده نحو الكوفة فقال: إن هؤلاء يُشيرون إلينا بما ليس عندنا)[3].

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٦٥)؛ والحاكم: ١٤٥/٣؛ وابن سعد: ٣٩/٣، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أي: ما زال، وغيَّرها العلاّمة الألباني إلى: (إنه زاد)، فما أصاب.

(٣) أخرج الأخبار الثلاثة ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٩٦ـ٩٩٨)، وصحَّحها الألباني.

فهؤلاء الثلاثة الكرام من أئمة آل البيت، وممن تزعُمُ الرافضةُ ولايَتَهم وحُبَّهم واتباعَهم، قد شهدوا على أهل الأهواء بالتزوير والكذب والافتراء على علي وآله وبنيه، وتؤكد براءتهم من كل ما نُسب إليهم زوراً مما يُخالف نهجَ الصحابة، أو الطعن عليهم!.

١ - ومن أقدمِ أوجهِ الغلوِّ في علي؛ ما حدث في زمنه، وكان موقفُه منه في غاية الصلابة بل والقسوة:

عن عكرمة: (أنَّ علياً حَرَّقَ قوماً ارتدوا عن الإسلام، فبَلَغ ذلك ابنَ عباس فقال: لو كنتُ أنا لَقتلْتُهم بقولِ رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**مَن بَدَّل دينَه فاقتلوه**» ولم أكن لأُحَرِّقَهُم لأن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُعذِّبوا بعذابِ الله**»! فبَلَغ ذلك علياً، فقال: صَدَقَ ابنُ عباس)[1].

قال أبو المظفر الإسْفَراييني في «الملل والنحل»: (إن الذين أَحرقهم علي طائفة من الروافض ادَّعَوا فيه الإلٰهيةَ وهم السَّبِئيَّة، وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهودياً ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة).

وعقَّب الحافظ على هذا فقال: (وهذا يمكن أن يكون أصله ما رُوِّيناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المُخَلِّص، من طريق عبدالله بن شَريك العامري، عن أبيه قال: قيل لعليٍّ: إن هنا قوماً على باب المسجد يَدَّعُون أنك ربُّهم! فدَعَاهم فقال لهم: وَيْلَكم ما تقولون؟! قالوا: أنت ربُّنا وخالقُنا ورازقُنا! فقال: ويلكم! إنما أنا عبدٌ مثلكم آكلُ الطعام كما تأكلون وأشربُ كما تشربون، إنْ أطعتُ الله أثابَني إنْ شاء، وإن عصيتُه خشيتُ أن يعذِّبَني، فاتقوا الله وارْجِعوا. فأَبَوا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)؛ وأبو داود (٤٣٥١)؛ والترمذي (١٥٢٥)، وغيرهم.

فلما كان الغدُ غَدَوْا عليه، فجاء قَنْبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلامَ! فقال: أَدخِلْهم. فقالوا كذلك.

فلما كان الثالثُ قال: لئنْ قلتُم ذلك لأَقتُلنَّكم بأخبث قتلة، فأبَوْا إلا ذلك! فقال: يا قنبر، ائتني بفَعَلَةٍ معهم مُرورُهُم، فَخَدَّ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعِدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو تَرْجِعوا، فأبَوْا أن يرجعوا! فقَذَف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إنِّي إذا رأيتُ أمراً مُنكَرا أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا

وهذا سند حسن)[١].

وأخرجه ابن عساكر من طريق آخر، وفيه: أنهم كانوا من الشيعة[٢].

٢ ـ وممن قال بإلٰهية عليٍّ فِرَق ضالّة منهم (البيانية والإسحاقية):

فالبيانية: أتباع بيان بن سمعان النهدي من بني تميم، ظهر بالعراق بعد سنة (١٠٠هـ)، قال بإلٰهية علي وأن فيه جزءاً إلٰهيّاً ثم من بعده ابنه محمد ابن الحنفية[٣].

وأتباعه هم فِرقة (البيانية)[٤].

---

(١) الفتح: ١٤/١٦ـ١٥، شرح الحديث (٦٩٢٢)؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ١/١٩، ١٩١ـ١٩٢. مرورهم: جمع المَرّ، وهو المسحاة.

(٢) ابن عساكر: ٣/١٧٩.

(٣) ميزان الاعتدال: ١/٣٥٧.

(٤) المِلل والنِّحَل، للشهرستاني: ١/١٧٦؛ الفَرق بين الفِرق، ص ٢٣٦.

والإسحاقية: فِرقة مبتدعة أحدثها إسحاق بن زيد بن الحارث، يزعمون أنه لمَّا لم يكن بعد رسول الله ﷺ أفضل من علي وبعده أولاده المخصوصون، وهم خير البَريَّة، فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلٰهية عليهم[١]!.

٣ ـ وادَّعى قوم آخرون أن عليّاً يعلم الغيب:

قال ابن المُطَهَّر الحِلِّي في سياق (الأدلة على أفضلية علي وإمامته): (الدليل الخامس: إخبارُه بالغائب والكائن قبل كونه):

فأَخبر أن طلحة والزبير لمَّا استأذَنَاه في الخروج إلى العمرة، قال: لا والله ما تريدان العمرة وإنما تريدان الغدرة، وكان كما قال. وأخبر وهو بذي قار جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قِبل الكوفة ألفُ رجل لا يزيدون ولا ينقصون، يبايعونني على الموت، وكان كذلك. وأَخبر بقتل ذي الثُّدَيَّة. وأخبر مِيثَم التمار بأنه يُصلب على باب دار عَمْرو بن حريث، وأخبر رُشَيد الهَجَري بقطع يديه ورجليه وصَلْبه، وأخبر كُميل بن زياد بأن الحَجَّاج يقتله، وأخبر بِمُلك بني العباس وأخذ الترك الملكَ منهم... فكان كما قال)[٢].

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الكذب ونقضه سنداً ومتناً بكلام نفيس جدّاً.

---

(١) المِلل والنِّحَل، للشهرستاني: ١/٢٢٠ـ٢٢١.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٥٦ـ٤٥٧، وانظر ما قدمناه: ص ١٦٥ رقم (٥)، ١٧٠ رقم (١١) في هذا الكتاب.

٤ ـ ومنهم من يزعم أن عليّاً يحيـي الموتى:

ورأس هؤلاء الضالين: المغيرة بن سـعيد البَجَلي الكوفي الرافضي الكذاب.

قال الأعمش: (قلتُ للمغيرة بن سـعيد: أَتحيـي الموتى؟ قال: لا، فقلت: فَعَليٌّ؟ قال: والذي أحلِفُ به، لو شـاء أحيا عـاداً وثمودَ وقروناً بين ذلك كثيراً!)[1].

وإليه تُنسب الفرقة المغيرية الضالة[2].

٥ ـ عقيدة الرجعة عند الإمامية:

وهي من أصول (دين الإمامية الاثني عشرية)؛ وتعني أن عليّاً يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة! وقد ظهـرت هذه البدعة في وقت مبكِّر في زمن الحسـن بن علي؛ كما يدل عليه سـؤال عَمرو الأصمّ له قائلاً: إن الشيعة يزعمون أن عليّاً يرجع[3]!.

ومن أقدم من ثبت عليه ذلك جابر بن يزيد الجُعْفي[4].

وقد تطور مبدأ الرجعة بمرور الزمن وتوسـع مداه، وأصبح يشـمل ثلاثة أصناف يَرجِعون من قبورهم إلى هـذه الدنيا قبل يوم القيامة، وهم: الأئمة الإثني عشر، وولاة المسـلمين الذين اغتصبوا الخلافة من أصحابها

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٥٠/٣؛ ميزان الاعتدال: ١٦١/٤، وفيه ترجمة المغيرة.

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني: ٢٠٧/١؛ الفَرق بين الفِرق، ص ٢٣٨.

(٣) تقدم: ص٢٥٥ في هذا الكتاب.

(٤) تهذيب الكمال: ٤٦٥/٤؛ ميزان الاعتدال: ٣٧٩/١.

الشرعيين، عامة الناس ويُخصّ منهم مَن مَحَضَ الإيمان مَحْضاً وهم الشيعة عموماً[١]!.

والرافضة المعاصرون يحاولون التلاعب في موقفهم من (الرجعة)، فبعضُهم يزعم أن الرجعة خرافة لا حقيقة لها، وصنف آخر لا يُنكرها بل يقول: إنها ليست من أصول المذهب، وهم في ذلك على مذهبهم في (التَّقِيَّة)، ليخدعوا الأغرار من السُّنَّة حيث يَدْعون إلى أكذوبة (الوحدة والتقريب!)[٢].

٦ ـ وادَّعَوا لعليٍّ: النبوةَ، والعصمةَ، وثبوتَ الإمامة بالنص[٣].

٧ ـ وغالَوْا في علومه، فزعموا أنه يعلم طرق السموات والأرض، وأنه باب علم النبوة[٤].

وحسبنا هذه الإشارات ففيها غنية، والموضوع واسع جدّاً لا يحتمله هذا الكتاب.

❁ ❁ ❁

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢/٥٥٢ـ٥٥٣، وقد فصل القول في هذا: ٢/ ٥٥٠ـ٥٧٠.

(٢) المرجع السابق: ٣/١٧٦ـ١٨٠.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣/٢٠٩، ٦٢٩.

(٤) تقدم: ص١٦٥ وما بعدها، في هذا الكتاب.

الباب الخامس

عليٌّ في عهد الخُلفاء الرَّاشدين الثلاثة قبله

- مقدِّماتٌ وحقائقُ وتوضيحاتٌ.
- عليٌّ في عهدِ الصِّدِّيق.
- عليٌّ في عهدِ الفاروق.
- عليٌّ في عهدِ ذي النُّورَين.

• • •



الفصل الأول

مقدّماتٌ وحقائقُ وتوضيحاتٌ

أولاً: منزلة الخلفاء الثلاثة في الإسلام، وموقف علي منهم ومن عامة الصحابة:

•• قد عُرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا من أعظم الناس اختصاصاً برسول الله ﷺ، وصحبةً له وقُرباً إليه، وقد صاهرهم كلَّهم، وكان يحبُّهم، ويثني عليهم؛ وحينئذٍ: فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطناً في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القُرب فأحدُ الأمرين لازم: إما عدمُ علمه بأحوالهم، أو مداهنتُهُ لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ.

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول ﷺ في خواص أمته وأكابر أصحابه، ومَن وعد أن يُظهر دينَه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدِّين؟! فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن بالرسول ﷺ ليقول القائل: رجلُ سوءٍ كان له

أصحابُ سوءٍ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين! ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة(١).

وعلي رضي الله عنه قد عرف لهم تلك المنزلة الرفيعة، فأثنى عليهم خاصة وامتدح الصحابة عامة بكلام رفيع وروحٍ شفافة.

قال مخاطباً أصحابه: (لقد رأيتُ أصحابَ محمد ﷺ، فما أرى أحداً يُشْبِههم منكم...)(٢).

وهاهو يَحنُّ إلى تلك النخبة المختارة الفاضلة في أواخر حياته ويأسف على ذهابهم، وقد ذاق من أتباعه الكاسات المرة، يقول:

(أين القومُ الذين دُعوا إلى الإسلام فقبِلوه، وقرؤوا القرآن فأحكَمُوه، وهِيجُوا إلى الجهاد فوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح إلى أولادها، وسَلبوا السيوف أغمادَها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفّاً صفّاً، بعضٌ هَلَك، وبعضٌ نَجا، لا يُبَشَّرون بالأحياء، ولا يُعَزَّون عن الموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خُمْص البطون من الصيام، ذُبُل الشفاه من الدعاء، صُفْر الألوان من السهر، على وجوههم غَبَرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحُقَّ لنا أن نظمأ إليهم، ونَعَضَّ الأيدي على فراقِهم!)(٣).

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣٩٣/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥٧/٤؛ الإرشاد، للمفيد، ص ١٢٦؛ وقد تقدم النص بتمامه: ص١٧٩ في هذا الكتاب.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢١٢/٤.

●● وقامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة عليٍّ على عمق المحبة الصادقة والإخاء الحميم لإخوانه الخلفاء الثلاثة، مما اشتهر أمره وذاع نقلُه. ويأتي في مقدمة الأدلة شهادةُ علي وأقوالُه في ملأ من الناس وعلى منبر الكوفة في دار إمارته، وتكرر ذلك في مواقف متعددة، ورواها عنه أخصَّاؤه من تلامذته بل بنوه، ونقلُهم عنه متواتر.

١ ـ عن محمد بن علي المعروف بابن الحَنَفيَّة قال: (قلتُ لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم مَن؟ قال: ثم عمر، وخشِيتُ أن يقول: عثمانُ، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين)[١].

٢ ـ وعن أبي جُحَيْفَة وَهْب السُّوَائي قال: (خَطَبنا عليّ رضي الله عنه فقال: مَنْ خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها ﷺ؟ فقلتُ: أنت يا أمير المؤمنين! قال: لا، خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، وما نُبْعِدُ أن السَّكِينةَ تنطِق على لسان عمر)[٢].

٣ ـ وعن حَبيب بن أبي ثابت، عن (عَبْد خَيْر الهَمْداني قال: سمعتُ عليّاً يقول على المِنْبر: ألا أُخبِرُكم بخير هذه الأمة بعد نبيِّها؟ قال: فذكَر أبا بكر، ثم قال: ألا أخبركم بالثاني؟ قال: فذكَر عمرَ، ثم قال: لو شئت لأنبأتكم بالثالث، قال: وسكتَ. فرأَيْنا أنه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١)؛ وأبو داود (٤٦٢٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٨٣٤)، وصحَّحه أحمد شاكر.

يعني نفسَه. فقلت: أنت سمعتَهُ يقول هذا؟ قال: نعم وربِّ الكعبة، وإلَّا صُمَّتَا!)[١].

ورواه عن علي غير واحد من الصحابة والتابعين[٢].

قال ابن تيمية: تواتر عن أمير المؤمنين علي من الوجوه الكثيرة: أنه قاله على منبر الكوفة[٣].

وذكر الذهبيّ هذا الحديث، ثم قال: (هذا والله العظيم قالَه علي! وهو متواترٌ عنه، لأنه قالَه على منبر الكوفة، فقاتَلَ الله الرافضة ما أَجْهَلَهم!)[٤].

بل إن عليّاً رضي الله عنه يشهد للشيخين أبي بكر وعمر بالسَّبْق في كل الفضائل، وأنهما سارا على هَدْي النبي ﷺ في حياتهما وطول مدة خلافتهما بعده، وكان يدعو الله أن يرزقه السيرَ على منهجهما، وتهدَّد مَن يفضِّله عليهما بجلده حدّ المفتري! وهذا يكذِّب الرافضةَ في افتراءاتهم وأكاذيبهم أن الصحابة ارتدّوا وغيَّروا وبدَّلوا، وأن أبا بكر وعمر افترَيَا على النبي ﷺ، وغيَّرا وبَدَّلا، واغتصبا الخلافة!.

---

(١) أخرجه أحمد (٩٠٩)؛ وابنه في زوائد المسند (٩٢٢)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٢٠٨)، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٢) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٦٤.

(٣) منهاج السُّنَّة: ١/٨، ٩، ١٩٢ـ١٩٣، ٣/٥٩٩، ٤/٣٧٠.

(٤) تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ١١٥.

٤ ـ عن علقمة بن قيس قال: سمعتُ علياً على المنبر ـ فضَرب[١] بيده على منبر الكوفة ـ يقول: (بَلَغني أن قوماً يفضّلوني على أبي بكر وعمر! ولو كنتُ تقدَّمتُ في ذلك لعاقبتُ فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدمة، مَنْ قال شيئاً من هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري! إن خير الناس رسولُ الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، وقد أَحْدَثْنا أحداثاً يقضي الله فيها ما أَحَبَّ)[٢].

٥ ـ وعن عَبْد خَيْرٍ قال: (قامَ عليٌّ على المِنْبر، فذَكَر رسولَ الله ﷺ فقال: قُبِض رسولُ الله ﷺ، واستُخلِف أبو بكر فعَمِل بعمله وسار بسيرته حتى قَبَضه الله ﷻ على ذلك، ثم استُخلِف عمرُ على ذلك فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله ﷻ على ذلك)[٣].

٦ ـ وعن علي بن الحسين قال: (قال فتى من بني هاشم لعلي بن أبي طالب حين انصرف من صِفِّين: سمعتُك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة، تقول: اللَّهمَّ أصلحنا بما أصلحتَ به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال: أبو بكر وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، والمُقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، مَن اتبعهما هُدي إلى

---

(١) أي: علقمة، كما بينَتْه روايةُ المسند.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٩٩٣) و(١٢١٩)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٠٥١)، وصحَّحه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٠٥٥، ١٠٥٩)؛ وابن أبي شيبة: ٥٧٣/٨، وصحَّحه أحمد شاكر.

صراط مستقيم،ومن اقتدى بهما عُصِم، ومن تمسَّك بهما فهو من حزب الله، وحزب الله هم المفلحون)[٤].

٧ ـ وعن علي قال: (جَلَد رسول الله ﷺ ـ في الخمرِ ـ أربعين، وجَلَد أبو بكر أربعين، وعمرُ ثمانين، وكلٌّ سُنَّةٌ، وهذا أحَبُّ إليَّ)[٥].

قال النووي: (هذا دليلٌ على أن عليّاً رضي الله عنه كان معظِّماً لآثار عمر، وأن حُكْمَه وقولَه سُنَّة، وأمْرَه حقٌّ، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه، خلاف ما يَكْذبه الشيعة عليه)[٦].

٨ ـ ومن الحقائق التي تؤكد حبَّ عليٍّ للخلفاء الثلاثة، وإجلالَه لهم، أنه أَصْهَر إلى أمير المؤمنين عمر فزوَّجه ابنتَه أم كلثوم، وسمَّى أبناءه بأسمائهم، فسمَّى: أبا بكر وعمر وعثمان، وكذلك فعل ولداه الحسن والحسين[٧].

فهل يُسمِّي أحدٌ أولاده بأسماء أعدائه؟! وهل يطيق أن أسماء أعدائه ومغتصبي حقه تتردَّد في بيته كل وقت وحين؟!.

●● من هذا وغيره كثير مما سيأتي من أخبار صحيحة عن علي رضي الله عنه؛ يَقطع الباحث المنصف العاقل بأن ما تتناقله الرافضة عن

---

(٤) تلخيص الشافي في الإمامة، للطوسي: ٤٢٨/٢؛ ابن عساكر «ترجمة أبي بكر»، ص ٥٠٠؛ حياة الصحابة: ٤٧٠/٣.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٠٧)؛ وأبو داود (٤٤٨١)، وغيرهما.

(٦) شرح صحيح مسلم: ٢٣٦/٦.

(٧) انظر للمزيد: الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلٰهي ظهير، ص ٧٧ـ٨٢، ١٠٤، ١٢٨ـ١٣١.

علي بحقّ إخوانه الصحابة عامة والخلفاء الراشدين الثلاثة خاصة ـ هو من أكاذيبهم وافتراءاتهم المعهودة!.

عن أيوب السَّخْتِياني، عن ابن سيرين، عن عَبِيدة السَّلْماني، عن علي رضي الله عنه قال: (اقْضُوا كما كنتم تَقضُون، فإني أكرهُ الاختلافَ، حتى يكونَ الناس جماعةً، أو أموتَ كما مات أصحابي). فكان ابنُ سيرين يَرى أن عامةَ ما يُروى عن عليٍّ الكذبُ![1].

قال الحافظ: المراد بذلك ما ترويه الرافضة عن علي من الأقوال المشتملة على مخالفة الشيخين[2].

ثانياً: علي في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله:

الذي يتأمل سيرة علي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ وإلى أن آلَتْ إليه الخلافة في وقتها وإبَّانها، وينظر النظرة الفاحصة الناقدة لأخبار التاريخ ورواتها ـ يدرك النهجَ القويم والسيرة المشرقة التي عاشها في عصر الرسالة واستمر عليها في عهد الخلفاء الذين سبقوه، وتبرز له العلاقة الحميمة التي كانت بينهم، وتمثل التطبيق الأمثل للوصف القرآني لهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

ويجدُ عليّاً مع إخوانه لبنةً بارزة في بناء شامخ شيَّدَه رسول الله ﷺ، وبقي بعد وفاته وفيّاً له ولدينه ورسالته ودعوته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٧).

(٢) الفتح: ٨/٦٦٧.

وقد تميزت صِلتُه بالخلفاء والصحابة بالمودة والرحمة والصلة المتينة والمصاهرة الموصولة، مشـكِّلةً نسـيجاً فذّاً من الأبوة والأخوة والعمومة والخؤولة، وتسـمية الأبناء بأسـمائهم ليبقى الاسم شـاهداً ومذكِّراً بهم وبأمجادهم ومودتهم.

والحق أن المدة التي قضاها سـيدنا علي في عهـد الخلفاء الثلاثة تُعدّ من أخصب الفترات التـي ظهر فيها علمه ومعرفته بإدارة شـؤون الدولة الإسلامية، بما قدَّمه من مشورة لإخوانه ورفاقه الخلفاء الراشدين الثلاثة، وبمـا تفتقت عنه عبقريتـه الفذة في إيجاد الحلـول لكثير من المعضلات التي واجهت الأمة في حال تكوينها ونهوضها وبناء دولتها وامتـداد رقعتها، وقـد كان الفاروق عمـر يتعوذ من معضلـة ليس لها أبو الحسن[١].

وكان تعاونه مع الخلفاء مؤسساً على الأخوة الإيمانية، ونابعاً من التربيـة النبوية، ومنسـجماً مع النفسـية الزاكية التـي صِيغَتْ منها شخصيتُه، وممثِّلاً للحقيقة التاريخية في قيامه بحق الرسالة خير قيام، لا تقاعس فيه ولا تقصير، ولا مجاملـة ولا تقيَّة، ولا كيد ولا حقد، بل جد واجتهاد، ونُصْح صـادق، وإخلاص كامـل، وصراحة بارزة وتعـاون ومودّة، في سـبيل خدمة الديـن، والقيام بواجـب النصرة والبلاغ المبين.

---

(١) انظر: علي والخلفاء، ص ٩ ـ ١٠.

ثالثاً: جراحات الرافضة ودعاواهم وأكاذيبهم بحق الصحابة عموماً وعلي خصوصاً:

•• الروافض تكفر جمهور الصحابة كالخلفاء الثلاثة ومن والاهم وتفسقهم، ويكفرون من قاتل عليّاً ويقولون: هو إمام معصوم[1].

ويذكر أبو المظفر الإسفراييني ـ بعد كلامه على فِرق الإمامية ـ ما يلي: (واعلَمْ أن جميع مَن ذكرناهم من فِرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة)[2].

ويذكر محمد المهدي الكاظمي القزويني في ردِّه على ابن تيمية: الأدلة على جواز سَبِّ أبي بكر وعمر، وأنها أدلة ثابتة الصحة، وأن مسألة تفضيل طبقة مؤمني الصحابة على غيرهم من الطبقات من البهتان البيِّن، وأن مَن استشهد مع الحسين أفضل من الصحابة المستشهدين يوم بدر وغيره! ويحاول البرهنة على أن كل مَن حارب عليّاً في موقعتي الجمل وصفين لا يُعَدّ مسلماً[3]!.

وهذا وذاك من أكبر أكاذيب الرافضة وافتراءاتهم التي أقاموا عليها دينهم، وقد ردَّ عليهم أئمتنا، ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العظيم «منهاج السُّنَّة».

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٧؛ المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٦٥.

(٢) التبصير في الدين، ص٢٤.

(٣) كتابه: منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية: ١/٥١ـ٥٣، ٦٨.

والأدلة على تعديل الصحابة ثابتة قاطعة صريحة في الكتاب الكريم والسُّنَّة الصحيحة، (وجميعها يقتضي طهارةَ الصحابة، والقَطْعَ على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يَحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلعِ على بواطنهم إلى تعديل أحدٍ من الخلق له، فَهُم على هذه الصفة إلا أن يَثبت على أحد ارتكابُ ما لا يَحتمل إلا قصْدَ المعصية والخروج من باب التأويل، فيُحكم بسقوط العدالة، وقد برَّأَهم الله في ذلك، ورفَع أقدارهم عنه.

على أنه لو لم يَرِدْ من الله عز وجل ورسوله ﷺ فيهم شيء مما ذكرناه، لأَوْجَبتِ الحال التي كانوا عليها: من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذْل المُهَج والأموال، وقَتْل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين ـ القطْعَ على عدالتهم، والاعتقادَ لنزاهتهم، وأنهم أفضلُ من جميع المعدَّلين والمُزكَّيْن الذين يجيئون من بعدهم أبدَ الآبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتَدّ بقوله من الفقهاء)[1].

•• ومذهب الرافضة في تكفير الصحابة يعني أموراً هائلة:

فيترتب عليه إسقاط تواتر الشريعة بل بطلانها ما دام نَقَلتُها مرتدين.

ويلزم منه القدح في القرآن العظيم وعدم الوثاقة بصحته[2]، لأنه

---

(١) الكفاية، للخطيب، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) والرافضة الإمامية الإثني عشرية يكادون يجمعون على اعتقادهم بتحريف القرآن، وقد صنف نوري الطبرسي كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» أورد فيه أكثر من (ألفي رواية) عن أئمتهم المعصومين تؤكد التحريف في =

وصلنا من طريق الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون الثلاثة الذين تم جمع القرآن في عهدهم المبارك.

يقول الإمام الحافظ الناقد الورع أبو زُرعة الرازي: (إذا رأيتَ الرجل ينتقصُ أحداً من أصحاب رسـول الله ﷺ؛ فاعلَمْ أنـه زِنْديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسـول الله ﷺ، وإنما يريـدون أن يجرحوا شـهودَنا ليُبْطِلوا الكتابَ والسُّنَّة، والجرحُ بهم أَوْلى وهم زنادقة)[1].

ويعني كذلك توجيه التهمة للنبي ﷺ بأنه فشـل في مهمته وتبليغ رسالته، حيث لم يستطع أن يربي رجالاً أمناء على كتابه وسُنَّته والدين الذي حمله للعالمين.

فالرافضة الإمامية الإثني عشـرية التي تشـكل غالبَ الشيعة اليوم، تقدم للمجتمع الإسـلامي والصحابـة بعد وفاة رسـول الله ﷺ صورة معاكسـة تهدم المجهودات التي قام بها النبي ﷺ طيلة ثلاثة وعشـرين عامـاً، لأنها لم تنتـج ـ بزعمهـم ـ إلا ثلاثة أشـخاص أو أربعة ظلوا متمسِّـكين بالإسـلام إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ، أمّا غيرهم فقد قطعوا صلتَهم فَوْر وفاتـه ﷺ ـ والعياذ بالله ـ عن الإسـلام، وأثبتوا أن صحبة النبي ﷺ وتربيته أخفقت في مهمته التي توخَّاها[2]!.

= القرآن من كل نـوع، وتوالت هذه العقيدة عندهم عبـر الأجيال حتى جاء الخميني وأكدها في كتابه «كشف الأسرار». انظر: صورتان متضادتان، ص ٧٠ـ٧١.

(١) الكفاية، للخطيب، ص ٤٩.

(٢) صورتان متضادتان، ص ٥١.

في «الجامع الكافي» للكُلِيني تحت عنوان «كتاب الروضة» رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر: (كان الناس على ردَّة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله عليهم وبركاته». وفي رواية أخرى يعتبر (عمار بن ياسر) رابع الأربعة[١].

وبقي الرافضة على هذا مع مرور القرون، حتى عصرنا حيث يقول الخميني ـ قائد الثورة في إيران ـ في كتابه الفارسي «كشف الأسرار»: (أولئك ـ أي: الصحابة ـ الذين لم يكن يَهمُّهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجردَ ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة، قد سَهُل عليهم إخراجُ تلك الآيات من كتاب الله ـ التي كانت تدل على خلافة علي ﷺ بلا فَصْل، وعلى إمامة الأئمة ـ وكذلك تحريفُ الكتاب السماوي، وإقصاءُ القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم الدين. إن تهمة التحريف التي يوجِّهونها إلى اليهود والنصارى إنما هي ثابتة عليهم!)[٢].

●● أما جراحات الرافضة وأكاذيبهم بحق علي ﷺ فكثيرة وخطيرة، نشير إلى طرف منها له علاقة وطيدة بترجمته:

١ ـ تأخره مع بني هاشم عن بيعة أبي بكر:

ذكر اليعقوبي: أنه قد (تخلَّف عن بيعة أبي بكر قومٌ من المهاجرين

(١) فروع الكافي ـ ج٣ ـ كتاب الروضة، ص١١٥.

(٢) كشف الأسرار، ص١١٤؛ صورتان متضادتان، ص٥٢ـ٥٣.

والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفَضْل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عَمْرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغِفَاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبيّ بن كعب)[1].

ويؤكد ذلك المسعودي فيقول: (ولما بُويع أبو بكر في يوم السَّقيفة وجُدِّدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة، خرج علي فقال: أَفسدتَ علينا أمورنا، ولم تستشرنا، ولم تَرْعَ لنا حقّاً...)، ولم يبايعْه أحدٌ من بني هاشم حتى ماتت فاطمة. ثم قال: (وقد تُنوزِع في بيعة عليٍّ بن أبي طالب إياه: فمنهم من قال: بايَعَه بعد موت فاطمة بعشرة أيام، وقيل: بثلاثة أشهر، وقيل: ستة، وقيل غير ذلك)[2].

٢ ـ شعور علي بالحَيْف عندما انتقلت الخلافة إلى عمر ثم عثمان:

والذي عليه الشيعة قديماً وحديثاً أن عليّاً وصيُّ رسول الله ﷺ، وأن الخلفاء الثلاثة قبله قد اغتَصَبُوا الخلافة، فصَبَر عليٌّ (تقيَّةً) وحفظاً للمصلحة[3].

ففي «نهج البلاغة» خطبة منسوبة لعليٍّ يقول فيها عندما بايع المسلمون عثمان: (لقد عَلمتُم أني أحقُّ بها من غيري، ووالله لأُسْلِمنَّ

(١) تاريخ اليعقوبي: ٩/٢.

(٢) مروج الذهب: ٢٣٧/٢، ٢٣٨.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣٦٢/٢، ٤٤١.

ما سَلِمتْ أمورُ المسلمين، ولم يكن فيها جَوْرٌ إلا عليَّ خاصة، التماساً لأجْرِ ذلك وفَضْله، وزُهداً فيما تنافَسْتُموه من زُخرُفِهِ وزِبْرِجِهِ)(١).

ومن (خصائص الكذب) أنه يحمل في رواياته ما يَفضح عُوَارَه؛ ففي «نهج البلاغة» خطبة أخرى لعليٍّ عندما جاءه الناس للبيعة بعد استشهاد عثمان، يقول فيها:

(دَعُوني والْتَمِسوا غيري؛ فإنَّا مستقبلون أمراً له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقومُ له القلوب، ولا تثبتُ عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامَتْ، والمحجَّةَ قد تنكَّرتْ.

واعلموا أني إنْ أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلمُ، ولم أُصْغِ إلى قول القائل وعَتْبِ العاتب، وإنْ تركتُموني فأنا كأحدِكم، ولَعَلِّي أَسمعُكم وأطوعُكم لمن ولَّيْتموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم مني أميراً)(٢).

فإذا كان عليٌّ هو (الوصي) فكيف يقول لهم: (دعوني والتمسوا غيري)؟! أفليس هذا تفريطاً بالوصية وخيانةً للأمانة؟ وحاشاه من ذلك! وإذا كان يشعر بالحَيْف لأن الخلافة قد تجاوزَتْه، فكيف يأباها اليوم وقد أقبلَتْ إليه والناس عازمون على بيعته؟! وإذا كان هو أول

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١٩/٣. ومثل ذلك في كتابات بعض المعاصرين، انظر: أبو تراب، لطلال الجنابي، ص٤٣، ٥٥؛ وعلي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب، ص١٧٧؛ والإمام علي، لإبراهيم بيضون، ص٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥/٤.

الأئمة المعصومين فكيف يتركها لغيره من غير المعصومين ويكون وزيراً له؟!.

أسئلة كثيرة يمكن طرحُها، كل تدفَعُ في صدر الكذابين والروايات الكاذبة التي تزعم لعليٍّ ما هو منه بريء؛ من التقيَّة، والوصية، والطعنِ بالخلفاء والصحابة واتهامهم بالغدر والخيانة ومخالفة أمر النبي ﷺ.

٣ ـ اتهام علي بالتَّقِيَّة:

والرافضة يجرحون عليّاً بجراحة قبيحة حين يَدَّعون أنه بايع الخلفاءَ الثلاثة حفاظاً على مصلحة الإسلام، وهو يعتقد جازماً أنهم اغتصبوا الخلافة وهو الوصيّ عليها والأحق بها.

فالشيعة تعدّ إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليّاً بايعهم وصلَّى خلفهم وجاهد معهم وزوَّجَهم وتسرَّى ببعض السبي من جهادهم. ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف كتب الشيعة نفسها[١].

وهؤلاء الرافضة يجمعون بين النقيضين لفرطِ جهلهم وظلمهم: يجعلون عليّاً أكملَ الناس قدرةً وشجاعةً حتى يجعلوه هو الذي أقام دين الرسول ﷺ، ثم يصفونه بغاية العجز والضعف والجزع والتقيَّة بعد ظهور الإسلام وقوته ودخول الناس فيه أفواجاً[٢]!.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: بحار الأنوار: ١/٤٩١ـ٤٩٢؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢/٤٤١.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/١٨٧ـ١٨٨.

الفصل الثاني

عليٌّ في عهدِ الصِّدّيق

الثابت في الروايات الكثيرة الصحيحة عن علي وغيره: أنه بايع أبا بكر مع جماعة الصحابة في المسجد النبوي البيعةَ العامة للغدِ من يوم السَّقيفة؛ فلقد كان علي والعباس والزبير وعثمان وغيرهم ممن يَمتُّ إلى النبي ﷺ بقرابة قريبة في بيته ﷺ لتجهيزه[1]، عندما انطلق أبو بكر وعمر إلى «سقيفة بني ساعدة» وتمَّت البيعة هناك، فلما كان اليوم التالي بايع علي والزبير في عامة المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ.

وبقي علي مع الصديق طيلة عهده معيناً له ونصيراً، وكان أحد رؤوس المستشارين المقربين عنده، وشاركه في سياسة الدولة والأمة، وأشار بالأصلح والأنفع حسب رأيه وفهمه الثاقب، وصلّى خلفه، وقضى بقضاياه، وسمى أحد بنيه باسمه حبّاً له واعترافاً بمنزلته في الإسلام.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/٢٤٧.

أولاً: من أقوال علي ومواقفه الدالة على مبايعته أبا بكر وقبوله بيعة الناس له[1]:

١ ـ عن الحسن البصري قال: (لمَّا قدِمَ عليٌّ البصرة في أمر طلحة وأصحابه، قام عبدالله بن الكَوَّاء وقيس بن عُبَاد فقالا: يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن مسيرك هذا: أَوَصيةً أوصاك بها رسول الله ﷺ، أم عهداً عهِدَه عندك، أم رأياً رأيتَهُ حين تفرَّقت الأمة واختلفَتْ كلمتُها؟.

فقال: ما أكون أولَ كاذب عليه، والله ما مات رسول الله ﷺ موت فجأة، ولا قُتل قتلاً، ولقد مكث في مرضه كل ذلك يأتيه المؤذِّن فيُؤْذِنه بالصلاة، فيقول: **مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**، ولقد تركني وهو يرى مكاني، ولو عهِد إليَّ شيئاً لقمتُ به. حتى عارضَتْ في ذلك امرأة من نسائه فقالت: إن أبا بكر رجل رفيق إذا قام مقامك لم يُسمِعِ الناسَ، فلو أمرتَ عمر أن يصلي بالناس، فقال لها: **إنكن صواحبُ يوسف**. فلما قُبض رسول الله ﷺ نظر المسلمون في أمرهم، فإذا رسول الله ﷺ قد ولى أبا بكر أمرَ دينِهم، فولَّوه أمرَ دُنياهم، فبايعه المسلمون وبايعتُه معهم، فكنتُ أغزو إذا أغزاني، وآخذُ إذا أعطاني، وكنتُ سوطاً بين يديه في إقامة الحدود. فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها في ولده، فأشار بعمر، ولم يألُ، فبايعه المسلمون وبايعته معهم، فكنت أغزو إذا أغزاني، وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطاً بين يديه في إقامة الحدود. فلو كانت محاباة عند

(١) وانظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٤٤٤ ـ ٤٦٠.

حضور موته لجعلها في ولده، وكَرِه أن يتخيَّر منَّا معشرَ قريش فيولِّيه أمر الأمة، فلا تكون إساءةٌ من بعده إلا لَحِقتْ عمرَ في قبره، فاختار منَّا ستة أنا فيهم لنختار للأمة رجلاً، فلما اجتمعنا وثب عبدالرحمن بن عوف فوهب لنا نصيبَه منها على أن نُعطيه مواثيقنا على أن يختار من الجماعة رجلاً فيوليه أمر الأمة، فأعطيناه مواثيقنا، فأخذ بيد عثمان فبايعه. ولقد عَرض في نفسي عند ذلك، فلما نظرتُ في أمري فإذا عهدي قد سبق بيعتي، فبايعت وسلَّمت، فكنتُ أغزو إذا أغزاني، وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطاً بين يديه في إقامة الحدود)[(١)].

وفي «نهج البلاغة» فصل منه؛ قال علي: (رضينا عن الله قضاءه، وسلَّمنا لله أمرَه، أَتُراني أكذِبُ على رسول الله ﷺ؟ والله لأَنا أولُ من صدَّقه، فلا أكون أولَ من كَذَب عليه. فنظرتُ في أمري فإذا طاعتي قد سبَقتْ بيعتي، وإذا الميثاق في عنقي لغيري)[(٢)].

٢ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري في (حديث السَّقيفة) وبيعة المهاجرين والأنصار للصديق، قال أبو سعيد: (فصَعِد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم يرَ الزبيرَ، قال: فدعا بالزبير، فجاء، فقال: قلتَ: ابنُ عمّة رسول الله ﷺ وحواريُّه، أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين!

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه، وهو في المطالب العالية (٤٤٥٨)، وقال البوصيري: إسناده صحيح؛ وذكره الحافظ في الفتح وسكت عليه: ١٦/٣٧٠ (٧٠٩٩)؛ وأخرجه ابن عساكر من طرق: ٣/١٠١ ـ ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/٥٠٦.

قال: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله، فقام فبايَعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم يرَ عليّاً، فدعا بعلي بن أبي طالب، فجاء، فقال: قلتَ: ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنُه على ابنته، أردتَ أن تشق عصا المسلمين! قال لا تثريبَ يا خليفة رسول الله، فبايَعه)[١].

قال ابن كثير: (إسناده صحيح، وفيه فائدة جليلة؛ وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حقٌّ، فإن علي بن أبي طالب لم يُفارِق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القَصَّة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة)[٢].

٣ ـ وعن عَمْرو بن سفيان قال: لمَّا ظَهر عليٌّ على الناس يوم الجَمَل، قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ لم يَعهدْ إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأَيْنا من الرأي أن نستخلِفَ أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضَى لسبيله. ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمرَ، فأقام واستقام حتى ضَرب الدين بِجرانه. ثم إن أقواماً طلبوا بهذه الدنيا، فكانت أمورٌ يقضي الله فيها)[٣].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن: ١٤٣/٨؛ وابن عساكر من طريقه «ترجمة أبي بكر»، ص ٣٧٨ـ٣٧٩؛ وساقه بتمامه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٨/٥ـ٢٤٩، ٣٠١/٦ـ٣٠٢ وصحَّحه؛ وأخرجه الحاكم: ٧٦/٣.

(٢) البداية والنهاية: ٢٤٩/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٢١٨)؛ والبيهقي في الدلائل: ٢٢٣/٧؛ وابن عساكر: ٩٩/٣؛ وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام ـ السيرة النبوية»، ص٥٨٤، وقال: إسناده حسن.

٤ ـ وعن النزَّال بن سَبْرة قال: (قلنا لعليٍّ: يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن أبي بكر؟ قال: ذاك امرؤٌ سمَّاه الله الصدِّيقَ على لسان جبريل، وعلى لسان محمد ﷺ. كان خليفةَ رسول الله ﷺ على الصلاة، رضِيَه لدِيننا، فرَضِيناه لدُنيانا)[١].

٥ ـ وعن سُويد بن غَفَلة قال: (دخل أبو سفيان على عليٍّ والعباس، فقال: يا علي وأنت يا عباس، ما بالُ هذا الأمر في أذلِّ قبيلة من قريش وأقلِّها؟! والله لئن شئتَ لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً! فقال له عليٌّ: لا والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً، ولولا أنَّا رأَيْنا أبا بكر لذلك أهلاً ما خلَّيناه وإياهم. يا أبا سفيان، إن المؤمنين قوم نَصَحَةٌ بعضهم لبعض، متوادُّون وإن بَعُدت ديارهم وأبدانهم، وإن المنافقين قوم غَشَشَة بعضهم لبعض)[٢].

٦ ـ وقد استدل علي على صحة بيعته بالخلافة بصحة خلافة الخلفاء الثلاثة قبله وبيعة الناس لهم؛ ففي مَعْرِض ردِّه على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حين توقف عن مبايعته، كتب إليه أمير المؤمنين علي:

(إنه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يَردَّ، وإنما

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «ترجمة أبي بكر»، ص ١٦٥؛ وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٣٠، وقال: إسناده جيد.

(٢) أخرجه من طرق يشد بعضها بعضاً: عبدالرزاق (٩٧٦٧)؛ والطبري في تاريخه: ٢٠٩/٣؛ والحاكم: ٧٨/٣؛ وابن عبدالبرّ في الاستيعاب: ٢٤٥/٢.

الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسَمَّوه إماماً كان ذلك لله رِضاً، فإن خرج عن أمرهم خارجٌ بطَعْنٍ أو بدعةٍ رَدُّوه إلى ما خَرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غيرَ سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولَّى)[1].

٧ ـ وعن أبي وائل قال: (قيل لعلي بن أبي طالب: أَلَا تَستخلِفُ علينا؟ فقال: ما استخلَفَ رسول الله ﷺ فأَستخلِفُ، ولكنْ إنْ يردِ الله بالناس خيراً فسيجمعُهم بعدي على خيرهم كما جَمَعهم بعد نبيِّهم على خيرهِم)[2].

ومن الأدلة على بيعة علي لأبي بكر، ورضاه بها، وأنه مع جماعة المهاجرين والأنصار بل في مقدمتهم:

٨ ـ أنه كان ملازماً للصديق لم يفارقه في وقت من الأوقات، ولا انقطع عنه في جماعة ولا جمعة، وكان معه في مجلس الشورى.

٩ ـ ولما خرج أبو بكر إلى (ذي القَصَّة) لقتال أهل الردَّة، كان علي معه يقود راحلته!.

عن عائشة قالت: (خرج أبي شاهراً سيفَه راكباً راحلته إلى ذي القَصَّة، فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته وقال: إلى أين

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١١٥٨، ١٢٢١)؛ والبزار (٥٦٥)؛ والبيهقي في السنن: ١٤٩/٨؛ وبنحوه: أحمد (١٠٧٨)؛ وابن أبي شيبة: ٥٨٧/٨، وهو صحيح بطرقه وشواهده، وصحَّحه أحمد شاكر، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية: ٢٥١/٥): إسناده جيد.

يا خليفةَ رســول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «**شِمْ سـيفك، ولا تفجَعْنا بنفسـك**»، فواللهِ لئن أُصِبْنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظامٌ أبداً! فرجَع وأمضَى الجيش)[١].

١٠ ـ وكان مـع أبـي بكر في حراسـة أنقاب المدينـة من هجوم المرتدين، وكان أحد أمراء الحرس[٢].

١١ ـ وكان مع الصديـق عندما جَيَّش الجيوشَ لفتح بلاد الشـام، وبشَّره بأن الله سينصره[٣].

ثانياً: توضيح حقائق وحل مشكلات:

●● عن عبد الرحمن بن عـوف في «قصة بيعة أبي بكر»: (قَال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غَضِبْنـا إلا لأنَّا أُخِّرْنا عن المشـاورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعد رسول الله ﷺ؛ إنه لصاحبُ الغار وثاني اثنين، وإنا لنعرفُ شـرفَه وخيرَه، ولقد أمره رسـول الله ﷺ بالصـلاة بالناس وهو حي)[٤].

---

(١) ابن عساكر «ترجمة أبي بكر»، ص٤٦؛ حياة الصحابة: ٢٢/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٤٥/٣؛ البداية والنهاية: ٣١١/٦.

(٣) انظر ما سيأتي: ص ٢٩١ في هذا الكتاب.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن: ١٥٢/٨؛ والحاكم: ٦٦/٣ـ٦٧ وصحَّحه، ووافقه الذهبي؛ وسـاقه ابن كثير مـن رواية موسـى بن عقبة فـي «مغازيه» في موضعين من البداية والنهاية: ٢٥٠/٥ وقال: إسناده جيد ولله الحمد والمنّة، و٣٠٢/٦.

وقول علي والزبير بأنهما غضبا لأنهما أُخِّرا عن المشورة، يقصدان بذلك يومَ السقيفة ولا بدّ، وليس تأخر علي عن البيعة ستة أشهر كما فهم البعض، وذلك لتلتئم الروايات الصحيحة في بيعته بالمسجد مع أقواله ومواقفه رضي الله عنه وأرضاه.

وسبب عَتْب عليٍّ أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء، وقُربه من النبي ﷺ وغير ذلك، رأى أنه لا يُستبَدّ بأمر إلا بمشورته وحضوره، وكان عُذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً؛ لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة[١].

•• قال البخاري: (حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشةَ: أن فاطمة عليها السلام بنتَ النبي ﷺ أرسلَتْ إلى أبي بكر تسألُه ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاءَ الله عليه بالمدينة وفَدَك، وما بقي من خُمُس خيبرَ.

فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةٌ، إنما يأكلُ آلُ محمد ﷺ في هذا المال**» وإني والله لا أغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأَعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ به رسولُ الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يَدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهَجَرَتْهُ فلم تُكلِّمْهُ حتى توفِّيتْ، وعاشَتْ بعد

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ٦/٣٢٣ـ٣٢٤ (١٧٥٩).

النبي ﷺ ستةَ أشـــهر، فلما تُوفِّيتْ دفنَها زوجُها عليٌّ ليلاً، ولم يُؤْذِنْ بها أبا بكر، وصلَّى عليها.

وكان لعليٍّ من الناس وجْهٌ حياةَ فاطمة، فلما تُوفِّيَتْ اســتَنْكَر عليٌّ وجوهَ الناس، فالْتَمَس مصالحــةَ أبي بكر ومبايعتَه، ولم يكن يُبايِعُ تلك الأشــهر، فأرســل إلى أبي بكر: أن ائتِنا ولا يأتنا أحدٌ معــك، كراهيةً لمحضَرِ عمرَ. فقال عمر: لا والله لا تدخلُ عليهم وحدَكَ، فقال أبو بكر: وما عَسَيْتَهُم أن يفعلوا بي؟! والله لآتِينَّهم.

فدخل عليهم أبو بكر، فتشهَّد عليٌّ فقال: إنَّا قد عرفنا فَضْلَك وما أَعطاكَ الله، ولم نَنْفَسْ عليك خيراً ســاقَهُ الله إليك، ولكنَّكَ استَبْدَدْتَ علينا بالأمر، وكنا نَرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً!.. حتى فاضَتْ عينا أبي بكر.

فلما تكلَّمَ أبو بكر قال: والذي نفســي بيدِهِ، لَقَرابةُ رســول الله ﷺ أحَبُّ إليّ أن أَصِلَ من قرابتي، وأما الذي شَــجَرَ بيني وبينكم من هذه الأمــوال، فلم آلُ فيها عن الخيــر، ولم أَتركْ أمراً رأيتُ رســول الله ﷺ يصنَعُ فيها إلا صنَعْتُه.

فقال عليٌّ لأبي بكر: مَوْعِدُكَ العَشيَّةُ للبيعة.

فلما صلَّى أبو بكر الظهر رَقِيَ على المنبر، فتشهَّدَ، وذَكَر شأنَ عليٍّ وتَخلُّفَهُ عن البيعة، وعُذْرَه بالذي اعتذر إليه.

ثم استغفر وتشهَّدَ عليٌّ، فعَظَّمَ حقَّ أبي بكر، وحَدَّثَ: أنَّه لم يحمِلْه على الذي صَنَع نفاســة على أبي بكر، ولا إنكاراً للــذي فَضَّلَه اللهُ به، ولكنَّا نَرى لنا في هذا الأمر نصيباً، فاستَبدَّ علينا، فوَجَدْنا في أنفسنا.

فَسُرَّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبتَ. وكان المسلمون إلى عليٍّ قريباً، حين راجع الأمرَ المعروفَ)[١].

ما قدمناه أدلة واضحة على أن عليّاً بايع أبا بكر البيعة العامة في المسجد، وكان معه ولم ينقطع عنه، وهذه الرواية التي سقناها رواية صحيحة ثابتة يوهِمُ ظاهرُها أن عليّاً تأخر عن البيعة ستة أشهر، فما الجواب في ذلك؟.

نقول: في هذا الحديث إدراجٌ خفي[٢] من كلام الزهري، أَدرجه بعضُ الرواة فاتصل بكلام عائشة، فأَوهمَ القارئ أنه منه، وليس كذلك بل هو مرسَل! ومرسَلات الزهري ليست بشيء كما قال جهابذة نقاد الحديث كيحيى القطّان وابن مَعين[٣].

- فقوله في الحديث: (ولم يكن بايع تلك الأشهر):

أخرجه البيهقي في «السنن»[٤]، بما لفظه: (قالت عائشة : فكان لعليٍّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلما توفِّيت فاطمة انصرف وجوه الناس

---

(١) أخرجه البخاري(٤٢٤٠، ٤٢٤١) وأطرافه في (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)؛ ومسلم (١٧٥٩)؛ وابن حبان (٤٨٢٣، ٦٦٠٧)، وأخرجه غيرهم مختصراً.

(٢) **المُدْرَج**: هوما ذُكِرَ في ضمن مَتْن الحديث من قول بعض الرواة الصحابي أو مَنْ دونه موصولاً بالحديث، من غير فصلٍ بين الحديث وبين ذلك الكلام، أي: من غير أن يُذكر قائلُه، فيؤدي عدمُ الفصل إلى الالتباس على مَن لا يعلم حقيقة الحال ويتوهَّم أن الجميع من أصل الحديث.

(٣) انظر: قواعد في علوم الحديث، للتهانوي، ص١٥٦.

(٤) السنن الكبرى: ٦/٣٠٠.

عنه. عند ذلك قال مَعْمَر: قلتُ للزهري: كم مكَثَتْ فاطمة بعد النبي ﷺ؟ قال: ستة أشهر، فقال رجل للزهري: فلم يبايعْه عليٌّ حتى ماتت فاطمة؟ قال: ولا أحدٌ من بني هاشم).

وهذا صريح في أن عائشة لم تذكر قعودَ علي رضي الله عنه عن البيعة، وإنما هو من كلام الزهري، ولذلك يقول البيهقي رحمه الله بعد رواية هذا الحديث: (وقول الزهري في قعود عليٍّ عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى توفِّيت فاطمةُ : منقطع). يعني: أن الزهري قال ذلك دون أن يُسنِده إلى أحد.

وقال البيهقي أيضاً في كتابه «الاعتقاد على مذهب السلف»: (والذي روي: أن عليّاً لم يبايع أبا بكر ستة أشهر، ليس من قول عائشة، وإنما هو من قول الزهري، فأَدْرَجَه بعضُ الرواة في الحديث عن عائشة في قصة فاطمة، وحَفِظه مَعْمَر بن راشد فرواه مفصَّلاً، وجعله من قول الزهري، منقطعاً عن الحديث)[١].

فثَبَت أن قصة قعودِ عليٍّ عن بيعة أبي بكر مرسَلة من الزهري، ومرسَلاتُ الزهري ليست بشيء، وقد عارضَتْهُ رواياتٌ موصولة صحيحة عن أبي سعيد الخُدْري وعبدالرحمن بن عوف وعلي نفسه وغيرهم، تبيِّن أن عليّاً رضي الله عنه لم يقعد عن البيعة، وإنما بايع الصديق بعد قصة السقيفة فوراً[٢].

---

(١) الاعتقاد على مذهب السلف، ص ١٨٠.

(٢) انظر: تكملة فتح الملهم: ٦٣/٣.

- وقوله: (لم نَنْفَس عليك خيراً ساقه الله إليك): أي: لم نحسدْكَ على الخلافة.
- وقوله: (استبددتَ): أي: لم تشاوِرْنا في أمر الخلافة، كما في قوله المتقدم: (ما غَضِبْنا إلا لأنَّا أُخِّرنا عن المشورة).
- وقوله: (وكنا نَرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً): أي: لأجلِ قرابتنا منه ﷺ نرى أن لنا في الخلافة نصيباً، وهذا اجتهاد منه لا نصَّ فيه.
- وقوله: (موعدك العشية للبيعة): فهذه البيعة التي وقعت من علي لأبي بكر بعد وفاة فاطمة ؛ بيعة مؤكِّدة للصلح الذي وقع بينهما، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها صبيحة يوم السَّقيفة. ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر، بل كان ملازماً له كما أوضحناه[(١)].

فالسيدة فاطمة لمَّا عتبت على الصديق بشأن ميراث النبي ﷺ، احتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدِّد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه[(٢)].

وبسبب ذلك أظهرَ عليٌّ البيعة ثانيةً بعد موت فاطمة عليها السلام ؛ لإزالة شبهة من يتوهَّم عدمَ الرضا بخلافة أبي بكر[(٣)].

ونتيجة هذه البيعة الثانية توهم بعضُهم أن عليّاً لم يبايع الصديق طوال ستة أشهر[(٤)].

---

(١) وانظر: البداية والنهاية: ٥/٢٨٦، ٦/٣٠٢.

(٢) البداية والنهاية: ٥/٢٥٠.

(٣) الفتح: ٩/٥٢٦.

(٤) تكملة فتح الملهم: ٣/٦٥.

ثالثاً: مواقف علي في حروب الردة والفتوحات:

عندما بايع علي أبا بكر اعتبر نفسه جنديّاً في إدارته، ولم يتردد في القيام بأية مهمة يَعهد بها إليه، وانخرط بملء إرادته في دولة الخلافة ومنحها كل طاقاته، وقد برز دوره في حروب الردَّة ثم في انطلاق الفتوحات خارج الجزيرة العربية.

●● ومن الأدلة الساطعة على إخلاص علي لأبي بكر، ونصحه للإسلام والمسلمين، وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين: ما جاء في موقفه من توجُّه أبي بكر بنفسه إلى ذي القَصَّة لحرب المرتدين، فقام يقود براحلته، وألحَّ هو وصحابة آخرون على الصديق بأن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيرَه ممن يؤمِّره من أبطال الصحابة، وقال له: (والله لئن أُصِبْنا بكَ لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً)، فعقد أبو بكر الألوية لأحد عشر جيشاً، ورجع إلى المدينة[1].

وقام أبو بكر بعمل مهم لحماية المدينة، فوضع على مداخلها وطُرقها الجبلية الحراسَ، وعيَّن على الحراس أمراء، وهم: علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم[2].

---

(١) انظر ما تقدم: ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ حاشية (١) في هذا الكتاب؛ البداية والنهاية: ٣١٤/٦ـ٣١٥؛ المرتضى، ص ٨٩ـ٩٠. **ذو القصة**: موضع بينه وبين المدينة (٢٤ ميلاً).

(٢) البداية والنهاية: ٣١١/٦.

•• ولما عزم الخليفة أبو بكر على توجيه الجيوش إلى الشام لتحريرها من سلطة الرومان، جمع رؤوس الصحابة واستشارهم، فوافقه بعضهم، وقال آخرون: (ما رأيت من رأي فأَمْضِه، فإنَّا لا نُخالِفُك ولا نتهمُك).

(وعليٌّ في القوم لم يتكلم، فقال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال علي: أرى أنك إنْ سرتَ إليهم بنفسك أو بعثتَ إليهم؛ نُصِرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشَّرَكَ الله بخير! ومن أين علمتَ بذلك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزالُ هذا الدين ظاهراً على كل من ناوَأَه حتى يقومَ الدين وأهلُه ظاهرون**»(١) فقال: سبحان الله، ما أحسنَ هذا الحديثَ! لقد سررتني به سَرَّكَ الله)(٢).

رابعاً: علي في مجلس الشورى:

وكان علي رضي الله عنه من وجوه الصحابة الذين شكَّلوا (مجلس الشورى) الذي يرجع إليه خليفة المسلمين أبو بكر، لتسيير أمور الدولة وحلّ المعضلات والبتّ في القضايا الكبرى، وتحديد سياسة الحكم، وما يهم الأمة وشؤون الإسلام ودعوته.

يروي عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر: (أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمرٌ يريد فيه مشاورة أهلِ

---

(١) هذا حديث «الطائفة المنصورة» وهو في الصحيحين وغيرهما، وقد شرحته بتوسع في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٣/٤٩٥.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١/١٨١ ـ ١٨٣؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/١٩.

الرأي وأهلِ الفقه، ودَعَا رجالاً من المهاجرين والأنصار ـ دعا عمرَ وعثمان وعلياً وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء. فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر)[1].

خامساً: أبو بكر وعلي وآل البيت حب راسخ متبادل:

وقد كانت علاقة خليفة المسلمين أبي بكر مع السادة الكرام علي والحسن والحسين وآل البيت عامة ـ علاقةَ صلةٍ دائمة وودٍّ ومحبة وتقدير وإكرام متبادل، ونابعة من قلوب زكية صافية طاهرة مخلصة، محفوظة بوشائج الإيمان الراسخ الملتزم بالعناية الرفيعة النبيلة والوفاء لوصية النبي ﷺ بآل البيت الطاهرين، مكمّلةً بعلائق المصاهرة والنّسب بين آل البيت وخليفة رسول الله ﷺ.

١ ـ عن عُقْبة بن الحارث قال: (خرجتُ مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر، بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ، وعليٌّ يمشي إلى جَنْبه، فمرَّ بحسن بن علي يلعب مع غِلمانٍ، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

وا بأبي شِبهُ النبيّ ... ليس شبيهاً بعليّ

قال: وعليٌّ يضحك)[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٥٠/٢؛ وبأخصر منه في تاريخ اليعقوبي: ٢٦/٢.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٢، ٣٧٥٠)؛ وأحمد (٤٠).

٢ ـ وروى ابن عُمر، عــن أبي بكر قال: (ارقُبُوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[١].

٣ ـ وتقدَّم قولُ أبي بكر: (والذي نَفْســي بيدهِ، لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أَحَبُّ إليَّ أن أَصِلَ من قرابتي)[٢].

٤ ـ وعن عبدالرحمن بن الأصبهاني قال: (جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رســول الله ﷺ، فقال: انزل عن مجلس أبي[٣]، قال: صدقتَ، إنه مجلس أبيك! ثم أجلَسَــه في حَجْــرِه، ثم بكى. فقال عليٌّ: والله ما هذا عن أمري، فقال: صدقْتَ، والله ما اتَّهَمْتُك)[٤].

وكان الحسن في خلافة أبي بكر ابنَ نحو عشر سنين.

٥ ـ ولم يستطع غُلاة الرافضة أن يكتموا كل الحقائق، فذكر بعضُهم في كتبهم أخبــاراً تؤكد العلاقة الوثيقة والألفــة التامة والمحبة الصادقة بين الصديق وبين عليّ وعامة آل البيت الأطهار[٥].

ذكر شيخُ الطائفة أبو جعفر الطُّوســي، عن الضحَّاك بن مُزاحم: أنه قال: (ســمعتُ علي بن أبي طالب يقول: أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيتَ رســولَ الله ﷺ وآله، فذكرتَ لــه فاطمة. قال: فأتيتُــه، فلما رآني

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٣، ٣٧٥١).

(٢) انظر: ص٢٨٦ في هذا الكتاب.

(٣) يريد جدَّه النبي ﷺ.

(٤) ابن عساكر «ترجمة أبي بكر»، ص٤١٣ ـ ٤١٤؛ تاريخ الخلفاء، ص٨٠.

(٥) وقد نقل كثيراً من ذلك من كتبهم العلاَّمةُ إحســان إلٰهي ظهير في كتابه القيم: «الشيعة وأهل البيت».

رسول الله ﷺ وآله ضحك، ثم قال: ما جاء بك يا علي؟ وما حاجتك؟ قال: فذكرتُ له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي، فقال: يا علي صدقتَ، فأنت أفضل مما تذكره. فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوجنيها)[١].

وقد فصَّل في ذكر هذه الرواية الملّا باقر المجلسي الرافضي المتحرق الشتام، حيث لم يستطع تجاهلَها، فذكرها في كتابه «جلاء العيون»[٢]. وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا شهوداً على الزواج[٣].

وبقيت هذه العلاقة حتى وفاة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ففي كتب الشيعة ـ كذلك ـ أن أسماء بنت عُميس زوجَ أبي بكر هي التي كانت تمرِّض فاطمة في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها[٤].

وكان أبو بكر دائمَ الاتصال بعليٍّ ويسألُه عن صحة فاطمة الزهراء، وذلك مثبت في كتب القوم المتقدمة: (فمرضت ـ أي فاطمة ـ وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلَّى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟). ولما قُبضت ارتجَّت المدينة بالبكاء،

(١) الأمالي: ١/٣٨، علي والخلفاء، ص ٢١.

(٢) جلاء العيون: ١/١٦٩.

(٣) الأمالي: ١/٣٩؛ جلاء العيون: ١/١٧٦؛ بحار الأنوار: ١٠/٣٨ـ٣٩؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٧٣ـ٧٤.

(٤) الأمالي: ١/١٠٧؛ جلاء العيون: ١/٢٣٧.

(وأقبل أبو بكر وعمر يعزِّيان عليّاً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله!)[١].

٦ ـ وآلُ البيت جميعاً وفي مقدمتهم عليٌّ على تعظيمِ أبي بكر وتفضيلِه والثناءِ عليه وتولِّيه والتبرُّؤ ممن يُعاديه، وشواهد ذلك كثيرة في كتبِ السُّنَّة والشيعة!:

- هذا علي قد سمى ثلاثة من أبنائه بأسماء إخوانه الخلفاء الثلاثة قبله: أبو بكر، وعمر، وعثمان.

- وروى جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال: (وَلِيَنا أبو بكر الصديق خليفةُ رسول الله ﷺ؛ فخيرُ خليفة: أَرحمُهُ بنا، وأَحْنَاهُ علينا)[٢].

- وقال أبو حازم الأعرج: (ما رأيتُ هاشمياً أفقهَ من علي بن الحُسين، سمعتُه وقد سُئل: كيف كانت منزلةُ أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة!)[٣].

- وعن عروة بن عبدالله قال: (سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن حِلْية السيف؟ فقال: لا بأسَ به، قد حلَّى

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص٣٥٣، ٣٥٥.

(٢) أخرجه الحاكم: ٧٩/٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي؛ وعزاه الحافظ في (الإصابة: ٣٣٥/٢) للبغوي، وجوَّد إسناده.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٣٩٤/٤ـ٣٩٥. وانظر خبراً مطولًا في: كشف الغمة، للإربلي: ٧٨/٢.

أبو بكر الصديق سيفَه! قال: قلتُ: وتقول الصديقُ؟! فوثب وثبة واستقبل القبلة، فقال: نَعمْ الصديقُ! فمن لم يَقلْ له الصديق فلا صَدَّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة!)[١].

- وسئل جعفر الصادق: (يا ابنَ رسول الله، ما تقولُ في حق أبي بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: إمامان عادلان مُقسِطان، كانا على الحق، وماتا عليه، فعليهما رحمة الله يوم القيامة)[٢].

٧ ـ ومن أعظم الأدلة على الحبِّ الراسخ المتبادَل بين علي وآل البيت وبين أبي بكر؛ أن آل البيت عقدوا وشائجَ المصاهرة بينهم وبين آل أبي بكر، وهل يُصْهِر المرء إلا لمن يحب؟! وهل يتزوج الرجل امرأة يكرهها وتكرهه، ويرى كل منهما في الآخر عدوّاً له ومغتصباً لحقِّه؟!:

- فالسيدة أسماء بنت عُمَيْس زوجُ جعفر بن أبي طالب، وقد استُشهد عنها، فتزوجها بعده أبو بكر، فمات عنها، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له ابنه يحيى[٣].

- وتزوج محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر من حفيدة أبي بكر الصديق: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر.

---

(١) كشف الغمة، للإربلي: ١٤٧/٢؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٥٤ـ٥٥.

(٢) إحقاق الحق، للشوشتري: ١٦/١.

(٣) الإرشاد، للمفيد، ص ١٨٦.

وأم فروة هذه هـي أم جعفر الصادق، ولهذا كان يقـول مفتخراً: ولدَني أبو بكر مرتين[١].

- والقاسم بن محمد بن أبي بكر وزين العابدين علي بن الحسين ابن عليّ هما ابنا خالة[٢].

- وذكر أهل الأنساب والتاريخ أن الحُسين بن علي بن أبي طالب تزوَّج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[٣].

٨ ـ وأما ثناء سيدنا علي على سيدنا أبي بكر فهو كثير مشهور منشور، وقد ذكرنا طرفاً جيداً منه[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) الكافي، للكليني: ١/٤٧٢؛ عمدة الطالب، ص ١٩٥.

(٢) جلاء العيون، للمجلسي، ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

(٣) الشيعة وأهل البيت، ص ٧٩.

(٤) انظر: ص ٢٦٥ ـ ٢٦٨ في هذا الكتاب.

الفصل الثالث

عليٌّ في عهدِ الفَاروق

يلتقي الرجلان العظيمان الفاروق عمر والمرتضى علي في كثير من الصفات والشمائل، وأبرزها الصلابة في الحق والقوة والجرأة والصراحة والزهادة والتقشف والورع والإخلاص والنُّبل وبلوغ الغاية في خدمة الإسلام والمسلمين والحرص على الدعوة والأمة والدولة.

وتؤكد الدراسة الناقدة والبحث النزيه وروايات أهل السُّنَّة الصحيحة الثابتة وكثير من مصادر الشيعة المتقدمة، مثل: «نهج البلاغة» وشرحها لابن أبي الحديد وابن مَيْثَم البَحْراني، و«الكافي» للكُلِيني، و«الشافي» للشريف المرتضى، و«الأمالي» لشيخ الطائفة الطوسي، و«بحار الأنوار» للمجلسي، وغيرها ـ أن هَدْي الفاروق مع علي وسيرة علي مع الفاروق كانت على أنبل أخلاق الرجال الذين هم صنعة النبوة، وأن عليّاً قد بايع عمر بيعة صحيحة صريحة مخلصة ورأى فيه مرآة هدي النبوة، وزوَّجه ابنته أم كلثوم، ولازَمَه وناصَحَه وأشار عليه بأحسن الآراء، وحرص على حياته أشد الحرص، ورثاه عند استشهاده بأروع الكلام، وخلَّد ذِكْرَه بعد وفاته فسمَّى أحد أبنائه باسمه؛ محبةً له وتيمناً به وإجلالاً لمنزلته عند النبي ﷺ وفي أمة الإسلام. كما أن عمر قدَّم عليّاً على نظرائه، وأثنى

عليه في وجهه وأمام الصحابة، وأنَابَهُ غيرَ مرة على أمور المسلمين في المدينة، وأَسنَد إليه القضاء فيها، وأبقاه بجانبه في جماعة من أكابر الصحابة ورجال الشورى ليكونوا له وزراء وأعواناً في تسيير شؤون الدولة، وسَمَّاه في ستة رجال للشورى ليكون بعده خليفة المسلمين ورَجَّح جانبه على من سواه.

أولاً: بيعة علي للفاروق عمر:

ـ في الحديث الصحيح الطويل الذي يرويه الحسن البصري، عن علي: أنه ذكر خلافة الصديق، ولمَّا حضره أجَلُه: (أشار بعمرَ ولم يألُ، فبايَعَه المسلمون وبايعتُه معهم...) الحديث[١].

ـ وأثبت هذا شيخُ الطائفة الطُّوسي، حيث يروي عن علي ﷺ: أنه قال: (فبايعتُ عمرَ كما بايعتُموه، فوفيتُ له بيعتَهُ، حتى لما قُتل جعَلَني سادسَ ستة، ودخلتُ حيث أَدخلني)[٢].

ـ واحتَجّ علـيٌّ على صحة بيعة الناس له بالخلافة بصحة بيعة الخلفاء الثلاثة قبله، فجاء في كتابه إلى معاوية بن أبي سفيان: (إنه بايَعَني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه...)[٣].

---

(١) تقدم مطولًا: ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ في هذا الكتاب.

(٢) الأمالي، للطوسي: ١٢١/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧؛ وتقدم بتمامه: ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ في هذا الكتاب.

ـ وفي كتاب «الغارات» للثقفي، عن عليٍّ: أنه قال: (فلما احتُضِر أبو بكر بَعث إلى عمر فولّاه، فسَمِعْنَا وأطعنا وناصَحْنَا)(١).

ـ وتبجيلاً من علي للفاروق عمر، وإظهاراً لمنزلته؛ كثيراً ما كان يخاطبه بإمرة المؤمنين:

عن أبي ظَبْيان: (أن عليّاً قال لعمر: يا أميرَ المؤمنين، أَمَا سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: **«رُفع القلمُ عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبَر، وعن المُبتلَى حتى يَعْقِل»**؟)(٢).

ثانياً: مكانة علي في الدولة العمرية:

بقيت منزلة علي في دولة الخلافة على ما كانت عليه زمن أبي بكر، وكان له مكان الصدارة مع عِلْيَة الصحابة وفي مجلس الشورى الذي يدير مع الفاروق سياسة الدولة وشؤون الدعوة والأمة.

●● ومن أبرع الأدلة على ذلك: أن عمر استناب عليّاً غير مرة على المدينة، فكان بهذا (نائب رئيس الدولة) في عاصمة الخلافة.

١ ـ ففي سنة (١٤هـ) أراد عمر أن يغزو الفرس بنفسه، فاستخلف عليّاً على المدينة، وخرج في الجيش وعسكر في (صِرَار) ـ موضع

---

(١) الغارات: ٣٠٧/١. والثقفي: هو إبراهيم بن محمد، من علماء الإمامية، توفي (٢٨٣هـ).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٦٠)، وصحَّحه أحمد شاكر، وسيأتي مطولًا: ص ٣٠٤ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

ناحية المدينة على طريق العراق ـ فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف بأن يؤمِّر سعد بن أبي وقّاص، ففعل، وكانت وقعة القادسية[١].

٢ ـ وفي سنة (١٥هـ) أو (١٦هـ) سار عمر إلى الشام لفتح بيت المقدس، وجعل عليّاً على المدينة نائباً عنه[٢].

٣ ـ وفي سنة (٢٣هـ) حَجّ عمر بأمهات المؤمنين، واستخلف عليّاً على المدينة[٣].

•• واستقبل الفاروق خلافته سنة (١٣هـ)، وعيَّن عليّاً قاضياً على المدينة[٤]، مع وجود عمر فيها، وهذا فيه من الإجلال لعليٍّ ورفْعِ منزلته ما لا يَخفى.

عن إبراهيم النَّخَعي قال: (لمَّا ولي عمر رضي الله عنه قال لعليّ رضي الله عنه: اقضِ بين الناس، وتجرَّدْ للحرب!)[٥].

•• وكان (مجلس الشورى) في عهد عمر يضم نخبة رجال الأمة من الأعيان والكهول والشبان، ومن رؤوس هذا المجلس: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والعباس وابنه عبد الله. وأكابر الأنصار مثل: أُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأضرابهم[٦].

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٤٨٠ـ٤٨١؛ البداية والنهاية: ٧/٣٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٦٠٨؛ البداية والنهاية: ٧/٥٥.

(٣) المنتظم: ٤/٣٢٧.

(٤) البداية والنهاية: ٧/٣١.

(٥) المنتظم: ٤/١٣٦.

(٦) انظر كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٣٥٨ـ٣٦٠؛ منهاج السُّنَّة: ٤/٤١٦.

ثالثاً: دور علي البارز في الشؤون القضائية والفقهية:

•• اشتهر علي ﷺ بالقضاء؛ ببركة دعوة النبي ﷺ له، وبما آتاه الله من ذكاء وقَّاد وفطنة حاضرة، وكان عمر يشيد به في هذا ويلجأ إليه في المعضلات.

عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: (أَقرؤُنا أُبَيٌّ، وأقضانا عليٌّ)[١].

وعن سعيد بن المسيِّب قال: (كان عمر بن الخطاب يتعوَّذ من مُعضِلة ليس لها أبو الحسن)[٢].

وعن قيس بن أبي حازم قال: (لقد شهدتُ عمرَ أَشكل عليه شيء، فقال: هاهنا علي؟)[٣].

•• وأما ما روي عن عمر: أنه قال: (لولا علي لهلك عمر)[٤]:

فلم نَرَهُ بإسناد ثابت، وإنْ صحَّ فهو من تواضع عمر وإشادته بعليٍّ ﷺ. وما نراه يَصِحُّ، فإن الفاروق كان (إذا نزلت النازلة يشاور عثمان وعليّاً وعبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبا موسى، حتى يشاور ابن عباس وكان من أصغرهم سنّاً)[٥].

---

(١) تقدم: ص ١٥٤ في هذا الكتاب؛ وهو في: الأمالي، للطوسي: ٢٥٦/١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣٣٩/٢؛ ابن عساكر: ٣٩/٣.

(٣) الفتح: ٢٠٠/١٧، كتاب الاعتصام، باب (٢٨).

(٤) الاستيعاب: ٣٩/٣؛ وذكره ابن المطهر الحلي: منهاج السُّنَّة: ٤١٧/٤.

(٥) منهاج السُّنَّة: ٤١٨/٤.

وعمر كان يشاورهم كلَّهم، وهو أعلمُ منهم، وكان كثير من القضايا يقول فيها أولاً ثم يتبعونه. وقد أخبر النبي ﷺ في حق عمر من العلم والدين والإلهام؛ بما لم يُخبر بمثله، لا في حق عثمان ولا علي ولا طلحة ولا الزبير(١). وقد جلينا ذلك في كتابنا «عمر بن الخطاب».

ومن هذا القبيل قول بعضهم: (ما اقترح علي على عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة). وقائل هذا عكَس الأمرَ بعد صفحة من كتابه فقال: (إن عليّاً كان كثيراً ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر)(٢)!.

ونحوه ما نقله النَّدْوي في كتابه «المرتضى» عن كتاب «الفاروق» للعلّامة شبلي النعماني: (إن عمر رضي الله عنه لم يكن يبتّ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير عليّاً رضي الله عنه)(٣).

وهذا وذاك غير صحيح: فعليٌّ رضي الله عنه كان من أهل الشورى كعثمان وطلحة والزبير وابن عوف وابن مسعود وزيد وابن عباس وغيرهم، وعمر كان يشاورهم، ولم يكن أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يَخُصّان عليّاً بسؤال(٤).

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤١٩.
(٢) علي بن أبي طالب، للدكتور علي الصلابي، ص ١٨١ـ ١٨٢.
(٣) المرتضى، ص ١١٠.
(٤) منهاج السُّنَّة: ٣/٥١٣.

وعمرُ أفقهُ من عليٍّ وأعلمُ، وأقلُّ منه خطأً في مسائل الفقه والاجتهاد، وقد جمع العلماء مسائلَ الفقه التي ضُعِّف فيها قولُ أحدهما، فوجدوا الضعيفَ في أقوال علي أكثر[1].

أمثلة عن استشارة عمر عليّاً:

١ ـ عن أبي ظَبْيَان الجَنْبي: (أن عمر بن الخطاب أُتِي بامرأة قد زَنَتْ، فأَمر برجْمِها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقِيَهُم علي فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت، فأَمر عمرُ برجمها، فانتزَعَها عليٌّ من أيديهم ورَدَّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما رَدَّكم؟ قالوا: رَدَّنا علي، قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد عَلِمه، فأَرسل إلى عليٍّ، فجاء وهو شِبهُ المُغْضَب، فقال: ما لَكَ رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أمَا سمعتَ النبي ﷺ يقول: «**رُفِع القلم عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المُبتلى حتى يَعْقِل**»؟ قال: بلى، قال علي: فإن هذه مُبْتَلاةُ بني فلان، فلعلَّه أتاها وهو بها! فقال عمر: لا أدري، قال: وأنا لا أدري. فلم يرجُمْها). وفي رواية: (قال: صدقت. قال: فخلَّى عنها)[2].

٢ ـ وعن عِكْرِمة: (أن عمر بن الخطاب شاور الناسَ في جَلْد الخمر، وقال: إن الناس قد شربوها واجترؤوا عليها، فقال عليٌّ: إن السَّكْران إذا سَكِر هَذَى، وإذا هذَى افترى، فاجعَلْه حدَّ الفِرية. فجعله عمر حَدَّ الفرية ثمانين)[3].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٢/٦٣١ـ٦٣٢، ٣/٥٣٥ـ٥٣٦، ٥٤٣ـ٥٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢٧)؛ وأبو داود (٤٤٠١، ٤٤٠٢)؛ والنسائي في الكبرى (٧٣٠٣)؛ وابن حبان (١٤٣)، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر والألباني.

(٣) أخرجه عبدالرزاق (١٣٥٤٢)؛ ومن طريق آخر في موطأ مالك: ٢/٨٤٢.

٣ ـ وعن قتادة قال: (رُفع إلى عمر امرأةٌ ولدَتْ لستة أشهر، فسأل عنها أصحابَ النبي ﷺ، فقال علي: ألا ترى أنه تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]؛ فكان الحملُ هاهنا ستة أشهر. فتركها)[1].

٤ ـ وعن الحسن البصري: أن عمر أَرسل إلى امرأة قد غاب زوجُها عنها، وكان يتحدث عندها الرجال، فجاءَتْه وهي فَزِعة، فضَربَها الطلْقُ في الطريق، فولدت صبيّاً صاح صيحتين ثم مات! فاستشار عمر في ديته، فقال عليٌّ: أرى أن ديته عليك[2]!.

٥ ـ وعن الأسود بن يزيد: (أن رجلاً قُتل في الكعبة، فسأل عمرُ عليّاً، فقال: من بيت المال)[3]. أي: ديته. وهذا قُتل في الزِّحام كما بوَّب عليه عبدالرزاق.

٦ ـ وروى الشعبي: (عن عَبيدة السَّلْماني، عن عليٍّ قال: استشارني عمرُ في بيع أمهات الأولاد، فرأيتُ أنا وهو: إذا وَلَدتْ أُعْتِقَتْ، فقضَى به عمر حياته، وعثمان من بعده. فلما وليتُ الأمر من بعدهما رأيت أن أَرُقَّها. قال الشعبي: فحدَّثني ابن سيرين، قال: قلتُ لعَبِيدة: ما ترى؟ قال: رأيُ عمر وعلي في الجماعة أحبُّ إليَّ من قول علي حين أدرك الخلاف)[4].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١٣٤٤٣)؛ الإرشاد، للمفيد، ص ٣١٢؛ منهاج السُّنَّة: ٥٧٣/٣ـ٥٧٤.
(٢) أخرجه عبدالرزاق (١٨٠١٠)؛ وهو في الإرشاد، ص١١٠.
(٣) أخرجه عبدالرزاق (١٨٣١٧).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: ١٨٤/٥.

وقول علي هذا هو سببُ ما جاء عنه في «صحيح البخاري»، عن عَبِيدة السَّلماني، عن علي ﷺ قال: (اقْضُوا كما كنتم تقضون، فإنّي أكرهُ الاختلافَ، حتى يكون الناس جماعةً، أو أموتَ كما مات أصحابي)[(١)].

قال ابن تيمية: (وكان ما يقوله عمر يشاور فيه عثمان وعليّاً وغيرهما، وعليٌّ مع هؤلاء أقوى من علي وحده، كما قال له قاضيه عَبيدة السَّلْماني: رأيُكَ مع عمر في الجماعة أحبُّ إلينا من رأيك وحدك في الفرقة!)[(٢)].

رابعاً: دور علي في التنظيمات الإدارية والمالية:

واستمر علي يمارس دوره البارز في إدارة أمور الدولة، ولا يتردد عمر في الأخذ بمشورته وهو يرى منه الإخلاص للإسلام، والحفاظ على مصالح الدولة والأمة، والمحبة الصادقة له والحرص على حياته وسلامته.

١ ـ ومن أبرز الأمثلة وأعجبها أن عليّاً شارك في تحديد (راتب الخليفة) ونفقتِه على نفسه وأهله.

لما ولي عمر الخلافة مكث زماناً لا يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً، حتى دخلت عليه في ذلك خَصَاصَة، وأرسل إلى أصحاب

---

(١) البخاري (٣٧٠٧)؛ وقد تقدم: ص٢٦٩ في هذا الكتاب؛ وانظر كلام الحافظ في: الفتح: ٨/٦٦٦.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٣٧٨. وقول عبيدة لعلي: في مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٤٦.

رسول الله ﷺ فاستشارهم، فقال: قد شغلتُ نفسي في هذا الأمر، فما يَصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان: كُلْ وأَطْعِم، وقال ذلك سعيد بن زيد، وقال لعليٍّ: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك[١].

٢ ـ ومن أهم مشوراته: اقتراحُه البدءَ بالتاريخ الإسلامي ابتداءً من الهجرة النبوية إلى المدينة.

قال سعيد بن المسيِّب: (جمع عمر الناس فسألَهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرضَ الشرك. ففعله عمر)[٢].

٣ ـ وكذلك شاوره عمر بشأن الأرض المفتوحة، فوافق عليٌّ عمرَ على رأيه في ضرب الخَرَاج عليها وعدم توزيعها على الفاتحين[٣].

٤ ـ ولما أراد عمر وضع (الدِّيوان) وتسجيلَ الأسماء وترتيبها تقديماً وتأخيراً، استشار الناس، فقال له علي وعبدالرحمن بن عوف: (ابدأ بنفسك، فقال عمر: لا، بل أبدأ بعمِّ رسول الله ﷺ ـ العباس ـ ثم الأقرب فالأقرب).

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٠٧/٣.

(٢) التاريخ الأوسط: ٨٧/١؛ تاريخ الطبري: ٣٨/٤ـ٣٩؛ المستدرك: ١٤/٣، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. وانظر كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٥١٠ـ٥١١.

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٤٢٨ـ٤٣٨. والخبر في تاريخ اليعقوبي: ٤٣/٢.

فبدأ ببني هاشم، ثم أهل بدر، فمن بعدهم على السابقة[1].

خامساً: دور علي في شؤون الجهاد والفتوحات:

كان من سياسة عمر أنه استبقى في المدينة ثلّة من عِلْيَة الصحابة ليُشركهم في حمل أعباء الحكم والخلافة، فكان من جملة أعمالهم المشاركة الفاعلة في إدارة شؤون الجهاد والفتوح، وقد برز دور علي في هذا مثل ما برز في غيره.

١ ـ أراد الخليفة عمر أن يسير بنفسه على رأس الجيش لغزو الروم، ليكسب شرف الجهاد ويكون قدوة لمن بعده في التضحية، واستشار أعيان الصحابة في ذلك، فضَنَّ علي بعمر وخشي عليه أن يُقتل، وهو قُطْب الرَّحى ورأسُ السلطة ومركز دائرة الحكم، وليست خسارته كخسارة أي قائد آخر مهما علا شأنه.

ففي «نهج البلاغة» الكتاب المقدس عند الشيعة، قال علي لعمر ﵄: (وقد توكَّلَ الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحَوْزَة، وسَتْر العورة، والذي نَصَرهم وهم قليلٌ لا ينتصرون، ومَنَعهم وهم قليلٌ لا يمتنعون ـ حيٌّ لا يموت.

إنك متى تَسِرْ إلى هذا العدو بنفسك، فتَلْقَهم فتُنكَبْ، لا يكنْ للمسلمين كهفٌ[2] دون أقصى بلادهم، ليس بعدَكَ مرجعٌ يَرجِعون إليه! فابعث إليهم رجلاً مِحْرَباً[3]، واحْفِزْ معه أهلَ البلاء والنَّصِيحة، فإنْ أظهرَ

---

(١) كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢. وانظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/٤٤.

(٢) في رواية: كانفة، أي: جهة عاصمة.

(٣) أي: صاحب حروب.

اللهُ فذاكَ ما تحبُّ، وإنْ تكن الأخرى كنتَ رِدْءاً للناس ومَثَابة للمسلمين!)[٤].

٢ ـ وكان لعَليٍّ موقف مماثل بشأن جبهة الفرس حيث تجمعوا في جيش عرمرم قوامه نحو (١٥٠ ألف) مقاتل، فأراد عمر أن يغزو فارس بنفسه، فخشي عليه الصحابة وفي مقدمتهم علي، حيث جاء عنه كما في «نهج البلاغة» أيضاً أنه قال للفاروق:

(إن هذا الأمرَ لم يكن نصرُه ولا خُذلانُه بكثرة ولا بقلَّةٍ، وهو دينُ الله الذي أظهره، وجندُه الذي أَعدَّه وأمدَّه، حتى بَلَغ ما بلغ، وطَلَع حيثما طلع. ونحن على موعودٍ من الله، والله منجزٌ وعْدَه، وناصرٌ جنْدَه. ومكانُ القيِّم بالأمر مكانُ النظام من الخرز، يجمعُه ويضمُّه، فإن انقطع النظام تفرَّق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً.

والعربُ اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطْباً واستَدِر الرحى بالعرب، وأَصْلِهِمْ دونك نارَ الحرب، فإنك إنْ شخصتَ من هذه الأرض انتَقَضتْ عليك العربُ من أطرافها وأقطارها، حتى يكونَ ما تَدَعُ وراءك من العوراتِ أهمَّ إليك مما بين يديك.

إن الأعاجمَ إنْ ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصلُ العرب، فإذا اقتطعتُموه استرحتم، فيكونُ ذلك أشدَّ لِكَلَبِهم عليك وطمعِهم فيك.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/٤٣١.

فأما ما ذكرتَ من مسير القوم إلى قتال المسلمين؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو أكرهُ لمسيرهم منك، وهو أقدرُ على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرتَ من عددِهم، فإنَّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة)[١].

٣ ـ وسَلَك عليٌّ عكسَ هذا الموقف عند فتح بيت المقدس، فقد طلب النصارى من أبي عبيدة أن يأتي الخليفة عمرُ إلى القدس ويكتب (معاهدة الصلح) بيده، فيسلموه مفاتيح المسجد الأقصى.

فكتب أبو عبيدة إلى الفاروق بذلك، فجمع عمر كبار الصحابة واستشارهم، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركبَ إليهم، ليكون أحقرَ لهم وأرغَمَ لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم، ليكونَ أخفَّ وطأةً على المسلمين في حصارهم. فهوي عمر ما قال علي، ولم يهوَ ما قال عثمان[٢].

وإنما اختار عليٌّ هذا الرأي لسببين:

الأول: عدم خوفه على نفس أمير المؤمنين عمر، حيث لا مواجهة مع العدو ولا قتال، بل هو مجرد عقد للصلح.

والثاني: ليكون لعمر ذلك الشرف الباذخ الخالد في فتح بيت المقدس. وهذا يدل على حب عميق وإجلال كبير من علي لعمر.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٤/٥؛ وبنحوه في تاريخ الطبري: ١٢٣/٤ـ١٢٦؛ البداية والنهاية: ١٠٧/٧.

(٢) البداية والنهاية: ٥٥/٧.

سادساً: مواقف عمر من علي وآل البيت:

•• ومما يؤكد على منزلة علي الرفيعة عند الفاروق عمر أنه جعله أحد ستة رجال يختار المسلمون أحدهم ليكون خليفة المسلمين، ومما جاء في عهده[١]:

(قال عمر: ادْعُوا عليّاً وعثمانَ وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعداً، فلم يكلِّمْ أحداً منهم غيرَ علي وعثمان، فقال: يا عليّ، لعلَّ هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتَكَ من النبي ﷺ وصهرَكَ، وما آتاك الله من الفقه والعلم، فإن وَليت هذا الأمر فاتقِ الله فيه).

ثم قال عمر: (لو وَلّوها الأَجْلَح سَلَك بهم الطريق، فقال له ابن عمر: فما يمنعُكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن أتحمَّلها حيّاً وميتاً)[٢].

والأجلح: هو من انحسر الشعر عن جانبي رأسه، ويعني عليّاً.

وقول ابن عمر: (**فما يمنعك يا أمير المؤمنين**): أي ما يمنعك من تسمية علي وتعيينه للخلافة.

ـ وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر: (أن عمر أقطَعَ عليّاً يَنْبُعَ وأضاف إليها غيرها)[٣].

ـ وعن أبي السَّفَر قال: (رُئي على عليٍّ بُرْدٌ كان يُكثر لُبْسَه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك لتكثِر لُبْسَ هذا البُرْد! فقال: نعم، إنه كسانيه

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٧١٨ـ٧٢١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٣٤١ـ٣٤٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٥٧٧.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٦٤٠.

خليلي وصفيـي وصديقي وخاصِّي عمر، إن عمر ناصَحَ اللهَ فنصَحَه اللهُ. ثم بكى)[١].

- بل إن عمر كان يؤنِّب من يُسيء إلى علي ولو بالكلام، وقد نقل هذا الشـيعةُ في كتبهـم، من ذلك: (وقـع رجل في عليٍّ عليه السـلام بمحضر مـن عمر، فقال: تعـرفُ صاحبَ هذا القبر؟ لا تذكـرْ علياً إلا بخير، فإنك إن آذيتَهُ آذيتَ هذا في قبره)[٢] يعني النبي ﷺ.

●● وزاد مـن تمتين العلاقة ووثاقتها بيـن الرجلين العظيمين عمر وعلي: المصاهرةُ بينهما؛ فعن علي بن الحسـين: (أن عمر بن الخطاب خطَب إلى علي أمَّ كلثوم، فقال: أنكحنيها، فقال علي: إني أرصدها لابن أخي عبدالله بن جعفـر، فقال عمر: أنكحنيها، فـوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده، فأنكحه علي. فأتـى عمر المهاجرين فقال: أَلَا تهنُّونـي، فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقـال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ إني سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ سببٍ ونَسَب ينقطعُ يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**» فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسبٌ وسببٌ)[٣].

وقد أثبت هذا الزواج مُحدِّثو أهل السُّنَّة ومؤرخوهم، منهم الطبري وابن سـعد والحاكم والطبراني والبيهقي وسعيد بن منصور وابن الأثير وابن كثير، وغيرهم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٨١/٧؛ الشريعة، للآجري: ٢٣٢٧/٥.

(٢) الأمالي، للطوسي: ٤٦/٢؛ الأمالي، للصدوق، ص ٣٢٤.

(٣) أخرجه الحاكم: ١٤٢/٣، وغيره، وصحَّحه الألباني بطرقه: الصحيحة(٢٠٣٦)؛ صحيح الجامع (٤٥٢٧).

وكذلك أثبته الشيعة في صحاحهم ومصادرهم المعتمدة، منهم: الكُلِيني، والشريف المرتضى، والإربلي، والشوشتري، والمجلسي، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم الذين بلغ عددهم حدَّ التواتر[١]!.

•• وكان آل البيت وبنو هاشم في عهد عمر في أوج الإعزاز والتكريم؛ يقرِّبهم في مجلسه، ويقدِّمهم في العطاء، وابتدأ بهم لمّا دوَّن الدواوين، وقال للحسين: أنت أَوْلى بالدخول علَيَّ من عبدالله بن عمر[٢].

سابعاً: شذرات من مواقف علي وآل البيت من الفاروق عمر:

•• تواترت الأخبار التي تثبت بصراحة لا تقيَّة فيها حبَّ علي وأهلِ البيت للفاروق عمر، وإخلاصَهم له، وثناءَهم عليه، واستمر ذلك فيهم جيلاً بعد جيل، وقد حَفظت ذلك كتبُ أهل السُّنَّة والشيعة!.

في الكتاب المقدَّم عند جميع الشيعة «نهج البلاغة» أخبارٌ دامغةٌ لهم، تنصُّ صراحة على حبِّ علي الخالص لعمرَ ومدحهِ أعظمَ المدح؛ من ذلك قوله:

(للهِ بلاءُ فلان، فلقد قوَّمَ الأَوَد، وداوَى العَمَد، وأقامَ السُّنَّة، وخَلَّف الفتنة، ذَهَب نقيَّ الثوب، قليلَ العيب، أصابَ خيرَها وسَبَق شرَّها.

---

(١) انظر: الشيعة وأهل البيت، ص ١٠٤ـ ١٠٨.

(٢) قد فصلت القول في هذا في كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٢٦١ـ ٢٦٧.

أدّى إلى الله طاعته، واتّقاهُ بحقِّه، رَحَل وتركَهم في طُرق متشعِّبة، لا يهتدي بها الضالّ، ولا يَستيقن المهتدي)[١].

و(فلان) هو عمر، كما جاء في النسخة من «نهج البلاغة» التي بخط الرضي، نص على هذا الشارح ابن أبي الحديد، وقد أنصف في شرح هذه الكلمة وأجاد في الرد على الطاعنين بالفاروق عمر، وأطال الكلام في نحو (٢٠٠) صفحة.

ـ وقال علي: (وتولّى عمر الأمر، وكان مرضيَّ السيرة، ميمونَ النَّقِيبة)[٢].

ـ وقال علي في أبي بكر وعمر: (إنهما إماما الهدى، وشيخا الإسلام، والمُقتدى بهما بعد رسول الله، من اقتدى بهما عُصِم)[٣].

●● ولما آلت الخلافة إلى علي اقتدى بعمر، ولم يغير شيئاً من أعماله، وكان يتمنى أن يلقى الله ﷻ بمثل عمله!.

ـ يروي أبو الكنود عبدالرحمن بن عُبيد: أن عليّاً لمَّا فَرغ من وقعة الجمل، سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر كان يكره نزوله، فأنا أكرهُه لذلك. فنزل في الرحبة[٤]!.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠٧/٦.

(٢) الغارات، للثقفي: ٣٠٧/١.

(٣) تلخيص الشافي، للطوسي: ٤٢٨/٢؛ وانظر ما تقدم: ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ في هذا الكتاب.

(٤) الأخبار الطوال، ص ١٠٢؛ البداية والنهاية: ٢٥٤/٧.

ـ وروى الأعمش، عن سالم بن أبي الجَعْد قال: (جاء أهلُ نَجْرانَ إلى علي فقالوا: يا أمير المؤمنين، كتابُك بيدك وشفاعتُك بلسانك، أخرجَنَا عمرُ من أرضنا فارْدُدْنا إليها، فقال لهم علي: ويلكم! إنَّ عمر كان رشيدَ الأمر، فلا أغيِّر شيئاً صنعه عمر.

قال الأعمش: فكانوا يقولون: لو كان في نفسه على عمرَ شيء لاغتَنَم هذا عليٌّ)[1].

ـ ويقول الشريف المرتضى: (فلما وصل الأمر[2] إلى علي بن أبي طالب كُلِّم في ردِّ فَدَك، فقال: إني لأستحيي من الله أن أردَّ شيئاً مَنَع منه أبو بكر وأمضَاه عمر)[3].

●● وتأمَّلْ هذا الموقف الختامي عند استشهاد الفاروق وقد وُضِع على سرير الموت:

عن ابن عباس قال: (وُضِعَ عمرُ بن الخطاب على سَريره، فتَكَنَّفَه الناسُ يَدْعون ويُثْنُون ويُصلّون عليه، قبل أن يُرفَع، وأنا فيهم، قال: فلم يَرُعْني إلا برجلٍ قد أخذ بمَنْكِبي من ورائي، فالتفتُّ إليه فإذا هو عليٌّ، فترحم على عمر، وقال: ما خلَّفتُ أحداً أحَبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك! وايمُ الله، إنْ كنتُ لأظنُّ أن يجعلَكَ الله مع صاحبَيْكَ، وذاكَ أني كنتُ أُكَثِّرُ أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر،**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٨٣/٧؛ الأموال، لأبي عبيد (٢٧٣، ٢٧٤).

(٢) يعني: الخلافة.

(٣) الشافي في الإمامة، ص٢١٣.

ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر» فإنْ كنتُ لأرجو ـ أو: لأظن ـ أن يجعلك الله معهما)[١].

وروت كتب الشيعة هذا الخبر بأخصر منه[٢].

ـ وجعفر الصادق ـ وهو الإمام السادس المعصوم عند الإمامية ـ لم يكن يتولَّى أبا بكر وعمر فحسب، بل ويأمرُ أتباعَه بذلك، وقد قال لامرأة دخلتْ عليه تسألُه عن أبي بكر وعمر: (تولّيهما، قالت: فأقولُ لربِّي إذا لقيتُه: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم)[٣].

والأخبار في هذا عن أئمة آل البيت كثيرة، وقد تقدم طرف منها[٤].

●● وزيادة على ما سبق فإن عليّاً وأولاده وأحفاده ومَن بعدهم سَمَّوا أبناءهم باسم الفاروق عمر، وهذا من أعظم دلائل الحب والإجلال والإكرام والوفاء، وهو ثابت في كتب الرافضة، فتجد في كتبهم:

عمر بن علي بن أبي طالب، عمر بن الحَسن بن علي بن أبي طالب، عمر بن الحُسين بن علي بن أبي طالب، عمر بن علي بن الحُسين بن علي (أخو محمد الباقر وعم جعفر الصادق)، عمر بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٧)؛ ومسلم (٢٣٨٩)، وغيرهما؛ وساقه ابن سعد: ٣/٣٦٩ـ٣٧١ من عشرة طرق، كثير منها عن آل علي!.

(٢) الشافي، للشريف المرتضى، ص ١٧١؛ تلخيص الشافي، للطوسي: ٢/٤٢٨.

(٣) الروضة من الكافي: ٨/١٠١.

(٤) انظر ما تقدم: ٢٩٣ـ٢٩٧ في هذا الكتاب؛ والشيعة وأهل البيت، ص ٥٥ـ٥٩.

موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (وموسى بن جعفر هو موسى الكاظم الإمام السابع عند الإمامية الإثني عشرية)، وغير هؤلاء[1].

تلكم هي الصورة المشرقة لسيرة الرجلين الجليلين عمر وعلي، والحقائقُ الناصعة التي تليق بمنزلتهما وإيمانهما وورعهما ونُبْلهما. ولا يَصحُّ لمن عنده بقية من إيمان وذرة من إنصاف ومَسْكَة من عقل وقطرة من مروءة ـ أن يصدِّق الأكاذيب التي يروِّجها الرافضة وأشياعهم من القدماء والمعاصرين عن إساءة الفاروق لعلي وآل البيت وحَيْفِه عليهم وظلمه لهم! أو يَقبل ما يُروَّج عن علي أنه يحقد على الفاروق، ويعامله بالتقيَّة حرصاً على مصلحة الإسلام والمسلمين كما يزعم الأفاكون!.

لقد كان علي في خلافة الفاروق ماضياً على سجيته ونُبْله وإخلاصه في حب عمر والحرص عليه والمحافظة على حياته والسهر على بقائه، والرقيب عليه حتى لا يلقي بنفسه في المخاطر، ولذا منعه مرة وأخرى من الذهاب للقتال على جبهة الروم والفرس، أفما كانت فرصة ذهبية لعليٍّ لو كان يُضمر السوءَ لعمر أن يشجِّعه على مراده ليذهب للجهاد فتخطفه سيوف فارس أو الروم؟!.

❁ ❁ ❁

(١) الشيعة وأهل البيت، ص ١٢٨ ـ ١٣١؛ وفي هوامشه ذكر المراجع الشيعية التي ذكرت ذلك.

الفصل الرابع

عليٌّ في عهدِ ذِي النُّورَيْن

استمر علي مع عثمان رضي الله عنهما طيلة مدة خلافته على الهَدْي الذي تربى عليه ولزمه في عصر النبوة وعهد الشيخين، يوالي الخليفة ويوادُّه ويَمحضُه الحب والإخلاص والوفاء والنصيحة، وشارك بقوة وصدق وصراحة في مسيرة الدولة وتدبير شؤون الأمة ورعاية مصالح الإسلام.

أولاً: بيعة علي لعثمان:

•• لما استشهد عمر جعل أمر الخلافة إلى ستة من المهاجرين ليختار المسلمون أحدهم، وتُجمع الروايات الصحيحة أن الصحابة أطبقوا على اختيار عثمان ومبايعته، وأول من بايعه عبدالرحمن بن عوف، وكانت يمينُ عليٍّ ثانيَ يدٍ تشدُّ على يده بالبيعة الصادقة الصريحة المختارة بلا كُره أو تقيَّة مزعومة.

في رواية البخاري يخاطب عبدالرحمن بن عوف رجالَ الشورى، قال: (اجعلوا أمرَكُم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليٍّ، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمانَ، وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبدالرحمن بن عوف. فقال عبدالرحمن: أيُّكما تبرَّأَ من هذا

الأمــر فنَجعلُه إليــه، واللهُ عليه والإســلامُ لَينظُرنَّ أفضَلَهم في نفســه؟ فأَسْكَتَ الشيخان! فقال عبد الرحمن: أَفتجعلُونه إليَّ، واللهُ علَيَّ أن لا آلو عــن أَفضلِكم؟ قالا: نعــم. فأخذ بيــد أحدهما[١]، فقال: لــك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقَدَمُ في الإســلام ما قد علمتَ، فاللهُ عليك لئن أَمَّرْتُكَ لَتعدِلنَّ، ولئِنْ أمَّرْتُ عثمانَ لَتســمعَنَّ ولَتُطيعَنَّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك. فلما أخذ الميثاقَ قال: ارفَعْ يدكَ يــا عثمانُ، فبايَعَه، فبايَعَ له عليٌّ، ووَلَج أهلُ الدار فبايعوه)[٢].

وتقدم في حديث طويل صحيح عن علي: أنــه قال: (فلما اجتمعنا وَثــب عبد الرحمن بن عوف فوهب لنــا نصيبَه منها[٣] علــى أن نُعطيه مواثيقنا على أن يختار مــن الجماعة رجلاً فيولِّيه أمــرَ الأمة، فأعطيناه مواثيقنا، فأخذ بيد عثمان فبايَعَه، ولقد عَرض في نفسي عند ذلك، فلما نظرتُ في أمري فإذا عهدي قد سبقَ بيعتي، فبايعتُ وسلَّمتُ)[٤].

•• وقد نصَّت كتبُ الشيعة المتقدمة على أن عليّاً بايع عثمان:

يذكر الطوسي قول علي في هذا الشأن: (لمَّا قُتل ـ يعني الفاروق ـ جعلني سادسَ ســتة، فدخلتُ حيث أدخلني، وكرهتُ أن أفرِّق جماعة المسلمين وأشقَّ عصاهم، فبايعتم عثمان، فبايعتهُ)[٥].

---

(١) هو علي كما يدل عليه سياق الكلام، وجاء مصرحاً به في رواية أخرى.

(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٠).

(٣) أي: من الخلافة.

(٤) انظر: ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ رقم (١) في هذا الكتاب.

(٥) الأمالي، للطوسي: ١٢١/٢.

وفي «نهج البلاغة» مرجعهم المتفق عليه: رسالةٌ من عليٍّ إلى معاوية رضي الله عنهما يحتجُّ بها عليه على صحة بيعته بالخلافة بصحة خلافة الخلفاء الثلاثة قبله ـ يقول: (إنه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يَرُدَّ...)[(١)].

وهو نص شيعي صريح من علي في أن بيعة الخلفاء الثلاثة صحيحة، وقد شهدها جميعها وبايع لأنه أحد كبار المهاجرين. **وقد ذكر الشيعة وأشياعهم في هذا الباب روايات كثيرة تالفة وأكاذيب روَّجوها بين الأغمار**، وقد أشرت إلى طرف منها عند القدماء والمعاصرين، وبينت زيفها ووهاءها في كتابي «عثمان بن عفان».

ثانياً: علي من رؤوس مجلس الشورى ورجال الدولة في عهد عثمان:

وكان علي رضي الله عنه في المقام الأول بين رجال الشورى الكرام، مقدَّماً عند عثمان وغيره في الفتوى والاجتهاد والرأي، وقد عبَّر عليٌّ نفسه عن دوره في هذا وغيره فقال: (فكنت أغزو إذا أغزاني، وآخذُ إذا أعطاني، وكنتُ سوطاً بين يديه في إقامة الحدود)[(٢)].

١ ـ روى ابن عساكر: (أن عثمان كان إذا جلس على المقاعد[(٣)] جاءه الخصمان، فقال لأحدهما: اذهب ادْعُ عليّاً، وقال للآخر: اذهب

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧؛ وقد أثبتناه بتمامه: ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ في هذا الكتاب.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ في هذا الكتاب.

(٣) موضع عند باب المسجد النبوي، أو مساطب حوله.

فادْعُ طلحة والزبير ونفراً من أصحاب النبي ﷺ. ثم يقول لهما: تكلَّما، ثم يُقبِل على القوم فيقول: ما تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق رأيه أمضاه، وإلا نظر فيه بعدُ، فيقومان وقد سَلَّما)[١].

٢ ـ ومن الأمثلة المشهورة قيامُه بتطبيق الحدّ في قصة اتهام الوالي الوليد بن عُقْبة بشرب الخمر: (قال عثمان لعليٍّ: أَقِمْ عليه الحدَّ... فقال عليٌّ لعبدالله بن جعفر: أقِمْ عليه الحدَّ، فأخذ السَّوط فجَلَده وعليٌّ يَعُدّ، فلما بلَغ أربعين قال: حسبُكَ، جَلَد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمرُ ثمانين، وكلٌّ سُنَّة، وهذا أَحَبُّ إليّ)[٢].

وهذا موجود في كتب الشيعة[٣]، وقد بوَّب المُفيد تحت عنوان: «قضايا علي في زمن إمارة عثمان»، وذكر عدة قضايا حكم فيها علي ونفذها عثمان[٤].

٣ ـ وعن الحَسن بن سَعْد بن مَعْبد، عن أبيه: (أنّ يُحَنَّسَ وصفية كانا من سَبْي الخُمس، فزَنتْ صفيةُ برجلٍ من الخمس، فولدت غلاماً، فادَّعاه الزاني ويُحنَّس، فاختصما إلى عثمان، فرَفَعهما إلى علي بن أبي طالب، فقال عليٌّ: أقضي فيهما بقضاء رسول الله ﷺ: الولدُ للفِراش وللعاهِر الحَجَر، وجلَدَهما خمسينَ خمسينَ)[٥].

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٤٧/١٦.

(٢) أخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم: ص٢٦٨ في هذا الكتاب.

(٣) الفروع من الكافي: ٢١٥/٧؛ تاريخ اليعقوبي: ٥٩/٢.

(٤) الإرشاد، ص ١١٢ـ ١١٣.

(٥) أخرجه أحمد (٨٢٠)، وصحَّحه أحمد شاكر.

٤ ـ وشَكا الناسُ عمالَ عثمان على الصدقات والزكوات، فبلغ الأمر عليّاً، فقام بواجب النصيحة والإرشاد والذبِّ عن أمير المؤمنين عثمان، وأرسل مع ابنه المعروف بابن الحَنَفيَّة (الصحيفةَ المكتوبَ فيها مصارف الصدقة عن أمر النبي ﷺ) ليعملَ بمقتضاها، وكان عند عثمان علمٌ بها.

عن محمد بن علي قال: (جاء إلى عليٍّ ناس من الناس: فشَكَوْا سُعاةَ عثمان، فقال لي أَبي: اذهَبْ بهذا الكتاب إلى عثمان، فقُلْ له: إن الناس قد شَكَوا سُعاتَكَ، وهذا أمر رسول الله ﷺ في الصدقة، فَمُرْهُم فليأخذوا به. قال: فأتيتُ عثمان فذكرت ذلك له. قال[1]: فلو كان ذاكراً عثمان بشيء لذَكَره يومئذٍ! يعني بسوء)[2].

٥ ـ وكان ممن يشير على الخليفة بتوسيع الفتوحات، فعندما طلب عبدالله بن سعد بن أبي سرح من عثمان التوغلَ في فتح إفريقية، قال عثمان للمِسْوَر بن مَخْرَمة ـ وكان أحد الصحابة المجاهدين هناك ـ: ما رأيُك يا ابن مَخْرمة؟ قلتُ: أغزِهم، قال: أجمعُ اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلتُه. ائتِ عليّاً وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخَلَا بكل واحد منهم في المسجد، ثم ندب الناس إلى غزو إفريقية[3].

---

(١) القائل هو ابن الحنفية.

(٢) أخرجه البخاري (٣١١١)؛ وأحمد (١١٩٥).

(٣) رياض النفوس، لأبي بكر المالكي، ص ١/٨ـ٩.

٦ ـ ومن أجَلِّ القضايا التي شارك فيها علي: (جمعُ القرآن الكريم)، وجمعُ المسلمين على قراءة واحدة، ونسخُ المصاحف وإرسالها إلى الآفاق، وحرق ما سوى المصحف الإمام.

عن سُويد بن غَفَلَة قال: (والله لا أحدِّثكم إلا شيئاً سمعتُه من علي بن أبي طالب، سمعته يقول: يا أيها الناس، لا تَغْلُوا في عثمانَ ولا تقولوا له إلا خيراً ـ أو: قولوا له خيراً ـ في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فَعَل الذي فَعَل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعاً، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بَلغني أن بعضَهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكادُ أن يكون كفراً! قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فُرقةٌ ولا يكون اختلافٌ، قلنا: فنِعْمَ ما رأيتَ، قال: فقيل: أيُّ الناس أفصَحُ، وأي الناس أقرأُ؟ قالوا: أفصحُ الناس سعيد بن العاص، وأقرؤهم زيد بن ثابت، فقال: لِيكتُبْ أحدُهما ويُمْلِ الآخر. ففعلا، وجُمع الناس على مصحف. قال: قال عليٌّ: والله لو وليتُ لفعلتُ مثلَ الذي فعل)[1].

ثالثاً: مواقف جليلة لعليٍّ وولديه في فتنة مقتل عثمان:

كل أخبار التاريخ الصحيحة والمستقيمة المقبولة متوافقة على أن الصحابة وفي مقدمتهم علي كانوا مع الخليفة ذي النورين من أول

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: ٢١٣/١ـ٢١٤ (٧٧)؛ وبنحوه في شرح السُّنَّة: ٥٢٤/٤ـ٥٢٥؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ٢١٥/١١ (٤٩٨٧). وانظر كتابي: عثمان بن عفان، ص١١٢ـ١٢١.

الفتنة إلى آخرها، وناصروه ونافحوا عنه، ولعنوا أولئك الخارجين عليه واطَّرَدُوهم وتبرؤوا منهم.

١ ـ لما نزلت جيوش مصر والكوفة والبصرة حول المدينة يريدون حصارَ الخليفة وخلْعَه وقتْلَه، جاء المصريون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت[1] متقلِّدَ السيف، وقد سرَّح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فسلَّم عليه المصريون وعرَّضوا له[2]، فصاح بهم واطَّرَدَهم وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المَرْوة وذي خُشُب والأَعْوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارْجِعوا لا صحِبَكم الله! قالوا: نعم، فانصرفوا من عنده على ذلك.

٢ ـ وعندما افتعل المنحرفون (الكتاب المزوّر على لسان عثمان) وفيه أن عثمان أمر عامله بمصر بأن يَقتل المصريين الخارجين عليه عند عودتهم لمصر، جاؤوا عليّاً وقالوا: (ألم ترَ إلى عدوِّ الله ـ أي عثمان ـ كتب فينا بكذا وكذا، وإن الله قد أَحَلَّ دمَهُ! قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم، قالوا: فلِمَ كتبْتَ إلينا؟ قال: والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قط!).

٣ ـ بل إن عليّاً فضَحَ مخططاتهم وتآمرهم (فقال: ما ردَّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقَتْلِنا. وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل

---

(١) موضع في المدينة يقع غرب المسجد النبوي.

(٢) أومؤوا له بِنيَّتِهم في خلع عثمان، ومبايعته.

ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعُهم جميعاً، كأنما كانــوا على ميعاد! فقال لهــم عليٌّ: كيف علمتم يــا أهل الكوفة ويا أهل البصــرة بما لَقِــي أهلُ مصر، وقد سِــرْتم مراحلَ ثــم طوَيْتم نحوَنا؟! هذا والله أمرٌ أُبْرِم بالمدينة!).

٤ ـ وكان علــي واحداً من أعيــان الصحابة الذين شــهدوا لعثمان بالفضائل والسوابق والأعمال الجليلة على مسمع الناس، لإدانة أولئك المنافقين الخارجين عليه.

٥ ـ وأَصْــغِ إلى هذه النصيحــة الصادقة المخلصــة الصريحة التي تفيض حرصاً من علي على عثمان وسياسته، وتنطق بالشهادة الجريئة له بسعةِ علومه وحسنِ هَدْيه وسياسته، وهي ثابتة في كتب السُّنَّة والشيعة:

قال علي لعثمان: (إن الناس ورائي وقد استســفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقولُ لك، ما أَعرِف شــيئاً تجهلُه، ولا أدلُّك على أمر لا تعرفه!.

إنك لَتعلَمُ ما نعلمُ، ما سبقناكَ إلى شــيء فنُخبِرك عنه، ولا خَلَوْنا بشــيء فنُبلِّغُكَه، وقد رأيتَ كما رأَيْنا، وســمعتَ كما سمعنا، وصحبتَ رســول الله ﷺ كما صَحِبْنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأَوْلى بعمل الخير منك، وأنت أقربُ إلى رســول الله ﷺ وشيجةَ رحمٍ منهما، وقد نِلْتَ من صِهْره ما لم ينالا. فاللهَ اللهَ في نفســك؛ فإنك والله ما تُبصر من عمــى، ولا تُعَلَّم من جهلٍ، وإن الطرق لواضحــةٌ، وإن أعلام الدين لقائمة...)[1] في كلام طويل.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٩٢/٥؛ تاريخ الطبري: ٣٣٦/٤ـ٣٣٨؛ البداية والنهاية: ١٦٨/٧.

٦ ـ ومن بارع الأدلة على حُسنِ صحبة علي للخليفة ذي النورين ونصحهِ له؛ ما رواه عمران بن عبد الله الخُزاعي، عن سعيد بن المسيِّب قال: (شهدتُ عليّاً وعثمان وكان بينهما نَزْغٌ من الشيطان، فما تَرَك واحدٌ منهما لصاحبه شيئاً إلا قال له، فلو شئتَ أن أَقصَّ عليك[1] ما قالا فعلتُ، ثم لم يَبْرَحا حتى اصطلحا واستغفر كل واحد منهما لصاحبه!).

وفي رواية أبي سعيد الخُدْري: (فما صُلِّيت الظهرُ حتى دخلا، أحدُهما آخذٌ بيد صاحبه، كأنهما أَخَوان لأمّ وأب ـ يعني عثمان وعلياً ـ!)[2].

٧ ـ ولما ضرب المنحرفون المجرمون الحصارَ على أمير المؤمنين عثمان، وحَصَبوه وهو على المنبر، وصُرِع مغشيّاً عليه، فاحتُمل فأُدخِل داره ـ دخل عليه علي وطلحة والزبير وغيرهم يعودونه من صرعته، ويَشكون بَثَّهم.

٨ ـ وعندما ضيَّقوا الحصار على عثمان، هَبَّ عليٌّ وغيره في نصرته؛ يقول جابر بن عبد الله: (إن عليّاً أَرسل إلى عثمان أن معي خمسَ مئة دارعٍ، فَأْذَنْ لي فأمنَعَك من القوم، فإنك لم تُحدِثْ شيئاً يُستحلّ به دمُك! قال: جُزِيتُ خيراً، ما أحبُّ أن يُهرَاقَ دم في سببي).

٩ ـ وأرسل علي ابنيه الحسن والحسين ليكونا في جملة شباب الصحابة الذين يحمون عثمان ويدافعون عنه ويقاتلون دونه.

---

(١) ابن المسيّب يخاطب تلميذه عمران.

(٢) العلل، للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (٢٠٥٣، ٢٠٥٤)، وإسنادهما صحيح.

قال الحسن بن علي: (رُحْتُ إلى الدار ـ دار عثمان ـ وغدوتُ إليها شهراً، وعثمان ﷺ محصور، كل ذلك بعينِ علي ﷺ ما نهاني يوماً قط).

١٠ ـ وعندما وقعت الكارثــة واقتحم المجرمون دار عثمان، اجتَلَد معهم شــبان الصحابة، ووقع أمر الله واستُشهد عثمان، وأُخرج من الدار أربعةٌ من شــباب قريش ملطخين بالدم، محموليــن، كانوا يدرؤون عن عثمان: الحســن بن علــي، وعبدالله بــن الزبير، ومحمد بــن حاطب، ومروان بن الحَكَم.

وعبَّر علي عــن حزنه العميق فقــال: (ولقد طاش عقلــي يوم قُتل عثمان وأَنكرتُ نفسي!).

وهذه المواقف وغيرها قد ذكرتُهــا بالتفصيل في كتابي «عثمان بن عفان»، وقد ذكر المؤرخ الشــيعي أبو الحسن المسعودي (مأساة حصار عثمان واستشهاده) ودفاع علي وولديه عنه[١].

رابعاً: براءة علي من دم عثمان:

ثبت في الروايــات الكثيرة عن علي أنه تبرأ مــن دم عثمان، وكان يُقســم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتلْــه ولا أَمر بقتله ولا مالأَ ولا رضي به، ولقد نهى عنه فلم يســمعوا منه، ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[٢].

---

(١) مروج الذهب: ٢/٢٧٠.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شــيبة: ٦٨٤/٨؛ تاريخ المدينة، لابن شــبة: ١٢٦٣/٤ ـ ١٢٦٤؛ مجموع الفتاوى: ٧٣/٣٥؛ البداية والنهاية: ١٩٣/٧.

قال ابن أبي الحديد: (وأمير المؤمنين عليه السلام أبرأُ الناس من دمهِ، وقد صرح بذلك في كثير من كلامه؛ من ذلك قوله عليه السلام: والله ما قتلتُ عثمانَ ولا مالأت على قتله. وصدق صلوات الله عليه)(١).

وعن محمد ابن الحنفيَّة قال: (نادى منادي القوم يوم الجمل: يا ثاراتِ عثمان! فلما بَلَغ عليّاً قولُهم، رفع يديه فقال: اللَّهمَّ كُبَّ اليومَ قتلةَ عثمان لوجوهِهم)(٢).

وقال ابن الحنفية: (سمعت أَبي ورفع يديه حتى يُرى بياض إبطَيْه، وقال: اللَّهمَّ العنْ قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل! ثلاثاً يردِّدُها)(٣).

وقال ابن عباس: سمعت عليّاً يقول حين قُتل عثمان: والله ما قتلتُ ولا أَمرتُ، ولكن غُلبت! يقول ذلك ثلاث مرات(٤).

خامساً: العلاقة الطيبة الوثيقة بين عثمان وبين علي وآل البيت:

من خلال ما تقدم يتبين لنا ولكل منصف أن العلاقة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما كانت علاقة حب ومودة وإجلال ومناصحة وحفظ ووفاء، واستمرت هكذا إلى أن لقي كل منهما وجه ربه.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/١٨٠، ٢/٤٩.
(٢) سنن البيهقي: ٨/١٨٠؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ٤/١٢٦٧.
(٣) فضائل الصحابة، لأحمد (٧٣٣)، وسنده صحيح.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/٦٩، ٨٢؛ ومن طرق أخرى في المستدرك: ٣/١٠٦. وفي كتابي «عثمان بن عفان» شواهد أخرى كثيرة.

ويتأكد ذلك من خلال أمور وأحداث ومواقف أخرى؛ منها:

١ ـ ثناء علي على عثمان:

عن محمد بن حاطب قال: (ذُكِر عثمان، فقال الحسن بن علي: هذا أمير المؤمنين يأتيكم الآن فيخبِرُكم، قال: فجاء علي، فقال: كان عثمان من الذين ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣])[١].

وعن أبي جُحَيْفة قال: (خَطَبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة فقال: أَلَا إنَّ خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ولو شئتُ أن أُخبِركم بثالثٍ لأخبرتُكم. قال: فنزل عن المنبر وهو يقول: عثمان، عثمان). وجاء ذلك عن علي من عدة وجوه[٢].

وعن مُطَرِّف قال: (لقيتُ علياً بعد رجوعه من حَرُورَاء، فقال: حَبَسك ـ أو: بطَّأَ بك ـ عنا حبُّ عثمان؟ فاعتذرتُ إليه، فقال: أمَا إنك إنْ أحببتَه، إنْ كان لخيرَنا وأوصلَنا)[٣].

٢ ـ المصاهرات بين آل عثمان وبين آل علي وآل البيت:

من الأدلة الراسخة على الحب المتبادل والإجلال والتكريم بين بني هاشم وبين بني أمية ـ علاقاتُ المصاهرة بين القبيلين العظيمين.

---

(١) فضائل الصحابة، لأحمد (٧٧٠)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٩٣/٧، وإسناده صحيح.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٤١/١٦؛ وانظر: الفتح: ٦٠٣/٨ شرح الحديث (٣٦٧١).

(٣) السُّنَّة، لابن أبي عاصم (١٢١٣).

ـ وحسبك أن سيدَ الخلق وسيد بني هاشم ﷺ قد زوَّج ثلاثاً من بناته الأربع من أمويين: فزوَّج زينبَ لأبي العاص بن الربيع العَبْشمي الأُموي، وزَوَّج رقية ثم أم كلثوم من عثمان بن عفان أحد سادات بني أمية.

ـ وتزوج أبانُ بن عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر الطيار شقيق علي.

ـ وتزوج حفيدُ عثمان: زيدُ بن عَمْرو بن عثمان من سُكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.

ـ وتزوج حفيد عثمان الآخر: عبد الله بن عَمْرو بن عثمان من أخت سكينة فاطمة بنت الحسين.

ـ وتزوج مروان بن أبان بن عثمان بن عفان أمَّ القاسم بنت الحسن بن علي بن أبي طالب[1].

والقائمة تطول، وهو ثابت في كتب الشيعة[2]، وفي كتب الأنساب أمثلة كثيرة.

٣ ـ ومن دلائل سمو العلاقة بين علي وعثمان:

ـ ما ذكرتْه كتب الشيعة من أن عثمان دفع لعليٍّ مهرَ السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء، وكان أحدَ الشهود على الزواج.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤٧٣/٨، ٤٧٥؛ الجمهرة، لابن حزم، ص ٨٥.

(٢) انظر: الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٥ ـ ١٣٩.

فقد ذكر الإربلي والخوارزمي والمجلسي وغيرهم أن عثمان اشترى من علي درعَه بأربع مئة درهم، ثم قدَّم له الدرعَ هديةً بعد ذلك، فأخذ علي الدرع والدراهم، وأتى النبيَّ ﷺ وأخبره بذلك فدعا لعثمان بخير[1].

ـ وسمَّى عليٌّ أحدَ بنيه باسم عثمان، وقد استشهد عثمان بن علي مع أخيه الحسين، وكان عمره إحدى وعشرين سنة[2].

ـ وشارك الحسن والحسين في الجهاد والفتوحات تحت راية ولاة عثمان من أمويين وغيرهم.

❁ ❁ ❁

(١) كشف الغمة، للإربلي: ١/٣٥٩؛ المناقب، للخوارزمي، ص ٣٥٢ـ٣٥٣؛ بحار الأنوار، للمجلسي: ١٠/٣٩ـ٤٠.

(٢) الإرشاد، للمفيد، ص ١٨٦؛ مقاتل الطالبيين، ص ٨٩.

الباب السادس

خلافةُ عليٍّ وسياستُهُ في الحُكم

- دعوى الوصيَّةِ وبُطلانُها.
- استخلافُ عليٍّ والمعضِلاتُ القائمةُ والتحدِّياتُ المرتقَبة.
- دولةُ الخِلافةِ وهَدْيُ عليٍّ في سياستِها وإدارتِها.
- الوُلاةُ والوِلاياتُ.
- مؤسَّساتُ الدَّوْلةِ.

• • •

الفصل الأول

دَعْوَى الوصيَّةِ وبُطْلانُها

أولاً: ملخَّص دعوى الوصية والإمامة (إضاءة وتوضيح):

•• تعتقد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ـ وهم يشكلون أغلبية الشيعة قديماً وحديثاً ـ أن مَن يَخْلُف رسولَ الله ﷺ في الأمة وحكمها والقيام على أمورها هو: الإمام، وهو منصوص عليه بعهد من الله تعالى، وأولُ الأئمة هو علي بن أبي طالب.

ـ والحقائق التاريخية تؤكد وكتب متقدمي الشيعة تُثبت أن عبدالله بن سبأ (كان أولَ من أشهرَ القولَ بفرضِ إمامة علي، وأَظْهرَ البراءة من أعدائه، وكاشَفَ مخالفيه وأَكْفَرهُم)[1].

ـ وجاء في بعض عناوين الأبواب من (الكافي): «باب أن الإمامةَ عهدٌ من الله ﷻ معهودٌ من واحد إلى واحد»، و«باب ما نَصَّ اللهُ ﷻ ورسولُه على الأئمة واحداً فواحداً»[2].

---

(١) رجال الكشي، ص ١٩٢، رقم (١٧٤)؛ المقالات والفِرق، للقمي، ص ٢٠؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٦٤.

(٢) أصول الكافي: ١/٢٢٧، ٢٨٦.

ـ ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة في هذا العصر: (أن الإمامة منصبٌ إلٰهيٌ كالنبوة، فكما أن الله ﷻ يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنصّ من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيَّه بالنص عليه، وأن ينصّبه إماماً للناس من بعده)[١].

ـ والإمامة (التي نُصّ عليها) عند الشيعة فوق مقام النبوة، يقول شيخهم نعمة الله الجزائري: (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة...)[٢].

ـ وروى الكُلِيني عن أبي جعفر الباقر قال: (بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يُنادَ بشيء كما نودِي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية ـ)[٣].

•• والذي ابتدأ فكرة (الإمامة والوصية لعليٍّ) هو عبدالله بن سبأ، وطوَّرها في القرن الثاني الهجري شيطانُ الطاق[٤]؛ فحصَرَ الإمامةَ بأناس من آل البيت، وشاركه رجل آخر هو هشام بن الحكَم الذي ادَّعى النصَّ وجرّأ الناس على شتم أبي بكر وعمر وعثمان والمهاجرين والأنصار!.

---

(١) كتابه: أصل الشيعة وأصولها، ص٥٨.

(٢) كتابه: زهر الربيع، ص١٢.

(٣) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام: ١٨/٢، رقم (٣).

(٤) محمد بن علي بن النعمان الأحول (ت١٦٠هـ)، وتلقبه الشيعة: مؤمن الطاق. رجال الكشي، ص ٢٥٩.

واستقر قول الإثني عشرية على حصر الإمامة (باثني عشر إماماً)، وعُرف هذا الاعتقاد بعد وفاة الحسن العسكري (سنة ٢٦٠هـ)[١].

ـ وأصبح من أصول الرافضة: (أنه لا يجوز للرعية اختيارُ إمام، بل لا بدّ فيه من النصّ)، (فالإمامة لا تكون إلا بالنص)، وأن الرسول ﷺ نَصَّ على عليٍّ وأولاده، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة[٢].

ويقول شيخهم المفيد: (إن الإمامة توجِبُ لصاحبها عند الإثني عشرية: العصمة، والنص، والمعجزة...)[٣].

وأدلة الرافضة على (النص على الأئمة):

١ ـ كُتب إلٰهية تنزل من السماء في النص على علي والأئمة، وهذه الكتب غابت منذ سنة (٢٦٠هـ) مع الغائب المنتظر.

٢ ـ نصوص صريحة في القرآن أخفاها الصحابة.

٣ ـ نصوص صريحة من الرسول ﷺ، لكن الأمة أجمعَتْ على كتمانها.

٤ ـ تأويلات باطنية لآيات القرآن، لا يعرفها إلا الأئمة[٤].

---

(١) رجال الكشي، ص٣٣٠ـ٣٤٨؛ أصول الكافي: ١/١٧٤؛ بحار الأنوار: ١٠٠/٢٥٩؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٧١ـ٢٨٠.

(٢) أصول الكافي: ١/٢٨٦؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٨٩.

(٣) العيون والمحاسن: ٢/١٢٧.

(٤) أصول مذهب الشيعة: ٢/٣١٤ـ٣١٥.

ومن أنكر إمامة واحد من الأئمة الاثني عشر فحكمه الكفر والخلود في النار[١]:

قال شيخهم الطوسي: (ودَفْعُ الإمامة كفر، كما أن دفْع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حد واحد)[٢].

ويقول المفيد: (اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة ـ فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار!)[٣].

وبَلَغ الغلوُّ بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصالَ الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة؛ فيقول: (لم نجتمع معهم على إلهٍ ولا نبيٍّ ولا على إمام؛ وذلك أنهم يقولون: إن ربَّهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيَّه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي! بل نقول: إن الربَّ الذي خليفةُ نبيِّه أبو بكر ليس ربَّنا ولا ذلك النبي نبينا!)[٤].

وهذا يقتضي تكفير: الصحابة، وأهل البيت، وخلفاء المسلمين وحكامهم، وأهالي الأمصار الإسلامية، وقضاة المسلمين، وعلماء المسلمين وأئمتهم، والفرق الإسلامية، والأمة!.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: أصول مذهب الشيعة: ٢/٣٣٤ـ٣٧٧.

(٢) تلخيص الشافي: ٤/١٣١.

(٣) المسائل، للمفيد، نقله عنه المجلسي في: بحار الأنوار: ٨/٣٦٦.

(٤) الأنوار النعمانية: ٢/٢٧٩.

ولعل بعضَ السُّـــذَّج وبعضَ من يدَّعي التطور الفكري ويذهب إلى ضرورة التقريب بين (السُّـــنَّة والرافضة) ـ يرى أن ما في كتب الأقدمين هو تراث لا يَركن إليه كثيرون من (شـيعة اليوم)، حيث انطلقت (الثورة الإسلامية) ودَعَتْ إلى نُصْرة المســـتضعفين ومحاربة الشيطان الأكبر... لكن الحقائق تؤكد اســـتمرار الرافضة اليوم على نهج أسلافهم بل ازداد غلوهم ضراوةً، كما تجد في كتب قائد ثورتهم[1]، والمواقع الإلكترونية لمراجعهـــم و(آياتهم العظمى)، وقنواتهم الفضائية، بل ومشـــاركتهم في قتل المسلمين وتدمير بلدانهم!.

ثانياً: أحاديث موضوعة وباطلة في الوصية:

رُوِيَـــتْ عن النبـــي ﷺ أحاديثُ كثيـــرة ضعيفة وواهيـــة، وروى المتروكون واختلـــق الكذابون وذوو الأهـــواء الآلافَ من الأحاديث الباطلة والموضوعة. وشـــارك الرافضة في شـــيء كثير من ذلك؛ فهم من أفســـدِ أصحاب الأهواء رأياً ومذهباً ومعتقـــداً، ومن أجرئهم بل أجرؤهم على الكذب والاختلاق، وأفســـدهم مقاييـــس وموازين في ضبـــط الرواية وقبول الـــرواة، وكَثُـــرت عندهم الأحاديث المرسَـــلة والمقطوعـــة والمنقطعـــة والمُعْضَلَـــة والواهيـــة والمكذوبـــة علـــى رسول الله ﷺ، وتمسكوا بها واعتمدوا عليها في مذهبهم. ومن أخطر ذلك ما احتجوا به على قضايا (الولاية والعصمة والنص على الإمام الخليفة) الذي يلي أمر الأمة.

---

(١) انظر مثلاً كتابَي الخميني: كشف الأسرار، والحكومة الإسلامية.

ومن أشـهر مَن جمع هـذه الأحاديث مـن الرافضـة المعاصرين عبدالحسين شرف الدين الموسوي في كتابه «المراجعات»، وقد صنَّف بعض الغيورين من باحثي أهل السُّنَّة في الردِّ عليه، منهم:

أبو عبـد الله النعماني الأثـري في كتابـه: «مجمل عقائد الشـيعة والمراجعات في الميزان»، حيث نقل عن عبدالحسـين (١١٠) أحاديث اسـتدل بها الرافضة على (ولاية علي وعصمته والنـص على إمامته)، وبيَّنَ وهاءَها وبطلانَها على طريقة أهل الحديث في القبول والرّد، وهي مصنفة كما يلي: ضعيف، ضعيف جدّاً، منكَر، باطل، موضوع.

وعبدالفتاح محمود سـرور في كتابه «تبصير السوي ببطلان مرويات الوصي»، نقل في صدر بحثه عن عبدالحسـين ما يلي: (قال عبدالحسـين شـرف الدين الموسـوي في «المراجعات»: المراجعة رقـم (٦٢): ٢ صفر ١٣٣٠هـ، أربعون نصّاً، نعم عندنا من النصوص التي لا يعرفها أهل السُّنَّة، صِحاحٌ متواترةٌ، من طريق العِتْرة الطاهرة، نتلو عليك منها أربعين حديثاً)(١).

فَسَـاقَها المؤلف عبدالفتاح حديثاً حديثاً، وتناولها بالنقد متحاكماً في ذلك إلى (قواعد الرافضة في الرجال والحديث) ومن كتبهم، ووصل إلى أنه لم يَصِحَّ منها شيء!.

وأشير أنا في هذا الفصل إلى طرف من تلك الأحاديث، لاستكمال جوانب كتابنا هـذا، وقد تكون هـذه الأحاديث المزعومـة وردت في «المراجعات» أو لم تردْ فيه، وغالباً ما أشير إلى ذلك.

---

(١) تبصير السوي، ص٨٧.

١ ـ عن بُريدة بن الحُصَيب قال: قال النبي ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارثٌ، وإنَّ عليّاً وصيِّي ووارثي»[١]. **حديث موضوع.**

أورده الجَوْرَقاني في «الأباطيل»، وابن الجوزي في «الموضوعات»، والذهبي في «تلخيص الموضوعات»، وحكم عليه الألباني بالوضع في «الضعيفة»[٢]، وغيرهم.

٢ ـ عن ابن عباس قال: (كنتُ جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي ﷺ، إذ انقضَّ كوكبٌ، فقال النبي ﷺ: «مَن انقضَّ هذا النجمُ في منزله فهو الوصيُّ من بعدي»! فقام فتية من بني هاشم فنظروا فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي! قالوا: يا رسول الله، قد غويتَ في حبِّ علي! فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٧])[٣]. **حديث موضوع.**

قال ابن عساكر: منكر، فيه أربعة مجاهيل، وحَكَم عليه بالوضع الجَوْرَقاني وابن الجوزي والذهبي والشَّوكاني وغيرهم، ونقد ابن تيمية متْنَه بكلام نفيس في «منهاج السُّنَّة».

---

(١) المراجعات: حديث (٩٨)؛ تاريخ ابن عساكر: ٥/٣.

(٢) الأباطيل: ١٥٠/٢؛ الموضوعات: ٢٨١/١؛ تلخيص الموضوعات، ص١٢٥؛ الضعيفة (٤٩٦٢).

(٣) الأباطيل، للجورقاني: ١٣٥/١؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١٤٤/٢ـ١٤٥؛ الفوائد المجموعة، للشوكاني، ص٣٦٩؛ تاريخ ابن عساكر: ١٠/٣؛ منهاج السُّنَّة: ٩٨/٤ـ١٠٢.

٣ ـ عن سلمان الفارسي، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ وَصِيِّي، وموضعَ سِرِّي، وخيرَ مَنْ أَتركُ بعدي، ويُنْجِز عِدَتي، ويَقْضِي دَيْني: علي بن أبي طالب»[1]. **حديث باطل.**

قال الجورقاني: باطل لا أصل له، وذكره ابن الجوزي والسيوطي والذهبي في «الموضوعات»، وقال الذهبي في «الميزان»: هذا كذب.

٤ ـ عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كما أنا خاتم النبيين، كذلك علي وذريته يختمون الأوصياء إلى يوم الدين»[2]. **حديث خرافة!.**

أورده الجورقاني في «الأباطيل»، وابن الجوزي في «الموضوعات»، والذهبي في «تلخيص الموضوعات» وقال: سنده مكذوب.

والأحاديث في كتب أهل السُّنَّة في هذا كثيرة، قد تكفلت «كتب الموضوعات» باستيعابها وتكفينا هنا الإشارة.

ومما أورده عبد الحسين شرف الدين في «المراجعات» في هذا الباب:

٥ ـ عن علي مرفوعاً: «يا علي، سألتُ الله فيك خمساً، فأعطاني أربعاً ومَنَعني واحدة: سألتُه، فأعطاني فيك: أنك أولُ من تنشقُّ الأرض

(١) الأباطيل، للجورقاني: ١٤٨/٢ـ١٤٩؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١٤٤/٢، ١٤٧؛ اللآلئ المصنوعة: ٣٢٩/١؛ ميزان الاعتدال: ٣٩٨/٣؛ وهو في المراجعات (٩٩).

(٢) الأباطيل: ٢٧٩/١ـ٢٨٠؛ الموضوعات: ١٥١/٢؛ ميزان الاعتدال: ٥٢١/٣.

عنه يوم القيامة، وأنت معي، معك لـواءُ الحمد وأنت تحملُه، وأعطاني أنك وليُّ المؤمنين من بعدي»[١]. **حديث موضوع.**

٦ ـ وعن سلمان الفارسي، عن رسول الله ﷺ في حديث طويل يخاطب ابنته فاطمة: «أبوكِ خير الأنبياء، وبَعْلُكِ خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي»[٢]. **حديث موضوع.**

٧ ـ وأخرج محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابَوَيْه القُمِّي المعروف عندهم (بالصدوق) بسنده إلى الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: أن رسول الله ﷺ قال: «حدَّثني جبرائيل عن ربِّ العزَّة ﷻ أنه قال: مَن عَلِم أن لا إلٰه إلا أنا وحدي، وأن محمداً عبدي ورسولي، وأن علي بن أبي طالب خليفتي، وأن الأئمة من ولده حُجَجي ـ أدخلْتُه الجنة برحمتي»[٣]. **حديث موضوع.**

٨ ـ وأخرج الصدوق أيضاً بسنده إلى الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمةُ بعدي اثنا عشر، أوَّلُهم عليٌّ، وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي» الحديث[٤]. **حديث موضوع.**

---

(١) المراجعات (٥٦)؛ مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان، ص ١٩٦ـ١٩٨.

(٢) المراجعات (٧٧)؛ مجمل عقائد الشيعة، ص ٢٤٦؛ تبصير السوي، ص ١٠٢، وانظر ما تقدم: ص٧٦ حديث (ج) في هذا الكتاب.

(٣) تبصير السوي، ص٩٣، وبهامشه مراجع الشيعة التي أخرجته، وهو في المراجعات.

(٤) تبصير السوي، ص٩٤، وفيه المراجع التي أخرجته، وهو في المراجعات.

ثالثاً: نصوص من كتب الشيعة المتقدمين والمتأخرين في دعوى الوصية والنص على علي:

١ ـ في «رجال الكشـي»: (كان عبد الله بن سبأ أَوَّلَ مَن أشهرَ القولَ بفرضِ إمامة علي، وأظهرَ البراءة من أعدائه، وكاشَفَ مخالفيه، وأَكْفَرَهم. فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: أصلُ التشيع والرفضِ مأخوذٌ من اليهودية)[١].

٢ ـ وفي «نهج البلاغة» ـ الكتاب المقدس عند الشيعة ـ من خُطَب علي في كتاب له إلى أخيه عَقيل: (فَدَعْ عنك قريشاً[٢] وتَرْكاضَهُم في الضلال، وتَجْوَالَهم في الشِّقاق، وجِمَاحَهم في التِّيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعِهم على حرب رسول الله ﷺ قَبْلي، فَجَزَتْ قريشاً عنِّي الجوازي، فقد قَطَعوا رَحِمي، وسَلَبُوني سلطانَ ابن أمِّي!)[٣].

و(**سلطان ابن أمي**): يعني به الخلافة، وابن أمه هو رسول الله ﷺ.

٣ ـ وفي «الكافي» للكُلِيني: (ولايةُ عليٍّ مكتوبة في جميع صُحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ﷺ ووصيةِ عليٍّ عليه السلام)[٤].

---

(١) رجال الكشي، ص ١٩٢ رقم (١٧٤)؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٦٤.

(٢) المقصود هنا: صحابة النبي ﷺ.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٨/٣٣١، ٣٣٣.

(٤) أصول الكافي: ١/٤٣٧؛ أصول مذهب الشيعة: ١/٦٦.

٤ ـ ويسجِّل ابنُ بابَوَيْه القُمِّي «عقائد الشيعة في القرن الرابع الهجري» ويقول بأنهم: (يعتقدون بأن لكل نبيٍّ وصيّاً أوصى إليه بأمر الله تعالى)، ويذكر المَجْلسي في «البحار»: (أن عليّاً هو آخر الأوصياء)[(١)].

٥ ـ وروت كتب الشيعة الإثني عشرية عن أبي جعفر عن جابر قال: (دخلتُ على فاطمة وبين يديها لوحٌ فيه أسماءُ الأوصياء من ولدِها، فعَدَدتُ اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي)[(٢)].

٦ ـ وقال ابن المُطَهَّر الحِلِّي في «منهاج الكرامة»: (لمَّا بعث الله محمداً ﷺ قام بنقل الرسالة، ونَصَّ على أن الخليفةَ بعده عليُّ بن أبي طالب، ثم بمن بعده على ولده الحسن الزكي، ثم على ولده الحسين الشهيد...) فذكر بقيةَ الأئمة الاثني عشر، ثم قال: (إن النبي ﷺ لم يَمتْ إلا عن وصيةٍ بالإمامة)[(٣)].

وسار المتأخرون من الرافضة على نهج أسلافهم، ومن أمثلة ذلك عند المعاصرين:

١ ـ يقول محمد باقر المحمودي ـ الموصوف عندهم بالمحقق الخبير ـ في تعليقاته على «ترجمة علي من تاريخ ابن عساكر»: (وعندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وذلك بعد

---

(١) عقائد الصدوق، ص١٠٦؛ بحار الأنوار: ٣٤٢/٣٩؛ أصول مذهب الشيعة: ٢٦٤/٢ـ٢٦٥.

(٢) أصول الكافي: ٥٣٢/١؛ إكمال الدين، لابن بابويه، ص٢٦٤؛ الإرشاد، للمفيد، ص٣٩٣؛ أصول مذهب الشيعة: ٢٨١/٢.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٧٧/١ـ٧٨.

ثلاث سنين من مبعثه الشريف، فتظاهَرَ ـ عليٌّ ـ عليه السلام بإجابة الدعوة في منتدى الهاشميين المعقود لها، ولم يلبِّها غيرُه، ومن يوم ذاك اتخذه رسول الله ﷺ: أخاً ووصيّاً وخليفة ووزيراً)[1].

ولسنا في معرِض الردِّ على هذا الكذب، لكن لِيعلَم القارئ أن عليّاً رضي الله عنه كان آنذاك صبيّاً عمره (١٣) سنة في أبعد تقدير، فأيةُ نصرة يقوم بها للدعوة أمام جحافل المشركين وعُتاتهم؟!.

٢ ـ ويقول محمد جواد مغنيَّة: (والشيعة يختلفون عن غيرهم في القول: إن الإمام يتعين بالنصّ من النبي، ولا يجوز لنبيٍّ إغفالُ النصِّ على خليفتهِ وتفويضُ الأمر إلى اختيار الأمة. وأن يكون الإمام معصوماً عن الكبائر والصغائر. وأن النبي قد نَصَّ بالخلافة على علي بن أبي طالب دون سواه، وأنه أفضلُ الخلق على الإطلاق!)[2].

٣ ـ ويبين الدكتور إبراهيم بيضون الرؤيةَ الشيعية للإمامة (الدولة) على قاعدة؛ (أن الإمامة من مقتضيات الدين أو ضروراته)؛ فيقول: (فالإمام ـ علي ـ حين تصدَّى للأمر بناءً على «نصِّ الوصيّة» إنما كان يتفاعل معه من منطق هذه الضرورة الدينية، وليس من مجرد الطموح الشخصي الذي هو من منظور سياسي حق لكل الصحابة المتطلعين إلى السلطة في ذلك الوقت، ولذلك كانت البيعة لأبي بكر خرقاً برأيِ عليٍّ لقرار نبويٍّ كان معروفاً لدى الصحابة الكبار!)[3].

---

(١) ابن عساكر: ١/٥٦، وانظر: ٣/٩٩ـ١٠٠.

(٢) كتابه: الشيعة والحاكمون، ص ١٢.

(٣) كتابه: الإمام علي، ص ١٢٥.

٤ ـ ويوضح هاشم معروف الحَسني كيف تآمرَ الصحابة على إقصاء عليٍّ عن حقه في الخلافة، فيقول بعد كلام طويل: (ومن مجموع ذلك يتبين أن التخطيط لإقصاء عليٍّ عن السلطة والاستيلاء عليها لم يكن وليدَ ساعتهِ كما تؤكده الشواهد السابقة. كما تبين أن القادة الثلاثة أبا بكر وعمر بن الخطاب وابن الجرّاح هم قاعدة الحزب القرشي المتآمر على الاستيلاء على السلطة وإقصاء علي بن أبي طالب عنها)(١).

ويتابعهم في ذلك الضلال بعض الكتّاب من أهل السُّنَّة، ونذكر نموذجين منهم لشهرتهما واغترار الناس بهما:

١ ـ تحدث عباس محمود العقّاد عن اختيار الخليفة بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان، فقال: (وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة عند مقتل عثمان، وربما كان أشدَّهم طلباً لها طلحةُ والزبيرُ، اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك! فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان، ويحسبان أن قريشاً قد أجمعت أمرَها ألا يتولاها هاشمي، وأن عليّاً وشيكٌ أن يُذادَ عنها بعد عثمان كما ذِيدَ عنها من قبله! وكانت السيدة عائشة تُؤْثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله بن الزبير؛ لأن طلحة من قبيلة تَيْم(٢)، والزبير زوج أختها أسماء، وفي تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مَدْعاة أملٍ كبير في النجاح)(٣).

---

(١) كتابه: سيرة الأئمة الاثني عشر، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) هي قبيلة سيدنا أبي بكر الصديق.

(٣) عبقرية الإمام علي، ص ٦٢. وهو كلام كله افتراء على أكابر الصحابة، واتهام لهم بالغدر والتآمر والطمع بالسلطة، وسيرتهم الطاهرة تكذب كل ذلك!.

٢ ـ ومشى على هذا خالد محمد خالد، فنقل كلاماً على لسان علي بأنه تأخَّر عن بيعة أبي بكر، وقال: (إنكم تدفعون آلَ محمد عن مقامه ومقامهم في الناس، وتنكِرون عليهم حقهم، أمَا والله لنحنُ أحق منكم بالأمر). ثم ذكر: (أن الإمام في موقفه ذاك لم يكن مدفوعاً برغبته الشخصية في الخلافة، ولم يكن يَنْفَس على أبي بكر هذا المنصب، إنما كان يدافِع عن حق رآه واعتقده، ولم يكن بالنسبة له موضع ريب أو شك!)[١].

رابعاً: نقض دعوى الوصية بدلائل الأحاديث الصحيحة الصريحة عن جمهرة من الصحابة ومنهم علي:

١ ـ عن الصحابي أبي جُحَيْفة وَهْب بن عبد الله السُّوَائي رضي الله عنه قال: (قلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فَلَق الحَبَّة وبَرَأَ النَّسَمَةَ، ما أَعلمُه، إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلتُ: وما في الصحيفة؟ قال: العَقْل، وفَكَاكُ الأسير، وأن لا يُقتل مسلمٌ بكافر) لفظ البخاري.

وفي رواية: عن أبي جحيفة قال: (قلتُ لعلي: يا أميرَ المؤمنين، هل عندكم سوداءُ في بيضاءَ ليس في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فَلَق الحبَّة وبَرأَ النَّسَمة) لفظ الترمذي.

(١) خلفاء الرسول، ص ٥٢٤ـ٥٢٥.

ـ وعن إبراهيم بن يزيد بن شَريك التيمي، عن أبيه قال: (خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ـ قال: وصحيفة معلقة في قِراب سيفه ـ فقد كذب...) الحديث. لفظ مسلم.

ـ وعن الصحابي أبي الطُّفَيْل عامر بن واثِلَة قال: (قيل لعليٍّ بن أبي طالب: أخبِرْنا بشيء أَسَرَّ إليك رسولُ الله ﷺ؟ فقال: ما أَسَرَّ إليَّ رسولُ الله ﷺ شيئاً وكَتَمه الناسَ، ولكنه سمعتُه يقول: «**لَعَنَ الله من سَبَّ والديه، ولعنَ الله من غيَّر تُخومَ الأرض، ولعن الله من آوى مُحْدِثاً**») لفظ مسند أحمد.

ـ ورواه عن علي أيضاً: أبو حسان الأعرج، وطارق بن شهاب، وقيس بن عُبَاد، والحارث بن سُويد، وكلها صحاح[1].

وقد أطلتُ في ذِكْر روايات هذا الحديث وطُرُقه وتخريجه، ليكون ذلك ردّاً على الرافضي محمد باقر المحمودي ـ وأمثاله ـ محقق «ترجمة علي في تاريخ ابن عساكر»، الذي حَكَم على الحديث بأنه كذبٌ مختلَقٌ، وراح يشتم عمر الفاروق وأبا هريرة وعمرو بن مَعْدِيكَرب[2]!.

---

(١) أخرجه البخاري (١١١) وأطرافه؛ ومسلم (١٣٧٠)؛ وأبو داود (٢٠٣٤)؛ والترمذي (١٤٧٠، ٢٢٦٠)؛ والنسائي في الكبرى (٤٢٦٣، ٤٢٦٤)؛ وابن ماجه (٢٦٥٨)؛ وأحمد (٨٥٨، ٩٥٤)؛ وابن حبان (٣٧١٦، ٣٧١٧)، وغيرهم.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١/٨ـ٩.

قال الحافظ: (وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهلِ البيت ـ لا سيما عليّاً ـ أشياءَ من الوحي خَصَّهم النبي ﷺ بها، لم يطَّلع غيرهم عليها)[1].

٢ ـ وعن أبي الطُّفَيْل عامر بن واثلة اللَّيثي ـ وهو آخر الصحابة موتاً، وكان من شيعة علي ـ قال: (كنتُ عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجلٌ فقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرُّ إليك؟ قال: فغضب ـ وفي رواية النسائي: حتى احمَرَّ وجْهُه ـ وقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرُّ إليَّ شيئاً يَكتُمه الناسَ، غيرَ أنه قد حدَّثني بكلماتٍ أربع، قال: فقال: ما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: «**لَعَن الله مَن لعن والدَه، ولعن الله من ذَبح لغيرِ الله، ولعن الله من آوى مُحْدِثاً، ولعن الله من غَيَّر منارَ الأرض**»)[2].

قال النووي: (فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة الإمامية من الوصية إلى علي وغير ذلك من اختراعاتهم)[3].

٣ ـ وعن علي رضي الله عنه قال: (أَمَرني النبيُّ ﷺ أن آتيه بِطَبَقٍ[4] يكتب فيه ما لا تَضِلُّ أمّتُه من بعده، قال: فخشيتُ أن تفوتني نَفْسُه، قال: قلت: إنّي أحفظُ وأَعِي، قال: «**أُوصِي بالصلاة والزكاة وما ملكَتْ أيمانُكم**»)[5].

---

(١) الفتح: ١/٣٨٨ (١١١).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨)؛ والنسائي في الكبرى (٤٤٩٦)؛ والبخاري في الأدب المفرد (١٧)؛ وابن حبان (٥٨٩٦)، وغيرهم.

(٣) شرح صحيح مسلم: ٧/١٥٧، وانظر: ٥/١٥٦ (١٣٧٠).

(٤) عُظَيم رقيق يفصل بين كل اثنتين من فقار الظهر.

(٥) أخرجه أحمد (٦٩٣)، وحسنه أحمد شاكر.

وهذا يؤكد عدمَ الوصية لعليٍّ بالخلافة، فكيف لا يُثبتُ النبي ﷺ ذلك في وصاياه في آخر عهده بالدنيا، وهو أهمُّ من الوصية بمُلك اليمين؟! وكيف لا يَحرص علي على التحديث بالوصية لو كانت عنده؟! وفيه كذلك ردٌّ على الرافضة الذين يزعمون أن رسول الله ﷺ كان يريد أن يكتب (كتاباً فيه الخلافة لعلي)، فمنَعَه عُمر والصحابة!.

٤ ـ وعن أبي وائل شَقيق بن سَلَمة قال: (قيل لعليٍّ: استخلِفْ، قال: ما استخلَفَ رسول الله ﷺ فأَستخلِفُ، ولكنْ إنْ يُردِ الله بالناس خيراً سيجمعُهم على خيرِهم كما جمعهم بعد نبيِّهم على خيرِهم)[1].

٥ ـ وعن علي رضي الله عنه قال: (واللهِ ما مات رسولُ الله ﷺ موتَ فجأةٍ، ولا قُتل قتلاً، ولقد مكَث في مرضه كل ذلك يأتيه المؤذِّن فيُؤْذِنُه بالصلاة، فيقول: «مُروا أبا بكر فَلْيُصلِّ بالناس»، ولقد تركني وهو يرى مكاني، ولو عَهِد إليَّ شيئاً لقمتُ به)[2].

نقول: صَدَق سيدنا علي، فهكذا عَهِده الناسُ والتاريخُ في صراحته وإخلاصه وأمانته وجرأته، ولو كان عنده (وصية أو عهد) من النبي ﷺ بالخلافة لما توقف لحظة عن القيام بها، ولم يسلك طريق (التقيَّة) التي تفتريها الرافضة!.

---

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده، وقد تقدم مع تخريجه: ص٢٨٣ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٢) حديث صحيح، تقدم مطولاً: ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ في هذا الكتاب.

٦ ـ وعن زيد بن يُثَيْع، عن عليٍّ قال: (قيل: يا رسول الله، مَن يُؤَمَّر بعدَك؟ قال: «**إنْ تؤمِّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإنْ تؤمِّروا عمرَ تجدوه قويّاً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإنْ تؤمِّروا عليّاً، ولا أُراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم**»)(١).

فلو كان ثَمَّة وصية لَمَا رَدَّدَ النبي ﷺ الأمرَ بين ثلاثة، وترك الأمر لاختيار المسلمين، بل كان جَزَم بعليٍّ! وهذه الأحاديث الستة تدمغ الرافضة، فهي جميعها عن علي رضي الله عنه.

٧ ـ وعن عبدالله بن عباس: (أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عندِ النبي ﷺ في وجعهِ الذي توفِّي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسولُ الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العباسُ فقال: ألا تراه؟ أنت والله بعد ثلاثٍ عبدُ العصا! والله إني لأُرَى رسولَ الله ﷺ سيُتوفَّى في وجعه، وإني لأعرفُ في وجوه بني عبد المطلب الموتَ، فاذهَبْ بنا إلى رسول الله ﷺ فنسألَهُ فيمن يكون الأمرُ؟ فإن كان فينا عَلِمْنا ذلك، وإن كان في غيرنا أَمَرْناهُ فأوصَى بنا. قال علي: والله لئنْ سألناها رسولَ الله ﷺ فمَنَعَناها، لا يُعطيناها الناسُ أبداً، وإني لا أسألُها رسول الله ﷺ أبداً)(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٥٩)؛ والبزار (٧٨٣)؛ والحاكم: ٣/٧٠؛ وذكره الحافظ في (الإصابة: ٢/٥٠٣) وقال: سنده جيد، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٧، ٦٢٦٦)؛ وعبدالرزاق (٩٧٥٤)؛ وأحمد (٢٣٧٤، ٢٩٩٩)؛ وابن سعد: ٢/٢٤٥؛ والفسوي: ١/٣٧٨.

قوله: (**هذا الأمر**): أي الخلافة.

(**لا أسألها رسول الله**): أي لا أطلبها منه.

قال الحافظ: (وفي «فوائد أبي طاهر الذُّهْلي» بسند جيد: عن ابن أبي ليلى قال: سمعتُ عليّاً يقول: لقيني العباس ـ فذكر نحوَ القصة التي في هذا الحديث باختصار، وفي آخرها ـ قال: سمعتُ عليّاً يقول بعد ذلك: يا ليتني أطعتُ عباساً، يا ليتني أطعتُ عباساً!)[1].

وقال الإمام ابن العربي: (وهذا يُبطِل مدَّعَى الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يُدَّعَى فيه نص؟!)[2].

٨ ـ وعن ابن عباس في حديث طويل في (مرض النبي ﷺ وأمرِه أن يصلي أبو بكر بالناس)، قال ابن عباس في آخر الحديث: (فمات رسول الله ﷺ ولم يُوصِ)[3].

٩ ـ وعن طلحة بن مُصَرِّف قال: (سألتُ عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنهما: هل كان النبي ﷺ أَوْصَى؟ فقال: لا، فقلتُ: كيف كُتِب على الناس الوصيةُ أو أُمِروا بالوصية؟ قال: أوصَى بكتاب الله)[4].

---

(١) الفتح: ٧٩١/٩، شرح الحديث (٤٤٤٧).

(٢) العواصم من القواصم، ص ١٩٥.

(٣) أخرجه أحمد (٣٣٥٤، ٣٣٥٥)؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٢٦٣/٧ (٢٧٤١) وقال: سنده قوي.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٤٠)؛ ومسلم (١٦٣٤)؛ والنسائي في الكبرى (٦٤١٤)؛ والترمذي (٢٢٥٢)؛ وابن ماجه (٢٦٩٦)، وغيرهم.

زاد ابن ماجه في روايتـه: (قال طلحة بن مُصَرِّف: قـال الهُزَيْل بن شُرَحْبِيل: أبو بكر كان يتأمَّر على وَصِيِّ رسول الله ﷺ؟! وَدَّ أبو بكر أنه وَجدَ من رسول الله ﷺ عهداً فخَزَم أنفه بِخُزَامٍ!).

قال السِّنْدي: قول الهُزيل بتقدير الاستفهام الاستنكاري؛ أي: هل يجيء من أبي بكر أن يتكلَّف بالإمارة على عليٍّ لو كان هو وصيّاً كما يزعمه الروافض؟! حاشاه من ذلك.

١٠ ـ وعن الأسود بن يزيد قال: (ذَكَروا عند عائشة أن عليّاً رضي الله عنهما كان وَصِيّـاً، فقالت: متى أَوْصَى إليـه، وقد كنتُ مُسْنِدَتَهُ إلى صَدْري ـ أو قالت: حَجْري ـ فدعَا بالطَّسْتِ، فلقد انْخَنَثَ في حَجْري فما شعرتُ أنه قد مات، فمتى أَوْصَى إليه؟!)[1].

خامساً: هدم دعوى الوصية بنصوص من كتب الشيعة وبخاصة خطبُ علي:

يَعتبر الشيعة «نهجَ البلاغة» أصحَّ الكتب عندهم، وهو الكلام الذي لا ريبَ فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويطمئنون إلى كل كلمة فيه؛ لأنه كلام المعصوم على وجه اليقين عندهم[2].

وقد جاءت فيه نصوص كثيرة تزيِّف (دعوى النص بالخلافة لعليٍّ)، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٤١)؛ ومسلم (١٦٣٦)؛ والنسائي في الكبرى (٦٤١٨)؛ وغيرهم. **انخنث**: انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت.

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة: ٢/٢٨٤، ٣١٦، ٣٢٠.

١ ـ قول عليّ لمَّا أراده الناس على البيعة: (دَعُوني والتمِسوا غيري؛ فإنَّا مستقبلونَ أمراً له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقومُ له القلوب، ولا تَثبتُ عليه العقول. وإن الآفاق قد أَغامَتْ، والمحجَّة قـد تنكَّرتْ. واعلموا أَني إنْ أجبتُكم رَكِبتُ بكم ما أعلمُ، ولم أُصْغِ إلى قولِ القائل، وعَتْبِ العاتب، وإنْ تركتُموني فأنا كأحدِكم، ولَعَلِّي أَسـمعُكم وأطوعُكم لمن ولَّيْتُموه أمرَكم، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم منِّي أميراً!)[1].

فلو كان علي منصوصاً عليه بالإمامة من جهة الرسول ﷺ لَمَا جاز له أن يقول: (دعوني والتمسـوا غيري)، ولا أن يقول: (ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم)، ولا أن يقول: (وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)، هذا كلام ابن أبي الحديد!.

إذ كيف يرفض الإمامُ المعصوم مبايعتَه بالإمامة في قوله: (دعوني)، مع أن ذلك أهمُّ ركنٍ من أركان الدين؟! وكيف يأمرهم بمبايعة غيرِه في قوله: (التمسوا غيري)، مع أن كتب الشيعة تقول: (ثلاثةٌ لا يَنظر الله إليهم ولا يكلِّمهم ولهم عذابٌ أليم: مَن بايَعَ إماماً ليس من عند الله،...)[2].

وقد زَيَّف ابنُ أبي الحديد الشـيعي المعتزلي حجةَ الإمامية بالنص على علي، ومزاعمَ الذين يَصرفون كلامَ علي عن ظاهره[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٥.
(٢) أصول مذهـب الشـيعة: ٢/ ٣١٧؛ أصول الكافـي: ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤؛ بحـار الأنوار: ٢٥/ ١١١.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٥ ـ ٢٧. وانظر: الشيعة والتشيع، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

٢ ـ ويشير سيدنا علي في نصٍّ آخر إلى أن قبولَه للخلافة لم يكن عن رغبةٍ بها ولا تطلُّع إليها، ولكن استجابة لحملِ المسلمين له على ذلك، ولم يَدَّعِ نصّاً ولا وصيةً، يقول:

(والله ما كانت لي في الخلافة رغبةٌ، ولا في الولاية إِربْةٌ، ولكنكم دعوتُموني إليها، وحَمَلْتُموني عليها، فلما أَفْضَتْ إليَّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وَضَع لنا وأَمَرنا بالحكمِ به فاتبعته، وما استَنَّ النبيُّ ﷺ فاقتديتُه)[1].

فهذا كلام عربي واضح مبين لا مواربة فيه ولا تقيَّة، ولا وصية مزعومة، ولا حق مَطْلول، وإنما جاءت الخلافة إليه في إبَّانها، وصادفت منه أهلَها ومستحِقَّها، بطلب من الصحابة ودعوته لحملِ أمانتها والقيام بأعبائها.

٣ ـ ويذكر عليٌّ رضوان الله عليه على الملأ أن (ثبوتَ خلافته تمَّ بمبايعة المهاجرين والأنصار الذين كانت الشورى لهم، وكان إجماعُهم هو المعتبَر في هذا المقام، ولو كان هؤلاء مرتدين كما تصفِهُم كتب الشيعة لم يجز اعتبار بيعتهم وإجماعهم)[2].

ويَحتجُّ بذلك على معاوية ﷺ، وأنه يجب عليه أن يبايعه تبعاً لبيعة المهاجرين والأنصار، فيقول أمير المؤمنين:

(إنه بايَعَني القومُ الذين بايَعُوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهدِ أن يختارَ ولا للغائب أن يَرُدَّ، وإنما

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/٦.
(٢) أصول مذهب الشيعة: ٣١٩/٢.

الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسَمَّوْهُ إماماً كان ذلك لله رِضــاً، فإنْ خَرج عن أمرِهــم خارجٌ بطعنٍ أو بدعــةٍ ردُّوه إلى ما خَرج منه، فإن أَبى قاتَلُوه على اتباعه غيرَ ســبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولى)[١].

فهذا الكلام من أمير المؤمنين علي واضح الدلالة على عدم وجود (نص على الإمامة)، وأن طريقة بيعته لا تختلف عمن ســبقه، وخلافته ثابتة بالبيعــة من قبل المهاجرين والأنصــار، وإجماعُهم هو الأصل في الاختيار لا (النص المزعــوم)، فمن اختاروه وأجمعوا عليه فهو الخليفة. ولو كان عند علي نــصٌ ووصيةٌ لصرَّح لهم بذلــك وواجههم به؛ بأنه لا داعي لاختيارهم لأنه منصوصٌ عليه موصًى بإمامته وخلافته من قبل النبي ﷺ !.

ويردُّ ابنُ أبي الحديد دعوى الإمامية بأن هذا الكتاب من علي إلى معاوية خرج مخــرج التقيَّة، ولم يصرح له (بأنــه منصوص عليه) حتى لا يكون في ذلك طعن على الخلفاء الثلاثة قبله، فتفسد حالُه مع الذين بايعوه من أهل المدينة، يقول ابن أبي الحديد:

(وهذا القول من الإمامية دعوى لو عضدهــا دليل لوَجَب أن يُقال بها، ويُصار إليها، ولكن لا دليل لهــم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقيَّة)[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٥٩/٧.

٤ ـ وأَكَّد علي رضي الله عنه أن (الإمامة والاستخلاف تكون بالكفاءة والبيعة) لا بالوصية والوراثة، فمن ذلك قوله:

(أيها الناسُ، إن أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلَمُهم بأمر الله فيه، فإنْ شَغَب شاغبٌ استُعتِب، فإنْ أبى قوتِل.

ولَعَمْري لئن كانت الإمامة لا تنعقِدُ حتى تحضُرَها عامة الناس، ما إلى ذلك سبيل، ولكنْ أهلُها يَحكُمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجِعَ، ولا للغائب أن يَختار)[1].

سادساً: ومن الأدلة على (بُطلان دعوى الوصية لعلي) كثير من الأقوال التي صرح بها أمير المؤمنين علي نفسه في مناسبات عديدة:

ومن ذلك:

١ ـ عندما استشهد عثمان وجاءه المهاجرون والأنصار والناس يطلبون إليه البيعة بالخلافة، أشفق من ذلك، وقال:

(فإنْ أبيتُم علَيَّ فإنْ بيعتي لا تكون سِرّاً ولكنْ أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايَعَني). قال محمد ابن الحنفيَّة: (فخرج إلى المسجد فبايعه الناس)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥/٢٤٠.

(٢) فضائل الصحابة، لأحمد: ٢/٥٧٣؛ السُّنَّة، للخلال، ص٤١٦ـ٤١٧؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٢٧ـ٤٢٨، وغيرهم، والسند صحيح.

فالأمر شورى وبيعة، ولو كانت وصية كما يزعم الزاعمون فلا اختيار للناس، ولا يصح قول علي لهم: (فمن شاء أن يبايعني بايعني).

٢ ـ وفي معرِض مقتل عثمان وتبرُّؤ عليٍّ من دمه، يقول رضي الله عنه:

(فلما دُفن رَجَع الناس يَسألونني البيعةَ، فقلتُ: اللَّهمَّ إني لَمُشْفِقٌ مما أُقْدِمِ عليه، ثم جاءت عزمةٌ فبايعتُ، فلما قالوا: يا أميرَ المؤمنين، فكأنما صُدِعِ قلبي!)[1].

٣ ـ وفي قصة مقتل عثمان ومبايعةِ الناس عليّاً؛ روى عاصم بن كُلَيب بن شهاب الجَرْميُّ، عن أبيه، عن علي قال: (عَدَا الناسُ على هذا الرجل ـ عثمان ـ وأنا معتزِل، فقتلوه، ثم ولَّوني وأنا كارِهٌ، ولولا الخشيةُ على الدِّين لم أُجِبْهُم!)[2].

وهذا واضح في أنه لا نص ولا وصية، فالوصي المعصوم لا يتخلى عن القيام بواجبه، ولا يتولاه وهو كاره له!.

٤ ـ وفي «أخبار البصرة» لعمر بن شَبَّة، بإسناده إلى الشعبي قال: (لما قُتل عثمان أتى الناسُ عليّاً وهو في سوق المدينة، فقالوا له: ابسُطْ يدَك نبايعك، فقال: حتى يتشاور الناس)[3].

---

(١) المستدرك: ٣/٩٥، ١٠٣، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي؛ الإمامة، لأبي نعيم، ص ٣٢٩؛ ابن عساكر «ترجمة عثمان»، ص ٤٦٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٩١؛ وذكره الحافظ في الفتح: ١٦/٣٧٣ (٧١٠٠) وسكت عليه، وسنده لا بأس به.

(٣) الفتح: ١٦/٣٦٩، وسنده صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ فيما ينقله عن «أخبار البصرة».

فبيعة علي كانت بالشورى لا بالوصية، كما يصر علي نفسه على ذلك.

٥ ـ وعن ابن عباس: أن علياً قال (يوم الشورى والبيعة لعثمان) وهو يخاطب عبدالرحمن بن عوف: (ولنا حقٌّ إنْ نُعْطَه نأخذه، وإنْ نُمْنَعْه نركَب أعجازَ الإبل وإنْ طالَ السُّرى. ولو عَهِد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لَجالَدْنا عليه حتى نموت، أو قال لنا قولاً لأَنفذْنا قولَه على رغمنا)[1].

وهذا نص صريح من علي ﷺ بأن النبي ﷺ لم يَعهد إليه بشيء من أمر الخلافة، ولو عنده في ذلك عهدٌ لَجالَد عليه حتى يموت، وهو في هذا صادق بارٌّ راشد.

سابعاً: دلائل مقارنة عقلية منطقية تاريخية تدحض (دعوى الوصية):

لو أن رسول الله ﷺ كان يرى تحديدَ شكل الخلافة والحكم أو شخص الخليفة أمراً من أمور الدين وشأناً من شؤون الرسالة ـ لما تركه من غير بيان واضح وقول صريح، يقع من المسلمين جميعاً موقع اليقين، فلا يختلفون فيه ولا يتأوَّلون له، ويَشيع بينهم ويتناقلونه جيلاً بعد جيل، شأنهم في ذلك كشأنهم مع مقررات الرسالة وأحكامها[2].

---

(١) ابن عساكر: ٣/٨٤ـ٨٥؛ غريب الحديث، لابن قتيبة: ٢/١٣٨؛ وأخرجه الطبري مطولاً: ٤/٢٣٦ لكن فيه رجل متروك؛ ونقله عنه ابن أبي الحديد: شرح النهج: ١/١٧٧.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ١/٤٦ـ٧٦، ٢/٤٥٨ـ٤٦٨؛ علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب، ص ١٥٨ـ١٦٠.

ونشير في هذه الفقرة لأدلة واقعية وتاريخية ومنطقية على زيف (دعوى الوصية) لتكتمل جوانب البحث:

١ ـ ليس في كتاب الله تعالى ذِكْر للأئمة الاثني عشر بأسمائهم، كما ذُكِرَ الرسول ﷺ باسمه وصفته، و(الإمام) عند الرافضة كالنبي، ومنكِر الإمام كمنكِر النبي أو أعظم!.

كذلك لا نجدُ (لإمامة الاثني عشر) ذِكراً صريحاً في كتاب الله كما ذُكرت أركان الإسلام صريحة واضحة في مواضع عديدة من الكتاب العزيز من غير حاجة لمعرفة أصلها إلى تأويل باطني أو روايات موضوعة، والإمامةُ عندهم أعظمُ أركان الإسلام[1]!.

٢ ـ إن مسألة النصّ على عليٍّ وباقي الاثني عشر؛ مما تتوفر الدواعي والهِمم على نقله، فلو كان له أصلٌ لنُقل، لا سيما مع كثرة ما يُنقل في فضائل علي من الكذب الذي لا أصل له، فكيف لا يُنقل الحق الذي قد بُلِّغ للناس؟! ولأن النبي ﷺ أَمر أمتَه بتبليغ ما سمعوا منه، فلا يجوزُ عليهم كتمانُ ما أمرهم الله بتبليغه. ولو كَتَم الصحابة (مسألةَ النص عليه) لكَتَموا فضائلَ علي ومناقبه ولم ينقلوا منها شيئاً، وهذا خلاف الواقع[2].

٣ ـ من المعروف المشهور قديماً وحديثاً أن أبا بكر حيث نَصَّ على عمر ما اختَلَف فيه اثنان، ولا وقع في ذلك خفاء. وكذلك حيث

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة: ٣٢٤/٢.

(٢) منهاج السُنَّة: ٣٢٨/٤ـ٣٢٩؛ أصول مذهب الشيعة: ٣٢٥/٢.

نَصَّ عمرُ على ستة أنفس من قريش، ظهر ذلك عنهم ظهوراً لا يَسع جحدُه، ولا يمكن ردُّه. ورسول الله ﷺ أفضلُ، ومبادرةُ الخلق إلى امتثال أمره أكثر، وتشوُّفُ النفوس إلى نقل ما صدر عنه أعظمُ ـ فمن المحال البيِّن أن يَنص أبو بكر على واحد ولا يقع خلافٌ فيمن استخلَفه، ولا أمكن أحدٌ أن يكتمه، وكذلك عمر، بل معاوية حيث نَصَّ على يزيدَ؛ اشتهر ذلك ونُقل عنه اشتهاراً ظاهراً متواتراً لا نزاع فيه ولا مراء. فكيف نُقل نص معاوية، وكُتِم نصُّ رسول الله ﷺ وما نقله أحد، باعتراف الشيعة الذين يُقِرُّون بأن (مسألة الولاية وأحاديثها) سرٌّ من أسرارهم؟![1].

٤ ـ كيف يَحتمل عقل عاقل، أو يَشتبه على برٍّ أو فاجر ـ إلا من أراد الله فتنتَه ـ أن المهاجرين والأنصار وجميعَ التابعين لهم بإحسان؛ علِموا أن رسول الله ﷺ قد نصَّ على علي بن أبي طالب وأمرهم أن يولُّوه، فعَصَوْه وتركوا أمر الرسول ﷺ، وأمرهم أبو بكر أن يولوا عمر بن الخطاب فاتبعوه وأطاعوه، وأمرهم عمر بن الخطاب أن يولوا الستة فلم يخالفوه ولم يعصوه؟!.

وكيف يتصور أن يقوم المسلمون بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغيرها من فرائض الإسلام، ويتركون فريضة واحدة تُحبط عملَهم كلَّه وهي بيعة علي؟! وأي مصلحة لهم في مبايعة أبي بكر وترك مبايعة علي؟![2].

---

(١) دفع شبه الخوارج والرافضة، نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة: ٢/٣٢٧ـ٣٢٨.
(٢) إمامة أبي بكر الصديق، لابن زنجويه، نقلًا عن: أصول مذهب الشيعة: ٢/٣٢٨.

٥ ـ لو كان النص على عليٍّ صحيحاً لـم يَجُزْ لعليٍّ رضي الله عنه أن يدخل مع الستة الذين نص عليهم عمر، وكان يقول: أنا المنصوص علَيَّ فلا حاجة لي إلى الدخول فيمن نص عليه عمر. ولم يجزْ له أن يبايع أبا بكر وعمر وعثمان.

ولا يجوز أن يُظَنَّ بعلي رضي الله عنه أنه أمسك عن ذِكْر النص عليه خوفَ الموت، وهو الأسد شجاعةً، وقد عرَّض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات، ثم يوم الجمل، وصفِّين، فما الذي جَبَّنَه بشأن الجهر بالنص وألجأه إلى التقيَّة؟!.

وقد رأَيْنا عثمانَ بن عفان ـ وهو عند الرافضة أضعفُ من عليٍّ ـ لم يسلِّم الخلافة إلى غير أهلها، ورضي بحكم الله وقضائه، ولم يضيِّع ما جُعل إليه[1]!.

٦ ـ لم يُنقل عن علي رضي الله عنه أنه دعا إلى نفسه وجادل من أجل بيعته، فضلاً عن القتال، ولو وقع ذلك لاشتهر، وقد وقعت مناسبات مهمة وأحداث خطيرة توجب إظهارَ النص؛ كحادثة السقيفة، وحادثة الشورى، فلم يفعل شيئاً من ذلك، بل إنه دعا أصحابه إلى بيعته كما تُقرّ الرافضة ولم يَدَّع نصّاً.

وقد اتفق أهل السُّنَّة والشيعة على أن عليّاً لم يَدْعُ إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولا بايعه على ذلك أحد[2].

(١) الفِصَل: ١٦٢/٤؛ دفع شبه الخوارج والرافضة، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة: ٣٢٨/٢ـ٣٢٩؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٤٦٣/٤.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٣٩٩/١، ١١٣/٤؛ أصول مذهب الشيعة: ٣٣٠/٢.

٧ ـ لو كان الأمر في (الإمامة) على ما يقول هؤلاء الروافض، لَمَا كان الحسن بن علي في سَعة من أن يسلِّمَها إلى معاوية، فيُعينه على الضلال وعلى إبطال الحق وهدمِ الدين، فيكون شريكَه في كل مَظْلِمة، ويُبطِل عهدَ رسول الله ﷺ، ويوافقه على ذلك أخوه الحسين، فما نقض قط بيعة معاوية إلى أن مات. فكيف استحلَّ الحسن والحسين رضي الله عنهما إبطالَ عهد رسول الله ﷺ إليهما طائعَيْن غير مكرهَيْن، مع أن الحسن معه أزيد من مئة ألف فارس يموتون دونه؟![1].

٨ ـ جاء في الكتاب العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتواتر عن النبي ﷺ أن خيرَ هذه الأمة القرنُ الأول ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم، وهذه الأمة خير الأمم كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة؛ فإنْ كان القرن الأول قد جحدوا حقَّ الإمام المنصوص عليه المولَّى عليهم، ومَنَعوا أهلَ بيت نبيهم ميراثَهم، وولَّوا فاسقاً وظالماً، ومَنَعوا عادلاً عالماً، مع علمهم بالحق ـ فهؤلاء من شرِّ الخلق، وهذه الأمة شر الأمم، لأن هذا فعلُ خيارها، فكيف بفعل شرارها؟! وإن اليهود والنصارى لم يفعلوا عقب موت أنبيائهم ما تقوله الرافضة في أبي بكر وعمر والسابقين الأولين[2]!.

٩ ـ وقد جرى (تحكيم الحَكَمَيْن) ومع علي أكثرُ الناس، فلم يكن في المسلمين من أصحابه ولا غيرهم مَنْ ذَكَر (هذا النص) مع كثرة

(١) الفِصَل: ١٧٢/٤ ـ ١٧٣؛ أصول مذهب أهل السُّنَّة: ٣٣٢/٢ ـ ٣٣٣.
(٢) منهاج السُّنَّة: ٦٣/٣ ـ ٦٤، ٣٣٨/٤ ـ ٣٣٩؛ وانظر: البداية والنهاية: ٢٢٥/٧.

شيعته، ولا فيهم مَن احتجَّ به في مثل هذا المقام الذي تتوفر فيه الهمم والدواعي على إظهار مثل هذا النص.

ومعلوم أنه لو كان النص معروفاً عند شيعة علي، فضلاً عن غيرهم، لكانت العادة المعروفة تقتضي أن يقول أحدهم: هذا نصُّ رسول الله ﷺ على خلافته، فيجب تقديمُه على معاوية.

وقد احتجوا بقوله ﷺ: «**تقتل عماراً الفئـةُ الباغية**»، وهذا الحديث خبر واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوهـم، وليس هذا متواتراً، والنصُّ عند القائلين به متواتر، فيا لله العجبُ كيف سـاغ عند الناس احتجاج شيعة علي بذلك الحديث، ولم يحتجّ أحدٌ منهم بالنص؟![1].

١٠ ـ لو أراد النبي ﷺ أن يستخلف علياً في الصلاة، هل كان يمكن لأحد أن يردَّه؟ ولو أراد تأميره على الحج على أبي بكر ومن معه، هل كان ينازعه أحد؟ ولو قال لأصحابه: هـذا الأمير عليكم والإمام بعدي، هـل كان يَقدر أحـدٌ أن يمنعَـه ذلك؟ ومعـه جماهير المسـلمين من المهاجريـن والأنصار كلُّهم مطيعون لرسـول الله ﷺ، ليـس فيهم من يبغض علياً، ولا مَن قتل عليٌّ أحداً من أقاربه!.

وهل كان ﷺ يخاف أحداً لـو أراد النصَّ على علي وتوليه الخلافة من بعده، وقد نصره الله ﷻ وأعزَّه، وحوله المهاجرون والأنصار الذين لو أمرهم بقتل آبائهم وأبنائهم لفعلوا؟![2].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٩٢ ـ ٩٣.

(٢) المرجع السابق: ٣/٧٠٨ـ٧٠٩.

١١ ـ القول بالإمامة والنص على إمام معين أو اثني عشر متسلسلين؛ ينافي مبدأ الشورى الذي أصَّلَه القرآن وأكَّدته السُّنَّة وطبَّقه النبي ﷺ طيلةَ عهد الرسالة المبارك. وهذا الدين جاء للناس عامة ولكل الأزمنة والأمكنة، فلا يصحُّ بحالٍ أن يكون قيادُ الأمة محصوراً في أسرة حاكمة واحدة تتوارثه عبر الأجيال كالمتاع، ويتم إقصاءُ عامة الأمة وقتلُ الكفاءات فيها!.

ورسول الله ﷺ لم يقصد من دعوته وجهاده الذي قام به أن ينقل الدولة من الأُسَر الساسانية والرومانية إلى عامة العرب، فضلاً عن بني هاشم وبني المطلب، وفضلاً عن قريش، فكيف يريد أن يؤسِّس مملكة هاشمية أو سيادة مطلبية؟![1].

زِدْ على هذا أن في (الإمامة والنص) غَضّاً من مقام النبوة، فيكون ﷺ ـ وحاشاه من ذلك ـ طالِبَ مُلك أقامه لأقاربه وعَهِد إليهم ما يحفظون به المُلك، ولا يَعرف ذلك غيرهم، وهذا بأمرِ المُلْك أشبَهُ منه بأمرِ الأنبياء[2].

١٢ ـ لقد أوصى رسول الله ﷺ بوصايا عديدة، وكلها نَقَلها الصحابة ومنهم عليٌّ: فأوصى بكتاب الله تعالى، وبالصلاة، وبالزكاة، وما ملكت الأَيْمان، وأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان، وبإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجازة الوفد، وبلزوم الجماعة، وأوصى بأهل بيته، وبالأنصار خيراً، وبالنساء، وبإنفاذ بعث أسامة، وغير ذلك.

---

(١) انظر: صورتان متضادتان، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٥٥.

وفي هــذه الوصايا ما هو أقلُّ شــأناً من (الإمامــة والنص)، فلماذا نُقلت جميعاً ولـم يُنقل (النص المزعوم بالخلافة لعلي)؟!»[١].

١٣ ـ حــدَّث عليٌّ رضي الله عنه طيلةَ عهــود الخلفاء الثلاثــة قبله بأحاديث كثيرة عامة وخاصة وأمور فقهية بسيطة، ونقلها الناس عنه، وناظرَ عثمانَ وغيره بقضايا وأحكام متعددة، فكيف لا يُفصح بهذا الأمر الجليل الذي فيه وصية نبوية واجبة التنفيذ؟!.

ومواقفه التــي عرضناها مفصَّلة مع أبي بكر وعمــر وعثمان تؤكد هذا، وتوضح أن عليّاً ما كَتَم نصّاً ولا خَشي من البَوْح به والنضال دونه لو كان عنده.

١٤ ـ كيف قاتل عليٌّ معاويــةَ رضي الله عنهما على الخلافة، ولم يقاتلْ أبا بكر عليها، محتجّاً بالنص الذي معه، مــع أن موقفه في عهد أبي بكر أقوى ومؤيديه أكثر وأنصح، ومنازعيه أقلُّ داعياً وأضعف قوة!.

١٥ ـ والرافضة يزعمون أن عليّاً سكت عن البَوْح بالنص ومجابهة الخلفــاء والصحابة به والقتــال دونه: (تقيَّةً)، ولأجلِ مصلحة الإســلام والمسلمين! وفي كتبهم نصوص منســوبة لعليٍّ في ذلك، ومنها ما جاء في أصح كتبهم وهو «نهج البلاغة»؛ يقول علي:

(أمَا واللهِ لقد تقمَّصَهــا ابنُ أبي قُحَافةَ، وإنه لَيعلــمُ أن مَحلِّي منها مَحلُّ القطبِ من الرَّحَا... فصبرتُ وفي العين قذًى، وفي الحَلْق شَــجاً، أَرى تُراثي نَهْباً!)[٢].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٦٣/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٤٤/١، وانظر: ١٥٢/١، ١٦٨، ١٧٨.

وقال: (فنظرتُ فإذا ليس لي مُعيـنٌ إلا أهلَ بيتي، فَضَنِنتُ بهم عن الموت، وأَغضيتُ على القذَى، وشَربتُ على الشَّجَى، وصبرتُ على أخذ الكَظْم وعلى أمرٍّ من طعم العَلْقم!)[١].

والشيعة في هذا وأمثاله تصوِّر عليّاً وأهلَ البيت أنهم كانوا فاقدي الشجاعة والجرأة في إظهار الحق ـ والعياذ بالله ـ وأنهم كانوا يعيشون في جَزَع من المخاوف والأخطار، ويتبعون سياسة المصالح وإخفاء الحق، ويعتمدون على سلاح (التقِيَّة) لا كوسيلة مؤقتة وسلاح شخصي، بل باعتبارها عبادة وذريعة للتقرب إلى الله تعالى[٢].

والتقيَّة عندهم ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم؛ قال ابن بابويه القمي: (اعتقادنا في التقيَّة أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة!)[٣]. وعن جعفر الصادق قال: (إن تسعة أعشار الدين في التقِيَّة، ولا دينَ لمن لا تقيَّة له!)[٤].

وهذا من كذب الرافضة على عليٍّ وآل بيته الأطهار، فمن المتفق عليه عندهم وعند جميع المسلمين أن عليّاً بطل مغوار شجاع جريء صريح يقول الحق ويقاتل دونه، لا يكني ولا يورِّي!.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١/٣١٤، ٦/٨١.

(٢) صورتان متضادتان، ص ٨١.

(٣) الاعتقادات، ص ١١٤.

(٤) أصول الكافي: ٢/٢١٧؛ أصول مذهب الشيعة: ٢/٤٣٧ـ٤٣٨.

في «الصحيحين» وغيرهما: عن علي رضي الله عنه قال: (إذا حَدَّثْتُكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأَنْ أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أكذِبَ عليه، وإذا حدَّثتُكم فيما بيني وبينكم فإن الحربَ خَدْعَة)[1].

بل في كتابهم المتفق عليه عندهم «نهج البلاغة» نصوص كثيرة على فرط شجاعة علي، حتى زعموا أن الإسلام قام بسيفه، ومن ذلك قوله: (وأنا من رسول الله كالضَّوءِ من الضوء، والذِّراع من العَضُد، واللهِ لو تظاهرت العربُ على قتالي لَمَا ولَّيْتُ عنها، ولو أمكنتِ الفُرص من رقابها لَسارعْتُ إليها)[2].

فكيف جاز لعقولهم المنكوسة أن يتناقضوا أظهرَ تناقضٍ فيجمعون بين الشجاعة المفرِطةِ و(التقيَّة) التي لا تدل إلا على الهوان والضعف والجبن والاستخذاء عن القيام بالحق والاستبسال دونه؟!.

فهذه (٣٤) حديثاً وحُجّة ودليلاً على بطلان دعوى الوصية، جمعناها واختصرناها وهذَّبْناها من كتب أهل السُّنَّة ومصادر الشيعة ووقائع التاريخ ودلائل العقل الصحيح والمنطق السليم والبحث الناقد المنصف ـ تبرِّئ عليّاً وجميعَ الصحابة الكرام من تلك الفرية المتزندقة الخرافية!.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١)؛ ومسلم (١٠٦٦)؛ وأبو داود (٤٧٦٧)، وغيرهم.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤٣١/٨.

الفصل الثاني

استخلافُ عليٍّ والمُعضِلات القائمةُ والتحدِّيات المُرتقَبة

أولاً: أدلة صحة خلافة علي وأنها على منهاج النبوة:

١ ـ عن سعيد بن جُمْهَان، عن سَفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافةُ النبوَّة ثلاثونَ سنةً، ثم يؤتي اللهُ الملكَ ـ أو: ملكَه ـ مَنْ يَشاء**».

وفي رواية: عن سعيد بن جُمهان، عن سفينة رضي الله عنه قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الخلافةُ ثلاثونَ عاماً، ثم يكونُ بعدَ ذلك الملكُ**». قال سفينة: أَمْسِكْ: خلافةَ أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافةَ عمر رضي الله عنه عشرَ سنين، وخلافةَ عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة، وخلافةَ علي رضي الله عنه ستَّ سنين)[1].

قال ابن تيمية: (وهو حديث مشهور، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيرُه في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبَّتَه أحمد واستدلَّ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧)؛ والترمذي (٢٣٧٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩)؛ وابن حبان (٦٦٥٧) و(٦٩٤٣) وغيرهم. وصحَّحه ابن حبان وابن عبد البرّ والحاكم وابن تيمية وغيرهم.

به على مَن توقَّف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: «مَن لم يُربِّع بعليٍّ في الخلافة فهو أضلُّ من حمار أهله»، ونهى عن مناكحته!)(١).

٢ ـ وعن علي ﷺ قال: (إنَّ رسول الله ﷺ عَهِد إليَّ أن لا أموتَ حتى أُؤَمَّر، ثم تُخضَبَ هذه ـ يعني لحيتَه ـ من دمِ هذه ـ يعني هامته ـ فقُتل!)(٢).

٣ ـ وعن سَمُرَة بن جُنْدُب: (أن رجلاً قال: يا رسولَ الله، رأيتُ كأن دَلْواً دُلِّي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بِعَرَاقَيها فشَرِب شُرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعَرَاقَيْها فشرب حتى تَضَلَّع، ثم جاء عثمان فأخذ بعَرَاقَيْها فشرب حتى تضلَّع، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعَرَاقَيْها، فانْتَشَطَتْ، وانتُضِحَ عليه منها شيء)(٣).

٤ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة، تَمرُق بينهما مارِقةٌ، يَقتُلها أَوْلى الطائفتين بالحقِّ**»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣٥/١٨ـ١٩. وانظر شرح الحديث في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢٢٥/٢.

(٢) أخرجه أحمد (٨٠٢)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧) تحت (باب في الخلفاء)؛ وأحمد (٢٠٢٤٢)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١١٤١)، وحسنه شعيب الأرنؤوط. **بعراقيها**: العراقان خشبتان تُجعلان على فم الدلو متخالفتان لربط الدلو.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٥)؛ وأبو داود (٤٦٦٧)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٥٨)، وغيرهم. انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١١٤/٢.

قال الإمام أحمد: (ليس شيء عندي في تثبيت خلافة علي أثبتَ من حديث أبي سلمة والضحّاك المِشْرَقي عن أبي سعيد الخُدْري؛ لأن في حديث بعضهم: «**يقتلهم أَوْلى الطائفتين بالحق**»)[١].

٥ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**القائمُ بعدي في الجنة، والذي يقوم بعده في الجنة، والثالث والرابع في الجنة**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أهل السُّنَّة يُثبِّتون خلافة الخلفاء كلِّهم، ويستدلون على صحة خلافتهم بالنصوص الدالَّة عليها، ويقولون: إنها انعقدت بمبايعة أهل الشوكة لهم، وعليٌّ بايعه أهلُ الشوكة، وإنْ كانوا لم يجتمعوا عليه كما اجتمعوا على من قبله، لكن لا ريب أنه كان له سلطان وقوة بمبايعة أهل الشوكة له، وقد دلَّ النص على أن خلافته خلافة نبوة)[٣].

ثانياً: الحكمة من تأخير خلافة علي وكونه رابع الخلفاء الراشدين:

ليس من مصادفات الزمان، ولا نتيجة لمؤامرة أو تخطيط واغتصاب؛ أن يكون علي رضي الله عنه هو رابع الخلفاء لا أوَّلَهم، بل كان ذلك لحكمة إلٰهية عظيمة ومنحة ربانية لدعوة الإسلام وأمته، ومكرمة لبني هاشم، وشهادة لهم بنُبْلهم وإخلاصهم ومكانتهم.

---

(١) السُّنَّة، للخلال: ٤١٤/٣.

(٢) تقدم: ص ٢٢٤ في هذا الكتاب.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٧٨/٣.

فقد كان للحركات الثورية والدعوات الإصلاحية ـ كما رأى المطلعون على تاريخها ـ تجاربُ مريرة في بدايتها ونهايتها؛ فقد كانت تبتدئ بالدعوة إلى الإصلاح وإزالة المفاسد والضلالات، وتنتهي إلى تأسيس حكومة أو حصول على قوة سياسية وعسكرية في صالح أسرة الداعي الأول والمنادي بالثورة أو الانقلاب، فكانت عند الأذكياء وبعيدي النظر حساسيةٌ زائدة وتشاؤمٌ في ما يتصل بالدعوات والحركات الدينية.

ولقد كان لفتةً عبقرية ناتجة عن خبرة وتجربة ذلك السؤالُ الذي وجَّهَه ملكُ الروم هِرَقْل ـ وقد جاءه كتابُ رسول الله ﷺ يدعوه فيه للإسلام ـ إلى أبي سفيان وكان لا يزال على شركه، قال هِرَقْلُ: (فهلْ كان من آبائِه من مَلِكٍ؟)، قال أبو سفيان: (لا)، فقال هرقل: (سألْتُك: هل كان من آبائه من ملِكٍ؟ فذكرتَ أنْ لا، قلتُ: فلو كان من آبائه من مَلِكٍ قلتُ: رجلٌ يطلُبُ مُلْكَ أبيه!)[1].

وكان من تقدير الحكيم العليم أنه لم يَخْلُفْ رسولَ الله ﷺ في ولاية أمر المسلمين، ولم يتولَّ خلافته على أثر وفاته ـ أحدٌ من أهل بيته وأبناءِ الأسرة الهاشمية مباشرة ومن غير تراخٍ. وخَلَفَه ﷺ أبو بكر وهو من بني تَيْم، وخَلَفَ أبا بكر عمرُ بن الخطاب وهو من بني عَديّ، وخلَفَه عثمانُ بن عفان وهو من بني أُميَّة، ثم آلَ الأمرُ إلى علي بن أبي طالب حين لم يكن في المسلمين ولا في أصحاب رسول الله ﷺ أفضلُ منه، ولا أقدرُ على حمل أعباء الخلافة وأجدرُ بها، فزال الالتباس

(١) أخرجه البخاري (٧)؛ ومسلم (١٧٧٣)، وغيرهما.

وانقطعتْ ألسنة الناس، فما بقيت القضية قضية أُسرية وقضية محسوبية وعصبية، إنما كانت القضية قضية جدارة واستحقاق، وكفاءة وقدرة، لا غبار عليها ولا مجال لطعن طاعن وقدح قادح، وكان أمر الله قدراً مقدوراً[١].

ثالثاً: البيعة، كيفيتها ومكانها وتاريخها:

ما إن استشهد عثمان ونفض الناس أيديهم من دفنه، حتى أسرع الصحابة إلى عليٍّ يريدونه على البيعة، وكذلك أولئك المجرمون الخوارج الذين قتلوا عثمان جاؤوا عليّاً يحملونه على القيام بالأمر؛ فأنَّبهم وأعرض عنهم وقال: إنما الأمر للمهاجرين والأنصار فمن رضوه فهو الخليفة. وحاول أن ينجو بنفسه من تبعات الخلافة، فلما لم يجد بُدّاً قبِلَها، وأبى إلا أن تكون البيعة من أصحاب السابقة وفيهم أهل الحل والعقد، وتكون شورى عامة ظاهرة في المسجد، ليشهدَها الناس فتكون عليهم حجة، ويأخذ هو حق الطاعة بالمعروف.

ـ عن محمد ابن الحنفيَّة قال: (كنت مع عليٍّ وعثمانُ محصور، فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة! قال: فقام عليٌّ، فأخذتُ بوسطه تخوفاً عليه، فقال: خَلِّ، لا أُمَّ لك! قال: فأتى علي الدار وقد قُتل الرجل! فأتى داره فدخلها وأَغلَق عليه بابه. فأتاه الناس[٢]، فضربوا

(١) المرتضى، ص ٨٠ـ٨١؛ وانظر: صورتان متضادتان، ص ٦٥ـ٦٦.

(٢) هم الصحابة المهاجرون والأنصار، كما جاء في رواية أخرى.

عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بُدَّ للناس من خليفــة، [ولا نجدُ اليوم أحــداً أحقَّ بهذا الأمر منــك، ولا أقدمَ ســابقةً، ولا أقربَ من رســول الله ﷺ][1]، فقال لهم عليٌّ: لا تفعلوا، فإني لكم وزيرٌ خير مني لكم أميرٌ! فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحقَّ بها منك. قال: فإن أبيتم علَيَّ فإن بيعتي لا تكون سِــرّاً، ولكنْ أخرج إلى المسجد فمن شــاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايَعَه الناس).

وفي رواية: (قــال عبد الله بن عبــاس: فلقد كرهــتُ أن يأتي علي المسجدَ مخافة أن يُشْغَب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل، دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس)[2].

وروى مثله المِســوَر بن مَخْرَمة، وفي روايتــه: (فرَقَى عليٌّ المنبر، فقيل: ذاك عليٌّ على المنبر، فمالَ الناس عليه فبايعوه)[3].

والأخبار في هذا كثيرة جدّاً[4].

---

(١) ما بين الحاصرتين من تاريخ الطبري، وهو تقييــد جيد ليخرج بذلك الخلفاء الراشدون الثلاثة قبله.

(٢) فضائل الصحابة، لأحمد: ٢/٥٧٣؛ السُــنَّة، للخلال، ص ٤١٧؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٢٧، وإسناده صحيح، وقد صحَّحه محقق فضائل الصحابة وغيره.

(٣) فضائل الصحابة، لأحمد: ٢/٥٤٧، وقال محققه: إسنادها صحيح.

(٤) انظــر: فضائــل الصحابــة، لأحمــد: ٢/٥٧٣_٥٧٧؛ السُــنَّة، للخــلال، ص ٤١٥_٤١٧؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٢٧_٤٢٨؛ أنساب الأشراف: ٢/٢٠٨؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/٧٥؛ الفتح: ١٦/٣٦٩ (٧١٠٠).

فهذه أخبار صحيحة صريحة تدلُّ على أن عليّاً لم يكُ طامعاً في الخلافة، بل زاهداً فيها مشفقاً من تبعاتها، وهو بهذا يُبطِل (دعوى الوصية) التي اختلقها الكذابون كما قدمنا.

وتدل أيضاً على أن البيعة كانت شورى علنية في المسجد، وبإجماع المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد، وفيهم طلحة والزبير كما يدل عليه عموم هذه الروايات لأنهما من رؤوس المهاجرين وأهل الحل والعقد.

ويؤكد بيعةَ الصحابة طائعِين خبرٌ صحيح عن علي قال: (ثم إن عثمان قُتل، فجاؤوني فبايعوني طائعِين غير مكرهين)[(١)].

وكذلك جاء في «نهج البلاغة» أقوال كثيرة لعليّ يصرِّح فيها بأنه أخذ الخلافة بمبايعة الناس له ورغبتهم فيه واجتماعهم عليه، لا بنصٍّ مزعوم ووصيةٍ موهومة.

قال علي: (دُعُوني والتمِسوا غيري... وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً)[(٢)].

وقال: (فما راعَني إلا والناسُ إليَّ كعُرفِ الضَّبُع، ينثالون علَيَّ من كل جانب، حتى لقد وُطِئ الحسنان، وشُقَّ عِطْفايَ، مجتمعِين حولي كرَبِيضَةِ الغَنَمِ)[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٨؛ ابن عساكر: ٣/١٠١.

(٢) تقدم بتمامه: ص٢٧٦ في هذا الكتاب.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/١٨٠. **العرف**: شعر العنق، وعُرْف الضبع طويل وغزير.

وقال: (فأَقبلتُم إليَّ إقبالَ العُوذِ المَطَافِيل على أولادها؛ تقولون: البيعةَ البيعةَ! قَبَضْتُ كفِّي فَبسطتُموها، ونازَعْتُكم يدِي فَجَاذَبْتُموها)[1].

ويصفُ ازدحامَهم عليه للبيعة فيقول: (وبَسَطتُم يدي فكَفَفْتُها، ومَدَدتُموها فقبضتُها، ثم تَدَاكَكتُم عَليَّ تداكَّ الإبلِ الهِيم على حياضها يوم وِرْدِها، حتى انقطعتِ النَّعْلُ، وسَقط الرداء!)[2].

•• **وكانت بيعته يوم الجمعة (١٨ ذو الحجة من سنة ٣٥هـ) بعد أن دُفن عثمان مباشرة**، وقد امتنع من البيعة أول الأمر وذهب إلى بستان بني عَمْرو بن مبذول، فجاءه الناس وطرقوا الباب، وولجوا عليه وبايعوه في دار عَمْرو بن مِحصَن الأنصاري أحدِ بني عمرو بن مبذول، وذلك يوم الجمعة، ثم خرج علي إلى المسجد النبوي **فبايعه الناس البيعة العامة، (يوم السبت ١٩ ذو الحجة من سنة ٣٥هـ)**[3].

ويؤيد ذلك الرواية الصحيحة السابقة التي تنص على أن الصحابة جاؤوه ـ وقد فرَّ من الناس ـ وطلبوا إليه البيعةَ وقال: (إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بدّ للناس من خليفة). وهو المتفِق مع هدي الصحابة في بيعة الخلفاء الثلاثة قبله، والسرعة في تنفيذ ذلك، وعدم التأخير والتراخي في عقدها، حتى لا يبقى المسلمون دون خليفة.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٩/٥. **العوذ المطافيل**: الإبل مع أولادها، يريد أنهم جاؤوا بأجمعِهم كبارِهم وصغارِهم.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥/٧، وبنحوه في: ٢٦٧/٢. **الإبل الهِيم**: العِطاش.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣١/٣؛ المستدرك: ١١٤/٣؛ تاريخ بغداد: ٣٥/١؛ المنتظم: ٦٥/٥ـ٦٦؛ البداية والنهاية: ٢٢٦/٧ـ٢٢٧.

وعن قيس بن عُبَاد قال: (سمعتُ عليّاً يوم الجَمَل يقول: اللَّهمَّ إني أبرأُ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان، وأنكرتُ نفسي. وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأَستحيي من الله أن أبايِع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة**»! وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمانُ قتيل على الأرض لم يُدفنْ بعدُ! فانصرفوا. فلما دُفِن رَجَع الناس يسألونني البيعة، فقلتُ: اللَّهمَّ إني لَمشفِقٌ مما أُقْدِمُ عليه، ثم جاءت عزمةٌ فبايعتُ، فلما قالوا يا أمير المؤمنين، فكأنما صُدع قلبي!)[1].

أما الرواية التي تذكر أن (المدينة بقيتْ بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، يلتمسون مَن يُجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه)[2] ـ فرواية باطلةٌ تردُّها الروايات الصحيحة والحقائق السابقة التي أوردناها.

وقد وقع في شَرَك هذه الرواية بعضُ المؤلفين، وقولُ الدكتور الفاضل أكرم العمري (وكانت بيعة علي بعد سبعة أيام من مقتل عثمان)[3]، غلط محض!.

●● والنصوص المتقدمة تؤكد أن عليّاً لم يكن راغباً في الخلافة، ولا متطلِّعاً إليها، ولا حريصاً عليها، بل كان خائفاً من تبعاتها، مشفِقاً

---

(١) أخرجه الحاكم وغيره، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقد تقدم طرف منه: ص٣٥٩ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٣٢/٤؛ المنتظم: ٦٤/٥؛ البداية والنهاية: ٢٢٧/٧.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص٤٤١.

من مسؤولياتها، مقدِّراً لمعضِلاتها الكبار، يقول: (دَعُوني والتمِسوا غيري)، (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إِرْبة)، (وبَسطتم يدِي فكففتُها، ومددتُموها فقبضتُها)، (اللَّهمَّ إني مشفِق مما أُقْدِم عليه).... لكنه قبِلَها نتيجةَ إلحاح الصحابة عليه، وتصدَّى لها بروح المسؤولية وحملها مع أعبائها؛ قال: (ولكنكم دعوتموني إليها، وحَمَلتموني عليها)، (ثم جاءت عزمة فبايعتُ).

رابعاً: بيعة طلحة والزبير:

•• تؤكد الروايات الصحيحة الكثيرة أن طلحة والزبير رضي الله عنهما بايعا عليّاً مع عامة المهاجرين والأنصار، طائعَيْن راضيَيْن غير مُكرهَيْن ولا خائفَيْن.

ـ عن طارق بن شهاب قال: (لمّا قُتل عثمان قلت: ما يُقيمني بالعراق وإنما الجماعةُ بالمدينة عند المهاجرين والأنصار؟! قال: فخرجتُ، فأُخبرت أن الناس قد بايعوا عليّاً. قال: فانتهيتُ إلى الرَّبَذَة وإذا عليٌّ بها، فوُضِع له رَحْلٌ فقعد عليه، فكان كقيام الرجل، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: إن طلحة والزبير بايَعَا طائعَيْن غير مكرَهَيْن)[1].

ـ وعن إبراهيم النَّخَعي، عن عَلْقمة بن قيس قال: قال الأَشتر: (رأيتُ طلحة والزبير والقومَ بايعوا عليّاً طائعِين غير مكرهِين)[2].

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٥/٨؛ وبنحوه في «أخبار البصرة» لابن شبة، كما في الفتح: ٣٦٩/١٦، وهو صحيح أو حسن عند الحافظ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٩٣/٨؛ ونقله الحافظ في الفتح ـ عن «أخبار البصرة» ـ: ٣٦٩/١٦، وهو صحيح أو حسن.

ـ وفي حديث طويل يرويه الأحنف بن قيس في مقتل عثمان، قال: (فانطلقتُ فأتيتُ طلحة والزبير، فقلتُ: ما تأمراني به وما ترضيانه لي، فإني لا أَرى هذا الرجلَ إلا مقتولاً؟ قالا: نأمرك بعليٍّ، قلتُ: تأمراني به وترضيانه لي؟ قالا: نعم)(١).

ـ وعن أبي بشير العابدي قال: (كنتُ بالمدينة حين قُتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا حسن، هَلمَّ نبايعْك، فقال: لا حاجةَ لي في أمركم، أنا معكم؛ فمن اخترتم فقد رضيتُ به، فاختاروا، فقالوا: والله ما نختارُ غيرَك)(٢).

ـ ونقل ابن حِبَّان في «الثقات»: أن عليّاً صعِد المنبر للبيعة، فكان طلحة أولَ من صعد إليه المنبر فبايعه، ثم بايعه الزبير وسعد بن أبي وقّاص وأصحاب النبي ﷺ(٣).

ـ وكذا قال الإمام الذهبي(٤).

ـ ويعلق ابن حزم على بيعة طلحة والزبير وعائشة، فيقول: (وأَمّا أم المؤمنين والزبير وطلحة ومَن كان معهم؛ فما أبطَلوا قطُّ إمامةَ علي،

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٣/٨؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٩٧ـ٤٩٨؛ وصحّحه الحافظ في الفتح: ٣٣٧/١٦ (٧٠٨٣).

(٢) تاريخ الطبري: ٤٢٧/٤، وسندها حسن. وانظر خبراً آخر من مرسل ابن سيرين: ٤٣٤/٤.

(٣) الثقات: ٢٦٨/٢.

(٤) دول الإسلام، ص ٢٠.

ولا طعنوا فيها، ولا ذكروا فيه جَرْحة تحطُّه عن الإمامة، ولا أحدَثوا إمامة أخرى، ولا جدَّدوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدِرُ أن يدَّعيه أحدٌ بوجه من الوجوه)[١].

نقول: هذا هو اللائقُ بهذين الصحابيين الجليلين، وهما اللذان تنازلا عن حقهما في الخلافة أيام الشورى واختيار عثمان، والرياحُ رُخاء والحياةُ هانئة وأمرُ الإسلام في إقبال والفتوحات في توسع، فما طمِعا فيها، ولا نازعا غيرَهما عليها، بل تنازل الزبير عن حقه في الترشيح إلى علي، وجعل طلحة أمره إلى عثمان! **فكيف يُخالِفان عليّاً وينازعانه عليها وهي الآن مُثخَنة بالجراح، مثقلة بالأعباء، مليئة بالمعضِلات والتحديات؟!.**

•• أما القول بأن طلحة والزبير بايَعَا مُكرهَيْن واللُّجُّ على عنقَيْهما:

فمجمل الروايات[٢] لا تخلو من ضعف بعض الرواة، أو إرسال وانقطاع في بعضها، كذلك في متن بعضها الآخر ما هو شاذ منكَر، زِدْ على ذلك معارضتها للروايات المتقدمة وكثير منها صحيح، ويتسق مع حرص الصحابة على وحدة الصف والكلمة وعدم الخلاف.

---

(١) الفِصَل: ١٥٣/٤.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٤٢٩/٤، ٤٣١، ٤٣٤ـ٤٣٥، ٤٩٠ـ٤٩١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧٠٩/٨؛ الفتح: ٣٦٩/١٦.

خامساً: مزاعم وشبهات ومجازفات:

•• وردت بعض الروايات في «تاريخ الطبري» وغيره ممن نقل عنه أو جاء بعده، تذكر أن جماعة من الصحابة من المهاجرين والأنصار تربصوا فلم يبايعوا عليّاً، منهم: سعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عُمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مَسْلمة وصهيب وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ورافع بن خَديج وغيرهم[١].

وكلها روايات تالفة لا وزن لها، في أسانيدها: مجاهيل، ومَن لم يُسَمَّ، وضعفاء ومتروكون من أمثال أبي مِخْنَف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام والواقدي وأبي بكر الهُذَلي، وكثير منها مرسلات ومنقطعات، علاوة على أنها تعارض الروايات الصحيحة التي قدمناها.

•• وقد التبس الأمر على بعض الرواة والمصنفين والكُتَّاب؛ فخَلَط بين (بيعة علي أميراً للمؤمنين) وبين الخروج معه لقتال أصحاب الجمل وأهل الشام. وكثيرٌ ممن ذكروهم من الصحابة قعدوا في تلك الفتن عن القتال ولزموا بيوتهم، ولم يستجيبوا لأمير المؤمنين علي للخروج معه في حروبه تلك، وهي مسألة اجتهادية لم يوافقوه عليها.

وهذا ما أوضحَتْه أقوالُ ومواقفُ أسامة وسعد وابن عمر ومحمد بن مسْلمة وأبي بَكْرة وأُهْبَان بن صَيْفي وأمثالهم ممن لم يشاركوا في تلك

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٢٨ـ٤٣٥؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٧.

الحروب، والأخبار في ذلــك عنهم صحيحة كثيرة لا نجد متسـعاً في ذكرها هنا.

•• وأطلَق بعــض الكُتّاب جِمــاح أقلامهم، وجَــروا وراء روايات ضعيفة وواهية، وروَّجوا لأكاذيب وأقاصيص مختلَقة، ووَصَموا عدداً من جِلَّــة الصحابــة بصفــات لا تليق بآحــاد النــاس، فضلاً عــن صحابة رســول الله ﷺ الذين بايعوا عليّــاً ومحَضُوه النصح في سياســة الدولة، وخالفوه في بعض اجتهاداته التنفيذية، فنُسبت إليه وإليهم أقوال ومواقف لا تصح سنداً ولا متناً، وتتناقض مع سِــيرهم الطاهرة وأخلاقهم النبيلة وصراحتهم الواضحة، في السرّاء والضرّاء، ومع الموافق والمخالف.

١ ـ من ذلك: ما روي عن أم المؤمنين عائشة لما أُخبرت أن الناس بايعــوا عليّاً واجتمعــوا عليه، قالت لمــن أخبرهــا: (والله ليت أن هذه انطَبقت على هذه[1] إنْ تمَّ الأمرُ لصاحبك!)، ثم أظهرتْ أن عثمان قُتل مظلوماً، وقامت تطالب بدمه، واتهمت عليّاً بقتله[2]!.

وممن روَّج لهذه الرواية: عبدالكريم الخطيب[3].

وهي رواية مكذوبة في سندها نَصْر بن مزاحم: متروك، ورجال لم يُسَمَّوا، وآخرون مجهولون.

---

(١) أي: ليت السماء انطبقت على الأرض!.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٨ـ٤٥٩؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١٠٥؛ الإمامة والسياسة، ص ٥٩.

(٣) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٢٨٠ـ٢٨١.

٢ ـ وساق عباس محمود العقّاد خبراً من «تاريخ الطبري» يذكر أن المدينة بقيت خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، والناس يلتمسون من يتولى أمر المسلمين؛ فالمصريون يلحون على (علي)، ويطلب الكوفيون (الزبير)، والبصريون (طلحة)[١].

ثم يعقّب العقاد قائلاً: (وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة عند مقتل عثمان، وربما كان أشدَّهم طلباً لها طلحةُ والزبيرُ، اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك؛ فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان...)[٢].

والخبر واهٍ كما قدمنا، ويعارِض الروايات الصحيحة الدالة على أن بيعة علي كانت بعد دفن عثمان مباشرة. وتعليق العقاد عليه فيه مؤاخذات بل موبقات؛ حيث اتهم عائشة وطلحة والزبير بالخيانة والنكث بالبيعة، وأنهم تآمروا على عليٍّ وأعلنوا الحرب عليه، وأن دوافعهم للخلافة قبلية جاهلية، وأن طلحة والزبير كانا يمهّدان لها في عهد عثمان، وهو افتراء ساقط لأنهما زهِدا فيها كما قدمنا. وهذا المذهب من (العقاد) لا يختلِف في شيء عن معتقد الرافضة في الصحابة!.

٣ ـ ويزعم كاتب آخر أن الصحابة انقلبوا على علي بعد بيعتهم له، وارفَضُّوا عنه واحداً بعد الآخر، بداف ذِيادته عن الخلافة مثل ما أبعدوه

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٢.

(٢) عبقرية الإمام علي، ص ٦٢، وقد سقت كلامه بتمامه: ص ٣٤٧ في هذا الكتاب.

عنها من قبلُ، ولطموحهم لـذاك المركز، أو ليكون هناك خليفة ضعيف يشاركونه في الحكم[1].

ولا يستغرب من كاتب شيعي أن يقول مثل هذا؛ وقد ورث عن أسلافه تركة ضخمة من البهتان على الصحابة واتهامهم بالموبقات وقبائح الأفعال.

٤ ـ ويذهب الدكتور طلال الجنابي إلى أن فريقاً من الصحابة مكوناً من (معاوية وعَمْرو بن العاص وطلحة والزبير)؛ قد انتظموا في جبهة واحدة ونكثوا بيعةَ الإمام، وهيؤوا الأسباب للشغب عليه، يحركهم الطمع والهوى الشخصي[2]!.

ـ وقريب منه قول عبدالكريم الخطيب[3].

والدكتور الجنابي الشيعي لم يتفطن جيداً لإتقان (حبك الحكاية)، ونسي أن معاوية وعَمْراً لم يبايعا عليّاً حتى ينكثا بالبيعة! وكلامه في مبدئه ومنتهاه لا سند له في الرواية التاريخية الصحيحة، ولا في منطق التاريخ، فضلاً عن أخلاق أولئك الصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة النبوة، وأثنى عليهم القرآن.

ولا نترك القلم حبلَه على غاربه ليجري وراء المفترين والجمّاعين للغثِّ أكثر من السمين، وحسبنا هذه الإشارات لتكون مسباراً لمثل أولئك الكتاب وتلك الأخبار.

---

(١) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص٥٨ـ٥٩.

(٢) كتابه: أبو تراب، ص٧١، ٧٣.

(٣) كتابه: علي بن أبي طالب، ص٢٧٧.

سادساً: هل حصل الإجماع على بيعة علي:

•• انعقدت البيعة العامة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه بمبايعة أهل الشوكة والمهاجرين والأنصار بالمدينة، وأرسل عليٌّ الولاة إلى الأمصار الإسلامية ـ بدلاً من ولاة عثمان ـ للقيام بأمرها، ولأخذِ البيعة له، فبايع كثير من أهل مكة ومصر والمغرب واليمن والبصرة والكوفة وخراسان. وعارض كثيرون أيضاً، وكانوا (عثمانية) يطالبون بالقصاص السريع من قتلة الشهيد عثمان، فمنهم من اعتزل ومنهم من رفض البيعة. وأما أهل الشام وواليهم معاوية رضي الله عنه، فلم يبايع أحد منهم، وطالبوا بالقصاص من القتلة كذلك.

ويرى ابن حزم أن عددَ من امتنع عن بيعته مثلُ عدد من بايعه، وقدَّر عددَهم بمئة ألف مسلم[1].

وبالنظر المنصف والبحث النزيه والنقد الدقيق؛ تُجمِع كثير من الروايات الصحيحة والحسنة والمقبولة، إضافة إلى الواقع التاريخي المشهود ـ على أنه لم يَحصل إجماع من الأمة على بيعة علي، مع التأكيد على (صحة خلافته، وأنها على منهاج النبوة) وأنه رابع الخلفاء الراشدين كما قدمنا.

لكن ما حصل في استخلاف علي وبيعته مغايرٌ لِما حصل في خلافة الخلفاء الثلاثة قبله، فالخلافة التامة التي أجمع عليها المسلمون، وقوتل بها الكافرون، وظهر بها الدين ـ كانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان. وخلافةُ علي اختلف فيها أهلُ القبلة، ولم يكن فيها زيادة قوة

---

(١) الفصل: ٤/١٦٧.

للمسلمين، ولا قهر ونقص للكافرين، ولكن هذا لا يقدح في أن عليّاً كان خليفة راشداً مهديّاً، ولكن لم يتمكَّن كما تمكَّن غيرُه، ولا أطاعَتْه الأمة كما أطاعت غيرَه، فلم يحصل في زمنه من الخلافة التامة العامة ما حصل في زمن الثلاثة، مع أنه من الخلفاء الراشدين المهديين[(١)].

والتاريخ الصادق ناطِقٌ بأن جميع الأمة الإسلامية في كافة الأمصار استقامت طاعتها للخلفاء الثلاثة، ولم تَخرج على أحد منهم ولا انتقضَتْ عليه، ولا حاربها ولا حاربَتْه، وهذا ما لم يحصل في عهد الخليفة الرابع، رضي الله عنهم جميعاً[(٢)].

●● ومما تقدم يتبيَّن لنا بطلانُ قولِ صاحبة كتاب «بيعة علي»، وهي تزعم النزاهة والنقد وغربلة الروايات، تقول: (أجمع على بيعته كبارُ الصحابة والمهاجرون والأنصار، وخضعَتْ لخلافته كل بلاد الإسلام: كالحجاز واليمن وفارس وخراسان ومصر وإفريقية والجزيرة وأَذْرَبِيجان والهند والسِّند والنوبة. ولم يعارض بيعتَه سوى أهل الشام، وهم لا يمثِّلون نصفَ الأمة، ولا ربعها، بل قد لا يَصِلون عشرها)[(٣)].

وهذا كلام يُبطِله التاريخ الذي أغمضَتْ عينَها عنه، وما حصل في الشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من انتقاض ـ كما سيأتي ـ على عليٍّ وولاته مشهور معروف.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٨٨/٣.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣٣٣/١ـ٣٣٨، ٦١٩/٢، ٧٨/٣ـ٨٠، ٨٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٥٢، ٧٣٣؛ عصر الخلافة الراشدة، ص٦٠، ٩٩، ١٠٤، ٤٤١ـ٤٤٣.

(٣) بيعة علي، ص١٩٣.

وغَمزتْ بمن كان مع معاوية من الصحابة وأنهم من مُسْلِمة الفتح! ولا نردّ عليها في هذا بل نتركه لقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم قالت: (ولذلك قلنا: إن خلافة عليٍّ وبيعتَه مجمعٌ عليها، مثل ما نقول: إن بيعة أبي بكر رضي الله عنه مجمع عليها)[١].

فهل يقول مثل هذا باحث ناقد منصف؟! والأحاديث الصحيحة والواقع والتاريخ تدحض ذلك العوج وتلك المكابرة[٢]!.

ـ ويجازف كاتب آخر فيقول: (وهكذا، وإنْ جرت عملية البيعة تحت مراقبة الثوار، إلا أنها جاءت وفقاً للآلية المتبعة، وتوفر لها

---

(١) بيعة علي، ص ١٩٥.

(٢) وفي كتابها أخطاء وخطايا: ففيه إسراف في حق بعض الصحابة، وغلو في علي وتقديمه على عثمان، وغمز من بيعة الصديق، وتدليس في النقل عن العلماء، فضلاً عن المجازفات في المساواة بين الخوارج وبين أهل الشام، وتوهين (سيف بن عمر الضبي) واتهامه بالوضع اعتماداً على قول ابن حبان فيه ـ وقد زيَّفْنَا كلامه في كتابنا «عثمان بن عفان» ـ والثناء على لوط بن يحيى. وشريكُها في الكتاب (حسن بن فرحان المالكي) الذي يتظاهر بالمنهج النقدي، وهو رافضي جَلْد كشف عن وجهه الحقيقي في برنامج (وجهاً لوجه على قناة وصال) مع بعض علماء السُّنَّة، فراح يقع فيهم، بل بلغت به الجرأة أن قال عن معاوية: إنه في الدرك الأسفل من النار، وسَهُل عليه شتم الصحابة واتهام فريق منهم بالنفاق، مما اضطر القناة إلى توقيف البرنامج، في يوم السبت (٢٢/١٢/٢٠١٢م).

«إجماع» ربما لم تصِلْ إليه البيعاتُ الثلاث السابقة، التي حالت ظروفها دون بلوغ ذلك)[١]!.

وهو كلام غَثّ لا يَسوى سماعه، والردُّ عليه سهل ميسور منشور في التاريخ عبر مسـيرته المشـرقة طيلة عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان.

سابعاً: خطب علي ومواقفه غداة استخلافه:

ـ ذكرنا أن الصحابة جـاؤوا عليّاً وألحوا عليه فـي البيعة حتى قبِلها، يقول أبو بشير العابدي: (فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال: إني قد كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكـم، ألا وإنه ليس لي أمرٌ دونكـم، إلا أن مفاتيح مالِكم معي، ألا وإنه ليس لـي أن آخذَ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللَّهمَّ اشهَدْ عليهم. ثم بايعهم على ذلك. قال أبو بشير: وأنا يومئذ عند منبر رسول الله ﷺ قائم أسمع ما يقول)[٢].

ـ **وأول خطبة خطبها علي حين اسـتخلف**: ما رواه الطبري وغيره: أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن الله ﷻ أنـزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشـر، فخُذوا بالخير ودَعُوا الشـر. الفرائضَ أدوها إلى الله سبحانه وتعالى يؤدِّكم إلى الجنة. إن الله حرَّم حُرَماً غير مجهولة، وفضَّلَ حرمة المسـلم على الحُرم كلِّها، وشـدَّ بالإخلاص والتوحيد المسـلمين. والمسلم مَن سلِم المسلمون من لسـانه ويده إلا بالحق. لا يحلُّ أذى المسلم إلا بما

---

(١) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص٥٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٢٨/٤. وانظر ما تقدم: ص ٣٨٠ في هذا الكتاب.

يجب. بادروا أمرَ العامة، وخاصةَ أحدكم المـوت، فإن الناس أمامكم، وإن ما من خلفكم الساعةُ تحدوكم. تخفَّفوا تَلْحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم. اتقـوا الله عبادَه في عبـادِه وبلاده، إنكم مسـؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخُذوا به، وإذا رأيتم الشر فدَعُوه، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأنفال: ٢٦])[١].

وقد جاءت هـذه الخطبة من أميـر المؤمنين في أوانهـا ومكانها، ووضع يده على مكمن الـداء؛ فكان أخطر ما ابتُلي به المسـلمون في تلك الفترة العصيبة اختلاق الأكاذيب وإثارة الشـائعات والفتن وسفك الدم الحرام، فأشار ولم يُفصح ولوَّح ولم يصرِّح بما جرى في أخريات عهد عثمان وما انتهى إليه الأمر من سـفك دمه الحـرام، فقال: (إن الله حـرم حُرَماً غير مجهولـة، وفضَّل حرمة المسـلم على الحُـرَم كلها... والمسلم من سلم المسلمون من لسـانه ويده)، ولم يجابه القتلة بذلك درءاً لإيقاظ فتنتهم وشـرورهم، بـل أقام أمامهم حقيقـة أمرهم وأنهم سـيرجعون إلى الله؛ (وإن ما مـن خلفكم السـاعة تحدوكـم... إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم!).

وأشار إلى النهج الذي يسـتقبلون به عهد الخلافة بعد تلك الفتنة الكبرى: (إن الله عز وجل أنـزل كتاباً هاديـاً بيَّن فيه الخير والشـر، فخُذوا بالخير ودَعُوا الشر)[٢].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٧ـ٢٢٨؛ شرح نهج البلاغة: ٥/٢١١.

(٢) انظر: المرتضى، للندوي، ص ١٤٠ـ١٤١.

- وبيَّن أمير المؤمنين في خطبــة أخرى صفات الرجل الذي يتولى الخلافة، وحقوقه وواجباته وشــرطَ انعقاد البيعة؛ فقال: (أيها الناس، إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمرِ أقواهم عليه، وأعلَمُهم بأمرِ الله فيه، فإنْ شَــغَب شاغبٌ استُعتب، فإن أبى قوتل...)[1].

ثامناً: معضلات وتحديات:

اســتلم عليٌّ مقاليد الخلافة وهي مثقلة بالأعباء، وفي أعقاب فتنة دونها فتنة الردَّة التي واجهها أبو بكر، حيث اجتمعت عوامل الاستنكار وإثارة المشــاعر والضمائر، وكثرت الشــائعات والتساؤلات والشبهات، وقويت المطامع والتطلعات، وتركت آثارها على النســيج الاجتماعي، وذلك شــأن المجتمعات البشــرية عقب حوادث غيــر عادية إذا فقدت الهدوء والأمن والاستقرار، ولم تُشغل بأمر يســتهلك قواها ويستوعب طاقاتها واهتمامها كالغزوات والفتوحات، أو بأمــور جدية بناءة كترقية المجتمعات وتنظيــم المملكات.. ولــم يكن من هذا شــيء في ذلك الوقت، حيث لم يســتتب الأمر للخليفة الجديد، والمجتمع الإسلامي يعيــش في فراغ، ولا شــيء أكثر خطــراً وأعظم ضرراً مــن الفراغ في مجتمع محدَق بالأخطار الداخلية والخارجية[2].

وهذا الواقع الراهن وضع الخليفةَ والدولة والمجتمع أمام معضِلات كبار وتحديات جِســام، اســتهلكت الطاقات مجتمعــة، وتركت آثارها

(١) تقدمت بتمامها: ص٣٥٨ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٢) انظر: المرتضى، ص ١٤١.

السلبية على المشهد العام، وأفضَى أمير المؤمنين إلى ربه شهيداً ولم يستطع هو وجميعُ القوى الموافقة له والمخالفة أن تتجاوز تلك المعضلات والتحديات.

ونومئ هنا إليها بإشارات مقتضبة، لنترسَّم سيرورتها وتأثيراتها على مسيرة الأحداث وهدْيَ الخليفة في معالجتها، ونتلمَّس عقابيلَها ونتائجها، لتكون درساً لنا وعبرة، كما تكون معذرة وإعذاراً لأولئك الرجال المخلصين الذين اصطَلَوا بنارها.

١ ـ كانت أخطر قضية تواجه الخليفة الجديد هي مقاضاة قتلة عثمان وإنفاذ القصاص فيهم، وكان ابن عباس قد نبَّه عليّاً إلى خطورة الموقف قبل توليه الخلافة: (إن الناس سيُلزِمونك دم عثمان)[1].

٢ ـ قتلة عثمان يشكِّلون قوةً ضاغطة على قرارات الخليفة ومؤثرة على سيرورة الأحداث، ولهم شوكة وسطوة، وبعضهم ترك المدينة وتوجه إلى الأمصار بعد بيعة علي، ولما انتقل علي من المدينة إلى العراق انتقل معه قتلة عثمان، ولا سيما أهل الكوفة والبصرة، ولما صاروا في كوفتهم وبَصْرتهم أضحوا في مَعقِل قوتهم وعُنْجُهِيَّة قبائلهم، فازداد خطرهم واستطار شررُهم، ولم يكن باستطاعة علي ولا غيره أن يكسر شوكتهم أو يقضي عليهم[2].

---

(١) مصنف عبدالرزاق: ١١/٤٤٨؛ تاريخ الإسلام، للذهبي، «عصر الراشدين»، ص ٤٨٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٣.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٢، ٣/٧٥ـ٧٦، ٩٠؛ العواصم من القواصم، ص ١٤٩ـ١٥٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥١.

وقد أفصح علــي بذلك لإخوانه الصحابة الذيــن طالبوه بالتعجيل بتنفيذ القصاص، فقال: (إني لستُ أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنَعُ بقومٍ يملكوننا ولا نملكهم؟!)[١].

٣ ـ والمعضلة الأخرى التي تنبثق من سابقتها أن هؤلاء المجرمين لم يكونوا مشــخَّصين تشخيصاً تامّاً، فيؤخذون بالمشــاهدة أو الشهادة الشرعية التي يسوغ بها القصاص[٢]، ولمَّا تحدث عليٌّ مرة في أمر القوَد من القتلة، رفع عشرة آلاف رماحهم يقولون: كلنا قتلة عثمان!.

٤ ـ هــؤلاء القتلة المجرمــون كانوا أصحابَ هوى ومســاعرَ فتنة، يدأبون على إثارة الخلاف والشِّــقاق بين صفوف المسلمين، ويَجهدون في إفشال كل خطة إصلاح تجمع الكلمة على هدف واحد، وقد شهدت السنون التالية مواقفَ مشينة منهم في حروب الجمل وصفِّين والنهروان وحادثة التحكيم.

٥ ـ ومعضلة أخرى كبيرة تتجلى في عدم تماسك (مجتمع المدينة) حول الخليفة علي رضي الله عنه، فالقلــوب مضطربة مختلفة [٣]، وأكابر الصحابة وجِلّتهم في ذهول من هول كارثة مقتل عثمــان، وهذا ما انعكس على سياسة الدولة في أيامها الأولى؛ حيث اتجه عليٌّ إلى إرجاء تنفيذ حكم القصاص علــى القتلة، وخالَفَــه في ذلك جمهورٌ مــن الصحابة، وهذه

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٧؛ شرح نهج البلاغة: ٥/٢١٣.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٩٠؛ المرتضى، ص ١٤٢.

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٢.

المعضلة تركَتْ آثارَها السلبية على سياسة الدولة ومسيرتها طيلة عهد علي.

٦ ـ وترتب على ما سبق انعكاساتٌ ذات مخاطر بالغة كشفت عن وجود ثغرات وفتوق في نسيج المجتمع الإسلامي، بما يموج به من مكونات الأتقياء المخلصين، والأدعياء ومن في قلوبهم مرض، وما يحتاجه ذلك من علاجات ناجعة وسريعة حتى لا يمتد داؤه كالسرطان الذي ينهش أجزاء الجسم الفاعلة والأصيلة، وهذا من واجبات الخليفة الملحَّة والسريعة.

٧ ـ وظهر ذلك الانقسام في المجتمع منذ الأيام الأولى لعهد علي؛ فجماعةٌ من الصحابة ذهبوا إلى البصرة للاستعانة بأهلها في تشكيل قوة تعاون الخليفة على تنفيذ القصاص، **وأهل الشام رفضوا البيعة حتى يُقام الحدّ كذلك، وفريق ثالث اعتزلوا الجميع**، فتوزعت جهود الأمة في ثلاثة مسارات، مما أدى إلى خسائر كبيرة دينية ومادية ومعنوية!.

ونتيجة لذلك انقسم عشرات الألوف من المقاتلة في البصرة والكوفة والشام حيث ثِقل القوات الإسلامية التي تكوِّن أعظم جيوش العالم آنذاك، ويُقدَّر الجيش بنحو (٢٠٠,٠٠٠ مقاتل)[1].

٨ ـ ومن المعضلات والتحديات التي اعترضت عليّاً وشكَّلت له عبئاً ثقيلاً في مهمته الشاقة؛ أن فريقاً من أكابر الصحابة قد اعتزلوا العمل السياسي والعسكري، وقد سُدَّت عليهم أبواب التفكير واغتامَتْ

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٦٤.

الرؤية السليمة، واعتبروا ما يحدث فتنة يجب عدم القيام فيها أو السعي إليها، ورأوا أن يحرصوا على سلامة ما مضى لهم من سابقة وجهاد، فقعدوا عن جميع الفرقاء، ومن مشاهيرهم: سعد بن أبي وقّاص، وابن عُمر، ومحمد بن مَسْلَمة، وأسامة بن زيد، وأبو بَكْرة، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت.

٩ ـ والذين خالفوا عليّاً في أوليات سياسته للدولة وتنفيذ (حد القصاص من القتلة) يشكلون تياراً قويّاً يكافئ في كثرة عدده وقوة أدلته وصدق دوافعه وعزمه على تحقيق أهدافه؛ تيار المؤيدين لعلي واجتهاده وسياسته، وفيهم صحابة أخيار من أمثال طلحة والزبير وابنه عبدالله وعمرو بن العاص وابنه عبدالله ومعاوية والنعمان بن بشير وعائشة[١]!

١٠ ـ كذلك من التحديات المباشرة والمعضلات المبكرة انفلات بعض الولايات الكبيرة والخطيرة من سلطان الخلافة، واضطراب بعضها على الخليفة أو على ولاته منذ الأيام الأولى، مثل: الشام واليمن والحجاز ومصر، مما شكل أعباء إضافية وهموماً مؤرقة لأمير المؤمنين طيلة أيام خلافته، حتى خرج كثير منها من سلطانه في أخريات عهده[٢].

هذه التحديات الكبيرة والمعضلات المعقدة فرضت على أمير المؤمنين ومن معه معالجتها ومداواتها وتهدئتها وترشيدها، فقضى مدة خلافته كلها وهو في جهاد داخلي دائب مع جبهات متعددة مستعِرة؛

---

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص٦٣، ٤٤٣ـ٤٤٤.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٣٤٩ـ٣٥٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٢.

فاســتنفدت جميعَ طاقاته وبــدَّدت كل جهوده، حتــى أَفضَى إلى ربه وكثيرٌ منها لم تخبُ جذوتُه، بل إن بعضها اشــتد أوارُه وتطاير شَرَرُه، ونبغت شرور أخرى استقت من مياه الأحداث الآسنة، كحركة الخوارج وظهور البدع والزنادقة الذين ادعوا إلٰهية علي فأحرق ﷺ رؤوسهم كما قدمنا.

* * *

الفصل الثالث

دولةُ الخلافةِ وهَدْيُ عليٍّ في سياستِها وإدارتِها

طغت أحداث الفتن والحروب التي جَرَتْ في مدة خلافة أمير المؤمنين علي على عامة مشاهد الحياة وتنوعاتها وتفاعلاتها، وحَجبت كثيراً من معالم الدولة وتفصيلات سيرورتها، فاستغرقت الرواياتُ التاريخية عن مجريات تلك الفتن والحروب معظمَ جهود الأخباريين والمؤرخين القدماء ومن جاء بعدهم، وانتقلت هذه (العدوى) إلى كتابات المعاصرين! وكثرت التفصيلات جدّاً حتى تجد في الواقعة الواحدة روايات عديدة، وفي كثير من الأحيان تكون متعارضة بل متناقضة، يَحارُ فيها قلمُ البحث وعقل الباحث فضلاً عن القارئ!.

ونتيجة لذلك اغتامَت الصورة الحقيقية للمعالم الكبرى والرئيسة لدولة الخلافة، وتشتتت هنا وهناك الأخبار التي تبيِّن الأسس العامة والأركان الأولية للسياسة العامة للخليفة في إدارة الدولة وتسيير دفة الحكم.

ونحاول في هذا الفصل اقتناصَ الروايات وتجميعَ الأخبار والخطب والكلمات التي قيلت في مناسبات مختلفة، والمواقف والرسائل والكتب التي تمَّ تبادلُها بين ديوان الخليفة والولاة والرعية؛ لرسم صورة تقريبية شافية تحدِّد معالمَ الدولة وسياستها في تلك الحقبة.

أولاً: علي خليفة إمام مربٍّ:

مشى علي رضي الله عنه على نهج الخلفاء الثلاثة قبله، فكان وليَّ أمر المسلمين، وإماماً لهم ومعلماً ومربياً ونموذجاً عمليّاً قائماً بالحِسْبة الدينية والأخلاقية، ومثالاً في الورع والزهادة والتواضع ومخالطة الناس وإرشادهم في شؤون دينهم ودنياهم. ويتمثل مهمات الحاكم النموذجي الذي يحمي حقائق الدين والشريعة والآداب العامة، ويحرس شؤون الدنيا التي يتحرك فيها جميع الناس، ويمتاز بحس مرهَف لاحتياجات مختلِف شرائح المجتمع.

كان إذا أراد أن يشتري شيئاً تحاشى الشراءَ ممن يعرفه خشية أن يجامله في الثمن لأنه أمير المؤمنين. واشترى ثوبين وخيَّر غلامه قنبراً بأخذ أحدهما! ويشتري التمر والطعام لأهله ويحمله بنفسه، فإذا جاء أحدُهم ليحملَ عنه أبى وقال: أبو العيال أحق أن يحمل. ويركب الحمار ويدلي رجليه ويقول: أنا الذي أهنتُ الدنيا[1].

وجعل من نفسه قدوة للمساكين وذوي المَسْغبة والمحتاجين، وكان يقول: (أَأَقنعُ من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أُشارِكُهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جُشُوبَةِ العيش؟! فما خُلِقْتُ ليشغلَني أكلُ الطيبات...)[2].

وروى النزَّال بن سَبْرة: (عن علي: أنه صلَّى الظهرَ ثم قعد في حوائج الناس في رَحْبة الكوفة حتى حضَرتْ صلاةُ العصر)[3].

---

(١) تقدم تفصيل ذلك: ص٢٠٤ ـ ٢١٤ في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨/٤٣٠.

(٣) أخرجه البخاري وغيره، وقد تقدم: ص١٥٩ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

وأوضح في أوائل خطبه أن من حقوق الأمة بل من واجباتها: اختيار الخليفة، ومراقبة سياسة الدولة والمال العام، فمما قاله:

(يا أيها الناس، عن مَلإٍ وإذنٍ: إنَّ هذا أمرُكم ليس لأحد فيه حقٌّ إلا من أمَّرتُم).

وقال: (ألَا وإنه ليس لي أمرٌ دونكم إلا أن مفاتيح مالِكم معي. ألَا وإنه ليس لي أن آخُذَ منه درهماً دونكم، رضيتُم؟ قالوا: نعم، قال: اللَّهمَّ اشهدْ عليهم. ثم بايعهم على ذلك)[١].

ثانياً: راتب الخليفة وطعامه ولباسه:

تشكِّل سيرة أمير المؤمنين علي قبل الخلافة وبعدها الحلقةَ الرابعة في حياة الخلفاء الراشدين الذين بلغوا أسمى النماذج البشرية لربانية الحاكم المسلم وزهده وعفته وورعه ونُبله، وكانوا أسوة حسنة للمسؤولين وعامة الناس وبخاصة الذين يعيشون شظف الحياة[٢].

يقول عبدالله بن زُرَيْر: (دخلت على عليٍّ يومَ الأضحى، فقرَّب إلينا خَزِيرة، فقلت: أصلحكَ الله، لو قرَّبتَ إلينا من هذا البط ـ يعني الوَزّ ـ فإن الله ﷻ قد أكثَرَ الخير! فقال: يا ابن زُرَيْر، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعةٌ يأكلها هو وأهله، وقصعةٌ يضعها بين يدي الناس**»)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٢٨، ٤٣٥.

(٢) انظر ما تقدم: ص٢٠٤ـ٢١٤ في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد (٥٧٨)، وصحَّحه أحمد شاكر. الخَزيرة: لحم يُقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق.

ويقول ابن عباس: (اشـــترى علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة، وقطع كُمَّه من موضع الرسغين، وقال: الحمد لله الذي هذا من رياشه)[١].

وعن عبد الرحمن بن أبي بَكْرة قال: (لم يَــرْزَأ علي بن أبي طالب من بيت مالنا ـ يعني بالبصرة ـ حتى فارقنا غير جُبَّة محشــوّة وخَميصة درابجرديَّة)[٢].

وعن علي بــن الأقمر، عن أبيه قال: (رأيت عليّاً عليه الســلام وهو يبيع سيفاً له في الســوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فَلَق الحبَّة لطالَ ما كشــفتُ به الكَرْب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمنُ إزار ما بعتُهُ!).

وفي رواية: (وهو أمير المؤمنين)[٣].

وكان يلبس قَطيفة خَلَقــة ويُرْعَد من البرد، وهو أمير المؤمنين، ولا يأخذ من بيت مال المسلمين غيرَ ما فرضوه له[٤].

ويروي والي (عُكْبَرا): أن عليّاً قال له: (إذا كان عند الظهر فَرُحْ إليَّ. فرُحْتُ إليه فلم أجد عنده حاجباً يحبســني دونه، فوجدتُه جالساً وعنده قَدَح وكوزٌ من ماء، فدعا بظَبْيَة، فقلت في نفسي: لقد أَمِنني حتى يُخرج

---

(١) البداية والنهاية: ٣/٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٢٣/٧؛ ابن عساكر: ١٨١/٣.

(٣) المعرفة والتاريــخ: ٤٠٠/٣؛ الحلية: ٨٣/١ـ٨٤؛ ابن عســاكر: ١٨٩/٣؛ صفة الصفوة: ٣١٨/١.

(٤) انظر ما تقدم: ص ٢١٠ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

إليَّ جوهــراً، ولا أدري ما فيها، فــإذا عليها خاتم، فكَســر الخاتم فإذا سَــويق، فأخرج منها فصَبَّ في القدح وصَبَّ عليه ماء فشرب وسقاني. فلم أصبر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتصنــع هذا بالعراق وطعامُ العراق أكثر من ذلك؟! قال: أما والله ما أَختِم عليه بُخلاً عليه، ولكني أبتاع قدْر ما يكفيني، فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حِفظي لذلك، وأكره أن أُدخِل بطني إلا طيباً!)[1].

ثالثاً: إدارته دفة الحكم والولايات:

كان أميــر المؤمنين علي مــدركاً لأهميــة وجود الســلطة في ديار الإســلام، ويقول في هذا: (لا بــدَّ للناس من إمارة بــرَّةٍ كانت أو فاجرة. فقيل: يا أمير المؤمنيــن، هذه البَرَّة قد عرفناها، فما بــالُ الفاجرة؟ فقال: يُقام بها الحدود، وتأمن بها السُّبُل، ويُجاهد بها العدو، ويُقسم بها الفيء).

فالسلطة في نظره إذا لم تســمُ إلى مقامات عُليا من الالتزام بالخير والصلاح والتجرُّد للحق والعدل ـ وهي الإمــارة البرَّة التي يتطلع إليها الناس ـ فإنهــا نافعةٌ في حالة ضعف التزامها ورقيهــا الإيماني ـ المعبَّر عنه بالفجور ـ، وذلك لإقامتها الأمنَ وإنفاذ الأحكام الشرعية والتوزيع العادل للثروة وإقامة الجهاد[2].

---

(١) الحليــة: ٨٢/١؛ صفة الصفــوة: ٣١٩/١ـ ٣٢٠؛ ابن عســاكر: ١٩٨/٣ـ ٢٠٠.
عكبرا: بليدة بالعراق. ظبية: جريب من جلد الغزال يشبه الكيس.

(٢) السياســة الشــرعية، ص ٥١؛ الولاية على البلــدان، ص ٣٦٤ـ ٣٦٥، ٣٦٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص١٤٢.

ودأب علي على تذليل العقبات وسدِّ الخروقات ومعالجة التحديات، واستعان بمختلِف الكفاءات وجهود الرجال الأوفياء للقيام بإدارة شؤون الأمة ومؤسسات الدولة.

يروي هُبيرة بن يَريم فيقول: (قال لي علي: اجمعوا لي القرّاء[١]. فاجتمعوا في رحبة المسجد، قال: إني أوشك أن أفارقكم. فجعل يُسائلهم: ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا؟ حتى نفدوا، وبقي شُريح فجعل يسائله، فلما فرغ قال: اذهب فأنت من أفضل الناس ـ أو: من أفضل العرب ـ)[٢].

والمتتبع لسياسة علي يرى أنه كان يفتح عينيه وعقله على الأحداث وما تموج به الدولة من تحركات، ويقدِّم في علاجها الأولوياتِ والأمورَ ذات الخطر الأكبر والأشمل على الناس والولايات، وقد أظهر مقدرة كبيرة على تعبئة الجيوش وقيادة الناس وتوضيح أحكام الشرع في الحروب الداخلية بين المسلمين، ومنها: الكفّ عن المدبِر، والإحسان إلى الأسير، وعدم سبي النساء والذراري، وعدم حرمان المخالفين من حقهم في الفيء أو الصلاة في المساجد، وعدم بدئهم بالقتال[٣].

ومما يميز سياسته أنه كان شديدَ الحرص على الأنفس والأعراض والأموال، ويبذل الصفح والرحمة في تعامله مع أشد الخصوم الذين

---

(١) هذا المصطلح يشمل العلماء والفقهاء والقضاة والمربين والقرّاء.

(٢) المعرفة والتاريخ: ٥٨٨/٢؛ الحلية: ١٣٤/٤.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص ٩٢، وسيأتي توضيح ذلك.

حاربوه كالخوارج، ومما أوصى به جيشه في حرب (صفين)، قوله: (فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلــوا مُدْبِراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تَهِيجوا النساءَ بأذى وإنْ شتمنَ أعراضكم وسَبَبْنَ أمراءَكم...)[1].

ويرافق ذلك مَعلمةٌ أخرى في سياسة علي وإدارته للدولة؛ هي قوة شـــخصيته وثباتُه على نهجه ومبادئه، فلم يُفقِده اشـــتباكُ المحن توازنَه، ولا زحزحَتْه أعتى الأحداث عن استمساكه بأخلاقه وهَدْيه، ومن أوضح الأمثلة: موقفه من ذاك المجرم الذي قتله؛ حيث قال لبنيه: (أَحْسِنوا نُزُلَه وأكرِموا مثواه، فإنْ بقيتُ قَتلتُ أو عفــوتُ، وإنْ متُّ فاقتلوه قِتْلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين!)[2].

رابعاً: نقل العاصمة إلى الكوفة:

●● من أخطر التطورات التي حدثت في خلافة علي نقلُ (العاصمة) من (المدينة المنوّرة) إلى (الكوفة) التي أصبحت عاصمةَ الدولة وقاعدةَ الخلافــة ومحورَ الأحـــداث، وكان أمير المؤمنين علـــي يقيم فيها وهو المسؤول المباشر عنها، ومنها يدير شـــؤون الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، وكان إذا خرج منها يُنيب عنه من يتولى شـــؤونها مدة غيابه، وأمست (المدينة العاصمةُ الأصيلة) في عصر الرسالة وعهود الخلفاء الثلاثة ولايةً من الولايات[3]!.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/٧٧.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٣٥.

(٣) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٤٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٩.

وقد خرج علي من المدينة عندما قرَّر الخروجَ على رأس جيش إلى الشام لإخضاع معاوية ومن معه لسلطان الخلافة، ولم يكن المسلمون يؤيدونه في ذلك، وعامتُهم لا يرغبون في استبدال عاصمة النبوة والخلافة الراشدة، وأيضاً كان الخلفاء قبله لا يخرجون من المدينة للقتال والفتح بأنفسهم، بل يؤمِّرون القادة لذلك، ومن أقرب الأمثلة على هذا أن عمر عندما أراد غزوَ الفُرس بنفسه عارَضَه أهلُ الرأي من الصحابة وعلى رأسهم علي!.

ونصحه الصحابة بعدم الخروج، فقال له أبو أيوب الأنصاري: (يا أمير المؤمنين، لو أقمتَ بهذه البلاد لأنها الدرعُ الحصينة، ومهاجَرُ رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره، ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتَهم بأعدائهم، وإنْ أُلجئت حينئذٍ إلى السير سرتَ وقد أَعذرت)[١].

وجاءه عبدالله بن سَلَام وقال: (يا أمير المؤمنين، لا تخرجْ منها، فوالله لَئن خرجتَ منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً!)[٢].

وهذا ابنه الحسن يكرر رجاءَه ونُصْحَه له، وقد خرجوا إلى البصرة؛ قال: (إني كنتُ أشرتُ عليك بالمقام، وأنا أشير به عليك الآن)[٣].

•• وقد كان أمير المؤمنين علي يدرك تماماً مكانة (المدينة المنوّرة) باعتبارها عاصمة الرسالة، ومركز ثقل الإسلام، ومهوى أفئدة

---

(١) الفتوح، لابن أعثم: ٢/٢٤٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥.

(٣) ابن عساكر: ٣/١٣٨، وسيأتي مطولًا.

الأمة، وهو يوافق أولئك الصحابة الناصحين بعدم الخروج منها. كذلك نحن على يقين بأنه لم يكُ راغباً باستبدال الكوفة بها عاصمة للدولة. بيد أنه رمى ببصره للأحداث ورأى ملامح الفتوق تنذِر بمخاطرها في بعض الأمصار البعيدة، ومنها الشام والبصرة؛ فوجد أن خروجه إلى الكوفة فيه مصلحة الإسلام، من حيث الوضعُ الجغرافي والإمدادُ البشري، وهو ما نعبِّر عنه في زماننا (بالوضع الاستراتيجي واللوجستي والجيوسياسي) ـ ففيها الرجال والجند والأنصار والأموال، مع قربها من البصرة؛ فأداه اجتهاده إلى العزيمة على اختيارها والخروج إليها لتكون مركزاً لإدارته دفة الحكم، وحياطة الخروقات بالدواء الناجع والعلاج السريع من مكان قريب.

وزعم بعضهم أن عليّاً اختار الكوفة لأن (المدينة كانت حينذاك موطنَ السادة، وهذه حالها لا تصلح له فهي أصبحت مركز بقايا الأرستقراطية القرشية، فاتخذ الكوفة حاضرة لعهده الجديد وخاصة للساخطين من العرب والعجم!)[١].

ويدَّعي آخر أن (الدور المركزي للحجاز تضعضع في عهد عثمان) و(انتقل الثقل كليّاً إلى الأمصار)؛ فجاء قرار علي بالخروج إلى الكوفة في ظل ذلك الواقع[٢]!.

وهذا وذاك وأمثالهما مما لا ننشغل بالردِّ عليه، وإنما أردنا التنبيه على نماذج من تحريف التاريخ وتزوير الحقائق الذي يقع هنا وهناك.

---

(١) أبو تراب، للدكتور طلال الجنابي، ص١٠٩.

(٢) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص٦٥ ـ ٦٦، وانظر: ص١٠٩ منه.

خامساً: أُسس الدولة وأركانها:

بقيت الدولة في عهد علي قائمة على الأسس والأركان نفسها التي شُيِّدت عليها دولة الخلافة في عهد الراشدين الثلاثة قبله، ويمكن إيجازها بالأركان التالية:

١ ـ المرجعية:

من نافلة القول أن نشير إلى أن مرجعية الدولة وركنَها الأهم والمصدر الوحيد فيها للتشريع والسياسة هو كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، فما عرف ذلك العصر أي فكر أو مذهب آخر يشوب وجه الدولة فضلاً عن أن ينافس الكتاب والسُّنَّة.

وقد شهد الحديث الصحيح أن مدة خلافة علي هي من ضمن (الخلافة على منهاج النبوة)، كما قدمنا من حديث سفينة.

وعن أبي الهيَّاج الأَسَدي ـ صاحب شرطة علي ـ قال: (بعثني عليٌّ قال: أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: أن لا تدَعْ قبراً مشرِفاً إلا سوَّيْتَه، ولا تمثالاً إلا طمستَه)[١].

وفي خطبة له عند مسير (أصحاب الجمل) إلى البصرة يقول علي: (ولكم علينا العملُ بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، والقيامُ بحقه والنَّعْشُ لسُنَّتِهِ)[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩)؛ وأبو داود (٣٢١٨)؛ والترمذي (١٠٧٠)، وغيرهم.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١٦/٥.

وقد جاء في كتابه للأشتر النَّخَعي ـ وقد وجَّهه أميراً على مصر ـ: (ولا تنقض سُنَّةً صالحة عمل بها صدورُ هذه الأمة، واجتمعَتْ بها الألفة، وصَلَحت عليها الرعية. ولا تُحدِثنَّ سُنَّة تَضرُّ بشيء من ماضي تلك السنن، فيكونَ الأجر لمن سنَّها، والوزرُ عليك بما نقضْتَ منها)[1].

٢ ـ الشورى:

كان الخليفة ـ علي ومَن قبله ـ إذا أعضَلَه أمرٌ جمع (أهل الشورى) واستشارهم في قضايا الأمة ومصالح الناس ومواقف الدولة في السلم والحرب وتوزيع الغنائم وشؤون الولاة والولايات وغير ذلك.

وقد أمر عليٌّ الناس بإبداء النصح والمشورة للخليفة والمسؤولين وسواهم؛ فيما فيه إقامة الحقوق؛ قال: (فلا تَكفُّوا عن مقالةٍ بحقّ، أو مشورةٍ بعدل، فإني لستُ في نفسي بفوقِ أن أخطئ، ولا آمَنُ ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أَمْلَكُ به مني، فإنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربّ لا ربَّ غيره)[2].

ومما أُثِر عن علي قولُه: (نعمَ المؤازرة المشاورة، وبئسَ الاستعداد الاستبداد)[3].

وقد سجَّلت المصادر صوراً للشورى في خلافة علي تتعلق بسياسته تجاه ولاة الأمصار، وإدارة الدولة، وموقفه من المخالفين أيام الجمل

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٦/٩، وانظر: ٣٩/٩ـ ٤٠.
(٢) المرجع السابق: ٧٥/٦.
(٣) نهاية الأرب: ٦٩/٦.

وصفِّين وحرب الخوارج، وكثيراً ما كان يستشير الولاة وخاصة ابن عباس، كما سيأتي[١].

وفي كتابه للأشتر النَّخَعي؛ يقول: (ولا تُدخِلنَّ في مشورتك بخيلاً يَعْدِل بك عن الفضل، ويَعِدُك الفقر، ولا جَبَاناً يُضَعِّفُك عن الأمور، ولا حريصاً يزيِّن لك الشَّرَه بالجَوْر)[٢].

ومن أمثلة استشارة علي للناس: أنه عندما وصله كتاب من واليه (مَعْقِل بن قيس الرِّياحي) وقد تولى قتال الخارجيّ (الخِرِّيت بن راشد)، فقرأ أمير المؤمنين الكتاب على أصحابه (واستشارهم في الرأي، فاجتمع رأيُ عامتهم على قول واحد، فقالوا له: نرى أن تكتب إلى مَعْقل بن قيس فيتبع أثرَ الفاسق، فلا يزال في طلبه حتى يقتلَه أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يُفسِد عليك الناس)[٣].

٣ ـ العدالة والمساواة:

وهذا الركن المهم مما كان أمير المؤمنين علي يتولى إقامته بنفسه، ويأمر الولاة والناس بملازمته، فكان يتردَّد إلى الأسواق ويراقب أعمالَ الناس وينصحهم ويحل مشكلاتهم ويرسي العدل بينهم، حتى لا يطمع القوي في باطله ولا يخشى الضعيف من ضياع حقه.

---

(١) وانظر: الولاية على البلدان، ص ٣٣٦، ٣٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٩/٩، وانظر: ٥١/٩.

(٣) تاريخ الطبري: ١٢٤/٥.

يروي عبدالسلام بن حرب، عن ناجية القرشي، عن عمه يزيد بن عدي بن عثمان قال: (رأيتُ عليّاً عليه السلام خارجاً من هَمْدان، فرأى فئتين يقتتلان، ففرَّق بينهما ثم مضى. فسمع صوتاً: يا غوثاً بالله! فخرج يُحْضِر نحوه ـ حتى سمعتُ خَفْقَ نعلهِ ـ وهو يقول: أتاك الغَوْث! فإذا رجلٌ يلازِم رجلاً، فقال: يا أمير المؤمنين، بعتُ هذا ثوباً بتسعة دراهم، وشَرطتُ عليه ألا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً ـ وكان شرطَهم يومئذٍ ـ فأتيتُهُ بهذه الدراهم ليبدِّلها لي فأبى، فلَزِمتُهُ فلَطَمني! فقال: أَبْدِلْه. فقال: بَيِّنَتَك على اللطمة، فأتاه بالبينة، فأقعده ثم قال: دُونَك فاقتصَّ، فقال: إني قد عفوت يا أمير المؤمنين، قال: إنما أردتُ أن أحتاط في حقك، ثم ضَرب الرجل تسعَ دِرّات، وقال: هذا حق السلطان)[1]. وهذا ما نسميه في عصرنا: (الحق العام).

وعن الشعبي قال: (وجد علي بن أبي طالب درعَه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شُريح يخاصمه، فقال علي: هذا الدِّرع درعي لم أَبِعْ ولم أَهَبْ، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرعُ إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب! فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، هل من بيِّنة؟ قال: فضحك علي وقال: أصابَ شُريح، ما لي بينة. فقضى بها للنصراني. قال: فمشى النصراني خُطاً ثم رجع فقال: أمّا أنا فأشهدُ أن هذه أحكام الأنبياء؛ أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. الدرعُ والله دِرعُكَ يا أمير

(١) تاريخ الطبري: ١٥٦/٥ ـ ١٥٧. **يُحضِر**: يسرع.

المؤمنين، اتبعتُ الجيش وأنت منطلق إلى صفِّين، فخرجَتْ من بعيرك الأورق. فقال: أمَّا إذْ أسلمتَ فهي لك، وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارجَ مع علي يوم النهروان!)[١].

وروى عاصم بن كُلَيب، عن أبيه قال: (قدِمَ على عليٍّ مالٌ من أَصْبَهان، فقسمه على سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفاً فكَسَره على سبعة وجعل على كل قسم منها كسرة ثم دعا أمراء الأسباع فأَقْرَع بينهم لينظر أيهم يعطي أولاً)[٢].

وعن علي بن ربيعة قال: (جاء جعدة بن هُبيرة إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحبُّ إلى أحدهما من نفسه ـ أو قال: من أهله وماله ـ والآخر لو يستطيع أن يذبَحكَ لَذَبَحك، فتقضي لهذا على هذا؟! فلَهَزَه عليٌّ وقال: إنَّ هذا شيء لو كان لي فعلتُ، ولكن إنما ذا شيء لله!)[٣].

وجاء في بعض خطبه التي وجهها للأمة قوله: (أيها الناس، أَعينوني على أنفسكم، وايمُ الله لأُنصِفَنَّ المظلوم، ولأَقودَنَّ الظالم بِخِزامتِه، حتى أورِدَه مَنْهلَ الحق وإنْ كان كارهاً)[٤].

---

(١) ابن عساكر: ١٩٦/٣؛ البداية والنهاية: ٨/٤ ـ ٥.

(٢) ابن عساكر: ١٨٠/٣؛ الاستيعاب: ٤٩/٣. **الأسباع**: قسم علي الجيش سبعة أقسام.

(٣) ابن عساكر: ٢٠٠/٣؛ البداية والنهاية: ٥/٨. **لهزه**: ضربه بجمع الكف في صدره.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٢٥/٥. **الخِزامة**: حَلْقة من شعر تُجعل في أنف البعير ويُجعل الزمام فيها.

وكتب للأشتر في عهده وقد سيَّره أميراً على مصر: (أنصِفِ اللهَ وأَنصِفِ الناس من نفسك، ومن خاصَّة أهلك، ومَن لك فيه هوًى من رعيتك، فإنك إلا تفعلْ تَظلِمْ، ومَن ظلمَ عبادَ الله كان الله خصْمَه دون عباده، ومن خاصَمَه الله أَدْحَضَ حجتَه، وكان لله حرباً حتى يَنزِع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نِقمته من إقامةٍ على ظلم؛ فإن الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد!)[١].

وكتب مثل ذلك في عهده إلى محمد بن أبي بكر عندما ولاه على مصر[٢]، وإلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان[٣].

٤ ـ الأمانة:

والمقصود بالأمانة معناها الشمولي الذي يستغرق كافة المسؤوليات والحقوق والأموال والدماء والأعراض والشرائع وغير ذلك، ويشمل الخليفة والولاة والقادة وعامة المسؤولين والرعية، وقد ضرب أمير المؤمنين علي المثل الأعلى في هذا، وحمل الولاة وأعضاء الحكم عليه، وراقبهم وبثَّ العيون ليأتوه بأخبارهم، وتهدَّدَهم إن حامَتْ حول أحدهم شبهة تلطِّخ سيرته.

كتب كتاباً شديد اللهجة إلى الوالي الشهير زياد بن أبيه ـ وكان خليفة ابن عباس على البصرة ـ يقول فيه: (وإني أقسمُ بالله قسماً صادقاً، لئِنْ بلَغني أنك خُنْتَ من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً؛

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/٢٧ـ٢٨.
(٢) المرجع السابق: ٨/١٢٢، ٩/٥.
(٣) المرجع السابق: ٩/١٠٤.

لأشـدنَّ عليك شَـدَّة تدَعُكَ قليل الوَفْر، ثقيلَ الظهـر، ضئيلَ الأمر، والسلام!)[١].

وجاء في كتابه إلى الأشـعث بن قيس والي أَذْرَبيجان: (وإنَّ عمَلَك ليس لك بِطُعْمةٍ، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعًى لمن فوقك)[٢].

وكان من وصيته إلى عمال الصدقات: (انطلِقْ على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تُرَوِّعنَّ مسـلماً، ولا تجتازَنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثرَ من حق الله في ماله... ولا تأمننَّ إلا مَن تثِقُ بدينه، رافقاً بمال المسلمين)[٣].

ولكي يحمي الولاة والمسؤولين من الشبهات أوسَعَ لهم في (الرواتب)، ليحفظَ عليهم كرامتهم ويمنع عنهم نزغات الشيطان، ويشير إلى هذا ما جاء في كتابه إلى الأشتر النخعي يوصيه بمن يوظفهم في أعمال الدولة:

(ثم انظُرْ في أمور عمَّالك فاسـتعمِلْهم اختيـاراً ولا تُولِّهم محاباة وأثرة... ثم أَسْـبِغْ عليهـم الأرزاق؛ فإن ذلك قوةٌ لهم على اسـتصلاح أنفسهم، وغنًى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجَّةٌ عليهم إنْ خالفوا أمرك أو ثَلَموا أمانتَك. ثم تفقَّدْ أعمالَهم، وابعثِ العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم...)[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠٣/٨.

(٢) المرجع السابق: ٢٥٦/٧.

(٣) المرجع السابق: ١١٣/٨ ـ ١١٤. وانظر: ٨/ ١١٨.

(٤) المرجع السابق: ٥١/٩.

٥ ـ الحريات:

وقد كان مبدأ الحرية لجميع الناس قائماً راسخاً محترماً طيلة عهد الخلفاء الثلاثة، واستمر على ما هو عليه في عهد علي، بل كان في أيامه على جانب من الخطورة حيث المؤامرات والفتن والحروب وبداية ظهور البدع، ومع ذلك لم تتحرك دولة الخلافة إلى إلغائه أو تقييده أو المساس به!.

ونعني بالحريات إمكانية المرء أن يعبِّر عن رأيه وتوجهاته دونما قيد إلا ضابط العقيدة والشريعة وحقوق الناس، فالحرية المنفلتة لا تكون إلا للعجماوات ومَن فقد عقله وسقط عنه التكليف! وكذلك حرية السفر والتنقل والتجمع ونحو ذلك مما يستلزمه اختلافُ العقول والآراء والاجتهادات والطبائع والثقافات والزمان والمكان.

ونجد أمير المؤمنين عليّاً لم يُلغِ شيئاً من ذلك، ولم يقيِّدْه، ولم يفرض ما يُعرف في زماننا (بالإقامة الجبرية) أو (قوانين الطوارئ)، ولم يُجبر أحداً على الإقامة في بلد ما، ولا أن يبقى تحت سلطانه ومراقبته.

ومن بارع الأمثلة على ذلك أن (ابن سبأ) صاحب البدعة الخطيرة، لم يقتله علي ولا سَجنَه، وغاية ما فعله معه أنه نفاه عن المدينة. وعندما استأذن طلحة والزبير في العمرة، في أَتون الأحداث ودمُ عثمان لا يزال طريّاً، لم يمنعهما من طلبهما. ولما عزم على المسير إلى البصرة ثم إلى الشام، لم يجبر أحداً على المسير معه، وقبِل عذرَ بعض الصحابة الذين خالفوه الاجتهاد وبقوا في المدينة بمطلق حرياتهم. وكذلك والي الكوفة أبو موسى الأشعري، وقد خالف رسلَ

عليٍّ في الخروج لنصرته، لم يحبسه علي ولا أساء إليه بكلمة، مع أن أبا موسى أصر على رأيه ودعا أهل الكوفة إلى القعود معه. وأيضاً لم يمنع أمير المؤمنين علي أولئك الناس الذين لحقوا بمعاوية وانضموا إلى معسكر الشام. وخالفَه بعضُ الولاة في طريقته لمعالجة بعض المشكلات، فعزلهم وحَسْب دون أن يمسَّهم بالإقامة الجبرية أو الاعتقال الإداري. بل إن الخوارج الذين أساؤوا إلى الدين والأمة والدولة وتعدَّوا على الدماء والحرمات، لم يسلَّ عليهم سيفه، ولا قيَّدَ تحركاتهم، بل أمهلهم ليرجعوا عن بدعتهم ويُمْسكوا عن الإفساد في الأرض، وقال لهم: (إن لكم عندنا ثلاثاً: لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيدينا مع أيديكم، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا)[1].

سادساً: هل تمكن أمير المؤمنين علي من إدارة الصراع والتحكم بمفاصل الدولة؟:

من خلال استعراض الأحداث طيلة عهد علي، وباستقراء سيرورة الدولة على اتساعها، والمعضلات التي اعترضَتْ سبيلَها، والمشكِلات التي استمرت منذ استخلافه وحتى استشهاده، والتحديات الكثيرة التي واجهته ـ يمكن استنتاج حقيقة إجمالية خلاصتها: **أن أمير المؤمنين عليّاً لم يتمكن من إدارة الصراع مع التيارات المختلفة التي نشأت في عهده، كما لم يستطع الهيمنة على الفُرقاء الذين خالفوه،**

(١) سيأتي تفصيل موقف علي مع الخوارج مفصلاً.

ولم يتمَّ له ضبطُ شؤون بعض الولايات والولاة ضمن جسم واحد لدولة الخلافة، ولم يُقدَّر له التمكن من القضاء على الخروقات والفتوق في مواقع متعددة!.

ويعود ذلك فيما نرى لسببين:

الأول: كثرة المعضلات والتحديات وقسوتها وتنوعها وتعدد مواقعها، وقد فصَّلنا القول فيها[1].

والثاني: طريقة أمير المؤمنين علي في معالجتها وحلِّها؛ والذي كان يغلب عليه (الطابع الجهادي) أو ما نسميه اليوم: (الحسم العسكري)!.

وليس هذا بضائر عليّاً، ولا يَغضُّ من فضله ومكانته، كما لا يَنقض كونَه من الخلفاء الراشدين وأن عهده منتظم في (الخلافة على منهاج النبوة).

وهذا التشخيص مستقًى من قراءة أحداث التاريخ، ومآلات الاجتهادات التي صدرت من علي ومخالفيه، وأدلة ذلك كثيرة ميسورة:

• عندما استقبل علي الخلافة، وطالبه طلحة والزبير في طائفة من الصحابة بأن يقيم الحدَّ على قتلة عثمان، قال لهم: (يا إخوتاه، إنِّي لستُ أجهلُ ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقومٍ يملِكوننا ولا نملكهم؟!)[2].

---

(١) تقدم: ص ٣٩١ـ٣٩٦ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٧؛ شرح نهج البلاغة: ٥/٢١٣.

• ويصوِّر علـــي حالَه مع أتباعه في آخر عهـــده، فيقول: (لقد كنتُ أمس أميراً، فأصبحتُ اليومَ مأمــوراً، وكنتُ أمس ناهياً، فأصبحتُ اليوم مَنْهيّاً!)(١).

• وجاء عنـــه كلام كثير في ذمِّ أتباعه وجيشِـــه ووصْفِهـــم بالخَوَر والجُبْن، والنكول عن نصرته، والتســـلُّل من صفوفـــه إلى الكوفة، وقد هَجاهُم ودعا عليهم في غير موقف... ومن ذلـــك أنه ـ بعد أن خرجَتْ بعضُ الولايـــات الكبيرة من ســـلطانه ـ قام على المنبر ضجِـــراً بتثاقُلِ أصحابه عن القتال معه ومخالفتِهم له في الرأي؛ فقال:

(ما هـــي إلا الكوفةُ أقبِضُها وأَبسُـــطها، إنْ لم يكـــن إلا أنتِ تَهبُّ أعاصيـــرُكِ فقَبَّحـــكِ الله!.... اللَّهمَّ إني قـــد مَلَلْتُهم ومَلُّوني، وسَـــئِمتُهم وسَـــئِموني، فَأَبْدِلْني بهم خيراً منهم، وأبدِلْهم بي شرّاً منِّي! اللَّهمَّ مِثْ قلوبَهم كما يُمَاثُ المِلحُ في الماء!)(٢).

واشتكى منهم قائلاً: (فإذا أَمَرتُكم بالسَّيرِ إليهم في أيام الحر، قلتم: هذه حَمَارَّةُ القَيْظ، أَمْهِلْنا يُسَبَّخْ عنَّا الحر، وإذا أمرتكم بالسيرِ إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صَبَارَّةُ القُرِّ، أمهِلْنا يَنسلِخْ عنا البردُ. كل هذا فِراراً من الحَر والقُرِّ، فإذا كنتم من الحَرِّ والقُرِّ تفِرُّون، فأنتم والله من السيف أَفَرُّ! يا أشـــباهَ الرجالِ ولا رجالَ! حُلـــومُ الأطفالِ، وعقولُ ربَّـــات الحِجَالِ، لَوَدِدتُ أني لم أَرَكم ولم أعرفْكم...)(٣).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/٢٤.

(٢) المرجع السابق: ١/٢٨١. **يُماث**: يُذَاب.

(٣) المرجع الســـابق: ١/٣٥٤ـ٣٥٥، وانظر: ١/٣٨٢ وغيرها. **حمارة القيظ**: شـــدة =

• ويتبين من هذا ـ كما يقول ابن تيمية ـ أن علياً رضي الله عنه: (كان عاجزاً عن قهر الظَّلَمة من العسكرَيْن[١]، ولم تكن أعوانُه يوافقونه على ما يأمر به، وأعوان معاوية يوافقونه)[٢].

• ونتيجة عدم انتظام الأمة والدولة تحت هيمنة حكم الخلافة، جعلَتْ بعضَ العلماء ـ وفي مقدمتهم ابن تيمية ـ يذهب إلى القول عن عهد علي: (بأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك)[٣].

• ويصف العلّامة المحدث ولـيّ الله الدهلوي في كتابه الفذ «إزالة الخفاء» ما آلت إليه أمور الدولة في أواخر عهد علي، فيقول: (إن علياً كانت توجد لديه مزايا كثيرة التي تؤهّله لقيام حكومته على منهاج النبوة، ولكنه لم يستطع أن يقوم بتنفيذ ما أراد به، حتى إن رقعة الدولة قد ضاقت ولم تكن تحت سيطرته سوى الكوفة)[٤].

• وخلال الأحداث التي مرت بها الدولة ومؤسساتها والولايات والولاة، والفتن التي وقعت والحروب التي جرت ـ خرجَتْ من قبضة

= حره. صبارة القر: شدة برده. ربات الحجال: النساء. وقد حرصت على النقل من (نهج البلاغة)، لإلزام الرافضة بما في (أقدس كتبهم)!.

(١) أي: عسكر علي وعسكر معاوية.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٧٦.

(٣) المرجع السابق: ١/٣٢٠، وذكر أدلته.

(٤) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء: ٢/٢٤٥؛ علي وبنوه، ص٦٠؛ وانظر: الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص ٨١ـ٨٤، ٩٦.

أميـــر المؤمنين بعضُ الأمصار الكبرى غير الشـــام مثـــل مصر واليمن، واضطربت عليه ولايات أخرى كالبصرة والحجاز وخُراســـان، وخالَفَ عليه بعض الولاة حتى بعض جِلَّتهم كابن عباس! وجَمَحتْ غرائزُ كثير من القبائـــل نتيجة كثرة الحـــروب والدماء، واختلف عليـــه الناس بعد (صِفِّيـــن) و(التحكيـــم)، ولـــم يتمكن مـــن ضبـــط الآراء والاتجاهات المتناقضة، وخـــروج الخوارج، وانتهـــاء أمره بالشـــهادة رضي الله عنه وأرضاه[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك كله.

الفصل الرابع

الولاة والولايات

المبحث الأول
الـولاة

أولاً: ذكر إجمالي للولاة وولاياتهم[1]:

(١) مكة المكرّمة:

١ ـ أبو قتادة الأنصاري.

٢ ـ قُثَم بن العباس بن عبد المطلب (وولي الطائف أيضاً).

(٢) المدينة المنوّرة:

٣ ـ سَهْل بن حُنيف الأنصاري.

٤ ـ تمّام بن العباس بن عبد المطلب.

٥ ـ أبو أيوب الأنصاري.

---

(١) انظر: تاريخ خليفة، ص ١٩٩ـ٢٠٢؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٤٢ـ٤٤٣، ٥/٩٢ـ٩٣، ١٥٥ـ١٥٦؛ الأخبار الطوال، ص ١٥٣؛ الولاية على البلدان، ص ٣١٧ـ٣٤٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٤ـ١٤٦.

(٣) البحرين:

٦ ـ عُمر بن أبي سَلَمة المخزومي القرشي.

٧ ـ قُدامة بن العَجْلان الأنصاري.

٨ ـ النعمان بن العَجْلان الأنصاري.

٩ ـ عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

(٤) اليمن:

ـ عُبيد الله بن العباس، ولي اليمن والبحرين.

١٠ ـ سعيد بن سعد بن عُبادة الأنصاري، ولي (الجَنَد) ومخاليفَها.

(٥) الشام:

ـ سهل بن حنيف، بعثه عليٌّ والياً عليها، فردَّه أهلها ولم يدخلها، وبقي واليها معاوية.

(٦) مصر:

١١ ـ محمد بن أبي حذيفة بن عتبة القرشي.

١٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.

١٣ ـ الأشتر النخعي.

١٤ ـ محمد بن أبي بكر الصديق القرشي.

(٧) الجزيرة: (وهي المنطقة الواقعة بين نهري الفرات ودجلة).

ـ الأشتر النخعي.

١٥ ـ شبيب بن عامر.

١٦ ـ كُميل بن زياد النخعي.

(٨) البصرة:

١٧ ـ عثمان بن حُنيف الأنصاري.

١٨ ـ عبد الله بن عباس.

١٩ ـ أبو الأسود الدؤلي.

(٩) الكوفة:

٢٠ ـ أبو موسى الأشعري.

٢١ ـ عُمارة بن شهاب، بعثه علي بدلاً من أبي موسى، فردَّه أهلها.

٢٢ ـ قَرَظة بن كعب الأنصاري.

٢٣ ـ أبو مسعود البدري الأنصاري.

٢٤ ـ هانئ بن هوذة النخعي.

(١٠) المدائن:

٢٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي.

(١١) فارس:

ـ سهل بن حُنيف الأنصاري.

٢٦ ـ زياد بن أبي سفيان (وهو زياد بن أبيه).

(١٢) إصطخر:

٢٧ ـ المنذر بن الجارود.

(١٣) أصبهان:

٢٨ ـ محمد بن سليم

٢٩ ـ عمر بن سلمة.

(١٤) خراسان:

٣٠ ـ خُليد بن قرة اليربوعي.

٣١ ـ عبد الرحمن بن أبزى.

٣٢ ـ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي.

(١٥) سجستان:

٣٣ ـ عبد الرحمن بن جزء الطائي.

٣٤ ـ ربعي بن كاس العنبري.

(١٦) همذان:

٣٥ ـ جرير بن عبد الله البجلي.

(١٧) أذربيجان:

٣٦ ـ الأشعث بن قيس.

٣٧ ـ سعيد بن سارية الخزاعي.

(١٨) الأهواز:

٣٨ ـ الخِرِّيت بن راشد الناجي.

٣٩ ـ مصقلة بن هبيرة الشيباني.

(١٩) الري:

٤٠ ـ يزيد بن حجية التميمي.

(٢٠) السند:

٤١ ـ الحارث بن مرة العبدي.

ولو تأملنا في أنســاب هؤلاء الولاة لوجدنا: (ثمانية) منهم قرشيين فيهم (أربعة إخوة) مــن أولاد العباس بن عبد المطلــب وهم أبناء عم علي، و(عشــرة) من الأنصار، فعدد القرشــيين والأنصار يشــكل نحو (نصف ولاة علي).

ثانياً: مشاهير[1] ولاة علي، ووقفات تحقيق وتمحيص:

١ ـ أبو موسى الأشعري:

أحد أعلام الصحابة وفقهائهم، استعمله النبي ﷺ مع معاذ بن جبل على اليمن، وولي للفاروق عمر الكوفــة والبصرة، وكذلك ولّاه عثمان عليهما، وبقي والياً على الكوفة حتى استشهاد عثمان.

أقرَّه عليٌّ على الكوفة، فأخذ أبو موسى بيعة أهلها لأمير المؤمنين علي، وعندما جاء وفد مــن قِبل علي إلى الكوفة لاســتنفار أهلها قبل وقعة الجمل، خالَفَهم أبو موسى ورأى أن هذا قتالُ فتنةٍ، وحضَّ الناس على القعود، فغضب وفدُ علي، وتمَّ عزل أبي موسى آنذاك.

٢ ـ أبو قتادة الأنصاري:

صحابي جليل وبطل شــجاع كان يســمى (فارس رسول الله ﷺ)، ولّاه علي علــى (مكة) مُدَيْــدة، وعندما خرج إلى العــراق عزله وولى قُثَم بن العباس، فكانت مدة ولايته نحو شهرين.

(١) تراجمهم في كتب الصحابة والتراجــم والرجال والتاريخ، لا نطيل بذكرها في الحواشي.

٣ ـ أبو أيوب الأنصاري:

صحابي كبير شهير، نزل عنده رسول الله ﷺ عندما قدِم المدينة مهاجراً.

ولي المدينة لعليٍّ بعد سَهْل به حُنيف وتمّام بن العباس، وبقي عليها حتى سنة (٤٠هـ)، حيث قدِم جيش من الشام وضمَّها إلى سلطان معاوية، فتركها أبو أيوب ولحِق بعليٍّ في الكوفة، وشهد معه حرب الخوارج.

٤ ـ سهل بن حنيف:

صحابي أنصاري شهد بدراً وبقية المشاهد، من الشجعان، وممن كان ينافح عن النبي ﷺ في الغزوات.

بعثه عليٌّ والياً على الشام، فتلَقَّتْه خيلٌ في تبوك ولمّا علموا أنه من قبل أمير المؤمنين علي ردّوه، فرجع إلى المدينة. ولما خرج علي إلى الكوفة ولّى سهلاً على المدينة فبقي عليها أكثر من سنة. وولاه أيضاً على فارس فلم يقدر على ضبطها.

٥ ـ عثمان بن حنيف:

صحابي أنصاري، وهو أخو سَهْل، ولّاه علي إمرة البصرة بعد أن عزل والي عثمان بن عفان عليها. ولم تطُلْ مدة ولايته عليها، حيث قدِم (أصحابُ الجمل) إلى البصرة، فانقسم أهلها فريقين: أحدهما مع الأمير، والآخر مع أصحاب الجمل، وأثار السفهاء القتال، وعَدَوا على الوالي ابن حُنيف وأساؤوا إليه، فترَك إمارته ولحِقَ بعليٍّ، فلقيه في طريقه إلى البصرة قُبيل (وقعة الجمل)، وبذلك انتهت ولايته.

٦ ـ عبيد الله بن العباس:

من صغار الصحابة، شقيقُ عبدالله حبر الأمة، وابنُ عمّ أمير المؤمنين علي، وكان أميراً شريفاً جواداً ممدَّحاً. ولّاه عليٌّ على اليمن ومخاليفها والبحرين وما يليها، وبعثه على الموسم فأقام للناس حجَّهم سنة (٣٧هـ).

٧ ـ زياد بن أبيه (زياد بن أبي سفيان):

ولد عام الهجرة، وأدرك النبيَّ ﷺ ولم يره فلا صحبةَ له، وكان من نبلاء الرجال رأياً وعقلاً وحزماً ودهاءً وفِطنة، ويُضرب به المثل في النُّبل والسُّؤْدُد.

استعمله أبو موسى الأشعري على شيء من عمل البصرة، فأقرّه الفاروق عمر. وقد أمَّر عليٌّ عبدَ الله بن عباس على البصرة وولى زياداً الخَراج وبيتَ المال، وأمَرَ ابنَ عباس أن يستشيره نظراً لِما عنده من خبرة في العمل وفطانة في السياسة.

وفي (فارس) لم يستطع سَهْل بن حُنيف ضبط أمورها، فأشار ابن عباس على أمير المؤمنين علي بتوجيه زياد إليها، فأمضَى عليٌّ ذلك. فتوجَّه زياد إلى فارس يصاحبه (٤٠٠٠) جندي، فقضى على الفتن هناك وضبط أمور البلاد وأعاد إليها الأمن والاستقرار.

وكان أهل فارس يقولون: (ما رأَيْنا سيرةً أشبهَ بسيرة كِسرى أنوشِرْوان من سيرة هذا العربي في اللِّين والمُداراة والعلم بما يأتي!)[١].

---

(١) تاريخ الطبري: ١٣٧/٥.

ومن ولاة عليٍّ صحابةٌ أجلَّاء، رُويت في سيرتهم وعلاقة علي بهم أكاذيب وأباطيل، نوضِّحها في وقفات (تمحيص وتحقيق):

١ ـ عبد الله بن عباس:

●● حبر الأمة وترجمان القرآن، ابن عمِّ النبي ﷺ وابن عمِّ أمير المؤمنين علي، ومن أبرز رجالات الحكم في عهد علي، كان يرافقه في الأحداث الخطيرة، وينصح له ويجادل عنه، وشهد معه حروبه.

وبعد أن فرغ علي من (معركة الجمل) بالبصرة خرج منها إلى الكوفة، وولَّى على البصرة عبد الله بن عباس، وولَّى معه (زياد بن أبي سفيان) على الخَراج، وعلى القضاء أبا الأسود الدؤلي.

وتولى ابن عباس إمرة البصرة، فأثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن فيها وفي توابعها مثل سِجِستان، وفي إقليم فارس حيث بعث إليه (مساعدَه) زياد بن أبيه.

وكان ابن عباس يرافق عليّاً في كثير من تحركاته في نواحي العراق ويشير عليه في قضايا كثيرة، كما كان يكتب لعليٍّ عن شؤون ولايته، وقد بعثه علي أميراً على الحج سنة (٣٦هـ)، واستمر والياً على البصرة حتى سنة (٣٩هـ)[١].

(١) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ١٢٢/٥، ١٣٦ ـ ١٣٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٦.

•• وتذكر بعض الروايات أن عبدالله بن عباس مرَّ بأبي الأسود الدُّؤَلي فقال له: (لو كنتَ من البهائم كنتَ جَمَلاً، ولو كنتَ راعياً ما بلغتَ من المرعى، ولا أحسنتَ مهنته في المشي!).

فكَتب أبو الأسود إلى أمير المؤمنين علي كتاباً يتَّهم فيه واليه على البصرة عبدَ الله بنَ عباس بأنه خانَ الأمانة وأكل مالَ الأمة، فَسُرَّ عليٌّ بكتاب أبي الأسود، وكَتبَ إلى ابن عباس بذلك، فردَّ عليه ابن عباس بقوله: (أما بعدُ؛ فإن الذي بَلَغك باطل، وإني لِما تحت يدي ضابطٌ قائم له وله حافظ، فلا تصدِّق الظنون، والسلام).

فألَحَّ عليٌّ على ابن عباس بأن يكتبَ له تفصيلَ سياسته في الأموال، وكتب إليه: (أما بعد، فأعلِمْني ما أخذتَ من الجزية، ومن أين أَخذْتَ؟ وفيمَ وَضعْتَ؟).

فتألم ابن عباس لذلك، وكتب إلى عليٍّ: (أما بعدُ، فقد فهمتُ تعظيمَك مَرْزَأة ما بَلَغك أني رَزَأْتُه من مال أهل هذا البلد، فابعثْ إلى عملك مَنْ أحببتَ، فإني ظاعنٌ عنه، والسلام). وللخبر تتمة[1].

وإسناد هذه الرواية هكذا: (قال عمر بن شَبّة: حدثني جماعةٌ، عن أبي مخنف، عن سليمان بن راشد، عن عبدالرحمن بن عبيد)؛ **وهو خبر تالف سنداً ومتناً.**

---

(١) تاريخ الطبري: ١٤١/٥ ـ ١٤٢؛ تاريخ اليعقوبي: ١١٠/٢؛ البداية والنهاية: ٣٢٣/٧. وكتابُ عليٍّ إلى ابن عباس مرويٌّ بطوله في «نهج البلاغة» دون ذكر اسم ابن عباس. شرح ابن أبي الحديد: ٣٤٦/٨.

فمن حيث السند: فالذين حدَّث عنهم ابنُ شبة مجهولون، وأبو مِخْنف شيعي محترِق وأخباري تالِف متروك، تركه النقاد، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة.

وأما من حيث المتن: فحاشى عبدَ الله بن عباس أن يُقذع على أبي الأسود بمثل ذاك الكلام الساقط الذي لا يقوله السُّوقة فضلاً عن حبر الأمة وربيب النبوة الذي شهدت الدنيا بفضله وعقله ونُبله وطهارة سيرته. وكيف يقول ذلك لأبي الأسود وهو الذي ولاه القضاء، أَفيولي أحمقَ كالبهيمة قضاءَ بلدٍ عظيم مثل البصرة؟! أَوَليس هو مسؤولاً عن أعمال هذا القاضي أمام الله والأمة وخليفة المسلمين؟! ثم أكان أبو الأسود يستحق مثل هذا الوصف القاسي الذي لا يليق بأدنى الناس فضلاً عن قاضٍ كبير وعالم جليل؟!.

وكيفَ يقبل عالم مرموق كأبي الأسود بأن ينحطَّ إلى ذاك الدَّرْك، فيختلِق على ابن عباس ويتهمه في دينه وأمانته؟! أين الدين والورع والتثبت قبل اتهام الناس؟!.

والأعجبُ من ذلك أن الخبر يصوِّر أمير المؤمنين وكأنه من أقماع القول ـ وحاشاه وهو الخليفة العبقري والعالم الألمعي ـ يصدِّق مثلَ ذاك الاتهام، ويُثْبته على واليه الكبير، ويطلب منه (كشف أضابيره المالية)! أَفَيُقبل من مسؤول صغير أن يكون بهذه السذاجة حتى يصدق ما يُلقى إليه عن ولاته؟! ثم أَمَا كان علي يعرف ابن عباس، أم أنه لم يكتشف أمره وأخطاءه طيلة تلك السنوات وقبلها؟ أَوَ تُراه لم يعرف سيرته الطاهرة على مدى سنين طويلة منذ عهد الرسالة وطيلة عهد الخلفاء؟!.

ماذا يقول المرء أمام هذا السخف بل الوقاحة السمجة التي تسللت إلى (تاريخنا المظلوم)، ونقلها مؤرخونا كأنها حقيقة ثابتة؟!.

وللأسف فإن ابنَ كثير وهو المفسـر المحدث المؤرخ الناقد سوَّد بهذه الرواية وجهَ كتابه، دون التعرض لها بردٍّ أو نقضٍ أو غمز!.

•• وهـذه الرواية التالفـة أصبحت مرتعـاً وَبِيئاً لبعـض الكتّاب المعاصرين الذيـن ابتُليت بهم الأمة، مثلما فُجِعـت بروايات الضعفاء والمتروكين والوضاعين.

١ ـ يقول طه حسينَ: (رأى ابن عباس نجمَ ابن عمه في أُفول، ونجمَ معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثرَ مما يفكر في ابن عمه). (فهو قد أجمعَ الخروج إلى مكة، ولكنه لم يخرج من البصرة فارغَ اليدين من المال كما دخلها حين ولِّي عليهـا، وإنما خرج منها وقد ملأ يدَه بما كان في بيت المال مما يُنقل، وهو يعلم أنْ ليس له في هذا المال حق إلا مثل ما لأهل البصـرة جميعاً فيه... والذي يقدِّره بعض المؤرخين بسـتة ملايين من الدراهم، فدَعَـا إليه مَن كان بالبصرة مـن أخواله بني هلال، وطلب إليهم أن يُجِيروه حتى يَبلُغَ مأْمَنَه، ففعلوا!)[١].

والرواية التاريخية تالفة سنداً ومتناً كما أوضحنا، لكن (عميد الأدب العربي) اعتمدها وشـيّد عليها بنياناً، وألقى الكلامَ على عَوَاهِنِه، ورمى بذلك الإفك رجلاً من أعلام الإسـلام وأئمة الدنيا فضلاً وطُهراً وعلماً

---

(١) الفتنة الكبرى «علي وبنـوه»، ص ١٢١ ـ ١٢٦؛ أباطيل يجـب أن تُمحى من التاريخ، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

وعملاً! ولا يُستغرب من (طه حسين) هذا وهو الذي شَكَّك في القرآن الكريم، واتَّهَم النبيَّ ﷺ بأنه تطلَّع إلى (زينب بنت جحش) زوجةِ غيره من أصحابه وهي لا تزال في عصمة ذلك الزوج!.

٢ ـ ونقل الدكتور عبدالكريم الخطيب في هذا الأمر كلاماً من (نهج البلاغة)، وزخرفه وزيَّنَه بعد أن صدَّقه، وأثبتَ اتهاماتٍ مخيفة على ابن عباس، ومما نقله من كتاب علي ـ المزعوم ـ: (فلما رأيتَ الزمانَ على ابنِ عمِّكِ قد كَلِبَ، والعدوَّ قد حَرِبَ، وأمانةَ الأمة قد خَزِيتْ... قَلَبْتَ لابن عمك ظَهْرَ المِجَنّ ففارقْتَه مع المفارقين، وخَذلْتَه مع الخاذلين، وخُنْتَه مع الخائنين، فلا ابنَ عمك آسيتَ، ولا الأمانةَ أديتَ. وكأنك لم تكنِ اللّهَ تريدُ بجهادِك، وكأنك لم تكن على بيِّنةٍ من ربِّك، وكأنك إنما كنتَ تكيد هذه الأمة عن دُنياهم، وتنوي غِرَّتَهم عن فَيْئِهم...)[1].

والكتاب المزعوم جاء مطولاً في (نهج البلاغة)[2]، والدكتور الخطيب استسلم له وصدَّقه وكأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! وأهلُ العلم النقاد يعرفون قيمة (نهج البلاغة) ومدى صحة نسبته إلى علي.

بل إن ابن أبي الحديد نفسه، مع تشيُّعه واعتزاله وانحرافه، توقَّف بشأن هذا الكتاب، ولم يَقبل الرأي القائل بأنه جاء بحق ابن عباس، ونزَّهَه عن تلك الصفاتِ الخسيسة! لكنه في الوقت نفسه كَعَّ عن الجزم

---

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩، وكرر خلاصتها: ص ٤٧٧.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٨/٣٤٦ ـ ٣٤٧.

بـأن الكتاب مزوَّرٌ على عليٍّ، خشـيةَ الطعن في (صحـة نهج البلاغة) عندهم!.

●● وزيادة على ما قدمنـاه في بطلان تلك الأُخلوقـة، فثَمّة رواية أخرى يذكرها الطبري وغيره مفادهـا أن عبد الله بن عباس لم يزل على البصـرة أميراً من قِبل علي حتى استشـهد ﷺ، وبعد استشـهاده حتى صالح الحسنُ بن علي معاويةَ، ثم خرج ابن عباس حينئذٍ إلى مكة[١].

بل إن خليفة بن خياط يذكر أن ابن عباس ذهب إلى الحجاز وولى على البصرة أبا الأسـود الدؤلي، فلم يزل بها حتـى قُتل علي[٢]. وهذا يدحض أي سـوء علاقة بين ابن عباس وأبي الأسود، أو أية وشاية كما تزعم الرواية التي أبطلناها.

٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة:

●● صحابي ابن صحابي، سيد الخزرج وابن سيدهم، كان صاحب لواء النبي ﷺ في بعـض مغازيه، يُضرب المثل بدهائـه وجودهِ، وكان يقول: لولا الإسلام لمكرتُ مكراً لا تطيقه العرب!.

ولّاه عليٌّ إمرة مصر، فثبّتَ سـلطان الخلافة فيها، وأَعجز بسياسته معاويةَ وعمرو بن العاص. وبرهنتْ أيام ولايته على مصر على عبقريته وملَكاته المتفـردة، وصدقه وإخلاصـه وولائه لأميـر المؤمنين علي،

---

(١) تاريخ الطبـري: ١٤١/٥؛ الكامل في التاريـخ: ٣٩٨/٣؛ الولاية على البلدان، ص٣٣٦.

(٢) تاريخ خليفة، ص٢٠٢؛ وجزم بها الحافظ في الإصابة: ٣٢٥/٢.

وحرصه على الدين والدولة ووحدة الأمة وسلامة الناس، واستيعاب مختلِف التيارات والاتجاهات وتأليف القلوب حول الخطوط العامة والمبادئ الكبرى.

جاء مصر وفيها ثلاثة تيارات متعارضة إلى درجة الصراع: العثمانية الذين يناصرون عثمانَ بن عفان ويُصرّون على القصاص من قتلته، والسبئية المجرمون أتباع الجيش الذي خرج من مصر وشارك في قتل عثمان، وأنصار الخليفة الجديد علي! وهو وضع خطير يُنذر بشرٍّ مستطير، لا يتمكن من التأليف بين شوارده إلا من آتاه الله حكمة وعقلاً وبصيرة وصدقاً ووفاء، وهكذا كان قيس؛ حيث تمكن من تحقيق الوئام ومنع الصدام وتوفير الاستقرار والأمن في مصر على ضخامتها وخطورة أوضاعها.

هذا فضلاً عن أنه استطاع أن ينظم شؤون مصر، ويرتب مؤسسات الولاية، ووزَّع الأمراء ونظَّم أمور الخَراج وعيَّن رجال الشرطة، ومضَتْ أحوال الناس على الاستقرار والبناء.

●● لكن أصحاب الفتنة ممن يقيم بمصر والكوفة لم يرضَوا الاستقرارَ لدولة الخلافة، وضاقوا ذَرْعاً بالولاة الحكماء ذوي الفطنة والبأس، فأُثيرت شائعات حول قيس وأنه يقرِّب أنصارَ عثمان وأتباعَ معاوية ويُحسن إليهم، وأنه يميل إلى معاوية والي الشام.

وأكثر المصادر تشير إلى أن الكتب التي تثير ذلك كان يكتبها معاوية وينشرها بين الناس، لتشيع في الأمصار وتصل إلى علي، ليوقع بينه وبين واليه قيس فيعزله!.

ونحن مع إقرارنا بأن معاوية يودّ أن يكون قيس بجانبه وموالياً له، لكننا نبرِّئه من هذه الفِرى، ونَرْبأ به من أن يَسقط في هذا المهوى، فدينُه وصحبتُه ومكانته وعقله ونُبله يأبى عليه أن ينحط إلى هذا الأسلوب الخسيس! ويدعمُ رأْيَنا ما خبرناه من (أيام فتنة عثمان) و(الاتجاه الواضح المؤكد في تزوير الكتب) على ألسنة أكابر الصحابة: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة!.

وخلاصة الأمر أن مهادنة قيس بن سعد لأتباع عثمان وغيرهم شيء واقع ثابت، لكنه من باب الحكمة والسياسة الشرعية ومراعاة مقتضى الأحوال، وهو أخبر بمصره وأهل بلده وأحوال الناس فيه. لكن الغوغاء من أهل مصر وأهل الكوفة وَشَوْا بقيس، وطلبوا من أمير المؤمنين علي أن يأمره بأن (يقاتل أنصار معاوية) في (خِرِبْتا)، فأبى قيس وكتب إلى علي:

(إنهم وجوهُ أهل مصر وأشرافُهم وأهلُ الحِفاظ، وقد رضوا مني بأن أؤمِّن سِرْبَهم، وأُجري عليهم أَعْطياتهم وأرزاقَهم، وقد علمتُ أن هواهم مع معاوية، فلستُ مُكايِدَهم بأمرٍ أهون من الذي أفعل بهم، وهم أُسود العرب، منهم بُسر بن أبي أرطاة، ومَسْلمة بن مخلَّد، ومعاوية بن حُدَيْج).

فأبَى عليه إلا قتالَهم، فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى عليٍّ: (إنْ كنتَ تتهمني فاعزِلْني، وابعَثْ غيري)، فبعث الأشتر!.

وفي رواية: قال الذين مع علي من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بَدَّل قيسٌ وتحوَّل! فقال علي: ويحكم! إنه لم يفعل، فدَعُوني، قالوا: لَتعزِلَنَّه فإنه قد بدَّل. فلم يزالوا به حتى كتب إليه: (إني قد احتجتُ إلى قُرْبِك،

فاستخلِفْ على عملك، واقدَمْ)[١]. فكان هذا عزلًا لقيس عن ولاية مصر.

●● وولى عليٌّ بعد قيس: (الأشتر النخعي)، لكنه لم يصل إلى مصر ومات في الطريق، كما سيأتي. فولى علي عليها: (محمد بن أبي بكر).

وقد بَلَغ من نُبل قيس بن سعد وصدقه وإخلاصه ونصحه للخليفة والأمة؛ ما رواه الكِنْدي، فذكر: (أن قيساً لقي محمد بن أبي بكر فقال له: إنه لا يمنعُني نُصحي لك ولأمير المؤمنين عزلُه إيايَ، ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز، فاحفَظْ عني ما أوصيك به، يَدُمْ صلاح حالك: دَعْ معاوية بن حُدَيْج ومَسْلَمة بن مخلَّد وبُسْر بن أبي أرطاة ومن ضَوَى إليهم على ما هم عليه، تكُفَّهم عن رأيهم، فإنْ أتوك ولم يفعلوا، فاقبَلْهم، وإنْ تخلَّفوا عنك فلا تَطْلبهم. وانظر هذا الحي من مضر فأنت أولى بهم مني: فألِنْ لهم جناحك، وقرِّبْ عليهم مكانك، وارفَعْ عنهم حجابَكَ. وانظر هذا الحي من مُدْلج، فدَعْهم وما غَلَبوا عليه، يَكفّوا عنك شأنهم. وأنزل الناسَ من بعدُ على قدْر منازلهم، وإن استطعتَ أن تعود المرضى وتشهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصك. ولن تفعل، إنك والله ما علمتُ لَتُظهِرُ الخُيلاءَ، وتحبُّ الرياسة، وتسارع إلى ما هو ساقطٌ عنك، والله موفِّقُك. فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس!)[٢].

---

(١) ولاة مصر، للكندي، ص ٤٥ـ٤٦. وانظر: مصنف عبدالرزاق: ٥/٤٥٨ـ٤٦١؛ تاريخ الطبري: ٤/٥٤٧ـ٥٤٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٨ـ٣٣٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٠.

(٢) ولاة مصر، ص ٥٠.

والمتأمل في مجريات الأحداث ومواقف أمير المؤمنين علي وواليه الكبير قيس؛ لا يستطيع إلا أن يقول: إنَّ عليّاً لم يصب في عزل قيس، وما كان هذا السيد الجليل يستحق العزل بوجه من الوجوه، وليس مَن سبقه أو جاء بعده يدانوه في السياسة والإدارة، دع عنك السابقة والفضل!.

والعقاد مع تشيعه الواضح لسيدنا علي وانحرافه عن مخالفيه، لم يستطع أن يَكبت ما في نفسه إزاء هذا الأمر، بل صرح قائلاً: (أما عزلُ قيس بن سعد من ولاية مصر، فهي غَلْطة من غَلَطات الإمام يقلُّ الخلاف فيها...)[1].

٣ ـ جرير بن عبد الله البجلي:

صحابي جليل شريف من كَملَة الرجال، سيد قومه، وفد على النبي ﷺ فأكرم وفادته، وبَسَط له رداءه، وما رآه إلا تبسَّم في وجهه.

شهد الفتوح الكبرى زمن عمر، وكان أحد أمراء الجيش في وقعة نهاوند، وولي لعثمان بن عفان على (هَمَذان) و(قَرْقِيساء)، واستشهد عثمان وجرير على (همذان).

ولما استُخلف علي بعث إلى جرير بأن يأخذ له البيعة من أهل همذان ثم يَقدم عليه، ففعل. فبعثه أمير المؤمنين إلى معاوية ليأخذ منه البيعة، فاعترض الأشتر النخعي على إرساله، فلم يلتفت إليه علي.

---

(١) عبقرية الإمام علي، ص٨٩.

ومضى جرير بالمهمة وقابل والي الشام وعلِمَ حالَه مع أهلها، وعاد بالخبر إلى علي بأن معاوية في أهل الشام على موقفهم من التعجيل بالقصاص من قتلة عثمان.

فانبرى الأشتر وأساء الأدب على هذا الصحابي الجليل، وقال موجِّهاً الكلام لأمير المؤمنين: (قد كنتُ نهيتُك أن تبعث جريراً، وأخبرتك بعداوته وغشِّه، ولو كنتَ بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يَدَع باباً يرجو فتحَه إلا فَتَحه، ولا باباً يَخاف منه إلا أغلقه. فقال جرير: لو كنتَ ثَمَّ لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان رضي الله عنه !).

فاستاء جرير لهذا الموقف وعدم كبح جماح (هذا الأشتر)، فخرج إلى (قَرْقِيساء)[1]، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه. وكان ذلك قُبيل وقعة صفين[2].

ثالثاً: سياسة علي مع الولاة ومراقبتهم ومحاسبتهم:

●● كتب أمير المؤمنين علي إلى عثمان بن حُنيف ـ واليه على البصرة ـ كتاباً جاء فيه: (ألَا وإنَّ لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويَستضيء، بنور علمه... أَعينُوني بورعٍ واجتهادٍ، وعفّةٍ وسدادٍ)[3].

---

(١) مدينة في سورية، جنوب شرق الرقة.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٥٦١ـ٥٦٣؛ أعلام الحفاظ والمحدثين: ٢/٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥ـ٣٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٨/٣٧٣.

ويذكر ابن عبدالبرّ في سيرة عليٍّ أنه كان: (لا يخصُّ بالولايات إلا أهلَ الديانات والأمانات، وإذا بَلَغه عن أحدهـم خيانةٌ كتب إليه: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هـود: ٨٥ ـ ٨٦]. إذا أتـاك كتابي هذا فاحتفِظْ بما فـي يديك حتى نبعث إليك من يتسـلمه منك! ثم يرفع طَرْفَه إلى السـماء فيقول: اللّهمَّ إنك تعلمُ أني لم آمرهم بظلمِ خلقك، ولا بترك حقك)(١).

وتتجلّـى نظرة علي السـديدة لحقيقة المسـؤولية وتولي شـؤون الإمارة؛ بالشـرائط التـي يرى وجـوبَ توفرها في الوالـي والموظف والمسـؤول في الدولة، يقول: (ينبغي للوالـي أن يعمل بخصال ثلاث: تأخيـر العقوبة منه في سـلطان الغضب، والأناة فيمـا يرتئيه من رأي، وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان؛ فإن في تأخير العقوبة إمكانَ العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسـان طاعةَ الرعية، وفي الأناة انفساحَ الرأي وحَمْدَ العاقبة ووضوحَ الصواب)(٢).

واتبع عليٌّ طريقة فريـدة في حفظ هيبة ولاته فـي أعين الناس، حيث كان إذا عيَّن أميراً على بلد حدَّثه في حضور الناس وأمره بالشدة وأن لا يَدَع لهم درهماً من الخَراج، ويشـدِّد عليه في القول، ثم يلتقي

---

(١) الاستيعاب: ٣/٤٧ ـ ٤٨؛ نهاية الأرب: ٢٠/٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٠/٥٧١.

به مرة أخرى على انفــراد ويأمره باللين والرفق بالناس وعدم التضييق عليهم[١].

من ذلك ما رواه والي (عُكْبَرا) قال: (اســتعملَني عليٌّ على عُكْبَرا، فقال لي وأهلُ الأرض عندي: إن أهل السَّــوَاد قوم خُدَّع فلا يخدعنَّك، فاستوفِ عليهم. ثم قال لي: رُحْ إليَّ، فلما رجعت إليه قال لي: إنما قلتُ لك الذي قلت لأُسْمِعَهم، لا تضربنَّ رجلاً منهم بسَوْط في طلب درهم، ولا تُقِمْه قائماً، ولا تأخذنَّ منهم شاة ولا بقرة، إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفوَ، أتدري ما العفو؟ الطاقة)[٢].

•• ولم يترك علي ولاته يعملون في أمصارهم مطلَقي اليد، بل كان يحدِّد صلاحياتهم، ويُلزمهم بمشاورته ومشاورة أهل الرأي عندهم.

أمَّر عبــدَ الله بن عباس علــى البصرة، وولَّى زياد بــن أبيه الخَراج وبيت المال، وأَمَر ابن عباس أن يَسمع منه[٣].

وبعد وقعة صفِّين خرج ابنُ عباس إلى علي بالكوفة، واستخلَف على البصرة زياداً، فأحســن السياســة فيهــا، وحدثَتْ أحــداث وفوضى فضَبَط أمورها، وكان دائم التشــاور مع ذوي الرأي ببلده، ويراسل أمير المؤمنين عليّاً ويشاوره، فكان علي يوجِّهه ويثني عليه ويمدُّه بالرجال عند الحاجة[٤].

---

(١) الخراج، لأبي يوسف، ص ١٦؛ الولاية على البلدان، ص ٣٩٢.
(٢) حياة الصحابة: ١٢٨/٢؛ وبنحوه في: الأموال، لأبي عبيد (١١٦).
(٣) تاريخ الطبري: ٥٤٣/٤.
(٤) انظر: تاريخ الطبري: ١١٠/٥ـ١١٢.

●● ومما جاء في عهد علي للأشتر النخعي ـ وقد وجَّهه عاملاً على مصر ـ قوله:

(وأشعِرْ قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطفَ بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكْلَهم... أعطِهِم من عفوك وصَفْحِك مثلَ الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق مَن ولّاك).

وفيه: (شرُّ وزرائك مَن كان قبلك للأشرار وزيراً، ومَنْ شَرَكَهم في الآثام، فلا يَكونُنَّ لك بطانةً، فإنهم أعوانُ الأَثَمة، وإخوانُ الظَّلَمة... لِيكنْ آثَرُهم عندك أقولَهم بِمُرِّ الحق لك، وأقلَّهم مساعدةً فيما يكون منك مما كَرِه الله لأوليائه).

(فَوَلِّ من جنودك أنصَحَهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرَهم جَيْباً، وأفضَلهم حِلْماً... ثم الْصَقْ بذوي المروءات والأحساب، وأهلِ البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة...)[1].

●● وحَمَل ولاته على القيام بالأمانة واستحضار المساءلة بين يدي الله ثم أمام الخليفة والأمة، وأمَرَهم بمخالطة الرعية وإقامة العدل والمساواة وتعاهُدِ الناس وخفضِ الجناح لهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٦/٩، ٣٣، ٣٩. وهو كتاب طويل جدّاً، وعندي في صحة نسبته إلى علي نظر طويل، وغيرُ الأشتر أولى بهذا الكتاب، حيث لم تتهيأ له ولاية مصر، ولا دخلها!.

جاء في كتابه إلى محمد بن أبي بكر حين قلَّده مصر: (فاخْفِضْ لهم جَناحَك، وأَلِنْ لهم جانبَكَ، وابْسُطْ لهم وجهَك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمعَ العظماء في حَيْفِك لهم، ولا ييئَس الضعفاء من عدلك عليهم؛ فإن الله تعالى يُسائِلكم معشرَ عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإنْ يعذِّبْ فأنتم أظلَمُ، وإنْ يعفُ فهو أكرمُ)[١].

ومن عهدٍ له إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة: (وإنَّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقّاً معلوماً، وشركاءَ أهل مَسْكَنة، وضعفاءَ ذوي فاقةٍ.

وإنا موفُّوك حقَّكَ، فوفِّهم حقوقهم، وإلا تفعلْ فإنك من أكثرِ الناس خُصوماً يوم القيامة، وبُؤْسى لمن خَصْمُه عند الله: الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابن السبيل!.

ومَن استهانَ بالأمانة، ورَتَع في الخيانة، ولم يُنزِّه نفسَه ودينَه عنها؛ فقد أحلَّ بنفسه الذلَّ والخِزيَ في الدنيا، وهو في الآخرة أذَلُّ وأخزَى)[٢].

ومثل ذلك ما كتبه للأشتر النخعي[٣].

●● ومن توجيهاته إلى الولاة: (يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسانُ محسن ولا إساءةُ مسيء، ثم

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٢٢/٨، ٥/٩. آس: اجعلهم أسوة لا تفضل بعضهم على بعض.

(٢) المرجع السابق: ١١٨/٨.

(٣) انظر ما تقدم: ص ٤١١ حاشية (١) في هذا الكتاب.

لا يترك أحدَهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاوَنَ المحسن واجترأ المسيء، وفسَدَ الأمر وضاع العمل)[١].

وعندما ولَّى قيسَ بن سعد على مصر، صدَّر كتابه له بوصية جليلة جاء فيها: (سِرْ إلى مصر فقد ولَّيتُكَها، واخرج إلى رَحْلك، واجمع إليك ثقاتك ومَن أحببتَ أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جندٌ؛ فإن ذلك أرعبُ لعدوِّك وأعزُّ لجندك. فإذا أنت قدِمْتَها إن شاء الله فأحسِنْ إلى المحسن واشتدَّ على المُريب، وارفُقْ بالعامة والخاصة، فإن الرفق يُمْنٌ)[٢].

ولما استُشهد عثمان كان جرير بن عبدالله البَجلي والياً على (هَمَذان)، والأشعث بن قيس والياً على (أَذْرَبيجان)، وبعد مبايعة علي بالخلافة وخروجه إلى العراق كتب إلى جرير والأشعث كتابين يأمرهما بأخذ البيعة له على مَن قِبلهما من الناس، والانصراف إليه، ففعلا ذلك، وانصرفا إليه[٣].

وكان أمير المؤمنين علي أحياناً يكتب أوامرَ عامة إلى جميع الولاة في أمر واحد وقضية واحدة، ومن ذلك ما أصدره عند خروج الخوارج وخوفِه أن يَعيثوا في الأمصار فساداً، فكتب نسخة واحدة وبعثها إلى العمال:

---

(١) نهاية الأرب: ١٩/٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٤٧/٤ـ٥٤٨؛ نهاية الأرب: ١٩١/٢٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٦١/٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(أما بعد، فإن رجالاً خرجوا هُرَّاباً ونظنُّهم وجَّهوا نحوَ بلاد البصرة، فسَلْ عنهم أهل بلادك، واجعَلْ عليهم العيونَ في كل ناحية من أرضك، واكتب إليَّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام)[١].

●● وتابع عليٌّ الولاة وأمناءَ بيت المال ونحوَهم بالمراقبة والمحاسبة، وأقام عليهم العيون لِما فيه الصالح العام، وأمر الرعية بالقيام بدورها في هذا الجانب، وتقبَّل شكاواهم وبادر إلى الاستجابة لها ومعالجة الأخطاء، والتجاوزات.

وكان إذا بَلَغه أن بعض نوَّابه ظَلَم، يقول: (اللَّهمَّ إني لم آمرْهُم أن يظلِموا خَلْقَك أو يتركوا حقَّك)[٢]. وإذا جاءته شكوى بشأن خيانة مالية، كان يفرض على الوالي أو خازن بيت المال أن يقدِّم له (تقريراً يكشف ماليتَه قبل الولاية وبعدها) ليحاسبه على ذلك.

- كتب إلى واليه على البصرة عثمان بن حُنَيف يقول: (أما بعدُ يا ابنَ حُنيف، فقد بَلَغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاكَ إلى مأدُبةٍ، فأسرعتَ إليها، تُستطابُ لك الألوان، وتُنقل إليك الجِفَانُ، وما ظننتُ أنك تجيب إلى طعام قوم عائِلُهم مَجفوٌّ، وغنيُّهم مَدعوٌّ! فانظُرْ إلى ما تَقْضِمُه من هذا المَقْضَم، فما اشتَبَه عليك علْمُه فالفِظْه، وما أيقنتَ بطيبِ وجْهِه فَنَلْ منه)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٦/٥.

(٢) السياسة الشرعية، ص ٣١، وانظر ما تقدم: ص٤٣٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣٧٣/٨.

ـ واشتكى أناسٌ في مصرٍ من الأمصار غِلظة واليهم وقسوته، فكتب أمير المؤمنين إليه: (أما بعد، فإن دَهَاقينَ أهل بلدك شـكَوْا منك غِلْظة وقسوة، واحتقاراً وجفوة... فالْبَس لهم جلباباً من اللِّين تَشوبُه بطَرَف من الشدة، وداوِلْ لهم بين القسوة والرأفة، وامزُج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء، إن شاء الله)[1].

وكتب إلى المنذر بن الجارود وكان والي (إِصْطَخر): (أما بعد، فإن صلاحَ أبيك غرَّني منك، فإذا أنت لا تَدَعُ انقياداً لهواكَ أزرى ذلك بك. بَلَغنـي أنك تـدَعُ عملَك كثيراً وتخـرج لاهياً بمنبرهـا، تطلب الصيد وتلعب بالكلاب، وأقسـم لئن كان حقّاً لَنُثِيبنَّك[2] فعلَك، وجاهل أهلك خير منك، فأقبِـلْ إليَّ حين تنظر فـي كتابي، والسـلام) فأقبل، فعزله وأغرمه ثلاثين ألفاً[3].

ـ وجاءت إلى أمير المؤمنين أخبارٌ عن أحدِ ولاته أنه أخلَّ بالأمانة وقصَّر في القيام بمهمات الإمارة، فكتب إليه مؤنِّباً ومحاسباً ومخوِّفاً من الحساب بين يدي الله تعالى:

(أما بعد، فقد بَلَغني عنك أمرٌ إنْ كنتَ فعلْتَه فقد أسـخطْتَ ربك، وعصيتَ إمامك، وأخزيتَ أمانتـك. بلغني أنك جرَّدْتَ الأرض فأخذتَ

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠٢/٨؛ وبنحوه في تاريخ اليعقوبي: ١٠٧/٢.

(٢) أي: لنجزينـك، والثـواب يكون فـي الخير والشـر، إلا أنـه بالخير أكثر استعمالاً.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٠٨/٢.

ما تحت قدميك، وأكلتَ ما تحت يديك؛ فارفَعْ إليَّ حسابك، واعلَمْ أن حساب الله أعظم من حساب الناس. والسلام)[١].

رابعاً: تولية الولاة وعزلهم:

كان من سياسة كل خليفة أن يجري عمليات تغيير وترتيب للولاة الذين كانوا في العهد السابق له، فيَعزل بعضَهم ويغيِّر مواقع آخرين، ويعيِّن ولاة وقضاة وأمناء بيت المال وقادة جيش جدداً، حسبما يرى الأنسب والأصلح لبلد معين وحالة راهنة. وعلى هذا مشى أمير المؤمنين علي مع الولاة والموظفين والإداريين الذين كانوا في عهد عثمان[٢].

ويلاحظ أن معظم الولاة في عصر الخلافة الراشدة كانوا من الصحابة، وذلك لتحلِّيهم بصفات ومؤهلات من ناحية، ولثقة الخليفة بهم واحترام الناس لهم مما يجعلهم يطيعونهم ويؤازرونهم من ناحية أخرى.

وتقتضي السياسة الشرعية المستمدة من السيرة النبوية استعمالَ الأصلح في الولايات، وإن كان في الرعية من هو أفضل منه في العلم والإيمان، وقد وضح القرآن أهم صفتين لتولي الأعمال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦][٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٤٣/٨. جردتَ الأرض: قَشَرْتَها، والمعنى: أخربتَ الضِّياع.

(٢) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٨٢ـ٣٨٣.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٥ـ١١٦؛ وانظر التفصيل في: السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص ١٣ـ٢١.

عزل ولاة عثمان بن عفان وتعيين آخرين بدلاً منهم:

•• كان ولاة أمير المؤمنين عثمان قائمين على شؤون ولاياتهم حتى استُشهد[١]، ولا يصح قول بعض الباحثين: (لم يكن معظم ولاة عثمان في ولاياتهم بل تركوها في ظروف الفتنة)[٢]! إذ كيف يتركون القيام بواجباتهم المنوطة بهم، ويَدَعُون البلاد والعباد للفتنة الجامحة تعصف بهم وتزيد الأمور اضطراباً وشرّاً؟!.

ويزعم بعض المؤلفين أن عليّاً كان يرى في بعض عمال عثمان عدمَ صلاحيتهم، فلا يتحمل إثم استمرارهم، ولا يرى المداهنة والصبر عليهم[٣]! ويرى آخر أنه قد قرَّ في نفس علي أن ولاة عثمان لا يَصلحون لأن يلوا شيئاً من أمر المسلمين، وأن الإبقاء على واحد منهم يوماً كاملاً نقصٌ في دينه[٤]!.

ويذهب العقاد إلى أبعد من ذلك، فيقول وهو يتحدث عن عزل علي ولاة عثمان: (فعزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة، وتمرَّغوا بالدنيا، وطمعوا وأطمعوا رعاياهم في بيت مال المسلمين، وأثاروا على عثمان سُخْطَ السَّواد وسُخط الفقهاء المتحرجين والحفَّاظ الغيورين على فضائل الدين)[٥]!.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا: عثمان بن عفان.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٩.

(٣) علي بن أبي طالب، لخالد البيطار، ص ١٠٤.

(٤) الخلفاء الراشدون، لعبد الوهاب النجار، ص ٢٦٠.

(٥) عبقرية الإمام علي، ص٦٧. وقريب منه قول طه حسين: الفتنة الكبرى «علي وبنوه»: ٢/٢١.

فهذا وأمثاله كثير هو من الافتراء بالباطل والكلام المرسَل الذي لا يدعمه إلا الروايات التالفة والمكذوبة على ولاة عثمان، وقد فنَّدناها وأبطلناها وأقمنا الأدلة الناصعة على طهارة سِيَر عثمان وولاته وسياسته معهم في كتابنا «عثمان بن عفان».

•• والحق الذي يستنتجه الباحث النزيه المنصف أن أمير المؤمنين عليّاً قد عايش الفتنة التي اجتاحت المجتمع في أواخر عهد عثمان، وأدرك خيوط المؤامرة التي حاكها أعداء الإسلام، والأراجيف والشائعات الكثيرة التي أُشيعت حول الخليفة عثمان وبعض ولاته وخاصة أقاربه ـ فأراد أن يستقبل عهده بإطفاء نار تلك الشائعات والذرائع الواهية المغرضة؛ فعزم على استبدال ولاة الشهيد عثمان بولاة آخرين، هذه واحدة. والثانية: أن عمل علي ليس بِدْعاً، فعمرُ وعثمان كل منهما قد عزل كثيراً من ولاة مَنْ سبقه وعيَّن غيرهم، كذلك غيَّر في قادة الفتوحات في الجبهات المختلفة، وهذا حق كل خليفة، ولا يُحمَّل أكثرَ مما يحتمل. والثالثة: أن عليّاً رأى أن يستبدل بولاة عثمان صحابةً حضروا بيعته في المدينة ليكون أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدِّد بهم الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الأخرى أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى.

•• ومما يجب التنبيه عليه هنا أيضاً عدم صحة الزعم القائل بأن عليّاً عزل جميع ولاة عثمان[1]:

---

(١) انظر مثلًا: الإنصاف، للدكتور حامد الخليفة، ص٣٣٨.

فإن العزل لم يتحقق إلا بحق معاوية بن أبي سفيان والي الشام، وخالد بن سعيد بن العاص أمير مكة، وأبي موسى الأشعري والي الكوفة، وكان علي أقرَّه عليها ابتداءً ثم عزله لأنه لم يَقم معه في (حرب الجمل)، ووالي البصرة عبدالله بن عامر بن كُريز وهو قد تركها عندما استشهد عثمان، ووالي اليمن يعلى بن أمية[١] وهذا قد ترك اليمن وانضم إلى طلحة والزبير في حرب الجمل، ووالي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح ولم يكن في عمله عند استشهاد عثمان بل قد أناب مكانه، فانتزى محمد بن أبي حذيفة على حكم مصر، فعزله علي بقيس بن سعد.

وهكذا فإن أميري اليمن والبصرة عَزلا نفسيهما، ووالي مصر قد أناب عليها فعزله المتغلِّب عليها ابنُ أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقرَّه علي في منصبه، فلم يتحقق العزل في الواقع إلا في حق معاوية وخالد بن سعيد[٢].

•• تشير عدة روايات ضعيفة وواهية[٣] أن عليّاً لما عزم على تغيير بعض ولاة عثمان وتعيين آخرين بدلاً منهم، دخل عليه المغيرة بن شعبة فنصحه بأن يُقِرَّهم على البلاد هذا العام حتى يتمكن من أمور الدولة وتهدأ عن المسلمين رياح الفتنة، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام، ومما قاله له: (إني أرى أن تُقِرَّ عمالَكَ على البلاد، فإذا أتتك طاعتهم استبدلتَ بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت)، وأكَّد حبرُ

---

(١) ويقال له: يعلى ابن مُنْيَة، ومنية: أمه.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة، ص ٤٢٦؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥٥.

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٤٣٨ـ٤٤١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٩؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥١ـ٣٥٢.

الأمة عبدالله بن عباس النصيحة لعلي بذلك، فأبى أمير المؤمنين عليهما هذا الرأي وعزم على تغيير الولاة.

ومجموع هذه الروايات ـ على وَهْنِها ـ يفيد أن للقصة أصلاً، بَيْدَ أن في تفاصيلها أشياء منكرة مردودة: منها أن المغيرة نصح الخليفة أولاً بعدم عزل الولاة، ثم غيَّر رأيه ووافقه على عزلهم. وأن ابن عباس قال له: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الآخرة فقد غشَّك!.

وحاشى الصحابة ﷺ أن يكونوا غَشَشَة، فالمؤمنون بعضُهم لبعض نَصَحَة، والمستشار مؤتمن، وكيف يليق برجل مثل المغيرة في صحبته ومنزلته وعقله ودهائه أن يقف مثل هذا الموقف المتناقض الساذج المرذول؟!.

وفي الرواية كذلك: أن عليّاً رفضَ إبقاء ولاة عثمان مبرِّراً ذلك بقوله: (والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدتُ فيها رأيي، ولا ولَّيتُ هؤلاء، ولا مثلُهم يولَّى).

وفي رواية: (وأما الذي يَلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان؛ فوالله لا أولِّي منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم، وإنْ أدبروا بذلتُ لهم السيف!).

وفي رواية أخرى: (والله لا أُدهِن في ديني، ولا أعطي الدنيَّ في أمري)[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٩، ٤٤٠ـ٤٤١.

وكله كلام باطل لا يقوله علي في ولاة كبار، ومنهم صحابة أجلاء، فاتحين، لهم أعمال مجيدة، وعلي لم يعزلهم أيضاً كما أوضحنا؛ حيث أقرَّ معظم ولاة عثمان، كما أن في هذا الكلام طعناً على الخليفة عثمان وأمرائه الذين خدموا الإسلام في توسيع فتوحاته!.

•• والمغيرة وابن عباس قد نصحا عليّاً بالتريُّث في عزل الولاة وخاصة والي الشام معاوية، وكان في هذا ـ والله أعلم ـ مصلحة عامة للأمة وخاصة للظروف الطارئة ولمكانة ولاية الشام وأهميتها ودورها في وأد الفتن. والأمور تعرف بنتائجها، فقد أكدت مآلات الأحداث ومجرياتها[1] على صحة ذاك التوجه في إقرار معاوية وغيره ممن لهم دور في محاصرة الفتن والقتلة ومعاونة الخليفة في تسيير شؤون الدولة نحو الاستقرار، وحسبك دليلاً على ذلك تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية واجتماع كلمة الأمة عليه، وسيرورة الدولة عشرين سنين على الاستقرار والبناء والفتوحات المطردة.

ويشير إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: (إن عليّاً بادر بعزل معاوية ولم يكن ليستحق العزل، فإن النبي ﷺ ولى أباه أبا سفيان على نجران، ومات رسول الله ﷺ وهو أمير عليها، وكان كثير من أمراء النبي ﷺ على الأعمال من بني أمية[2]... وولاه عمر رضي الله عنه وهو لا يُتَّهم لا في دينه ولا في سياسته، وقد ثبت في الصحيح: عن

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٤٦١/٤.

(٢) وقد أوضحت ذلك بأدلته في كتابي «عثمان بن عفان».

النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يَضرُّهم مَن خالفهم ولا من خذلهم**»[١]، قال مالك بن يُخامِر: سمعت معاذاً يقول: «وهم بالشام»، قالوا: «وهؤلاء كانوا عسكر معاوية»... قالوا: ومعاوية كان خيراً من كثير ممن استنابه علي، فلم يكن يستحق أن يعزله ويولِّي من هو دونه في السياسة! وقد أشاروا على علي بتولية معاوية، ولا ريب أن هذا كان هو المصلحة؛ إما لاستحقاقه وإما لتأليفه واستعطافه، فقد كان رسول الله ﷺ أفضلَ من عليٍّ وولى أبا سفيان، ومعاوية خير منه، فولَّى مَن هو خيرٌ مِن عليّ مَن هو دون معاوية!)[٢].

ويقول العلّامة محمد كرد علي منتقداً عدمَ أخذِ علي بمشورة المغيرة وابن عباس: (ومما يُعَدُّ من خطيئاته الإدارية مبادرتُه إلى عزل جميع[٣] عمال عثمان، ولم يتربص بالأمر وصولَ البيعة إليه من أهل الأمصار، ولم يُصْغِ إلى تحذير المحذِّرين ونُصْحِ الناصحين... ولو أنه اتَّأَدَ في الأمر وعالجه برفق وأَنَاة، واصطبر حتى استتب له الأمر وبايَعَه أهلُ الأمصار؛ لَما كان في عزل الولاة شيء، لأن الخليفة هو الذي يعطي الولاة سلطانَهم، فهو حرٌّ في اختيار عماله)[٤].

---

(١) هذا أحد أحاديث (الطائفة المنصورة)، وقد شرحتها بتوسع في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٣/٤٩٥ـ٥٣٧.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/١٢٠ـ١٢٢، باختصار.

(٣) قد أوضحنا أن هذا التعميم غير صحيح.

(٤) الإدارة الإسلامية في عز العرب، ص ٦٣ـ٦٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٥٣.

خامساً: وقفات وتساؤلات حول بعض الولاة:

١ ـ إشكالات واعتراضات على بعض الولاة:

أ ـ محمد بن أبي حذيفة:

هو ربيب عثمان بن عفان وتربَّى في حَجره، وطلب من عثمان الولاية فمنعه منها لأنه ليس بأهل، فغضب وذهب إلى مصر، وأَبَق من نعمة عثمان، وكان اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبئيين في مصر.

كان يطعن على والي مصر ابن أبي سَرْح، وعلى أمير المؤمنين عثمان ويحرِّض عليه، ويزعم أنه غيَّر وبدَّل وخالَفَ هدي النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، وأن جهاده هو الجهاد الحق، وأن دمه حلال! وكان يزوِّر الكتب على لسان أمهات المؤمنين[١].

قُبيل استشهاد عثمان خرج إليه والي مصر ابنُ أبي سَرْح وأنابَ مكانه الصحابيَّ عقبة بن عامر، فانتزَى محمد بن أبي حذيفة على عقبة وأخرجه من مصر، واغتصب ولايتها ودعا إلى خلع عثمان! ولم يُقِرَّه أمير المؤمنين عثمان عليها، وبعد استشهاده أقرَّه علي على مصر فترة من الزمن لم تطُلْ، حيث وجَّه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر، فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه، ثم سُجن وقُتل[٢].

---

(١) ولاة مصر، ص ٣٨؛ كتابي: عثمان بن عفان، ص ٢٦٢.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٢٠١؛ ولاة مصر، ص ٤٢ـ٤٣.

وقد ذُكر أن عليّاً لم يعيِّن محمد بن أبي حذيفة على مصر، وإنما تركه على حاله حتى إذا قُتل عيَّن عليٌّ قيسَ بن سعد الأنصاري[1].

وهذا برأينا بعيد، فلا يُعقل أن أمير المؤمنين عليّاً يترك هذه الولاية الضخمة دون أمير من قِبله، فأقرَّ ابنَ أبي حذيفة في بداية الأمر، حتى إذا قُتل بعث قيس بن سعد والياً.

وما كان ابن أبي حذيفة بأهل للولاية وقد خَبَره عثمان وهو ولي نعمته، ثم إنه كان من رؤوس الفتنة والمحرِّضين على عثمان والسُّعاة في قتله، فعُوقِب من جنس عمله!.

ب ـ الأشتر النخعي[2]:

مالك بن الحارث النخعي، أحد الأبطال المذكورين، وكان شهماً مطاعاً زَعِراً، لكنه ما استعمل ذلك لوجه الله.

ولقد صَدقت فيه فراسةُ سيدنا عمر عندما رآه، فصعَّد فيه النظر وصَوَّبه، ثم قال: إن للمسلمين من هذا يوماً عصيباً!.

كان أحدَ مساعير الفتنة زمن عثمان، وسار إليه في الكتائب وحاصره وقاتله، وشهد مع علي (صفِّين)، وكان صعبَ المِراس، ومسيرةُ مساوئه وأفعاله القبيحة طويلة مظلمة، فلا تكاد تجد فتنة إلا وله فيها يد أو صوت!.

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٣٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٤/٤ـ٣٥؛ تاريخ الطبري: ٥٥٢/٤ـ٥٥٣؛ ولاة مصر، ص ٤٦ـ٤٩؛ كتابي: عثمان بن عفان، ص ٢٦٠.

كان علــي قد أمَّر على مصر قيسَ بن ســعد الأنصاري، فســار في أهلها أجملَ سيرة وأحســنها، لكن أهل الفتنة أفســدوا ما بين الخليفة وواليه الكبير، فعزله وولى مكانه الأشتر النخعي.

توجَّه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلــزم) ـ وهو البحر الأحمر ـ مــات قبل أن يدخل مصر، حيث سُقي شربة عسل مسمومة فمات منها، كما قيل.

وتعارضت الروايات حول موقف علي من مهلك الأشتر:

ففي بعض الروايات عن عليٍّ: أنه حــزِن لموته وتأوَّه عليه ومَدَحه، فقال: إنا لله، مالكٌ وما مالكٌ! وهل موجودٌ مثلُ مالك؟! لو كان حديداً لكان قَيْداً، ولو كان حجراً لكان صَلْداً، على مثلِه فَلْتَبكِ البواكي[1].

وهذه الروايات فيها: فُضيل بن خُديــج: مجهول، ونَصْر بن مُزاحم: متروك.

وروايات أخرى يرويها الشعبي قال: لمَّا بَلَغ عليّاً رضي الله عنه موتُ الأشتر، قال: للمنخرين والفم[2]! أي: كَبَّه الله على وجهه.

وهذه الرواية أقوى، جاءت من طريقين جيدين.

وقــد ولاه علي قبل مصــر على الجزيــرة، وليس مثله يســتحق الولاية!.

---

(١) ولاة مصر، ص ٤٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣٤/٤؛ شرح نهج البلاغة: ٤٣٧/١٠.

(٢) ولاة مصر، ص ٤٧، ٤٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥/٤.

ج ـ محمد بن أبي بكر[١]:

أدرك من حياة النبي ﷺ أشهراً قليلة أقل من أربعة أشهر، ومات أبوه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمره أقل من ثلاث سنين، ولم يكن له صحبة مع النبي ﷺ، ولا قرب منزلة من أبيه، إلا كما يكون لمثله من الأطفال.

كان له دالَّة عند عثمان، لكنه فعل أمراً فأخذه عثمان من ظهره، فحَنِقَ عليه، وائتمر مع محمد بن أبي حذيفة فكانا يحرِّضان على عثمان وينقِمان عليه. وسار مع الجيش الذي حاصر عثمان حتى استُشهد رضي الله عنه، ودخل على عثمان وأخذ بلحيته، فقال له عثمان: أرسِلْ لحيتي يا ابنَ أخي، فوالله لقد أخذتَ مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به! فتركه وانصرف مستحيياً نادماً، وهو وإن لم يباشر قتل الخليفة الشهيد عثمان، لكنه من مساعير الفتنة ومؤجِّجيها!.

وقد تزوج علي بعد أبي بكر بأسماء بنت عُمَيْس أمِّ محمد هذا، فكان ربيبَ علي، وكان اختصاصه بعلي لهذا السبب.

والرافضة تغلو في تعظيمه على عادتهم الفاسدة في أنهم يمدحون رجالَ الفتنة الذين قاموا على عثمان، ويبالغون في مدح مَن قاتل مع علي، حتى يفضّلون محمد بن أبي بكر على أبيه أبي بكر، فيلعنون أفضلَ الأمة بعد نبيِّها، ويمدحون ابنَه الذي ليس له صحبة ولا سابقة ولا فضيلة[٢].

---

(١) ولاة مصر، ص ٥٠ ـ ٥٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣/٤٨١؛ منهاج السُّنَّة: ٣/٧٠ ـ ٧٢، ٦٦٣ ـ ٦٦٤؛ كتابي: أبو بكر، ص ٢٦٢، ٣١٩.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٧١.

ولَّى عليٌّ رضي الله عنه محمدَ بنَ أبي بكر على مصر بعد أن عَزل قيس بن سعد عنها، وبلغ من نُبْل قيس وورعه أنه أسدى لمحمد هذا نصيحة جليلة لسياسة أهل مصر، فعمل محمد بخلافها[١]، ولم يُحسن إدارة البلاد، وخالَفَ عليه مَن لم يبايع عليّاً، فحاربهم وحاربوه وفيهم نحو (١٠ آلاف مقاتل)، ثم وقع الصلح بينهم على أن يغادروا مصر بسلام، فخرجوا منها ولحقوا بمعاوية في الشام.

ثم إن معاوية أعدَّ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، وأَشْرَك فيه مَن لجأ إليه من أهل مصر، فسار عمرو إليها بجيشه، ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك شديدة، انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر وخضوع مصر لسلطان معاوية وخروجها من حكم علي[٢]!.

فهؤلاء ثلاثة من ولاة أمير المؤمنين علي وأشهرُهم الأشتر، تاريخهم مليء بالفتن وتسعيرِها زمن عثمان، وأيديهم والغةٌ في دمه من قريب أو بعيد، فليت عليّاً لم يكن يولِّهم من الأمر شيئاً جزاءً لهم بسوء أعمالهم، ومعاقبةً لهم بخلاف ما يطمحون إليه من الإمارة!.

وقول الدكتور محمد أمحزون: (ومن المؤكد أن عليّاً لم يولِّ أحداً ممن كان له ضلعٌ في مقتل عثمان)[٣]، هو خطأ محض كما أوضحنا، بل يضاف إلى الثلاثة الذين ذكرناهم: (كُميل بن زياد

(١) انظر ما تقدم: ص ٤٣٤ حاشية (٢) في هذا الكتاب.
(٢) ولاة مصر، ص ٥٢؛ تاريخ الطبري: ٤/٥٥٥ـ٥٥٧؛ البداية والنهاية: ٧/٣١٤ـ٣١٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣٣٢.
(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص ٤٢٦.

النخعي) وهو من السُّعاة في فتنة مقتل عثمان[١]، وقد ولاه علي على (الجزيرة)!.

٢ ـ خلاف أو انقلاب بعض ولاة علي عليه، أو غضبه عليهم:

من خلال ما قدمناه عن ولاة أمير المؤمنين علي وسياستهم في بلدانهم، وسياسة علي معهم وعلاقته بهم، وباستقراء ما حَدَث من عزلِه بعضَهم وغضبه على آخرين، و(استقالة) جماعة منهم وترْكِهم عملَهم، بل وانقلاب بعضٍ آخر عليه ـ نلاحظ ما يلي:

أ ـ **فأبو موسى الأشعري**: أخذ بيعة أهل الكوفة لأمير المؤمنين علي، وبقي والياً عليها، فلما أراده عليٌّ على المشاركة في قتال (أصحاب الجمل) واستنفار أهل الكوفة لذلك، رفض أبو موسى هذا واعتبره قتالَ فتنة، فتمَّ عزلُه.

ب ـ **وجرير بن عبدالله البجلي**: عندما رجع من مهمته التي أُرسل فيها إلى معاوية بالشام، أساء له الأشتر في حضرة علي، فترك عملَه ولَحِق بمعاوية.

ج ـ **وقيس بن سعد بن عبادة**: وقع بينه وبين علي ما قدمناه في سياسته لأهل مصر، فعزله.

د ـ **وعزل أبا قتادة الأنصاري** عن مكة، وولى قُثَم بن العباس.

---

(١) انظر كتابي: عثمان بن عفان، ص ٢٦١.

هـ ـ **وعزل أبا مسعود البدري** عن الكوفة، وولى هانئ بن هوذة النخعي.

و ـ **ومَصْقلة بن هُبيرة الشيباني**: كان قد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، وعجز عن تسديد كامل ثَمنِهم، ثم هرب إلى معاوية في الشام.

ز ـ **ويزيد بن حُجيَّة التميمي**: ولاه علي على (الري) بعد وقعة صفين، ثم اتهمه بأنه أخذ من الخَراج، فحبسه في الكوفة، ثم فرَّ إلى معاوية.

ح ـ **والخِرِّيت بن راشد**: كان والياً على بعض بلاد الأهواز قبل صفِّين، فلما رجع علي من صفين أخذ الخِرِّيت يجمع الجنود ويدعو إلى خَلْع علي، واستولى على بعض الأماكن، فبلغ ذلك عليّاً، فوجَّه إليه جيشاً تمكن من القضاء على حركته وقتله.

ويلاحظ على سياسة الولاة أيضاً:

١ ـ سهل بن حُنيف لم يستطع أن يصل إلى ولايته على الشام.

٢ ـ عثمان بن حُنيف اضطرب عليه أمر البصرة وخرج منها.

٣ ـ الأشتر النخعي سار إلى مصر والياً، فلم يصل إليها وقُتل.

٤ ـ محمد بن أبي بكر لم يتمكن من ضبط شؤون مصر، وقُتل فيها.

٥ ـ كذلك لم يستطع سهل بن حُنيف ضبط ولاية فارس، وأخرجه أهلها منها حتى جاءهم زياد بن أبيه فضبط أمورها.

٦ ـ تولى جعدة بن هبيرة على خراسان فما استقامت له أمور أهلها، فبعث عليٌّ والياً آخر حتى تمكن من ضبطها.

وهكذا نلاحظ اضطرابَ أكثر ولايات الدولة وأمصارها، وعدمَ استقرار معظم الولاة في ولاياتهم لِمُدَد كبيرة، فالأمصار التي تبدو مستقرة وفي قبضة الخلافة وتحت هيمنة الولاة هي محدودة ومعدودة، وتكاد تقتصر على: الحجاز، واليمن، والكوفة، والبصرة.

وهنا يبرز سؤال كبير ومِلِحٌّ حول أسباب هذا الاضطراب وعدم الاستقرار في أوضاع الولاة والولايات، مما لم يشهده تاريخ الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي، ولم يكن في زمانهم شيء قريب منه يلفت نظر الباحث الناقد!.

ويمكن تلمس الإجابة من خلال عوامل متعددة وأسباب متنوعة، نجملها فيما يلي:

١ ـ من أكبر الأسباب وأشدِّها خطراً وأعمقها أثراً: خلفيات الفتنة التي وقعت في أواخر عهد عثمان وعقابيلها وآثارها التي امتدت بالضرورة إلى عهد علي، وتجلى ذلك بالانقسامات الاجتماعية للمجتمع والتجمعات ومراكز القوى وعناصر التأثير، التي وقعت في كثير من الولايات كمصر والبصرة والكوفة وخراسان وفارس وغيرها، مما أَضْلَع الولاة وعرقل مسيرة الضبط والإصلاح.

٢ ـ وينبثق من العامل السابق سببٌ آخر هو من آثاره ولوازمه، وهو الدور الخبيث الذي كان يحيكه ويلعبه قتلة عثمان وأتباعهم ونصراؤهم،

أولئك الذين لا يروق لهم استقرارُ الدولة لأنه يتهدَّد وجودَهم ويُحبط مخططاتهم. ويتمثل ذلك فيما يقوم به السبئية ورؤوس الفتنة من اختلاق الأكاذيب وترويج الشائعات وافتعال الوشايات بين الوالي ورعيته، وبينه وبين أمير المؤمنين، وتأريث الخلاف وإشاعته، مما كان يضطر الخليفةَ إلى حسم الموقف بالعزل أو الاستبدال والنقل للوالي من موقع لآخر.

٣ ـ نقلُ عاصمة الدولة من المدينة النبوية إلى الكوفة، لما تتبوَّؤه المدينة من (رمزية تاريخية) و(مركزية فاعلة مؤثرة)، فهي عاصمة الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة بعده، بمقابل الكوفة المِصر الخطير الذي كان مصدرَ قلقٍ منذ عهد الفاروق عمر ـ مع شخصيته الفذة الضابطة ـ ثم بؤرةَ فتنةٍ في عهد عثمان!.

٤ ـ كثرة الخلافات والشِّقاق وحدّة الاختلاف الذي وقع منذ الأيام الأولى لخلافة علي، وما جاءت به الأحداث من وقائع مؤلمة وحروب دامية بين المسلمين أيام الجمل وصفِّين والنهروان، وانشغالُ الخليفة ومؤيديه بإطفاء تلك النيران المشتعلة ـ مما بدَّد الطاقات وشَتَّتَ الجهود وعَصَف بالتفكير وشَغَله عن كثير من مهمات شؤون الدولة وتخيُّر الولاة ومتابعتهم في الإصلاح والبناء.

٥ ـ ضعفُ وجودِ الولاة القرشيين فيما عدا أبناء عم الخليفة، ولقريش تأثير كبير وثِقلٌ جليل مؤثر خاصة في ظروف استخلاف علي، ولا يجهل أحد (المكانة العصبية والأدبية والاجتماعية) للوالي القرشي. هذا فضلاً عن أن أبناء العباس فيما عدا عبدالله ليسوا من أصحاب الخبرة السياسية والإدارية للأمصار في تلك الظروف الصعبة.

٦ ـ وبمقابل ذلك فإن عدداً من ولاة علي لم يكونوا جديرين بتوليتهم أمصاراً كبيرة ذات تأثير خطير في استقرار الدولة وصناعة الأحداث، من مثل: محمد بن أبي بكر والأشتر النخعي والخِرِّيت بن راشد وجَعدة بن هُبيرة وغيرهم، ممن أَثبتت مسيرتهم في ولاياتهم ضعفَ أدائهم، مما زاد في مشكِلات الدولة وولاياتها.

٧ ـ ونَلفت إلى سببٍ آخر؛ هو مبادرة أمير المؤمنين علي منذ أيام خلافته الأولى إلى عزل بعض ولاة عثمان، الذين كان بمقدورهم القيام بدور ضخم في تهدئة الأحداث وكبح جماح الفتنة المشتعلة، وبخاصة: والي الشام معاوية، ووالي الكوفة أبو موسى الأشعري، ووالي مكة أبو قتادة الأنصاري. وقد نصحه بعض أجلاء الصحابة في هذا، لكنه رأى خلاف رأيهم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً!.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني
الولايات وإدارتها

أولاً: ولايات الدولة:

١ ـ مكة المكرّمة والطائف[1]:

عندما استشهد عثمان كان والي مكة هو خالد بن سعيد بن العاص، فعزله علي وولى عليها أبا قتادة الأنصاري، الذي لم يمضِ في منصبه أكثر من شهرين، حيث إنَّ أمير المؤمنين لما خرج إلى العراق عزله وولى (قُثم بن العباس) على مكة والطائف وأعمالهما.

وبالرغم من أهمية هذه الولاية وكونها مهوى قلوب المسلمين وقبلة صلاتهم ومركز حجِّهم، فإن الأخبار حولها شحيحة، ومردُّ ذلك اعتناءُ الرواة بأخبار حروب علي التي استغرقت مساحة كبيرة من عهده.

والثابت تاريخيّاً أن عليّاً لم يحجَّ في خلافته، وكان يبعث من قِبله من يقيم للناس حجهم في سنوات (٣٦، ٣٧، ٣٨هـ)، وفي سنة (٣٩هـ) أمر ابن عمه قُثم بن العباس أن يحج بالناس، وبعث معاوية رجلاً من قِبله ليكون أمير الموسم، فاختلف الرجلان حتى كاد القتال أن يشتعل بينهما، فتوسط بعض الصحابة واصطلح الطرفان على أن يحج بالناس شيبة بن عثمان العَبْدري.

---

(١) تاريخ الطبري: ١٣٦/٥، ١٥٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

واستمر قُثَم في ولايته على مكة، إلى أن قدِمها جيش من قِبل معاوية بقيادة بُسْر بن أبي أرطاة، فخرج قثم منها خائفاً على نفسه، وبذلك انتهت ولايته، وخرجت مكة من سلطان أمير المؤمنين علي.

٢ ـ المدينة المنوّرة[1]:

كانت المدينة طيلة عصر الرسالة وعهد الخلفاء الراشدين الثلاثة هي عاصمة الدولة ومركز القرار ومحور الأحداث ومنطلق القرارات والفتوحات، وبمجيء عهد علي تحول ذلك عنها إلى الكوفة.

وعند خروج علي منها استخلف عليها (سَهْل بن حُنيف الأنصاري)، وبقي عليها أكثر من سنة إلى عام (٣٧هـ)، ثم عزله علي وولى عليها ابنَ عمه (تمّام بن العباس)، وبعده (أبا أيوب الأنصاري)، الذي بقي إلى سنة (٤٠هـ). وقد تضاءل دورها التاريخي والسياسي والإداري، فبعد أن كانت مركز الخلافة أضحت ولاية من الولايات!.

وفي سنة (٤٠هـ) أواخر عهد علي بدأت كثير من الأمصار تخرج من سلطته نتيجة ضعفها، وبالمقابل تنامي جبهة الشام بقيادة معاوية، حيث وجّه جيشاً عليه بُسْر بن أبي أرطاة فأخذ مكة وهرب واليها قثم كما تقدم، ثم توجه إلى المدينة فأدخلها في طاعة معاوية، وهرب أبو أيوب ولحِقَ بعليٍّ في الكوفة، وبذلك خرجت الحجاز من تحت سلطة علي!.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥، ٥/٩٣، ١٣٩ـ١٤٠؛ تاريخ خليفة، ص ٢٠١؛ الولاية على البلدان، ص ٣١٧ـ٣١٩.

وتذكر الروايات كثيراً من الفظائع ارتكبها جيش الشام بقيادة بُسْر، وهي روايات واهية جداً ومنقطعة، رواها عَوَانة بن الحَكَم وهو متَّهم بالوضع! ولا تتناسب مع أخلاق رجال ذلك العهد الذين حملوا راية الإسلام والفتح بقيادة معاوية عندما آلت إليه أمور الخلافة، ولمدة عشرين سنة!.

٣ ـ البحرين وعُمان[١]:

في خلافة عثمان كانت البحرين تابعة لولاية البصرة، وحدث تطور في عهد علي حيث استقلت البحرين عن البصرة، وأمّر علي عليها (عُمر بن أبي سلمة) مدة قصيرة حيث استدعاه لمصاحبته عند خروجه إلى العراق[٢]، وولى بدلًا منه النعمان بن العجلان الأنصاري.

وكان من ولاتها: قُدامة بن العجلان الأنصاري، وعُبيد الله بن العباس الذي ولي البحرين وما يليها واليمن ومخاليفَها، ويبدو أن البحرين ونجداً كانتا تابعتين له في تلك الفترة كما يوحي به تعبير الإمام الطبري.

٤ ـ اليمن[٣]:

ولى علي على اليمن ابنَ عمه عُبيد الله بن العباس، وكان معه سعيد بن سعد بن عبادة على (الجَنَد) ومخاليفها.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥١ـ٤٥٢، ٥/١٥٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢١ـ٣٢٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٩.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ٨/٣٥٠.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٨، ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ٥/٩٢، ١٣٩ـ١٤٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٢ـ٣٢٣.

استمر عبيد الله والياً على اليمن طيلة عهد علي، وفي سنة (٤٠هـ) قدِم إلى اليمن جيش من قِبل معاوية بقيادة بُسْر بن أبي أَرْطاة، وكان عبيد الله قد غادرها وذهب إلى علي بالعراق، وأناب رجلاً مكانه، فدخلها بسرٌ وقتل نائبَ عبيد الله وسيطر عليها. ولكن أمير المؤمنين عليّاً أرسل جيشاً تمكن من إعادة اليمن إلى سلطان الخلافة، ورجع عبيد الله بن العباس إليها، وبقي واليها حتى استشهد علي.

٥ ـ الشام[1]:

لم تخضع ولاية الشام بكمالها لسلطة أمير المؤمنين علي طيلةَ مدة خلافته، بل كان يحكمها واليها من قبل عثمان: معاوية بن أبي سفيان، الذي عزله علي فلم يستجب له، وطالب بالقصاص من قتلة عثمان أولاً. كما سنفصله في الخلاف بين علي ومعاوية.

٦ ـ الجزيرة[2]:

وهي الأراضي والبلدان الواقعة بين نهري الفرات ودجلة، وكانت إحدى الولايات التابعة للشام في عهد عثمان، وعند استشهاده كانت بيد معاوية؛ مما جعلها محل تنازع عندما استُخلِف أمير المؤمنين علي، لاتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى، فكانت تخضع لسلطان الخلافة حيناً، ولسلطان معاوية حيناً آخر.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٢، ٥٦١ـ٥٧٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٤ـ٣٢٥.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ٤/٥٦٦، ٥/٩٥؛ الولاية على البلدان، ص ٣٢٥ـ٣٢٦.

وقد تمكن علي من السيطرة عليها مدة من الزمن، وولى عليها الأشتر النخعي الذي تمكن من ترتيب أمورها، ثم حدث أن سيَّره علي والياً على مصر، وولي الجزيرة له: (شبيب بن عامر) و(كُميل بن زياد)، فعاد الاضطراب إلى هذه الولاية، وتمكن معاوية من السيطرة عليها أواخر سنة (٣٩هـ).

٧ ـ مصر[1]:

في أواخر عهد عثمان بن عفان انتزى محمد بن أبي حذيفة على حكم مصر، ولم يقرَّه عثمان عليها. ولما استُخلِف علي أقرَّه عليها مُدَيْدة، وسيَّر معاوية إليها جيشاً فقبضوا على ابن أبي حذيفة وقتلوه، وكان ممن يؤلِّب على عثمان! فأمَّر عليٌّ بعده الصحابي قيس بن سعد بن عبادة، فأحسن السياسة والإدارة، ثم عزله علي عن غير عجز ولا خيانة، كما تقدم تفصيله، وولَّى بعده محمد بن أبي بكر، ولم تستقم له مصر، وسيَّر معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، فتمكن من السيطرة على مصر وإدخالها تحت سلطان معاوية.

٨ ـ البصرة:

ولاية كبيرة ذات شأن خطير في الفتوحات وإدارة ولايات المشرق منذ عهد عمر. وعندما استخلف علي بعث (عثمان بن

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٧٨، ١٩٢، ٢٠١؛ تاريخ الطبري: ٤/٥٤٦ـ٥٥٧، ٥/١٠٥ـ١١٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٥١ـ٢٥٣، ٣١٣ـ٣١٦، وانظر ما قدمنا هنا: ص ٤٣١ ـ ٤٣٥، ٤٥١ ـ ٤٥٢ في هذا الكتاب.

حُنيف) أميراً على البصرة، فانقسم أهلها فريقين: أحدهما دخل في بيعته، والآخر تريث حتى تصل أخبار أهل المدينة وموقفهم من الخليفة الجديد.

وتسارعت الأحداث حيث جاء طلحة والزبير وعائشة بمن معهم، والذين عُرفوا (بأصحاب الجمل)، فتغلبوا على أمر البصرة، وطُرد واليها ابنُ حنيف الذي لحِقَ بعليٍّ. ثم قدِمَ أمير المؤمنين بجيشه وكانت فاجعة (وقعة الجمل)، وسيطر علي على البصرة.

وخرج علي منها وولى عليها الصحابي العَلَم عبد الله بن عباس، فأحسن سياستها وأثبت مهارة عالية في إدارتها مع ما يتبعها من بلدان، واستمر والياً عليها حتى سنة (٣٩هـ)، وتشير بعض الروايات إلى أنه لم يزل بها حتى استشهد علي[١].

٩ ـ الكوفة[٢]:

ولاية عظيمة جليلة طيلة عهد الخلافة منذ فتحها أيام الفاروق، وهي مع نظيرتها البصرة قلب العراق ومركز الإدارة والفتوحات فيه وفيما وراءه من ولايات المشرق، واكتسبت أهمية كبرى في عهد علي لأنها أضحت عاصمة الخلافة.

---

(١) انظر ما تقدم: ص٤٢٦ـ٤٣١ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٧٨، ١٨٣ـ١٨٤، ٢٠٢؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٤٢ـ٤٤٣، ٤٧٧، ٤٨١؛ الولاية على البلدان، ص ٣٣٨ـ٣٤١.

استشهد عثمان وواليه على الكوفة (أبو موسى الأشعري)، فلما استُخلف علي بعث (عُمارة بن شهاب) والياً عليها، فلما قرب منها ردَّه بعض أجنادها وذكروا له أنهم لا يريدون بأميرهم بديلاً، فأقرَّ أمير المؤمنين علي أبا موسى عليها، وكتب أبو موسى لعليٍّ بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له.

ولم يبقَ أبو موسى في ولايتها طويلاً، فقد جاءه وفدٌ من قِبل علي يستنفر أهلَ الكوفة لمواجهة (أصحاب الجمل)، فرفض أبو موسى ذلك وحضَّ الناسَ على عدم القيام في الفتنة، فعندئذٍ عزله علي وعيَّن مكانه (قَرَظة بن كعب الأنصاري).

وبعد وقعة الجمل قدِمها أمير المؤمنين علي واتخذها عاصمة للدولة، فكانت محور الأحداث ومركز القرار، وعندما كان يخرج منها يُنيب رجلاً عليها، فلما خرج إلى (صفين) أناب (أبا مسعود البدري)، ولما توجه لقتال الخوارج ولى عليها (هانئ بن هَوْذة النخعي)، وبقي علي فيها حتى استشهد رضي الله عنه.

١٠ ـ المدائن[١]:

ولى علي عليها (سعد بن مسعود الثقفي)، والذي كان له دور رئيس في مجابهة الخوارج وحروب علي الأخرى، وذلك بسبب قرب المدائن من الكوفة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٥/٤، ٧٥/٥ـ٧٦، ٨٠، ٨٣؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٨.

١١ ـ فارس[١]:

تذكر المصادر أن عليّاً بعث (سَهْل بن حُنيف) أميراً على فارس، فبقي فيها مدة ولم تستقم له، وأخرجه أهلها منها نحو سنة (٣٧هـ). وكان عبدالله بن عباس إذ ذاك أمير البصرة، فاستشاره علي في شأن فارس، فاجتمع رأيهم على أن يتولى أمرها (زياد بن أبيه).

وتوجه زياد صحبة جيش قوامه (٤٠٠٠ جندي) إلى فارس، فدوَّخ تلك البلاد، وقضى على الفتنة فيها، وضبط أمورها، وبنى الحصون، ورتب شؤون الخَراج، كما ضبط البلاد التابعة لفارس حتى أمنت واستقامت. واستمر زياد والياً على فارس بقية خلافة علي، فكان أشهر ولاته على تلك البلاد نظراً لسياسته وحكمته وحسن إدارته.

١٢ ـ خراسان[٢]:

ولاية عظيمة ذات بلدان كثيرة ومساحة شاسعة وخيرات وافرة، وقد ارتبطت بولاية البصرة في عصر الخلفاء الراشدين.

ولى علي عليها (عبدالرحمن بن أبزى)، ووليها كذلك (جعدة بن هبيرة)، وقد بعثه علي إليها بعد رجوعه من صفين سنة (٣٧هـ)، وكان أهلها قد ارتدوا، فحاول جعدة تأديبهم وتنظيم البلاد مَرَّة أخرى فلم

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٢؛ تاريخ الطبري: ٥/١٣٧ـ١٣٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤١ـ٣٤٢، وانظر ما تقدم: ص ٤٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٩٩؛ تاريخ الطبري: ٥/٦٣ـ٦٤، ٩٢، ١٣٢؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٤.

ينجح! فبعث علي (خليد بن قــرة اليربوعي) فتمكن من مصالحة أهلها وضبط أمورها مرة أخرى.

١٣ ـ سِجِستان[١]:

إقليم يقــع الآن تقريباً في الجنوب والجنوب الغربي لأفغانســتان، ويمتد إلى بعض مناطق إيران الشرقية إلى الجنوب منها[٢].

وهذا الإقليم يتبع إدارياً البصرة في الغالب، وقد بعث علي بعد وقعة الجمل (عبدالرحمن بن جزء الطائــي) والياً عليه، فلم يتمكن من ضبطه، وثار عليه صعاليك العــرب وقتلوه، وعاثوا في البلاد فســاداً، فأمر عليٌّ عبدَ الله بن عباس ـ والي البصرة ـ أن يولي على سجستان رجلاً من قِبله، فسيَّر إليه (رِبْعي بن كاس العنبري)، الذي اســتطاع أن يقضي على ثورة الصعاليك، وضبط ذاك المِصر، وبقي والياً عليه حتى استشهد علي.

١٤ ـ هَمَذان[٣]:

مدينة مشهورة تقع في أقصى الشــمال الغربي من إيران اليوم، وكانت تعتبر إحدى الثغور الشرقية في الدولة الإسلامية. كان عليها والٍ مستقل عندما استشهد عثمان؛ وهو الصحابي (جرير بن عبدالله البجلــي)، وأقره علي عليها، وأمره بأخذ البيعــة له ثم القدوم عليه، ففعل.

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٩؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥.

(٢) بلدان الخلافة المشرقية، ص ٢٠، ٣٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٦١/٤؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٥ـ٣٤٦، وانظر ما تقدم: ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ في هذا الكتاب.

١٥ ـ أَذْرَبيجان وإِرْمِينية[١]:

إقليمان كبيرَان يقعانَ ـ الآن ـ شمال إيران وجنوب شرق تركية. كان على (أذربيجان) من قِبل عثمان: (الأشعث بن قيس)، وبقي والياً عليها حتى استشهد عثمان. فلما قدِم أمير المؤمنين علي الكوفة كتب إلى الأشعث بولايتها، وأمره بأخذ البيعة له على من قِبله من الناس، ثم القدوم عليه، ففعل.

وكان الأشعث مع علي في (وقعة صفِّين) وحرب الخوارج، وخلال ذلك ولَّى علي على أَذْرَبِيجان: (سعيدَ بن سارية الخزاعي)، ثم أعاد الأشعث والياً عليها مرة أخرى، وضمَّ إليه (إِرْمِينية).

وقام الأشعث بأعمال مهمة هناك، ومنها تمصير (أردبيل) وبناء مسجدها ونشر الإسلام فيها، وبقي والياً عليها بقية خلافة علي.

١٦ ـ ولايات أخرى:

الأهواز: كان واليها الخِرِّيت بن راشد، وعندما رجع علي من (صفين) انقلب عليه الخِرِّيت وجمع الجنودَ واستولى على بعض البلاد، ودعا إلى خلع علي، فسيَّر إليه أمير المؤمنين جيشاً قضى على تمرده وقتَلَه.

وولى علي بعده (مَصْقَلة بن هُبيرة)، وقد اتُّهم في قسمة المال، فأراد الخليفة محاسبته، فترك عمله والتحق بمعاوية[٢].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦١/٤؛ فتوح البلدان، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤، الولاية على البلدان، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٢) تاريخ الطبري: ١١٣/٥ ـ ١٢٨؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

السِّنْد: كان أميرها الحارث بن مرَّة العَبْدي، وقد جمع أيام علي جمعاً وسار إلى بلاد مُكْران فظفر وغَنِم، وأتاه الناس من كل وجه، فجمع له أهل ذلك الثغر جنداً، فقُتل من كان معه إلا عصابة يسيرة[1].

الري: استعمل علي عليها (يزيد بن حجيَّة التميمي) بعد وقعة صفين، واتهمه علي بأنه أخذ من الخراج، فحبسه في الكوفة، ثم فرَّ إلى معاوية بالشام[2].

ثانياً: مشكلات في إدارة الولايات:

من خلال استعراضنا لمسيرة الدولة في عهد علي، وأمور الأمصار والبلدان، وشؤون الولاة وأعمالهم ـ نرى أن أمير المؤمنين قد بذل جهداً كبيراً في تنظيم شؤون الدولة والولايات، وأنه عانى في ذلك صعوبات جمَّة، وواجهته مشكلات كثيرة وكبيرة، ولم تصفُ له أمور الحكم وتسيير حياة الناس في أمصار شتى:

١ ـ فهو لم يتمكن من فرض سيطرته ابتداءً على ولايات الشام: سورية وفلسطين والأردن وما جاورها.

٢ ـ وأمصار أخرى كبيرة وذات شأن خطير كانت مسرحاً للصراع عليها منذ فترة مبكرة، وخرجت من قبضة الخلافة؛ كما هو الحال في الحجاز (مكة والمدينة) واليمن ومصر.

---

(١) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٨.

(٢) الكامل، لابن الأثير: ٢٨٨/٣؛ الولاية على البلدان، ص ٣٤٨.

٣ ـ وفي ولايات أخرى كانت سلطة الدولة تتراوح بين مدٍّ وجَزْر، تُخضعها حيناً وتخسرها حيناً آخر، كما وجدنا ذلك في بلدان الجزيرة بين دجلة والفرات.

٤ ـ كذلك عانى الخليفة وولاته من صعوبات وتحديات متعددة في مواقع متباعدة؛ تمثلت في ثورات السكان الأصليين وانتقاضهم على الولاة، مثلُ ما حدث في عُمان وولايات المشرق في فارس وخراسان وسِجِستان. وكثيراً ما كان الولاة يفشلون في إخمادها، مما يضطر الخليفة إلى استبدالهم بمن يضبط البلاد ويعيد إليها الاستقرار.

٥ ـ وثمة مشكلات من نوع آخر تجلى في خلاف علي مع بعض الولاة، أو انقلابهم عليه، أو اتهامهم بأمانتهم على الرعية وأموال الأمة، فينفلتون منه أو ينقلبون عليه، كما حدث للخِرِّيت بن راشد ومَصْقلة بن هبيرة ويزيد بن حجيَّة.

وأحياناً تسيء الرعية للولاة وتشوِّه صورتهم بالوشايات، فيتركون عملهم أو يُعزلون، كما جرى مع جرير البجلي وقيس بن سعد بن عبادة مثلاً.

٦ ـ ويضاف إلى ذلك عقبات كأداء ضاهَتْ جميعَ ما سبق، واستنفدت كثيراً من جهود الخليفة وطاقات الأمة، وتمثلت بالفتن الثلاث: (الجمل، وصفين، والنهروان)، التي أقلقت استقرار الدولة والأمة ردَحاً طويلاً من الزمن!.

وهكذا استبدَّت مشـــكلات الدولة الداخلية بالخليفة، وصرفته عن متابعة مســـيرة البناء والجهاد، فأفرغ معظمَ طاقاته وبذل جُلَّ جهوده في رَتْق الفتـــوق في الجبهات الداخلية، وشُـــغل عن تنظيم شـــؤون الدولة والولايات والناس وبناء المؤسسات، والفتوحات التي توقفت تماماً في مدة خلافته كلها!.

❁ ❁ ❁

الفصل الخامس

مؤسَّساتُ الدَّولة

المبحث الأول
مؤسسة القضاء والحِسْبة

أولاً: القضاء:

●● مصادر القضاء في عهد علي هي ما كانت عليه في عهد الخلفاء الثلاثة قبله:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السُّنَّة النبوية.

٣ ـ الاجتهاد.

٤ ـ الإجماع.

٥ ـ القياس.

٦ ـ السوابق القضائية.

ويظلل ذلك كله الشورى والمشاورة في المسائل والقضايا والأحكام[1].

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، للزحيلي، ص ١١٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥٨.

وظهر التنظيم الموضوعي للقضاء نظريّاً في الكتب المهمة والرسائل الخالدة التي سطرها الخلفاء لتنظيم القضاء وإرشاد القضاة وتوجيه الولاة؛ إلى أفضل النُّظم القضائية لتحقيق العدل الكامل وحماية الحقوق، ومنعِ الاعتداء والظلم في الوسائل والغايات معاً.

وبَلَغ هذا التنظيم الموضوعي قمته في عهد الفاروق عمر نظريّاً وعمليّاً، واستمرَّ كذلك من الناحية العملية بعد ذلك في عهد عثمان وعلي فمن بعدهما[1].

وقد كان أمير المؤمنين علي من أكابر القضاة في عهده، وكان عمر يلجأ إليه في معضِلات الأقضية، وكثيراً ما كان يميل إلى رأيه[2].

●● ولم يحدث تغيُّر يُذكَر للقضاء في عهد علي عما كان عليه في عصر سابقيه، فقد كان علي يتولى القضاء ـ غالباً ـ بنفسه في الكوفة، كما طلب من بعض الصلحاء القضاءَ في مشكِلات معينة. أما في الأمصار: فقد كان قضاةُ عليٍّ هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايَتَهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة والإمامة وإقامة الحدود والقضاء، وجباية الصدقات وغيرها.

وكان يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة، مما يدل على أنه خَوَّلَهم تعيينَ القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم[3].

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٧.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٣٠٢ ـ ٣٠٦ في هذا الكتاب.

(٣) الولاية على البلدان، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

وقد عيَّن عليٌّ بعضَ القضاة مباشـرة، ومن أشهر القضاة في عهده: شُريح، وأبو الأسود الدُّؤَلي، والضحّاك بن عبد الله الهلالي، وعبد الله بن فضالة الليثي، ومحمد بن زيد بن خليدة الشيباني[١].

•• ومن أشـهر كتب أمير المؤمنين علي (في القضاء)؛ ما جاء في كتابه الطويل للأشـتر النخعي عندما عَهِد إليه بولاية مصر، أوضح فيه أموراً جليلة ومنها (ما يتعلق بالقضاء)، وفيه:

(ثم اختَـرْ للحُكْم بيـن الناس أفضـلَ رعيَّتِك في نفسـك، ممن لا تَضِيقُ به الأمورُ، ولا تَمْحَلُه[٢] الخُصـوم، ولا يتمادى في الزَّلَّة، ولا يَحْصَرُ[٣] منْ الفَيْء إلى الحق إذا عرفه، ولا تُشْرِفُ نفسُه على طمع، ولا يَكتفي بأدنى فَهْم دون أقصاه، وأَوْقَفَهم في الشُّبهات، وآخَذَهُم بالحُجَجِ، وأَقلَّهـم تَبرُّمـاً بمراجعـة الخَصْـم، وأَصْبَرَهم على تكشُّـف الأمور، وأَصْرَمَهم عند اتضاحِ الحُكْم، ممن لا يَزْدَهِيه إِطراءٌ، ولا يَستميلُه إغراءٌ، وأولئك قليل.

ثم أَكْثِرْ تعاهُدَ قضائِه، وأَفْسِحْ له في البذل ما يُزِيح علَّتَه، وتقِلُّ معه حاجتُه إلى النـاس، وأَعْطِه من المنزلة لديـك ما لا يَطمع فيه غيرُه من خاصَّتِك، لِيأمَنَ بذلك اغتيالَ الرجال له عندك)[٤].

---

(١) تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ٥/١٥٥؛ عصر الخلافة الراشـدة، ص ١٧٥.

(٢) لا تجعلُه لجوجاً.

(٣) لا يعيا في المنطق.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٩/٤٤.

ثانياً: الحِسْبة:

يهدف نظام الحسبة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لإقامة شرع الله ودينه، وتطبيق الأحكام والآداب الإسلامية، والمحافظة على الحقوق العامة(١).

وقد كان الخليفة والولاة والقضاة والمسؤولون يقومون بواجب الحسبة، كل حسب مجاله وصلاحياته، بما يقيم الحقوق ويحفظ مبادئ الإسلام وتعاليمه وآدابه.

١ ـ الحسبة في العقائد والحدود والقصاص والديّات:

أ ـ عن عكرمة: أن عليّاً حرَّق قوماً ارتدوا عن الإسلام(٢).

ب ـ وعن أبي الهيَّاج الأَسَدي قال: (بَعَثني عليٌّ قال: أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تَدَع قبراً مُشرِفاً إلا سَوّيْتَه، ولا تمثالاً إلا طمستَه)(٣).

ج ـ وعن عبد الله بن سَلِمة: (عن عليٍّ: أنه أُتي بسارقٍ فقَطَع يدَه، ثم أُتي به فقطع رِجْلَه، ثم أُتي به؛ فقال: أَقْطَعُ يدَه! بأي شيء يتمسَّح؟! وبأي شيء يأكل؟! أقطعُ رجْلَه! على أي شيء يمشي؟! إني لأستحيي من الله. ثم ضربه وخلَّده في السجن)(٤).

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٣؛ كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٢) تقدم مطولًا: ص ٢٥٦ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٣) تقدم: ص ٤٠٦ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٤) أخرجه عبد الرزاق (١٨٧٦٤)؛ والدارقطني (٣٣٨٧، ٣٣٨٨)؛ والبيهقي: ٨/٢٧٥.

د ـ وعن ناجية أبي الحسن، عن أبيه: (أن عليّاً أُتي في رجلٍ لَطَم رجلاً، فقال للملطوم: اقتصَّ)[1].

هـ ـ وعن الحارث: (أن عَبْداً أَتى عليّاً قد وَسَمه أهلُه، فأعتقه)[2].

وَسَمه: أي أثَّر فيه وعَلَّمه بالكيِّ!.

و ـ وفي (الرجل يُمسك رجلاً ويقتُله آخرُ)، يروي يحيى بن أبي كثير: (أن عليّاً أُتِي برجلين قَتل أحدُهما وأَمسَك الآخر، فقَتَل الذي قَتل، وقال للذي أَمْسَك: أمسكْتَه للموت، فأنا أَحبِسُك في السجن حتى تموت!)[3].

٢ ـ الحسبة في العبادات:

أ ـ كان أمير المؤمنين رضي الله عنه يتعاهدُ الناسَ في صلاة الجماعة، ويقيم الصفوف: عن عامر الشعبي، عن الحارث وأصحاب علي قالوا: (كان علي يقول: اسْتَوُوا تستوِ قلوبكم، وتراصُّوا تراحموا). وكان يقول: (تقدَّمْ يا فلانُ، تأخَّرْ يا فلان)[4].

ب ـ ويأمر الناسَ أن يصلُّوا ست ركعات بعد الجمعة: عن أبي عبدالرحمن السُّلَمي قال: (قدِمَ علينا ابنُ مسعود فكان يأمُرنا أن نصلِّي بعدَ الجمعة أربعاً، فلما قدِمَ علينا عليٌّ أَمَرنا أن نصلِّي ستّاً،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٤٧/٦؛ وعلقه البخاري قبل الحديث (٦٨٩٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٥٣/٦.

(٣) المرجع السابق: ٤٠٨/٦. وانظر ما تقدم: ص ١٥٠، ١٥٦ في هذا الكتاب.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٨٧/١؛ وعلقه الترمذي بعد الحديث (٢٢٤).

فأخذنا بقولِ عليٍّ وتركنا قولَ عبد الله. قال: كنا نصلي ركعتين ثم أربعاً)[١].

ج ـ ويعلم الناس كيفية الصلاة: روى أبو جعفر الباقر، عن علي قال: (إذا ركعتَ فضَعْ كفَّيْك على ركبتيك وابْسُط ظهرك ولا تُقْنِع رأسك ولا تصوِّبْه ولا تمتد ولا تقبض)[٢].

د ـ ولم يترك الحسبة في العبادة وأعمال الخير حتى آخر أيام حياته، ففي الليلة التي استُشهد فيها، وقد كمَنَ له الخارجيُّ ليقتله، جعل علي يُنهِض الناسَ من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاةَ الصلاةَ[٣].

هـ ـ ويروي مسعود بن الحَكَم: أنه شهد جنازة بالكوفة مع علي، فرأى الناسَ قياماً ينتظرون أن توضع الجنازة فيجلسوا، قال: فرأيتُ عليّاً وهو يشير بِدِرَّةٍ معه ـ أو: بسوطٍ ـ إلى الناس أن اقعدوا أيها الناس؛ فإن رسول الله ﷺ كان يجلس بعد أن كان يقوم)[٤].

٣ ـ الحسبة في البيوع والأسواق والطرق والمحرمات:

عن الحرّ بن جرموز، عن أبيه: (أنه رأى عليّاً ومعه دِرَّة له يمشي بها

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٤١/٢؛ وعبد الرزاق (٥٥٢٥)؛ وعلقه الترمذي بعد الحديث (٥٣٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ٢٧٦/١. وانظر: ٢٨٠/١.

(٣) البداية والنهاية: ٣٢٧/٧.

(٤) المعرفة والتاريخ: ٢٢٣/٢. والحديث رواه مسلم (٩٦٢) وغيره عن علي مرفوعاً في (الرخصة في ترك القيام للجنازة).

في الأسـواق ويأمرهم بتقوى الله، وحُسْنِ البيع، ويقول: أَوْفوا الكيلَ والميزان، ولا تَنفخوا اللحم)[١].

وعن محمد بن جُحَادة، عن أبي سعيد قال: (كان عليٌّ يأتي السوق فيقول: يا أهلَ السوق، اتقوا الله، وإياكم والحَلِف فإن الحلف يُنفق السلعة ويَمحق البركة، فإن التاجر فاجر إلا مَن أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم)[٢].

وروى المختار بن نافع، عن أبي مطر قال: (خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفَعْ إزارَكَ فإنه أنقى لثوبك وأتقى لك، وخُذْ من رأسك[٣] إن كنت مسلماً. قال: فمشيتُ خلفه وهو بين يدي مؤتزر بإزارٍ، مرتدٍ برداءٍ، ومعه الدِّرَّة كأنه أعرابي بدويٌّ! فقلتُ: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد؟ فقلت: أجَلْ، رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي أمير المؤمنين. حتى انتهى إلى دار بني أبي مُعَيْط وهو سوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلِفوا، فإن اليمين تُنفِق السلعة وتمحق البركة. ثم أتى أصحابَ التمر، فإذا خادمٌ تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم، فردَّه مولاي فأبى أن يقبله، فقال له عليٌّ: خُذْ تمرَكَ وأعطِها درهمها فإنها ليس لها أمر، فدفَعَه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا، فقلت: هذا علي أمير المؤمنين. ثم مرَّ مجتازاً بأصحاب

(١) طبقات ابن سعد: ٢٨/٣؛ ابن عساكر: ١٩٢/٣.

(٢) ابن عساكر: ٥٠/٣.

(٣) أي: من شعر رأسك.

التمر، فقال: يا أصحابَ التمر أطعموا المساكين يربُ كَسْبُكم. ثم مرَّ مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يُباع في سوقنا طافٍ)[١].

ونهى عن مزاحمة النساءِ الرجالَ في الأسواق، وأَنَّب الرجال فقال: (أَلَا تستحيون أو تغارون؟! فإنه بَلَغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يُزاحمن العُلوج!)[٢].

وقال الأصبغ بن نباتة: (خرجت مع علي بن أبي طالب إلى السوق، فرأى أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم، فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم، فقال: أليس ذلك إليهم، سوق المسلمين كمصلّى المسلمين؟ مَن سَبَق إلى شيء فهو له يومه حتى يَدَعَه)[٣].

وعن الحَكَم قال: أُخبِر عليٌّ برجل احتكر طعاماً بمئة ألف، فأَمر به أن يُحرق[٤]!.

وعن ربيعة بن زكّار قال: نظر علي بن أبي طالب إلى زُرارة فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تُدعى زرارة تُباع فيها الخمر! فقال: أين الطريق إليها؟ فقالوا: باب الجسر. فقام يمشي حتى أتاها، فقال:

---

(١) ابن عساكر: ٣/١٩٤ـ١٩٥؛ البداية والنهاية: ٨/٤.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١١١٨) وصحَّحه أحمد شاكر.

(٣) حياة الصحابة: ٢/١٠٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: ٥/٤٧.

علَيّ بالنيــران، أضرِموهــا فيها، فإن الخبيثَ يــأكل بعضُه بعضاً. قـــال: فاحترقت مـــن غربيّهـــا حتى بَلَغتْ بســـتانَ خواســـتا بن جبرونا[1].

٤ ـ الحسبة في الآداب العامة:

كان أمير المؤمنين يلاحق أهل الشـــر والفساد ويحبسُهم ليدرَأَ عن الناس شرَّهم، فعن عبدالملك بن عُمير قال: (كان علي إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعِرُ حَبَســـه، فـــإن كان له مال أنفق عليـــه من مالـــه، وإن لم يكـــن له مال أنفـــق عليه مـــن بيت مال المســـلمين، وقال: يُحبـــس عنهـــم شـــرُّه، ويُنفَق عليـــه من بيـــت مالهم)[2].

وتقدم عن أبي مطر: أن عليّاً قال له: (ارفَعْ إزارك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لك، وخُذْ من رأسك إنْ كنتَ مسلماً).

وفَرض على الناس حفظَ حقوق الطريق وعدمَ التضييق على المارَّة، ومن استخدم شـــيئاً من الطريق ليس له بحق وآذى إنساناً؛ يَلزمه ضمان الضرر الواقع:

بوَّب ابنُ أبي شـــيبة في «كتاب الديات مـــن مصنَّفه» فقال: (الرجل يُخرِج من حدِّه شيئاً فيُصيب إنساناً)، وساق آثاراً؛ منها:

---

(١) الأموال، لأبي عبيد (٢٦٨).

(٢) الخراج، لأبي يوسف، ص ١٥٠.

عن الشعبي، عن الحارث، عن علي قال: (مَن أخرج حجراً أو مُرَّة أو مِزْراباً أو زاد في ساحته ما ليس له؛ فهو ضامن)[1].

وعن الشعبي: (أن عليّاً كان يأمر بالمَثاعب والكُنُفِ أن تُقطع عن طريق المسلمين)[2].

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٣٤٩/٦. **المُرّة**: شجر المُرار، وبقلة تتفرش على الأرض، لها ورق عريض. **المزراب**: الميزاب.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ٣٥٠/٦؛ وعبدالرزاق (١٨٣٩٩). **المثاعب**: مَسيل الحوض أو الميزاب. **الكُنُف**: جمع الكَنيف وهو السقيفة أو الظلة تكون فوق باب الدار.

المبحث الثاني
المؤسسة المالية

أولاً: الملامح العامة للسياسة المالية في عهد علي:

لم يحدث تغيير ذو بالٍ في سياسة علي المالية للدولة الإسلامية، لكنه مشى على طريقة أبي بكر في التسوية في العطاء، بخلافِ عمر الذي كان يقدِّم أصحابَ السوابق وأهلَ الفضل كآل البيت ونحوِهم، وعمرُ قد جعل الله الحق على لسانه وقلبه، وهي مسألة اجتهادية، ولكلٍّ مبررات سياسته، وإلى كل من الاجتهادين ذهب عدد من الأئمة[١].

وليس كما يزعم بعضُ الرافضة بأن هذا عودةٌ للعدالة التي تُركت في عهد عمر وعثمان، فيقول بأن عليّاً كان (ناقضاً بذلك ليس الطريقة الفئوية لِسَلَفِه، وإنما طريقة الخليفة عمر الذي كان له اجتهاد خاص في هذه المسألة؛ فقد توخّى عليٌّ العدالةَ في العطاء بتنظيمه على قاعدة الأسبقية والبلاء، وحتى لا يكون كمن يطلب النصر بالجَوْر على حدّ تعبيره)[٢]!.

ونسي هذا المُفتئت على الحقيقة أن عليّاً رضي الله عنه كان من كبار مستشاري عمر وممن اقترح عليه تدوينَ الديوان، وكان من واجب علي لو كان فعل عمر جَوْراً ـ كما يزعم هذا الكاتب ـ أن ينصحَه ويشير عليه بواجب الشرع، كما هو المظنون بعليٍّ في فضله وورعه ونصحه وجرأته!.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٥٧٨/٣.

(٢) الإمام علي، للدكتور إبراهيم بيضون، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

وكان علي كثير الأَعْطيات، مبسوطَ اليد بالإنفاق على المسلمين من بيوت أموالهم، مراقباً لعمال الصدقات والخَراج، آمراً لهم بالعدل والرحمة في جباية الأموال، ولزوم الأمانة في حفظها وإنفاقها.

●● ذكر ابن عبد البرّ في ترجمة علي قال: (كان علي يسير في الفَيء مسيرة أبي بكر الصديق في القسم، وإذا ورد عليه مال لم يبقِ منه شيئاً إلا قسمه، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، ويقول: يا دنيا غرّي غيري. ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء، ولا يَخصّ به حميماً ولا قريباً)[1].

وقال أبو صالح السَّمّان: (رأيتُ عليّاً دخل بيت المال فرأى فيه شيئاً، فقال: لا أَرى هذا هاهنا وبالناس إليه حاجة، فأمر به فقُسِم، وأمر بالبيت فكُنِس ونُضِح، فصلَّى فيه)[2].

وعن موسى بن طَريف قال: (دخل عليٌّ بيت المال فأَضْرَطَ به[3]، ثم قال: لا أمسي وفيك درهمٌ، ثم أَمر رجلاً من بني أَسَد فقَسَمه حتى أمسى)[4].

وعن هارون بن عنترة الشيباني، عن أبيه قال: (أتيتُ عليّاً بالرحبة يوم نيروز أو مهرجان، وعنده دهاقين وهدايا، فجاء قنبر فأخذ بيده،

---

(١) الاستيعاب: ٣/٤٧.

(٢) ابن عساكر: ٣/١٨٠.

(٣) حكى بفيه فِعْلَ الضارطِ هُزْءاً.

(٤) الأموال، لأبي عبيد (٦٧٢)؛ ابن عساكر: ٣/١٨١.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رجل لا تُليق شيئاً، وإن لأهل بيتك في هذا المال نصيباً، وقد خبأتُ لك خَبيئة، قال: وما هي؟ قال: انطلِقْ فانظر ما هي. قال: فأدخله بيتاً فيه باسِنة مملوءة آنية ذهب، وفضة مموَّهة بالذهب، فلما رآها عليٌّ قال: ثَكلتْكَ أمُّك! لقد أردتَ أن تُدخِل بيتي ناراً عظيمة. ثم جعل يَزِنُها ويعطي كلَّ عريفٍ بحصَّتهِ، ثم قال:

هذا جَناي وخيارُه فيه ... وكل جانٍ يدُه إلى فيه

لا تغرِّيني وغُرِّي غيري)[1].

ودخل بيت مال الكوفة وقد امتلأ بالذهب والفضة، فأَمر فنُودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري، ها وها، حتى ما بقي منه دينارٌ ولا درهم. ثم أَمر بنَضْحِه، وصلَّى فيه ركعتين[2].

وروى أبو عبيد: (أن عليّاً أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصفهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لستُ لكم بخازنٍ! قال: وقسم الحِبالَ، فأخذها قوم وردَّها قوم)[3].

•• ومن أوامره وتوجيهاته ووصاياه لمن يستعمله على الخَراج والصدقات، ما جاء في كتبه إليهم، ومنها: (انطلِقْ على تقوى الله وحده

---

(١) الأموال، لأبي عبيد (٦٧٤)؛ ابن عساكر: ٣/١٨١ ـ ١٨٢. لا تليق: لا تمسك. الباسنة: الغرارة، وعاء من الكتان أو الخيش.

(٢) الحلية: ١/٨١؛ حياة الصحابة: ٢/٢٢٥.

(٣) الأموال، لأبي عبيد (٦٧٣).

لا شــريك له، ولا تُروعنَّ مســلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقِّ الله في ماله... فَخُذْ ما أعطــاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشــيةٌ أو إبلٌ فلا تدخُلْها إلا بإذْنهِ فإنَّ أكثرها له، فإذا أتيتَها فلا تَدخل عليها دخولَ متســلِّط عليه ولا عنيفٍ بــه. ولا تُنفرنَّ بهيمة ولا تُفزعنَّها، ولا تسوءَنَّ صاحبَها فيها!).

وفي كتاب له إلى عمال الصدقات يقول: (وإنَّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقّاً معلوماً، وشركاءَ أهلَ مسْكَنة، وضعفاءَ ذوي فاقة. وإنا موفُّــوكَ حقَّك فوَفِّهم حقوقهــم، وإلا تفعلْ فإنك مــن أكثر الناس خصوماً يوم القيامة. وبُؤْســى لمن خصمُه عند الله الفقراءُ والمســاكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابنُ السبيل!)[١].

وكان دســتور أميــر المؤمنين في الأمــوال أنها ليســت للتخزين وتضخيم الواردات، بل مهمة المال هي عمــارة البلاد وتحقيق مصالح العباد، ويبيِّن ذلك ما جاء في كتابه للأشتر النخعي:

(وتَفقَّدْ أمرَ الخَــراج بما يُصلح أهلَه، فإن فــي صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن ســواهم، ولا صلاحَ لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلَّهم عِيالٌ على الخَراج وأهله. وليكن نَظرُك في عمارة الأرض أبلغَ من نظرك في اســتجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُــدرَكُ إلا بالعِمــارة، ومَن طلبَ الخراج بغير عمارة أَخْــرَبَ البلادَ وأهلَكَ العباد، ولم يســتقِمْ أمره إلا قليلاً...)[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١٣/٨، ١١٨؛ وانظر ما تقدم: ص٤٤٠ في هذا الكتاب.

(٢) المرجع السابق: ٥٢/٩ـ٥٣.

ثانياً: واردات الدولة من الأموال:

١ ـ الزكاة:

تتولى الدولة القيام بهذا الركن الجليل، عن طريق المُصَدِّقين والأمناء وموظفي بيت المال وأضرابِهم. والزكاة رافدٌ مهم في واردات بيت المال، يؤديه المسلمون لموظفي الدولة أو يُخرجونه بأنفسهم.

٢ ـ الخراج:

وهو ضريبة على الأراضي التي فتحها المسلمون عَنْوة، وأوقفَها الخليفة لمصالح المسلمين على الدوام. وقد مضت الأمور فيه على ما كانت عليه في عهد عمر وعثمان[١]، ولا نجد روايات توضح عوائده على بيت المال في عهد علي.

وتبيِّن كتبٌ كثيرة من أمير المؤمنين اهتمامَه بهذا المورد، من ذلك ما كتبه إلى عمال الخراج: (ولا تَبيعُنَّ الناسَ في الخَراج كُسْوةَ شتاءٍ ولا صيفٍ، ولا دابَّة يعتملون عليها ولا عبداً[٢]، ولا تضرِبُنَّ أحداً سَوْطاً لمكان درهم، ولا تَمَسُّنَّ مالَ أحدٍ من الناس مُصَلٍّ ولا مُعَاهَدٍ)[٣].

ومثله ما كتبه للأشتَر كما تقدم.

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٤٤٤.

(٢) نهاهم أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهم أو دابة يعتملون عليها كبقر الفلاحة، وكعبدٍ لا بدّ للإنسان منه يخدمه!.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٧/٩.

٣ ـ الجزية:

لم يطرأ تغيير على مقدار الجزية في عهد علي، وتوقفت الفتوحات بسبب الانشغال بالفتن الداخلية، وانتقضت بعض المناطق المفتوحة في حين استمر أكثرها على الصلح ودفع الجزية، ويلاحظ انتشار الإسلام في أَذْرَبيجان لما قدِمها الوالي الأشعث بن قيس، وبوجه عام انخفضت واردات الجزية في خلافة علي[1].

عن عنترة الشيباني ـ وهو من تلاميذ علي ـ قال: (كان عليٌّ يأخذ الجزية من كل ذي صناعة من صناعته وعملِ يده: من صاحب الإبر إبراً، ومن صاحب المَسَالِّ مسالًّا، ومن صاحب الحِبال حبالاً. ثم يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة فيقتسمونه، ثم يقول: خذوا هذا فاقتسِموه، فيقولون: لا حاجة لنا فيه، فيقول: أخذتم خيارَه، وتركتم علَيَّ شرارَه، لَتَحملُنَّه!)[2].

فكان أمير المؤمنين علي يأخذ منهم الجزية من هذه الأمتعة، ولا يَحملُهم على بيعها ثم يأخذ الدراهم نقداً من ثمنها، وإنما فعل ذلك إرادةَ الرفق بهم والتخفيف عليهم، وهكذا فعل عمر حين كان يأخذ الإبل في الجزية. (هذا معنى كلام أبي عبيد في التعليق على الخبر).

٤ ـ وتوقفت واردات الغنائم على خزائن الدولة:

بسبب توقف الفتوحات.

---

(١) فتوح البلدان، ص ٣٠٣، ٣٦٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) الأموال، لأبي عبيد (١١٧)؛ وبنحوه في الاستيعاب: ٥٠/٣.

ثالثاً: نفقات الدولة:

●● وردت أخبار قليلة في (تاريخ خلافة علي) حول نفقات الدولة ومصاريــف خزانتها، يمكن من خلالها تلمــس الخطوط العامة في هذا الجانب:

- **مضى علي على ســيرة مَن ســبقه من الخلفاء في فرض الأرزاق للعمال والــولاة**، إلا أن عصر عمــر وعثمان كان أكثر توســعاً في بذل الأعطيات للناس عمومــاً ومن ضمنهم الولاة، نظــراً لزيادة الدخل في بيت المال نتيجة الفتوح الواسعة[1].

- **نفقات المعارك الحربية** وما يلزمها من السيوف والرماح والدروع والخيل والجمال.

- **البريد:** وفيه رواتب موظفي البريد ولوازم المواصلات من الخيول وغيرها.

- **عطاء المواليد واللُّقَطاء:** عــن أم العلاء بنت الأَعلم البُرجُميَّة: (أن أباها انطلق بها إلى عليٍّ، ففَرض لها في العطاء وهي صغيرة، قال: وقال علي: ما الصبيُّ الذي أكل الطعام وعضَّ على الكسرة بأحقّ بهذا العطاء من المولود الذي يَمصّ الثدي)[2].

وروى أبوالجَحّاف داود بن أبي عوف البُرْجُمِيُّ عن رجل من خَثْعَم

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٣٩٨ـ٣٩٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦١٩/٧.

قال: (وُلِد لي من الليل مولود، فأَتيت عليّاً حين أصبح، فأَلحقه في مئة)[1]. أي: من العطاء.

وعن تميم بن مُسَيْح الغَطفَاني قال: (أَتيت عليّاً بِمَنْبُوذٍ، فأثْبَتَه في مئة)[2]. وفي رواية عن تميم بن مُسيح: أنه الْتَقَط صبيّاً، فأتى به عليّاً، فألْحَقه على مئة)[3]. والمَنبوذ: هو اللَّقِيط، سُمِّي منبوذاً لأن أمه رمَتْه ونبذَتْه على الطريق.

ـ **وكان يقدِّم الناسَ على أهل بيته**: عن أم عفان أمِّ ولدٍ لعليٍّ قالت: (جئت عليّاً وبين يديه قَرَنْفُل مكبوب في الرَّحْبة، فقلت: يا أمير المؤمنين، هَبْ لابنتي من هذا القرنفل قلادة، فقال هكذا ونَقر بيده: ارمي، فإنما هذا مالُ المسلمين، وإلا فاصبري حتى يأتي حظُّنا منه لِنَهبَ لابنتكِ قلادة)[4].

ـ **ويَقسِم بين الناس الأطعمة والفواكه والوَرْس والزعفران وغيرها**: روى الربيع بن حسان عن أمه قالت: (كان علي يقسم فينا الورس والزعفران). وروى آخر: (أن عليّاً أُتي بِرُمَّان فقَسَمه بين الناس). و(أُتِي بدِنَان طِلاء من غابات فقَسَمها بين المسلمين)[5].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦١٩/٧.
(٢) الأموال، لأبي عبيد (٥٨٧).
(٣) التاريخ الكبير: ٢٦٣/٣.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٢٢/٧.
(٥) المرجع السابق: ٦٢٢/٧ـ٦٢٣.

ـ **وزاد في عطاء الناس مئتين مئتين**: عن الحسن بن قيس، عن أبيه قال: (أتيتُ علياً بابن عمّة لي، فقلت: يا أمير المؤمنين افرِضْ لهذا، قال: أربع ـ يعني أربعَ مئة ـ قلت: إن أربع مئة لا تُغني شيئاً، زِدْهُ المئتين التي زدتَ الناس، قال: فذاك له. وقد كان زاد الناس مئتين)[1].

ـ وفي كثير من الأحيان كان أمير المؤمنين يوجه الولاة للقيام **بالخدمات العامة والإصلاحات المدنية** التي تخدم سكان الولاية[2].

ـ **ولم يمنع أحداً من العطاء**، حتى إنه ليعطي الخوارج ما دامت أيديهم معه: روى كثير بن نمر الحَضْرمي، عن عليٍّ قال: (لهم علينا ـ أي: الخوارج ـ ثلاث: أن لا نمنَعَهم المساجدَ أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا، وأن لا نقاتلَهم حتى يقاتلونا)[3].

●● وسياسة النفقات في عهد الخلفاء الراشدين تقوم على أن الأمصار والولايات أحقُّ بأموالها وجبايتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على (ترحيل الأموال) عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعدُ، إلا بعدَ أن يسدّدوا حاجة ولاياتهم من النفقات.

فكان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية، إضافة إلى القيام بما يلزم من الإصلاحات والخدمات كبناء الجسور

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٦١٤.
(٢) انظر ما سيأتي: ص٤٩٨ في هذا الكتاب.
(٣) الأموال، لأبي عبيد (٥٦٧).

وحفر القنوات وإجــراء العيون والأنهار، ويتمُّ صــرفُ نفقاتِ ذلك مما يجبونه من ولاياتهم[١].

وقد جاء في كتب علي وتوجيهاته ما يؤكد ذلك، ففي كتابه إلى واليه على مكة قُثَم بن العباس، يقول: (وانظُرْ إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصْرِفْه إلى مَــن قِبَلك من ذوي العيــال والمجاعة، مُصِيبــاً به مواضعَ المَفَاقِر والخَلَّات، وما فَضَل عن ذلك فَاحْمِلْه إلينا لِنقْسِمَه فيمن قِبَلنا)[٢].

وكتب بنحو ذلك إلى عمال الصدقات[٣]، وإلى الأشتر النخعي[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٤٤٥ـ٤٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٩. **المفاقر**: الحاجات.

(٣) المرجع السابق: ١١٣/٨ـ١١٤.

(٤) تقدم: ص ٤٨٧ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

المبحث الثالث
المؤسسة الإدارية

•• في خلافة عمر بدأت تتضح الملامح العامة للهياكل والنظم الإدارية في الولايات، فأصبح هناك تمييز بين الوالي والقاضي وكاتب الديوان وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين، وبذلك ظهر تقسيم العمل والتخصص فيه، واستمر الأمر على هذا النهج في خلافة عثمان وعلي.

واستعان الخلفاء وولاة الأمصار بعدد من الموظفين الذين تولوا أعمال الكتابة والحجابة والإشراف على بيوت المال ودواوين الدولة الثلاثة (ديوان الجباية والخراج، وديوان الجند، وديوان العطاء) وتولي تنظيم الشرطة، ووظيفة جمع الغنائم وتقسيمها[١].

•• وقد ظهر نظام الشرطة منذ خلافة عمر لحراسة بيت المال والسجن وجَلْب الخصوم للقاضي وتنفيذ أحكام القضاة في المجرمين. واستخدمت الدولة أقواماً داخلين في الإسلام حديثاً مثل (السَّيَابِجَة) في خلافة عثمان وعلي.

وفي عهد علي نُظمت الشرطة وأُطلق على رئيسها اسم (صاحب الشرطة)، وكان يتم اختياره من عِلْية القوم من أهل العصبية والقوة[٢].

وقد بنى أمير المؤمنين علي سجناً في الكوفة سمّاه (نافعاً) لم يكن

(١) الولاية على البلدان، ص ٣٦٥، ٤٣١ـ٤٣٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٦.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٤٥٩ـ٤٦١؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٧ـ١٤٨.
السيابجة: أعجمي معرب، وهم الجلاوزة وحراس السجن.

مستوثق البناء، فكان السجناء يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجناً آخر سماه (مُخيِّساً). وأجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعام وإدام وكسوة في الشتاء والصيف[١].

●● وقد عمل عليٌّ على إقرار المعاهدات وعقود الصلح التي جرت قبله بين المسلمين وبين غيرهم من الذميين ومَن ماثَلَهم: من ذلك أنه عندما جاءه أهل نَجْران وقالوا: أخرَجَنا عمرُ من أرضنا فاردُدْنا إليها، رفض وقال: لا أغيِّر شيئاً صنعه عمر[٢]. وأقرَّ مجموعة من عقود الصلح بين عثمان وبين مَرَازبة فارس[٣]. وهذا من الأدلة على أن عليّاً كان يرى أن خلافته امتدادٌ للدولة التي أنشأها رسول الله ﷺ ثم تولاها أبو بكر وعمر وعثمان، وحرص علي على إمضاء صُلْحهم ومعاهداتهم وتتبُّعِ طريقهم، ولم يميِّز نفسه عنهم[٤].

ونلاحظ في عصر علي تأكيداً لنوع من التطور الإداري الذي ظهر قبل عصره، من عزلٍ للقضاء والخَراج في كثير من الأحيان عن الولاية، إذ كان يخصص لكل ولاية قاضياً مستقلّاً عن الوالي، وكذلك الحال في الخراج وبيت المال حيث كان يولي عليها عمالاً مختصين[٥].

❁ ❁ ❁

(١) ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) تقدم الخبر بتمامه: ص ٣١٥ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٨٢؛ تاريخ الطبري: ٤/٥٥٧.

(٤) الولاية على البلدان، ص ٣٦٥.

(٥) المرجع السابق نفسه.

المبحث الرابع
مؤسسة الشؤون الإسلامية

•• الأخبار في هـذا الباب نَزْرة جدّاً، وقد وردت إشـارات يمكن الإلماع إليها:

لما قدِم الأشـعث بن قيس إلى (أَذْرَبِيجان) والياً عليها، وجد أكثر أهلها قد أسـلموا وقرؤوا القرآن، فأنزل (أَرْدَبِيل) جماعةً من أهل العطاء والديوان من العرب، ومصَّرها، وبنى مسجدها[١].

ـ وكان أمير المؤمنين يَؤمُّ الناسَ في الصلـوات ويعلمهم ويتعاهَدُ الصفوف كما قدمنا، ويخطبهم في أيام الجمعة والعيدين.

وهكذا كان يفعل ولاة الأمصار في بلدانهم، وهو من أهم أعمالهم وواجباتهم.

ـ ومن أسـس عمارة المسـاجد تعييـنُ الأئمة والخُطبـاء، لإقامة الصلوات وأداء الخُطَب وتعليم الناس وتفقيههـم، وهؤلاء تُفرض لهم الرواتب والعطاءات.

ومن الإشارات في هذا: ما رواه عَرْفَجة بن عبد الله الثقفي قال: (كان علي بن أبـي طالب يأمر النـاسَ بقيام رمضان، فيجعـل للرجال إماماً وللنساء إماماً. قال عرفجة: فأَمَرني علي فكنتُ إمامَ النساء)[٢].

---

(١) فتوح البلدان، ص ٣٠٣ـ٣٠٤. أردبيل: من أشـهر مدن أذربيجان، وتقع حاليّاً على بعد (٦٤ كم) شرقي تبريز.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٧٧٢٢)؛ تهذيب الكمال: ١٩/٥٥٨.

•• ومن أعمال الخليفة الجليلة أن يحضر موسم الحج كل عام، ليلتقي بولاة الأمصار والناس، ويبحث معهم شؤون الإسلام والأمة والولايات، لكن عليّاً لم يحضر ذلك طيلة عهده لانشغاله بإطفاء الفتن الداخلية، فكان يعيِّن على الموسم مَن يقيم للناس حجَّهم:

ففي سنة (٣٦هـ) حج بالناس عبدالله بن العباس.

وفي سنة (٣٧هـ) أقام للناس حجهم عُبيد الله بن العباس.

وفي سنة (٣٨هـ) أقام الموسم قُثم بن العباس.

وفي سنة (٣٩هـ) حدث خلاف بين مبعوث علي ومبعوث معاوية، واصطلح الناس على أن يقيم الحج شَيْبة بن عثمان العَبْدري(١).

ومن كُتب علي إلى أحد ولاته في إقامة موسم الحج، ما كتبه إلى أمير مكة قُثَم بن العباس، وجاء فيه: (أما بعدُ، فأقِمْ للناس الحجَّ، وذَكِّرْهم بأيام الله، واجلِسْ لهم العَصْرَين، فأفتِ المستفتي، وعلِّم الجاهل، وذاكِرِ العالم، ولا يكن لك إلى الناس سفيرٌ إلا لسانَكَ، ولا حاجبٌ إلا وجْهَكَ.

ولا تَحجُبَنَّ ذا حاجةٍ عن لقائك بها، فإنها إنْ ذِيدَتْ عن أبوابك في أول وِرْدِها لم تُحمد فيما بعدُ على قضائها)(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٨؛ تاريخ الطبري: ٥٧٦/٤، ٩٢/٥، ١٣٢، ١٣٦، وانظر ما تقدم: ص ٤٦١ في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٩. **العصران**: الغداة والعشي.

المبحث الخامس
مؤسسة العمران والخدمات

هذه المؤسسة قد لحِقَ بها ضعف كبير بسبب الأحداث الداخلية التي شغلت الخليفة والولاة وعامة الأمة، لكن أمير المؤمنين قد بذل وسعه في رعاية مصالح الأمة والبلاد وتوفير الحياة الكريمة.

ففي كثير من الأحيان كان يوجه الولاة للقيام ببعض الإصلاحات المدنية التي تخدم سكان الولاية من حفر للأنهار وعمارة للبلدان؛ فقد كتب إلى قرظة بن كعب الأنصاري: (أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادَّفَن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم اعمر وأصلح النهر، فلَعَمري لأن يعمروا أحبُّ إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد، والسلام)[1].

فإذا كان هذا من أمير المؤمنين بمراعاة مصالح أهل الذمة، فاهتمامه بالمسلمين أعظم وأولى برعاية مصالحهم ومعاشهم ومختلفِ أمورهم الدنيوية. وقد قام كثير من الولاة ببناء المساجد والحصون وتنظيم شؤون البلاد والخدمات، وترحيل بعض المسلمين إلى الثغور كي يعمروها وينشروا الإسلام فيها[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٠٨/٢؛ الولاية على البلدان، ص ٣٦٦.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٣٦٦، وانظر ما تقدم: ص٤٦٨ـ٤٧٠ في هذا الكتاب.

الباب السابع

الفِتَنُ في عَهْدِ عَلِيٍّ

- قواعدُ وأصولٌ وتوضيحاتٌ وتحقيقاتٌ.
- سيرورةُ الأحداثِ من وقتِ بيعةِ عليٍّ إلى بدايةِ الفتنةِ وموقعةِ الجمل.
- موقعـةُ الجمـل، مقدِّماتُهـا ووقائعُهـا ونتائجُها.
- موقعةُ صِفِّين، مقدِّماتُها وأحداثُها ونتائجُها.
- عليٌّ والخوارجُ.
- واقع الأمة والدولة بعـد «النهروان» وقتل الخوارج.



الفصل الأول

قواعدُ وأصولٌ وتوضيحاتٌ وتحقيقاتٌ

أولاً: لا أحد ممَّن خالف عليّاً ينكر خلافته أو يدَّعي الخلافة لنفسه أو يسعى إليها:

•• الصحابة جميعاً وفي مقدمتهم مَن كان على خلاف مع أمير المؤمنين علي لا يقدحون في خلافته وولايته على المسلمين، ولا ينكرونها ولا ينازعونه فيها.

يقول إمام الحرمين الجُوَيني: إن معاوية وإنْ قاتل عليّاً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدَّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنّاً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً[1].

ويقول ابن حزم: ولم ينكر معاوية قطُّ فضلَ علي واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديمَ أخذ القوَد من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحقَّ بطلب دم عثمان[2].

---

(١) لمع الأدلة في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة، ص ١١٥.

(٢) الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل: ٤/١٦٠.

ونقل ابن حجر عن ابن بطّال في «شـرح البخـاري»: (أن أحداً لم ينقل أن عائشـة ومن معها نازعوا عليّاً في الخلافة، ولا دَعَوا إلى أحدٍ منهم ليولُّوه الخلافة)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالقتال الذي كان في زمن علي لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفِّيـن والنهروان لم يقاتِلوا على نصب إمامٍ غيـر علي، ولا كان معاوية يقول: أنـا الإمام دون علي، ولا قال ذلك طلحة والزبير... وعليٌّ لم يقاتِل أحداً على إمامة مَن قاتله، ولا قاتله أحدٌ على إمامته نفسه، ولا ادَّعَى أحدٌ قط في زمن خلافته أنه أحق بالإمامة منه...). (وعليٌّ بايَعه كثيرٌ من المسـلمين ـ وأكثرهم بالمدينة ـ على أنه أميـر المؤمنين، ولم يبايع طلحةَ والزبيـرَ أحدٌ على ذلك، ولا طلب أحدٌ منهما ذلك، ولا دعا إلى نفسـه، فإنهما ﷺ كانا أفضَلَ وأجَلَّ قدراً من أن يفعلا ذلك)[٢].

بـل إن معاوية ﷺ صرَّح بذلـك على الملأ، فقد جاءه أبو مسـلم الخَوْلاني وناس معـه فقالوا له: (أنت تنازع عليّاً فـي الخلافة؛ أَوَ أنت مثلُه؟ قال: لا، وإني لأعلمُ أنه أفضلُ منِّي وأحقُّ بالأمر، ولكن ألسـتُم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمِّه ووليُّه أطلبُ بدمِه؟!)[٣].

---

(١) الفتح: ٣٧١/١٦، شرح الحديث (٧٠٩٩).

(٢) منهاج السُّـنَّة: ٧١٢/٣ـ٧١٣، باختصار، وانظـر: ٧٥/٣، ١٥٢، ٧١٤ـ٧١٦؛ ومجموع الفتاوى: ٧٢/٣٥ـ٧٣.

(٣) الفتح: ٤١٦/١٦ (٧١٢١) وقال الحافظ: سـنده جيد؛ وذكره الذهبي في سـير أعلام النبلاء: ١٤٠/٣.

وفي هذا الباب زلَّتْ أقلام ووقعت في الخطايا والآثام؛ فاتهمت الصحابة الذين خالفوا عليّاً (من أصحاب الجمل وأهل الشام): بأنهم أعداؤه، وطامعون في الخلافة، ومتمردون، وتجمعٌ قرشي ضد الأنصار الذين تحزبوا لعليٍّ ونالوا في عهده مناصبَ في الدولة بعد أن حُرموا منها في العهود السابقة، وأنهم يفكرون بالخلافة قبل التفكير بمقتل عثمان ويخططون لانتزاعها من علي، وأن قرار الحرب ضده كان مقرراً منذ بداية الخلاف معه... إلى آخر هذه الاتهامات التي يبوء مفتريها بالخزي والإثم!.

ثانياً: خطورة مقتل عثمان، واختلاف الصحابة في وقت وطريقة القصاص من قتلته:

ترك مقتل الشهيد عثمان بن عفان خروقاً غائرة في جسم الخلافة، وقذف بمجموع الأمة في خِضمّ التنازع الذي ما عُوفيت منه إلا بعد رَدَح من الزمان، عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية عام الجماعة سنة (٤١هـ).

ووقف المسلمون آنذاك من (مسألة القصاص من قتلة عثمان) مواقف متباينة، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة فالجميع متفقون على وجوب القصاص، لكنهم اختلفوا في الطريقة التي تُعالَج بها هذه القضية الخطيرة، وفي توقيتها متى يكون؟.

فالخليفة علي يرى التمهلَ في إنفاذ القصاص، وإرجاءَ إقامة الحدِّ على القتلة حتى تستقر أمور الدولة، وتهدأ أوضاع الناس، وتضمحل قوة القتلة ومَن وراءهم، وتجتمع كلمة الأمة.

وفريق آخر رأى وجوبَ الإسراع بالقصاص وعدمَ تأخير إقامة حدود الله، ويمثل هؤلاء طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومن معهم من (أهل الجمل)، ومعاوية في (أهل الشام).

وتمسَّك كل فريق برأيه، فخرج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، ورفض معاوية بيعة علي حتى يقيم حدّ القصاص، وأصرَّ علي على إدخال الجميع في طاعته، وتطورت الأحداث إلى مواجهات دامية، وانقسم المسلمون حيال تلك الفتنة ثلاث فِرق.

يقول ابن تيمية: (إن الناس كانوا في زمن عليٍّ على ثلاثة أصناف: صنف قاتلوا معه، وصنف قاتلوه، وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه)[1].

وقال النَّووي: (وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة، اعتقدت تصويبَ أنفسها بسببها، وكلهم عدول ﷺ ومتأوِّلون في حروبهم وغيرها، ولم يُخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم. واعلَمْ أن سببَ تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدَّة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام...)[2] فذكر مثل قول ابن تيمية لكن بأطول منه.

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤٢/٣، وانظر: ١١٣/٣؛ والإصابة: ٥٠١/٢ـ٥٠٢.

(٢) شرح صحيح مسلم: ١٦٦/٨، صَدْر كتاب فضائل الصحابة.

ثالثاً: اقتتالُ الصحابة لم يكن على الدنيا، وعذرُهم في اجتهادهم، ووجوبُ منع الطعن عليهم:

اقتتال المسلمين أمر منكر قد حذر الله تعالى ورسوله ﷺ منه، لكنه ليس مستحيلاً بل ممكن الوقوع، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

قال أبو بكر ابن العربي: هذه الآية أصلٌ في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوَّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملَّة[١].

عن الأحنف بن قيس قال: (ذهبتُ لأنصرَ هذا الرجلَ، فلَقِيَني أبو بَكْرة فقال: أين تريدُ؟ قلتُ: أنصرُ هذا الرجلَ، قال: ارجعْ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار**» فقلت: يا رسول الله، هذا القاتلُ، فما بالُ المقتولِ؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتلِ صاحبه**»).

وفي رواية: قال الأحنف: (أريدُ نُصْرَةَ ابنِ عَمِّ رسول الله ﷺ)[٢]. يعني علي بن أبي طالب.

نقول: هذا الحديث ونظائره قد تأوَّله جمهور الصحابة والتابعين الذين قالوا بوجوب نصر الحق وقتال الباغي؛ بحملِ الوعيد المذكور

---

(١) تفسير القرطبي: ٢٦٩/١٦.

(٢) أخرجه البخاري (٣١) وأطرافه؛ ومسلم (٢٨٨٨)؛ وأبو داود (٤٢٦٨)، وغيرهم.

في الحديث على مَن قاتل بغير تأويل سائغ، بل بمجرد عداوة دنيوية، أو عصبية، أو طلب استعلاء[١].

قال النووي: (واعلَمْ أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السُّنَّة والحق: إحسانُ الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأوِّلون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغٍ، فوجَبَ عليه قتالُه ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ، لأنه باجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه)[٢].

وحديث: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» وما في معناه، هو حجة مَن ترك القتال في الفتنة.

قال الحافظ: (واحتجَّ به من لم يرَ القتال في الفتنة، وهم كل مَنْ ترك القتال مع علي في حروبه، كسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عُمر ومحمد بن مَسْلَمة وأبي بَكْرة وغيرهم، وقالوا: يجب الكَفُّ، حتى لو أراد أحدٌ قَتْلَه لم يدفَعْه عن نفسه. ومنهم من قال: لا يدخل في الفتنة، فإن أراد أحدٌ قتْلَه دَفَع عن نفسه. وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نَصْر الحق وقتالِ الباغين، وحَمَل هؤلاء

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: ٢٣٩/٩؛ الفتح: ١٨٠/١ـ١٨١ (٣١)، ٣٣٥/١٦ـ٣٣٦ (٧٠٨٣).

(٢) شرح صحيح مسلم: ٢٣٩/٩؛ تكملة فتح الملهم: ١٤١/٦. وانظر: تفسير القرطبي: ٢٦٨/١٦ـ٢٧٣؛ منهاج السُّنَّة: ١١٤/٣، ١١٦ ـ ١١٧، ١١٩.

الأحاديث الواردة في ذلك على من ضَعُف عن القتال، أو قَصر نظرُه عن معرفة صاحب الحق.

واتفق أهلُ السُّنَّة على وجوب مَنْعِ الطعنِ على أحدٍ من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عُرف المُحِقّ منهم، لأنهم لم يقاتِلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يُؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجَر أجرين، وحَمَل هؤلاء الوعيدَ المذكور في الحديث على مَن قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب المُلك. ولا يرد على ذلك منْعُ أبي بَكْرة الأحنفَ من القتال مع علي، لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبي بَكْرة أداه إلى الامتناع والمَنْع احتياطاً لنفسه ولمن نصحه.

قال الطبري: لو كان الواجبُ في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهربَ منه بلزوم المنازل وكَسْر السيوف؛ لَمَا أُقيم حَدٌّ، ولا أُبْطِل باطلٌ، ولوَجَد أهلُ الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسَفْك الدماء وسَبْي الحريم، بأن يحاربوهم، ويكُفَّ المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة، وقد نُهينا عن القتال فيها! وهذا مخالفٌ للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء.

وقد أخرج البزار في حديث «**القاتل والمقتول في النار**» زيادةً تبين المرادَ وهي: «**إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار**». ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: «**لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قَتَل ولا المقتولُ فيم قُتِل**» فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهَرْجُ، القاتل والمقتول في النار**».

قال القرطبي: فبيَّن هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى؛ فهو الذي أُريد بقوله: «**القاتل والمقتول في النار**».

قلت[١]: من ثَمَّ كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفِّين أقلَّ عدداً من الذين قاتلوا، وكلهم متأوِّلٌ مأجورٌ إن شاء الله، بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا)[٢].

وذكر النووي مثلَه، وأن معظمَ الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام على أنه يجب نصر المُحِقِّ في الفتن، وقال: (وهذا هو الصحيح)[٣].

١ ـ القتال قتال فتنة، وكان باجتهاد، وتركه أولى[٤]:

●● قتال أمير المؤمنين علي لأصحاب الجمل وأهل الشام لم يكن فيه وصية ولا عهد نبوي ولا أمر به، بل هو باجتهاد من علي، وقد ثبت ذلك عنه وقاله لتلاميذه وبدار إمارته.

عن قيس بن عُبَاد قال: (قلتُ لعليٍّ: أرأيتَ مسيرَك هذا، عهدٌ عَهِده إليك رسول الله ﷺ أم رأيٌ رأيتَه؟ قال: ما تريدُ إلى هذا؟ قلتُ: ديننا، ديننا! قال: ما عَهِدَ إليَّ رسول الله ﷺ فيه شيئاً، ولكن رأي رأيتُه)[٥].

---

(١) القائل هو الحافظ ابن حجر.

(٢) الفتح: ١٦/٣٣٦، شرح الحديث (٧٠٨٣).

(٣) شرح صحيح مسلم: ٩/٢٣٧ (٢٨٨٧).

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة: ٤/٩٦.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٦٦)؛ وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٢٧٠)، وصحَّحه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

وجاء مثله عن قيس بن عُبَاد عن عمار بن ياسر(١).

ووصفه عليٌّ نفسُه بأنه قتالُ فتنة، وكان يستغفر الله منه، فعن عبد خير وغيره قال: قال علي لمَّا فرَغ من أهل البصرة: (إنَّ خيرَ هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وأحدَثْنا أحداثاً يصنع الله فيها ما شاء).

وفي رواية: (ثم خَبطَتْنا ـ أو: أصابتْنا ـ فتنةٌ، يعفو الله عمن يشاء)(٢).

•• وجاء مثلُ ذلك من الفريق الآخر المخالف لأمير المؤمنين علي في الاجتهاد، فعن مطرِّف بن عبد الله قال: (قلنا للزبير: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم؟! ضيَّعْتُم الخليفةَ حتى قُتل، ثم جئتم تطلبون بدمِه! قال الزبير: إنَّا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] ثم لم نكن نَحْسِب أنَّا أهلُها، حتى وقعَتْ منَّا حيثُ وقعَتْ!)(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والقتال يوم الجمل وصفِّين فيه نزاع: هل هو من باب قتال البُغاة المأمور به في القرآن، أو هو قتال فتنة القاعدُ فيه خير من القائم؟ فالقاعدون من الصحابة وجمهورُ أهل الحديث والسُّنَّة وأئمةُ الفقهاء بعدهم يقولون: هو قتال فتنة، ليس هو

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٧٧٩).
(٢) مسند أحمد (٨٩٥، ١٠٣١)، وكرره في مواضع، وصحَّحها أحمد شاكر.
(٣) أخرجه أحمد (١٤١٤، ١٤٣٨)؛ والنسائي في الكبرى (١١١٤٢)، وصحَّحه أحمد شاكر.

قتال البغاة المأمور به في القرآن، فإن الله لم يأمر بقتال المؤمنين البغاة ابتداءً لمجرد بَغْيِهم، بل إنما أمر إذا اقتتل المؤمنون بالإصلاح بينهم)(١).

وقال أيضاً: (والنصوص الثابتة عن النبي ﷺ تقتضي أن تَرْكَ القتال كان خيراً للطائفتين، وأن القعود عن القتال كان خيراً من القيام فيه، وأن عليّاً مع كونه أَوْلَى بالحق من معاوية وأقربَ إلى الحق منه؛ لو تَرَك القتال لكان أفضل وأصلح وخيراً)(٢).

وقال في موضع آخر: (إن عليّاً مع كونه كان خليفة وهو أقرب إلى الحق من معاوية، فكان ترك القتال أَوْلى، وينبغي الإمساك عن القتال لهؤلاء، فإن النبي ﷺ قال: «**ستكون فتنة القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعي**». وقد ثبت عنه ﷺ: أنه قال عن الحسن: «**إن ابني هذا سيد، وسيُصلِح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». فأثنى على الحسن بالإصلاح، ولو كان القتال واجباً أو مستحبّاً لَمَا مَدَح تاركه... ولهذا لم يحصل بالقتال مصلحة، والأمر الذي يأمر الله به لا بدّ أن تكون مصلحتُه راجحة على مفسدته)(٣).

٢ ـ الفئتان المقتتلتان مسلمتان، والصحابة مغفور لهم في اقتتالهم، وأهل السُّنَّة يترضون على الصحابة في الطرفين:

الصحابة الذين قاتلوا عليّاً: إما أن يكونوا عصاة، أو مجتهدين مخطئين، أو مصيبين، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح في إيمانهم ولا

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١٤٥/٣.

(٢) المرجع السابق: ٧٩/٣، وانظر: ٩١/٣ـ٩٣، ٥٤٦ـ٥٤٧، ٥٨٥.

(٣) المرجع السابق: ٣٣٤/١ـ٣٣٥. وانظر: ١٢٢/٣.

يَمنعهم الجنة؛ فإن الله تعالى قال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠].

فسمَّاهم إخوة ووَصَفَهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم، والبغي من بعضهم على بعض.

فمن قاتل عليّاً: فإنْ كان باغياً فليس ذلك بمخرجه من الإيمان، ولا بموجب له النيران، ولا مانع له من الجنان، فإن البغي إذا كان بتأويل كان صاحبه مجتهداً.

ولهذا اتفق أهل السُّنَّة على أنه لا تُفسَّق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما: إنهم كانوا بُغاة، لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد المخطئ لا يَكْفُر ولا يَفسق، وإنْ تعمَّد البغيَ فهو ذنبٌ من الذنوب، والذنوب يُرفع عقابها بأسباب متعددة كالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، وشفاعة النبي ﷺ، ودعاء المؤمنين، وغير ذلك[1].

وأهل السُّنَّة يترحمون على الجميع ويستغفرون لهم، كما أمرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠][2].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٨٢/٣.

(٢) انظر: الإمامة، لأبي نعيم، ص ٣٧٣؛ الاستيعاب: ٥٥/٣؛ منهاج السُّنَّة: ٧٩/٣، ١٠١؛ البداية والنهاية: ٢٤٧/٧.

٣ ـ من هو المصيب في هذا القتال؟:

قال ابن تيمية: (جماهير أهل السُّنَّة متفقون على أن عليّاً أفضلُ من طلحة والزبير، فضلاً عن معاوية وغيره، ويقولون: إن المسلمين لمَّا افترقوا في خلافته فطائفةٌ قاتلَتْه وطائفة قاتلت معه، كان هو وأصحابه أَوْلَى الطائفتين بالحق، كما ثبت في «الصحيحين»: عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرُق مارِقةٌ على حين فُرقة من المسلمين، يَقتلُهم أَوْلَى الطائفتين بالحق**» فهؤلاء هم الخوارج المارقون الذين مَرَقوا فقَتَلَهم عليٌّ وأصحابه، فعُلِم أنهم كانوا أَوْلى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه. لكن أهل السُّنَّة يتكلمون بعلم وعدل، ويعطون كل ذي حق حقه)[1].

وفي رواية لحديث الخوارج: «**يَقتُلُهم أقربُ الطائفتين إلى الحق**».

قال ابن تيمية: (وفي الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن عليّاً رضي الله عنه أقربُ إلى الحق)[2].

فهناك قريب من الحق وأقرب إليه، وقد أثبت الحديث قرب أهل الشام من الحق[3].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٦١/٣، وانظر: ٧٥/٣، ٩٦/٤ـ٩٧؛ مجموع الفتاوى: ٥١/٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى: ٤٠٧/٣.

(٣) كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١٠٦/٢، وانظر: ٩٦/٢.

رابعاً: شرف الخلاف والقتال بين الرجال الذين تربوا على هدي النبوة:

١ ـ حقائق عامة:

●● إننا نعني فيمـا نكتبه هنا وقبله وبعـده: الصحابة، والصالحين ممن سار على هديهم، وننفي ذلك عن الخبث الذي اندسَّ في صفوف الفريقين من قتلة عثمان وأتباعهم وأنصارهـم؛ أولئك الذين كلما رأوا أمارات الإصلاح قدحوا زناد الفتنة وأشـعلوا نار القتال، وكانوا مساعير الشر والفساد والإفساد على الدوام.

●● معـادن الناس تظهـر على حقيقتهـا عند الابتـلاء والاختبار، فخيارُهم خيارُهم في الرخاء والشـدة، وشـرارُهم شـرارُهم في السرّاء والضرّاء! وسنوات المحن والابتلاء التي عاشها الصحابة ﭫ طيلة عصر الرسالة كانت كافية لتمحيص ما في قلوبهم وأنفسهم، حتى إذا أَسلَمَتْهم الأقدارَ إلى (فتنة الاقتتال)؛ برز معدنُهم الأصيل الذي لا تزلزله المحن العاتية!.

●● ولقد حفـظ التاريخ الصادق لأصحاب نبينا ﷺ أشـرفَ الأخلاق وأنبلَ المروءات وأكـرم المعاملات في ميادين القتال والجهاد مع الأعداء! وقد ذكرنا أمثلة ذلك من هدي أمير المؤمنين علي وهو يتعفف عن استلاب درع أحد المشركين عندما استقبله بعورته، فتركه وعَطَفَتْه عليه الرحم! فمن باب أَوْلى أن يبقى الصحابة على مثل هذه السـيرة فـي (قتال الفتنة) فيما بينهم، وفي قتال اجتهادي لا نص فيه ولا ملزِم له بل تركُه أولى.

●● وهذا ما تحقق فعلُه منهم، ووجودُه في روايات التاريخ السـليمة المسـتقيمة، حيث هيمنت أخلاق نبـلاء الرجال على وقائـع القتال بين

المتحاربين من الصحابة في الفريقين جميعاً. وجاءت عنهم روايات وأقوال ومواقف تؤكد ديمومةَ منهجهم وثباتَ مسيرتهم على ما تربوا عليه في أقسى الظروف وأفدح الابتلاءات. واستمرت بينهم وشائج الأخوة ولم تضعفها الفتن والقتال الذي أُلجِئوا إليه ولم يقصدوه ولا تمنوه.

•• ولم تكن بين الجيشين أحقاد، بل كل طرف ينافح عما يعتقده حقّاً، فلا غرابة إذا قال شاهد عيان هو أبو عبدالرحمن السُّلَمي: (شهدنا صفّين مع علي... فكنَّا إذا توادَعْنا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء)[١].

وبعد الفراغ من وقعة الجمل بايع الناسُ أميرَ المؤمنين، ومنهم موسى بن طلحة بن عبيد الله ومروان بن الحَكَم والأسرى وأهل الجمل.

يروي سوَّار الكِنْدي، عن موسى بن طلحة قال: (انطلقتُ فدخلت على أمير المؤمنين فسلَّمتُ، فقال: أتبايعُ، تدخلُ فيما دخل فيه الناس؟ قلت: نعم، قال هكذا؛ ومدَّ يده فبَسَطها، قال: فبايعتُه. ثم قال: ارجِعْ إلى أهلك ومالِك. قال: فلما رأى الناس قد خرجت، جعلوا يدخلون فيبايعون)[٢].

وكذلك دخل مروان بن الحكم على أمير المؤمنين علي وبايعه[٣].

---

(١) مجمع الزوائد: ٧/٢٤٠ـ٢٤١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٠، ورجاله ثقات.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٦.

(٣) سنن سعيد بن منصور: ٢/٣٣٧، بسند حسن.

وعن زيـن العابدين علي بن الحسـين بن علي قـال: (دخلتُ على مروان بن الحكَم فقال: ما رأيـتُ أحداً أكرمَ غلبةً من أبيك ـ يعني عليّاً ـ ما هـو إلا أن وَلَّينا يومَ الجمل، فنادى مناديه: لا يُقتـلُ مُدْبِر، ولا يُذَفَّفُ على جريح)(١).

٢ ـ من مواقف علي وكلماته:

•• عن عبد خير قال: (سُـئل عليٌّ عن أهل الجمل، فقال: إخوانُنا بَغَوا علينا فقاتلناهم، وقد فاؤوا وقد قَبِلنا منهم)(٢).

وروى الطبري مطوَّلاً عن علي: أنه قـال مخاطباً أهل الكوفة: (وقد دعوتُكم لتشـهدوا معنـا إخوانَنا من أهـل البصرة، فـإنْ يرجِعوا فذاك ما نريد، وإن يَلجُّوا داويناهم بالرفق)(٣).

وروى الزهري، عـن عبد الله بن صفوان قال: (قال رجل يوم صفِّين: اللَّهمَّ العَنْ أهلَ الشام! فقال علي: لا تسـبَّ أهلَ الشام جَمّاً غَفيراً؛ فإن بها الأبدالَ، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال)(٤).

بل في «نهج البلاغة» أن عليّاً نهى قوماً سـمعهم يَسبُّون أهلَ الشام فقال: (إنـي أكرَهُ لكم أن تكونوا سـبَّابِين)، وأَمرَهُـم أن يقولوا: (اللَّهمَّ احْقِنْ دماءَنا ودماءَهم، وأصلِحْ ذات بيننا وبينهم)(٥).

---

(١) سنن البيهقي: ١٨١/٨؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٣٧٣/١٦ (٧١٠٠).

(٢) سنن البيهقي: ١٨٢/٨؛ وبنحوه عند ابن أبي شيبة: ٧٠٧/٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٨٧/٤، وتعتضد مع ما سبقها إلى درجة الحسن.

(٤) أخرجه عبدالرزاق (٢٠٤٥٥)، وسنده صحيح؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٩.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٨/٦، وقد انحرف ابن أبي الحديد في تفسيره!.

●● وقد حزِن أعمقَ الحزن على استشهاد أخويه طلحة والزبير، وعبَّر عن ذلك بمواقف متنوعة، فعن زِرّ بن حُبَيْش قال: (استأذَنَ ابن جُرموز على عليٍّ وأنا عنده فقال عليٌّ: بَشِّرْ قاتلَ ابن صفية بالنار. ثم قال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبيٍّ حواريّاً، وحواريّ الزبير»)[1].

وزار عمران بن طلحة عليّاً، فرحَّب به وقال: (إني لأرجو أن يجعلَني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧])[2].

●● وعن يزيد الأَصمّ قال: (سُئل علي عن قتلى يوم صفِّين، فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصير الأمر إليّ وإلى معاوية)[3].

ويقول الصحابي سالم بن عبيد الأشجعي: (رأيتُ عليّاً بعد صفِّين، وهو آخذٌ بيدي، ونحن نمشي في القتلى، فجعل علي يستغفرُ لهم حتى بَلَغ أهلَ الشام، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنا في أصحاب معاوية! فقال عليٌّ: إنما الحسابُ علَيّ وعلى معاوية)[4].

٣ ـ أقوال ومواقف أكابر الصحابة الذين خالفوا عليّاً:

ـ قالت أم المؤمنين عائشة: (ننهض في الإصلاح ممن أمرَ الله عز وجل وأمر رسولُ الله ﷺ: الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى

---

(١) أخرجه أحمد (٦٨١)؛ والحاكم: ٣/٣٦٧ وصحّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٣/٢٢٤؛ والحاكم: ٣/٣٧٦ـ٣٧٧ وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٧٢٩؛ سنن سعيد بن منصور: ٢/٣٤٤ـ٣٤٥، وسنده حسن.

(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٢. وانظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧٢٥.

معروف نأمُركم بــه ونحضُّكم عليه، ومنكَرٍ ننهاكــم عنه ونحثُّكم على تغييره)[١].

وكانت تترحم على قتلى الطرفيــن ـ يوم الجمل ـ إذا ذُكروا، وقد ترحَّمتْ على طلحة والزبير وزيد بــن صُوحان ـ وهذا كان مع عليٍّ ـ فقــال خالد بن الواشــمة[٢]: يرحمــك الله، تترحمين عليهــم وقد قتل بعضُهم بعضاً؟ والله لا يَجمعُهــم الله في الجنة أبداً! قالَت: أَوَ لا تدري أن رحمة الله واســعة وهو على كل شــيء قديرٍ؟! فقال خالد: فكانت أفضَلَ مني[٣].

ـ وقبل وقعة الجمل أرســل أميرُ المؤمنين علي عبدَ الله بن عباس إلى طلحة والزبير يســألهما: هل أحدث عليٌّ ما يوجِب الســخطَ على خلافته، قال ابن عباس: (فقلتُ لهما: إن أخاكما يُقرئكما الســلام ويقول لكما: هل وجدتُمــا علَيَّ حَيْفاً في حُكْم أو اســتئثاراً بفَيءٍ، أو بكذا أو بكذا؟ فقال الزبير: ولا في واحد منها)[٤].

ـ ومعاوية وهو في انشغاله بوقعة صفِّين، بَلَغه أن ملك الروم طمع فيه وجاء بجنود عظيمة، فأرسل معاويةُ إليه يهدِّده قائلاً: والله لئن لم تنتهِ وترجِع إلى بلادك يا لعين، لأَصطلحنَّ أنا وابنُ عمي عليك، ولأخرجنَّكَ

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٢؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٣٦.

(٢) تابعي يروي عن عائشة.

(٣) سنن البيهقي: ٨/١٧٤، وسنده حسن؛ عصر الخلافة الراشدة، ص٤٥٩.

(٤) مصنف ابن أبي شــيبة: ٨/٧١٢؛ فضائل الصحابة، لأحمد: ٢/٥٩٦، بســند حسن.

من جميع بلادك، ولأضيقنَّ عليك الأرضَ بما رَحُبت! فعند ذلك خاف ملك الروم وانكَفَّ، وبعث يطلب الهدنة[١]!.

٤ ـ صحابة أجلاء آخرون ومواقفهم في الفتنة والقتال:

ـ كان أبو موسى الأشعري وأبو مسعود البدري يريان الكف عن القتال في الفتنة، وقد اعتزلا الفريقين، وكان عمار بن ياسر مع علي في حروبه، وعندما بعثه علي يستنفر أهلَ الكوفة لِلَّحاق به في البصرة، كانت هذه الواقعة:

يقول أبو وائل شَقيق بن سَلَمة: (دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيثُ بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرُهم، فقالا: ما رأيناك أتيتَ أمراً أكرَهَ عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذُ أسلمتَ! فقال عمار: ما رأيتُ منكما منذ أسلمتما أمراً أكرَهَ عندي من إبطائكما عن هذا الأمر!). (فقال أبومسعود ـ وكان موسراً ـ: يا غلام، هاتِ حُلَّتَيْن، فأعطَى إحداهما أبا موسى والأخرى عماراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة)[٢].

فانظر إلى هَدْي هؤلاء الصحابة الأجلَّاء وأخلاقِهم الرفيعة ونُبلِهم وصفاءِ قلوبهم ومحضِ نصحهم وإخلاصهم، مع اختلافهم في (قضية خطيرة جدّاً) وتقاولِهم فيها، يقوم أحدهم بكسوة الآخرَيْن حُلتين جديدتين، ثم يدخلون جميعاً المسجد ويشهدون الجمعة!.

---

(١) البداية والنهاية: ١١٩/٨.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٢ـ٧١٠٧).

ـ وعمار بن ياسـر كان صادقَ اللهجة، وكان لا تستخفُّه الخصومة إلى أن يَنتقص خصمه، فإنه شهِدَ لأم المؤمنين عائشة بالفضل التام مع ما بينهما من الحرب[1]. فعندما ذهب إلى الكوفة ليستنفرَ الناسَ، صعِدَ المنبر وقال: (إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجةُ نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلمَ إياه تطيعون أم هي). وفي رواية ابن أبي شيبة: (إن أُمَّنا سارت مسيرها هذا)[2].

وعن عَمْرو بن غالب: (أن رجلاً نالَ من عائشة عند عمار بن ياسر، فقال: اغْرُبْ مَقْبوحاً مَنْبوحاً، أَتؤذِي حبيبةَ رسول الله ﷺ ؟!)[3].

ـ ولمَّا عَلِم أمير المؤمنين عليٌّ أن رجلين نالا من أم المؤمنين عائشة بعد وقعة الجمل، فقال أحدُهما: (جُزِيتِ عنَّا أُمَّنا عُقوقاً)، وقال الآخر: (يا أُمَّنا توبي فقد خَطِيتِ!) بعث عليٌّ القعقاعَ بن عَمْرو فجاء بهما، فقال علي: أضربُ أعناقهما؟! ثم قال: لأُنهِكَنَّهما عقوبةً، فضربَهما مئةً مئةً، وأخرجَهما من ثيابهما[4]!.

فانظر إلى مواقف أولئك السادة النبلاء وأخلاقهم في الفتن الحالكة، وقِفْ طويلاً من موقف علي من ذَيْنك الرجُلَيْن اللذين قالا ما قالا في زوجة نبينا ﷺ، ثم ارجع النظر في ما يجترحه الرافضة قديماً وحديثاً من اتهام السيدة الجليلة المبرأة بالفاحشة، فماذا يكون

---

(١) الفتح: ٣٧٥/١٦ (٧١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠)؛ والترمذي (٤٢٢٧)؛ وابن أبي شيبة: ٧١٠/٨.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٢٦)؛ والحاكم: ٣٩٣/٣، وصححاه، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٤٠/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧.

موقف أمير المؤمنين علي ممن يدَّعون كذباً أنهم من أتباعه والمنتسبين إليه؟!.

خامساً: أعداد الصحابة الذين شاركوا في (قتال الفتنة):

●● عن عامر الشعبي قال: (بالله الذي لا إلـٰه إلا هو ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدريين ما لهم سابع، أو سبعة ما لهم ثامن)[1].

وعن الشعبي قال: (لم يشهد الجملَ من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار إلا علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب!)[2].

وعن محمد بن سيرين قال: (هاجت الفتنة وأصحابُ رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما خَفَّ فيها منهم مئة بل لم يبلغوا ثلاثين)[3].

قلتُ: إسناده إلى ابن سيرين صحيح، لكنه مرسَل؛ فابنُ سيرين عندما هاجت الفتنة كان ابنَ أربع سنين!.

وأما قول الشعبي بأنه لم يشهد الفتنة إلا سبعة أو ثمانية من المهاجرين والأنصار؛ فهو مبالغةٌ شديدة غير مقبولة تخالِف الواقعَ

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٠؛ وبنحوه في تاريخ خليفة، ص ١٨٦؛ وتاريخ المدينة، لابن شبة: ١/٢٨١؛ ونقله ابن تيمية في منهاج السُّنَّة: ٣/٦٥٨.

(٣) علل أحمد برواية عبد الله (٤٧٨٧)؛ منهاج السُّنَّة: ٣/٦٥٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٥٣.

المشهودَ كما سيأتي عند تفصيل القول في تلك الحروب، وقد انتقد الذهبي ذلك فقال: (وكان الشعبي يبالغ ويقول...) فذكر قوله[١].

●● وقد عارض هذين الخبرين ما هو أقوى منهما وأكثر وأصح:

ـ عن سعيد بن جُبير قال: (كان مع عليٍّ يوم الجمل ثمانُ مئة من الأنصار وأربعُ مئة ممن شهد بيعة الرضوان)[٢].

وهو مرسَل سنده صحيح.

ـ وروى المطلب بن زياد، عن السُّدِّي قال: (شهِد مع عليٍّ يوم الجمل مئةٌ وثلاثون بدريّاً، وسبعُ مئة من أصحاب النبي ﷺ)[٣].

وهذا مرسَل أيضاً يعتضد مع سابقه، ويقوِّيهما الخبرُ المتصل الصحيح التالي:

ـ عن عبدالرحمن بن أَبْزَى قال: (شهِدْنا مع عليٍّ ثمانُ مئة ممن بايع بيعةَ الرضوان، قُتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر)[٤].

وسنده صحيح، وعبدالرحمن صحابي شهد الوقعة، فكلامه فصلٌ في المسألة.

---

(١) تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين»، ص ٤٨٤.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٨٤؛ تاريخ الإسلام، الموضع السابق.

(٣) تاريخ الإسلام، الموضع نفسه.

(٤) تاريخ خليفة، ص ١٩٦؛ تاريخ الإسلام، ص ٥٤٥.

وقد ذكر خليفة بن خياط والذهبي وغيرهما جمهرةً من مشاهير الصحابة الذين شهدوا وقعة صفين مع علي ومعاوية، رضي الله عنهم جميعاً[1].

ـ وقدَّمنا كلامَ الإمام الطبري في المسألة وقتال الفتنة، وما قرره الإمام النووي من أن معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام على أنه يجب نصر المُحِق في الفتن. وأيَّده الحافظ فقال: (ومن ثَمَّ كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفِّين أقلَّ عدداً من الذين قاتلوا)[2].

ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب ولا من هذا الجانب). وقال في موضع آخر: (وأكثر السابقين الأولين اعتزلوا القتال)[3].

●● وقد فهم بعض المعاصرين[4] كلامَ ابن تيمية على غير وجهه، فظنَّ أنه يرى أن (أكثر الصحابة) لم يشتركوا في القتال، وفرق كبير بين قول ابن تيمية: (أكثر أكابر الصحابة) و(أكثر السابقين الأولين)، وبين قول غيره: (أكثر الصحابة).

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٤ـ١٩٦؛ تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين»، ص ٥٤٤ـ٥٤٧.

(٢) تقدم: ص٥٠٨ حاشية (٢، ٣) في هذا الكتاب.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٥/٥٥؛ منهاج السُّنَّة: ١/٣٣٦، ٣/٤٢.

(٤) انظر: أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص ١٤٧، ١٨٣؛ الإنصاف، لحامد الخليفة، ص ٣٤٢ـ٣٤٤.

وحاول هذا البعض أن يردَّ على النووي وابن حجر قولَهما، واحتجَّ بمرسَل ابن سيرين، ولم يذكر أو لم يقف على خبر الصحابي ابن أبزى وقد شهد الوقعة، وهو نصٌّ في محل النزاع.

ومن عجب أن الدكتور حامد الخليفة يقول عن رواة (مرسل سعيد بن جبير): إن ميولهم عدائية للصحابة[1]! وليته نظر في إسناد الخبر في «تاريخ خليفة»، إذاً لوجد ما يُبطِل كلامه، ورجال السندِ هُم: أبو غسان النَّهْدي: ثقة ثبت، ويعقوب القُمي: صدوق، وجعفر بن أبي المغيرة: ثقة. ثم ماذا يقول الدكتور الفاضل في خبر ابن أبزى؟!.

سادساً: ندم رؤوس الصحابة على القتال في الجمل وصفين:

عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي ﷺ، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[2].

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أدرك الطرفان مدى الفاجعة والخسارة الفادحة، وحلَّتْ مراجعةُ النفس محلَّ الغضب، وفتَّت الندم قلوبَهم، بل إن الألم والندم تملكا القادة خلال القتال[3].

---

(١) كتابه: الإنصاف، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣٦/٣، وانظر: ٣/ ٢٩٣.

(٣) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

●● عن أبي صالح: أن عليّاً قال يوم الجمل حين أخذتِ السيوف مأخذَها من الرجال: (لوَدِدْتُ أنّي مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة)(١).

وعن الحسن بن علي قال: (لقد رأيتُ عليّاً حين اشتدَّ القتال، وهو يَلُوذُ بي ويقول: يا حسنُ! لوَدِدْتُ أنّي مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة!)(٢).

وإنما يَلوذ عليٌّ بابنهِ الحسن ليبثَّ إليه آلامَه وأحزانَه ونَدمَه، أما الشجاعة فعليٌّ ليث الوغى!.

●● عن محمد بن قيس قال: (ذُكر لعائشة يومُ الجمل، قالت: والناس يقولون: يوم الجمل؟! قالوا: نعم، قالت: وَدِدْتُ أني كنتُ جلستُ كما جلس أصحابي، فكان أحبَّ إليَّ من أن أكون وَلدتُ من رسول الله ﷺ بضعةَ عشر كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ومثل عبدالله بن الزبير!)(٣).

وقالت عائشة: (وَدِدتُ أني كنتُ غصناً رطباً ولم أَسِرْ مسيري هذا)(٤).

●● يقول عَلْقمة بن وقّاص اللّيثي ـ وهو شاهد عيان ـ: (رأيتُ طلحة بن عبيد الله وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضاربٌ بلحيتِه

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٩/٨؛ الفتن، لنعيم (١٦٩)، وسنده صحيح.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢١/٨؛ الفتن، لنعيم (١٧٦)، وسنده صحيح. وانظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٨٩/٢ـ٩٠؛ والمطالب العالية: ٣٢/٤.

(٣) مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٣٧٠/١٦، وفيه ضعف؛ وأخرجه بأخصر منه من طريق آخر: ابن أبي شيبة: ٧١٦/٨ـ٧١٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٨/٨، وسنده صحيح.

على زَوْره، فقلتُ له: يـا أبا محمد، إني أراكَ وأحـبُّ المجالس إليك أخلاها، وأنت ضـاربٌ بلحيتِك على زَوْرِك، إنْ كنـتَ تكره هذا الأمرَ فدَعْه، فليس يُكرِهُك عليه أحد! قال: يا علقمة بن وقّاص، لا تَلُمْني، كنَّا أمس يداً واحدة على مَن سوانا، فأصبحنا اليوم جبلَيْن من حديدٍ يزحفُ أحدُنا إلى صاحبِه!)[1].

وتقدم قول الزبير أنه كان يقـرأ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ويقول: (لم نكن نَحْسِب أنَّا أهلُها، حتى وقعتْ منا حيثُ وقعَتْ!)[2].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الحاكم: ٣/١١٨، ٣٧٢، وقال الذهبي: سنده جيد.

(٢) تقدم: ص٥٠٩ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

الفصل الثاني

سَيرورةُ الأحداثِ من وقتِ بيعةِ عليٍّ إلى بدايةِ الفتنةِ وموقعةِ الجَمَل

أولاً: توصيف واقع المسلمين غداة بيعة علي، والموقف من قتلة عثمان:

●● لما استقر أمرُ بيعة علي خليفةً للمسلمين، دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة، فقالوا: (يا عليّ، إنا قد اشترطنا إقامةَ الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلُّوا بأنفسهم. فقال لهم: يا إخوتاه، إني لستُ أجهلُ ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يَمْلِكوننا ولا نملكهم؟! هاهُمْ هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانُكم، وثابَتْ إليهم أعرابُكم، وهم خِلالَكم يَسُومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لِقُدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله. إن هذا الأمر أمرُ جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادةً؛ وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قط فيبرح الأرضَ من أخذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فِرْقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفِرْقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعَها وتُؤخَذ الحقوق. فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا)[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٣٧/٤؛ المنتظم: ٧٠/٥؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٣/٥.

فلم يكن ثمة اختلاف بين أميـــر المؤمنين علي وبين الفريق الآخر من الصحابة في تطبيق الشـــريعة وإقامة الحدود، وإنما كان الخلاف في توقيت ذلك: فكان عليٌّ يرى الإرجاءَ والتمهلَ حتى تســـتقر أمور الدولة وتقوى شـــوكتها وتضمحلّ قوة القتلة ويتفرقوا بيـــن قبائلهم. والصحابة الآخرون يريدون الإسراعَ في القصاص والأخذ بدم عثمان. والذي دفع عليّاً ليتخذ ذلك الرأي هـــو ما لاحظه من تكاثر عدد القتلة، ومن ضَوَى إليهم وأيّدهم من الرَّعاع والأعراب[1].

ورأى عليٌّ كثرة السَّبِئيَّة وتســـلُّطَهم على المدينة، فضاق بهم ذَرْعاً، وأراد أن يخفـــف من وطأتهم بصرفِ الغوغاء إلـــى بلادهم، فنادى بهم فقـــال: برئت الذمَّة من عبـــدٍ لم يرجع إلـــى مواليه. فتَذامَرت الســـبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلُها، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء[2]!.

ثم كرَّر الأمرَ في اليـــوم الثالث وخرج على الناس فقـــال: (يا أيها الناس، أخرجـــوا عنكم الأعـــرابَ، وقال: يا معشـــر الأعـــراب الحقوا بمياهكم. فأبت السَّـــبَئِيَّة وأطاعَهم الأعراب! ودخـــل عليٌّ بيته، ودخل عليه طلحـــة والزبير وعدَّة من أصحاب النبـــي ﷺ، فقال: دونكم ثأرَكم فاقتلوه! فقالوا: عَشَـــوْا عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعشـــى وآبَى، وقال:

لـــو أنَّ قومي طاوَعَتْني سَـــرَاتُهم   أَمرتُهُـــم أمراً يُديـــخُ الأعاديا)[3]

---

(١) انظر كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٥٥٤ـ٥٥٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٣٨/٤.

(٣) المرجع السابق نفسه. عشوا: أعرضوا.

ولقد كانت (مقاضاةُ قتلة عثمان وإنفاذُ القصاص فيهم) أخطرَ قَضية تواجه أمير المؤمنين عليّاً، وكان ابن عباس نبَّهه إلى خطورة الموقف قبل تقلُّده أمرَ الخلافة فقال: (إن الناس سيلزموك دم عثمان)[١]، فقد كانت المأساة تملأ النفوس بالحزن والندم على عدم بذل الوسع في الذَّود عن الخليفة الشهيد!.

وكان عليٌّ بين تيارين قويين:

التيار الأول: يتمثل في المشاركين والمحرضين على قتل عثمان، وهم كثيرٌ ولهم اختلاطٌ شديد بجيش عليٍّ وتأثيرٌ نافذ على قبائلهم، وأميرُ المؤمنين غير قادر على إنفاذ القصاص عليهم. وعذرُه في أنه لا يمكنه قتلُ قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد الأمر شرّاً وبلاءً، ودفْعُ أفسدِ المفسدتين بالتزام أدناهما أَوْلَى من العكس، لأنهم كانوا عسكراً، وكان لهم قبائل تغضب لهم، والمباشِر منهم للقتل ـ وإن كانوا قليلاً ـ فكان رِدؤهم أهلَ الشوكة، ولولا ذلك لم يتمكنوا[٢].

والتيار الآخر: يتمثل بطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، وكانوا يضغطون بقوة لإنفاذ القصاص بقتلة عثمان، يرون أن عليّاً تخلَّى عن القصاص[٣]. ولم يَعذروه في سياسته التي تميل إلى إماتة الفتنة وتخطيها بعدم إيقاع القصاص حتى يستتبَّ له الأمر ويدخل في بيعته الناس

---

(١) مصنف عبدالرزاق: ١١/٤٤٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٣.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٣/٩٠.

(٣) الفتح: ١٦/٣٣٦، ٣٧٢ـ٣٧٣؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٤.

جميعاً. كما أنه صرَّح بأنه لا يعلم القتلة بأعيانهم فقال: (والله لَودِدتُ أن بني أمية رضوا لنفّلناهم خمسين رجلاً من بني هاشم يحلفون: ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلاً)(١).

•• وهذه النصوص والمواقف تبيِّن لنا حجمَ القوى الضاغطة على الخليفة وعلى المجتمع المسلم، وتتمثل في ثلاث قوى:

الأولى: إقامة حدٍّ من حدود الله لا يمكن التفريط به أو التهاون فيه، وذلك بالقصاص من قتلة الخليفة الشهيد عثمان.

الثانية: قوة المجتمع المسلم الثقيلة الراسخة المتمثلة في عامة الصحابة وبخاصة أكابرُهم، والتي تلحّ على إقامة حد القصاص وعدم التأجيل.

الثالثة: القتلة من السَّبئِية وأعوانهم وأتباعهم ومادتهم، وكانوا عدداً ضخماً وعُظْمهم غير مشخَّصين ولا محدَّدين، ولا طاعةَ للخليفة عليهم، ولا يمكنه إقامة الحدِّ على نَفَر بأعيانهم.

كما تبين النصوص ضخامةَ المأساة في حدوثِ شَرْخ كبير في (جسم الخلافة وقرارها السياسي) والخلافِ بين أمير المؤمنين علي وبين أكابر الصحابة حول كيفية ووقت إقامة الحد؛ فالخليفة يتصرف من واقع الرجل المسؤول عن الإسلام والأمة والدولة، ويتحمل جميع تبعات أي قرار يُبرِمه. والصحابةُ المخالفون له في الرأي يرون التعجيل

---

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢/٣٣٥ـ٣٣٦ (٢٩٤٢) بسند صحيح.

بإقامة الحد، ولا يُطيقون رؤيةَ القتلة يعيشون في المدينة مطمئنين ولهم قوة وسطوة، وهؤلاء الصحابة يتصرفون بدافع المسؤولية أيضاً لكنها دون مستوى مسؤولية الخليفة.

وبسبب هذا وذاك حارت الأفهام وتباينت الاجتهادات، مما أدى إلى سيرورة الأحداث والتصرفات من الفُرقاء في اتجاهات متباينة، وجوُّ الفتنة ورجالُها زاد في المأساة آلاماً وأضاف إليها شروخاً أخرى!.

ثانياً: ثلاثة اتجاهات (في الحجاز) دفعت أحد الفرقاء للخروج إلى البصرة:

•• رأى الصحابة قوة السبئية وسطوتهم، وعَجْزَ الخليفة عن لَجْمِهم فضلاً عن البطش بهم وتأديبهم؛ فتوزَّعت آراؤهم وتعددت تصرفاتهم:

قام طلحة وقال لأمير المؤمنين علي: (دَعْني فلآتِ البصرة فلا يَفْجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظرَ في ذلك. وقال الزبير: دَعْني آتِ الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك)[1].

وظن كثير من القرشيين أن الخوارج السبئية سيزداد شرُّهم وتعلو سطوتُهم أكثر، بعد أن تمردوا على أمر الخليفة وعَصَوه، فهرب بنو أمية من المدينة، مما جعل الخليفة يشتدُّ على قريش؛ (وحالَ بينهم وبين الخروج على حالٍ)[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٣٨.

(٢) المرجع السابق: ٤/٤٣٧.

وهذا مما زاد نفورَ كثير من رجال قريش وطائفة من الصحابة، ويعبِّر ابن كثير عن ذلك فيقول: (لمَّا وقع الأمر هكذا، واستحوذوا ـ السبئية ـ عليه، وحَجَبوا عنه عِلْيَةَ الصحابة؛ فرَّ جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار فأَذِن لهما، فخرجا إلى مكة، وتبعهم خلقٌ كثير وجَمٌّ غَفير!)[١].

وقدم إلى مكة سائر بني أمية، وقدم عليهم عبدالله بن عامر من البصرة، ويعلى بن أمية من اليمن[٢].

●● وفي مكة كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناسَ أن عثمان قد قُتل، أقمن بمكة ينتظرن ما يصنع الناس[٣]. وبرز دور أم المؤمنين عائشة بينهن، وكان القادمون من المدينة إلى مكة يقصدونها ـ لرفعة منزلتها ـ ويبثُّون إليها أحزانهم، وهي تتسقط منهم أخبار الناس، حتى تواتر عندها سطوةُ السبئية وهيمنتهم على المدينة وتأثيرهم على (القرار السياسي).

والتقت عائشة بطلحة والزبير ومن معهما فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: وراءنا أنَّا تحمَّلنا بقلِّيَّتنا هُرَّاباً من المدينة من غوغاء وأعراب، وفارَقْنا قوماً حيارى لا يعرفون حقّاً ولا يُنكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسَهم. قالت: فائْتِمروا أمراً، ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء. وتمثّلت:

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٣٠ ـ ٢٣١؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٤٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠.

(٣) البداية والنهاية: ٧/٢٣٠.

ولو أنَّ قومي طاوَعَتْني سَـرَاتُهم لأَنْقَذْتُهم من الحِبـال أو الخَبْلِ[١]

وبعد نظر طويل في أمرهم اجتمع ملؤهم على المسير إلى البصرة، وقالت السـيدة عائشـة: أيها الناس، إن هذا حدثٌ عظيـم وأمرٌ منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم مـن أهل البصرة فأنكِـروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله ﷻ يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم[٢].

●● وجماعة من أكابر الصحابة والسابقين كانوا يراقبون الأحداث، ويتبصَّرون في مآلاتها ويقدِّرون خواتمها وعواقبها؛ فيجدون فتناً جامحة تضطرب فيها الأفهام وتزلُّ فيها الأقدام، فاجتهـدوا في أمرها ورأوا أن الاعتزال أسـلَمُ، وأن القاعدَ خيـرٌ من القائم والقائمَ خيرٌ من الماشـي والماشي خير من الساعي ـ كما ثبت في الحديث الصحيح ـ، فاعتزلوا الجميع وقعدوا في بيوتهم، ومن هؤلاء: سـعد بن أبـي وقّاص، وابن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مَسْلَمة، وأبو بَكْرة، وسَلَمة بن الأكوع، وزيد بن ثابت، وعمران بن حُصين، وأُهْبان بن صَيْفي، وغيرهم.

وهكذا أصبح المسلمون ثلاثة فرقاء سلكوا ثلاثة اتجاهات:

١ ـ الخليفة ومعه جمهـور كبير من الصحابة يـرون التريُّثَ حتى تستقر أوضاع الدولة وتقوى شوكتُها، عندئذٍ يتتبع الذين تلطّخت أيديهم بدم عثمان مباشرة ويُقام عليهم حد القصاص.

---

(١) تاريخ الطبـري: ٤/٤٥٠؛ المنتظم: ٥/٨٠، **تحمَّلنا بقلِّيَّتنـا**: أي لم نَدَعْ وراءنا شيئاً.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣١.

٢ ـ طلحة والزبير وعائشة ومعهم كثير من الصحابة والتابعين ـ وكذلك معاوية في أهل الشام ـ يرون السعيَ في الإصلاح والتقوي بأهل البصرة والإسراع في معاونة الخليفة للقبض على السبئية والغوغاء وكسر شوكتهم، والتعجيل في إقامة الحد على من يستحقه منهم، وأنه لا رخصة في تأجيل ذلك.

٣ ـ الفريق الثالث يتمثل في الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة والخوض فيها، وعدم مشاركة أحد الفريقين السابقين.

ثالثاً: بدايات مسير طلحة والزبير وعائشة ومن معهم من مكة إلى البصرة:

لما مضت أربعة أشهر[1] ـ أي: في ربيع الآخر ـ على بيعة علي دون أن يُنفذ القصاص، خرج طلحة والزبير إلى مكة، ومنها جمعوا مؤيديهم الذين بلغ عددهم (٧٠٠) رجل، وانطلقوا إلى البصرة مستهدفين القبضَ على القتلة من أهلها وإنفاذَ القصاص فيها، ثم المسير إلى المدينة لإتمام المهمة الخطيرة بالتعاون مع الخليفة. وقد بلغ عددُهم عند وصولهم إلى البصرة (٣٠٠٠) رجل، حيث التحق الناس بهم في الطريق إليها[2].

---

(١) جاء هذا في مرسَل الزهري بإسناد صحيح إليه: تاريخ الطبري: ٤/٤٥٢؛ ونقل الحافظ في (الفتح: ١٦/٣٧٢) عن «أخبار البصرة» لعمر بن شبة بسند جيد: أنهم توجَّهوا بعد أن أهلَّت السنة، وهو كلام مطلَق قيَّدَه كلامُ الزهري.

(٢) مصنف عبدالرزاق: ٥/٤٥٦؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٥٢؛ الفتح: ١٦/٣٦٩ نقلاً عن «أخبار البصرة» بسند صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ.

وكان الصحابي يعلى بن أمية والياً لعثمان على صنعاء، فلما قُتل عثمان كان يعلى قدم حاجّاً ومعه (٦٠٠) بعير و(٦٠٠ ألف درهم)، فانضم إليهم وأعانهم بالمال والظَّهْر، واشترى لأم المؤمنين عائشة جملاً يقال له: (عسكر)[١].

وانطلقوا من مكة إلى البصرة، وجرَتْ لهم أحداث ومواقف في أثناء الطريق وعند وصولهم البصرة، سيأتي تفصيلها في الفصل التالي.

رابعاً: أهل الشام يرفضون مبايعة علي حتى يقيم حدَّ القصاص، ويَردّون واليه، فيتجهز لإخضاعهم للطاعة:

●● لما استشهد عثمان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مخضب بدمه، ومعه أصابع نائلة بنت الفُرَافِصة ـ زوج عثمان ـ التي أُصِيبت حين حاجَفَتْ عنه بيدها، فقُطعت مع بعض الكَفّ، فَوَرد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلَّق الأصابع في كم القميص، ونَدَب الناسَ إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه، وقام معه جماعة من الصحابة يحرِّضون الناس على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من أولئك الخوارج السبئية[٢].

وعندما بويع عليٌّ بالخلافة عزم على تغيير ولاة عثمان، فنصحه المغيرة وابن عباس بأن يتركهم في ولاياتهم حتى يتمكن، وأن يقرَّ

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٣، ٤٥٠؛ العواصم من القواصم، ص ١٥١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣١؛ الفتح: ١٦/٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٦٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٢٨.

معاوية ـ خصوصاً ـ على الشـام، فأبى ذلك، وغيَّر بعض الولاة، وبعث سَهْل بن حُنيف على الشام، فخرج حتى إذا كان بتبوك لقيَتْه خيلٌ وردُّوه من حيث أتى! ورفض أهل الشام البيعة، فعزم علي على قتالهم وتجهز لذلك(١).

فمعاويةُ ومَن معه من الصحابة في أهل الشـام كان مجتهداً متأوِّلاً فـي توقفه عن بيعة علي، حتـى يبادر إلى القصاص مـن قتلة عثمان، وكان يغلـب على ظنِّـه أن الحق معه، واحتج بقولـه تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسـراء: ٣٣]، فهو ابنُ عم عثمان ووليّ دمه، وأجابه أهل الشـام جميعاً إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلـك، وأعطوه العهود والمواثيق علـى أن يبذلوا أنفسـهم وأموالهم حتـى يُدركوا ثأرَهـم أو يُفني الله أرواحهم(٢).

وكتب أمير المؤمنيـن علي إلى معاويـة كتباً يأمره فيهـا بالطاعة والبيعة، ومن ثَمّ يتـم القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية يشـترط قتل القتلة أولاً أو تسـليمهم إليـه لأنه ولـيُّ دم عثمان. ثم بعـث معاوية (طوماراً) مع رجل، فدُخل به على عليٍّ، فقـال: ما وراءك؟ قال: جئتُك من عند قوم لا يريدون إلا القودَ كلهم موتور(٣).

---

(١) تاريـخ الطبـري: ٤/٤٤٢ـ٤٤٤، ٤٥٥ـ٤٥٦؛ كتابي: نبوءات الرسـول ﷺ: ٢/٩٨.

(٢) وقعة صفين، ص ٣٢؛ تحقيق مواقف الصحابة، ص ٤٦٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٣ـ٤٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٠.

فعزم علي على قتال أهل الشام، وبعث إلى بعض ولاته ليستنفروا الناس لذلك، وحَثَّ هو الناس على ذلك، وخطب في أهل المدينة فقال: (إنَّ في سلطان الله عصمةَ أمركم، فأعطوه طاعتكم غير مَلْوِيَّة ولا مستكرَه بها... انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرِّقون جماعتكم، لعل الله يُصلح بكم ما أفسَد أهلُ الآفاق، وتقضُون الذي عليكم)[١].

وتجهز علي ورتب الجيش وخرج من المدينة، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج في جيشه من المدينة قاصداً الشام؛ فبَيْنَا هم كذلك إذ جاء الخبرُ من مكة أن جيشاً على رأسه (طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة) انطلَقوا يريدون البصرة، فتعبَّى أمير المؤمنين علي للخروج إليهم وقال: (إنْ فعلوا هذا فقد انقطَع نظامُ المسلمين، وما كان عليهم في المقام فينا مَؤُونة ولا إكراه!)، فاشتدَّ على أهل المدينة الأمرُ، فتثاقلوا عن المسير مع الخليفة إلى البصرة[٢].

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٥ـ٤٤٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٦؛ المنتظم: ٥/٧٨.

الفصل الثالث

موقعةُ الجَمَل، مقدماتُها ووقائعُها ونتائجُها

أولاً: خروج جيش من مكة إلى البصرة وعلى رأسه (طلحة والزبير وعائشة) وهدفهم:

●● خرج الجيش من مكة المكرّمة إلى البصرة وعلى رأسه طائفة من الصحابة في مقدمتهم طلحة والزبير، وقد أشاروا على الصدِّيقة أم المؤمنين عائشة بالخروج معهم، وذلك لِما يوقن به جميع الصحابة والصالحين من بعدهم من حُرمتها رضي الله عنها؛ لأنها زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين[1]، وبنت الصديق الأكبر، ولمكانتها السامية عند رسول الله ﷺ وجميع المؤمنين، ولفضلها ودينها وعلمها وفقهها، فضلاً عن أنها من أهل الاجتهاد والورع والحرص على مصالح المسلمين، وأنها مرجعٌ للناس في المعضلات، وقد أخذ عنها كبار الصحابة ومن بعدهم.

لكل هذا رَجا الصحابة من خروجها الخيرَ والبركة والصلاح والإصلاح وجَمْع الكلمة وتوحيدَ الصف وكفكفة الفتنة ولَجْمَ مؤرِّثيها.

---

(١) انظر: العواصم من القواصم، ص ١٥٦.

وقالوا لها: (اشْخَصي معنا إلى البصرة، فإنَّا نأتي بلداً مُضَيَّعاً، وسَيحتجُّون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب، فتُنْهِضيهم كما أنهضتِ أهلَ مكة، ثم تقعدين، فإنْ أصلَحَ الله الأمرَ كان الذي تريدين، وإلا احتسبنا ودَفَعْنا عن هذا الأمر بجَهْدنا حتى يقضي الله ما أراد. فلما قالوا ذلك لها ـ ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها ـ قالت: نعم)[١].

واحتجوا عليها بقول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤][٢].

ولمّا وقع لها في الطريق (نُباح كلاب الحَوْءَب) وهَمَّت بالرجوع، قالوا لها: (بل تقدمين فيراكِ المسلمون، فيُصلح الله ذات بينهم)[٣].

•• وكان خروج هذا الجيش إلى البصرة للتقوي بأهلها في إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، والتفاهم مع أمير المؤمنين علي والانضمام إليه لإتمام ذلك الهدف وكسر شوكة السبئية وإلغاء هيمنتهم على الدولة وقرارها السياسي، وإعادة كلمة الأمة إلى ما كانت عليه من الوحدة والألفة وتجنيبها الفتن والفتانين[٤].

يقول كُليب بن شهاب ـ شاهد عيان تابعي صدوق ـ: (لمَّا قُتل عثمان أتانا الخبر ونحن راجعون من غزاتنا... فانتهينا إلى البصرة، فلم نلبثْ إلا قليلاً حتى قيل: هذا طلحةُ والزبير معهما أم المؤمنين، فراعَ

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٠ـ٤٥١.
(٢) العواصم من القواصم، ص ١٥٦.
(٣) الفتح: ١٦/٣٦٩، شرح الحديث (٧٠٩٩).
(٤) انظر: العواصم من القواصم، ص ١٥٥، ١٥٦، ١٦٣.

ذلك الناسَ وتعجبوا! فإذا هم يزعمون للنــاس أنهم إنما خرجوا غضباً لعثمان وتوبةً ممــا صنعوا من خذلانه، وإن أم المؤمنيــن تقول: غَضِبنا لكم على عثمان في ثلاث: إمــارة الفتى وضربة الســوط والعصا. فما أنصفناهُ إنْ لم نغضَبْ له عليكم في ثلاث جررتموها إليه: حرمة الشهر والبلد والدم)[1].

وقد تكرر قول أم المؤمنين عائشــة ـ كما سيأتي ـ أنهم إنما جاؤوا للإصلاح.

ولما سُئل الزبير عن سبب قدومهم إلى البصرة، قال: (نُنْهِض الناسَ فيُدرَك بهذا الدم لئلا يُبْطَل، فإن في إبطاله توهينَ سُلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يُفْطَم الناس عن أمثالها لم يبقَ إمامٌ إلا قتلَه هذا الضَّرْب)[2].

ثانياً: قصة (ماء الحَوْءَب):

وفي طريقهم إلى البصــرة وقعت لهم حادثة تحققــت فيها (نبوءة نبوية)[3] تحفظها أم المؤمنين عائشة وتعِيها وترويها، ولمَّا وقعت كادت السيدة أن ترجع أَدْراجها!.

عن قيس بن أبي حازم قال: (لمَّا بَلغَتْ عائشة بعضَ مياه بني عامر ليلاً، نَبحت الــكلابُ عليها، فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟ قالــوا: ماءُ الحَوْءَبِ،

---

(١) تاريــخ الطبــري: ٤/٤٩٠؛ الفتــح: ١٦/٣٧٢ـ٣٧٣ (٧١٠٠)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٠، وسنده حسن.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٦١.

(٣) انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٧٥ـ٧٩.

فوقفتْ فقالت: ما أَظُنُّني إلا راجعةً! فقال لها طلحة والزبير: مهلاً رحمكِ الله، بل تَقْدَمِين فيراكِ المسلمون، فيُصلِحُ الله ذاتَ بينهم. فقالت: ما أُظنُّني إلا راجعةً؛ إني سمعتُ رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: «**كيفَ بإحداكنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوْءَب**»!)[1].

وفي رواية: (أنها ضَربتْ عَضُدَ بعيرِها فأناخَتْه، وقالت: ردُّوني، ردُّوني، أنا والله صاحبةُ ماء الحَوْءَب)! فقال لها الزبير: ترجعين؟! عسى الله أن يُصلِح بكِ بين الناس. فقَبِلَتْ ذلك من الزبير، واستمرت في مسيرها إلى البصرة، وتابع الناس طريقهم معها، من أجل الإصلاح، وإنفاذِ القصاص من قتلة عثمان[2].

ثالثاً: وصول الجيش إلى البصرة والسيطرة عليها:

اقترب الجيش من البصرة، فكتبت أم المؤمنين إلى الأحنف بن قيس وغيرهِ من وجوه الناس أنها جاءت، فبعث إليها أميرُ البصرة عثمان بن حُنيف رسولين: الصحابي عمران بن حُصين والتابعي أبا الأسود الدُّؤَلي، ليعلما ما جاءت به. فسلّما وقالا: إن أميرنا بعثنا إليكِ نسأَلُك عن مسيرك، فهل أنتِ مُخبرتنا؟ فقالت: والله ما مِثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يُغطِّي لبنيه الخبر.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٧٠٨/٨؛ وأحمد: ٥٢/٦، ٩٧؛ وابن حبان (٦٧٣٢)؛ وأبو يعلى (٤٨٦٨)؛ والحاكم: ١٢٠/٣، وغيرهم؛ وصحَّحه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٧٧/٢ـ١٧٨؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٢١٢/٦؛ والحافظ في الفتح: ٣٦٩/١٦؛ والألباني في الصحيحة (٤٧٤).

(٢) نبوءات الرسول ﷺ: ٧٧/٢؛ البداية والنهاية: ٢٣١/٧ـ٢٣٢.

وذكرتْ لهما أنها جاءت للطلب بدم عثمان، لأنه قُتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام، وتلت قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقالت: (نَنهض في الإصلاح ممن أمر الله ﷻ وأمر رسول الله ﷺ، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضُّكم عليه، ومنكَر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره).

ودخلا على طلحة والزبير يستعلمانِ خبرَهما وسببَ خروجهما، فقالا مثل قول أم المؤمنين عائشة[1].

فعادا إلى أمير البصرة عثمان بن حُنيف وأوقفاه على حقيقة الأمر، فخشي من الفتنة على المسلمين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارَتْ رَحَا الإسلام وربِّ الكعبة!.

فاستشار عثمانُ الصحابيَّ الجليل عمرانَ بن حُصين، فأشار عليه بالتهدئة والتسكين، وقال له: (اعتزِل، إني قاعد فاقعد)، فقال عثمان: (بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي)[2].

وأتاه الصحابي هشام بن عامر ونَصحه بالتروِّي بمثل رأي عمران، وقال: (يا عثمان، إن هذا الأمر الذي تروم يُسْلِم إلى شرٍّ مما تكره، إن هذا فتقٌ لا يُرْتَق، وصدْعٌ لا يُجبر، فسامِحْهم حتى يأتي أمرُ علي ولا تحادّهم).

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦١ ـ ٤٦٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٢.

فأبى عثمان ونادى في الناس وأمرَهم بالتهيُّؤ، ولبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع[١].

فانقسم أهل البصرة ثلاث فِرق:

الأولى: حبَّذتْ خروجَ أم المؤمنين عائشة ومن معها، وانضمت إليهم لمعونتهم على الإصلاح.

والثانية: بقيتْ على ولائها لأمير البصرة عثمان بن حُنيف، وأنكرتْ على السيدة عائشة ومن معها خروجَهم.

والثالثة: اعتزلت الفريقين.

وأقبل جيش طلحة والزبير حتى انتهوا إلى (المِرْبَد)[٢] وأقاموا في ميمنته،وخرج عثمان بن حنيف بجيشه ونزل في ميسرته.

وقام طلحة فذكر فضل أمير المؤمنين عثمان وأنه قُتل مظلوماً، وأنهم جاؤوا لإقامة حدِّ القصاص على قتلته وفي البصرة طائفةٌ منهم، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته.

فقال مَنْ في الميمنة: صَدَقا وبرّا، وقالا الحق، وأمرا به، وقال من في الميسرة: فَجَرا وغدرا، وقالا الباطل، وأَمَرا به! فتحاثى الناس بالتراب، وتراموا بالحجارة. ولمَّا تكلمت السيدة عائشة، فحثَّت الناس

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣.

(٢) **مربد البصرة**: موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلد.

للأخذ بثأر عثمان، وقَتْل قتلته افترق جيش ابن حنيف فرقتين: فرقة ثبتت معه، والأخرى انضمت لجيش عائشة[1].

وأقبل حُكَيْم بن جَبَلة ـ وكان على خيل ابن حُنيف، وممن باشَرَ قتل عثمان بن عفان ـ فأَنشب القتال، وجعل أصحابُ أم المؤمنين يكفُّون أيديَهم ويمتنعون من القتال، وجعل حُكَيْم يقتحم عليهم، فاقتتلوا على فم السكة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى (مقبرة بني مازن)، وحجز الليل بينهم.

فلما كان اليوم الثاني غدا حُكيم وهو يُبربر[2] وفي يده الرمح، فقال له رجل من عبدالقيس: من هذا الذي تسبُّ؟ قال: عائشة! قال: يا ابنَ الخبيثة، أَلأمِّ المؤمنين تقول هذا؟! فوضع حُكيم السنانَ بين ثدييه فقتله! ثم مرَّ بامرأة وهو يسبُّ أم المؤمنين، فأنكرتْ عليه، فقتلها أيضاً برمحه، ثم سار فلما اجتمع أصحابه قاتلوهم، ومنادي عائشة يُناشِدهم ويَدْعوهم إلى الكَفِّ فيأبَون! فلم يجدْ أصحاب عائشة بُدّاً من قتالهم، فتصدوا لهم وأذاقوهم من بأسهم، فلما مَسَّهم الشر وعضَّتْهم الحرب؛ نادوا أصحابَ عائشة إلى الصلح، فأجابوهم[3]!.

لم يتوقف حُكَيم بن جَبَلة عن غيِّه وشرِّه وولوغِه في الفتنة وإثارة القتال، فلما ذهب طلحة والزبير ومن معهما إلى المسجد فوافقا صلاةَ

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣ـ٤٦٥.

(٢) يُكثِر الكلامَ في جلبة وصياح وغضب وتخليط.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٦ـ٤٦٧؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١٠٩؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٣.

العشاء، وقد أبطأ عثمان بن حُنيف، فقدَّما عبدَ الرحمن بن عتَّاب يصلي بهم، فوقعت فتنة من رَعَاع البصرة أتباعِ حُكيم، لكنه صلَّى العشاء والفجر، ودخل قوم إلى عثمان بن حُنيف في قصره، فوطِئوه ونتفوا شعره، فلما علم طلحة والزبير استعظما ذلك، وأرسلا إلى عائشة بالذي كان، فأمرت أن يُخلى سبيله، فأطلقوه[١].

عن محمد ابن الحنفيَّة قال: (قدِم عثمانُ بن حُنيف على عليٍّ بالرَّبَذة، وقد نَتفوا شعر رأسِه ولحيته وحاجبيه، فقال: يا أمير المؤمنين، بعثتني ذا لحية وجئتُك أمردَ! قال: أصبتَ أجراً وخيراً)[٢].

•• وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حُنيف على البصرة وفرَغتْ من أميرها[٣]، وأصبح حُكيم بن جَبَلة في خيله على رِجْل[٤] فيمن تبعه من عبدالقيس، ومَن نزع إليهم من أفناء ربيعة، ثم وَجَّهوا نحو (دار الرزق)، وجعل يشتم أمَّ المؤمنين عائشة، فسمِعَتْه امرأة من قومه فقالت: يا ابنَ الخبيثة، أنت أَوْلى بذلك! فطعنها فقتلها. فغضبتْ قبيلة عبدالقيس إلا من كان اغتمر منهم ـ أي: شارك في الفتنة والخروج على أمير المؤمنين عثمان ـ فقالوا: فعلتَ بالأمس وعُدْتَ لمثلِ ذلك اليوم! والله لَندعَنّك

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٣؛ العواصم من القواصم، ص ١٥٨ـ١٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٦. وانظر خبر القبض على (ابن حنيف) في: مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧٢٠؛ الفتح: ١٦/٣٧٤.

(٣) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٣٤.

(٤) أي: مشمِّر للأمر قائم به.

حتى يُقيدَكَ الله، فرجعوا وتركوه. ومضى حُكيم فيمن غزا معه الخليفةَ عثمان وحَصَره من نزَّاع القبائل كلها.

فنادى منادي طلحة والزبير: (مَن لم يكن من قتلة عثمان فَليكفُفْ عنّا، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً)، فأنشَبَ حُكيم القتال ولم يُرَعْ للمنادي، فقال طلحة والزبير: (اللَّهمَّ لا تُبقِ منهم أحداً، وأَقِدْ منهم اليوم فاقتُلْهم).

وكان حُكيم رأسَ الفتنة في البصرة، ويقود فرقة من (٣٠٠) رجل، وجميعُ من معه (٧٠٠) رجل، واشتد القتال، وكان حُكيم ذا بأس، وتصدَّى له رجل من الحُدَّان يقال له: ضُخَيم، فضرب عنقَه، فمال رأسُه فتعلَّق بجلده، فصار وجهه في قفاه[١]!.

●● وهرب أتباع حُكيم، ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة: (ألا من كان فيهم من قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة، فليأتِنا بهم. فجيءَ بهم كما يُجاء بالكلاب، فقُتلوا، فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد منعوه، وكان من بني سعد، فمسَّهم في ذلك أمر شديد)[٢].

واستقر أمر البصرة بيد طلحة والزبير، وقوي موقفُهم باستيلائهم على بيت المال وفيه الذهب والفضة[٣]، وكتبوا إلى أهل الشام بالذي جرى معهم، وحثّوهم على النهوض بمثل ما نهضوا به من الأخذ بدم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٠ـ٤٧٤؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٣ـ٢٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٢؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١١٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٨، وسنده صحيح.

عثمان، وكذلك بعثـوا إلى أهل الكوفة، وإلى أهـل اليمامة، وإلى أهل المدينة. وكان مما كتبته عائشة لأهل الكوفة:

(إنـا قدِمْنا البصرة فدعوناهـم إلى إقامة كتـاب الله بإقامة حدوده، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبَلَنا مَن لا خير فيه بالسلاح، وقالوا: لنُتْبِعنَّكُم عثمانَ! ليزيدوا الحدود تعطيلاً... فمكثنا سـتّاً وعشـرين ليلةً نَدْعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده ـ وهو حَقْنُ الدماء أن تُهراق دون مَن قد حَلَّ دمُـه ـ فأبَوْا واحتجوا بأشـياء، فاصطلَحْنـا عليها، فخافوا وخانوا وغدروا، فجمع الله عز وجل لعثمان ثأرَهم، فأقادَهُم، فلم يُفْلِت منهم إلا رجل.. فالزمـوا الرضا إلا عن قتلة عثمان بـن عفان، حتى يأخذ الله حقَّه، ولا تخاصموا الخائنين، ولا تمنعوهـم، ولا ترضوا بِذُوِيٍّ حدودِ الله، فتكونوا من الظالمين)[1].

وكانت هذه الوقعة في (٢٥ ربيع الآخر من سنة ٣٦هـ). وأتى الخبر بجميع ما جرى إلـى أمير المؤمنين علي[2] وهـو (بالثَّعْلَبِيّة)، وهي من منازل طريق مكة من الكوفة، وهي ثلثا الطريق.

رابعاً: خروج علي من المدينة لِلّحاق بجيش (أصحاب الجمل) لمنعهم من دخول البصرة، ففاتوه، وسؤالات على الطريق:

أدرك أميـر المؤمنين علي خطـورة الموقف ومـا يمكن أن يجر الخلاف إليه مـن تمزيق وحدة الأمـة والدولة، وأن مـن واجبه بذل

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٢ـ٤٧٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٤، ٤٨١؛ المنتظم: ٥/٨٥.

الجهد لتوحيد الكلمة وإعادة كل من خرج عن أمره إلى الطاعة والجماعة.

فخرج علي على تعبيته التي تعبَّى بها إلى الشام، واستنفر أهلَ المدينة للخروج معه، فاجتمع له نحو (٧٠٠) رجل، وتثاقلَ عنه عددٌ من كبار الصحابة لأنهم رأوا أنها أحداث فتنة ينبغي عدم الدخول فيها، وخرج من المدينة متجهاً إلى العراق، وقد عسكر في الرَّبَذة حيث أُضيف إلى جنده مئتا رجل، فأصبح الجميع (٩٠٠) رجل[١].

وكان خروجه في (آخر ربيع الآخر من سنة ٣٦هـ)[٢]، وهو يرجو أن يدرك (طلحة والزبير ومن خرج معهما من مكة إلى البصرة) في الطريق؛ فَيَحُول بينهم وبين الخروج، فلما وصل الربذة تبيَّن له أنهم فاتوه[٣]!.

وتابع عليٌّ مسيره نحو الكوفة من الرَّبذة إلى فَيْد إلى الثَّعلَبية، حتى إذا دنا من الكوفة مال إلى (ذي قار) بين الكوفة والبصرة، ومن هناك بعث رجالاً يستنفرون أهل الكوفة لمساندته.

١ ـ نصائح لعلي بعدم الخروج من المدينة:

كان الحسن بن علي في أمر القتال يخالف أباه ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع علي رضي الله عنه في آخر الأمر إلى رأيه[٤]! وحاول الحسن ثنيَ

---

(١) أنساب الأشراف: ٤٥/٢، بسند حسن؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥١.

(٢) الفتح: ٣٦٩/١٦ (٧٠٩٩).

(٣) تاريخ الطبري: ٤٥٥/٤؛ البداية والنهاية: ٢٣٤/٧.

(٤) مجموع الفتاوى: ١٢٥/٣٥.

أبيه عن الذهاب إلى العراق، وهو يبكي لِما أصاب المسلمين من الفرقة والاختلاف، لكن عليّاً رفض ذلك وأصرَّ على إعادة المعارضين له إلى الطاعة محتجّاً ببيعتهم له بالمدينة[١].

روى طارق بن شهاب ـ وقد جاء إلى عليٍّ وهو بالرَّبذة ـ قال: (قام الحسن بن علي فقال لأبيه: ألم أقلْ لكَ: إن العرب ستكون لهم جولة عند قَتْل هذا الرجل[٢]؟ فلو أقمتَ بدارِك التي أنت بها ـ يعني بالمدينة ـ فإني أخافُ أن تُقتل بحال مَضْيَعة لا ناصرَ لك! فقال علي: اجلس، إنما تَخِنُّ كخَنِينِ الجارية!)[٣].

كذلك نصحه الصحابي الجليل عبدالله بن سَلَام فقال: (لا تأتِ العراق، وعليك بمنبر رسول الله ﷺ فالزَمْه... فوالله لئن تركتَه لا تراه أبداً!)[٤].

وصدق ابن سلام فلم يروَ أن عليّاً عاد إلى المدينة بعد ذلك.

٢ ـ سؤالات على الطريق:

لم يكن أمير المؤمنين علي في مسيره هذا يمشي في عَماء، ولا هو يقود الأمة لأجل فرض سيطرته، بل كان يسعى إلى وحدة الصف وجمع

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥١.

(٢) يريد عثمان بن عفان.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٥/٨ بسند حسن؛ والحاكم بأخصر منه: ١١٥/٣؛ ورواه الطبري مطولاً في تاريخه: ٤٥٥/٤ـ٤٥٦.

(٤) تاريخ الطبري: ٤٥٥/٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥١، وانظر ما تقدم: ص ٤٠٤ في هذا الكتاب.

الكلمة وصلاح أمر المسلمين، وتوطيد الأمن ووحدة الدولة وتجنيب الأمة شرّاً أكبر وفساداً أعم.

ولهذا لم يتحرَّج من الإجابة على الملأ بكلام واضح صريح لا تقيَّة فيه عن هدفه وغايته من خروجه هذا، وبقي ـ كما كان طيلة عهده ـ جريئاً صلباً قويّاً صريحاً مع كل من سأله في أي ظرف وأي مكان.

وكذلك كان عامة من سار معه يريدون الخير والصلاح للأمة، ويلتزمون بالمبادئ التي تربوا عليها، ولم يستسلموا للألقاب الكبيرة ولو كان ذاك هو أمير المؤمنين، فكانوا لا يسيرون مسيراً إلا على الهدى والجَليَّة والقناعة.

وهذا بخلاف أولئك السبئية المجرمين المندسين في صفوفهم، والذين لولا فسادهم وإفسادُهم وخبثُ طويَّتهم وسوءُ أعمالهم، لكانت أخلاق فريق أمير المؤمنين وفريق (أصحاب الجمل)؛ كفيلةً بتحقيق الصلاح والإصلاح وحقن الدماء ووحدة الكلمة وإقامة حدود الله تعالى.

لقد صدرت من رجال من جيش عليّ سلسلة تساؤلات تعبّر عما يَجيش في صدورهم من هواجس الخوف من حدوث صراع بين المسلمين، يزيد من اتساع هوة الخلاف وتفريق الكلمة وهَرَاقة الدماء... إنهم يخافون من المخبوء في الظلام، ويرهبون من المحنة وراء ذاك الخروج إذا التقوا مع إخوانهم في الفريق الآخر، وفي الفريقين صحابة أجلاء وصالحون كرام.

ـ سأله رفاعة بن رافع الأنصاري فقال: (يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إنْ قبِلوا منّا وأجابونا إليه. قال: فإنْ لم يجيبوا إليه؟ قال: نَدَعُهم بعذرهم، ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضَوْا؟ قال: نَدَعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذاً)[١].

ـ وفي حديث طويل يرويه الحسن البصري يقول: (لمَّا قدِمَ عليٌّ البصرة في أمر طلحة وأصحابه، قام عبد الله بن الكَوَّاء وقيس بن عُبَاد فقالا: يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن مسيرِك هذا: أوصيةً أوصاك بها رسول الله ﷺ، أم عهداً عهده عندك، أم رأياً رأيتَهُ حين تفرَّقت الأمة واختلفَتْ كلمتُها؟)، فذكر حديثاً طويلاً وفي آخره: (فأخبرنا عن هذين الرجلين ـ يعنيان طلحة والزبير ـ هما صاحباك في الهجرة، وصاحباك في بيعة الرضوان، وصاحباك في المشورة؟ فقال: بايَعَاني في المدينة، وخالَفَاني بالبصرة، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر خلَعَه لقاتلناه، ولو أن رجلاً ممن بايع عمرَ خلَعَه لقاتلناه)[٢].

ـ ولمَّا قدِمَ أهل الكوفة إلى عليٍّ وهو بذي قار، قام منهم رجال فسألوه عن سبب خروجه وتوجُّهِه بهم إلى البصرة، فقام فيمن قام الأعور بن بُنان المِنْقَري فسأله عن مقدمه وغايته، فقال له علي: (على الإصلاح وإطفاء النائرة، لعلَّ الله يجمع شملَ هذه الأمة بنا ويضَعَ

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٩؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٥. ووقع في اسم (رفاعة) خلط والصواب ما أثبته، فرفاعة هو الذي حضر مع علي حروبه.

(٢) تقدم مطولًا مع تخريجه: ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ في هذا الكتاب، وهو حديث صحيح.

حربَهم وقد أجابوني. قال: فإنْ لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإنْ لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا. قال: فهل لهم مثلُ ما عليهم من هذا؟ قال: نعم).

وقام إليه رجلان آخران فسألاه عن مخرجه ومجيء أصحاب الجمل، فأجابهما بنحو ما تقدم[١].

●● والمتأمل في سلسلة هذه التساؤلات يرى تقاربها في مخاوفها من مخاطر الخروج، وتطابقها في أهدافها وغاياتها ومسعاها، سواء تلك التي صدرت من أهل المدينة أو من أهل الكوفة، ويتأكد لديه أن المسار العام للمسلمين ومحور تفكيرهم وعملهم إنما هو إصلاح ذات البين، وتحقيق اجتماع الأمة، وإقامة حدود الشرع، وصفاء القلوب بين الفريقين والشعور الأخوي بينهما، مع اختلاف الاجتهاد، وإعذار بعضهم بعضاً في ذلك.

خامساً: غموض المستقبل واختلاف الاجتهادات وخروجهم للإصلاح:

●● كان مقتل أمير المؤمنين عثمان حَدَثاً مهولاً أحدث زلزلة في المجتمع المسلم، وظهر عمق المأساة فيما أحدثَتْه من شرخ كبير في الصف الإسلامي؛ أدى إلى تباين كبير في الأفهام واختلاف شديد في الاجتهادات، وتباعد خطير في المواقف على المسرح السياسي للمحنة.

ـ فجماعة من أكابر الصحابة قد اختلفوا فيما بينهم على مسالك شتى، فبينما كان أحدهم يستنقذ أخاه من فم الموت، أضحى الآن يعتزل

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٥ـ٤٩٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٩.

عنه كما يعبر عن ذلك موقف أسامة بن زيد من علي حيث يقول له: (لو كنتَ في شِـدْق الأسـد لأحببتُ أن أكون معك فيه، ولكنَّ هذا أمرٌ لم أرَه!)[1].

- بل كان الابـن يختلف مع أبيه، كما جرى بين الحسـن بن علي وأبيه أمير المؤمنين.

- وكان الحزن يهيمن على أفئـدة الجميع؛ فالذين خرجوا على أمر عليٍّ وذهبوا إلى البصرة حتى سـيطروا عليها؛ (بالرغم من أن مطالبتهم بإنفاذِ الحكم الشرعي يقوي موقفَهم ويُشعل حماستهم، إلا أن غموض المسـتقبل وما قد ينطوي عليه من ضياع الوحدة بين المسلمين وسفكِ دمائهم؛ يبعث فيهم إحساسـاً أليماً وأحياناً تردداً واضحاً، لكنهم مضوا إلى أقدارهم بنفوس مثقلة بالهموم)[2]!.

- ووقع الفرقاء جميعاً فـي دوامة التفكير في الخلاص من المحنة، وتوجَّسـوا من عواقـب كل خطوة يتخذونهـا أو عملٍ يُقدمـون عليه. والرجلُ العاقـل البصير الخبير منهـم يَحار في موقفـه كأنه يبصر ولا يبصر، ولا يدري أيُقبل أم يُدْبِر، كما عبَّر الزبير عن ذلك فقال: (إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمرٌ قطُّ إلا علمتُ موضـعَ قدمي فيه، غير هذا الأمر فإني لا أدري أَمُقْبِل أنا فيه أم مُدْبِر!)[3].

(١) صحيح البخاري (٧١١٠).
(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٤٥.
(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٦.

ينظر طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة من يجابهون، فإذا أمير المؤمنين علي الذي بايعوه! ويتوقف الخليفة فيرى في مخالفيه إخواناً عظاماً قد تقدمت لهم من الله سوابق وفضائل وفي مقدمتهم الزبير وطلحة وعائشة زوج النبي ﷺ، فيحار عقله في المخرج والمواجهة وعواقبها!.

لقد كان المستقبل غامضاً عند الجميع، وكلهم يتخوف من النتائج، ولذا فإنهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها؛ ندم جميع الصالحين وبخاصة رؤوس الصحابة في الفريقين على ما تقدم منهم، وتمنوا أنهم ماتوا ولم يروه!.

●● ولقد أكدت مجريات الأحداث ومواقف الصحابة وأقوالهم عمقَ مأساة الجميع، والغموضَ الذي اكتنفهم وألقى بظلاله وعقابيله على نتائج اجتهاداتهم!.

١ ـ لمَّا بلَغ أهلَ المدينة ما كان من خروج (طلحة والزبير وعائشة) في جيش مكة إلى البصرة، ورأوا اختلافَ الكلمة؛ اشتدَّ عليهم الأمر، ودعاهم علي للخروج معه، فتثاقل كثير منهم وقالوا: (لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لَمشتبِهٌ علينا، ونحن مقيمون حتى يُضيء لنا ويُسْفِر!).

وطلب الخليفةُ عبدَ الله بن عمر ـ وهو أحد أكابر الصحابة ـ وقال له: انهض معي، فقال ابن عمر: أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم، فإنْ يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٦؛ المنتظم: ٥/٧٨ـ٧٩.

٢ ـ ومثله موقف أسامة بن زيد وقد تخلَّف عن الخروج مع علي وقال: (هذا أمر لم أره)[(١)].

٣ ـ وتروي عُدَيْسة بنت الصحابي أُهْبان بن صَيْفي فتقول: (لمَّا جاء علي بن أبي طالب هاهنا، البصرةَ، دخل على أَبي فقال: يا أبا مسلم، ألا تُعِينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، فدَعَا جارية له فقال: يا جاريةُ أَخْرِجي سيفي، فأخرجَتْه، فَسَلَّ منه قدْرَ شِبْرٍ فإذا هو خشبٌ! فقال: إنَّ خليلي وابنَ عمك ﷺ عَهِد إليَّ: «**إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتَّخِذْ سيفاً من خشب**»، فإنْ شئتَ خرجتُ معك، قال: لا حاجةَ لي فيك ولا في سيفِك!)[(٢)].

٤ ـ ويقول الزبير بن العوام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]: (لقد تلوت هذه الآية زماناً وما أُراني من أهلها، فأصبحنا من أهلها!)[(٣)].

٥ ـ وعبَّر طلحة عن جلالة الرُّزْء الذي نَزل بهم بعد خروجهم وحدوث الكارثة، فقال: (كنَّا أمس يداً واحدة على مَن سوانا، فأصبحنا اليوم جبلَيْن من حديد يزحفُ أحدُنا إلى صاحبه!)[(٤)].

٦ ـ ومثلُ ذلك ما حَصَل لأم المؤمنين عائشة عندما نبحتْها كلابُ الحَوْءَب، وقد همَّت بالرجوع، ثم غيَّرت رأيها رجاءَ الإصلاح.

---

(١) تقدم: ص ٥٥٢ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩) وحسنه؛ وابن ماجه (٣٩٦٠).

(٣) الطيالسي (١٩٢)؛ وتقدمت رواية أخرى: ص ٥٠٩ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

(٤) تقدم بتمامه: ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ في هذا الكتاب.

٧ ـ وهكذا جرى لجماعة من وجوه الناس وأمرائهم، الذين حيَّرهم الأمر، ومنهم الأحنف بن قيس أحد زعماء بني تميم، وقد طلب منه الزبير بن العوام الانضمامَ إليهم، فقال: (فأتاني أفظعُ أمرٍ أتاني قطُّ، فقلت: إن خِذلاني قوماً معهم أم المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ لَشديدٌ! وإن قتالي ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ وقد أمروني ببيعته لشديد!)[١].

ـ لم يخرجوا لقتال بل للإصلاح:

●● مما تقدم من أخبار وأحداث ومواقف، وسيأتي مزيد من مثلها ـ يتبين أن الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم لم يخرجوا لقصد القتال[٢]، وكذلك أمير المؤمنين علي خرج لردِّهم قبل وصولهم إلى البصرة، وما كان يظن أن الأمور تنتهي إلى ما انتهت إليه؛ وقد أوصاه النبي ﷺ فقال: «**إنه سيكون بعدي اختلافٌ أو أمرٌ، فإن استطعتَ أن تكون السَّلْمَ فافعلْ**»[٣].

فلما أنشَبَ القتالَ أصحابُ الفتنة من السبيئين وأتباعهم وأجَّجُوه، ورأى الناس الدماء؛ ندم أكابر الصحابة من الفريقين وتمنَّوا أنهم لم يخرجوا، وقد روى حَبيب بن أبي ثابت: (أن عليّاً قال يوم الجمل: اللَّهمَّ ليس هذا أردتُ، اللَّهمَّ ليس هذا أردتُ)[٤].

---

(١) المطالب العالية: ٤/٢٩٧ـ٣٠٠؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٩٧ـ٤٩٩؛ وذكره الحافظ في الفتح وصحَّحه: ١٦/٣٣٧ (٧٠٨٣).

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٣٩.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٦٩٥) وصحَّحه أحمد شاكر.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٥.

(وأهل العلم يعلمون أن طلحة والزبير لم يكونا قاصدَيْن قتالَ علي ابتداءً، وكذلك أهل الشام لم يكن قصدهم قتالَه، وكذلك عليٌّ لم يكن قصدُه قتالَ هؤلاء ولا هؤلاء.

ولكن حرب الجمل جرى بغير اختياره ولا اختيارهم، فإنهم كانوا قد اتفقوا على المصالحة وإقامة الحدود على قتلة عثمان، فتواطأت القتلة على إقامة الفتنة آخراً كما أقاموها أولاً، فحملوا على طلحة والزبير وأصحابهما، فحملوا دفعاً عنهم، وأشعروا عليّاً أنهما حملا عليه، فحمل علي دفْعاً عن نفسه، وكان كل منهما قصده دفْعَ الصِّيال لا ابتداءَ القتال)[1].

وقرّر مثلَ هذا الإمامُ ابن حزم اعتماداً على مجريات الأحداث وصريح أقوال الصحابة[2].

●● وإنما كان خروج (طلحة والزبير وعائشة) من أجلِ الإصلاح وإقامة حد القصاص، وكذلك امتناعُ أهل الشام عن البيعة حتى تُقام الحدود على القتلة، وسيتضح هذا بجلاء في حواراتهم مع علي ورسله قُبيل المعركة وبعدها.

وبمثل هذا الوضوح والصراحة كانت مواقف أمير المؤمنين علي مع الفرقاء جميعاً، وقد وقف خطيباً في أهل الكوفة فقال: (وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخوانَنا من أهل البصرة، فإنْ يرجعوا فذاك الذي نريده،

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٧٣٣/٣.

(٢) انظر: الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحل: ١٥٧/٤ ـ ١٥٨.

وإن أبَوْا داوَيْناهم بالرِّفق حتى يبدؤونا بالظلم، ولم نَدَعْ أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى)[١].

وعندما اتفقـوا على الصلح قُبيل وقعة الجمـل خطب علي الناس ملمِّحاً إلى السـبيئة القتلة ومؤجِّجي الفتنة، فقال: (ألَا وإني راحلٌ غداً فارتحِلوا، ألَا ولا يرتحلنَّ غداً أحدٌ أعانَ على عثمان بشـيءٍ في شـيءٍ من أمور الناس، ولْيُغنِ السفهاءُ عني أنفسَهم!)[٢].

سادساً: علي يستنفر أهل الكوفة للخروج معه إلى البصرة:

وصل أميـر المؤمنين علي بمن خـرج معه من أهـل المدينة إلى (الرَّبَذة)، وتابع مسـيره حتى نزل (بذي قار) بين البصرة والكوفة، ومن هناك بعث رجالاً إلى الكوفة يستنفرون أهلها لمساندته.

●● لما استُشهد عثمان كان أبو موسى الأشعري واليهِ على الكوفة، وقد أقرَّه علي نـزولاً على رغبة أهل الكوفة بواليهم الجليل وسياسـته وفضله وعلمه[٣].

وكان علي يسأل عن أبي موسـى وبخاصة عندما أراد الخروج إلى العراق، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة (فسـأله علي عن أبي موسـى، فقال: إن أردتَ الصلح فأبو موسى صاحبُ ذلك، وإنْ

(١) البداية والنهاية: ٢٣٧/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٩٣/٤؛ المنتظم: ٨٦/٥.

(٣) انظر ما تقدم من كلامنا على ولاية الكوفة: ص٤٦٦ ـ ٤٦٧ في هذا الكتاب.

أردتَ القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريدُ إلا الإصلاحَ حتى يُردَّ علينا، قال: قد أخبرتك الخبر)[١].

وأرسل عليٌّ من الربذة رسولين لاستنفار الكوفيين، وهما: محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فأخفقا في مهمتهما لأن أبا موسى والي الكوفة التزم موقف اعتزال الفتنة وحذَّر الناسَ من المشاركة فيها، ودخل عليه أهل الحِجَى فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال أبو موسى: إنما هما أمران: القعودُ سبيل الآخرة، والخروجُ سبيل الدنيا، فاختاروا. فلم ينفِر إلى علي أحد[٢]!.

فعاد الرسولان إلى علي، فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر، فبعث من هناك عبد الله بن عباس والأشتر النخعي، فلم يُجِبْهما أبو موسى إلى ما قدِما لأجله، وقام فخطب أهل الكوفة وبيَّن لهم أن الخوض فيما يجري (فتنةٌ صمَّاء؛ النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب. فكونوا جُرْثومة[٣] من جراثيم العرب، فأغمِدوا السيوف، وأنصِلوا الأسنَّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلومَ والمضطهدَ، حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة)[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٠.

(٢) المرجع السابق: ٤/٤٧٨، ٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٣) جرثومة الشيء: أصله.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٢ ـ ٤٨٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٦. و(بعثُ عليٍّ ابنِ عباس) أخرجه ابن أبي شيبة: ٨/٧٢٠؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ١٦/٤٧٣ (٧١٠٠).

وروى أبو موسى، عن النبي ﷺ: أنه قال في الفتنة: «**كَسِّروا قِسِيَّكُم، وقطِّعوا أوتارَكُم، واضْربوا بسيوفكم الحجارةَ، فإنْ دُخِل على أحدِكم فليكنْ كخيرِ ابنَيْ آدم**»[1].

وكان لهذا الموقف الصلب من والي الكوفة أبي موسى تأثير كبير في أهلها، فلم يخفُّوا لطلب الخليفة ورسولَيْه، لكن عليّاً كان مصمماً على المضي في قراره، فأرسل رسولين آخرين هما: ولده الحسن بن علي وعمار بن ياسر.

عن عبدالله بن زياد الأسدي قال: (لمَّا سار طلحةُ والزبير وعائشة إلى البصرة، بعثَ عليٌّ عمار بنَ ياسر وحسنَ بن علي، فقدِما علينا الكوفة فصَعِدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المِنْبر في أعلاهُ وقام عمارٌ أسفلَ من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعتُ عماراً يقول: إنَّ عائشة قد سارتْ إلى البصرة، والله إنها لزوجةُ نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله تبارك وتعالى ابتَلاكُم لِيَعْلَمَ إيَّاهُ تُطِيعون أم هي)[2].

وقد لامَ أبو موسى عماراً على تسرُّعه في الخروج وحضِّه الناسَ على النفير والانضمام إلى أمير المؤمنين لِما قد يؤدي ذلك إلى القتال، وعمار عابَ على أبي موسى إبطاءَه في الاستجابة لأمر الخليفة، ولكل منهما اجتهاده وعذره[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)؛ وابن ماجه (٣٩٦١)، وغيرهما، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠)، وانظر ما تقدم: ص٥١٨ ـ ٥٢٠ رقم (٤) في كتابنا هذا.

(٣) انظر: الفتح: ٣٧٦/١٦.

•• وجرى حوار بين أبي موسى والحسن بن علي، فأقبل الحسن على أبي موسى وقال له: (لِم تُثبِّط الناس عنَّا؟! فوالله ما أردنا إلا الإصلاحَ، ولا مِثلُ أمير المؤمنين يُخاف على شيء. فقال: صدقتَ بأبي أنت وأمي! ولكنَّ المستشار مؤتَمَن؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكون فتنة القاعدُ فيها خير من القائم، والقائمُ خير من الماشي، والماشي خير من الراكب**»، قد جعلنا الله ﷻ إخواناً، وحرم علينا أموالَنا ودماءنا، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ الآية [النساء: ٩٣]!.

فغضب عمار بن ياسر، وثار الناس عليه، إلا أن أبا موسى استطاع أن يهدِّئهم ويَكفَّهم عنه. وقد اقتنع جمهور من أهل الكوفة بالخروج بعد محاورات طويلة مع الحسن بن علي، فخرجوا معه في نحو (٩٠٠٠) رجل[١].

وبَلَغ من نُبل الصحابة وصدق نياتهم وأصالة أخلاقهم التي تربوا عليها؛ أنهم لزِموها في أقسى الأزمات واستفحال الخِلاف الذي قد يؤدي للاقتتال، وتجلى ذلك في مواقف عديدة منها تلك الكلمة الرائعة التي أعلنها السيد الجليل الحسن بن علي في أَتُون الخلاف واحتدامه؛ قال الحسن: (إن عليّاً يقول: إني أذكِّر الله رجلاً رعَى الله حقّاً إلا نفر، فإنْ كنتُ مظلوماً أعانني، وإنْ كنت ظالماً أخذلني! والله إن طلحة والزبير

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٢ـ٤٨٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٦ـ٢٣٧.

لأولُ من بايعني ثم نكثا، ولم أستأثر بمالٍ، ولا بدَّلتُ حكماً). قال: فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل[1].

وتلك الشهادة الرفيعة من عمار بن ياسر في أم المؤمنين عائشة حيث يقول: (إنَّ أُمَّنا سارت مسيرَها هذا، وإنها والله زوجُ محمد ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله ابتلانا بهذا ليعلمَ إياه نطيع أم إياها!). وهذا من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحرِّيه قولَ الحق[2].

•• وبعد هذا الاستنفار التحق ما بين (ستة آلاف إلى سبعة آلاف رجل) بجيش علي بذي قار، والتحق به (ألفان) من أهل البصرة من عبدالقيس قبيلة حُكيم بن جَبَلة، كما التحق به كثير من قبائل أخرى؛ حتى بلغ جيشه حوالي (اثني عشر ألف رجل)، منهم ثمان مئة من الأنصار وأربع مئة ممن شهد بيعة الرضوان[3].

سابعاً: وصول جيش علي إلى البصرة، ومحاورات مع طلحة والزبير، واتفاق على الصلح:

الحقيقة الساطعة التي أكَّدتها مواقفُ أكابر الفريقين في جيش علي

---

(١) الفتح: ٣٧٤/١٦، نقلًا عن: أخبار البصرة، لابن شبة، بسند صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨؛ الفتح: ٣٧٥/١٦؛ تاريخ خليفة، ص ١٨٤. وانظر ما تقدم: ص٥١٩ في هذا الكتاب.

(٣) مصنف عبدالرزاق: ٤٥٦/٥ـ٤٥٧؛ تاريخ الطبري: ٥٠٦/٤؛ تاريخ خليفة، ص ١٨٤، بطرق متعاضدة ترتقي إلى الصحيح. انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٣.

وجيش طلحة والزبير: أن غايتهم جميعاً الإصلاح والتوافق لإقامة الحدود وإطفاء الفتن وتسكين الأمور وتجنُّب أي مواجهة أو قتال، بخلاف ما شاع في كتب التاريخ والأدب والأسمار قديماً وحديثاً من أكاذيب حول سعي الصحابة للقتال والغدر، وما صدر منهم من الاتهامات والشتائم المُقذِعة المتبادلة؛ مما نزَّهَهم الله تعالى عن ذلك كله!.

عندما قدِمَتْ جموعُ أهل الكوفة على أمير المؤمنين علي بذي قار، قام فيهم فقال: (يا أهل الكوفة، أنتم وَليتم شوكةَ العجم وملوكهم، وفَضَضتُم جموعَهم، حتى صارت إليكم مواريثُهم، فأغنيتم حَوْزَتكم، وأعنتُم الناس على عدوِّهم. وقد دعوتُكم لتشهدوا معنا إخوانَنا من أهل البصرة، فإنْ يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجُّوا داويناهم بالرفق، وبايَنَّاهم حتى يبدؤونا بظُلم، ولن نَدَعَ أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله)[1].

ثم أكَّد عليٌّ رضي الله عنه هذا المنهج بأن قام يستبرئ خبر إخوانه الذين سيطروا على البصرة، وعلى رأسهم طلحة والزبير، ليعرف ما الذي أخرجهم وماذا يريدون، وليذكِّرهم اللهَ تعالى والحرصَ على وحدة الأمة، فبعث الصحابي العبقري القعقاع بن عَمْرو، وقال له: (القَ هذين الرجلين ـ طلحة والزبير ـ فادعُهما إلى الألفة والجماعة، وعَظِّم عليهما الفُرْقَة).

فخرج القعقاع حتى قدِم البصرة، فبدأ بأم المؤمنين عائشة، فسلَّم عليها، وقال: (أَيْ أمَّه، ما أَشخَصكِ؟ وما أقدمكِ هذه البلدة؟ فقالت: أي

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٧.

بُنيَّ، إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما فجاءا.

فقال: إني سألتُ أم المؤمنين ما أشخَصَها وما أقدَمَها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قال: متابعان.

قال: فأخبراني، ما وَجْهُ هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنُصلحنَّ، ولئن أنكرناه لا نُصلح.

قالا: قتلةُ عثمان، فإنّ هذا إنْ تُرِكَ كان تركاً للقرآن، وإن عُمِلَ به كان إحياءً للقرآن.

فقال: قد قتلتُما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليومَ؛ قتلتم ست مئة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلتَ ـ يعني حرقوص بن زهير ـ فمنعه ستة آلاف وهم على رِجل[1]، فإن تركتموهم كنتم تاركين لِما تقولون، وإنْ قاتلتموهم والذين اعتزلوكم، فأُدِيلوا عليكم، فالذي حذِرتم وقرِبْتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون. وأنتم أحميتم مُضَر وربيعة من هذه البلاد، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرةً لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير!.

قالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟.

---

(١) على رِجْل: مشمِّر للأمر قائم به.

قال: أقول: هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اخْتُلِجُوا[1]، فإنْ أنتم بايعتمونا فعلامةُ خير، وتباشير رحمة، ودرَكٌ بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة. وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه؛ كانت علامةَ شرٍّ، وذهابَ هذا الثأر، وبِعْثَة الله في هذه الأمة هَزاهِزَها[2]! فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تُعرِّضونا للبلاء، ولا تَعرَّضوا له، فيصرعنا وإياكم. وايمُ الله، إنّي لأقول هذا وأدعوكم له، وإني لخائفٌ ألا يتمَّ حتى يأخذَ الله حاجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل! فإن هذا الأمر الذي حدث أمرٌ ليس يُقدَّر وليس كالأمور، ولا كقتلِ الرجل الرجلَ، ولا النفرِ الرجلَ، ولا القبيلة الرجلَ.

فقالوا: نعم، إذاً قد أحسنتَ وأصبتَ المقالة، فارجع، فإنْ قدِمَ عليٌّ وهو على مثل رأيك صَلَح هذا الأمر.

فرجع إلى عليٍّ فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كَرِه ذلك مَنْ كرهه، ورضيَه مَن رضيه)[3].

واختزل المسعودي كل هذه الأخبار، وأرسل الكلام جزافاً، وزعم أن عليّاً (بعث إليهم مَن يناشدهم الله في الدماء، وقال: علامَ تقاتلونني؟

---

(١) تفرقوا.

(٢) هي البلايا والحروب.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٨ـ٤٨٩؛ المنتظم: ٥/٨٥؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٨.

فأبَوْا إلا الحــرب، فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يُقال له: مســلم، معه مصحف يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه!)[1].

وهو في هذا جارٍ علــى عادة الرافضة في الطعن على الصحابة عامة ومن خالف عليّاً خاصة.

•• كان أمير المؤمنين علي أســعدَ الناس وأعظَمَهم اغتباطاً بنجاح مهمة القعقاع، التي تبشر بحقن دماء المســلمين وجَمْع كلمتهم ووحدة صفِّهم، وقام يعلن ذلك على الملأ ويصرِّح بموقفه من قتلة عثمان وأنهم المتهمون بكل شرٍّ حدث وفتنة وقعت، وكان مما قاله:

(ثم حدث هذا الحدث الذي جرَّه على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حســدوا مَنْ أفاءهــا الله عليه على الفضيلــة، وأرادوا ردَّ الأشــياء على أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد. ألَا وإني راحل غداً فارتحِلوا، ألا ولا يرتحلنَّ غداً أحد أعان على عثمان بشــيءٍ في شــيءٍ من أمور الناس، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسَهم!)[2].

وارتحل عليٌّ بمن معه من صحبه وجنده، وحطُّوا رحالَهم قريباً من البصرة، ونزلوا مكاناً يسمى (الزاوية)، ونزل جيش طلحة والزبير بمكان يســمى (الفُرْضة)، وتدانَوا حتى تراءَوا، وذلك في يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦هـ)[3].

---

(١) مروج الذهب: ٢/٢٨٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٨ـ٢٣٩.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٨٤ـ١٨٥؛ تاريخ الطبري: ٤/٥١٠.

وأدرك أمير المؤمنين بألمعيته أن الفتّانين وأتباعَهم من الرَّعَاع لا يريدون تسكينَ الفتن وإتمامَ الصلح، فلوّح لهم وحذَّرَهم، وخطب الناس فقال: (يا أيها الناس املِكوا أنفسَكم، كُفُّوا أيديَكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم[١]؛ فإنهم إخوانكم، واصبروا على ما يأتيكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم).

وارتحل بمن معه حتى أطلَّ على أهل البصرة وفيهم طلحة والزبير وعائشة، وبعث إليهم رجلين: (إنْ كنتم على ما فارقتم عليه القعقاعَ بن عمرو فكفُّوا وأقِرُّونا ننزل وننظر في هذا الأمر).

فأرسل إليه طلحة والزبير: (إنَّا على ما فارَقْنا القعقاعَ بن عمرو من الصلح بين الناس. فاطمأنت النفوس وسكَنتْ. واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث عليٌّ عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجّاد، وبات الناس بخير ليلة)[٢].

وخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من (الزَّابوقة)[٣] في موضع قرية الأرزاق، فنزلت مُضَر جميعاً وهم لا يَشكّون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً وهم لا يشكُّون في الصلح، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم وهم لا يشكّون في الصلح، وعائشة في الحُدّان[٤]، والناس في

---

(١) يعني جيش طلحة والزبير.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٦؛ المنتظم: ٥/٨٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

(٣) موضع قريب من البصرة كانت فيه موقعة الجمل.

(٤) إحدى محالّ البصرة القديمة، سُميت باسم قبيلة بني حُدَّان وهم من الأزْد.

الزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً، وردُّوا رسولَي عليٍّ إليه بأنّا على ما فارَقْنا عليه القعقاعَ فاقدَمْ. فخرج الرسولان حتى قدِما على أمير المؤمنين علي، فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم؛ فنزلت القبائل إلى قبائلهم: مُضَر إلى مُضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يَشكُّون في الصلح، فكان بعضُهم بحيالِ بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفاً[1].

فلما نزل الناس واطمأنوا، خرج عليٌّ وخرج طلحة والزبير فتواقفوا وتكلّموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، وأنه لا يُدرَك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما[2].

واتفق الفريقان جميعاً أن يكلم كل منهما رؤساءَ أصحابه بما تمَّ التوصل إليه، (فلما أمسَوْا ـ وذلك في جمادى الآخرة ـ أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسلَ عليٌّ إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هَضُّوا[3] عثمانَ، فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٠٥/٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠٦/٤؛ المنتظم: ٨٧/٥.

(٣) أي: كسروه وصرعوه.

وركبوا ما ركبوا[١]. وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشـــرٍّ ليلةٍ باتوها قط، قد أشرفوا على الهَلَكة، وجعلوا يتشـــاورون ليلتَهم كلَّها، حتى اجتمعوا على إنشـــاب الحرب في الســـرِّ، واستسرُّوا بذلك خشـــية أن يُفطَن بما حاولوا من الشرِّ!)[٢].

وتذكر رواية بإسناد حســـن عن عبد خير ـ وهو ممن شهد الجمل مع علي ـ قال: (ضُرب فُســـطاط بين العســـكرَيْن يوم الجمل ثلاثةَ أيام، فكان علي والزبير وطلحة يأتونه، فيذكُرون فيه ما شاء الله)[٣]. وهم يَسْعَون لإيجاد حلّ ســـلمي للموقف، وقد تمَّ لهم ذلك، لكن الســـبئية عاجلوهم فأنشَبوا القتال في ظلمة الليل، ومشى الفريقان إلى بعضهما، فكانت الفاجعة!.

ثامناً: المنافقون[٤] والسبئية يُنشِبون القتال:

●● تعاضدت الأخبـــار وأكدت حقائق الأحـــداث أن الفريقين لم يخرجـــا للقتال ولا قصـــداه ولا تمنَّياه، وأنهم اتفقـــوا على المصالحة وإقامة الحدود على قتلة عثمان، وأن غالبية الناس في الجيشـــين على هذا. ولكن أولئك القتلة والمنافقين ممن أعانهم والمجرمين من أتباع ابن ســـبأ؛ قد أيقنوا أن اتفاق أميـــر المؤمنين عليّ مـــع أخويه الزبير

---

(١) يعني: قتلة عثمان وأصحاب الفتنة.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠٦/٤؛ المنتظم: ٨٧/٥ـ٨٨.

(٣) فضائل الصحابة، لأحمد: ٥٩٦/٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨.

(٤) ثبت في الحديث الصحيح: أن النبـــي ﷺ وَصَمَ الذين خرجـــوا على عثمان وأصروا على خلعه بأنهم (منافقون).

وطلحة سيؤول في النهاية إلى استهدافهم وتتبُّعِهم وإقامة حدّ القصاص عليهم.

فتواطأت القتلة على إشعال الفتنة بين الفريقين ـ كما أوقدوها زمن عثمان وأشاطوا بدمه ـ فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظنَّ طلحةُ والزبير أن عليّاً حَمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظنَّ علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم(٥)!.

وقال أبو بكر ابن العربي: (وقدِم عليٌّ البصرة، وتدانَوا ليتراءَوا، فلم يتركْهم أصحاب الأهواء وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب، وكثرت الغوغاء على البَوْغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفَى قتلة عثمان، وإنَّ واحداً في الجيش يُفسِد تدبيره، فكيف بألف؟!)(٦).

وقال الطحاوي: (فجَرَتْ فتنة الجمل على غير اختيارٍ من عليّ، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين)(٧).

وقال مثل ذلك الباقلاني والقاضي عبدالجبار وابن حزم وغيرهم.

وتفصيلات الأحداث والأخبار تؤكد هذا الكلام الإجمالي الذي اختصره واعتصره أولئك الأئمة العلماء. كذلك تؤكد الأخبار أن الذين كانوا يَكرهون الصلح هم عبدالله بن سبأ وجماعته السبئيَّة وقتلة عثمان، وهؤلاء

---

(٥) منهاج السُّنَّة: ٣/٣٦ـ٣٧؛ وانظر: ٣/٧١٩، ٧٣٣.

(٦) العواصم من القواصم، ص ١٥٩. **البوغاء من الناس**: السَّفِلة والحمقى.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٢٣.

كانوا في جيش علي بدليل اعتراضهم على علي حين عزم على الرحيل قائلاً: (ألا وإني راحل غداً فارتحلوا... وليُغنِ السفهاء عني أنفسهم)[١]. ويؤكد وجودَهم في جيش علي خبرٌ آخر يشير إلى أن عبدالله بن سبأ كان أحدَ الرؤساء في (بني عبدالقيس) الذين خرجوا مع علي[٢].

●● هؤلاء المجرمون عليهم وِزْر سفكِ الدماء من أيام حوصِر أمير المؤمنين عثمان ثم مضى إلى ربه شهيداً، وحتى وقعتي الجمل وصفِّين؛ فلقد كانوا دائبين على إثارة الفوضى ونشرِ الأكاذيب وإذاعةِ الأراجيف واختلاقِ الفتن وإشعالِ نار الخلاف وإيقاد جذوة الاقتتال، ويهدفون من وراء ذلك إلى:

- تفكيك عُرى الخلافة والحكم الإسلامي.
- وإبطال الحدود وإهدار القصاص للدماء.
- وتمزيق الأمة والحيلولة دون وحدتها وتلاحمها.
- واستمرار الخلاف وصرف المسلمين عن الفتوحات ونشر الإسلام.
- ونشر البدع والأفكار المضادة للإسلام.
- وتلويث العقيدة وتشويه صفائها ونقائها.

وقد تحقق شيء كثير من ذلك في عهد علي فما بعده!.

وللمضيِّ في هذا المخطط اليهودي السبئي الباطني؛ عقد رؤوس

---

(١) انظر ما تقدم: ص٥٦٥ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٥.

الشر من مساعير الفتنة وأصحاب الهوى والعقائد الفاسدة اجتماعاً عاجلاً لإجهاض (اتفاقية الصلح بين الفريقين)، وتفجير الخلاف من جديد لإدخال المسلمين في غياهب الاقتتال مرة أخرى.

●● فاجتمعوا في منأى عن الناس، وزعيمُهم عبد الله بن سبأ، وفيهم: شُريح بن أوفى، والأشتر النخعيّ، وخالد بن ملجَم، وعِلْباء بن الهيثم، في عدة ممن سار إلى عثمان بن عفان، وكانوا في أتباعهم نحو (ألفين وخمس مئة رجل)، وليس فيهم صحابي ولله الحمد[1].

(وتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله عليٌّ، وهو أعلمُ بكتاب الله ممن يطلب قتلةَ عثمان، وأقربُ إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم! غداً يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددُكم قليل في كثرتهم؟! فقال الأشتر: قد عرفنا رأيَ طلحة والزبير فينا، وأما رأي عليٍّ فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليّاً بعثمان، فَرَضي القوم منا بالسكوت! فقال ابن السوداء[2]: بئسَ ما رأيتَ، لو قتلناه قتَلَنا؛ فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمس مئة، وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، لا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم).

وتكلم عِلْباء بن الهيثم وغيره، وأخيراً كان الرأي الحاسم لابن سبأ حيث تكلم فقال: (يا قوم، إن عزَّكم في خُلْطة الناس، فصانِعوهم، وإذا

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٣؛ المنتظم: ٥/٨٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٩؛ ووقع في تاريخ الطبري ذكر الصحابي (عدي بن حاتم)، وهو غلط.

(٢) هو عبد الله بن سبأ.

التقى الناس غداً فأنشِبوا القتال، ولا تفرِّغوهم للنظر، فإذا مَنْ أنتم معه لا يجد بدّاً من أن يمتنع، ويُشغِل الله عليّاً وطلحة والزبير ومَن رأى رأيهم عما تكرهون. فأبْصَروا الرأي، وتفرَّقوا عليه والناس لا يشعرون!)[١].

●● وأجمع هؤلاء المجرمون على إنشاب الحرب في السر، واستسرُّوا بذلك خشية أن يُفطن بما حاولوا من الشرِّ، فغدَوا مع الغَلَس ـ وهم قريب من ألفي رجل ـ وما يَشعر بهم جيرانهم، انسلُّوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظُلمة، فخرج مُضَريُّهم إلى مضريِّهم، ورَبعيُّهم إلى ربعيِّهم، ويمانيُّهم إلى يمانيِّهم؛ فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهلُ البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بَهَتُوهم ـ أو: بغتوهم[٢] ـ.

وقام الناس من منامهم إلى السلاح فقالوا: طَرَقَنا أهلُ الكوفة ليلاً وبيَّتُونا وغَدَروا بنا! وظنوا أن هذا الأمر عن ملأ من أصحاب علي! فبلغ الأمر عليّاً فقال: ما للناس؟ فقالوا: بَيَّتَنا أهلُ البصرة وغَدَروا بنا! فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللَّأْمة، وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع من المؤامرة، وقامت الحرب على ساق وقدم[٣]!.

●● ولم يكن الفريقان يقصدان إلى القتال، ولم يبدأ عليٌّ أهلَ البصرة بالقتال حتى بدؤوه هم بتدبيرٍ خبيث من السبئيين. وقد جاء في «مصنف ابن أبي شيبة» من رواية زيد بن وهب ـ وهو ممن شهد الوقعة

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٣ـ٤٩٤؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/١٢٠؛ البداية والنهاية: ٧/٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

(٣) المنتظم: ٥/٨٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

مع علي ـ قال: (فكَفَّ ـ علي ـ عن طلحة والزبير وأصحابهما، ودعاهم، حتى بدؤوه فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عينٌ تطرُف!)[1].

وكثير من الروايـات الحديثية في ميدان التاريخ والفتوحات والفتن وغيرها؛ فيها اختصـار كبير تفصِّله وتملأ فراغاتـه الروايات التاريخية، وهذه الرواية فيها إجمال فصَّلَتْه رواية سيف بن عمر، والمعنى: أن قتلة عثمان عَدَوْا على أهل البصرة، فرَدُّوا عليهم ـ وهم لا يدرون بالمؤامرة ـ فهجموا علـى جيش الكوفة، فظنَّ عليٌّ أن أخويـه طلحة والزبير قاتلاه ابتداءً، فعندئذٍ قاتلهم.

ولم يحالِف التوفيقُ الدكتور الفاضل أكرم العمري حيث أشـار إلى هذه الرواية وقرَّر أن طلحة والزبير بدأا عليّـاً بالقتال[2]، وفي هذا اتهام خطير للصحابيين الجليلين!.

تاسعاً: مجريات القتال، ومواقف أكابر الفريقين:

١ ـ الجولة الأولى:

•• أنشب الخوارج السبئية القتال بين الفريقين في مكيدة يهودية خبيثة ماكـرة، وتأييدٍ ومعونةٍ من أصحاب الأهـواء، والحُرصاء على الزعامة، والسُّـعاة في تمزيق وحدة الأمة، وعَماءٍ مـن الرَّعاع الذين يُساقون بلا تعقل أو روية، على نفس النهج الذي لفَّقوا فيه الأكاذيب

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٠/٨؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ٣٧٣/١٦.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٤ـ٤٥٥.

وروَّجوها على الخليفة عثمان وولاته وسياسته، والتي أنهوها باستباحة دمه!.

وعندما بُوغِت الفريقان وهم في غفلة عما دُبِّر بليل، وفي سلامة من قلوبهم وإمساك بأيديهم عن إراقة دمٍ حرام ـ لم يجد كل فريق بُدّاً من الدفع عن نفسه، وردِّ المباغتة والعدوان.

فأهل البصرة ظنوا أن إخوانهم من أهل الكوفة قد نقضوا الصلح وغدروا بهم، وكذلك ظن أهل الكوفة بأهل البصرة، ولا يشعر أي من الفريقين بما حدث في نفس الأمر على الحقيقة، وكان أمر الله قدراً مقدوراً(١).

(وقَصَفَ أهلُ البصرة أولئك الكوفيين حتى ردُّوهم إلى عسكرهم، فسمع عليٌّ وأهل الكوفة الصوت، وقد وضعوا(٢) رجلًا قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذاك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بَيَّتونا، فردَدْناهم من حيث جاؤوا، فوجدنا القوم على رِجْل فركبونا، وثار الناس)(٣).

ومع هَوْلِ المفاجأة كان لا بدَّ لكل من الفريقين أن يستعد للمواجهة وردِّ العدوان، فتعبَّى كل من الجيشين ورتب ذواته وصفوفه في ميمنة وميسرة وقلب. والسبئية لا يفتُرون عن إنشاب القتال، ومنادي علي ينادي في الناس: أَلَا كُفُّوا، ألا كفّوا.. فلا يسمع أحد(٤)!.

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

(٢) أي: السبئية.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٧؛ الكامل، لابن الأثير: ٣/٢٤٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٠.

ويروي يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمه قال: (لمَّا تواقَفْنا يوم الجمل، وقد كان عليٌّ حين صَفَّنا نادى في الناس: لا يَرمينَّ رجلٌ بسهمٍ، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤوا القوم بالقتال، وكلِّموهم بألطف الكلام، فإن هذا مقامٌ مَنْ فَلَج فيه فَلَج يوم القيامة. فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار، حتى نادى القوم بأجمعهم: يا ثارات عثمان! فنادى علـيٌّ محمدَ ابنَ الحنفيَّة وهو أمامنا ومعه اللواء، فقال: يا ابنَ الحنفية ما يقولون؟ فأقبل علينا محمد ابن الحنفية فقال: يا أمير المؤمنين، يا ثارات عثمان! فرفع علي يديه فقال: اللَّهمَّ كُبَّ اليوم قتلة عثمان لوجوههم)[١].

وقال الحارث بن جُمْهَان: (لقد رأيتُنا يومَ الجمل وإنَّ رماحَنا ورماحَهم متشاجرة، ولو شاء الرجل أن يمشي عليها لمشَى! قال: وهؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، وهؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر!)[٢].

وهكذا فالصحابة والصالحون الخيِّرون في الفريقين (كان رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يُبدؤوا، يطلبون بذلك الحجة، ويَستحقّون[٣] على الآخرين، ولا يقتلوا مدْبِراً، ولا يُجْهِزوا على جريح، ولا يتبعوا مولِّياً. فكان ـ ذلك ـ مما اجتمع عليه الفريقان ونادَوا فيما بينهما)[٤].

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي: ٨/١٨٠؛ حياة الصحابة: ٢/٤٥٩ـ٤٦٠. **فلج**: ظَفِر.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١١؛ تاريخ خليفة، ص ١٩١، وفيهما أخبار أخرى.

(٣) أي: يطلبون الحق.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٧.

ولكن المنافقين والخوارج السبئية وأتباعَهم وأعوانَهم الذين اختلقوا الفتن من أيام عثمان؛ مضَوا في طغيانهم يعمهون، يوقدون الخلاف ويُسرِعون في الشر ويخلطون الأمور، ليُعَمُّوا عن أنفسهم، وليوقِعوا عامةَ المسلمين في أَتون الحيرة والريبة والظنون، ولا يَدَعون للعقلاء والمخلصين فرصة يستطلعون فيها الأمور على جليَّتِها، ويكشفون خيوط المؤامرة ويقبضون على مدبِّريها وسَدَنتِها. كذلك فالسبئيون يقصدون إلى أن يُكْثِروا من الفُتوق التي يصعب رتْقُها في حالات السلم فضلاً عن ساعات الفتنة والاقتتال. ولم تُجدِ معهم مناشدات زعماء الفريقين علي وأخويه طلحة والزبير: (ألا كفُّوا، ألا كفُّوا) (أيها الناس أتُنصِتون)! بل استمروا في المخالفة وإثارة الفتنة وجَلْدِ الأحداث لتسير في المهاوي التي دبَّروها لها، والفتنة إذا وقعت صعُب على الحلماء حلُّها، وعجز الحكماء عن إطفاء نارها.

●● تواقف الفريقان، وقد اجتمع في جيش علي (عشرون ألفاً)، والتفَّ على طلحة والزبير نحو من (ثلاثين ألفاً)[١].

وعبَّى كل منهما جيشه ونظَّم صفوفه، وعيَّن القادة على الخيل والرجَّالة والمقدمة والميمنة والميسرة، **وكان من القادة في جيش علي:** ولداه الحسن والحسين، واللواء مع ابنه الثالث محمد المعروف بابن الحنفية، وابن عباس، وعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وعبدالله بن جعفر. **ومن القادة في جيش البصرة:** طلحة والزبير وابنه عبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عامر بن كريز، ومروان بن الحكم[٢].

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٤٠؛ وانظر: تاريخ خليفة، ص ١٨٤.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٨٤.

ونَشِـــبت الحرب بين الفريقين وقامت على ســـاق، وتبارز الفرسان وجالت الشجعان، وتشـــابكت الرماح حتى يقول غير واحد ممن شهد الوقعة: (لقد رأيتُنا يـــوم الجمل وإنَّ رماحنا ورماحهم لمتشـــاجرةٌ، ولو شاءت الرجال لمشَتْ عليها!)(١).

واشـــتد القتال، وأصحاب الفتنة الســـبئيون يســـعِّرون الحرب بين الطرفين، وأقبل التابعي الجليل كعب بن سُـــوْر حتـــى أتى أم المؤمنين عائشـــة فقال: أدركي، فقد أبى القـــوم إلا القتال، لعـــل الله يصلح بكِ. فركبتْ، وألْبَسوا هودجَها الأدراعَ، ثم بعثوا جملها، وبرزت حتى وقفت على مقربة من أرض المعركة وســـمعت ضجة الغوغاء، وهي ترجو من مَقْدمها هذا أن يراهـــا الناس، ويقدِّروا منزلتهـــا ويحافظوا على حرمتها وهي زوج نبيهم ﷺ؛ فيكفُّوا عن القتال، فلم يتم ذلك، بل استمر مؤرِّثو الفتن في إيقادها بين الفريقين(٢)!.

ويروي الأحنف بن قيس فيقول: لما التقـــوا كان أول قتيل طلحة بن عبيد الله(٣). (وكان القتال يســـتحرُّ إلى انتصاف النهار، وأُصِيب فيه طلحة، وذَهَب فيه الزبير(٤)، فلما أَوَوْا إلى عائشة، وأبَى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة، ذَمَرتْهم عائشـــة، فاقتتلوا حتى تنادَوْا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهـــر فاقتتلوا، وذلك (يـــوم الخميس في جمـــادى الآخرة ٣٦هـ)،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٠٨/٨؛ وانظر ما تقدم: ص٥٧٥ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠٧/٤؛ المنتظم: ٨٨/٥ـ٨٩.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٨٥.

(٤) أي: ترك القتال وانسحب من المعركة كما سيأتي تفصيله.

فاقتتلوا صَدْر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسـطه مع عائشة. وتزاحَفَ الناس، فهَزمت يمـنُ البصرة يمنَ الكوفة، وربيعةُ البصـرة ربيعةَ الكوفة، ونَهَد علـيٌّ بمُضَر الكوفة إلى مُضَـر البصرة وقـال: إن الموت ليس منه فَوْت، يدرِكُ الهاربَ ولا يتركُ المُقيم)[1].

ورأى الزبير أن أمر الفتنة يتعالى ويشـتد، والإصلاح ووقْفَ القتال يَخفت ويتلاشى؛ فآثر السلامة وتركَ أرض المعركة قاصداً الذهاب إلى المدينة، فلَحِقه بعض الظَّلَمة الخاسرين فقتلوه غدراً!.

وباستشهاد طلحة والزبير تنتهي الجولة الأولى من (وقعة الجمل).

٢ ـ الجولة الثانية:

●● وفي قلب المعركة ومع احتدام المواجهة سعى قادة الفريقين إلى إيقاف القتال وحَقْن الدماء، فأخذ أميـر المؤمنين علي مصحفاً فطاف به في أصحابه وقال: مَن يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه؟ فتصدَّى له فتى، فصرفه عليٌّ عنه مرتين، وفي الثالثة أعطاه إياه، فقام يدعو الناس إلى الصلح، فاسـتهدفه السـبئيون فقطعوا يده اليمنى ثم اليسرى، فضَمَّ المصحفَ إلى صدره والدم يسيل على قَبَائه، حتى قتلوه[2]!.

وفي جيش البصرة وقد استُشهد طلحة والزبير فكانت أم المؤمنين عائشـة محطَّ الأنظار للقيام بـدور خطير في إيقـاف القتال، مع ما في بروزها في سـاحة القتال من تعريضها للقتل بسهام السبئية المجرمين،

---

(١) تاريخ الطبري: ٥١٤/٤؛ المنتظم: ٨٩/٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥١١/٤.

فأمرتْ بحضور القاضي النبيل كعب بن سُوْر ـ وكان قد اعتزل ـ فلبَّى طلبها بإجلال وإكبار لمقامها[1]، فجاء وأخذ بخطام جملها، فنادته وقالت: خَلِّ يا كعب عن البعير، وتقدَّمْ بكتاب الله ﷻ فادْعُهم إليه، ودفعَتْ إليه مصحفاً، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليٌّ من خلْفهم يَزَعُهم ويأبَوْن إلا إقداماً، فلما دعاهم كعبٌ رشَقُوه رِشْقاً واحداً فقتلوه، ورمَوْا عائشة في هودجها، فجعلت تنادي: يا بَنِيَّ البقيةَ البقيةَ ـ ويعلو صوتُها كثرةً ـ اللهَ اللهَ، اذكروا الله ﷻ والحسابَ.. فيأبون إلا إقداماً! فكان أول شيء أحدثَتْه حين أبَوْا أن قالت: أيها الناس، الْعَنوا قتلةَ عثمان وأشياعَهم.. وأقبلتْ تدعو.

وضَجَّ أهل البصرة بالدعاء، وسمع علي بن أبي طالب الدعاءَ فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعِهم، فأقبل يدعو ويقول: اللَّهمَّ العَنْ قتلة عثمان وأشياعَهم)[2].

وفي رواية: عن محمد ابن الحنفيَّة: أن عليّاً بَلَغه أن أم المؤمنين عائشة تلعن قتلة عثمان، فقال عليٌّ: (لعنَ الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر!). ومن طريق آخر: قال علي: (اللَّهمَّ أَخلِلْ بقَتَلة عثمان خِزياً)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٧/٩٢ ـ ٩٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥١٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ وجاء مختصراً في طبقات ابن سعد: ٧/٩٢؛ وتاريخ خليفة، ص ١٨٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/٧١٢، ٧١٦، والأسانيد صحيحة.

وهكذا اشترك صالحو الفريقين في لعن قتلة أمير المؤمنين الشهيد المظلوم، في الساعة التي كان فيها قتلة عثمان يُنشِبون القتال بين صالحي المسلمين[١]!.

واستجاب لنداء علي وأم المؤمنين الصالحون والمخلصون والعلماء والعقلاء، وكثيرٌ ما هم، لكن السبئية والغوغاء ونُزَّاع القبائل والمطرودين من قبائلهم لا يأبهون لدينٍ أو خُلق، ولا يرجِعون إلى فضيلة أو مكرمة؛ مستمرون في ضلالهم وتسعيرِهم نار الحرب!.

وقصد أولئك المجرمون أمَّ المؤمنين واستهدفوا جملَها، فالتف حولها أهل البصرة ومن كان معهم من أهل مكة والمدينة يحمونها وينافحون عنها، والخوارج السبئية وقتلة عثمان منبثون بين الناس ويقاتلون ضمن عشائرهم لكي لا يتميزوا فيُؤخَذوا ويُقتلوا، وكذلك ليستجروا معهم قبائلَهم ويخلطوا الأمور ويزيدوا من حدة الخلاف والاشتباك وتسعير القتال!.

فلما رأى عقلاء الفريقين شدة الاشتباك تنادوا في العسكرين: (يا أيها الناس طَرِّفوا)؛ أي: تجنَّبوا القتل، وإذا كان لا بدّ من قتال فعلى الأطراف: الأيدي والأرجل، فما رُئيت وقعةٌ قط أكثرَ يداً ورجلاً مقطوعة منها! ودافع الذين حول الجمل حتى أبعدوا المهاجمين، (ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير ـ أي: المبالَغ فيه ـ ولا يَعْدِلون بالتطريف، حتى إذا كثُر ذلك وظهر في العسكرين جميعاً؛ راموا الجمل وقالوا: لا يزال القوم أو يُصرع ـ الجمل ـ!)[٢].

---

(١) هامش العواصم من القواصم، ص ١٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥١٥ ـ ٥١٧؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٣.

●● واستهدف السبئية جملَ أم المؤمنين عائشة يريدون قتلها، وقد تكاثَفَ حولها المدافعون عنها، فكانت أم المؤمنين في حَلْقة من أهل النَّجدات والبصائر، وكان من يأخذ بزمام الجمل يحمل الراية وينتسب لها: أنا فلان ابن فلان، وكانوا يقاتلون عليه وإنه للموتُ لا يوصَل إليه إلا بِطِلبةٍ وعَنَت، وما رامه أحد من أصحاب علي إلا قُتل أو أَفْلَت ثم لم يَعُدْ! ولما اختلط الناس بالقلب جاء الأشتر النخعي فحامله عبدالرحمن بن عتَّاب بن أَسِيد[1]، وإنه لأقطعٌ مَنْزوفٌ، ثم جَلَد به الأرض عن دابته، فاضطرب تحته، فأفلت وهو جَرِيض[2]!.

وكان هذا الأشتر من رؤوس الشرِّ ومن عُتاة المؤجِّجين لنار القتال، لا يرعوي ولا يتورع عن إثارة الفتنة منذ أيام عثمان بن عفان!.

وتقدم عبدالله بن الزبير وبه سبع وثلاثون جراحة من ضربة وطعنة، وأخذ بزمام الجمل، ومشى إليه الأشتر النَّخَعي، فاختَلَفا ضربتين، ضَربه الأشتر فأَمَّه، وواثَبه عبدالله فاعتنَقَه فخرَّ به، وجعل يقول: (اقتلوني ومالكاً)، وكان الناس لا يعرفونه بمالكٍ، ولو قال: (والأشتر)، وكانت له ألف نفس ما نجا منها شيء! وما زال يضطرب في يديْ عبدالله حتى أَفْلَت[3]!.

---

(١) أبوه عتاب بن أسيد الأموي أمير مكة في عهد النبي ﷺ، وكان عبدالرحمن من الأشداء الذين نافحوا عن أم المؤمنين، وقُطعت يده قبل لقائه الأشتر في حملة قطع الأطراف!.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٢٥/٤. جَرِيض: مجهود ذاق غصص الموت!.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٢٥/٤ـ٥٢٦، ٥٣٠؛ البداية والنهاية: ٢٤٤/٧. أَمَّه: شَجَّه شجة بلغتْ أمَّ رأسه وهي الجلدة المحيطة بالدماغ.

وجاء محمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف بالسَّجَّاد فأخذ بزمام الجمل، وقال لأم المؤمنين: يا أُمَّتاه، مُرِيني بأمركِ، قالت: آمرُكَ أن تكون كخير ابني آدم إنْ تُرِكتَ. فحمل، فجعل لا يَحمِل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول: (حم، لا ينصرون)، واجتمع عليه نفر، فكلُّهم ادّعى قتْلَه[1]!.

●● واشتد القتال حول أم المؤمنين من قِبل دعاة الفتنة من السبئيين والمدافعين عنها؛ يقول حُجير بن الربيع العَدَوي: (قُتل بَشرٌ كثير حول عائشة يومئذٍ، سبعون كلهم قد جمع القرآن، ومن لم يجمع القرآن أكثر)[2].

ويقول أبو رجاء العُطَاردِيّ: (لقد رأيتُ الجمل يومئذٍ كأنه قُنفذ من النَّبْل، ورجل آخذٌ بالخِطام وهو يقول:

نحنُ بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجَملْ نُنازِل الموتَ إذا الموتُ نَزلْ
والموتُ عندنا أحلَى من العسل ننعَى ابنَ عفان بأطراف الأَسَلْ

قال: فأقسم بالله ما بَرِح حتى برى قوائم البعير، فسقط، فقالوا: أُمُّنا أمُّنا! فقال رجل لأبي رجاء: ما صنعتَ يومئذٍ؟ قال: رميتُ بأسهمٍ فما أدري ما فعلن)[3].

ورأى الصالحون المخلصون أن المعركة سيستمر لهيبها ما دامت أم المؤمنين على جملها، وعُظْمُ الفريقين يحرص على حرمتها وحياتها، وفيهما كذلك المجرمون الذين لا يرجون لله وقاراً، وليس عندهم دينٌ

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٢٦/٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٨٨/٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٥، بإسناد صحيح لغيره.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٠ بإسناد حسن؛ وبنحوه عند الطبري: ٥٣٠/٤_٥٣١، ٥٣٣. الأسل: الرماح. برى: أي نحتت قوائمه.

يَردعُهم، ولا خُلق ينفعهم، ولا قائد يَزَعُهـم ويغلُّ أيديَهم! فاجتهد أمير المؤمنين عليٌّ وغيرُه في أن يعقِروا الجمل لينفضَّ الناس ويتوقف القتال وتُحقن الدماء، وتُحفظ حرمة أم المؤمنين وحياتها وكرامتها.

روى الصعب بن حَكيم بن شَـريك، عن أبيه، عن جدِّه شَرِيك بن نَمْلَة قال: قال علي: مَن رجلٌ يحمل على الجمـل؟ فانتَدبَ له هند بن عَمْرو المُـرادي، فاعترضَه عمرو بـن يَثْربي فقتله، ثـم حمل آخرون، فاعترضَهم ابنُ يثربي وقتل ثلاثة منهم[1].

وفي رواية عن عبدالله بن الزبير: (ونـادى علي: اعقروا الجمل، فإنه إنْ عُقر تفرَّقوا. فضربه رجلٌ فسقط، فما سمعتُ صوتاً أشدَّ من عَجيج الجمل)[2].

وفي روايـة: أن الذي أشـار بعَقْر الجمـل هو الصحابـي القعقاع بن عمرو[3].

وفـي رواية صحيحـة: عـن عبدالرحمن بـن أَبْزَى قـال: (انتهى عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي إلى عائشـة يـوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنيـن، أَتعلمينَ أني أتيتُـكِ عندما قُتل عثمان فقلتُ: ما تأمريني؟ فقلتِ: الزَمْ عليّاً؟ فسـكتَتْ. فقـال: اعقِروا الجمل، فعقروه. فنزلتُ أنا وأخوها محمد فاحتملنـا هودَجها فوضعناه بين يدَيْ عليٍّ، فأَمر بها فأُدخِلتْ بيتاً)[4].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٢٩ـ٥٣٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥١٩؛ البداية والنهاية: ٧/٢٤٤ـ٢٤٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٥٢٧.

(٤) مصنف ابن أبي شـيبة: ٨/٧٢٠؛ وذكره الحافظ في الفتـح: ١٦/٣٧٣، وقال:

ولا تعارض بين هذه الروايات، فقد كان أمير المؤمنين وطائفة كبيرة من الصحابة والأخيار حريصين على أم المؤمنين وجلالتها وحرمتها وكرامتها، وكلهم سعى لتجنيبها كل ما يؤذيها.

روى أبو جميلة البَكَّائي قال: (إني لفي الصف مع عليٍّ إذ عُقِر بأم المؤمنين جملُها، فرأيتُ محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين الصفين أيهما يَسبق إليها، فقطعا عُرْضَة الرحْل فاحتملاها في هودجها!)[1].

وكذلك حرص القعقاع بن عَمْرو وزُفر بن الحارث على الإحاطة بالسيدة عندما عُقِر الجمل، وأحاطا بهودجها حتى لا يصل إليها من يريدها بسوء[2].

• **ولما سقط الجمل انهزم الناس، وانتهت المعركة وألقت الحرب أوزارها، بعد أن تركت جراحاً في جسم الأمة من ذلك الوقت ولا تزال إلى الآن تجد من ينكؤها،** ويستطيل بلسانه وقلمه على الصحابة ويقع في أعراضهم، ويتغاضى عن جرائم قتلة عثمان والسبئية الذين كانوا ضد كل إصلاح وتسكين، ومساعيرَ شرٍّ وموقدي فتنة!.

٣ ـ تاريخ الوقعة ومدتها:

عن قتادة قال: التقوا في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦هـ)، وكانت الوقعة يوم الجمعة[3].

سنده جيد.

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٢٧/٤.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٨٤ ـ ١٨٥؛ تاريخ الطبري: ٥٠١/٤.

وقريب منه قول عمر بن شبة في «أخبار البصرة»[١].

واستغرقت الوقعة نصف يوم:

قال المسعودي: كانت وقعة واحدة في يوم واحد. وحددها اليعقوبي بقوله: كانت الحرب أربع ساعات من النهار[٢].

وقريب منه رواية عن الشعبي[٣].

ويؤيد ذلك رواية صحيحة عن زيد بن وَهْب قال: (فقاتَلَهم عليٌّ بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عينٌ تَطْرُف ممن كان يَذبُّ عنه)[٤].

٤ ـ عدد القتلى:

ذكرت عامة كتب التاريخ القديمة (أعداداً ضخمة) للقتلى من الفريقين، وجرى على ذلك كثير من الكتاب المعاصرين، دون النظر في صحة الخبر ونقده علميّاً ومنطقيّاً.

•• ذكر خليفة بن خياط أن عدد القتلى يوم الجمل: (عشرون ألفاً)، وفي رواية: (ثلاثة عشر ألفاً) منهم (خمس مئة) من أصحاب علي[٥].

---

(١) الفتح: ٣٧٢/١٦.

(٢) مروج الذهب: ٢٧٥/٢؛ تاريخ اليعقوبي: ٨١/٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥١٢/٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٠/٨؛ وصحَّحه الحافظ في الفتح: ٣٧٣/١٦.

(٥) تاريخ خليفة، ص ١٨٦.

ونقل الطبري أن عددهم: (عشرة آلاف)، نصفهم من أصحاب علي والنصف الآخر من أصحاب عائشة. وذكر في موضع آخر أن العدد يزيد على (ستة آلاف)[١].

وتابعه ابن الجوزي وابن كثير والذهبي وغيرهم[٢].

وقال اليعقوبي: (وكانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروى بعضهم أنه قُتل في ذلك اليوم نيِّف وثلاثون ألفاً!)[٣].

وأما المسعودي فذكر أن قتلى يوم الجمل من أهل البصرة: (ثلاثة عشر ألفاً)، ومن أصحاب علي: (خمسة آلاف)[٤].

وعلى مثل هذه الأرقام مشى كثير من المعاصرين[٥]، ومما قاله هشام جعيط ـ بعد أن ذكر نحو ما قدمنا ـ: (وفي إمكان المؤرخ الحديث أن يحاول التقليل من إجمالي عدد القتلى في المعسكرين... ولكن من الصعب النزول إلى ما دون بضعة آلاف)[٦].

•• نقول: هذا التضخيم في عدد القتلى والتهويل في حجم خسائر

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٣٩/٤، ٥٤٥.

(٢) المنتظم: ٩٣/٥؛ البداية والنهاية: ٢٤٥/٧؛ العبر: ٢٧/١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٨١/٢.

(٤) مروج الذهب: ٢٧٥/٢.

(٥) فضائل الإمام علي، لمغنية، ص٣٨؛ علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب، ص ٣٥٥ـ٣٥٦؛ الإمام القائد، لبسام العسلي، ص ٧٧.

(٦) كتابه: الفتنة، ص ١٩٣ـ١٩٤.

الفريقين؛ غير صحيح وهو من مجازفات الرواة والمؤرخين، ومن الكلام الذي يُلقى على عَوَاهِنِه، وباطل من عدة وجوه:

١ ـ حِرصُ قادة الفريقين والصلحاء والخيِّرين على تحاشي القتال، والأمرِ بالكَفِّ عنه، والمناداة في الجيشين: ألَا كُفّوا، ألا كفوا، ورفْعُ المصاحف، والتصريحُ بأنهم إنما خرجوا للإصلاح، وقول الكثيرين: (لوَدِدتُ أني لم أشهد ذلك اليوم)، وندمُ أكابر الفريقين على ما حصل.

٢ ـ التحرُّجُ من القتال عند عامة الطرفين، واستحضارُ الآيات التي تأمر بحفظ الدماء وترهِّب من الاجتراء على قتل نفس واحدة؛ كقوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٣ ـ كان الغالب على القتال في تلك الوقعة المدافعةَ والمواقفة ورفْعَ السلاح من كل طرف في وجه الآخر، وتقديمَ الجرح والإيلام على القتل، وإلى هذا تشير عدة روايات من مثل: (لما كان يوم الجمل أشرَعْنا الرماحَ في صدورهم وأشرعوها في صدورنا... وأنا أسمع هؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، وهؤلاء يقولون: لا إلٰه إلا الله والله أكبر)[1].

٤ ـ معظمُ أفراد الفريقين كانوا من قبائل واحدة سكنت في الكوفة والبصرة، وتواجهت في تلك الوقعة: مُضَر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة... فكانوا عند المواجهة يرعوون عن القتل والجرأة فيه، وهم يذكرون الله والإسلام وحرمة الدم والقرابة.

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٥٧٤ ـ ٥٧٥ في هذا الكتاب.

٥ ـ كانت الجولة الثانية من المعركة أعظمَ إيلاماً وأشدَّ فتكاً وأكثر قتلى حيث استهدف السبئيون القتلةُ أمَّ المؤمنين عائشة ومَن حول الجمل حتى صار الهودج كالقنفذ كما قدمنا، ومع ذلك فقد صحت الرواية: (قُتل بشرٌ كثير حول عائشة يومئذٍ، سبعون كلهم قد جمع القرآن، ومن لم يجمع القرآن أكثر)[1]؛ وهو رقم ضئيل إذا قورن بالأعداد الهائلة التي ذكرتْها الروايات الطائشة، ويشير إلى أن العدد الحقيقي لا يتجاوز بضعَ مئات.

ويؤيد ذلك أن كثيراً من الروايات ينص على أن القتلى في جيش علي (٤٠٠ إلى ٥٠٠ نفس)، ولو أن هذا العدد قَتل مثلَه من جيش البصرة؛ لَما تجاوز قتلى الطرفين ألفَ نفس، ولا يعقل أن أولئك الخمس مئة قتلوا من جيش عائشة (ثلاثة عشر ألف نفس) كما ذكرت الرواية نفسها!.

٦ ـ ذَكرت روايات كثيرة أن أمير المؤمنين صلَّى على قتلى الفريقين، وهذا يشير إلى ضآلة عددهم، إذ لا يُعقل البتَّة أن يبلغوا بضعةَ عشر ألفاً؛ فأي مكان يجمعهم وأية مقابر تسعُهم! هذا ما لا نعرفه حتى في الحروب الحديثة التي تدمر كل شيء.

٧ ـ لم تحدث في نهاية المعركة عملياتُ انتقام أو ملاحقة للفارِّين من ساحتها، أو إجهازٌ على الجرحى، أو حدوث مجازر فيهم، بل كان النداء يتردَّد من قادة الطرفين: ألّا يُتبع مدبِر، ولا يُذَفَّف على جريح.

٨ ـ قِصر مدة المعركة التي امتدت نصفَ يوم كما ثبت في رواية صحيحة، أي: نحو ست ساعات، وهي مُدَيْدة لا يمكن أن تُزهق فيها

---

(١) تقدم: ص ٥٨٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

أرواح أكثر من عـدة مئات. والروايات التي تذكـر أن عدد القتلى (٢٠ ألفاً) أو (٣٠ ألفاً)؛ هي باطلة بيقين، ولا تروج على من له مَسْـكَة من عقل؛ فمعركةٌ مدتها أقل مـن (٤٠٠ دقيقة) يُقتل فيهـا مثل ذاك العدد الضخم، تعني أنه يقتل في الدقيقة الواحدة نحو (٦٠ نفساً)، فمن يصدق هذا؟!.

وفـي تاريخنا القديـم أمثلة مقارنـة تدحضُ ذلك؛ فمثـلاً معركة اليرموك استُشـهد فيها من المسـلمين (ثلاثة آلاف)، مع اتسـاع وقت القتال، وشراسة الأعداء، وكثرة أعداد الجيشين.

وأيضاً الحروب الحديثة تشـهد ببطلان تلك الأرقام الخيالية؛ فلقد قرأنا وشهدنا حروباً تُستخدم فيها كل أسلحة الفتك والتدمير من مدفعية ودبابـات وصواريخ وطائرات، وعلـى مدى أيام طويلة بل أشـهر، لم يَسقط فيها من القتلى مثل تلك الأعداد المزعومة التي ذكرها الأخباريون عن وقعة الجمل في (نصف يوم) و(بأسلحة بدائية يدوية)!.

ولقد أطلـتُ البحـثَ والنقد لهـذا الموضـوع؛ لبيانِ تهافته، وكشـفِ المبالغات والتزوير والتضليل الذي درج عليه الرواة الضعفاء، وتناقلَتْه الكتب والجمَّاعون من المؤلفين على مرِّ السـنين حتى زماننا. وأيضاً لبيان الإسـاءة المتعمَّدة إلـى رجالنا وتاريخنا؛ حيث توحي تلـك الروايات بأن رجال ذلك العهد حُرَصاء علـى هدر الدماء وغيرُ عابئين بحرمـة الأنفس، ولا يَحكمهم شرف الأخلاق في القتال عند الخلاف! كما أنها تخفي الجريمة التي اقترفتها السـبئية وقتلة عثمان؛ بهدف الإيحاء لقارئ تاريخ ذلـك العهد بأن الجميع والغٌ في القتل، وليس فقط تلـك العصابة المجرمة؛ وفي هذا تبرئة لأصحاب

الفتنة وتعميم للجريمة على الجميع، وكفى بذلك خطورة وخيانة لذلك العهد وأولئك الرجال الشرفاء الذين لوّثَتْ تاريخَهم مثلُ تلك الروايات التالفة!.

عاشراً: مواقف جليلة في أعقاب المعركة:

١ ـ جاء عن أمير المؤمنين عليّ مِنْ غير وجه: أنه أمر مناديه يوم الجمل: أن لا يُتبع مدبِر، ولا يُذَفَّف على جريح، ولا يُقتل أسير، ومَن أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ولا يُستحل فرْج ولا مال، ولا يؤخذ من متاعهم شيء[١].

٢ ـ بعد أن فرغ عليٌّ من الوقعة جمع ما وجده لأصحاب عائشة في المعسكر، وأَمر به أن يُحمل إلى مسجد البصرة، فمن عرف شيئاً هو لأهله فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَةُ السلطان. ودخل البصرة فوجد في بيت المال (ست مئة ألف درهم)، فقسمها على من شهد معه الوقعة، فأصاب كل رجل (خمس مئة، خمس مئة). فخاضَ في ذلك السبئية وطعنوا على أمير المؤمنين من وراء وراء[٢].

عن عبد خير: (أن عليّاً لم يسبِ يوم الجمل ولم يخمّس، قالوا: يا أمير المؤمنين، ألا تخمّس أموالَهم؟ فقال: هذه عائشة تستأمرونها! قالوا: ما هو إلا هذا، ما هو إلا هذا)[٣].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٧٥/٧، ٧١٠/٨، ٧١١، ٧١٨، ٧١٩؛ مصنف عبدالرزاق (١٨٥٩٠، ١٨٥٩١)؛ سنن سعيد بن منصور: ٣٣٧/٢ـ٣٣٨؛ فضائل الصحابة، لأحمد: ٧٣٧/٢، بأسانيد متعاضدة إلى الصحيح.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٣٨/٤ـ٥٣٩، ٥٤١؛ البداية والنهاية: ٢٤٥/٧.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٠٧/٨، بإسناد صحيح؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٠.

قال البيهقي: الصحيح أن علياً لم يأخذ شيئاً، ولم يسلب قتيلاً[1].

وفي رواية عن أبي البَخْتري: (قالوا: يا أمير المؤمنين، تحلُّ لنا دماؤهم ولا تحلُّ لنا نساؤهم! قال: فخاصَموا، فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة، فهاتوا سهامَكم واقرَعُوا على عائشةَ فهي رأسُ الأمر وقائدهم! قال: ففَرِقوا، وقالوا: نستغفر الله! قال: فخَصَمهم عليٌّ)[2].

٣ ـ ويدلُّك على عمق المأساة في قلب أمير المؤمنين ما كان يَنفثُه من الآهات والتوجُّع وهو يرى الأخيار قد جُندِلوا على أرض المعركة بسبب تلك الفتنة العمياء!.

أقام عليٌّ في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وندَب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم، فطاف عليٌّ معهم في القتلى، فلما أُتي بكعب بن سُوْر قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء، وهذا الحَبْر قد ترون! وأتى على عبدالرحمن بن عتَّاب فقال: هذا يَعْسُوب[3] القوم. وجعل علي كلما مرَّ برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء، هذا العابد المجتهد! وصلَّى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة، وصلَّى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، فكانوا مدنيين ومكيين، ودفن الأطراف في قبر عظيم[4].

---

(١) السنن الكبرى: ١٨١/٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٠/٨، وسنده صحيح.

(٣) هو السيد والرئيس.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٩/٨؛ تاريخ الطبري: ٥٣٨/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٥/٧.

٤ ـ وبعد الفراغ من المعركة أقبل أمير المؤمنين على مخالفيه الذين قاتلوه، وبذل لهم الرفق والمسامحة، وبادلوه هم كذلك بالموافقة وتجاوز المحنة والحرص على وشائج الأخوة وتوحيد الكلمة، وجددوا له البيعة.

عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: (انطلقتُ فدخلتُ على أمير المؤمنين فسلَّمتُ، فقال: أتبايع، تدخل فيما دخل فيه الناس؟ قلت: نعم، قال هكذا: ومدَّ يده فبَسَطها، قال: فبايعتُه. ثم قال: ارجِع إلى أهلك ومالِك. قال: فلما رأى الناس قد خرجتُ، جعلوا يدخلون فيبايعون)(١).

٥ ـ ويأتي الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وهو من أبرز وجوه الناس في جيش علي، فيستأذن على أم المؤمنين عائشة ويعاتبها على اجتهادها في خروجها:

عن أبي يزيد المديني قال: (قال عمار بن ياسر لعائشة لمَّا فرغوا من الجمل: ما أبعدَ هذا المسيرَ من العهد الذي عُهِد إليكم ـ يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ـ فقالت: أبو اليقظان! قال: نعم، قالت: والله إنكَ ما علمتُ قوّال بالحق، قال: الحمدُ لله الذي قضَى لي على لسانك)(٢).

وعن عَمْرو بن غالب قال: (دخل عمار والأشتر على عائشة بالبصرة، فقال عمار: السلامُ عليكِ يا أُمَّه، قالت: لستُ لك بأمٍّ، قال: بلى، وإنْ كرهتِ!)(٣).

---

(١) تقدم: ص ٥١٤ حاشية (٢) في هذا الكتاب؛ وانظر: تاريخ الطبري: ٥٤١/٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٤٥/٤ـ٥٤٦؛ وصحّحه الحافظ في الفتح: ٣٧٥/١٦ (٧١٠٠).

(٣) تهذيب الكمال: ١٨٥/٢٢.

ومع كل ما جرى كان عمار ـ شأن جميع الصحابة والأخيار الذين طهَّر الله قلوبَهم وألسنتَهم ـ يُجلُّ السيدة عائشة ويؤكِّد منزلتها في الإسلام، ويقرِّع كل من يجترئ على النَّيل من مقامها الرفيع، وعندما سمع رجلاً ينالُ منها قرَّعه قائلاً: (اغرُبْ مَقْبوحاً مَنْبوحاً، أَتؤذي حبيبةَ رسول الله ﷺ ؟!)[1].

حادي عشر: بين أمير المؤمنين علي وأم المؤمنين عائشة:

١ ـ توطئة:

الدارس المنصِف لعصر الخلفاء الراشدين يتحقق بيقين أن الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم كانوا على أرفع مكارم أخلاق الإسلام التي ربَّاهم عليها النبي ﷺ، مع الصديق والعدو في السرّاء والضرّاء، وهكذا كانوا فيما بينهم في حالات الوفاق والخلاف، واليسر والعسر، لا يخرج بهم الغضبُ والتمسك بالرأي والاجتهاد إلى العصيان والعدوان والخروج عن آداب القرآن، ولا يذهب بهم حظُّ النفس إلى تجاوز مبادئ الإسلام والنكول عن الشمائل النبيلة التي تأصلت في أنفسهم وعاشوها حياتهم حتى لقوا وجه ربهم.

وعلى هذا النهج بقي الصحابة وبخاصة أكابرُهم في زمن الفتنة الجامحة أيام الجمل وصفِّين بل والنهروان! كما تؤكد ذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار المستقيمة والمواقف التاريخية المتعددة.

---

(١) حديث صحيح، تقدم: ص٥١٩ حاشية رقم (٣) في هذا الكتاب.

وبمثل هذا الهَدْي تهـدَّى أمير المؤمنين علي والسيدة الطاهرة أم المؤمنين عائشة، في نشر الفضائل، والاعتراف بالمكارم، والودّ والاحترام والتبجيل المتبادل، والصفح والتسامح والإعذار على المخالفة في الاجتهاد، والمعاملة بالحسنى، وإظهار ذلك كله أمام الأشهاد.

فلم يكن بينهما غِلٌّ قديم ولا حقدٌ دفين، ولا جرى تأليبٌ أو انتقام، ولا حدثَتْ إهانة ولا تشهير، ولا صدر قدحٌ ولا ذَمٌّ، ولم يَثبت اتهامٌ أو شتم، ولا صَحَّ من ذلك شيء من قِبل علي في حق السيدة، ولا منها في حق أمير المؤمنين.

بَيْدَ أن إرْثاً ثقيلاً من الأخبار الواهية والأساطير المختَلَقة والمواقف المفتعلة والشتائم والإقذاع و... و... قد ناءَ بها كاهلُ كتب التاريخ في (تراث أهل السُّنَّة)، دَعْ عنك (تراث دين الرافضة)!.

والأنكى من ذلك والأشد مرارة وأعمق مأساة، أن تلك البلايا والرزايا قد تمَّ توارُثها (كأنها جينات سائدة) عبر أجيال من المؤرخين والكتَّاب، حتى وصلت إلينا كأنها مسلَّمات، بعضُها عن قصد وخبث ومكر وكيد وبغضاء وحقد، وبعضٌ آخر عن غباء وغُثائية وتقليد، وبعضٌ ثالث ناجم عن انخداع بذلك (الموروث) الذي صدَّقه فريق عريض من الناس، لكثرة ترداده وثقلِ الأحداث التي تناولها!.

في هذا الإطار نفهم ما جرى وما نقل إلينا عن علاقة أمير المؤمنين علي مع أكابر الصحابة في أحداث البصرة ووقعة الجمل وكذلك في خلافه مع أهل الشام وأميرهم معاوية ووقعة صفين.

٢ ـ عائشة تشيد بعليٍّ وتنشر مكارمه وتبرِّئه مما افتُرِي عليه:

أ ـ عن عائشة قالت: (خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شعرٍ أسوَدَ، فجاء الحسنُ بن علي فأَدْخَلَه، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخَلَه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])[1].

ب ـ وعن شُريح بن هانئ قال: (سألتُ عائشةَ عن المسح على الخفَّين؟ فقالت: سَلْ عليّاً فإنه أعلمُ بهذا منِّي، كان يسافر مع رسول الله ﷺ. قال: فسألتُ عليّاً؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**للمسافر ثلاثةُ أيام ولياليهنَّ، وللمقيم يومٌ وليلة**»)[2].

ج ـ وعن جَسْرة بنت دِجاجة قالت: (ذُكر عند عائشة صومُ عاشوراء، فقالت: مَن يأمُركم بصومِه؟ قالوا: عليٌّ، قالت: إنه أعلمُ مَن بقي بالسُّنَّة)[3].

د ـ وروى عُبيد الله بن عياض بن عَمْرو القاريُّ قال: (جاء عبد الله بن شدَّاد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس، مرجعَه من العراق لياليَ قُتل عليٌّ، فقالت له: يا عبدَ الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألُك؛ تحدِّثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم[4] علي؟ قال: وما لي لا أُصْدُقُكِ؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤). مرط: كساء. مرحل: منقوش عليه صور رحال الإبل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦)؛ وابن ماجه (٥٥٢)؛ وأحمد (٧٤٨)، وغيرهم.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٤٨/٣؛ الاستيعاب: ٤٠/٣.

(٤) أي: الخوارج.

قالت: فحدِّثْني عــن قصَّتِهم...)، فذكر حديثاً طويــلاً فيه قصة الخوارج وقتْل عليٍّ لهم، وفي آخره: (قالت: فما قــول عليٍّ حين قام عليه[1] كما يزعمُ أهل العراق؟ قال: ســمعتُه يقول: صَدَقَ الله ورســوله، قالت: هل ســمعتَ منه أنه قال غيرَ ذلك؟ قال: اللَّهمَّ لا، قالــت: أجَلْ، صدقَ الله ورســوله، يرحمُ الله عليّاً إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يُعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهبُ أهل العراق يَكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث)[2].

هـ ـ وعــن عبدالرحمن بن أَبْزَى قال: (انتهــى عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي إلى عائشــة يوم الجمل وهي في الهــودج، فقال: يا أم المؤمنيــن، أتعلمينَ أني أتيتُــكِ عندما قُتل عثمان فقلــت: ما تأمريني؟ فقلتِ: الزَمْ عليّاً؟! فسكتَتْ. فقال: اعقِروا الجمل، فعقروه)[3].

فهذا الحديث وما قبله يؤكد إجلالَ السيدة لأمير المؤمنين، وثناءَها عليه، ونشْــرَها فضائله، وأنها بقيتْ على ذلك حتــى بعد وقعة الجمل، وهي تقرِّر صحةَ بيعة علي وأحقيتَه بالطاعة، وأنها ما نقضَتْ بيعتها له، ولا طعنَتْ عليه، ولا خرجت ضــده ولا ألَّبتِ الناس عليه، ولا قصدت شيئاً من ذلك ولا سعت إليه، واستمرت في موقفها من علي على أرفع أخلاق الإسلام.

---

(١) تعني: (ذا الثُّدَيَّة) وقد قام علي عليه وهو مقتول.

(٢) أخرجــه أحمد (٦٥٦)؛ والحاكــم: ٢/١٥٢ـ١٥٤ وصحَّحــه، ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/٢٨٠ـ٢٨١.

(٣) تقدم: ص٥٨٣ في هذا الكتاب.

و ـ ولمّا جهَّز أمير المؤمنين عائشــةَ ووضع لها الرفقة التي ترافقها من البصرة إلى المدينة، خرجت السيدة على الناس وفي مقدمتهم علي، ووَدَّعُوها وودَّعَتْهم، وقالت: (يا بَنيَّ، تعتَّبَ بعضُنا على بعض اســتبطاءً واستزادة، فلا يعتدَّنَّ أحدٌ منكم على أحدٍ بشيء بَلَغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علــيٍّ في القديم إلا ما يكون بيــن المرأة وأحمائها، وإنه عندي على مَعْتَبتــي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقتْ والله وبَرَّتْ، مــا كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنهــا لزوجةُ نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[1].

ز ـ وأمــا ما جاء في موقف علــيٍّ من (قصة الإفك)، فحاشــاه أن يكون قصَدَ الإساءة إلى جناب السيدة وطهارتها وبراءتها، وهو يعلم أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ومُحال أن يُنال من شرفها صيانةً لها ولعِرْضها وعِرْض رسول الله ﷺ!.

وفي حديث الإفك الطويل عن عائشــة قالت: (ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبــي طالب وأســامةَ بن زيد حين اســتَلْبَثَ الوحيُ يســألُهما ويستشــيرهما في فِراق أهله. قالت: فأما أسامةُ فأشار على رسول الله ﷺ بالــذي يَعلمُ من براءة أهله وبالذي يعلمُ لهم في نفســه، فقال أســامة: أهلُــكَ، ولا نَعلمُ إلا خيراً. وأما عليٌّ فقال: يا رســولَ الله، لم يُضَيِّق الله عليك، والنساءُ سواها كثيرٌ، وسَلِ الجارية تَصْدُقْكَ)[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٤٤/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)؛ ومسلم (٢٧٧٠)، وغيرهما.

قال الحافظ: (وهذا الكلامُ الذي قاله عليٌّ حمله عليه ترجيحُ جانب النبي ﷺ لِما رأى عنده من القلق والغمِّ بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتُها. ويُستفاد منه ارتكاب أخفِّ الضررين لذهاب أشدِّهما. وقال الشيخ محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقَّب ذلك بقوله: «وسَلِ الجارية تصدقْك»، ففوَّض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إنْ أردتَ تعجيل الراحة ففارِقْها، وإنْ أردتَ خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطَّلع على براءتها، لأنه كان يتحقق أن بَريرة لا تخبره إلا بما علمَتْه، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة)[١].

وثبت عن عائشة: أنها برَّأت عليّاً من غمزهِ لها بحادثة الإفك، وصرَّحَتْ أن الذي تولى كبره هو ابن أُبيّ:

عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النور: ١١]، قالت: عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُول[٢].

قال الحافظ: (هذا هو المعروف في أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عبد الله بن أُبيّ، وبه تظاهرت الروايات عن عائشة من قصة الإفك المطولة)[٣].

---

(١) الفتح: ١٠/٤٧٩ـ ٤٨٠، شرح الحديث (٤٧٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٩).

(٣) الفتح: ١٠/٤٥٤، ٥٠٥.

وعن الزهري قال: (كنتُ عند الوليد بن عبد الملك فقال: الذي تولى كِبْره منهم عليُّ بن أبي طالب، فقلتُ: لا، حدثني سعيد بن المسيِّب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقّاص وعُبيد الله بن عبد الله: أنهم سمعوا عائشة تقول: الذي تولَّى كِبْره منهم عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول)[1].

٣ ـ وصية النبي ﷺ عليّاً بأم المؤمنين عائشة، وإعظام علي لها ورعايته لحرمتها:

●● عن أبي رافع: (أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ**» قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» قال: أنا؟ قال: «**نعم**» قال: فأنا أَشْقاهم يا رسول الله! قال: «**لا، ولكنْ إن كان ذلك فارْدُدْهَا إلى مأمنِها**»[2].

وعن عاصم بن كُليب، عن أبيه قال: (انتهينا إلى عليٍّ رضي الله عنه، فذَكر عائشة، فقال: حليلة رسول الله ﷺ)[3].

قال الذهبي: هذا حديث حسن، وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما.

(١) المعرفة والتاريخ: ٣٩٣/١؛ وبنحوه عند البخاري (٤١٤٢)؛ وانظر: الفتح: ٤٣١/٩ـ٤٣٣.

(٢) أخرجه أحمد: ٣٩٣/٦؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٦١٢، ٥٦١٣)؛ وحسنه الحافظ في الفتح: ٣٧٠/١٦؛ وله شاهد من حديث أم سلمة في المستدرك: ١١٩/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٧٧/٢.

وبعد الفراغ من وقعة الجمل أمر عليٌّ بإكرام أم المؤمنين، وأنزلها دارَ عبد الله بن خلف أعظمَ دار بالبصرة. وجاء لزيارتها والاطمئنان عليها ووداعها، فجاءه رجل فأخبره أن بالباب رجلين ينالان من السيدة عائشة فأَمر القعقاعَ بن عمرو أن يجلد كلًّا منهما مئة جلدة وأن يجرِّدهما من ثيابهما، ففعل[١].

●● ودخل أمير المؤمنين على السيدة عائشة وهي في دار عبد الله بن خلف، ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فسلَّم عليٌّ عليها وقعد عندها، وقال لها: كيف أنتِ يا أُمَّه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لكِ، قالت: ولكَ[٢]!.

ولما أرادت أم المؤمنين العودة إلى مكة، جهَّزها عليٌّ بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذِنَ لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام. واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر. فلما كان اليوم الذي ارتحلَتْ فيه، جاء عليٌّ فوقف على الباب وحضر الناس، وخرجت من الدار في الهودج فودَّعت الناس ودَعتْ لهم. وسار علي معها مودِّعاً ومشيِّعاً أميالاً، وسرَّح بَنيه معها بقية ذلك اليوم، وكان يوم السبت مستهل رجب سنة (٣٦هـ)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٤٠/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٣٤/٤، ٥٤٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٤٤/٤؛ البداية والنهاية: ٢٤٦/٧ ـ ٢٤٧.

٤ ـ أكاذيب وافتراءات:

تلكم هي العلاقة الحقيقية بين علي وعائشة ﭬ، وهكذا كانت أخلاق أصحاب نبينا ﷺ، لكن أعداءَ الله ورسوله والصحابة والمؤمنين؛ يأبَوْن إلا الولوغَ في أعراض الصحابة، ليزدادوا بذلك إثماً، وليكتبَ الله تعالى الثواب والحسنات للصحابة، ما دام هناك وغدٌ يأبِنُهم بالقول والكتابة والتشهير بالباطل!.

•• يتناقل الناس حديثاً واهياً ينسبونه إلى النبي ﷺ أنه قال لعائشة: «تقاتلين عليّاً وأنتِ ظالمة له» فهذا مما افتُري على سيرة سلفنا الصالح، وأُسِيء فيه إلى أم المؤمنين بقصد ذَمِّها والنَّيل منها في خروجها إلى البصرة.

يقول ابن تيمية معقِّباً على هذا الحديث: (لا يُعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبَهُ منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذبٌ قطعاً؛ فإن عائشة لم تقاتِل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجتْ لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحةً للمسلمين، ثم تبيَّن لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أَوْلى، فكانت إذا ذكرت خروجَها تبكي حتى تَبُلَّ خمارها)[١].

•• وذكر الشيخ المفيد[٢] الرافضي في كتابه «الجمل» خروجَ عائشة

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٣٦.

(٢) ترجم له الذهبي ترجمة مختصرة فقال: عالم الرافضة، صاحب التصانيف البدعية، وهي مئتا مصنف طعن فيها على السلف. وقال في موضع آخر: بلغت تواليفه مئتين، لم أقف على شيءٍ منها ولله الحمد! ميزان الاعتدال: ٤/٣٠؛ سير أعلام النبلاء: ١٧/٣٤٥.

على عليٍّ، وقال بأن خروجها بسبب ما كانت تُكِنّه لعليّ من كُره على إثر حادثة الإفك!.

ويؤكد ذلك الكرهَ من عائشة لعلي فيقول: إن الناعي حينما جاء إلى أهل المدينة بقتل علي وسمعت عائشة بذلك استبشرت وقالت متمثلة:

فإنْ يكُ ناعياً فلقد نَعَاه لنا مَن ليس في فيهِ الترابُ

بل لقد سجدت شكراً لله على قتله، ثم رفعتْ رأسَها وهي تقول ـ حسب زعمه ـ:

وأَلقَتْ عصاها واستقرَّتَ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[1]

فهل يُعقل أيها المفيد أن تسعى أم المؤمنين عائشة ـ وهي ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ لأن تضرب المسلمين بعضَهم ببعض وتتسبَّب بسَفْك دمائهم، لموجدة وجدَتْها في نفسها على علي منذ عشرات السنين؟! أم الصحيح أن الرافضة تغلي قلوبهم ضِغْناً وافتراءً على أم المؤمنين وزوجِ النبي ﷺ في الدنيا والآخرة كما شهد بذلك علي وعمار وغيرهما؟!.

ـ ونقل اليعقوبي موقفَ علي من عائشة، فخاطبها بكلام فَجٍّ فيه تأنيبٌ فقال: (إيْهاً يا حُميراء! أَلم تنتهي عن هذا المسير؟... اخرجي إلى المدينة، وارجِعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله أن تَقَرّي فيه!)[2].

---

(١) كتابه: الجمل، ص ٦٥ ـ ٦٨؛ وانظر: عبد الله بن سبأ، للعودة، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/٨٢.

وهذا من الكذب السَّمْج والافتراءِ على أمير المؤمنين علي بأنه خاطب عائشة بقوله: (يا حميراء)، ولم يصفها (بأم المؤمنين)، ولا أقام لحرمتها مكاناً! وفي هذا من الفظاظة ما لم يصدر مثلُه من علي بحق النسوة اللائي سبَبْنَه ودَعَوْنَ عليه بأن يُيتم الله ولده[١]!.

ـ وبقي الرافضة المعاصرون على دين آبائهم، بل زاد بعضهم على المتقدمين جرأةً وإفكاً وافتراءً! فهذا أحدُ مجتهديهم المعاصرين يزعم بأن عائشة كانت تحرض على قتل عثمان، فلما قُتل قامت تطالب بدمه وتؤلِّب على علي، واستنجدت بطلحة لذلك، ولما انتصر علي خالفَتْ موقفَها السابق وعرضت عليه تأييدها بعد أن قادت الجيوش لحربه! ووصف هذا الرجل موقف عائشة بأنه (تناقض وتهافت وخضوع للأهواء والأغراض)، ولمَّحَ إلى أنها كمن قال الله فيهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠][٢]!.

●● وفي كتب طائفة من الكتاب المُحدَثين من غير الرافضة من الأخلوقات والافتراءات ما لا يحتمله ذو لبٍّ ومروءة وإنصاف!.

من هذا القَبيل ما جاء في كتاب «علي بن أبي طالب» لعبد الكريم الخطيب، وقد اعتمد فيه كثيراً على «نهج البلاغة» وشرحه لابن

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٥٤٠.

(٢) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ١٣٠ ـ ١٣٢.

أبي الحديد، و«الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة، و«تاريخ اليعقوبي»، وروايات «تاريخ الطبري» التي سلَّم بها على ما فيها من باطل، وأخذ يستنتج بأن البغضاء بين علي وعائشة قديمة منذ تزوج بفاطمة الزهراء ورُزق منها الولد، وحُرمت عائشة من الأولاد، وكانت فاطمة تكثر الشكوى من عائشة، فتنقل النساء ذلك إليها، فتشكو إلى أبيها أبي بكر، فحصل في نفسه أثرٌ ما!.

(وفي خلافة أبي بكر استظهرت عائشة بأبيها واستطالت، وعظُم شأنها، وانخزل علي وفاطمة، وخُذلا، وقُهرا!)، والنساء ينقلن كل ما تقوله في علي وفاطمة إليهما، وما يقولانه هما في عائشة، (وظهر التشفِّي والشماتة، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من تشفي العدو)... (واستمرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيها، وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي، والأحقاد تذيب الحجارة!).

وذكر كلاماً كثيراً، ومما قاله: (والسيدة عائشة ﷺ كان سخطُها على علي وبغضُها له هو المحرك الأول لموقفها منه، ولثورتها عليه، ولولا أنها كانت تحمل لعلي هذه الكراهية لما ألقت بنفسها في هذا الموقف الذي لم يكن من شأن امرأة أن تقفه ديانة أو عصبية)[1].

•• أرأيتَ أيها القارئ ذلك الجيل الذي تنزَّل عليه القرآن وربَّاه النبي ﷺ، وجاهد في سبيل الله، وضحَّى بالنفس والولد والمال، وحمل الراية ونشَرَ الإسلام، وعلَّم الناسَ مبادئ الإنسانية والكرامة والنُّبل

---

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٢٩٠ـ٢٩٤، ٣٤٩.

والشرف والمروءة والإخلاص والزهد والعفو والتسامح.... ذاك الجيل في فكر هذا الكاتب وأمثاله يتقلّب في مفاسد الأخلاق من الحقد والحسد والبغضاء والتدابر والشحناء والغيبة والنميمة والعصبية والظلم والتظاهر بنصرة المظلوم، وتأليب الناس على الخلفاء... يحدث ذلك ـ زعموا ـ بين خيار الصحابة، بل وفي بيت النبوة!.

وإذا كان هذا الرجل يقول مثل هذا الكلام المفترى، فكيف بكتابات طه حسين وعبدالرحمن الشرقاوي ومحمود أبو رية وهشام جعيط وخالد محمد خالد... دع عنك المستشرقين والرافضة القدماء والمعاصرين!.

ثاني عشر: حقائق ووقفات حول موقف أمير المؤمنين علي من أخويه طلحة والزبير، وقصة استشهادهما:

١ ـ استشهاد طلحة بن عبيد الله[١]:

●● ترددت الأخبار واضطربت فيمن قتل طلحةَ، فروي أن مروان بن الحَكَم رماه بسهمٍ فقتله، وقيل: بل جاءه سَهْم غربٍ لا يُعرف راميه فقتله، وهذا هو الصواب وإن كان الأول هو المشهور.

فبعد التحقيق في الروايات وغربلتها ونقدها سنداً ومتناً؛ يتبيَّن للباحث المنصف أن مروان بريء من دم طلحة، والصحيح أنه استشهد بسهم لا يُعرف راميه.

(١) انظر: تاريخ خليفة، ص ١٨١، ١٨٥، ١٨٦؛ طبقات ابن سعد: ٢٢٣/٣؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٢/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣٥/١ـ٣٦؛ البداية والنهاية: ٢٤٢/٧، ٢٤٨، كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٥٤٠ـ٥٤٤.

قال الإمام المحقق أبو بكر ابن العربي: (وقد روي أن مروان لمّا وقعتْ عينُه في الاصطفاف على طلحة قال: لا أطلب أثراً بعد عَيْن، ورماه بسهمٍ فقتله. ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب؟! ولم ينقله ثبت!)[١].

وقال خليفة بن خياط: (كانت وقعة الجمل بالبصرة بالزاوية ناحية طَفّ البصرة، وفيها قُتل طلحة بن عبيد الله في المعركة، أصابه سَهْم غَرْبٍ فقتله)[٢].

وإليه جنح ابن كثير فقال: (وأما طلحةُ فجاءه في المعركة سَهْم غَرْب، يُقال: رماه به مروان بن الحكم، فالله أعلم). وقال في موضع آخر: (لمّا حضر يوم الجمل جاءه سهم غَرْب، فوقع في ركْبته، وقيل: في رقبته، والأول أشهر. ويُقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم. وقد قيل: إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقربُ، وإن كان الأول مشهوراً)[٣].

والرواية التي يتمسك بها من يُلصِقون قتْلَ طلحة بمروان، هي ما رواه قيس بن أبي حازم قال: (رأيتُ مروان بن الحكم حين رمى طلحةَ يومئذٍ بسهم فوقع في عين ركبته، فما زال الدم يسيح إلى أن مات).

---

(١) العواصم من القواصم، ص ١٦٠.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٨١.

(٣) البداية والنهاية: ٧/٢٤٢، ٢٤٨.

وفي لفظ آخر عن قيس: (أن مروان بن الحَكَم رأى طلحة في الخيل، فقال: هذا أعانَ على قتل عثمان، فرماه بسهمٍ في ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات)[١].

وهذه الرواية صحَّحها الحافظ ابن حجر وغيره.

•• نقول: في إحدى الروايتين عن قيس يذكر: (أن مروان رأى طلحة)، وفي الأخرى يقول: (رأيتُ)، وقيس لم يشهد وقعة الجمل، ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين أنه شهدها مع أي من الفريقين، بل كان مع علي يوم النهروان.

وعلى التسليم بصحة سندها، فإن في متنها ومتن غيرها من الروايات نكارةً شديدةً:

فتارة ترى مروان يقول: (هذا أعان على قتل عثمان)، وتارة يقول: (لا أطلب بثأري بعد اليوم)، وأخرى يقول: (لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً)، ويقول لأبان بن عثمان: (قد كفيناكَ بعضَ قتلةِ أبيك)[٢].

فإن تصحيح مثل هذه الروايات يعني إثباتَ التهمة على طلحة بأنه أعان على قتل عثمان، بل إنه من قتلته! ثم كيف يتهم مروانُ طلحةَ بقتل عثمان أو التأليب عليه وهو قد عاينَ مواقفَه منهُ، وكان بالأمس القريب مع ابنه محمد بن طلحة السجّاد في الدار ينافحان عن عثمان!.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٢٢٣؛ المعرفة والتاريخ: ٣/٤٠٢؛ سير أعلام النبلاء: ١/٣٥ـ٣٦؛ الإصابة: ٢/٢٢١ـ٢٢٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٥٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٥٤٠ـ٥٤٤.

وأيضاً فإن طلحة خرج مع الزبير وعائشة في جيش إلى البصرة ليستعينوا بأهلها على قتل قتلة عثمان، فكيف يصحُّ اتهامُ طلحة بالتأليب على عثمان والسعي في قتله؟ ومروان معه في ذلك الجيش ويعلم صدقَ مسعاه في ذلك.

ثم أي ثأر لمروان حتى يقتل طلحة وهو معه في جيش واحد، وقد خرجوا جميعاً للمطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان؟!.

ومما يؤيد براءةَ مروان من دم طلحة ما أخرجه ابن سعد: عن محمد الأنصاري، عن أبيه قال: (جاء رجلٌ يومَ الجمل فقال: ائْذَنوا لقاتلِ طلحة، قال: فسمعتُ عليّاً يقول: بشِّرْه بالنار)[1].

وهذا نص واضح في أنه ليس بمروان، فمثلُ مروان لا يُجهل وهو معروف عند الجميع، فلو كان هو لما قال: (رجل)، بل كان صرَّح باسمه! ثم إن أحداً لم يَقلْ بأن مروان دخل على علي يوم الجمل، ولا قبله ولا بعده.

وهل بإمكان مروان أن يذهب إلى أمير المؤمنين عليٍّ ويصل إليه، دون أن تتناوشه سهامُ السبئية القاتلة؟!.

والذي يترجَّح أن قاتلَ طلحة كان من السبئية في جيش أمير المؤمنين علي، وهو ممن يضطغن على طلحة وأمثاله، فحرِص على قتْلِه، ولما تمَّ له ذلك أسرع إلى علي وهو يظن أنه سيُفرحه بذلك، فجابَهَه أمير المؤمنين بتلك العقوبة التي صعقت فؤاده!.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٢٢٥.

ومن مخاطر هذه الروايات: أنها تعمِّي على القتلة ومثيري الفتنة، وتبرِّئهم من الجرائم التي سطرها التاريخ في سِيَرهم، وتلبِّس على الناس وتُلصقها برجال كرام برآء!.

٢ ـ الزبير بن العوام واستشهاده:

•• مع توالي الأحداث منذ خروج (أصحاب الجمل) من مكة مروراً بالطريق إلى البصرة ثم سيطرتهم عليها، وما جرى خلال ذلك من قتال، ثم تقابلهم مع جيش علي والاتفاق على الصلح، وما قام به السبئية من إشعال نار الحرب بين الفريقين ـ كان الزبير يستعرض مجريات الأمور وبواعثها ونتائجها ويجمع بين أطرافها؛ فتبيَّن له أن من الخير له في دينه وآخرته أن يخفِّف من وقود المعركة ويسرع في إنهائها، وذلك بأن ينسحب من ميدانها، فقرَّر ذلك وغادرها، دون أن يعبأ بقول قائل: إنه تركها جُبناً، أو إنما يقاتل للإصلاح.

ففي طريقهم إلى البصرة وقد نَبحت كلابُ الحَوْءَب، فحدَّثت السيدة عائشة بحديث النبي ﷺ في ذلك[1]، وعزمت على الرجوع، فقيل لها: إنما خرجتِ للإصلاح. وكان هذا بمَسمع الزبير بلا شك لأنه من وجوه القوم وزعماء الجيش، لكنْ لم يكن كافياً ليصرفَه عن هدفه واجتهاده في خروجه هذا.

وعندما حَدَث في البصرة ما حدث ونَشب القتال، ورأى اختلاطَ

---

(١) انظر ما تقدم: ص٥٣٩ ـ ٥٤٠ في هذا الكتاب.

الأمور، ووجـودَ أصحاب الفتنة وموقـدي نارها في الصفـوف؛ ازداد الهاجسُ في نفسه وقويَ تشكُّكُه في صحة خروجه.

وانضاف إلى ذلك ما عايَنَه من اتفاقهم على الصلح مع القعقاع، ثم نشوب القتال من الليل، وهو لا يَتَّهم من معه من الصالحين، ولا يَرْمي به أخـاه عليّاً وصالحي جيشـه كذلك، فعَلِمَ أن الأمر لا يسـتقيم على طريقة مستنيرة.

وأيَّد رأيَه وقوَّى عزمَه ما كان يحفظه من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ [الأنفـال: ٢٥]، فعندمـا رأى الفتـن واكتوى بلظاها، عَلِم أنها هي هي، وأنهم أهلُها.

ونظر في جيش علي فرأى فيه عمار بنَ ياسـر، وقد قال النبي ﷺ: «وَيْحَ عمار تقتله الفئة الباغية»، وبكل حـال فقَتْلُ عمارٍ في جيش علي لو وقع يعني أن الجيش الآخر هو الفئة الباغية!.

وزاد من ذلـك مجيء ابن عباس إلى الزبير وقولـه له: (أين صفية بنـت عبد المطلـب حيـث تُقاتِـل بسـيفك عليَّ بن أبـي طالب بن عبد المطلب؟!)[1].

ولما حدثت المواجهة بيـن الجيش الذي هو فيـه وبين جيش أمير المؤمنين؛ استرجع الزبير ما جرى لهم في البصرة، فإذا الأحداث هي هي، وأصحاب الفتنة ومسـاعيرِ الفسـاد والإفسـاد هم هم... ورأى أن الخرق يتسع، وكلما أُوصِد باب للفتنة شُـرع في وجههم باب آخر أعظم خطراً،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ١١٠، وإسناده صحيح.

واستيقن أنه لم يَعُد بمقدوره توجيه الأمر إلى ما يقصده من الإصلاح والأخذ على أيدي القتلة بالقصاص، وتأكد أنه ليس من الصواب المواجهة مع أمير المؤمنين علي وجيشه، لأن ذلك قد يؤدي إلى شر مستطير.

كل هذه العوامل، مع ما للزبير من تاريخ مجيد ومواقف خالدة ونفس أبية وورع وإخلاص؛ حملَتْه على أن يترك المعركة وينسحِبَ منها غير آبهٍ بما يُقال فيه وعنه، فبطولة البطل تكمن بالاستمساك بثوابته وقناعاته ونداء الإيمان من قلبه والأدلة التي قامت بين يديه، لا ينتظر مدحة ولا يخشى تثريباً[1]!

•• أما ما روي من أن عليّاً قابَلَ الزبيرَ وذكَّره بقول النبي ﷺ أنه سيُقاتل عليّاً وهو له ظالم، فهو خبر لا يصحّ.

عن يزيد بن هارون قال: حدثنا شَريك، عن الأسود بن قيس قال: (حدثني من رأى الزبيرَ يقتفي آثارَ الخيل قَعْصاً بالرمح، فناداه عليٌّ: يا أبا عبد الله! فأقبل عليه، حتى التقت أعناق دوابِّهما، فقال: أَنْشُدك بالله، أتذكرُ يوم كنتُ أناجيك، فأتانا رسول الله ﷺ فقال: «تُناجيه! فوالله ليُقاتِلَنَّكَ وهو لك ظالمٌ»؟ قال: فلم يَعْدُ أن سَمِع الحديث، فضَرب وجْهَ دابَّته، وذهب)[2].

وهذا إسناد ضعيف فيه راوٍ مجهول، وشريك سيّئ الحفظ.

---

(١) انظر كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٦٤٥_٦٤٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧١٩/٨؛ الدولابي في «الذرية الطاهرة» نقلًا عن: سير أعلام النبلاء: ٥٨/١.

وأخرج الحاكم: عن عبدالله بن محمد بن عبد الملك الرَّقَاشِيِّ، عن جدِّه عبدالملك، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدِّيْليِّ قال: (شهدتُ الزبير خرج يريد عليّاً، فقال له علي: أَنشُدك الله، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «تُقاتِلُه وأنتَ له ظالمٌ»؟ فقال: لم أَذكُر! ثم مضى الزبير منصرِفاً)[١].

وصحَّحه الحاكم وأقرّه الذهبي، وليس كما قالا، وهو غريب منهما؛ فعبد الملك بن مسلم الرَّقاشي مجهول، وقد ذكر الذهبي في ترجمته من «الميزان» عن البخاري عدمَ صحة الحديث، وأقرّه على ذلك[٢].

ورواه أيضاً أبو يعلى في «مسنده»، وقال محققه: إسناد الحديث ضعيف جدّاً[٣].

وله طرق أخرى أوردها الحافظ في «المطالب العالية»[٤]، كلها ضعيفة ضعَّفها محققُه المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، وقد دلَّسَتْ عليه مؤلفةُ كتاب «بيعة علي» وزعمتْ أن الأعظمي صحح الحديث، وليس ذلك من أمانة العلم[٥]!.

ـ ومما يضعِّف الحديثَ أيضاً: أنه قد ثبت أن عليّاً التقى بطلحة والزبير في خيمة كما قدمنا[٦]، لإيجاد حلٍّ سلمي للخلاف، فلماذا لم يُذكِّر علي الزبير بهذا الحديث آنذاك؟!.

---

(١) المستدرك: ٣/٣٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢/٦٦٤.

(٣) مسند أبي يعلى: ٢/٦٦٦.

(٤) الأحاديث (٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٤٤٧٠، ٤٤٧٥، ٤٤٧٦).

(٥) بيعة علي، ص ٨٥ـ٨٦.

(٦) انظر ما تقدم: ص٥٦٨ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

ثم كيف يُعقل أن يلتقي قائدان مختلفان في أرض المعركة ويتباحثان أمراً خطيراً، والمعركة محتدِمة، والسبئيون حريصون على تسعير الفتنة وخلط الأمور، فلو أنهم رأوا الزبير واقفاً ساكناً مع علي لسدَّدوا إليه سهامَهم الكثيرة كما فعلوا بهودج أم المؤمنين عائشة.

ـ والنظرُ الصحيح يقتضي تضعيفَ ذلك الحديث: فلو كان صحيحاً معلوماً عند علي لَمَا سكتَ عنه حتى تحتدم المعركة وتتناثر الرؤوس عن كواهلها، وينتظر حتى يتقابلَ مع الزبير على أرض المعركة وتتصافح عُنقا فرسَيْهما فَيُخبره به بعد تباطؤ!.

ولو كان هذا الخبر ثابتاً عند علي لحمله ورعُه وإخلاصُه وحرصُه على دماء المسلمين على المبادرة بإعلانه، ولَوَاجَه به الزبيرَ على الملأ ليكون أرجَى في تثبيط همَّة الراغبين في القتال، وأنجعَ في إطفاء نار الحرب.

ـ استشهاد الزبير[1]:

روى خبر استشهاد الزبير جمهرة المؤرخين وأصحاب التراجم، وخلاصته: أن الزبير لما انسحب من أرض المعركة لَحِق (بسَفَوان) ـ موضع بالبصرة كمكان القادسية من الكوفة ـ فلقيه النَّعِر ـ رجلٌ من مجاشع ـ فقال: أين تذهب يا حواريَّ رسول الله ﷺ؟! إليَّ فأنت في ذمتي لا يوصَل إليك، فأقبل معه. فأتى الأحنفَ بن قيس خبرُه، فقيل: ذاك الزبير

(١) تاريخ خليفة، ص ١٨١، ١٨٦؛ طبقات ابن سعد: ٣/١١٠ـ١١٢؛ المعرفة والتاريخ: ٣/٤٠١؛ تاريخ الطبري: ٤/٤٩٨ـ٤٩٩، وكتب الصحابة.

قد لُقِي بسَفَوان فما تأمر؟ قال: جَمَع بين المسلمين حتى ضرب بعضُهم حواجبَ بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته! فسمعه عمير[1] بن جُرموز وفَضَالة بن حابس ونُفيع، فركبوا في طلبه، فلقوه مع النَّعِر، فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو على فرس له ضعيفة، فطعنه طعنةً خفيفة، وحَمل عليه الزبير وهو على فرس له يُقال له: ذو الخِمار، حتى إذا ظن أنه قاتِلُه نادى عمير بن جرموز: يا نُفيع، يا فَضَالة، فحملوا عليه فقتلوه[2]!.

٣ - حزن أمير المؤمنين علي على أخويه طلحة والزبير، ومواقف نبيلة:

على الرغم مما جرى بين الصحابة في أيام الفتنة، فقد بقوا على النهج الذي رباهم عليه النبي ﷺ، والأحاديثُ الصحيحة والأخبار الثابتة المستقيمة تؤكِّد عمقَ الأخوَّة بين هؤلاء الثلاثة الأماجد الكرام، وأنها استمرت على أرفع مكارم أخلاق الإسلام حتى نهاية الأحداث.

عن الحسن البصري قال: (جاء رجلٌ إلى الزبير أيام الجمل، فقال: أَقْتُلُ لك عليّاً؟ قال: وكيف؟ قال: آتيهِ فأخبرُه أنِّي معه، ثم أَفْتِكُ به! فقال الزبير: لا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ، لا يَفْتِكُ مؤمنٌ**»)[3].

---

(١) وفي بعض المصادر: (عمرو).

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٤٩٨ـ٤٩٩؛ سير أعلام النبلاء: ١/٦٠ـ٦١؛ المطالبة العالية (٤٤٦٦)؛ كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٦٤٩ـ٦٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة: ٨/٦٤٤، ٧١٧؛ وأحمد (١٤٢٦، ١٤٢٧)؛ وعبدالرزاق (٩٦٧٦، ٩٦٧٧)، وصحَّحه أحمد شاكر.

ومواقف أمير المؤمنين عليٍّ من طلحة والزبير كثيرةٌ شهيرةٌ في إجلالهما وحبِّهما وإكرامهما والثناءِ عليهما، والحزنِ البليغ على فراقهما[١]، ومن ذلك:

●● عن عامر الشعبي قال: (رأى عليُّ بن أبي طالب طلحةَ بن عبيد الله ملقًى في بعض الأودية، فنزل فمسحَ التراب عن وجهه، ثم قال: عزيزٌ عليَّ أبا محمد أن أراك مُجَنْدلاً في الأودية وتحت نجوم السماء! ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري).

قال الأَصْمَعيُّ: عُجَري وبُجَري: سرائري وأحزاني التي تموج في صدري[٢].

ـ وعن طلحة بن مصرِّف: (أن عليّاً انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابَّتِه، وأجلَسَه، فجعل يَمسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، ويقول: ليتني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة!)[٣].

ـ وتقدم أنه لما استأذَنَ عليه قاتلُ طلحة، قال عليٌّ: بَشِّرْه بالنار[٤]!.

بل إن عليّاً لَيَحفظُ طلحة بعد استشهاده، ويُحسن إليه وإلى عقِبه، ويبكيه ويرثيه، ويعلن ذلك أمام جنده، ويؤنِّب من يسيء إلى طلحة ولو بكلمة.

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٥١٥ ـ ٥١٦ رقم (٢) في هذا الكتاب.
(٢) مختصر ابن عساكر: ١١/٢٠٧؛ سير أعلام النبلاء: ١/٣٦.
(٣) أخرجه الطبراني (٢٠٢)؛ والحاكم: ٣/٢٧٢؛ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/١٥٠ وقال: إسناده حسن.
(٤) تقدم: ص ٦٠٨ حاشية (١) في هذا الكتاب.

ـ عن أبي حَبيبة مولى طلحة قال: (دخلتُ على عليٍّ مع عمران بن طلحةَ بعدما فرغ من أصحاب الجمل، قال: فرحَّبَ به وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلَني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وقال: يا ابنَ أخي، كيف فلانة؟ كيف فلانة؟ وسأله عن أمهات أولاد أبيه. قال: ثم قال: لم نَقبِض أَرَضيكم هذه السنين إلا مخافةَ أن ينتهبها الناس. يا فلان، انطلِقْ معه إلى ابن قرظة، فَمُرْهُ فَلْيُعْطِه غَلَّته هذه السنين، ويدفع إليه أرضه. قال: فقال رجلان جالسان ناحيةً، أحدُهما الحارث الأعور: الله أعدلُ من ذلك، أن تقتلهم بالأمس وتكونوا إخواناً على سُرر متقابلين في الجنة! فقال علي: قُومَا أبعدَ أرضِ الله وأسحقَها؛ فمن هو إذاً إنْ لم أكن أنا وطلحة؟! يا ابن أخي، إذا كانت لك حاجة فائتنا)(١).

وفي رواية أخرى: أن الرجل الآخر هو ابن الكَوَّاء، فقام إليه عليٌّ بدِرَّتِه فضربه، وقال: (أنت ـ لا أُمَّ لك ـ وأصحابُك تُنكِرون هذا؟!)(٢).

وتكرر هذا الموقف من أمير المؤمنين علي في الكوفة أيضاً مع ولدَي طلحة بن عبيد الله(٣).

•• ومثل ذلك كان موقف علي مع الزبير بن العوام حواري النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن سعد: ٣/٢٢٤؛ والحاكم: ٣/٣٧٦ـ٣٧٧ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٢٢٤ـ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق: ٣/٢٢٥.

ـ ففي قصة مقتل الزبير: (وأخذ ابن جُرْمُوز رأسَه، فحمله حتى أتى به وبسيفه علياً، فأخذه عليٌّ وقال: سيفٌ واللهِ طالَما جَلَا به عن وجه رسول الله ﷺ الكَرْبَ! ولكن الحَيْنُ ومصارعُ السوء. ودُفن الزبير رحمه الله بوادي السباع، وجلس علي يبكي عليه هو وأصحابه)[1].

ـ وعن أبي نَضْرة قال: (لمَّا أُتي عليٌّ بقَتْل الزبير وبخاتمه وبسيفه بكى علي، وبكى بنوه، وقال: نَغَّص علينا قتل الزبير ما نحن فيه)[2].

ـ وقال زِرُّ بن حُبَيْش: (استأذَنَ ابن جُرْمُوز على عليٍّ وأنا عنده، فقال عليٌّ: بَشِّرْ قاتلَ ابنِ صفيَّة بالنار! ثم قال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبيٍّ حَوَارِيّاً، وحَوَاريَّ الزبيرُ**»)[3].

ـ وعن علي قال: (إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧])[4].

ثالث عشر: وقفات ودروس وعبر:

لا بدّ للمرء وهو يطالع وقائع (معركة الجمل) من أن يقف طويلاً وينظر نظرة معمّقة لأسبابها ومجرياتها، ونتائجها، ليستنبطَ منها

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/١١٢؛ سير أعلام النبلاء: ١/٦١، ورجاله ثقات. **الحين**: الهلاك.

(٢) مختصر ابن عساكر: ٩/٢٦.

(٣) أخرجه أحمد (٦٨٠)؛ وابن سعد: ٣/١٠٥؛ والحاكم: ٣/٣٦٧ وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/١١٣.

الدروس والعبر، فالتاريخ يعيد نفسه كثيراً مع تغير أشخاصه وأزمنته وأمكنته ووسائله... ويؤكِّد ذلك ما نشهده في هذه السنوات من أصحاب الشعارات البراقة والكلمات الرنانة والادعاءات الفضفاضة، التي خُدع بها كثير من الأغمار بل وبعض (الرموز) في حقل الدعوة الإسلامية، أما الذين آتاهم الله بصيرة نافذة وذاكرة حاضرة لأحداث التاريخ؛ فقد حماهم الله من أن تنطلي عليهم ألاعيبُ سحرة فرعون المعاصرين! وعندما وقعت الأقدار على مسرح الحياة العملية والمواقف الحاسمة؛ انكشف الغطاء وتمزق برقع النفاق والمتاجرة بالإسلام ونصرة الضعفاء ضد الاستكبار العالمي والصهيونية وأعداء الحرية!.

لقد مرت أمتنا في السنوات الأخيرة القليلة ولا تزال إلى الآن بمحنٍ وأحداثٍ جسام فضحت ألاعيب النفاق المعاصر، وحَصَّلت ما في الصدور، حتى علِمَه الكبار والصغار والأذكياء والأغمار!.

ونشير هنا بكلام موجز إلى دروس وعِبر مما فصَّلنا القولَ فيه حول مأساة (معركة الجمل)؛ لتكون زاداً وحرزاً وموعظة وذكرى:

١ ـ براءة الصحابة جميعاً من الهوى وطلب السلطة والسعي للفرقة: فكلّهم كان يريد الإصلاح وتحكيم الشرع والقصاص من القتلة والمفسدين في الأرض. ويظهر ذلك في كل مجريات الأحداث، ومن دعوتهم للصلح وسعيهم الحثيث إليه واتفاقهم عليه وفرحهم به ورفعهم المصاحف إبان القتال، ولكن اختلفت اجتهاداتهم في الأداء، وأشعلت السبئية بينهم نار القتال فكان ما كان!.

٢ ـ ما كان عليه الصحابة من أخلاق رفيعة تمثَّلوها وفق توجيهات القرآن الكريم وهَدْي النبي ﷺ، حتى عند اشتداد القتال وتحت بارقة السيوف، ويتجلى ذلك في مواقف كثيرة؛ منها: شهادة عمار لأم المؤمنين عائشة بأنها زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وموقف علي منها ورعايته حرمتها، وبكاؤه على طلحة والزبير وثناؤه عليهما وتقريعه مَن قتلهما وروايته حديث وجوب النار لهما! وشهادة عائشة لعمار بأنه قوال بالحق، وإنصافها ونُبلها في قولها لابن أَبْزَى بعد مقتل عثمان: الزم عليّاً. وإرشادها من سألها عن أمر فقهي بأن يسأل عليّاً، وشهادة طلحة والزبير لعليٍّ بأنه ما جارَ في حكم ولا استأثر بفَيء.

٣ ـ كانت آداب الإسلام وتوجيهاته في الخلاف والخصومة والقتال قائمة شاهدة حاضرة عند الصحابة والصالحين في الفريقين: فكان أمير المؤمنين يقول: إني أذكِّر اللهَ رجلاً رعى لله حقّاً إلا نفر، فإن كنتُ مظلوماً أعانني، وإن كنتُ ظالماً أخذلني. وأمر بعقر جمل عائشة للحفاظ عليها ولإطفاء نار القتال. ونادى في الجيش أن لا يُذَفَّف على جريح ولا يُتبع مدبر ولا يُقتل أسير. ولم يسبِ ولم يخمِّس. ويطوف على القتلى ويتوجَّع على الصالحين، ويصلي على قتلى الطرفين. ويكرر في أكثر من موقف قولَه في أهل الجمل: إخواننا بَغَوا علينا. وعمار وغيره يسرعون إلى عائشة ويحملون هودجها. والفريقان يتواقفان ويتحرجان من القتال وسَلّ السلاح، وكل منهما ينادي: الله أكبر لا إلٰه إلا الله.

٤ ـ غموضُ المستقبل واشتباكُ الفتن واشتباهُ الأمور جعلَ أكابرَ الصحابة والعقلاء يترددون في اتخاذ موقف حاسم؛ حتى قال بعضهم:

لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبهٌ علينا، ونحن مقيمون حتى يُضيء لنا ويُسفِر! وقال الزبير: ما كان أمرٌ قطُّ إلا علمتُ موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر فإني لا أدري أَمُقبِل أنا فيه أم مُدْبِر!.

فاختلفت الاجتهادات بين مؤيد للخليفة، ومعارض له، ومعتزل للفريقين؛ مما أدى إلى تصدُّع الصف وحدوثِ شَرْخ كبير في المجتمع الإسلامي، مما يؤكد أن الذي حدث كان باجتهاد، ويبين عذر الصحابة في هذا الفريق وذاك.

٥ ـ أهمية تنقية الصفوف، واستئصال مصادر الفتنة، والتخلُّص من زَغَل أصحاب الهوى وضعاف النفوس، ممن لا يصطبرون على البلاء ولا يقبلون اختلاف الآخرين معهم، فإن اندساس أمثال هؤلاء في صفوف المؤمنين من أكبر الأخطار عند اشتداد الأزمات وتغاير الاجتهادات، وهذا ما أحدثه مبتغو الفتنة ممن يدّعون الإصلاح وهم أحرصُ الناس على فساد.

٦ ـ شؤمُ الخروج على وحدة الأمة، وتفريقِ كلمتها: ولو كان في ذلك بعض المصلحة فيما يبدو باديَ الرأي، وإنَّ دَفْعَ أخفِّ الضررين وارتكابَ أدنى المفسدتين أَوْلى، والصلح له أبواب كثيرة، ولو كان بالتنازل عن بعض الحق.

٧ ـ الذي نراه، وهو ما تمخَّضَتْ عنه مجريات الأحداث وأكَّدَتْه النتائج المُرّة: أن أمير المؤمنين عليّاً لو أنصتَ لآراء الناصحين بعدم الخروج من المدينة إلى البصرة والشام، واصطلح مع إخوانه المخالفين له؛ لكان أَوْلى وأسلَمَ، وقد جرى في عهده تأَوُّلٌ في الدماء أدى إلى

نتائج خطيرة[١]، ولم تصفُ له قلوب كثيرين، ولا أمكنه قهرُ المخالفين ولا المندسين في جيشه، واقتضى رأيُه القتالَ وظَنَّ أنه به تحصل الطاعة والجماعة، فما زاد الأمر إلا شدَّة، وجانبه إلا ضعفاً، وجانب من حاربه إلا قوة، والأمة إلا افتراقاً[٢]!.

٨ ـ **إن الذي يتحمل وِزْرَ إنشاب القتال وإراقة الدماء هم قتلة عثمان وأنصارهم**، فقد كانوا مساعيرَ الحرب وقادحي زَنْدها وموقدي نارها، كلما خَبَت زادوها سعيراً! والمتتبع للأحداث يرى ذلك واضحاً لا خفاءَ فيه، بَدْءاً من قتل الشهيد عثمان، ثم وقعة الجمل، ثم صِفِّين.

٩ ـ **الأيدي التي قتلت عثمان ﵁ هي نفسُها التي قتلت طلحة والزبير ثم أمير المؤمنين عليّاً، وهي التي زوَّرت الكتب** على لسان الصحابة ومروان بن الحكم، والتي اتهمت مروان بقتل طلحة إمعاناً في التعمية على المجرم الحقيقي وإيغالاً في الكذب والتزوير.

وشريكها في ذلك أولئك الذين تلاعبوا بالتاريخ ورواياته، وشوَّهوا صورته، ودلَّسوا على الأمة حقائقه ووقائعه، حتى لا ينكشف الوجه الأسود للجُنَاة على التاريخ ورجالِ الأمة الكبار.

ويشاركهم فيه أيضاً الذين لا يزالون يكررون تلك الفِرى والأكاذيب ويقدمونها في (دراسات عصرية) تدَّعي البحثَ والنقدَ والتمحيصَ، وهي لا تَعْدو أن تكون تسويقاً لأهداف السبئية الأولى.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٦٣١ ـ ٦٣٢، ٧٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٤/٣٣٥.

١٠ ـ قتلة عثمان ينطوون على باطنيـة حاقدة خبيثة، ويعملون في الظلام، ويثيرون الفتن، ويشـترون الأغرار، وينفذون خططهم في خُلْطة من الناس والعمل من وراء وراء، **وعلى هذا النهج تسـير اليوم (السبيئة المعاصرة) في جوٍّ من الغوغـاء والإعلام المضلِّل**، وتفجير المجتمع في (المكونات اللينة) و(الأقليات الطائفية)، وتدبير الاغتيالات للشخصيات المناوئة والموافقة، لإشـعال نار الفتنة بين مكونـات المجتمع الكبرى والصغرى، والأمثلة في زماننا كثيرة جدّاً.

١١ ـ تاريخ الفتنة خطير ومُرْعب، ومادته غزيرة ومشوشة ومشوهة، ومليئة بالكذب والتزوير والهوى، وكثيرٌ مـن رواتها مأبونون ومتَّهمون بالبدعـة والوضع... وما كُتب فـي فتنة الجمل قديماً وحديثاً مأسـاوي مخيف، يُشـفِق الباحث المنصف من الخوض فيـه، وهو يجمع خيوط الحقيقة المبعثرة بين شـبكات معقدة في ليلة ظلماء! وهذا يوجب عليه كثيراً مـن الحَيْطـة والورع والإخـلاص والإنصـاف والدقـة والنقد والتمحيص.

كما أنه لا عذرَ للأمة في ترك الحبل على الغارب لأولئك المارقين من الكتَّاب الذين يعملون مع مرور الزمـن على زيادة زاوية الانحراف في (تاريخ تلك الحقبة) لترسـيخ (فرية موروثـة) مفادها: أن (الصحابة بعد النبي ﷺ) قد انحرفوا عن جادة الهدى، وشـوَّهوا معالم الرسـالة، وغرقوا في صراعات الحكم والسلطان والجاه والمال!.

إن كثيراً من الكتب التي تحدثت عن (تلك الفتنة) هي نفسها (كتب فتنة) معاصرة تسـوِّق لمفتريات الأقدمين، وتقدِّمهـا زاداً عن (تاريخنا

المشـــوَّه المظلوم)، إلـــى أبنائنا في المـــدارس والمعاهـــد والجامعات والإعلام بأنواعه المتعددة.

وقد كنتُ أفردتُ فقرة مطولة أشـــرتُ فيها إلـــى طرف من أكاذيب الرواة والمؤرخين والكتّاب والمعاصرين، ثم أعرضتُ عن بَسْط الكلام فيها خشـــيةَ الإفراط في (حجم الكتاب)، ونثرتُ في ثنايـــاه أمثلة منها كلَّما سَنحت الفرصة؛ لتكون زاداً للقارئ ومقياساً له يَسبُر في ضوئه كل ما يقرؤه أو يسمعه.

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع

موقعةُ صِفّين، مقدّماتُها وأحداثُها ونتائجُها

أولاً: حقائق وأكاذيب حول (معاوية وبني أمية) في ضوء الفتنة ورواياتها:

•• معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما صحابي جليل، ورجل كبير نبيل، من صفوة الناس هدياً ونُبلاً، وعلماً وأدباً، وحِلماً وعقلاً، وسيادةً وسياسةً، وحكمةً ودهاءً. صحب النبي ﷺ، وجاهد معه في حُنين والطائف وتبوك، وغبّر قدمَيْه في سبيل الله، وأدناه ﷺ منه وقرّبه إليه وائتمنه على كتابة الوحي وأثنى عليه ودعا له. وأمّره الفاروق عمر على عامة بلاد الشام، وأقرّه عثمان على ذلك، فولي الشامَ للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة، ثم اضطلع بمهمة الإسلام كلها عشرين سنة أخرى في الوطن الإسلامي كله؛ فحَكَم المسلمين أربعين سنة، كان فيها من خيار ولاة الإسلام في مختلِف صفات الحاكم المسلم القوي الحكيم العادل الحليم الرحيم.

عن عبد الله بن عَمْرو قال: (كان معاوية يكتب لرسول الله ﷺ)[1].

وعن ابن عباس قال: (كنتُ غلاماً أسعَى مع الغِلْمانِ، فالتفتُّ فإذا أنا بنبيّ الله ﷺ خَلفي مقبِلاً... فقال: **«اذهَبْ فادْعُ لي معاوية»**.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٢٣/٣، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

قال: وكان كاتِبَه، فسعيتُ فأتيتُ معاويةَ، فقلتُ: أجبْ نبيَّ الله ﷺ فإنه على حاجةٍ)[١].

وعن العِرْباض بن سارية قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يدعونا إلى السحور في شهر رمضان يقول: «**هَلُمُّوا إلى الغذاء المبارك**»، ثم سمعتُه يقول: «**اللَّهمَّ عَلِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسابَ، وقِهِ العذابَ**» أخرجه أحمد[٢].

وله شاهد قوي ـ كما قال الذهبي ـ من حديث عبدالرحمن بن أبي عَمِيرة المُزني وهو من الصحابة: أن النبي ﷺ قال لمعاوية: «**اللَّهمَّ عَلِّمْهُ الكتابَ والحسابَ، وقِهِ العذابَ**»[٣].

وعن عبدالرحمن بن أبي عَميرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال لمعاويةَ: «**اللَّهمَّ اجْعَلْهُ هادياً مَهْدِيّاً، واهْدِ بِهِ**»[٤].

•• وقد أثنى على معاويةَ الصحابةُ والتابعون ممن عاصره ورأى هديَه وسياسته وأعماله المجيدة الكثيرة، وحسبك بتزكية عمر له في توليته الشام كله، فما شكاه أحد، ولا عزله الفاروق وقد عَزل من هو خير من معاوية بكثير مثل سعد بن أبي وقّاص.

---

(١) أخرجه أحمد: ٣٣٥/١، وقال شعيب الأرنؤوط: سنده قوي.

(٢) مسند أحمد: ١٢٧/٤؛ وانظر: البداية والنهاية: ١٢٠/٨ ـ ١٢١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٢٤/٣؛ الإصابة: ٤٠٧/٢، وعزاه الحافظ للطبراني. وقال شعيب: رجاله ثقات، وانظر كلام الألباني في «الصحيحة»، الحديث (١٩٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٤١٧٧) وقال: حديث حسن غريب، وصحّحه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: ٢٣٦/٣؛ والصحيحة (١٩٦٩) وأطال الكلام هنا فأجاد وأفاد.

- عن أبي الدرداء قال: (ما رأيتُ أشبَهَ صلاةً برسول الله ﷺ من أميركم هذا. يعني معاوية)[١].

- وقال سعد بن أبي وقّاص: (ما رأيتُ أحداً بعد عثمان أقضَى بحقٍّ من صاحب هذا الباب. يعني معاوية)[٢].

- وعن الزُّهريِّ قال: (حدَّثني عُروة بن الزبير: أن المِسْوَر بن مَخْرَمَة أخبره أنه قدِم وافداً على معاوية، فقضَى حاجَته، ثم دعاه فأَخْلَاه فقال: يا مِسْوَر، ما فعل طَعْنُكَ على الأئمة؟! فقال المِسْور: دَعْنا من هذا وأحسِنْ فيما قدِمْنَا له! قال معاوية: لا والله، لَتكلَّمَنَّ بذاتِ نفسك والذي تعيبُ علَيَّ. قال المِسْور: فلم أَترك شيئاً أعيبُه عليه إلا بيَّنْتُه له، قال معاوية: لا بَرِئ من الذنب، فهل تَعُدَّ يا مِسْور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أَم تَعُدُّ الذنوبَ وتتركُ الحسنات؟! قال المِسْور: لا والله ما نذكر إلا ما نَرى من هذه الذنوب! قال معاوية: فإنَّا نعترفُ لله بكل ذنْبٍ أذنباه، فهل لك يا مِسْور ذنوبٌ في خاصَّتِك تخشى أن تُهلِكَك إنْ لم يَغفِرْها الله؟ قال مِسْور: نعم، قال معاوية: فما يجعلُك أحقَّ أن ترجو المغفرةَ منِّي؟! فوالله لَمَا أَلِي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكنِّي والله لا أُخَيَّرُ بين أمرين: بين الله وبين غيره؛ إلا اخترتُ الله على ما سواه، وأنا على دين يَقبل الله فيه العمل، ويَجزي فيه بالحسنات، ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفو عمَّن يشاء، فأنا أحتسِبُ

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/١٣٥، وقال شعيب: رجاله ثقات. وهو في مجمع الزوائد: ٩/٣٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/١٥٠؛ مختصر ابن عساكر: ٢٥/٤٧.

كلَّ حسنة عملتُها بأضعافها.. فتفكَّرْ في ذلك! قال المِسْور: فعرفتُ أن معاوية قد خَصَمني حين ذَكر لي ما ذكر.

قال عروة: فلم نَسمع المِسْور بعد ذلك يَذكُر معاوية إلا صلَّى عليه!)[١].

ـ وعن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (أَوتَرَ معاويةُ بعد العشاء بركعةٍ، وعنده مولًى لابن عباس؛ فأتى ابنَ عباس، فقال: دَعْهُ فإنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ)[٢].

ومولى ابن عباس المذكور هو كُريب، كما جاء في رواية أخرى: عن كُريب مولى ابن عباس؛ (أنه رأى معاويةَ صلَّى العشاءَ، ثم أوتر بركعةٍ واحدة لم يزِدْ، فأخبر ابنَ عباس، فقال: أصابَ، أي بُنيَّ! ليس أحدٌ منا أعلمَ من معاوية!)[٣].

ـ وعن جَبَلة بن سُحَيم (عن عبد الله بن عُمر قال: ما رأيتُ أحداً أسودَ من معاوية! قلتُ: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيراً منه، وكان معاوية أسودَ منه).

---

(١) تاريخ بغداد: ١/٢٠٨ـ٢٠٩؛ ابن عساكر (مختصره): ٢٥/٤٧ـ٤٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣/١٥٠ـ١٥١، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات. وأخرجه من طريق آخر: عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧١٧) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٤).

(٣) مسند الشافعي: ١/١٠٨؛ سير أعلام النبلاء: ٣/١٥١ـ١٥٢؛ الفتح: ٨/٧١٤ـ٧١٥، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

روي من طُرق، وذكر ابنُ عمر فيها: (أبا بكر وعمر وعثمان!)[١]. ومعنى أسود: أعظم سيادة.

- وجاء من وجهين: عن الأعمش، عن مجاهد قال: (لو أدركتُم معاويةَ لقلتُم: هذا المهدي).

- وقال أبو هريرة المُكْتِب: (كنا عند الأعمش فذكروا عمر بنَ عبدالعزيز وعدْلَه، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاويةَ؟ قالوا: في حِلْمه؟ قال: لا والله بل في عدله).

- وعن أبي بكر بن عيَّاش، عن أبي إسحاق السَّبِيعي قال: (ما رأيتُ بعدَه مثلَه. يعني معاوية)[٢].

- وعن قَبِيصة بن جابر قال: (صحبتُ معاويةَ بنَ أبي سفيان؛ فما رأيتُ رجلاً أثقلَ حِلْماً ولا أبطأ جهلاً ولا أبعدَ أناةً منه!)[٣].

- وعن ابن عباس قال: (لمَّا احتُضِر معاويةُ قال: إنِّي كنتُ مع رسول الله ﷺ على الصَّفَا، وإني دعوتُ بِمِشْقَصٍ، فأخذتُ من شَعره، وهو في موضع كذا وكذا، فإذا أنا مِتُّ، فَخُذوا ذلك الشعرَ فاحْشُوا به فمي ومنخري!)[٤].

---

(١) ابن عساكر (مختصره): ٢٥/٥٣ـ٥٤؛ منهاج السُّنَّة: ٣/١١١؛ سير أعلام النبلاء: ٣/١٥٢؛ البداية والنهاية: ٨/١٣٥.

(٢) مختصر ابن عساكر: ٢٥/٥٣؛ منهاج السُّنَّة: ٣/٦٥٦.

(٣) المعرفة والتاريخ: ١/٤٥٨؛ مختصر ابن عساكر: ٢٥/٥٦.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣/١٥٨؛ مختصر ابن عساكر: ٢٥/٨٥. **المشقص**: نصل طويل عريض.

•• فهذه شهادة النبي ﷺ لمعاوية وتزكيته له، وتلكم شهادات الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان، فما قيمة أي كلام يخالفهم ممن جاء بعدهم؟!.

والكلام عن معاوية صاحب النبي ﷺ، وكاتبِ الوحي، وخالِ المؤمنين ـ كثير طويل، قد أحسن في الكتابة عنه آحادُ الناس، وأساءَ الأكثرون! ووقع فيه أهلُ الشنآن والبغضاء، وهؤلاء كُثر لا يَنقطع لهم حقد ولا تنتهي ضغينة؛ وهم رافضة اليوم (خَلْف) الرافضة المتقدمين، وأعوانهم وأتباعهم ممن يضطغنون على الإسلام والصحابة عموماً وعلى (عمر وخالد وسعد وأمثالهم) خصوصاً، وعلى (معاوية وبني أمية) أخصّ الخصوص! لأنهم أطفؤوا نار المجوس وكَسَروا كسرى ومزقوا دولة الفرس، وقد كشف التاريخ القديم والحديث والحالي أقنعتهم! **ومعاوية كما يقول الذهبي:** (قد سادَ وساسَ العالم بكمال عقله، وفَرْط حِلْمه، وسَعَة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وكان محبَّباً إلى رعيَّته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهِجْهُ أحدٌ في دولته، بل دانت له الأمم، وحَكَم على العرب والعجم، وكان ملكُه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك)[1].

وتكلم ابن تيمية بكلام جليل نفيس عن معاوية في مواضع كثيرة من «منهاج السُّنَّة» و«مجموع الفتاوى»، ومما قاله: (وأقام معاوية نائباً عن عمر وعثمان عشرين سنة، ثم تولى عشرين سنة،

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/١٣٣.

ورعيتُه شاكرون لسيرته وإحسانِه، راضون به، حتى أطاعوه في مثل قتال علي!)[١].

وقال في موضع آخر: (وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ: أنه قال: «**خيارُ أئمتِكم الذين تحبُّونَهم ويُحبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم. وشِرارُ أئمتكم الذين تُبغِضُونهم ويُبغِضونكم، وتَلْعَنُونهم ويَلعنُونكم**»[٢]. قالوا: ومعاوية كانت رعيتُه تحبه وهو يحبُّهم، ويصلّون عليه وهو يصلي عليهم)[٣].

●● ولا يجوز سبُّ أي صحابي أو الطعنُ عليه أو الإزراءُ به أو اتهامه، فضلاً عن لَعْنِه أو الحكم بضلاله وكفرِه وردَّته والعياذُ بالله تعالى، فقد زكَّاهم الله تعالى ونبيه ﷺ عموماً وخصوصاً.

قال ابن تيمية: (من لعن أحداً من أصحاب النبي ﷺ، كمعاوية بن أبي سفيان وعَمْرو بن العاص ونحوِهما، ومن هو أفضلُ من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة ونحوهما، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان وعلي... فإنه مستحقٌّ للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، وتنازَعَ العلماء: هل يُعاقب بالقتل، أو ما دون القتل؟)[٤].

وسيدنا عليٌّ على خلافه مع معاوية، كان يُثني عليه، فقد روى الشعبي، عن الحارث الأعور قال: (لما رَجَع علي من صفِّين عَلِم أنه

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٦٢.

(٢) صحيح مسلم (١٨٥٥)، والصلاة: الدعاء.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣/١٢١، وانظر: ٣/٦٦٤، ٧٣١؛ مجموع الفتاوى: ٣٥/٥٨ـ٦٦.

(٤) مجموع الفتاوى: ٣٥/٥٨، وانظر: ٣٥/٥٩ـ٦٦؛ منهاج السُّنَّة: ٣/١٢٥ـ١٢٦.

لا يَملك أبداً، فتكلم بأشياءَ كان لا يتكلم بها، وحدَّث بأحاديث كان لا يتحدَّث بها، فقال فيما يقول: أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتُموه لقد رأيتُم الرؤوسَ تَنْدُر عن كواهلها كالحنظل!)[1].

وفي (أصح كتاب عند الرافضة): أن علياً سمع قوماً من أصحابه يَسبُّون أهلَ الشام، فنهاهم وقال: (إنِّي أكرهُ لكم أن تكونوا سَبَّابِين، ولكنكم لو وَصفتُم أعمالَهم وذكرتُم حالَهم كان أصوبَ في القول، وأبلَغَ في العُذْر، وقلتُم مكان سَبِّكُم إياهم: اللَّهمَّ احقِنْ دماءنا ودماءهم، وأَصْلِحْ ذاتَ بيننا وبينِهم، واهْدِهم من ضلالَتِهم، حتى يَعرِفَ الحقَّ مَن جَهِلَه، ويَرْعَوِي عن الغَيِّ والعُدوان مَن لَهِجَ به!)[2].

ومثله موقف عمار وهو من جِلَّة الصحابة، وكان في جيش علي، فعن زياد بن الحارث قال: (كنتُ إلى جَنْب عمار بن ياسر بصفِّين، وركبتي تمسّ ركبتَه، فقال رجل: كَفَر أهل الشام! فقال عمار: لا تقولوا ذلك؛ نبيُّنا ونبيُّهم واحد، وقِبْلتُنا وقِبْلتُهم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون حادوا عن الحق، فحَقَّ علينا أن نقاتِلهم حتى يرجعوا إليه)[3].

بل هناك أعظمُ وأجَلُّ من كل ما سبق، وهو الحديث الصحيح الذي شهد فيه النبي ﷺ للطائفتين المتحاربتين في صفين بأنهما مسلمتان ودعواهما واحدة، وذلك فيما رواه أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٤/٨. تندر: تسقط.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٨/٦.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٢/٨؛ الفتح: ٤١٧/١٦ (٧١٢١).

تقومُ الساعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، يكون بينهما مَقتلةٌ عظيمةٌ، دَعوتُهما واحدةٌ»[١].

وكذلك حديث (الصلح بين المسلمين) الذي قام به السيد الجليل الحسن بن علي، ونال بسببه الثناءَ الرفيعَ السائرَ من النبي ﷺ بقوله: «**إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين**»[٢].

وقد كان معاوية هو المبادرَ في طلب الصلح والراغبَ فيه، وأَرسل إلى الحسن في ذلك، فقَبِل الحسن وأَعلن الصلحَ في أهل العراق، وخَطَبهم وحثَّهم على مبايعة معاوية وطاعته:

عن هلال بن خبَّاب قال: (جَمع الحسن رؤوسَ أهل العراق في هذا القصر ـ قصر المدائن ـ فقال: إنكم قد بايعتموني على أن تُسالموا من سالمتُ، وتحاربوا من حاربتُ، وإني قد بايعتُ معاويةَ فاسمعوا له وأطيعوا)[٣].

أقول: قدمت بهذه الحقائق والشهادات والأدلة الناصعة الساطعة؛ لتكون نِبْراساً لكل إنسان حر كريم وباحث وكاتب يريد الحق، عند الحديث عن تلك الحقبة المحزنة، وبين يديه ركام هائل من الروايات التالفة والأكاذيب والادعاءات والشتائم، والترَّهات؛ حول (معاوية وبني أمية)، وموقف علي والصحابة والمسلمين عامة منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٢١)؛ ومسلم (١٥٧) بعد الحديث (٢٨٨٨)، وغيرهما. وقد شرحته بتوسع في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٩٦ـ١١٢.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، وغيره، وانظر تتمة تخريجه وشرحه في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٢٤٤ـ٢٥٦.

(٣) المعرفة والتاريخ: ٣/٤١٠؛ ابن عساكر (مختصره): ٧/٣٤. وإسناده صحيح.

ولتكون مِسْباراً لكل ما يردُ من هنا وهناك من لعنٍ وسبٍّ وشتمٍ وتضليلٍ بين الفريقين من أهل صِفِّين، وللعلم بأن ما جاء في ذلك هو من نفثات المَصْدورين من قتلة عثمان، المستمرين في الفتنة وإشعال نار الخلاف والقتال، منذ قتلِهم عثمانَ ثم أيام الجمل وصفين والنهروان وهلم جَرّاً إلى زماننا! وكذلك هي من أقاصيص الرواة الضعفاء والمتروكين وأصحاب الأهواء والمبتدعة، وبعد هؤلاء وأولئك ممن يروِّج لتلك الأباطيل من رافضة اليوم ومَن هم على شاكِلتِهم من الكتَّاب المتهوِّرين أو الحاقدين أو الغُثائيين الجمَّاعين وحاطِبي الليل!.

ونشير باختصار شديد إلى أمثلة من تلك الأكاذيب، ونماذج من الكتابات في هذا الجانب:

•• فابن أبي الحديد المعتزلي الرافضي يذكر في «شرح نهج البلاغة» (فرية اللعن) فيقول: (ولمَّا قنت عليٌّ عليه السلام على خمسة ولعنهم، وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو الأعور السُّلَمي، وحَبيب بن مَسْلمة، وبُسْر بن أَرْطاة، قنت معاوية على خمسة وهم: علي والحسن والحسين عليهم السلام، وعبد الله بن عباس، والأشتر، ولعنهم!).

وذكر في موضع آخر أن القنوت واللعن كان في الصلاة وخطبة الجمعة(١)!.

فهل يصدِّق عاقل ذلك؟! ولو أن رجلاً من المسلمين الآن قام على المنبر ولعن فلاناً من الناس أمام الملأ، لوبَّخه العامة قبل الخاصة،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/٧٢، ٣٢٢.

ولَاتَّهموه في دينه وعقله! فكيف يُقبل هذا من ربيب بيت النبوة علي، ومن معاوية أمير بلاد الشام ثم عامة بلاد الإسلام فيما بعد؟ وكيف قبل الحسن بن علي بأن يتنازل عن الخلافة لرجل كان يلعنه وأباه وأخاه في الصلاة والخطبة على المنابر؟! أين عقلك يا ابن أبي الحديد؟! وأين أحلام من يصدقونك ممن هم على مذهبك وبدعتك؟!.

ومما نُسب إلى عليٍّ في «نهج البلاغة» قوله: (والله ما معاويةُ بأدهى منِّي، ولكنه يَغدِر ويَفْجُر، ولولا كراهيةُ الغدر لكنتُ من أدهى الناس...)[١].

وكذلك كتاب منه إلى معاوية يقول فيه: (أما بعد، فقد أتتني منكَ موعظةٌ مُوَصَّلَة، ورسالةٌ محبَّرة، نَمَّقْتَها بضلالك، وأمضيتَها بسوءِ رأيك. وكتابُ امرئ ليس له بصرٌ يَهديه، ولا قائدٌ يُرشِده، قد دعاهُ الهوى فأجابَه، وقادَهُ الضلال فاتَّبَعَه، فهجر لاغِطاً، وضَلَّ خابِطاً!)[٢].

ومن هذا أيضاً كتابه ـ المزعوم ـ إلى عَمْرو بن العاص، وفيه: (فإنك قد جعلتَ دِينَكَ تبعاً لِدُنيا امرئ ظاهرٍ غَيُّه، مهتوكٍ سِتْرُه، يَشين الكريمَ بمجلسه، ويُسَفِّه الحليمَ بخَلْطتِه، فاتبعتَ أثرَه، وطلبتَ فضْلَه، اتباعَ الكلبِ للضِّرغام يَلوذُ بمخالبه، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته! فأذهبتَ دنياك وآخرتك، ولو بالحق أخذتَ أدركتَ ما طلبتَ)[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥/٣٩٦.

(٢) المرجع السابق: ٧/٢٦٢.

(٣) المرجع السابق: ٨/٣٤٠.

وهذا الكلام وأمثاله مما يَطرب لـه الرافضة ويروِّجون لِما هو أقبحُ منه، هو مما يقطع العاقل المنصف ببطلان صـدوره عن أمير المؤمنين علي في عفّة لسانه وسماحةِ خُلقه ومعرفته بأقدار الناس. كما أنه لا يَروج على آحاد الناس فضلاً عن العارفين بمنزلـة الصحابيين معاوية وعمرٍو في جلالتهما ورجاحة عقلهما وكريم مجلسهما وجليسهما، دَعْ عنك ثناءَ النبي ﷺ لهما، فكيف يُتَّهمَان بالضلال والغواية وعدم الرشاد؟!.

وزاد ابن أبي الحديد الأمر سـوءاً فقذف معاويةَ بصفات لا يفعلها إلا متهتك لا يعبأ بالمحرمات، فقال شارحاً لهذا الكلام الأخير:

(أما مهتوكُ سِـتْره: فإنه كان كثيرَ الهزل والخلاعة، صاحبَ جُلساء وسُـمَّار، ومعاوية لم يتوقر ولم يَلزم قانون الرياسـة إلا منذ خرج على أمير المؤمنيـن واحتاج إلى الناموس والسـكينة! وإلا فقد كان في أيام عثمان شديدَ التهتُّكِ، موسوماً بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسَه قليلاً خوفاً منه، إلا أنـه كان يلبس الحرير والديباج، ويشـرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البَغْلات ذواتِ السـروج المُحلّاة بها، وعليها جِلال الديباج والوشْي، وكان حينئذٍ شابّاً وعنده نَزَق الصِّبا وأثر الشبيبة وسُكْر السلطان والإمرة. ونقل الناسُ عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام!)[1].

فهل نصدِّق الصحابة والتابعين الذين عاصروا معاوية وكانوا شـهوداً على سـيرته وأعماله، أم نقبل كلام هـذا الرافضي الـ...؟! ولا نسـتطيل

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/٣٤٠.

بلسانا على هذا المفتري بل نقول: هذا الاتهام لمعاوية ﷺ في صحيفته يَلقى به ربه فيحاسبه عليه بمقدار مَن يقرأ كتابه ويتأثر بضلالاته وافتراءاته!.

وفي (مَتْن نهج البلاغة وشَرْحه) من الضلال والكذب والافتراء والطعن على النبي ﷺ والصحابة ما لا يَحتمله حر كريم، ولا يَقبله ذو مروءة، وهو من الشواهد الكثيرة على أن كثيراً مما في هذا الكتاب لا تصح نسبته إلى علي البتَّة.

●● ويقول كاتب شيعي معاصر: (كان معاوية يتطيَّر من طالعه، ويسأل أهلَ النجوم، وإنه ليسترشدُ بأجرام السماء مستقرِئاً للغيب، ولم يكن له إيمان يتبعه)[١].

ـ ويزعم أحد كبراء الشيعة المعاصرين: أنه (ما زال أهل الدين والحق حتى اليوم يحبون عليّاً، ويكرهون معاوية، وسيبقى عليٌّ محلًّا للتقديس، والتعظيم، ومعاوية محلًّا للاحتقار والهوان إلى آخر يوم!).

ويستطيل بلسانه وقلمه على كاتب الوحي ومن أثنى عليه النبي ﷺ والصحابة وتنازل له الحسن عن الخلافة، فيقول:

(والذي نراه أن معاوية لم يطمع بالخلافة ولم يحدِّث بها نفسَه قبل فتنة الجمل، لأنه يعلم مكانه، وأنه أحقر من أن يطمع بالخلافة، وهو الطَّليق ابنُ الطَّليق، وفي المسلمين السابقون المقربون، وقد سمع معاوية عمر بن الخطاب يقول: الخلافة محرمة على الطلقاء)[٢].

(١) أبو تراب، للدكتور طلال الجنابي، ص ٢٤٠.

(٢) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ٦٧، ١٤٢ـ١٤٣.

ونحن نقول لهـذا الرجل وأمثالـه ممن يضطغنـون على صحابة نبينا ﷺ: هل تحفظون قـول الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠]؟! أليس مُسْلِمة الفتح مشمولين بالآيـة وقد وعدهـم الله الحسـنى؟! وإذا كانت الخلافـة محرمة على (الطلقاء) كما تفتـري على عمر، أَلَا يعني هذا أن الحسـن بن علي قد ارتكب محرَّماً عندما تنازل عن الخلافة وبايَعَ معاويةَ عليها؟!.

ـ وذكر محقق (ترجمة علي في تاريخ ابن عساكر) ـ وتصفه شيعته بالمحقق الخبير ـ أن معاوية كان ذا ولعٍ في السعي لاستئصال أهل بيت النبوة ومعادن العلم والمعرفة(١).

وأوضح ما يُردّ به عليه أن نقول: هل عرفتَ معاوية وهديه وأخلاقه وسيرته في الناس أكثر من الحسـن الذي تنازل له عن الخلافة؟! وأكثر من الحسـين الذي سـكت على ذلك مقرّاً له؟! أَفكانا جاهلَيْن بحقيقة معاوية، أم كانا جبانَيْن خائفَيْن عاشـا في عهده ولم يهيجا عليه أحداً؟! وحاشاهما من كل ذلك!.

والكلام في هذا البـاب لا ينتهي، وكتب الرافضة ـ قديماً وحديثاً ـ تطفح بالطعن على معاوية ومن هو أجلُّ منه بكثير!.

●● وفـي كتابات كثيريـن من المعاصريـن من غير الرافضـة مجافاة للحقيقة ومجازفات وطامات وولوغ في عِـرْض الصحابة وبخاصة معاوية.

---

(١) تاريخ ابن عساكر، بتحقيق محمد باقر المحمودي: ٣/٣٣٦، حاشية (٢).

ونتجاوز في ذِكْر الأمثلة ما هو مشهور في كتابات طه حسين وعباس محمود العقّاد وخالد محمد خالد وهشام جعيط وأمثالهم، إلى ما هو أقل شهرة ونختار كتاب «علي بن أبي طالب» لعبد الكريم الخطيب، ومما جاء فيه:

ـ (بيت مال المسلمين هو بيت مال معاوية يضعه حيث يشاء، ويفتح به لنفسه إلى الناس طُرقاً)[١].

ـ (اشترى معاوية الرجال بالمال والسلطان، واشترى الرجال بالادعاء والاستلحاق. وبقي رجال لم يستطع أن ينفذ إليهم بسبب من تلك الأسباب، ومع هذا فلم يزل يدور حولهم ويكيد لهم، حتى يقطع ما بينهم وبين علي، ثم لا عليه أن يصل بينهم وبينه)[٢].

ـ وكان يرضى ويسكت على خيانة الولاة من بيت المال، (ولم يكن معاوية يَطرق هذا الباب، ثم يفتحه على مصراعيه، لو لم يجد من الناس استعداداً للمساومة على دينهم وعلى خلقهم)[٣].

ـ ومعاوية وبنو أمية يقتلون الأنفس وينتهكون القيم والمحرمات ويولُّون الجبابرة ولا يَرْعَوُون عن حُرْمة[٤].

ـ ومعاوية وأصحابه على الباطل ويُلبِسونه لباس الحق ويقاتلون في سبيله، وهو يعصي الله وأهل الشام يطيعونه[٥].

---

(١) ص ٤٣٩.

(٢) ص ٤٤٢، ٤٥٦.

(٣) ص ٤٤٤.

(٤) ص ٤٥٦ـ٤٦٦.

(٥) ص ٤٨٢ـ٤٨٣.

وغير ذلك كثير مما شحن به كتابه، وكأنه وضعه للتشفي من معاوية وبني أمية، ومراجعه في ذلك كما يلي: الكامل للمبرد، الأغاني، الإمامة والسياسة، نهج البلاغة وشرحه، الأخبار الطوال، تاريخ الطبري.

ثانياً: منشأ الخلاف بين علي ومعاوية وأسبابه وحقيقته ومبرراته:

١ ـ تمهيد حول روايات التاريخ والمؤرخين بشأن (صِفِّين)[1]:

●● الحقيقة المرَّة التي يجب أن نذكرها دائماً ونؤكدها ونجهرَ بها هي أن: كتب التاريخ الإسلامي في مصادره الأولى القديمة ثم اللاحقة؛ قد أساءت كثيراً إلى (عهدَيْ عثمان وعلي) وبخاصة (أحداث الفتنة: مقتل عثمان، الجمل، صفين، وغيرها)، وكذلك أساءت إلى رجال ذلك العهد.

وأن مؤرِّخينا قد أخطؤوا قليلاً أو كثيراً أيضاً؛ عندما سوَّدوا وجْهَ (كتب التاريخ) بروايات باطلة تافهة مكذوبة، نقلوها عن رواة كذابين أو متروكين أو وضاعين أو مبتدعة حانقين، في حق صحابة أجلَّاء عظماء هم في أرفع مراتب النُّبل والطهر والصدق والإخلاص والعقل والعلم!.

أين تزكيةُ القرآن الكريم للصحابة، وثناءُ النبي ﷺ العريض عليهم ونهيُه الشديد عن ثَلْبهم أو سبِّهم؟! ثم أين ما اشتهر عنهم من الأخلاق الرفيعة والشمائل الحميدة والأعمال المجيدة؟!.. أين كل ذلك من روايات تتهمهم بالخيانة والكذب والغدر والجُبْن والتآمر والكيد

(١) انظر ما كتبته مطولاً في كتابي (عثمان بن عفان): «الفصل الثالث من الباب العاشر».

والتباغض والأثرة والنذالة... حتى جعلت تلك الروايات من (ابن سبأ والسّبئيين) دعاةَ إصلاح وتقويم لمنهج عثمان وعلي والحسن ومعاوية! وروَّجت للأشتر النخعي وحُكَيم بن جَبَلَة والغافقي بن حرب وأمثالهم أنهم طلاب حق وإقامة للشعائر، وهم الذين زحفوا إلى المدينة في هيئة الحُجَّاج ثم حاصروا عثمان وقتلوه! وهم الذين أججوا الفتن في عهد علي وبخاصة أيام (الجمل وصفين)، وأفسدوا كل خطة إصلاح، وسَعَوا إلى الفساد والإفساد من وراء وراء، وروَّجوا الأكاذيب واختلقوا الفتن... ثم جاء الرواة وأكثرهم من الضعفاء والمتروكين وأصحاب الأهواء، فدوَّنوا تلك الأحداث على أنها صورة لذلك العهد ورجاله الكبار!.

●● إنه لا بدّ من المعرفة التامة بتاريخ تلك الحقبة، وأخلاق رجالها وشمائلهم وأعمالهم ومنزلتهم، وأثرِ القرآن الذي لا يزال غَضّاً في تربية أتباعه في صدر الإسلام وتزكية أرواحهم، وتوجيه تصرفاتهم وأعمالهم وثقافتهم العامة، التي يهيمن عليها الوازع الديني والأخلاقي لا المآرب الشخصية والدوافع المادية الدنيوية.

ولا يُقبل البتة أي خبر يطعن في عدالة الصحابة وتنزُّهِهم عن الطمع والغدر والخديعة والفسق والظلم والاستبداد وأكل الأموال بالباطل وكل ما هو من الفسق وخوارم المروءة[١].

●● كما يتوجب على الباحث الخبرةُ الشاملة بالراوي والمرويِّ، وفحصُ الأخبار ومقارنتها ببعضها، ونقدُ السند والمتن، وغربلةُ

(١) منهج دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٨٦.

الروايات واستخلاص الحقائق من أضابيرها ونفي غَلَس الأساطير والأكاذيب عنها؛ فنأخذ بالصحيح والحسن والقريب منه، ولا بأس بأخذ الضعيف الذي يَسدُّ فراغاً ويملأ ثغرة ويفكّ لُغزاً ويشرح غامضاً، ما دام ذلك متفقاً مع الروح التي تسود ذلك المجتمع والسلوك الذي اشتهر به أهله وصانعو أحداثه، (ومرحى للنقد النزيه مصوغاً في نمط أهل الأدب من الباحثين، وليس أحد ـ حاشا النبيين ـ بمعصوم)(١).

•• ومن خيانة العلم والتنكر للأمة وتاريخها والحَيْف على سَلَفها الكريم؛ ما يقوم به بعض (الكتّاب) الذين ينتقون الأخبار حسب ميولهم، ويأخذون الروايات الضعيفة والواهية والباطلة التي تخدم ميولهم ومذاهبهم، ويكتفون بالإشارة إلى أنها عن الواقدي أو نصر ابن مزاحم أو الطبري أو المسعودي... ثم يبنون على تلك الأخبار بنياناً من الآثام والفِرى التي تشوه صورة العصر الراشدي الذي هو (العصر الذهبي للإسلام) بعد عصر النبوة، والذي تحققت فيه (عالمية الإسلام) على أيدي رجاله من خلال الفتوحات والحكم بمبادئ الإسلام.

وإذا كان التحري في نقل الأخبار والتمحيص في قبولها والتثبت من مصداقية رواتها ونزاهتهم؛ واجباً بصورة عامة ولكل جيل، فهو آكَدُ وجوباً بحق جيل الصحابة وعصر الراشدين، التزاماً بهدي القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

---

(١) عثمان بن عفان، للصادق عرجون، ص ١٩.

•• ومما يجــب التأكيدُ عليه والجهرُ بــه أن (تاريخ الطبري) ـ مع جلالة مؤلفــه ومكانته الرفيعــة ـ فيما أورده من روايــات باطلة وتالفة ومكذوبة ومفتراة؛ قد أسهمَ في الإســاءة إلى تاريخنا وبخاصة (أحداث الفتنة) في العصر الراشــدي، وذلــك فيما ينقله عن أمثــال: محمد بن السائبِ الكلْبي وأبي مِخْنف لوط بن يحيــى ونصر بن مزاحم وعَوَانة بن الحَكَم وبابَتِهم، بحيث يهول القارئ ـ في ظلمة تلك الروايات ـ ما كان عليه رجال ذلك العهــد من الصحابة وصالحي الأمــة من التابعين من الأخلاق القبيحة والأعمــال الرديئة والهدي الســيئ والمكر والخديعة والتباغض والتدابر والتشــاحن، وغير ذلك مما لا يصدقه عاقل إلا في سَفِلة الرجال!.

حتى إن الطبري نفســه قد استشــعر ذلك فقال فيه وكأنه يتبرأ منه ويعتذر عن إيــراده: (فما يكن في كتابي هذا من خبــرٍ ذكرنا عن بعض الماضين مما يســتنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحــة، ولا معنى في الحقيقة ـ فليعلــم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبلنا، وإنما أُتي من قِبل بعض ناقليه إلينا، وأنَّا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا)[1].

فهل يُقبل هذا العــذر من الإمام الطبري وقد أصبــح كتابه مصدراً ومرجعاً لعامــة المؤرخين والكتاب ممن جاء بعــده؟! فعليه اعتمد ابن الجوزي وابن الأثيــر وابن عســاكر والذهبي وابن كثيــر وغيرهم من مؤرِّخي أهل السُّــنَّة، وكذلك كثير من الرافضــة المتقدمين والمتأخرين

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/١.

ويحتجون بأخباره على ما يريدون إثباته بحق الصحابة! وأيضاً أضحى المرجعَ الأول للكتاب المعاصرين من المستشرقين والمستغربين والعلمانيين والجمّاعين في أيامنا هذه!.

ولسوف نشير إلى طَرف من تلك الأخبار والأكاذيب والافتراءات التي دُوِّنت بحق تلك (الحقبة الخطيرة)، ونسعى إلى تجلية وجه الحق ونفي الدَّغَل عنها، وتبرئة الصحابة مما عُزي إليهم وإلى تاريخهم، وتقديم ما هو أقرب إلى الحقيقة وأجدر بسيرهم رضي الله عنهم.

٢ ـ مقتل عثمان، وقميصه على منبر جامع دمشق، وموقف والي الشام (معاوية) وأهل الشام:

•• لما قُتل عثمان رضي الله عنه خرج الصحابي الجليل النعمان بن بشير الأنصاري من المدينة (ومعه قميص عثمان مضمَّخ بدمه، ومعه أصابع نائلة ـ زوجته ـ التي أُصيبت حين حاجَفَتْ عنه بيدها، فقُطعت مع بعض الكفّ، فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلَّق الأصابع في كُمّ القميص... فتباكى الناس حول المنبر... وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرِّضون الناسَ على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من أولئك الخوارج)[1].

وقد كان معاوية يرى أنه وليُّ دم عثمان لأنه ابن عمه، فطالب منذ استشهاده وتولي علي الخلافة بإقامة الحدِّ على القتلة أو دفْعِهم إليه ليقتلَهم به، وأيَّده في هذا أهلُ الشام... وكان يعترف بفضل عليٍّ وسابقته

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٢/٤؛ المنتظم: ٧٧/٥؛ البداية والنهاية: ٢٢٨/٧.

وصهره إلى النبي ﷺ وأنه متقدم عليه في كل ذلك، وأعلن هذا صراحة في وقت خلافه مع أمير المؤمنين، فقال: (إني لأعلمُ أنه أفضلُ منِّي وأحق بالأمر ـ يعني الخلافة ـ)(١).

وأكد معاوية موقفه بأن الشهيد عثمان قُتل مظلوماً، وأنه كان على الهدى، واحتجَّ بحديث النبي ﷺ، وأنصتَ أهلَ الشام لاستماع ذلك:

عن جُبير بن نُفَيْر قال: (كنَّا مُعسكِرين مع معاوية بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فقام كعب بن مرَّة البَهْزيُّ فقال: لولا شيء سمعتُه من رسول الله ﷺ، ما قمتُ هذا المقام، فلما سمع (معاوية) بذِكْر رسول الله ﷺ أجلَسَ الناسَ، فقال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ مرَّ عثمان بن عفان مُرَجَّلاً (مُغْدِماً)، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لتَخرُجَنَّ فتنةٌ من تحت قدمَيْ** ـ أو: من بين رِجلَيْ ـ **هذا، هذا يومئذٍ ومن اتبعَهُ على الهدى**»)(٢).

وفي حديث صحيح آخر وصفَ النبي ﷺ الذين خرجوا على عثمان وحاصروه وقتلوه بأنهم منافقون(٣)!.

●● وهذا مما جعل معاويةَ ومعه صحابة آخرون وجميع أهل الشام يتوقفون عن بيعة أمير المؤمنين علي حتى يقيم الحد على قتلة عثمان.

---

(١) تقدم بتمامه: ص ٥٠٢ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أحمد: ٤/٢٣٦؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٢٩٣) و(١٢٩٥)، وغيرهما؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣١١٩). مغدفاً: أغدف عليه لباسَه: أرسَلَه، والغِدْفَة: لباسُ المَلِك.

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٣٨، ٥١.

ويرى معاوية أن أمير المؤمنيــن عليّاً غيرُ واجبٍ عليه طاعتُه لأنه لم يبايعه أولاً، ولأنه لم يُقم حدَّ الله تعالى في القصاص من قتلة عثمان ثانياً.

وكان يؤكد هذا المعنى فيقول: (ما قاتلتُ عليّاً إلا في أمر عثمان)[1].

●● والخوارج السبئية وأتباعهم من المشردين والمطرودين والغوغاء والمنحرفين وذوي الأطماع والأهواء الشخصية؛ هم الذين خرجوا على شــرعية الخلافة زمــن عثمان، وحرفــوا حركة التاريــخ الصحيحة عن مسارها، وأحدثوا في ســياقها منعطفاً خطيراً أدى في النهاية إلى تهديد بنيان الخلافة ومقتل أمير المؤمنين عثمان، ولهم اليد الطولى في ذلك. وهؤلاء المجرمون القتلة الذين وصفهم النبي ﷺ بـ(المنافقين) في قوله لعثمان: «**يا عثمان، إنَّ الله عسى أن يُلْبِسَكَ قميصاً، فإنْ أرادكَ المنافقون على خلْعِه، فلا تخلَعْه حتى تلقاني** ـ ثلاثاً ـ»[2]؛ هؤلاء (المنافقون) كانوا في مقدمة المبايعين لأمير المؤمنين، ولهم تأثير قوي على مسيرة الدولة وســيرورة الأحداث، وقد صرَّح علي بذلك فقال لإخوانه من الصحابة: (كيف نفعلُ بقوم يَملكوننا ولا نملكهم؟!)، وقد ضَجَّ بهم عليٌّ في غير موقف، وصرح بذلك مراراً!.

وهؤلاء كانوا مســاعيرَ الفتنة والشــر وشــقّ الصفوف وإفشال كل محاولة إصلاح في أحداث البصرة ووقعة الجمل، وأشــعلوا نار الحرب بين الفريقين كما قدمنا.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٦٠/٧، وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطيالســي (١٢٥٠)؛ وابن أبي عاصم في السُّــنَّة (١٢٩٢)؛ والحاكم: ٩٨/٣ وصحَّحه ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣١١٨).

وهؤلاء هم أنفسهم (الصورة المكبَّرة) لنواة الشرِّ التي نشأت في أواخر عهد عثمان والتي عُرفت (بجماعة المُسَيَّرين)، والذين تنقلوا في عدة أمصار إسلامية ومنها الشام، وقد خَبَرهُم معاوية، وكَتب بشأنهم إلى الخليفة الشهيد عثمان يقول: (إنه قدِمَ علَيَّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقَلَهم الإسلام، وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همُّهم الفتنة وأموال أهل الذمة، واللهُ مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم!)[1].

نقول: هذه الشِّرْذمة من بُغاة الفتنة وأوكار الشر، هم أصحاب ذلك التاريخ المظلم والمسيرة الباطنية، ممن يُظهِر المطالبة بالحق والعدل والإنصاف، ويَطوون على الغدر والفجور والطعن في الإسلام وأهله؛ هم أولئك الذين قتلوا عثمان، وأنشبوا القتال يوم الجمل، تراهم اليوم في جيش أمير المؤمنين علي، وهي حقيقة لا يماري فيها أحد، ولا تذكر روايات التاريخ غيرها. وهو الأمر الذي شكا منه علي نفسه، كما شكا منه الصحابة ممن خالفه مثل أصحاب الجمل وغيرهم.

●● هذا السبب الخطير الكبير مع ما قدمناه من أسباب؛ كل ذلك دفع معاويةَ ومن معه من الصحابة وجميع أهل الشام؛ إلى التوقف عن بيعة علي بالخلافة، ومطالبته بإقامة القصاص على القتلة، أو دفعهم لوالي الشام القوي وولي دم عثمان ليأخذ على أيديهم ويقيم الحد على من يستوجب عليه منهم، ثم بعد ذلك تكون البيعة لعلي.

---

(١) تاريخ الطبري: ٣٢١/٤.

وأكَّد هــذا الفريق موقفَه بالحديــث المتقدم الــذي ينصُّ على أن (عثمان ومَن اتبعه على الهــدى)، فالمدافعون عنه على الهدى، بخلاف الخارجين عليه وقتلته فَهُم على الضلال! وهذا مما قوى موقف (معسكر معاوية) فــي الإصرار علــى مطلبهم فــي إقامة القصاص علــى القتلة الضالين الذيــن هم في جيــش علي. مــع التأكيد على أنــه لا أحدَ ـ لا معاوية ولا أهل الشام ولا غيرهم ـ يَتَّهم عليّاً والصحابة والصالحين ممن معــه بدم عثمان،إنمــا يخصُّون بهــذا أولئك (القتلة من الســبئية وأعوانهم وأتباعهم).

وفي هذا وذاك من الحجج الشرعية والتأويل المقبول، ما يبرر لأهل الشام موقفهم، ولا يطعن عليهم فيه إلا مكابر أو غالٍ أو مبغض.

فقضية تأجيل أميــر المؤمنين علي إقامةَ حــدِّ القصاص على القتلة هي مسألةٌ اجتهادية، ومسيرةُ في حرب البصرة والشام باجتهاد منه أيضاً كما ثبت عنه... وكذلك توقفُ معاوية في أهل الشام عن بيعة علي حتى يُقيم حد القصاص هو مســألةٌ اجتهادية أيضاً، ولهم في ذلك شــبهات وتأويلات تبرِّر موقفهم[1].

وكما جاز لعليٍّ ومن معه أن يجتهدوا، كذلك يجوز لمعاوية ومن معه أن يجتهدوا في هذه المســائل، مع فضلهم وعلمهم وتاريخهم. ولا يجوز البتة الطعن على أيٍّ منهم أو التشكيك في نياتهم التي لا يعلمها إلا علّام الغيوب، وقد شهد لهم ﷻ بالصدق وزكاهم وأثنى عليهم في كتابه الكريم.

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة: ٣/٥٤٦.

وأما القول بـأن موقف معاوية مـن علي كان من تبييتٍ سـابق ونيَّة قديمة في مخالفـة أمير المؤمنين وإحراجه وإرباكه وإفشـال قيادته للدولة والأمة، وكذلك الزعم بأن عمل معاوية هـو امتداد (لمواقف أهل الجمل) في مواجهة علي وصراع بين حزب أموي وآخرَ هاشـمي... فهذا وذاك من الفِرى السـمجة التي لا تسـتند إلى رواية تاريخية صحيحـة مقبولة، ولا يدعمها رأي سديد ولا منطق سـليم! فمواقف والي الشام معروفة واضحة منذ بويع علي بالخلافة وصمَّم على عزل معاوية وبعث والياً بدلاً منه. بل إن موقف معاوية ليتجلى واضحاً صريحاً عبقريّاً منذ قام السبئيون بالخروج على عثمان، وطلب منه معاوية حمايته بطرق متعددة عرضها عليه[1].

٣ ـ إرادة علي عزل معاوية عن ولاية الشام، ومدى صواب ذلك، وآثاره:

تقدم[2] أن أميـر المؤمنين عليّاً قد عزم غداةَ اسـتخلافه على تغيير بعض الولاة ومنهم (معاويـة)، فنصحه جماعة من أجلَّاء الصحابة منهم المغيرة بن شعبة وابن عباس بإقرار معاوية على الشام، فأبى ذلك وبعث (سَـهْل بن حُنيف) لتولي إمرة بلاد الشـام، فردَّه الشـاميون من حدود الأردن.

ومعاوية رضي الله عنه كان من خِيار الولاة في جميل هَدْيه وحُسـن سياسته ورضا الرعية عنه، وماضيه المجيد وأعماله الجليلة وكونه من ولاة عمر

(١) انظر كتابي: عثمان بن عفان.

(٢) انظر: ص ٤٤٥ ـ ٤٥٠، ٥٣٤ ـ ٥٣٥ في هذا الكتاب.

وعثمان مدة طويلة، وهو من أكفأ ولاة الخلافة الراشدة. يضاف إلى ذلك نصحُ الناصحين لعليٍّ بعدم عزله، والمرحلة العصيبة التي تمرُّ بها الدولة؛ تقتضي إقرارَه وعدمَ توسيع شُقَّة الخلاف. وكذلك فإن عليّاً لم يعزل كثيرين من الولاة ممن هم أقل أهمية بكثير من والي الشام... كل هذا يجعل المصلحة في إقرار معاوية والاتفاق معه، وتجاوز العقبات التي تمرّ بها الدولة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعاوية كان خيراً من كثير ممن استنابه علي، فلم يكن يستحق أن يُعزل ويولى من هو دونه في السياسة؛ فإن عليّاً استناب زياد بن أبيه، وقد أشاروا على عليٍّ بتولية معاوية، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تولِّيه شهراً واعزله دهراً! ولا ريب أن هذا كان هو المصلحة؛ إما لاستحقاقه وإما لتأليفه واستعطافه، فقد كان رسول الله ﷺ أفضلَ من عليٍّ، وولَّى أبا سفيان، ومعاويةُ خير منه، فولَّى مَن هو خير من عليٍّ من هو دون معاوية)[1].

وقد تبين لأمير المؤمنين علي فيما بعدُ صحة رأي الناصحين له، وقد قال له ابن عباس: (إن معاوية يُطاع ولا يُعصى، وأنت عن قليلٍ تُعصى ولا تُطاع!. فلما جعل أهل العراق يختلفون على علي رضي الله عنه قال: لله درُّ ابن عباس؛ إنه لَينظرُ إلى الغيب من ستر رقيق!)[2].

وكذلك ما آلت إليه أمور المسلمين بعد وقعة صفين يؤكد أن المصلحة كل المصلحة في الصلح بين أمير المؤمنين وأهل الشام،

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/١٢١ ـ ١٢٢، وانظر: ٤/٤٦١، ٤٦٣.

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

وعدم الانجرار إلى الخلاف ومن ثم القتال: (فلا ريبَ أنه لو لم يكن قتال، بل كان معاوية مقيماً على سياسة رعيته، وعلي مقيماً على سياسة رعيته، لم يكن في ذلك من الشرّ أعظم مما حصل بالاقتتال، فإنه بالاقتتال لم تَزُل هذه الفُرقة، ولم يجتمعوا على إمام، بل سُفكت الدماء، وقويت العداوة والبغضاء، وضعفت الطائفة التي كانت أقرب إلى الحق، وهي طائفة علي، وصاروا يطلبون من الطائفة الأخرى من المسالمة ما كانت تلك تطلبه ابتداءً!.

ومعلوم أن الفعل الذي تكون مصلحته راجحة على مفسدته، يحصل به من الخير أعظم مما يحصل بعدمه، وهنا لم يحصل بالاقتتال مصلحة، بل كان الأمر مع عدم القتال خيراً وأصلح منه بعد القتال...)[1].

وهنا لا بدّ من طرح هذا السؤال: لماذا يُصِرُّ عليٌّ على عزل معاوية؟.

وأمير المؤمنين علي كان من أكابر رجالات الدولة في خلافة الخلفاء الثلاثة قبله، ويعلم سياسة الدولة ومنزلة الولاة والولايات فيها، ويعرف معاويةَ تمام المعرفة في منزلته وهَدْيه وحسنِ سياسته ورضا الخلفاء عنه وحبِّ الرعية له، وقد جاءت نصيحةُ الناصحين بإقراره وعدم عزله. وهاهو عليٌّ يرى خطورة الموقف وما جرَّه الخلاف في (وقعة الجمل). وهاهي ذِه نُذُر الفُرقة تدقُّ وتنذِر بتكرار المأساة المروِّعة، وبخاصة وقتلة عثمان تقوى شوكتُهم ويزداد غيُّهم وطغيانهم ويتشظَّى سعيُهم في إثارة الفتن والقتال... فما الذي حدا بعليٍّ وحمَلَه

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/١٢٢.

على إصراره على عزل معاوية وإرغامه في أهل الشام على الطاعة أولاً، مع كل هذه المقدمات والمحاذير؟!.

والذي نراه ولا نجد غيره جواباً لهذه المعضلة يتلخص في أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن عليّاً ﷺ توارى عنده (جانبُ السياسة) وغلَبتْ (مزيةُ القوة) والأخذ بما نسميه (الحسم العسكري)، وخاصيةُ القوة والبطولة والفروسية والشجاعة الغلّابة مما امتاز به عليٌّ، وتشكل ركناً بارزاً غلّاباً في شخصيته.

والأمر الثاني: وهو ـ برأينا ـ يوازي الأول ويتفوق عليه في التأثير: هو أثر (السبئية من قتلة عثمان) على القرار السياسي، وتوجيه مسار الأحداث والدفع بها نحو نفق الفتنة والقتال، وتحقيق المزيد من الشروخ في صف الأمة وجسم الدولة، وهو ما لا يعيشون دونه، ولا يهنؤون إلا في حَمْأَته! وقد استغلوا في ذلك ما أشاعوه وروّجوا له من (سوء سيرة معاوية وأطماعه) في الخلافة، وسعيه في أهل الشام لبناء أمجاد أموية!.

وقد تبين من سيرورة أحداث (وقعة صفين) وما تلاها، مدى التأثير الكبير لأولئك السبئية المجرمين في توسيع الخلاف وتأجيج القتال.

ثالثاً: خروج علي إلى الشام، وموقف جماعة من الأكابر، ودور رؤوس الفتنة:

●● لما رفض معاوية في أهل الشام بيعة أمير المؤمنين علي، وردّوا والي الشام الجديد من قِبله ورفضوا عزل معاوية؛ عزم علي على المسير إلى أهل الشام ليرغمهم على البيعة والدخول في الطاعة، فجاء إليه ابنُه

الحسن بن علي وقال له: (يا أبتِ، دَعْ هذا فإن فيه سَفْكَ دماء المسلمين، ووقوعَ الاختلاف بينهم)، فلم يَقبل منه ذلك[1].

ونَصَحه غير واحد من الصحابة بأن لا يسير إلى أهل الشام، وأن يسالمهم ولا يسعى إلى المواجهة بين المسلمين:

فدخل عليه الصحابي حَنْظلة بن الرَّبيع التَّميمي المعروف (بحنظلة الكاتب)، في رجال كثير من غَطَفان وبني تميم، قال حنظلة: (يا أمير المؤمنين، إنا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلْها منَّا، ورأَيْنَا لك رأياً فلا تردَّه علينا، فإنَّا نظرنا لك ولمن معك: أَقِمْ، وكاتِبْ هذا الرجلَ، ولا تَعجلْ إلى قتال أهل الشام)[2].

وأشار عَديّ بن حاتم على أمير المؤمنين علي بمثل ما نَصح به حنظلة الكاتب[3].

وألحَّ عبدالله بن عباس على عليٍّ بالنصيحة والمسالمة مع معاوية، فأجابه علي: (لا أعطيه إلا السيفَ، حتى يغلبَ الحقُّ الباطل!)[4].

ونصحه عبدالله بن سَلَام بأن لا يخرج من المدينة فقال: (يا أمير المؤمنين، لاتخرج منها، فوالله لئن خرجتَ منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً!)[5].

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٣٠؛ نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٩٩.

(٢) وقعة صفين، ص٩٦.

(٣) المرجع السابق، ص٩٨.

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص٥٣٨.

(٥) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥، وقد تقدم: ص ٤٠٤ في هذا الكتاب.

•• تجهَّز علي في جيش كثيف وخرج باتجاه الشـام، فعلم معاوية بخروجه، فاستشار الناس فأشاروا عليه بالخروج، فخرج في جيش كبير.

وكان خروج علي إلى صفين بعد وقعة الجمل ـ وكانت الجمل في (١٥) من جمادى الآخرة من سنة (٣٦هـ) ـ بنحو ثلاثة أشهر[١].

وقد كان لرؤوس السبئية والغوغاء دور تحريضي كبير على استمرار الخلاف بين المسـلمين، وتوسـيع دائرة الفتنة، وإحراج أمير المؤمنين ومعاندته والخروج من طاعته، وهـذا ما يؤكده الطبري قائلاً: (وأعجلتِ السـبئية عليّاً عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه!)[٢].

وقد كان لهم كثير من مثل هذه الأعمال الإجرامية في (فتنة البصرة، ووقعة الجمل)، فالأشـتر النخعي كان يطمـح للقيادة والرئاسـة دوماً، وعندما رأى أميرَ المؤمنين يقدِّم أبناءَ عمه العباس عليه؛ تبرَّم بذلك وقال: (علامَ قتلنا الشـيخَ ـ أي: عثمـان ـ إذ اليمنُ لعُبيـد الله، والحجاز لقُثَم، والبصرة لعبدالله، والكوفة لعليٍّ؟!)، ثم دعـا بدابته فركب راجعاً! وبلغ ذلك عليّاً، فنادى: الرحيل، ثم أجَدَّ السـيرَ فلحق به فلـم يُرِه أنه قد بَلَغه عنه، وقال: ما هذا المسير؟ سبقتَنا! وخشي إنْ تُرِك والخروج أن يُوقِع في أنفس الناس شرّاً[٣].

---

(١) التاريخ الأوسط، للبخاري: ١/١٧٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٤٣ـ٥٤٤.

(٣) المرجع السابق: ٤/٤٩٢ـ٤٩٣.

وكَشف الأشعثُ بن قيس ـ وكان مع عليٍّ ـ الغطاءَ عن مساعي الأشتر وأهوائه، فقال أمام أمير المؤمنين علي: (وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟! قال علي: وما حُكمُه؟ قال: حكمه أن يَضرِب بعضُنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد!).

وقال أيضاً: (وهل سَعَّر الأرضَ غيرُ الأشتر!)[١].

ووصفه أبو الأعور السُّلَمي ـ وهو من رجال معاوية ـ فقال: (إن خِفَّة الأشتر وسوءَ رأيه هو حمله على إجلاء عمّال ابن عفان رضي الله عنه من العراق، وانتزاؤه عليه يقبِّح محاسنه. ومن خِفَّة الأشتر وسوءِ رأيه أن سار إلى ابن عفان رضي الله عنه في داره وقراره حتى قتله فيمن قتله، فأصبح متَّبعاً بدمه)[٢].

وسبقهم إلى هذا العبقريُّ المُلهَم الفاروق عمر، فيما رواه عبد الله بن سَلَمة المُرادي قال: (نظر عمر بن الخطاب إلى الأشتر، وأنا عنده، فصَعَّدَ فيه النظر ثم صَوَّبَه، ثم قال: إنَّ للمسلمين من هذا يوماً عصيباً!)[٣].

فهذا الأشتر وأمثاله كانوا رؤوس الشر ودعاة الفتنة، والساعين لإفشال كل خطة إصلاح بين الفريقين، لذا كان الاتجاه يسير نحو المواجهة والقتال.

---

(١) تاريخ الطبري ٥١/٥.

(٢) المرجع السابق: ٥٦٨/٤.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٩٤.

وقد كان الأشتر وبعض الرؤوس من أمثاله قريبين من الخليفة علي، غيرَ مقرَّبين عنده ولا مُحَبَّبين إليه، لعلمه بسيرتهم ونزغاتهم، وكان يسعى إلى كبح جماحهم كما يتضح من مواقف كثيرة مرَّت وسيأتي غيرها، لكنه ﷺ غيرُ قادر على لَجْمِهم تماماً وإبعادِهم عن مواقع التأثير، لشدة وطأتهم وكثرةِ مادتهم من قبائلهم وأتباعهم من الغوغاء، ولتشابك الفتن والمحن...

وهذا أيضاً من مبررات مخالفة أهل الشام، وقبلهم أصحاب الجمل، لأمير المؤمنين علي، وعدم الدخول في مبايعته، وهم يرون قوة تأثير أولئك السبئية في توجيه قرارات الدولة ومسار الأحداث نحو كل خلاف وشقاق وقتال وسفك الدماء! **ومن حق معاوية أن يطالب برأس هذا الأشتر وأمثاله من الذين تمالؤوا على قتل عثمان** ﷺ[1].

●● استخلَف عليٌّ على الكوفة الصحابي أبا مسعود عُقبة بن عَمْرو البدري، وخرج منها، فعسكر بالنُّخَيْلة ـ أول طريق الشام من العراق، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى في الكوفة ويبعث غيره إلى الشام، فأبى.

ولما علم معاوية أن عليّاً تجهز وخرج بنفسه على رأس جيشه، استشار الناس فأشار عليه رجاله بأن يخرج إليه هو أيضاً بنفسه، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صِفِّين.

وترددت الرسل بينهم.

---

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٦.

رابعاً: مراسلات بين علي ومعاوية:

١ ـ حقيقة أولية:

نوضح في بداية هذا المبحث حقيقة واضحة لكل من تمرس بتأريخ تلك الحقبة، وهي أن الفريقين حَرَصا على تضييق جوانب الخلاف وبعثِ السفارات لتحقيق الصلح والاتفاق على أمر سواء، وسعى في ذلك صحابة كرام أجلاء.

لكن الحق المرّ الذي يجب الصدعُ به أن أخبار تلك (السفارات) لا يمكن الوثوق بمعظم ما جاء فيها، ولا يجوز تصديقه والركون إليه والاعتماد عليه وإقامة عمود البحث على مضامينه!.

ذلك لأن أغلب رواته مطعون عليهم من حيث الوثاقةُ والضبطُ والأمانةُ والإنصافُ، هذا من جهة السند. ومن حيث المتنُ فإن تلك الأخبار احتوت الكثير من السباب والشتائم والاتهام بالخيانة والغدر والنذالة والكلام المقذِع والأشعار المنحولة والقصص التالفة، مما لا يليق بمروءات عامة الرجال فضلاً عن أصحاب النبي ﷺ، حَمَلة الرسالة وأمناء الوحي وأبطال الفتوحات ورجالات العصر الراشدي الزاهر!.

وإن كل من يقرأ طرفاً من تلك الأخبار يظن أنه أمام جماعة من أوباش الناس الذين تربوا في ردهات الساسة المعاصرين، الذين تمرسوا بمضغ الكلام وبيعِ الشعارات، وإطلاقِ الاتهامات وممارسة المواقف المتلونة، مع الغدر والخيانة والسعي للكيد والمنابزة والتنطع وكل سلوك نَذْل لئيم!.

وما يَصحُّ من تلك الأخبار إنما هو ومضات مضيئة في غياهب ركام كثيف من الدَّغَل والإفك والتزوير...

تجدُ هذا في روايات (كتب صفِّين): لأبي مِخْنَف ونَصْر بن مُزاحم والواقدي وأمثالهم، وحسبك بهؤلاء ودرجتهم من الضعف والوَهَاء والتَّرك والبعد عن الوَثاقة!.

ثم ما جاء في الكتب المطولة، مثل: تاريخ الطبري، وابن عساكر، والمنتظم لابن الجوزي، والكامل لابن الأثير، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير...

أما ما جاء في كتب الأدب، مثل: الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والأغاني للأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وكتب الشيعة، مثل: الكافي وبحار الأنوار وكشف الأسرار والأنوار النعمانية وتاريخ اليعقوبي وتاريخ المسعودي ونهج البلاغة وشروحها... فيكفيك من شر سماعه!.

ومثلها ما تطالعنا به كتب كثير من المعاصرين، مثل: الفتنة الكبرى لطه حسين، والفتنة لهشام جعيط، وعبقرية علي للعقّاد، وعلي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب، والإمام علي لإبراهيم بيضون، وأبو تراب لطلال الجنابي، وفضائل الإمام علي لمحمد جواد مغنية، وأمثالهم.

٢ ـ نماذج من سفارات علي إلى معاوية[(١)]:

أ ـ سفارة جرير بن عبد الله البجلي: لما أراد علي أن يبعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، قال جرير: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فإن

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة: ٢/٢٧١ ـ ٢٨٤.

بيني وبينه ودّاً، فآخذ لك منه البيعة. فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه! فقال علي: دَعْه. وبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يُعْلِمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس. فلما انتهى إليه جرير أعطاه الكتاب.

ولم يكن معاوية بالذي يتعجل في إبرام الأمر، بل يستشير أعلام الصحابة وأعيان الناس (فطلب معاوية عمرو بنَ العاص ورؤوسَ أهل الشام فاستشارهم، فأبَوا أن يبايعوا حتى يَقتل قتلة عثمان، أو أن يسلِّم إليهم قتلة عثمان... فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا).

(فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، ألم أَنْهَكَ أن تبعث جريراً؟ فلو كنتَ بعثتَني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقتُه! فقال له جرير: لو كنتَ ثَمَّ لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يُعْيِني جواب معاوية، ولأعجلنَّه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحَبَسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة! فقام جرير مغضباً، وأقام بقَرْقِيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه)[1].

وهذا من الأدلة الكثيرة على تدخُّل رؤوس السبئية في قرارات الخليفة، ومحاولات إفشال كل مساعي الخير. وهو أيضاً من الدلائل

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٦١ـ٥٦٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٥٤.

على سوء أدب هذا الأشتر وعَنْجَهِيَّته الفارغة! وكان من الواجب على أمير المؤمنين أن يطرده من مجلسه أو يقرِّعه على الأقل لجرأته على صحابي أمير من سادات قومه، وحسبك به جلالة أن النبي ﷺ ما رآه إلا تبسَّم في وجهه!.

ب ـ سفارة بشير بن عمرو الأنصاري: وبعث أمير المؤمنين عليٌّ بشيرَ بنَ عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهَمْداني وشَبَث بن رِبْعي التميمي، وقال لهم: (ائتوا هذا الرجلَ فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة)... فأتوا معاوية ودخلوا عليه، وتكلم بشير بن عَمْرو معه فوعظه وناشده، فقال: (يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجعٌ إلى الآخرة، وإن الله ﷻ محاسِبُك بعملك، وجازيك بما قدَّمتْ يداك، وإني أنشُدك الله ﷻ أن تفرِّق جماعة هذه الأمة وأن تسفِك دماءها بينها... فقال معاوية: ونَطُلُّ دم عثمان! لا والله لا أفعل ذلك أبداً).

وأراد سعيد بن قيس أن يتكلم، فبادره شَبَث بن رِبْعي وتكلم بكلام غليظ، فأمر معاوية رضي الله عنه بإخراجهم[١].

ج ـ وذكر ابن كثير سفارة فيها أبو أُمامة الباهلي وأبو الدرداء، وأنهما دخلا على معاوية فقالا له: (علامَ تقاتل هذا الرجلَ؟! فوالله إنه أقدمُ منك ومن أبيك إسلاماً، وأقربُ منك إلى رسول الله ﷺ، وأحق بهذا الأمر منك! فقال معاوية: أقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له فَلْيُقِدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٧٣ ـ ٥٧٤؛ البداية والنهاية: ٧/٢٥٧. نَطلّ: نَهدُر ونُبطِل.

فذهبا إلى عليٍّ فقالا له ذلك، فقال: هؤلاء الذين تريان. فخرج خلق كثير فقالوا: كلُّنا قتلةُ عثمان، فمن شـاء فليَرُمْنا! فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً)(١).

وذكر أبي الدرداء هنا غلط، لأنه توفي سنة (٣٢هـ).

د ـ ومن السِّـفارات التـي بعثها علي وفـدٌ فيـه: عَدي بن حاتم، ويزيد بن قيس الأَرْحَبي ـ وهو من رؤوس السبئية ـ، **وشَبَث بن رِبْعي،** وفي الخبر(٢) مقاولات بين عدي ومعاوية مما لا نسـتجيز روايته، وفيه اتهام معاوية عليّاً بدم عثمان، وهذا لا يصح عن أحد من الصحابة، وما جاء في الخبر مـن مهاترات رواها أبو مِخْنف: هـو من الأكاذيب التي أشرنا إليها قبل قليل(٣).

هـ ـ وسـعى في السِّـفارة بين الفريقين جماعة من التابعين على رأسهم التابعي الجليل أبو مسـلم الخَوْلاني: فقد جاء من غير وجهٍ أن أبا مسـلم الخولاني وجماعةً معه دخلوا على معاويـة فقالوا له: (أنتَ تُنازِعُ عليّاً في الخلافة، أَوَ أنتَ مثلُه؟ فقال: لا، واللهِ إني لأعلمُ أنه خيرٌ مني وأفضلُ، وأحقُّ بالأمر منِّي، ولكن أَلسـتُم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه، وأمرُه إليَّ؟ فقولوا له فليسلِّمْ إليَّ قتلة عثمان، وأنا أسـلِّم له أمره. فأتوا عليّاً فكلَّموه في ذلك، فلم

---

(١) البداية والنهاية: ٧/٢٦٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٥ـ٦؛ البداية والنهاية: ٧/٢٥٨.

(٣) انظر: ص٦٥٦ ـ ٦٥٧ في هذا الكتاب.

يدفع إليهم أحداً، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية)[1].

وبالنظر في هذه السفارات والحوارات بين الطرفين نجد أنها تدور حول قضيتين أساسيتين:

الأولى: دعوة أمير المؤمنين علي والي الشام معاويةَ للبيعة والدخول فيما دخل فيه مَن بايعه من أكثر المسلمين.

الثانية: امتناع معاوية من قبول ذلك إلا بعد إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، أو تسليمهم له لأنه وليُّ دم الشهيد عثمان.

وقد كان ابن عباس يميل إلى هذا، وقال مخاطباً عليّاً وأهل العراق: (وايمُ اللهِ لَيتأمرنَّ عليكم معاوية؛ وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣])[2].

وقد ذكر ابن كثير هذا الخبر في تفسير الآية الكريمة، وقال: (ثم تمكَّن معاوية وصار الأمر ـ الخلافة ـ إليه كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجيب!)[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٤٠/٣؛ البداية والنهاية: ١٢٩/٨؛ وذكره الحافظ في الفتح: ٤١٦/١٦ (٧١٢١) وقال: سنده جيد. وذكرنا طرفاً منه: ص٥٠٢ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٦٣)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ٢٣٦/٧): فيه من لم أعرفهم؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٣٩/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢/٣.

خامساً: حقائق ووقفات بين يدي (وقعة صفين وأخبارها):

١ ـ استسلم كثير من المؤرخين والأدباء، والكتاب من القدماء والمعاصرين لروايات وأخبار وقعة صفين وكأنها حقائق تاريخية ثابتة:

وتلقوها بالقبول دون تحقيق أو تمحيصٍ أو نقدٍ لها سنداً ومتناً، واغترُّوا بها وروَّجوا لها بين عامة القرّاء. وأَسْهَمَ في رواجها ما تتضمنه من أخبار مثيرة وأحداث جسيمة، جيَّشت العواطف الكامنة والمتحفزة، واغتالت العقل الناقد والبصيرة الممحِّصة. وتمَّ تداولُها وتناقلُها عبر الأجيال حتى طَغتْ على ساحة التفكير والتأليف. وتوارت الحقيقة وراءها، حتى إذا وجدت من يحييها وينافح عنها ويبرهن على صحتها؛ استهجنَتْها الخاصة واستنكرتْها العامة، وانطبق عليهم المثل السائر: الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور!.

وهذا مما ابتُلي به مؤرخونا وكتّابُنا وأبناؤنا، فيما نُشر وذاع من كتب وأبحاث ودراسات، مع ما فيها من إساءات إلى تاريخنا ورجالاتنا وخاصة أصحابَ نبينا ﷺ، وما فيها من أكاذيب ومهاترات واتهامات بالخيانة والغدر والتنافس على المصالح والتفريط بمصير الإسلام والأمة، حتى تحول ـ في نظر البعض ـ الذكاءُ والدهاءُ إلى خيانة وغدر، والحكمةُ والأناةُ والورعُ إلى غفلة وسذاجة، كما في قصة (التحكيم) مثلاً.

٢ ـ ما روي في الوقعة من خُطب وأمثال وأشعار:

غالبه لا يصح من جهة السند والمتن، فالنظر الصحيح والبحث الناقد يرفض قبول ما جاء من خطب مطولة وأشعار وقصائد وأراجيز

كثيرة وأمثال مضروبة، فمن الذي وعاها إبّان اشتباك الأحداث ونشوب الحرب؟! ثم من ذاك الذي أسندها ونقلها إلى من بعده حتى وصلت بعد تراخي الزمن إلى أمثال أبي مِخْنَف ونَصْر بن مُزاحم والواقدي والكَلْبي وبابَتِهم من المتروكين والهلكى؟!.

ومثل هذه الخطب والأشعار ليست من هدي الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا تناسب عهدهم وآدابهم وأخلاقهم ومواقفهم. وهي مصنوعة ومنحولة دبَّجها الأخباريون حاطبو الليل، وتلقَّفَتْها كتب التاريخ والأدب والأسمار، وتسلَّى بها البطَّالون ممن يأخذون بقلوب العامة لسماع الغرائب والأوابد والمناكير من الأخبار، وأُلصِقت برجال ذاك العصر في تلك الحقبة الخطيرة من تاريخنا.

وإذا كان ابن هشام قد تشكَّكَ في كثير من أشعار (سيرة ابن إسحاق) التي قيلت في الغزوات، ونُقل عن العلماء إنكارُ جملة مستكثرة منها، فهنا أجدرُ وأوْلى أن يُستنكر أكثر ما جاء في (أحداث الفتنة) من أشعار وخطب وأمثال، لا يمكن أن تقال إلا في ظروف هادئة ومجالس يسودها التفاخر والمكاثرة! أما في خِضَمِّ الأحداث ونُذُر القتال، فالقوم قد تعودوا أن يقولوا الكلمات الموجزة وأبيات من الشعر قليلة.

٣ ـ كثرة تفاصيل القتال والمبارزات والبطولات وطول مدة الحرب[1]:

وهذه كسابقتها يجب الحذر الشديد من قبولها واعتمادها، لأنها

---

(١) انظر في هذه الفقرة وسابقتها: شرح نهج البلاغة: ٣/١٣٣ ـ ١٩٣؛ وكثير منها موجود في: تاريخ الطبري؛ والبداية والنهاية، وغيرهما.

تنافي هدي رجال الفريقين على وجه العمــوم، فلقد كان منهجهم قائماً على الكفِّ وإغمادِ السيوف وكراهية المواجهة والقتال، تخوفاً من سفك الدم الحرام، فسبابُ المسلم فسوق وقتالُه كفر!.

ويؤيــد ذلــك حرصُهــم على عدم نشــوب القتــال، وطــولُ مدة المراســلات والحوارات وبخاصة من جهة أمير المؤمنين علي، وندمُهم على وقوع القتال وشــهودهِ بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وتفكّرُهم طويلاً فيما حدث في (وقعة الجمل)، وقبولُهم أيضاً بحكم القرآن عندما (رُفعت المصاحف) لوقف القتال.

وقد يَصحّ ما نُسب إلى بعض رؤوس الفتنة من (بطولات!) كالأشتر النخعي وشَبَث بن ربعي ويزيد الأَرْحَبي وغيرهم، أما ما يُروى عن أمير المؤمنين عليٍّ بأنه كان يشن الحملات العنيفة ويشق الصفوف ويَخضب سيفَه، فهو ليث الحروب بلا ريب لكن ليس في مثل هذا الموقف يفخر علي بقتاله المســلمين المخالفين له، لتورُّعهِ عن الدم الذي فيه شــبهة فضلاً عن الــدم الحــرام! وندمُه في نهايــة المطاف علــى وقوع تلك الحروب من أقوى الأدلة في تزييف تلك الأخبار.

بل إن الإنسان العادي في زماننا ليســتنكر مثلَ تلك الأعمال التي توصف (بالبطولات) بأن تصدر من رجل له مكانة، فضلاً عن أن يفعلها أمثال علي وعمار وقيس بن سعد وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وأبي الأعور السُّلَمي ونحوهم.

ويدخــل في هذا ما يُــروى من أن عليّــاً طلب معاويــة للمبارزة، فشــجَّعَه عمرو بــنُ العاص للتخلص منــه! وأن عليّــاً واجه عمرو بن

العاص في المعركة فغلبه، فاستقبله عمرو بعورته، فتركه! فهذا وأمثاله من الأكاذيب الغبية، وهذه الواقعة الأخيرة حدثت لعليٍّ مع عَمْرو بن عبد ودّ في غزوة الخندق، ولكن رواة الكذب لا ذاكرة لهم، فيدلِّسون على الدهماء، فيكشف الله سِترهم وكذبَهم، ليكون ذلك مقياساً ودليلاً على بطلان رواياتهم.

٤ ـ عدمُ رغبة الفريقين بالقتال، والتشككُ في مسوِّغاته:

لدى تتبع أخبار وقعة صفين ومواقف رجال الطرفين قبلها وفي إبَّانها وبعدها؛ نجد أنها تشير إلى حقيقتين اثنتين:

الأولى: أن مساعير الفتنة من رؤوس السبئية هم الذين كانوا يحرصون على إنشاب القتال واستمراره حتى يستحرَّ القتل في المسلمين وتسير الأمور إلى النهاية التي تحقق أهدافهم.

الثانية: أن هناك تياراً قويّاً وبخاصة في جيش علي لا يرغبون في القتال خشية إراقة الدماء، ويتشككون في مسوِّغات الحرب! وعلى هذا الرأي كان أمير المؤمنين علي ووالي الشام معاوية. وتشير كثير من الروايات إلى أن عليّاً كان كثيراً ما يُكفكف جِماح الأشتر وأمثاله وأتباعه عن الاستمرار في القتال، لكن الفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفائها.

فهم يدركون أن الخلاف بينهم خلاف سياسي واختلاف في تأويل ما جرى من أحداث قتلِ عثمان وعقابيلها، ووقتِ إقامة حد القصاص على القتلة، واستحضروا ما جرَّتْه وقائع (معركة الجمل) في البصرة، وخشوا تكرار المأساة ثانية.

ثم إن كثيراً من القبائل منقسمة بين أهل العراق وأهل الشام منذ أيام الفتوحات، وهم قريبو عهد بعصر النبوة وأمجاد الفتوح في أيام عمر وعثمان، فكيف يَقبل أحدُهم أن يتواجه مع أخيه وبني عمومته وخؤولته ويسلَّ عليه السيف ويتهدَّد حياته، وبينهما من موانع ذلك أسباب كثيرة على رأسها أنهما مسلمان، ومنذ قليل كانا يقفان صفّاً واحداً أيام الفتوح؟!.

بل إن الأشتر النخعي على طغيانه وولوغه في الفتنة ورغبته في القتال؛ قد كان يتشكك في مواجهة أهل الشام وصرّح بذلك في مجتمع من قبيلته (النخع)!.

عن عمير بن سعد النخعي قال: (لما رجع عليٌّ من «الجمل» وتهيّأ «لصفّين»، اجتمعت النَّخَعُ حتى دخلوا على الأشتر، فقال: هل في البيت إلا نَخَعيٌّ؟ فقالوا: لا، فقال: إن هذه الأمة عَمَدت إلى خيرها فقَتَلَتْه ـ يعني عثمان ـ! وسِرْنا إلى أهل البصرة قومٍ لنا عليهم بيعة فنُصِرنا عليهم بنُكْثِهم، وإنكم تسيرون غداً إلى أهل الشام قومٍ ليس لكم عليهم بيعة، فلينظر امرؤٌ منكم أين يضَعُ سيفَه!)[1].

وهذا النص الصحيح من أكبر الأدلة على التشكك في مشروعية قتال أهل الشام الذين لم يدخلوا في بيعة علي، حتى يقيم القصاص على قتلة عثمان. ومع ذلك (فهذا الأشتر) لم يرعوِ عن غيِّه وولوغِه في الفتنة والدماء، ولم ينتفع بتلك الوصية التي وضعها بين يدي قومه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٧١١/٨؛ والحاكم: ١٠٧/٣ وصحَّحه، وقال الذهبي: هو على شرط مسلم.

النخعيين، وهي من الحجج عليه بين يـدي الله تعالى، وقد جُوزي في الدنيا من جنس عمله فمات مقتولاً كما قدمنا.

ومن الشـواهد على عدم الرغبة في القتال والتشكك في مسوغاته؛ اعتزالُ فريق كبير المشاركة في صفين:

فهذا أيمن بن خُرَيْم بن فاتِك، وهو صحابي ابن صحابي، يقول:

ولسـتُ مقاتـلاً رجـلاً يصلِّي — علـى سـلطانِ آخرَ مـن قريشِ
لـه سـلطانُه وعلَـيَّ إثمـي — معـاذَ الله مـن سَـفَهٍ وطَيْـشِ
أأقتـلُ مسـلماً فـي غيـرِ جُرْمٍ — فليسَ بنافعي ما عشتُ عَيْشي[1]

ومثله طائفة من صلحـاء أهل الكوفة وبخاصـةٍ تلامذةُ عبدالله بن مسـعود، حيث جاؤوا إلى أمير المؤمنين عليٍّ وفيهـم عَلْقمة بن قيس وعَبِيدة السَّلْماني وعامر بن عبد قيس وأشـباههم، فقالوا له: (إنَّا نخرج معكم ولا ننزل عسـكركم، ونعسـكر على حِدَةٍ، حتى ننظرَ في أمركم وأمرِ أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحلُّ له أو بدا منه بغيٌ؛ كنَّا عليه. فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسُّـنَّة، من لم يرضَ بهذا فهو جائرٌ خائن)[2].

وأتـاه آخرون فيهم الرَّبيع بـن خُثَيْم وهم أربع مئـة رجل، فقالوا: (يا أمير المؤمنين إنَّا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك... فوَلِّنا بعضَ الثغور نكن به ثم نقاتل عن أهله)، فوجَّههم إلى ثغر الرّي[3].

---

(١) وقعة صفين، لابن مزاحم، ص ٥٠٤؛ تهذيب الكمال: ٣/٤٤٤ـ٤٤٥.

(٢) وقعة صفين، لابن مزاحم، ص ١١٥.

(٣) المرجع السابق نفسه.

وقد ذكرنا أن جماعة من الصحابة نصحوا عليّاً بعدم الخروج إلى الشام، منهم حنظلة الكاتب، ومما قالوه له: (يا أمير المؤمنين... أَقِمْ وكاتِبْ هذا الرجلَ، ولا تَعجلْ إلى قتال أهل الشام)[١].

٥ ـ أصحاب الفتنة من السبئية يدأبون إفشالَ كل خطة إصلاح:

كما كان قتلة عثمان والسبئية مساعيرَ الفتنة والسعاة في إفشال كل خطة إصلاح في أحداث البصرة و(وقعة الجمل)، كذلك استمروا على هذا النهج في (وقعة صفين) منذ مقدماتها وحتى نهاياتها في (قضية التحكيم). ودأبوا عرقلةَ كل محاولة اتفاق بين أهل العراق وأهل الشام، وسَعَوا في إنشاب القتال واستمراره، وإبطال مساعي الإصلاح واجتماع الكلمة وحقن الدماء:

أ ـ فقد أَعْجَلوا أميرَ المؤمنين عليّاً للخروج من البصرة إلى الكوفة، وارتحلوا بغير إذنه.

ب ـ وتدخلوا في ولاية قيس بن سعد على مصر ـ وهو من خيار الولاة حكمة وسياسة وإدارة ـ لأنه ضبط أمور مصر وبخاصة أعمال قتلة عثمان، ووَشَوْا به حتى عزله علي.

ج ـ وحرَّض الأشتر ومن معه أميرَ المؤمنين لانتزاع بلاد الجزيرة من أيدي نواب معاوية، فتصدى له عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ففرَّ منه الأشتر.

---

(١) تقدم: ص ٦٥٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

د ـ ولما أَرسل عليٌّ جريرَ بنَ عبد الله البجلي سفيراً إلى معاوية، اعترضت السبئية وعلى رأسهم الأشتر وأساء القول لجرير، فغضب جرير وترك عليّاً ولحق بمعاوية.

هـ ـ وعندما امتنع أهل الرقة من (نصب الجسر على الفرات) لعبور جيش علي إلى صفين، لم يَهِجْهُم عليٌّ، فقدِم الأشتر وأرغمهم على وضع الجسر وتهدَّدهم قائلاً: لئن لم تفعلوا لأَقتُلنَّ الرجال ولأخربنَّ الأرض ولآخذنَّ الأموال!.

و ـ عندما (رُفعت المصاحف) ودُعي إلى تحكيمها وتوقف الطرفان عن القتال، وجاء أمرُ عليٍّ إلى الأشتر وعصابته أن يكفُّوا عن القتال، تذمَّر من ذلك وقال للرسول: قل له ـ أي لعليٍّ ـ: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوتُ أن يُفتح لي، فلا تُعجِلْني!.

ز ـ ولما كُتبت (صحيفة التحكيم)، دُعي لها الأشتر، فقال: لا صحبتْني يميني ولا نفعتْني بعدها شمالي، إنْ خُطَّ لي في هذه الصحيفة اسمٌ على صلح ولا موادعة!.

ح ـ وكانوا دائمي العيب لأمير المؤمنين علي وسياسته وولاته، وخذلانه وعدم طاعته، والتشكيك به والخروج عليه، تماماً كما كانوا مع عثمان بن عفان.

وستتضح أعمالهم الإجرامية وحرصهم على الفتنة وسفك الدم خلال استعراض سيرورة أحداث وقعة صفين والتحكيم.

٦ ـ النزاع بين الفريقين لم يكن على الخلافة:

ومن الحقائق التي يجب ترسيخُها وكثرةُ ذِكْرها ليعرفها كل مسلم؛ أن أحداً ممن خالف علياً لم يُنكِر خلافتــه ولا أحقيَّته بإمرة المؤمنين، ولا نازَعَه أحدٌ عليها، (وعلي لم يقاتل أحــداً على إمامة من قاتله، ولا قاتله أحد على إمامته نفسه، ولا ادعى أحد قط في زمن خلافته أنه أحق بالإمامة منه: لا عائشة، ولا طلحة ولا الزبير، ولا معاوية وأصحابه، ولا الخوارج، بل كل الأمة كانــوا معترفين بفضل عليٍّ وســابقته بعد قتل عثمان، وأنه لم يبقَ في الصحابة مَن يُماثِله في زمن خلافته)[١].

(ومعاوية لم يطلب الأمرَ لنفســه ابتداءً، ولا ذهب إلى عليٍّ لينزعَه عن إمارته، ولكن امتنع هو وأصحابه عن مبايعته...)[٢].

٧ ـ غموض المستقبل يجعل بعض الكبار يعتزلون أو يترددون:

كما قدمنا في وقعة الجمل[٣] كان المستقبل ومآل الأحداث غامضاً لدى عامة المســلمين، وقد حيَّرهــم الأمر وهالَهُــم الموقف، وزاد من تخوفهــم ما تمخَّضتْ عنه أحــداث البصرة واستشــهاد طائفة من أكابر الصحابة والصالحيــن من التابعين؛ ممــا جعل (المعتزليــن من أكابر الصحابــة) يتمســكون بموقفهم كابــن عُمر وســعد بن أبــي وقّاص

---

(١) منهاج السُّــنَّة: ٣/٧١٢ـ٧١٣. وتقدم تفصيل القول فــي هذا: ص٥٠١ـ٥٠٣ (أولاً) في هذا الكتاب.

(٢) المرجع السابق: ٣/١٥٢.

(٣) انظر: ص ٥٥١ ـ ٥٥٧ (خامساً) في هذا الكتاب.

وأبي بكرة وأبي هريرة ومحمد بن مَسْلَمة وأسامة بن زيد، وجعل آخرين يُحجمون ويترددون في المشاركة في الأحداث وينسحبون منها!.

هذا هو الصحابي الجليل عبدالله بن عَمْرو بن العاص يصرِّح بحقيقة مشاعره وهو يقف إلى جوار أبيه وبيده الراية، ويتقدم في الجيش الشامي منزلة أو منزلتين؛ ويقول: (ما لي ولصِفِّين، ما لي ولقتالِ المسلمين! لوَدِدتُ أني مِتُّ قبله بعشر سنين! أمَا والله على ذلك ما ضربتُ بسيف، ولا طعنتُ برمح، ولا رميتُ بسهم)[1].

ولم ينفرد عبدالله بن عَمرو بالتردّد والتشكك ثم التوقف عن القتال، فهذا هو التابعي الجليل أبو العالية الرِّياحِيّ يصف وقعة صفين فيقول: (لما كان زمنُ علي عليه السلام ومعاوية، وإني لشابٌّ القتالُ أحبُّ إليَّ من الطعام الطيب، فتجهَّزتُ بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفَّان لا يُرى طرفاهما: إذا كبَّر هؤلاء كبَّر هؤلاء، وإذا هلَّل هؤلاء هلَّل هؤلاء! قال: فراجعتُ نفسي فقلت: أي الفريقين أُنزِلُه كافراً، وأي الفريقين أُنزله مؤمناً؟ أوَمَن أكرهني على هذا؟! فما أمسيتُ حتى رجعت وتركتهم!)[2].

٨ ـ ندم الكبار على ما دخلوا فيه من القتال[3]:

ونتيجة اشتباك الأحداث وتدافع الفتن وغموض المستقبل، ثم

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٦٦/٤، بسند صحيح.
(٢) المرجع السابق: ١١٤/٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٨.
(٣) انظر ما تقدم: ص٥٢٣ ـ ٥٢٥ (سادساً) في هذا الكتاب.

ما آلَتْ إليه الأمور من كوارث وأحزان؛ جعل الكبارَ وخيار الناس يندمون على ما جرى من شقاق ومواجهة وقتال ودماء وتمزق وحدة الأمة، وقد صرح الأخيار بذلك وعلى رأسهم أمير المؤمنين الذي رأى اختلاف جيشه عليه وتشتت الأمور بعد التحكيم، فقال متألماً مما جرى ومثنياً على موقف من قعد عن القتال:

(للهِ منزلٌ نزله سعد بن مالك[1] وعبد الله بن عمر، والله لئن كان ذَنْباً إنه لصغير مغفور، ولئن كان حَسَناً إنه لعظيم مشكور)[2].

سادساً: منازل الجيشين وأعدادهما وقياداتهما، وتاريخ الوقعة:

●● تجمع جيش علي بالنُّخيلة غرب الكوفة، وقد ضم عدداً من الصحابة البدريين وأصحاب بيعة الرضوان[3]، ويذكر الأخباري عَوَانة بن الحَكَم أن عليّاً بعث من النخيلة (اثني عشر ألف مقاتل) باتجاه الموصل، ثم اجتاز إلى المدائن فأرسل منها (ثلاثة آلاف مقاتل)، ثم مضى علي بجيشه من المدائن إلى محاذاة الموصل نينوى، ثم عبر الفرات قرب الرَّقّة حيث نزل على صفين. وكانت مدن الجزيرة[4] مثل الرقة وقَرْقِيساء وعانات وهِيت موالية لمعاوية،

---

(١) هو سعد بن أبي وقّاص.

(٢) مجمع الزوائد: ٢٤٦/٧؛ تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص٥٥٣؛ منهاج السُّنَّة: ٤٦٤/٤.

(٣) انظر ما تقدم: ص ٥٢٠ ـ ٥٢٣ في هذا الكتاب.

(٤) **الجزيرة**: هي ما بين دجلة والفرات.

ومعظمهم من بني الأرقم وهو حي عظيم من كِنْدة وقد شهدوا صفين مع معاوية[1].

عبر علي الفرات بجيشه، وقدَّم بين يديه زياد بن النضر وشُريح بن هانئ في طائفة من الجيش نحو معاوية، فالتقوا مع أبي الأعور السُّلَمي في جند أهل الشام، فأرسل زياد وشريح إلى علي: (إنا قد لقِينا أبا الأعور السلمي في جند أهل الشام، وقد دعوناهم فلم يُجِبنا منهم أحد، فَمُرْنا بأمرِك). فأرسل علي إلى الأشتر فقال: (يا مالك، إن زياداً وشريحاً أرسلا إليَّ يُعْلِماني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام، وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين، فالنجاءَ إلى أصحابك النجاء، فإذا قدِمتَ عليهم فأنت عليهم. وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يَجْرِمَنَّكَ شنآنُهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة. واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شُريحاً، وقف من أصحابك وسطاً، لا تدنُ منهم دنوَّ من يريد أن يُنشب الحرب، ولا تُباعِد منهم بُعد من يهاب البأس، حتى أقدَم عليك، فإني حثيث السير في أثرك إن شاء الله).

فلما قدِم الأشتر امتثل ما أمره به علي، وكَفَّ عن القتال، وتواقف هو ومقدمة جيش معاوية، وعليها أبو الأعور السُّلَمي، فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور، فثبتوا له، واضطربوا ساعة. ثم انصرف أهل الشام عند المساء، وحدثت بينهم جولات وحملات، حتى كان صباح اليوم الثالث، فأقبل علي رضي الله عنه في جيوشه، وجاء معاوية رضي الله عنه في

(1) عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٧.

جنوده، فتواجه الفريقان، وتواقفوا طويلاً، وذلك بمكان يقال له: (صِفِّين) ـ بقرب الرَّقَّة على شاطئ الفرات ـ في أوائل ذي الحجة[1].

•• وسَبق الجيشُ الشامي فنزلوا على (مَشْرَعة الماء) في أسهل موضع أو أفسحه، ونزل علي مع جيشه بعيداً من الماء، وليس هناك مَشرعة سواها، فعطش أصحاب علي عطشاً شديداً، فمنعهم الشاميون من الماء، وقد أرادوا بذلك أن يُذَكِّروا قتلةَ عثمان المنبثِّين في جيش علي بفَعْلتِهم الشنيعة بأمير المؤمنين عثمان حينما حاصروه ومنعوا عنه الماء، فقالوا: (موتوا عطشاً كما منعتم عثمان الماء!). ولما ترامى الخبر إلى معاوية قال عمرو بن العاص ـ وكان في مجلسه ـ: ليس من النَّصَف أن نكون ريَّانين وهم عِطاش! فقال الوليد بن عقبة: (دَعْهم يذوقوا من العطش ما أذاقوا أميرَ المؤمنين عثمان حين حصروه في داره، ومنعوه طيِّبَ الماء والطعام أربعين صباحاً!).

فتناوش الفريقان على الماء، حتى كَشف العراقيون الشاميين عنه، ثم خلَّوا الماء للطرفين، واتفقوا على الوِرْد حتى صاروا يزدحمون على الماء لا يكلم أحد أحداً، ولا يؤذي إنسان إنساناً[2].

وفي قصة الاقتتال على الماء أورد عبد الله بن أحمد في «كتاب صفين» خبراً جيداً عن الأشعث بن قيس وقد جاء إلى معاوية فقال: نريد

---

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٣/٤ـ٥٦٩؛ المنتظم: ١٠٠/٥ـ١٠٢؛ البداية والنهاية: ٢٥٤/٧ـ٢٥٥؛ كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٥٨٤ـ٥٨٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٦٩/٤ـ٥٧٢؛ البداية والنهاية: ٢٥٦/٧ـ٢٥٧؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٣/٨ـ٧٢٤؛ تاريخ خليفة، ص ١٩٣ بسند حسن.

أن تخلُّوا بيننا وبين الماء، فقال معاوية لأبي الأعور: (خَلِّ بين إخواننا وبين الماء)، وعزم عليه في ذلك، ففعل[1].

واضطربت الروايات في تقدير أعداد كل من الجيشين:

فقدَّرت الروايات جيش علي ما بين خمسين ألفاً ومئة وخمسين ألفاً، في حين قدَّرت جيش معاوية بستين ألفاً أو سبعين ألفاً أو مئة وعشرين ألفاً، وهذا اضطراب كبير! وإذا كان ديوان الجند في أول خلافة علي يضم مئة ألف مقاتل من البصريين والكوفيين، فإن جيش علي ينبغي أن يبلغ أكثر من خمسين ألف مقاتل[2].

•• **ومن أبرز قيادات جيش أمير المؤمنين علي**: ابنه محمد ابن الحنفية، عبد الله بن عباس، عمار بن ياسر، قيس بن سعد بن عبادة، الأشعث بن قيس، عبد الله بن بُدَيل بن وَرْقاء، هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المعروف بالمِرْقال، عَدي بن حاتم، الأحنف بن قيس، حُجْر بن عدي، سُليمان بن صُرَد، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، الأشتر النخعي، عَمْرو بن الحَمِق، شَبَث بن رِبْعي، قيس بن مَكْشوح.

ومن أبرز قيادات جيش معاوية: عَمْرو بن العاص، ابنه عبد الله بن عَمْرو، حَبيب بن مَسْلَمة، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، عُبيد الله بن عمر بن الخطاب، مَسْلَمة بن مُخَلَّد، أبو الأعور السُّلَمي، ذو الكَلَاع

---

(١) تهذيب الكمال: ٢٩٢/٣، ترجمة الأشعث.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٩٣، ١٩٤؛ المعرفة والتاريخ: ٤٠٤/٣؛ مروج الذهب: ٢٩٢/٢؛ البداية والنهاية: ٢٦١/٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٥ـ٤٦٦.

الحِمْيري، بُسْر بن أبي أرطاة، زُفَر بن الحارث، حَوْشَب ذو ظُلَيم، طَريف بن الحَشْحاس، بلال بن أبي هريرة الدوسي، حسان بن بَحْدَل الكلْبي[1].

سابعاً: وصف موجز لسيرورة القتال وأبرز معالمه:

●● بعد حدوث عدة صدامات بين مقدمتي جيشي العراق والشام، وتردُّدِ الرسل بين علي ومعاوية، وإصرار كل من الفريقين على رأيه وتمسكه باجتهاده، كانت الأمور تتجه نحو المواجهة الحاسمة لتحقيق الفصل الأخير لأحد الطرفين. وكان السبئيون وقتلة عثمان وأصحاب الهوى والبغض للإسلام وأهله؛ يسرعون في هذا السبيل، ويؤججون الأحداث بالقول والفعل والأكاذيب والإشاعات لتصل الأمور إلى نهايتها السيئة المحزنة.

ذكر الطبري ونقله عنه ابن كثير، قال: (لم تَزَل الرسل تتردَّد بين علي ومعاوية والناس كافُّون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة (٣٧هـ) ولم يقع بينهم صلح. فأمر علي بن أبي طالب مَرْثَد بن الحارث الجُشَمي فنادى أهلَ الشام عند الغروب: ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استأنيتُكم لتراجعوا الحق، وأقمتُ عليكم الحجة فلم تجيبوا، وإني قد نَبذتُ إليكم على سَواء إن الله لا يحب الخائنين! ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي، فنهض عند

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٣ ـ ١٩٦؛ تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢.

ذلك معاوية وعمرو فعبَّيَا الجيش ميمنة وميسرة، وبات عليٌّ يعبِّي جيشه من ليلته)[١].

•• ثم التقى الناس يوم الأربعاء لسبع خَلَون من صفر سنة (٣٧هـ)[٢].

قال عبدالرحمن بن أَبْزى ـ وهو ممن شارك في الوقعة ـ: (شهدنا مع عليٍّ ثمان مئة، ممَّن بايع بيعة الرضوان، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رُفعت المصاحف، ودَعَوا إلى الصلح)[٣].

وجزم خليفة بن خياط فقال: (كانت وقعة صفين يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان الصلح ليلة السبت لعشر خلون من صفر)[٤].

•• وقف أمير المؤمنين عليٌّ في جيشه فقال: (إنكم ملاقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسَلُوا الله ﷻ النصر والصبر، والْقَوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين).

وأكد على الأخلاق التي يجب عليهم أن يلتزموها فقال: (لا تقاتلوا القومَ حتى يبدؤوكم، فأنتم بحمد الله ﷻ على حُجَّة، وترككُم إياهم

(١) تاريخ الطبري: ١٠/٥ ـ ١١؛ البداية والنهاية: ٢٦٠/٧ ـ ٢٦١؛ شرح نهج البلاغة: ٢٨٠/٢.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٩١.

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٩٤، ١٩٦ وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات عدا عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى فهو صدوق حسن الحديث.

(٤) تاريخ خليفة، ص ١٩١.

حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم. فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم: فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل. فإذا وصلتم إلى رِحال القوم: فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم، إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيِّجوا امرأة بأذى، وإنْ شتمنَ أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس).

ثم أمر علي بالطلائع والأمراء أن تتقدم للحرب، وجعل يؤمِّر كل يوم أميراً، وأكثر ما كان يخرج الأشتر النخعي. وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً.

والتقى الجيشان في موقف مهول وأمر عظيم، وحملت ميمنة علي على ميمنة أهل الشام حتى كشفوهم، ثم حمل أهل الشام على العراقيين فأزالوهم، حتى اقترب الشاميون من علي، وجعلت نِبالُهم تصل إليه. ونادى الأشتر في العراقيين المنهزمين فوبَّخهم وردَّهم، ثم حملوا على الشاميين فخرقوا صفوفهم، واقتربوا من معاوية. وبعد أن رأى علي ميمنة جيشه قد اجتمعت، قام فحرّضَ الناس وثبَّتَهم، فاجتمع شملهم، ودارت رحى الحرب بينهم، وجالوا في الشاميين وصالوا، وتبارز الشجعان، فقُتل خلق كثير من الطرفين، فإنا لله وإنا إليه راجعون!.

وهناك على أرض المعركة كان الصحابي المجاهد عمار بن ياسر ـ وقد نيَّف على التسعين سنة ـ في جيش علي، وكان رسول الله ﷺ قد

بشَّره بالقتل والشهادة؛ فيما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «**وَيْحَ عمارٍ تقتلُه الفئةُ الباغية**»(١).

•• وقد قُتل عمار على أرض صفِّين، فلما كان ذلك حميَ أهل العراق، وتبين لهم أن الحق راجح إلى جانبهم، لحديث النبي ﷺ المتقدم، فاحتدم القتال تلك الليلة وهي من أعظم الليالي شرّاً بين المسلمين، وتسمى (ليلة الهَرير)(٢)، وكانت ليلة الجمعة، تقصَّفت الرماح، ونَفِدت النِّبال، وصار الناس إلى السيوف، والناس يقتتلون من كل جانب، ولم يَزَل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم على ذلك، حتى تضاحى النهار، وتوجَّهت الغلبةُ لأهل العراق على أهل الشام... بعد هذه الحالة الخطيرة رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: (هذا بيننا وبينكم، قد فَنِي الناس، فمن للثغور؟! ومَنْ لجهاد المشركين والكفار؟!).

وقد أشار عمرو بن العاص على معاوية بهذا فقال له: (أَرسِلْ إلى عليٍّ بمصحف فادْعُه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك). فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله؛ ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٣]).

فقال عليٌّ: (نعم، أنا أَولى بذلك، بيننا وبينكم كتابُ الله). فجاءته الخوارج ـ ويُدْعَون يومئذٍ القرّاء ـ وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا:

---

(١) انظر مقتل عمار رضي الله عنه فيما يأتي: ص٦٨٧ ـ ٦٨٨ في هذا الكتاب؛ وكتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ١/١٤١ ـ ١٥١.

(٢) **الهرير**: هو الصوت شبه النياح.

ما ينتظر هـؤلاء القوم الذين على التل ـ يريـدون جيش معاوية ـ؟! ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟!.

وكان ممـن دعا إلى الصلـح من سـادات الشـاميين: عبدالله بن عَمْرو بن العـاص، عن أمر معاويـة له بذلك، وممن أشـار على عليٍّ بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكِنْدي.

أما الأشـتر النخعي فكان يصرُّ علـى المُضِيّ في القتال وسـفك الدماء، فأرسـل علي إليه يزيدَ بنَ هانئ يأمره بالكـفِّ عن القتال، فردَّ الأشتر على الرسول بقوله: (قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوت أن يُفتح لي، فلا تُعجلني)!.

فرجع يزيد إلى أمير المؤمنين علي فأخبره بردِّ الأشتر ومُضِيِّه في القتال، فارتفع الرَّهْـج[1]، وعلت الأصوات، فقال القـرَّاء لعليٍّ: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل! فقال: أرأيتموني سـاررتُه؟ أَلَم أبعث إليه جهرةً وأنتم تسمعون؟! فقالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلَّا والله اعتزلناك. فقال علي ليزيد بن هانئ: (وَيْحكَ، قل له: أقبِل فإن الفتنة قد وقعت)! فلما رجع إليه يزيد فأبلغه عن أميـر المؤمنين أن ينصرف عن القتال ويُقبل إليه، جعل يتململ ويقول: (ويحـكَ! ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر، ولم يبـقَ إلا القليل؟!) فقال يزيد: أيهمـا أحبُّ إليك أن تُقبِـل أو يُقتل أمير المؤمنين كمـا قُتل عثمان؟ ثم مـاذا يغني عنك نصرتك هاهنا؟!.

(١) أي: الشَّغَب.

فأقبل الأشتر إلى علي تاركاً القتال، وقال: (يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، أحينَ علوتُم القومَ، وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله ﷻ به فيها، وسُنَّةَ من أُنزلت عليه ﷺ، فلا تجيبوهم، أمهلوني فقد أحسست بالفتح!) قالوا: لا، قال: أَمْهِلوني عَدْوَ الفرس، فإني قد طمعتُ في النصر! قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك.

هكذا يرى هذا الظالم لنفسه وللمسلمين أن هزيمته لجيش الشام هي فتح ونصر، فيتبجَّح ويقول: قد أحسستُ بالفتح وطمعتُ في النصر! وليتَه وجَّه هذه البطولة والاستماتة في القتال إلى جهاد أعداء الإسلام والمتربصين به، وكان ساعيَ خير بين الأخوين علي ومعاوية ـ إذاً لذكره التاريخ بخير!.

ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم في المصالحة والمسالمة مدة، لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين[1].

•• معالم بارزة في غمرة المواجهة والقتال:

١ ـ بدايةُ القتال ومَن بدأه، وبيانُ أن تَرْكَه هو الصواب، وحقيقةُ موقف علي ومعاوية منه:

تقدم أن أمير المؤمنين عليّاً قد نبذ إلى أهل الشام على سواء بعد أن ترددت الرسل إليهم وأبوا الدخول في البيعة والطاعة، ونشبت الحرب، وردَّ أهل الشام عن أنفسهم.

---

(١) انظر تفصيل ما لخصته هنا، في: تاريخ الطبري ٥/٥ـ٥١؛ المنتظم: ٥/١١٧ـ١٢١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٦٠ـ٢٧٣.

وقد روى نصر بن مزاحم بإسناده، عن جندب الأَزْدي[١] وهو صحابي شهد صفين مع علي، قال: (خرج عليٌّ بالناس إلى أهل الشام، فزحف نحوهم، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم، فإذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم)[٢].

وقال ابن تيمية: (أهل الشام قاتلوا مع معاوية لظنِّهم أن عسكر علي فيه ظَلَمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعاً لِصِيالهم عليهم، وقتال الصائل جائز. ولهذا لم يبدؤوهم بالقتال حتى بدأهم أولئك، ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم يُنصرون علينا لأنَّا نحن بدأناهم بالقتال)[٣].

ولكنْ أيضاً فإنَّ عَجْزَ الخليفة عن قَتْل قتلة عثمان لا يُبيح قتالَه، (ولم يكن ذلك موجباً لتفريق الجماعة والامتناعِ عن مبايعته ولمقاتلته، بل كانت مبايعتُه على كل حال أصلَحَ في الدين وأنفعَ للمسلمين وأطوعَ لله ولرسوله من ترك مبايعته)[٤].

ونؤكد أن (النصوص الثابتة عن النبي ﷺ تقتضي أن ترك القتال كان خيراً للطائفتين، وأن القعود عن القتال كان خيراً من القيام فيه، وأن عليّاً، مع كونه أَوْلى بالحق من معاوية وأقربَ إلى الحق من معاوية، لو ترك القتال لكان أفضلَ وأصلحَ وخيراً!.

---

(١) تهذيب الكمال: ١٤١/٥؛ الإصابة: ٢٤٩/١ و٢٥١.

(٢) وقعة صفين، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٣٤/٣.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٧٥/٣ ـ ٧٦، وانظر: ١٢٠/٣، ٧١٥. صال: سطا، وقهر، وضرب، ووثب.

(٤) المرجع السابق: ٩٢/٣.

وأهل السُّنَّة يترحمون على الجميع، ويستغفرون لهم، كما أمرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]).

(وأئمة السُّنَّة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به: لا واجباً ولا مستحبّاً، ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ)[(١)].

(وقد كان الحسن بن علي وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة، وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة)[(٢)].

(وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلبَ لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غُلِبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها)[(٣)].

ونجد في كثير من مؤلفات المعاصرين ودراساتهم الحَيْف والتنطع والانحرافَ عن جادة الصواب، والطعنَ على أهل الشام لمجرَّد أنهم خالفوا عليّاً في الاجتهاد وقاتلوه دفعاً عن أنفسهم.

من ذلك ما كتبتْه (أم مالك الخالدي) وظهيرُها حسن المالكي الذي يتظاهر بالإنصاف، فقد ذَكرتْ أن الصحابة الذين اعتزلوا القتال مع أحد الفريقين، (كسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عُمر

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٧٩، ٧٦.
(٢) المرجع السابق: ٣/٥٨٥، وانظر: ٣/٧١٥.
(٣) المرجع السابق: ٣/١٢٥.

ومحمد بن مَسْلَمة وغيرهم) قد تركوا الأَوْلى! وفي جواز قتال علي لأهل الشام؛ ساوت بين قتالهم وقتال (الخوارج) و(المحاربين) و(قطاع الطرق)[١]!.

٢ ـ هديهم في الخلاف والقتال[٢]:

سلك الفريقان من أصحاب علي ومعاوية هَدْي الإسلام وآدابَه في المواجهة والقتال، في أثنائه وفي نهايته، وسطَّروا مواقفَ جليلة في التزام أخلاق الإسلام، والصفح عن المخالفين، وإعذارهم وعدم سبِّهم فَضْلاً عن تكفيرهم، بل والثناء على الخيِّرين والصالحين والشهادة بالحق والصدع به. وما جرى من مجازفات وتعدٍّ لهدي الإسلام، فإنما كان من ذوي الأهواء وأصحاب البغضاء والسبئية وقتلة عثمان، وكذلك من رواة الأخبار من المبتدعة والكذابين والمتروكين، الذين كانوا حريصين على كل شر وسوء وإلحاق الأذى بأهل الخير والصلاح والإصلاح.

●● أوصى أمير المؤمنين علي الجيشَ فقال: (لا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل... ولا تهتكوا سِتراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن... ولا تهيِّجوا امرأة بأذى)[٣].

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب، ص ١٧١ ـ ١٧٢، ١٨٠، واخترتُ هذا الكتاب مثالًا لأنه الأقل إساءة مقارنة مع كثير غيره.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٥١٣ ـ ٥٢٠ (رابعاً) في هذا الكتاب.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/١١؛ نهج البلاغة: ٨/٧٧، وشرحه: ٢/٢٨٠.

ـ ويقول أبو أمامة الباهلي: (شهدتُ صفين، فكانوا لا يُجهِزون على جريح، ولا يطلبون مولِّياً، ولا يَسْلُبون قتيلاً)[١].

ـ وعن يزيد بن بلال قال: (شـهدتُ مع علي يوم صفِّين، فكان إذا أُتي بالأسـير قال: لن أقتلك صبراً، إني أخـاف الله رب العالمين. وكان يأخذ سلاحه، ويحلِّفه ألا يقاتله، ويعطيه أربعة دراهم)[٢].

ـ وقال عبدالله بن عروة بن الزبير: أخبرني رجل شـهد صفين قال: (رأيت عليّاً خرج في بعـض تلك الليالي، فنظر إلى أهل الشـام فقال: اللَّهمَّ اغفِرْ لي ولهم)[٣].

ـ وعن يزيد بن الأصم قال: (سُئل عليٌّ عن قتلى يوم صفين، فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصيرُ الأمر إليَّ وإلى معاوية)[٤].

•• ولما أَطلق عليٌّ أسارى أهل الشام، وكان مثلهم أو قريبٌ منهم في يد معاوية، وكان قد عزم على قتلهم لظنِّه أنه قد قتل أسـراهم، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم؛ أطلق معاوية الذين في يده[٥].

ـ وروى الشـعبي، عن الحـارث الأعور قال: (لمَّـا رجَعَ علي من صفين عَلِم أنه لا يملك أبداً! فتكلَّم بأشـياء كان لا يتكلَّم بها، وحدَّث

(١) طبقات ابن سـعد: ٤١١/٧؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦٧٥/٧؛ وصحَّحه الألباني في «إرواء الغليل»: ١١٤/٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٥/٨؛ مصنف عبدالرزاق (١٨٥٩٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٥/٨.

(٤) تقدم: ص٥١٦ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

(٥) البداية والنهاية: ٢٧٨/٧.

بأحاديث كان لا يتحدَّث بها، فقال فيما يقول: أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتموه، لقد رأيتم الرؤوس تَنْدُر عن كواهلها كالحنظل!)[(١)].

ـ وقد ردَّ عمار بن ياسر على شِرْذمة تكفِّر أهل الشام، فقال: (لا تقولوا ذلك، نبيُّنا ونبيُّهم واحد، وقِبلَتُنا وقِبلتُهم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون حادوا عن الحق، فحقَّ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه)[(٢)].

ـ ولم يتردَّد عَمْرو بن العاص وابنه عبد الله في رواية فضل عمار بن ياسر، في أثناء المعركة، وأنه تقتله الفئة الباغية، مع كونهما مع معاوية في جيش أهل الشام.

فقد ثبت أن عبد الله بن عَمْرو عندما بلَغَه مقتلُ عمار، وهو في مجلس معاوية، روى بأمانة وجرأة وصراحة ووضوح حديث النبي ﷺ: «**وَيْحَ عمارٍ! تقتله الفئة الباغية**».

وكذلك روى عمرو بن العاص حديث رسول الله ﷺ في عمار: «**قاتِلُه وسالبُه في النار**». كما سيأتي في الفقرة التالية.

لقد كان القوم على درجة رفيعة من النُّبل والإنصاف والشهادة بالحق والصدع به، مع ما كان بين الفريقين من اختلاف وتباين في الاجتهاد أدى إلى المواجهة والقتال الدامي!.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٤/٨، وقد تقدم: ص ٦٣٠ ـ ٦٣١ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٦٣١ حاشية (٣) في هذا الكتاب؛ نبوءات الرسول ﷺ: ١٤٤/١.

٣ ـ مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه:

•• في الحديث الصحيح الذي رواه أبو سعيد الخُدْري وغيره: أن النبي ﷺ قال: «**وَيْحَ عمارٍ! تقتلُه الفئةُ الباغيةُ**»[١].

وهو حديث متواتر كما نصَّ عليه جماعة من الأئمة الحفاظ.

يقول ابن كثير: (وما زاده الروافض في هذا الحديث ـ بعد قوله: «**الباغية**» ـ: «لا أنالَها الله شفاعتي يوم القيامة»! فهو كذبٌ وبَهْتٌ على رسول الله ﷺ؛ فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين)[٢].

وقال مثله شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

وكان مقتل عمار رضي الله عنه بصفين وهو في جيش علي، والذين قتلوه كانوا في جيش معاوية.

والفريقان (أهل العراق وأهل الشام) من أهل الحق، وأصحاب دعوة واحدة هي الإسلام، وكل منهما اجتهد في إقامة حدود الله تعالى، وطائفة علي أقرب إلى الحق.

•• روى عَمْرو بن مرة قال: سمعتُ عبد الله بن سَلَمة يقول: (رأيتُ عمار بن ياسر يوم صِفِّينَ ـ شيخٌ آدَمُ طُوَالٌ ـ أخذ الحربة بيده،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧)؛ وابن حبان (٧٠٧٩)؛ وأحمد: ٣/٩٠ـ٩١، وغيرهم.

(٢) البداية والنهاية: ٧/٢٧٢.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣/٦٧٢.

ويـدُه تَرْعَدُ، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يَبْلغوا بنا سَعَفَات هَجَر، عرفنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل)(١).

ولما اشتد القتال جال عمار في ساحة المعركة ساعة، فحمل عليه اثنان من الموتورين الشانئين، هما ابن جَوى السَّكْسَكي وأبو الغادية الجُهَني، فأما أبو الغادية فطَعَنه، وأما ابن جوى فاحتزَّ رأسَه!.

روى أحمد وابن سعد ـ واللفظ له ـ قال: أخبرنا عفان بن مسلم، قال: أخبرنا حماد بن سَلَمة، قال: أخبرنا أبو حفص وكلثوم بن جَبْر، عن أبي غادية قال: (سمعتُ عمار بن ياسر يقع في عثمان يَشْتُمه بالمدينة، قال: فتوعَّدتُه بالقتل، فقلت: لئن أمكنني الله منك لأفعلنَّ! فلما كان يومُ صِفِّين جعل عمار يَحمل على الناس، فقيل: هذا عمار، فرأيتُ فُرْجَة بين الرئتين وبين الساقين، قال: فحملت عليه فطعنتُه في ركبته، قال: فوقع، فقتلتُه، فقيل: قتلتَ عمار بن ياسر! وأُخبر عمرو بن العاص، فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن قاتلَه وسالبَه في النار**»!)(٢).

---

(١) أخرجه أحمد: ٣١٩/٤؛ وابن سعد: ٢٥٦/٣ـ٢٥٧؛ وابن حبان (٧٠٨٠)؛ والحاكم: ٣٨٤/٣، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات. **وسَعَفات**: جمع سَعَفة وهي أغصان النخيل. **وهَجَر**: هي الهفوف اليوم، وإنما خصَّها للمباعدة في المسافة.

(٢) مسند أحمد: ١٩٨/٤؛ طبقات ابن سعد: ٢٦٠/٣ـ٢٦١؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٨).

وعن حَنْظَلة بن خُويلد العَنَـزِيِّ قال: (بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قَتلْتُه! فقال عبد الله بن عَمْرو: لِيَطِبْ به أحدُكما نَفْساً لصاحبِه، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تقتُلُه الفئةُ الباغيةُ**». قال معاوية: فما بالك معنا؟! قال: إنَّ أَبي شكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**أَطِعْ أباكَ ما دام حيّاً ولا تَعْصِه**»، فأنا معكم، ولستُ أقاتِل)(١).

●● وأبو الغادية وشريكه ابن جَوَى اللذان قتلا عماراً رضي الله عنه، وكذلك من حضَّ على قتله ورضي به؛ هم الحقيقون بقول النبي ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**»، وفي هذا يقول ابن تيمية:

(ثم: «**إن عماراً تقتله الفئة الباغية**» ليس نصّاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل يمكن أنه أُريد به تلك العصابة التي حَمَلتْ عليه حتى قتلَتْه، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها. ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرضَ بقتل عمار، كعبد الله عمرو بن العاص وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار، حتى معاوية وعمرو)(٢).

وهذا الكلام من هذا العلم الشامخ في غاية الدقة والنفاسة والإنصاف والمَعْدلة.

---

(١) أخرجه أحمد: ٢/١٦٤ـ١٦٥؛ وابن أبي شيبة: ٨/٧٢٣؛ وبأخصر منه النسائي في الكبرى (٨٤٩٦)؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣/٩٢، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(٢) مجموع الفتاوى: ٣٥/٧٦ـ٧٧؛ وبنحوه: منهاج السُّنَّة: ٣/١٢٤ـ١٢٥.

وتأصيلاً على ما تقدم: فإنه من الظلم المبين، والافتئات على الحق؛ اتهامُ جميع جيش أهل الشام بأنهم قتلة هذا الصحابي الجليل، لأن له مكانة سامية في قلوب الصحابة والتابعين الأخيار، حتى الذين خالفوه في الاجتهاد وكانوا في الجيش المقابل. والذين يتخذون مقتله ذريعة للولوغ في أعراض الصحابة، وتكفير فريق منهم؛ فقد جانبوا الحق وضلوا ضلالاً مبيناً.

(وقد كان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغي في حرب صفين، لأنه لم يُرِدْها، ولم يبتدئها، ولم يأتِ إليها إلا بعد أن خرج عليٌّ من الكوفة وضَرب معسكره في النُّخيلة ليسير إلى الشام كما تقدم... وكل ما وقع من الفتن فإثمُه على مؤرِّثي نارها، لأنهم السبب الأول فيها، فهم الفئة الباغية التي قُتل بسببها كل مقتول في وقعتي الجمل وصفين وما تفرّع عنهما)[١].

•• وقد أوَّل معاوية رضي الله عنه حديثَ «تقتله الفئة الباغية» تأويلاً بعيداً:

عن عبدالله بن الحارث قال: (إني لأسيرُ مع معاوية في مُنْصرفه من صفين، بينه وبين عمرو بن العاص، قال: فقال عبدالله بن عَمْرو بن العاص: يا أبتِ، ما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول لعمار: «**وَيْحَكَ يا ابنَ سُمَيَّةَ، تقتُلك الفئةُ الباغيةُ**»؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: أَلَا تسمعُ ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا تزالُ تأتينا بِهَنَةٍ! أَنحنُ قتلناه؟! إنما قتله الذين جاؤوا به)[٢].

---

(١) من تعليقات محب الدين الخطيب على «العواصم»، ص ١٧٣.

(٢) أخرجه أحمد: ١٦١/٢ (٦٤٩٩) وصحَّحه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط. والهنة: الأمر الشديد العظيم.

وفي رواية: قال معاوية: (أَنحنُ قتلناه؟! إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاؤوا به حتى أَلقَوه تحت رماحنا!)[1].

قال ابن القيم: (فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قَتَله هو الذي باشَرَ قتْلَه لا من استنصر به)[2].

وقال ابن كثير: (فقول معاوية: إنما قتله مَن قدَّمه إلى سيوفنا، تأويلٌ بعيد جدّاً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يُقتلون في سبيل الله، حيث قدَّمهم إلى سيوف الأعداء!)[3].

وقال مثله شيخ الإسلام ابن تيمية[4].

٤ ـ الفئتان مسلمتان، وطائفة علي أقرب إلى الحق:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، يكونُ بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ، دعوتُهما واحدةٌ**»[5].

وعن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفترِقُ أمتي فِرْقتين، يَمْرُقُ بينهما مارِقةٌ، تقتُلُهم أَوْلى الطائفتين بالحقِّ**» لفظ النَّسائي.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٢٧)، وسنده صحيح.

(٢) الصواعق المرسلة: ١/١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) البداية والنهاية: ٦/٢١٥، وانظر: ٧/٧١.

(٤) منهاج السُّنَّة: ٣/٨٩، ٩٤، ٩٧.

(٥) أخرجه البخاري (٧١٢١)؛ ومسلم (١٥٧) بعد رقم (٢٨٨٨)؛ وابن حبان (٦٧٣٤)، وغيرهم.

وفي رواية لمسلم وأحمد: «**يَقتُلهم أقربُ الطائفتين من الحقِّ**».

وفي رواية لعبد الرزاق وأحمد والبَغَوي: «**لا تقومُ الساعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، دَعواهما واحدةٌ، تمرُق بينهما مارِقةٌ يقتُلُها أَوْلَى الطائفتينِ بالحقِّ**»[1].

•• قوله: «**فئتان**»: المراد بهما جماعة علي وجماعة معاوية، لما تحاربتا في صفين.

- «**دعوتهما واحدة**»: المرادُ بالدعوة: الإسلامُ على الراجح، أي: إن دينهما واحد، لأن كلًّا منهما كان يتسمى بالإسلام.

أو المراد: اعتقاد كل منهما أنه على الحق[2].

فالحديث يُثبِت الإسلامَ والإيمانَ لكل من الطائفتين، وأنهما فِرقتان من أمة محمد ﷺ، وكلاهما تطلب الحق، فغايتُهما واحدة، ودعوتهما واحدة، وإنْ كانت إحداهما أقربَ إلى الحق من الأخرى، كما قال في الحديث الثاني: «**يقتلهم أقربُ الطائفتين من الحق**».

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره: عن أبي بَكْرة: أن النبي ﷺ قال في الحسن بن علي: «**ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥)؛ وأبو داود (٤٦٦٧)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٥٨)؛ وابن حبان (٦٧٣٥)؛ والبغوي (٢٥٥٥)؛ وأحمد: ٢٥/٣، ٣٢، ٤٨؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٥٧، ٨٥٠٣).

(٢) الفتح: ٥٢٤/٨، شرح الحديث (٣٦٠٩)، ٦٣/١٦ (٦٩٣٥)، ٤١٦ (٧١٢١).

يُصلِحَ به بين فئتين من المسلمين»[1]: شهادةٌ نبوية للطائفتين بأنهما من المسلمين، ومن ثَمَّ كان الإمام الجليل سفيان بن عُيينة ـ وقد روى هذا الحديث ـ يقول: (قوله: «**فئتين من المسلمين**» يُعجبنا جداً!)[2].

ـ وقوله: «**يَمْرُقُ بينَهما مارِقةٌ**»: أي تخرج طائفة من الناس على المسلمين فتحاربهم، والمقصود بها الخوارج، الذين قتلهم عليٌّ، فهو أقربُ إلى الحق من معاوية.

●● فأمير المؤمنين علي هو الخليفة الحق، وهو في ذلك القتال أقربُ إلى الحق وأولى به، كما جاء في الروايات الصحيحة، وجماعةُ عليٍّ وجماعةُ أهل الشام مسلمون، ومن أهل الحق وطلابه والحريصين عليه، فهناك قريب من الحق وأقرب إليه، وقد أثبتت الأحاديث قربَ أهل الشام من الحق، وهم غير ملومين في حروبهم وقتالهم، لأن ذلك كان عن اجتهاد، والمخطئ له أجر والمصيب له أجران.

يقول ابن تيمية معلِّقاً على قوله ﷺ الوارد في حديث أبي سعيد الخدري: «**يَقتلُهم أقربُ الطائفتين من الحق**»: (في هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن علياً رضي الله عنه أقربُ إلى الحق).

ويقول في موضع آخر: (فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتتلتين ـ علي وأصحابه، ومعاوية وأصحابه ـ على

---

(١) البخاري (٧١٠٩).

(٢) المعرفة والتاريخ: ٣/٤١٢.

حقٌّ، وأن عليّاً وأصحابه كانوا أقربَ إلى الحق من معاوية وأصحابه)(١).

ـ وقال ابن حزم: (وصحَّ أن عليّاً هو صاحبُ الحق والإمام المفترض طاعته، ومعاوية مخطئ مأجور مجتهد). (وعلي رضي الله عنه صاحب الحق له أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ومعاوية رضي الله عنه ومَن معه مخطؤون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً)(٢).

ـ وقال ابن كثير معقِّباً على حديث «قَتْل عليٍّ الخوارجَ»: (فيه الحكمُ بإسلام الطائفتين: أهلِ الشام وأهل العراق، لا كما تزعمه فِرقة الرافضة والجهلة الطَّغَام من تكفيرهم أهلَ الشام. وفيه أن أصحاب عليٍّ أدنى الطائفتين إلى الحق؛ وهذا هو مذهبُ أهل السُّنَّة والجماعة أن عليّاً هو المصيب، وإنْ كان معاوية مجتهداً، وهو مأجور إن شاء الله)(٣).

وقال نحوه الحافظ ابن حجر(٤).

وأقوال العلماء في هذا كثيرة متضافرة متفقة على ذلك.

٥ ـ وقفة وإيضاح حول مفهوم (الفئة الباغية)، ومقاتلتها:

في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ

---

(١) مجموع الفتاوى: ٤٠٧/٣، ٤٦٧/٤.

(٢) الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل: ١٦١/٤، بتصرف.

(٣) البداية والنهاية: ٢٨٠/٧.

(٤) الفتح: ٥٧/١٦، شرح الحديث (٦٩٣٣).

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، أمرٌ للمؤمنين بقتال الفئة الباغية، وليس فيه أمرٌ لإحدى الطائفتين بأن تقاتل الأخرى.

وفي اقتتال أهل العراق وأهل الشام؛ يقول أكثر السلف والأئمة كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم: لم يوجد شرطُ قتالِ الطائفةِ الباغية؛ فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداءً، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يُصلَحَ بينهما، ثم إنْ بغَتْ إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغي، وأهل الشام قُوتِلوا ابتداءً قبل أن يبدؤوا بقتال[1].

ولهذا كان أئمة السُّنَّة كمالك وأحمد وغيرهما، يقولون: إن قتالَ عليٍّ للخوارج مأمورٌ به، وأما قتال الجمل وصفين فهو قتال فتنة[2].

وقد قالت أم المؤمنين عائشة لما وقعت الفتنة: تركَ الناسُ العملَ بهذه الآية! وعلّق ابن تيمية على هذا فقال: (وهو كما قالت؛ فإنهما ـ الطائفتين ـ لما اقتتلتا لم يُصْلَح بينهما، ولو قُدِّر أنه قُوتِلت الباغيةُ، فلم تُقاتَلْ حتى تفيء إلى أمر الله ثم أُصلح بينهما بالعدل! والله تعالى أمر بالقتال إلى الفيء ثم الإصلاح، لم يأمر بقتال مجرّد، بل قال: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾. وما حَصَل قتالٌ حتى تفيء إلى أمر الله، فإنْ كان ذلك مقدوراً فما وقع، وإنْ كان مَعجُوزاً عنه لم يكن مأموراً به!)[3].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/٨٠.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٥١٥ـ٥١٦؛ وانظر ما تقدم: ص٥٠٨ـ٥١٠ رقم (١) في هذا الكتاب.

(٣) منهاج السُّنَّة: ٣/١٠٠، وبنحوه: ٤/٥١٥.

(ولو قُدِّرَ أن طائفةً بَغَتْ على طائفة، وأَمكن دفْعُ البغي بلا قتالٍ، لم يَجز القتال: فلو اندفعَ البغيُ بوعظٍ أو فُتيا أو أمرٍ بمعروف؛ لم يَجز القتال. ولو اندفع البغي بقتلِ واحدٍ مقدور عليه، أو إقامة حدٍّ أو تعزير؛ مثل: قطْعِ سارقٍ وقتل محارب وحدِّ قاذف؛ لم يَجز القتال. وكثيراً ما تثور الفتنة إذا ظلم بعضُ طائفة لطائفة أخرى، فإذا أمكن استيفاءُ حق المظلوم بلا قتالٍ لم يجز القتال.

وليس في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ كل مَن امتنع عن مبايعة إمام عادل، يجبُ قتالُه بمجرد ذلك، وإنْ سُمِّي باغياً لترك طاعة الإمام، فليس كل من ترك طاعة الإمام يُقاتَل!)[1].

٦ ـ وقفة وتحقيق حول أخبار (القتال في صفين: عنفه، وحماسة المتقاتلين، والمبارزات وشدة الحملات):

•• المتتبع لأخبار الفتنة عامةً ووقعتي الجمل وصفين خاصة؛ يَخلُص إلى نتيجة مذهلة خطيرة محزنة، تهدِم في نفس القارئ الصورةَ المشرقة التي سطَّرها القرآن الكريم وأوضحتْها أحاديث السُّنَّة الطاهرة وأكَّدتْها أحداث السيرة العطرة، وشرحَتْها ورسَّخَتْها أخبار الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين.

تلك الصورة الجليلة الرائعة الخالصة المخلصة الهادية النبيلة لرجالات الإسلام حملة الرسالة وناشريها، الذين كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، يستبسلون في ساحات الوغى مع الأعداء، ويمسكون

(١) منهاج السُّنَّة: ٣/١٠١.

بأيديهم وأفئدتهم أمام أحكام الإســلام ومبادئه وغاياته، لا يتجاوزونها ولا يَخْدِشونها بموقف أو قول أو فعل.

أما أخبار وقعتي الجمل وصفين فإنها تصــوِّر أولئك الرجالَ بقلمٍ آخر وعقلٍ آخر وقلبٍ آخر، وترسم صورة مغايرة تمامَ المغايرة لهم في أقوالهم ومواقفهم وسِيَرهم وأهدافهم وغاياتهم!.

فجمهــرة الــرواة والروايــات وكتب التاريــخ المتقدمــة والمتأخرة والمعاصرة؛ تصوِّر الفريقين بصفين أنهم يتحمســون للقتال ويشتدون فيه ويحرِّضــون عليه ويَحْرِصون على المُضِيّ فيه فــلا ينصرفون عنه إلا إلى الصلاة. ويذكرون عن علي ومعاوية وقيادات الجيشــين أنهم يُحضِّضون الجند على الاستعانة بالله والصبر على المواجهة، ومواصلة الجهاد (كذا!).

وعلي يدعو معاوية للمبارزة، فيشــجِّعُه عمرو بن العاص ليتخلَّصَ منه طمعاً في الإمارة من بعــده. وتزعم الروايات أن عليّاً بارز عمرو بن العاص وهزمه، فاستقبله عمرو بعورته فانصرف علي عنه!.

وتذكر تلك الأخبار أن عمار بن ياسر استبسل في القتال والصحابةُ يقتفــون أثَرَهُ، وكان يحرِّض مَــن معه على القتال ويقــول: الجنةُ تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأَســنَّة، وقد فُتحت أبواب الجنة، وتزيَّنت الحور العِين: اليومَ ألقى الأحبَّة، محمداً وحِزْبَه!.

ويقــول: اللَّهمَّ إني لا أعلــمُ اليومَ عملاً هو أرضَــى لك من جهاد هؤلاء الفاســقين، ولو أعلمُ أن عملاً من الأعمال هــو أرضى لك منه لفعلتُه!.

وذهبت تلـك الروايات إلى القـول بأن أهل الشـام تعاقدوا على الثبات وأن لا يَفرُّوا، وعَقَلوا أنفسَهم بالعمائم. وأثخن الطرفان في القتل؛ فطارت أكفٌّ ومعاصم ورؤوس عن كواهلها!.

ووصفت الروايـات القتـالَ (وصفـاً دراماتيكيّاً) حلَّـق فيه خيالُ الكذابين والمتروكين، فجاؤوا بما لا يصدقه من يحترم عقله وكان عنده مَسْكة من حياء وإنصاف.

وتزعم الأخبـار أنهم خاضوا زُهاءَ (٩٠) زحفاً، واقتتلوا شـهر ذي الحجة جميعـه، وربما اقتتلوا في اليوم مرتين. وفصَّلَتْ شـؤونَ القتال في (عشرة أيام فاصلة) آخرها ما عُرف باسـم (ليلة الهَرير)، التي جنح فيها خيالُ الرواة والأخباريين فذكروا أنه في تلك الليلة (اقتتل الفريقان بالرماح حتى تقصَّفت، وبالنِّبال حتى فنيتْ، وبالسيوف حتى تحطّمتْ، ثم صـاروا إلى أن تقاتلـوا بالأيـدي والرمي بالحجـارة والتراب في الوجوه، وتعاضّوا بالأسـنان: يقتتل الرجلان حتى يُثْخَنا، ثم يجلسـان يسـتريحان، وكل واحد منهما يَهْمِر على الآخر ويَهْمِر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا!).

•• والألم المُمِضّ الذي يدعو للأسـى والحـزن والرثاء لهذه الأمة والتاريخ والحقيقة: أن (تلك الأخبار الفاسدة التالفة الطائشة) قد تسلَّلتْ إلى كتب مؤرِّخينا الكبار، وأمست (كأنها وثيقة تاريخية)، اعتمد عليها وأسَّـسَ وأصَّلَ مَن جاء بعدهم جيلاً بعد جيل إلى زماننا، وتلقَّفها كلُّ حاطب ليل وذي هوى وبغضاء وجمَّاع غُثائي، لا تهمّه الحقيقة ولا يأبَه بأقدار الرجال الذين يترجم لهم ولا التاريخ الذي يكتب عنه!.

حتى طغت تلك الأخبار على الساحة الثقافية، واخترقت الكتب المدرسية، وسمَّمت عقولَ المدرّسين البسطاء والناشئة الضحية، وكانت حديث الأسمار والبَطَّالين.

●● وهذه الأخبار تجدها في: تاريخ الطبري، والمنتظم لابن الجوزيّ، والكامل لابن الأثير، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتاريخ ابن عساكر، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب للمسعودي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، وكتب نَصْر بن مُزاحم وأبي مِخْنَف وهشام الكلبي والواقدي وأمثالهم.

ونقله كثير من المعاصرين من أمثال عبدالكريم الخطيب في كتابه «علي»، و«الفتنة» لهشام جعيط، و«الإمام القائد» لبسام العسلي، و«عبقرية علي» للعقّاد، و«الفتنة الكبرى» لطه حسين، و«خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد، و«الإمام علي» لإبراهيم بيضون، و«أبو تراب» لطلال الجنابي، و«فضائل علي» لمحمد جواد مغنية... وهي أمثلة تشير إلى الكثير الذي لا يدخل تحت حصر!.

والدكتور الفاضل علي الصلابي على عادته في جمع الأخبار، يقول في بعض نُقوله بشأن صفين: (وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فَلَّ سلاحُه، وهو يحرِّض الناس على الاستبسال في القتال)[1]! ثم أحال على «سنن سعيد بن منصور» وقال: ضعيف!.

---

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٦٠٠.

فلا أدري لماذا يسوقه إذاً ـ مع ضَعْفه ـ ويعرضه بهذه (الصور الدرامية!) قائلاً: (قام عمرو بإخراج الأسلحة من المخازن)، فأية مخازن وأية أسلحة هذه يا ترى؟!.

•• وموقفنا من هذه الروايات والأخبار ردُّها ونقضُها ورفضُها على وجه الإجمال، لا نفيها كلها، ونعتمد في هذا على نقدها سنداً ومتناً؛ فنقول:

عامة هذه الأخبار يرويها أبو مِخْنَف لوط بن يحيى، وبعضها رواه نصر بن مُزاحم، والقليل عن عَوَانة بن الحكَم وهشام بن محمد بن السائب الكلبي.

وأبو مخنف: أخباري تالف لا يُوثَق به، شيعي محترِق صاحب أخبارهم.

ونصر بن مزاحم: رافضي جَلْد، تركوه، ورماه بعضهم بالكذب.

وعوانة بن الحكم: متهم بالوضع.

وهشام بن محمد الكلبي: متروك رافضي، ليس بثقة[1].

ثم إن أغلب روايات هؤلاء المتروكين المتَّهَمِين مرسَلات ومُعضَلات ومنقطعات، وفي النادر تكون أخبارهم مسنَدة عمن عاصر الوقعة أو شهدها.

فهذه الأخبار الكثيرة المفصَّلة قد اجتمع فيها ضعفُ الرواة الشديد، وضعفُ الأسانيد من حيث الاتصالُ؛ فهي ضعف على ضعف.

---

(١) ترجمتهم في: ميزان الاعتدال، ولسان الميزان، وغيرهما.

والأخبار التي جاءت من غير طريقهم نادرة جدّاً، ويَغلب عليها الضعفُ والوَهَاء، والقليل منها مقبول أو مستقيم حسن أو صحيح.

هذا من حيث الإسناد.

أما من حيث المتنُ: فهي مردودة بأحاديث كثيرة صحيحة، وأخبار حسنة جيدة، وحقائق ثابتة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١ ـ علمُ الصحابة والتابعين بحرمة دم المسلم، ووقوفُهم عند التحذير النبوي، وخشيتُهم من سفك دم بشبهة؛ فعن أبي بَكْرة قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تواجَهَ المسلمانِ بسيفَيْهِما، فالقاتلُ والمقتولُ في النار**» فقلتُ: يا رسول الله، هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟ قال: «**إنه قد أرادَ قَتْلَ صاحبِهِ**»!)[1].

وعن عبد الله بن عُمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَمَل علينا السلاحَ فليس منَّا**»[2].

والأحاديث في هذه كثيرة شهيرة.

٢ ـ كان القتال قتالَ فتنةٍ، وقد روى غير واحد من الصحابة في إبّان الأحداث الأحاديثَ التي تحضُّ على القعود في الفتنة واعتزالها وعدم السعي فيها وإليها، ومن أبرز الأدلة موقف أبي موسى الأشعري حيث حدث الناسَ، بقول رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)؛ ومسلم (٢٨٨٨)؛ وأبو داود (٤٢٦٨)، وغيرهم.
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٠)؛ ومسلم (٩٨)، وغيرهما.

«إنَّ بين يدَي الساعة فِتناً كقِطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً؛ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي! فكَسِّروا قِسِيَّكُم، وقطِّعوا أوتاركم، واضْرِبوا بسيوفكم الحجارةَ، فإنْ دُخِل على أحدِكم فليكُنْ كخيرِ ابنَيْ آدمَ»[1].

ولهذه الأحاديث اعتزل القتالَ جماعةٌ من أكابر الصحابة والسابقين، وحضوا على ذلك، منهم أبو موسى وأبو بَكْرة وسعد بن أبي وقّاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عُمر، وغيرهم.

٣ ـ غاية الطرفين لم تكن المواجهةَ والقتالَ، فأمير المؤمنين علي خرج لإدخال أهل الشام في البيعة والطاعة، ومعاوية في أهل الشام أصرُّوا على المطالبة بإقامة الحدِّ على قتلة عثمان، وعندما بُدِئوا بالقتال دفعوا الصِّيالَ عن أنفسهم.

٤ ـ طولُ مدة المراسلات وكثرةُ الرسل وترددهم بين الفريقين؛ تبين حرصَهم على عدم المواجهة والقتال وإراقة الدماء وقتل الأنفس.

٥ ـ ويؤكّد ذلك أنهم تداعوا إلى وقف القتال طيلة شهر المحرم، رجاء أن يتم الصلح، ويتجنب الفريقان مواجهة دامية.

٦ ـ حَرَص عليٌّ ومعاويةُ رضي الله عنهما على الكَفِّ عن القتال، وقد كانا أطلبَ لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين، لكنْ غُلبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)؛ وابن ماجه (٣٩٦١)، وغيرهما، وصحَّحه الألباني.

(٢) منهاج السُّنَّة: ١٢٥/٣.

٧ ـ ويؤكد ذلك أوامرُ علي جيشَه أن لا يبدؤوا أهل الشام بالقتال، ووصاياه المتكررة بأن لا يُتبع مدبِر ولا يُجْهَز على جريح ولا يُقتل أسير ولا يُسلب.

٨ ـ طلبُ جماعةٍ كبيرة مراراً من عليٍّ أن يرسِل إلى الأشتر النخعي يأمره بأن يَكفَّ سلاحه ويتوقف عن القتال، وقد فعل أمير المؤمنين علي، لكن ذاك الأشتر استمرأ القتال طمعاً بالنصر كما يزعم، حتى قال أولئك لعليٍّ: كأنك أرسلتَ إليه تأمره بالقتال!.

٩ ـ وكذلك فإن قرَّاء أهل العراق وقرَّاء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً، وكانوا يحجزون بين الفريقين عند حدوث المناوشات والقتال.

١٠ ـ ومن الأدلة القوية على عدم الرغبة في القتال والاستمرار فيه؛ أن أهل الشام (رفعوا المصاحف) للتحاكم إليها، فأجاب إلى ذلك أمير المؤمنين وعامة أهل العراق، ما عدا أولئك السبئيين الوالغين في الفتنة الراغبين باستمرار الخلاف والقتال.

من جميع ما قدمناه يتبين بحقٍّ أن الرغبة في القتال والحماسة له والاستمرار فيه، لم يكن من هدي أمير المؤمنين علي ووالي الشام معاوية ولا من فعل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل من تدبير وتأجيج السبئية وقتلة عثمان والغوغاء، ولهم في ذلك سوابق من أيام مقتل عثمان وأحداث البصرة ووقعة الجمل!.

(والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكَفِّ أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وإذا وقعت الفتنة لم يَسْلم من التلوث بها إلا من عصمه الله)[١].

٧ ـ وقفة مع الأرقام الكبيرة:

وردت في أخبار وقعة صفين روايات تذكر (أرقاماً كبيرة ضخمة)، حول عدد الوقعات والمواجهات، وطول أمد الحرب، وعدد قتلى الطرفين، ونحو ذلك، نشير إليها في هذه الفقرة، ونبين وجه الحق فيها:

أ ـ عدد الذين قتلهم أمير المؤمنين علي:

روى عَمْرو بن شَمِر، عن جابر الجُعْفِي، عن نُمير الأنصاري: أن عليّاً قتل في يوم واحد زيادة على خمسة مئة رجل[٢].

وذكر المسعودي الخبر فقال: (وكانت ليلة الجمعة ـ وهي ليلة الهرير ـ فكان جملة من قتل علي بكفِّه في يومه وليلته: خمس مئة وثلاثة وعشرين رجلاً)[٣].

قال ابن كثير بعد أن روى الخبر بطوله: هذا إسناد ضعيف وحديث منكر.

نقول: بل هو خبر خرافة لا يصدقه عاقل؛ فعَمْرو بن شَمِر: متروك ليس بثقة، متهم بالوضع، وقال ابن حِبَّان: رافضي يشتم الصحابة!

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٥٢/٣.

(٢) البداية والنهاية: ٢٦٤/٧.

(٣) مروج الذهب: ٣٠٣/٢.

وشـيخُه جابر الجعفي: ضعيف رافضي، قال أبو حنيفة: ما لقيتُ أكذبَ من جابر الجعفي!.

والخبر ينافي العقل والمنطـق؛ فقَتْلُ هذا العدد في يوم واحد يعني أن عليّاً يقتل في كل (ثلاث دقائق) رجلاً، وكأنهم مصطفّون أمامه يأخذ بأعناقهم واحداً تلو الآخر!.

بل إن هذا فيه شَـيْن على أمير المؤمنين علي، وحاشاه أن يستخفَّ بدماء المسلمين المخالفين حتى يُهريق دماءهم بهذه السهولة، وما عَلِمنا له ذلك في وقائعه مع كفار قريش، ولا نرتاب في ورعه وتحريه وخشيته من سفك دم فيه شبهة، فأيُّ مديحٍ لعليٍّ في هذا؟!.

ب ـ مدة القتال وعدد الزحوف والوقعات:

ذكرت الأخبار أن الفريقين خاضوا معارك كثيرة، وصلت إلى (٧٠) زحفاً، وبلَّغها بعضُهم إلى (٩٠) وقعة في (١١٠) أيام[١].

ونقله غير واحد مـن المعاصرين؛ منهم الدكتـور أكرم العمري[٢]، والدكتور علي الصلابي ووصف تفصيل القتال وضراوته[٣]! وذكرتُها أنا ـ قديماً ـ في كتابي «الخلفاء الراشدون»[٤]، وأنا اليوم أبرأُ منها!.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٨٧/٢؛ مروج الذهب: ٢٧٥/٢؛ المنتظم: ١٢٠/٥، ١٢٣؛ وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٠٢؛ البداية والنهاية: ٢٧٥/٧.

(٢) كتابه: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٣) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٦٠٠ـ٦٠٤.

(٤) ص ٥٨٧، ٥٩٣.

وهذا الخبر مدارُه على نصر بن مزاحم وأبي مِخْنَف، وحالُهما من التَّرْك والوَهَاء معروف. وقد عارضه خبر نظيف بإسناد صحيح عن صحابي شهد الوقعة هو عبدالرحمن بن أَبْزَى، قال: (شهدنا مع علي ثمان مئة ممن بايع بيعة الرضوان، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم رُفعت المصاحف ودَعَوا إلى الصلح)[1].

وهذا هو الحق واللائق بحال الصحابة والتابعين الخيِّرين، الذين يحرِصون على الصلح ويتحامَوْن عن سفك الدماء، ويتورَّعون عن الشبهات في الأمور الصغيرة فما بالك بالنفس المحرَّمة؟!.

والعجبُ من أئمتنا ومؤرِّخينا كيف يَغفُلون عن خبرٍ صحيح ينقله إمام محدث مؤرخ من شيوخ البخاري ـ أعني خليفةَ بن خيَّاط ـ ويعمدون إلى نصر بن مزاحم وأبي مخنف وأمثالهما فينقلون عنهم! والعجبُ مستمرٌّ من الكتَّاب المعاصرين حيث يقلِّدون من سبقهم ويروِّجون لتلك الأخبار التالفة، التي تصوِّر الصحابة والتابعين وكأنهم هواة قتال وقتل وإزهاق أنفس!.

ج ـ أعداد القتلى:

بالغ المؤرخون في تضخيم عدد القتلى أيام صفين ـ كما بالغوا في عددهم يوم الجمل ـ فنقل خليفة بن خياط فقال: (وافترقوا[2] على

(١) تقدم: ص ٦٧٧ في هذا الكتاب.

(٢) ظن الدكتور أكرم العمري ـ في كتابه: عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٢ ـ أن =

سبعين ألف قتيل: خمسة وأربعين ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرين ألفاً من أهل العراق. ويقال: على ستين ألفاً). وروى عن محمد بن سيرين قال: (افترقوا عن سبعين ألفاً يُعَدُّون بالقَصَب)[١].

ونقل مثلَه يعقوب بن سفيان الفَسَوي[٢].

ومشى على هذا غير واحد، منهم: المسعودي، وابن الجوزي، والذهبي، وابن كثير[٣].

وجازف المسعودي مجازفة طائشة فذكر في «تاريخه»: أن معاوية خرج في جيش عِدَّته (خمسة وثمانون ألفاً)، ثم لما تحدث عن عدد القتلى ذكر أن قتلى أهل الشام كانوا (تسعين ألفاً)[٤]؛ أي: إن عدد القتلى أكثر من عدد الجيش الأصلي!.

وهذه الأرقام مبالغ فيها جدّاً، وغير معقولة، يأباها الواقع التاريخي والنقد العلمي:

أما الواقع التاريخي: فالقتال استمر ثلاثة أيام كما قدمنا في الرواية الصحيحة، ولا يُعقل أن يُقتل مثلُ ذاك العدد الهائل في هذه المدة،

= هذا الكلام تتمة خبر عبدالرحمن بن أبزى الذي قدمناه في الصفحة السابقة، وليس كذلك؛ بدليل قوله في نهاية الخبر: (ويقال)، فهل يقول من شهد الوقعة: (ويقال)؟ فالكلام هنا لخليفة بن خياط.

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٤.

(٢) المعرفة والتاريخ: ٤٠٤/٣.

(٣) مروج الذهب: ٢٧٥/٢؛ المنتظم: ١٢٠/٥؛ تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤٥؛ البداية والنهاية: ٢٧٥/٧.

(٤) مروج الذهب: ٢٩٢/٢، ٣٠٦.

فمعركةُ اليرموك مثلاً لم يستشهد فيها من المسلمين سوى ثلاثة آلاف، مع اتساع وقت القتال، وشراسة الأعداء، وكثرة أعداد الجيشين. ومعركة القادسية استمرت أربعة أيام وثلاث ليالٍ، وجملة مَن استشهد فيها من المسلمين (٨٥٠٠) نفس.

وأما **النقد العلمي**: فإن القوم كانوا يتقاتلون بأسلوب بدائي، بالنبال والرماح والسيوف، وكثير منهم كان يتحامَى القتالَ إلا مضطرّاً، ما عدا السبئية الذين كانوا يوقدون الفتنة.

وهذا العدد الكبير لا يسقط مثله في الحروب الحديثة في أيام، مع استخدام الأسلحة الثقيلة كالمدفعية والصواريخ والطائرات، والشواهد على هذا كثيرة[1].

وعلى هذا فإن عدد القتلى لا يصل إلى عُشْر العدد الذي ذكره أولئك الأخباريون، ووقوع (ثمانية آلاف قتيل) من الفريقين، في ظروف القتال وأساليب المواجهة التي أوضحنا ـ يعتبر «مقتلة عظيمة» كما أشار إليها الحديث الصحيح.

وقد حمل جماعة من العلماء هذا الحديث على وقعة صفين.

ثامناً: قصة التحكيم (تجلية حقائق، وكشف زيوف):

•• تمهيد:

لما رأى أكابر الصلحاء والخيِّرين أن الحرب تتسع دائرتها، وأهلَ

---

(١) انظر ما قدمناه: ص٥٨٦ ـ ٥٩٠ في هذا الكتاب؛ وكتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/٩٤ ـ ٩٥.

الفتنة من السبئيين وقتلة عثمان يؤججون نارها، وتكون الغلبة لهذا الفريق تارة ولذاك الفريق أخرى ـ لَمَعَتْ في عقل عمرو بن العاص رضي الله عنه فكرةُ (رفع المصاحف) ودعوة الطرفين إلى التحاكم إليها والخضوع لحكمها، تماماً كما فعلت الصديقة أم المؤمنين عائشة يوم الجمل عندما أعطت كعبَ بن سُوْر مصحفاً وأمرَتْه أن يرفعه ويدعو الناس إليه.

رفع أهل الشام (٥٠٠) مصحف على الرماح[1] ودعَوا الناس إليها، فلما رأى المتحاربون المصاحف الشريفة مرفوعة أوقفوا القتال و(بَطَلت الحرب)، كما يروي أحد مؤرخي تلك الفتنة[2].

ولم يكُ ذلك صدفة ولا مفاجأة، فإيقافُ القتال وحقن الدماء وتحقيق الصلح أمور يتمناها عامة رجال الطرفين كما قدمنا من مواقف وأحداث ومراسلات، ويؤكده ويدل عليه مواقف زعماء الفريقين وصلحائهم، وأغلب الناس تبع لهم.

١ ـ بدء التحكيم والمنادي به، ورغبة الطرفين فيه واستجابتهم له:

يروي أبو مِخْنَف لوط بن يحيى: أن عَمْرو بن العاص عرض على معاوية رفع المصاحف والدعوة إلى حكمها، (فرفع أهلُ الشام المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتابُ الله عز وجل بيننا وبينكم، مَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟! ومَن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟!

---

(١) مروج الذهب: ٣٠٣/٢؛ الأخبار الطوال، ص ١٨٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص٦٥ ـ ٦٦.

(٢) وقعة صفين، لابن مزاحم، ص ٤٧٩.

فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعتْ، قالوا: نُجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه)[١].

وتشير عدة روايات إلى رغبة العراقيين وجماعة من أكابر زعمائهم في إيقاف القتال وحقن الدماء، وهو مما مهّد لقبول التحكيم فور إعلانه، **يسوق هذه الأخبار نصر بن مزاحم، نوردها عنه لأنه رافضيٌّ جَلْد، ونحتجُّ به على المفترين والأفاكين والجماعين الذين اتهموا عمرو بن العاص بالخداع والمكر والمكيدة في (رفع المصاحف)!.**

١ ـ يروي نصر بن مزاحم، عن تميم بن حِذْيَم قال: (لمَّا أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباهُ الرايات أمام أهل الشام في وسط الفَيْلق، حِيال موقف علي ومعاوية، فلما أسفَرْنا إذا هي المصاحف قد رُبِطت في أطراف الرماح).

ثم يقول: (استقبلوا عليّاً بمئة مصحف، ووضعوا في كل مُجَنِّبَة[٢] مئتي مصحف، فكان جميعها خمس مئة مصحف. ثم قام الطُّفيل بن أدهم حِيالَ علي عليه السلام، وقام أبو شُريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمَّر حيالَ الميسرة، ثم نادوا: يا معشر العرب، اللهَ اللهَ في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فَنِيتم! اللهَ اللهَ في دينكم! هذا كتابُ الله بيننا وبينكم).

٢ ـ ويروي ابن مزاحم بإسناده: عن جابر الجُعْفي، عن أبي جعفر الباقر؛ خبراً فيه وصفٌ لشدة القتال، وفي آخره:(ونادت المشيخةُ في

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٨/٥؛ المنتظم: ١٢١/٥.

(٢) **المُجَنِّبَة**: ميمنة الجيش وميسرته.

تلك الغَمَرات: يا معشرَ العرب، اللهَ اللهَ في الحُرُمات من النساء والبنات! قال جابر: فبكى أبو جعفر وهو يحدثنا بهذا الحديث)(1).

٣ ـ ويروي أيضاً عن أحد السادة الكبار والحكماء الصادقين ممن كان في قيادات جيش علي؛ وهو الأشعث بن قيس: أنه خطب في قومه ليلة الهَرِير فكان مما قاله:

(قد رأيتم يا معشرَ المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب؛ فوالله لقد بلغتُ من السنِّ ما شاء الله أن أبلُغَ، فما رأيتُ مثل هذا اليوم قط! ألا فلْيُبلِّغ الشاهدُ الغائب؛ إنا نحن إنْ تواقَفْنا(2) غداً إنه لفناءُ العرب وضَيعة الحُرُمات! أَمَا والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب ولكني رجل مسنّ أخاف على النساء والذراري غداً إذا فَنِينا. اللَّهمَّ إنك تعلم أني قد نظرتُ لقومي ولأهل ديني فلم آلُ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)(3).

فهذه روايات عراقية كوفية لا ذكْر فيها لعمرو بن العاص، ولا ما زُعم من مكيدة ومكر وخديعة، بل رغبة صادقة من الأخيار الحُرَصاء على مصلحة الإسلام وحقن الدماء.

٤ ـ وتناهت هذه المواقف وبخاصة خطبةُ الأشعث إلى معاوية رضي الله عنه فقال: (أصاب وربِّ الكعبة، لئنْ نحن التقينا غداً لتميلَنَّ الروم على

---

(1) وقعة صفين، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٥٤ ـ ٤٥٥.

(2) أي: للقتال.

(3) وقعة صفين، ص ٤٨١؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٥٦.

ذَرارِيِّ أهل الشـام ونسـائهم، ولتميلَنَّ فارسُ على ذراريِّ أهل العراق ونسائهم! إنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنُّهى. ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القَنَا).

٥ ـ وثار أهلُ الشام في سـواد الليل ينادون عن قول معاوية وأمره: يا أهلَ العراق، مَن لذراريِّنا إنْ قتلتمونا، ومن لذراريِّكم إنْ قتلناكم؟! اللهَ اللهَ في البقية!.

وأصبحوا وقد رفعوا المصاحف علـى رؤوس الرماح، وقد قلّدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشـتهوا ما دُعُوا إليه، وهم ينادون أهل العراق: كتاب الله بيننا وبينكم.

واعترض بعض مسـاعير الفتنة على هذا، ومنهم عَمْرو بن الحَمِق والأشـتر النخعي وهما من رؤوس المشـاركين في قتل عثمان، وحَضّا عليّاً على رفض الصلح والاستمرار في القتال! فغضب الأشعث بن قيس وقال: (يا أمير المؤمنين، أجِب القـومَ إلى كتاب الله عز وجل، فإنك أحقُّ به منهم، وقد أحَبَّ الناس البقاء، وكرهوا القتال).

فقال علـي: هـذا أمرٌ يُنظـر فيـه. فتنادى النـاس مـن كل جانب: الموادعة[1]!.

٦ ـ ثم إن أهل الشـام لمّا أبطأ عنهم عِلمُ حـالِ أهل العراق: هل أجابوا إلى الموادعة أم لا؟ جَزِعوا فقالوا: يا معاوية، ما نرى أهلَ العراق

(١) وقعة صفين، ص ٤٨١ ـ ٤٨٤؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٥٦ ـ ٤٥٧.

أجابوا إلى ما دعوناهم إليــه، فأَعِدْها جَذَعة[1]، فإنك قد غمرتَ بدعائك القوم وأطمعتَهم فيك.

فدعا معاويــة عبدَ الله بن عمرو بــن العاص، فأمــره أن يكلم أهل العراق، ويســتعلمَ له ما عندهم، فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنــا عبدُ الله بن عمرو بــن العاص، إنه قــد كانت بيننا وبينكــم أمورٌ للديــن أو الدنيا، فإن تكــن للدين فقــد ـ والله ـ أَعْذَرْنا وأَعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد ـ والله ـ أســرَفْنا وأسرفْتُم، وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فإنْ يجمعنا وإياكم الرضا فذاك من الله، فاغتنموا هذه الفرصة)[2].

٧ ـ واســتمر الأشــعث بن قيس في الســعي للصلح وجــاء إلى علي رضي الله عنه فقال: (يا أمير المؤمنين، ما أرى الناسَ إلا قد رضُوا وسرَّهم أن يجيبوا القوم إلــى ما دَعَوْهم إليه مــن حكم القرآن، فإنْ شــئتَ أتيتُ معاويةَ فسألتُه ما يريد، ونظرتُ ما الذي يسأل؟ قال: فأْتِه إن شئتَ. فأتاه، فسأله: يا معاوية، لأيِّ شــيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجعَ نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، فابعثوا رجلاً منكم ترضَوْن به، ونبعث منا رجلاً، ونأخــذ عليهما أن يعملا بما في كتــاب الله ولا يَعْدُوانِه، ثم نتَّبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحق.

وانصرف إلى عليٍّ فأخبره، فبعث عليٌّ قرّاءً من أهل العراق، وبعث معاوية قرّاءً من أهل الشــام، فاجتمعوا بين الصفَّين ومعهم المصحف،

---

(١) أي: أعدها مرة أخرى كما بدأت.

(٢) وقعة صفين، ص ٤٨٤؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٦٠.

فنظروا فيه وتدارسوه، واجتمعوا على أن يُحْيُوا ما أحيا القرآن ويُميتوا ما أمات القرآن، ورجع كل فريق إلى صاحبه. فقال أهل الشام: إنَّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضِينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري)[1].

•• وتؤكد رواية صحيحة أن أمير المؤمنين عليّاً قد سُرَّ بالصلح ورضي بالتحكيم وحَرَص عليه، ونعى على القرّاء ـ الذين صاروا فيما بعد خوارج ـ وقرَّعَهم على رغبتهم في استمرار القتال ومخالفتهم له في قبول التحكيم.

عن أبي وائل شقيق بن سَلَمة قال: (إنه لمَّا استحرَّ القتل في أهل الشام بصفين، اعتصم معاوية وأصحابه بجبل، فقال عمرو بن العاص: أَرسِلْ إلى عليٍّ بالمصحف، فلا والله لا يردُّه عليك. قال: فجاء به رجل يحمله ينادي: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]! قال: فقال عليٌّ: نعم، بيننا وبينكم كتاب الله، أنا أَوْلى به منكم. قال: فجاءت الخوارج وكنا نسمِّيهم يومئذٍ القرَّاء، قال: فجاؤوا بأسيافهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا نمشي إلى هؤلاء القوم حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سَهْل بن حُنيف فقال: أيها الناس، اتَّهِموا أنفسَكم! لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نَرى قتالاً لقاتَلْنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٩٨؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٦٥ـ٤٦٦؛ تاريخ الطبري: ٥/٥١؛ مروج الذهب: ٢/٣٠٤.

المشـركين)... وذكر قصة عمر بن الخطاب ومعارضته لصلح الحديبية ونزولَ سـورة الفتح على النبـي ﷺ، فقال علي مخاطبـاً أولئك القوم الذين اعترضوا على قبوله التحكيم: (أيها الناس، إنَّ هذا فتحٌ! فقبِل عليٌّ القضية، ورجع، ورجع الناس)(1).

وهي لفتة رائعة من أمير المؤمنين علـي باقتدائه بالنبي ﷺ، حيث صالح المشـركين يـوم الحديبيـة، فأحرى بعلـيٍّ أن يصالـح إخوانَه المسـلمين الذين خالفوه في الاجتهاد، وكما كان صلح الحديبية فتحاً، فكذلك صلحُه مع أهل الشام فتحٌ أيضاً!.

وأكَّد رأيَه الصحابيُّ الجليل سَـهْل بنُ حُنَيْـف الذي نعى على مَن خالف أمير المؤمنين فقال: (اتهموا أنفسـكم...)، وذكر لهم ما وقع لهم بالحديبية، وأنهم رأوا يومئذٍ أن يسـتمروا على القتال ويخالفوا ما دُعُوا إليه من الصلح، ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شَـرع النبي ﷺ فيه. وقد أعقب خيراً كثيراً، وظهـر أن رأيَ النبي ﷺ في الصلح أتمُّ وأحمدُ من رأيهم في المناجزة(2).

فكذلك هو الحال في قبول (التحكيم) والصلح مع أهل الشام؛ فيه حقنُ دماء المسلمين وإعادةُ الوحدة إلى صفوفهم، وهذا أتمُّ وأحمدُ من العودة للمناجزة والقتال!.

---

(1) مصنف ابن أبي شـيبة: ٨/٧٣٦ـ٧٣٧؛ مسـند أحمد: ٣/٤٨٥ـ٤٨٦؛ السنن الكبرى، للنسائي (١١٤٤٠)؛ وأصله في البخاري (٣١٨١)؛ ومسلم (١٧٨٥).

(2) الفتح: ٧/٧٨٩ (٣١٨١)، ١٠/٦٦٥ (٤٨٤٤)؛ نبوءات الرسول ﷺ: ٢/ ١٠٢ـ١٠٣.

•• واستمر عامة العراقيين على مثل رأي أمير المؤمنين علي في قبول الصلح وإمضاء التحكيم، ولم يخالف إلا مُثيرو الفتنة والسبئية ممن هم على شاكلة الأشتر النخعي وأتباعه، ويؤكد ذلك ما رواه التابعي الجليل أبو وائل شقيق بن سَلَمة في بعض طرق الحديث المتقدم، يقول:

(لمَّا قدِمَ سَهْل بن حُنيف من صِفِّين، أتيناه نستخبرُه، فقال: اتَّهِموا الرأيَ، فلقد رأيتُني يومَ أبي جَنْدَل ولو أستطيعُ أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمرَه لَرَدَدْتُ، والله ورسولُه أعلمُ. وما وضَعْنا أسيافَنا على عواتقنا لأمرٍ يُفْظِعُنا؛ إلا أَسْهَلْنَ بنا إلى أمرٍ نعرفُه، قبل هذا الأمر: ما نَسُدُّ منها خُصْماً إلا انفجَرَ علينا خُصْمٌ ما ندري كيف نأتي له!)[1].

قال الأعمش: سألتُ أبا وائل: شهدتَ صِفِّينَ؟ قال: نعم. وذكر حديثَ سهل بن حنيف، ثم قال أبو وائل: (شهدتُ صفِّينَ وبِئْسَتْ صِفُّونَ!)[2].

فهذه الروايات الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما، تؤكد قبولَ أهل العراق وأهل الشام وعلى رأسهم علي ومعاوية؛ لخيار الصلح وإمضاء التحكيم. وتدحضُ الأخبار التالفة والمجازفات والكلامَ المرسَل بلا سند؛ بأن ذلك كان خدعةً من عمرو بن العاص ومكيدةً منه، وإنقاذاً لموقف الشاميين الذين ضعفوا وكادوا أن يولُّوا مدبرين، مما شاع في

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٨٩). **يوم أبي جندل**: أراد به يوم الحديبية، وقصة أبي جندل يوم الحديبية مشهورة. **خُصْم**: جانب.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨١) و(٧٣٠٨)، وكلها أطراف لحديث واحد.

التاريـــخ قديماً وحديثاً، حتى غـــدا كأنه حقيقة ثابتـــة لا تقبل الردّ، وما عداها من حقائق ثابتة أمست مطموسة لا يعلم بها كثير من الناس!.

٢ ـ روايات ساقطة حول موقف الطرفين من التحكيم:

مضت روايات كثيرة في طريقها التائه تدبِّج الكذبَ والافتراء على علـــي ومعاوية وأهل العراق وأهل الشـــام، وجَمَح الهـــوى بالأخباريين والمؤرخين فأوردوا روايات مطولة تزعم أن عليّاً رفض التحكيم وأَنَّبَ مَن قَبِله من أتباعه واتَّهم الشاميين وعلى رأسهم معاوية وعمرو بالكذب والتدجيل والشر والفساد والســـعي في الضلال ومخالفة أحكام القرآن، وأنه دعا إلى الاستمرار في المناجزة والقتال...

ووَصَمتْ تلك الأخبار معاوية وعمراً وأهل الشام بكل نقيصة ودناءة وخديعة ومكر وجُبْن وخُبث وكيدٍ للإســـلام وأهله وســـعيٍ وراء مآربَ شخصية ومطامع في الرياسة وعبثٍ بمصالح الإسلام والمسلمين...

روى أبو مخنـــف: أن عليّـــاً قـــال: (عبـــادَ الله، امضُـــوا على حقكم وصدقكم وقتالِ عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي مُعَيط وحَبيب بن مَسْلمة وابن أبي سَـــرْح والضحّاك بن قيس؛ ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنـــا أعْرَفُ بهم منكـــم، قد صحبتُهم أطفـــالاً وصحبتُهم رجالاً: فكانوا شـــرَّ أطفال وشـــرَّ رجـــال. ويحكم! إنهـــم ما رفعوها ثم لا يرفعونهـــا ولا يعملون بما فيهـــا، وما رفعوها لكـــم إلا خديعةً ودَهْناً ومكيدة!)[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤٨/٥ـ٤٩؛ الكامـــل، لابن الأثيـــر: ١٦١/٣؛ البداية والنهاية: ٢٧٣/٧ـ٢٧٤؛ تاريخ اليعقوبي: ٨٨/٢ـ٨٩؛ مروج الذهب: ٣٠٤/٢.

وروى نصر بن مزاحم بإسناده قال: (لمَّا نظر عليٌّ إلى رايات معاوية وأهل الشام قال: والذي فَلق الحبة وبرأَ النَّسَمة، ما أَسلموا ولكن استسلموا، وأسرُّوا الكفر! فلما وجدوا عليه أعواناً، رجعوا إلى عداوتهم لنا، إلا أنهم لم يتركوا الصلاة)[١].

وروى نصر أيضاً: أن القرَّاء طلبوا من علي قبولَ التحكيم، فردَّ عليهم موضحاً حقيقة أهل الشام: (إني إنما قاتلتُهم لِيدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه! ولكني قد أعلمتُكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليس العملَ بالقرآن يريدون)[٢].

وفي رواية لأبي مِخْنَف قال: (فلما رأى عمرو بنُ العاص أن أمرَ أهل العراق قد اشتد، وخاف في ذلك الهلاكَ؛ قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرِضُه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فُرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حَكَمٌ بيننا وبينكم، فإن أبَى بعضهم أن يَقبلها وجدتَ فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فُرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين. فرفعوا المصاحف بالرماح)[٣].

وعنون المسعودي لهذا الحدث الخطير هكذا: (خدعة رفع المصاحف)[٤].

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٤٠ـ٢٤١؛ شرح نهج البلاغة: ٢٨٤/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤٥٨/١.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٨/٥؛ المنتظم: ١٢١/٥؛ تاريخ اليعقوبي: ٨٨/٢.

(٤) مروج الذهب: ٣٠٣/٢.

وهكذا سماها إبراهيم بيضون[١]، وسمَّاها محمد جواد مغنيّة: (مهزلة التحكيم)[٢]!.

وعلى هذا السَّنَن السيِّئ مشى بعضُ كتّابنا المعاصرين، يقول عبدالكريم الخطيب: (جاءت خديعةُ المصاحف يرفعها أهل الشام على أسنَّة الرماح وينادون في أهل العراق بالاحتكام إلى كتاب الله، والفيء إلى السلم والعافية. ويدرك الإمام ما يعمل هذا التدبير في جيشه، وما تعمل تلك الدعوة الكاذبة(!) في جماعات مختلفة الأهواء متباينة المشارب متنازعة الغايات؛ إنها الفُرقة التي لا اجتماع معها، والتخاذل الذي لا رجاء في نصر معه!)[٣].

هذه نماذج مقتضَبة معبِّرة في هذا الباب يسوقها نصر بن مزاحم وأبو مخنف لوط بن يحيى واليعقوبي والمسعودي... وحالُهم معروف قد أشرنا إليه أكثر من مرة، وما هم عليه من ضعف ووهاء وبدعة وهوى!.

ولا يُستغرب من هؤلاء أن يرووا مثل تلك الفِرى، ولكن العَتْب المرَّ على أئمتنا من أكابر الحفاظ والمحدثين والمؤرخين كيف يوردون هذا الباطل في كتبهم؟! فيقمّش الطبري كثيراً من تلك الروايات، ويتابعه في روايتها ابن عساكر وابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير... وغيرهم كثير!.

---

(١) كتابه: الإمام علي، ص ٨١.

(٢) كتابه: فضائل الإمام علي، ص ١٥٠.

(٣) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٤٨٤.

كيف استجاز أولئك المؤرخون وصْفَ معاوية وعَمْرو وجماعة من الصحابة بأنهم (شرُّ أطفال وشرُّ رجال)، وأنهم (ليسوا أصحابَ دين ولا قرآن)، وقد ثبت الثناء عليهم في القرآن الكريم والنصوص الكثيرة في السُّنَّة الصحيحة، مع النهي الشديد عن سبِّهم؟!.

وزاد الأمر فُحشاً أن الطبري وغيره نقلوا عن الأشتر: أنه قال في عمرو بنِ العاص ورفْعِ المصاحف: (إنها مشورة ابن العاهرة)(١)!.

هل هذا الأشتر (صاحبُ دين وصاحبُ قرآن)، وهو يقذِف صحابيّاً ـ أثنى عليه النبي ﷺ ـ بمثل هذا الفحش من القول؟!.

٣ ـ نبذة عن قبول التحكيم من الطرفين، والقائمين به:

●● دعا أهل الشام إلى الصلح وتحكيم القرآن، ووافق ذلك رغبةَ أكثرِ أهل العراق ورضي به أمير المؤمنين علي وقال: (نعم، أنا أَوْلى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله)، كما قدمنا.

ورشَّح الفريقان رجلين من جِلّة الصحابة ليقوما بأمر التحكيم؛ فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أمير المؤمنين وأهل العراق أبا موسى الأشعري(٢).

ومما يؤكد أن أمير المؤمنين عليّاً كان راضياً عن اختيار أبي موسى؛ ما رواه البَلاذُرِي بإسناده قال: (قال الأحنف بن قيس لعليٍّ حين

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٥١؛ تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤٨؛ شرح نهج البلاغة: ١/٤٦٦؛ العواصم من القواصم، ص ١٧٥ـ١٧٦.

أراد أن يحكِّم أبا موسى: إنك تبعث رجلاً من أهل القرى رقيقاً... فابعثْني مكانَه آخذ لك بالوثيقة، وأضعك من الأمر بحيث أنت. فقال له ابن عباس: دَعْنا يا أحنف منك، فإنّا أعلمُ بأمرنا منك)[١].

وروى الأعمش، عن أبي صالح: (أن عليّاً قال لأبي موسى: احكُمْ ولو على حَزّ عُنقي!)[٢].

وهذان النصان الثابتان يُبطِلان كلَّ ما روي عن أمير المؤمنين علي من أنه لم يرضَ بترشيح أبي موسى للحكومة، وأنه أُجبِر عليه من قِبل الأشعث والقرّاء، وأنه طَعن في أهليته، وأنه ليس بثقة عنده؛ فقد خالف عليه حيث بعث يستنفر أهل الكوفة فثبَّطَهم أبو موسى!.

شذرة عن أبي موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:

أ ـ أبو موسى الأشعري[٣]:

●● صحابي جليل أسلم قديماً، وهاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر، وشهد مع النبي ﷺ غزوة ذات الرِّقاع، والفتح، وحُنين، وأوطاس، وتبوك، وحجَّ معه حجة الوداع.

---

(١) أنساب الأشراف: ٥٧/٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٥، وسنده حسن.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧٢٤/٨، بإسناد صحيح؛ وهو في تاريخ الإسلام، ص ٥٤٨؛ وابن عساكر: ١٧٦/٣ـ١٧٧، لكن محققه محمد باقر المحمودي حكم ببطلان الخبر لأنه لا يتفق مع هواه في الرفض!.

(٣) له ترجمة وافية في كتابي: أعلام الحفاظ والمحدثين: ٥٣٩/١ـ٥٨٦، وما ذكرته هنا ملخص منها.

تمتع بصفات حميدة؛ فكان ربانياً زاهداً، عابداً منيباً، صوَّاماً قواماً، حييّاً كريمـاً، متواضعـاً حليماً، عالمـاً عاملاً، صـادقَ اللهجة، صافيَ السَّرِيرة، متمسكاً بهدي النبوة، مجاهداً فاتحاً، والياً جليلاً، كبير القدر، ورفيعَ المحلّ.

وكان من أعيان تلاميذ النبوة، وأثنى عليه رسـول الله ﷺ وقرَّبَه إليه وأدناه منه واستمع إلى قراءته القرآن وأطاب الثناءَ عليه فيها.

بعثه النبي ﷺ إلى اليمن واليـاً وداعياً ومعلِّماً، فكان عاملاً له على زَبيد وعَدَن وساحل اليمن.

وأقرَّه أبو بكر الصديق على ولاية اليمن، فبقي أميراً عليها طيلة مدة خلافته.

وكذلك ولَّاه الفاروق عمر على البصـرة، ولما حضرتْه الوفاة كتب في وصيته: ألَّا يُقَرَّ لي عاملٌ أكثر من سنة، وأقِرُّوا الأشعريَّ أربعَ سنين!.

ولما بويع عثمانُ بالخلافة أقرَّ أبا موسـى والياً على البصرة، فبقي على إمْرَتها ست سنين، فاسـتمرت ولايتُه عليها زُهاء اثنتي عشرة سنة من سنة (١٧هـ) وحتى سـنة (٢٩هـ)، حيث عُزل عنها عن أمر عثمان، وكتب عثمان إليه: (إني لم أعزلْكَ عن عجزٍ ولا خيانة).

ثم ولَّاه عثمـان على الكوفة، واستُشـهد عثمان وهـو والٍ عليها، وبويع علـي بالخلافة وغيَّر بعضَ ولاة الأمصار، وأقرَّ أبا موسـى على الكوفة.

•• فهذا الرجل الكبير قد حاز من الشرف والثناء والثقة ما لم يحظَ به إلا القلَّةُ من الأكابر، فقد ولي للنبي ﷺ وللخلفاء الراشدين الأربعة؛ وهذا من أعظم البراهين على عبقريته وكفاءته وتمام عقله وحكمته وحُسْن إدارته وقيامه بأعباء الولاية في أمصار عُرفت بكثرة القلاقل والتقلُّب على كبار الولاة وبخاصة الكوفة والبصرة.

فهل نُعرِض عن هذه الأحاديث الصحيحة والتاريخ الثابت الناصع المجيد الحافل بالمكرمات، ونستسلم لروايات تالفة ونروِّج أخباراً ساقطة رواها المتروكون وأصحاب الأهواء والبغضاء للصحابة؛ حيث رمَوا أبا موسى بالغفلة والسذاجة، وافترَوا على عليٍّ بأنه قال لأتباعه الذين اختاروا أبا موسى للتحكيم:

(إنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولِّي أبا موسى... فإنه ليس لي بثقةٍ، قد فارقني، وخذَّلَ الناسَ عنِّي، ثم هرب مني حتى آمنتُه بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نولِّيه ذلك!)[1].

وللأسف فإن ابن كثير وهو الإمام الحافظ المؤرخ روى الخبر فقال: (وأراد علي أن يوكل عبدالله بن عباس، وليته فعل!).

وفَضْلاً على أن الخبر واهٍ، فهي غمزةٌ بأبي موسى الأشعري، ما كان لهذا الإمام أن يَزِلَّ فيها، والرافضة لا يُستغرب منهم الطعن على الصحابة، أما أمثال ابن كثير فما عذرُهم؟!.

---

(١) الخبر من مرويات أبي مخنف! وهو في: تاريخ الطبري: ٥/٥١؛ المنتظم: ٥/١٢٢؛ تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤٧ـ٥٤٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧؛ مروج الذهب: ٢/٣٠٤.

ب ـ عمرو بن العاص:

•• صحابي كبير وعَلَم جليل، داهيةُ قريش ورجلُ العالَم، ومن يُضرب به المثلُ في الفِطنة والذكاء والحزم والدهاء.

هاجر إلى رسول الله ﷺ مُسْلِماً في أوائل سنة (٨هـ)، مرافقاً لخالد بن الوليد وحاجب الكعبة عثمانَ بنِ طلحة، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسلامهم، وأَمَّر عَمْراً على بعض الجيش وجهزه للغزو(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عمرو بن العاص: أنه قال: (لمَّا جَعل اللهُ الإسلامَ في قلبي، أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: ابْسُطْ يمينَك فلأُبايِعْكَ، فبَسطَ يمينَه، قال: فقبضتُ يدي، قال: «**ما لَكَ يا عَمْرو؟!**» قال: قلتُ: أردتُ أن أشترطَ، قال: «**تَشترِطُ بماذا؟**» قلتُ: أنْ يُغفرَ لي، قال: «**أَمَا علمتَ أن الإسلام يَهْدِمُ ما كان قَبْلَه؟ وأن الهجرةَ تهدِمُ ما كان قبلَها، وأن الحج يهدِمُ ما كان قبلَه؟**» وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كنتُ أُطِيقَ أن أملأَ عينيَّ منه إجلالاً له! ولو سُئِلتُ أن أصِفَه ما أطقتُ، لأنّي لم أكنْ أملأُ عينَيَّ منه. ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوتُ أن أكونَ من أهل الجنة. ثم وَلِينَا أشياءَ ما أدري ما حالي فيها! فإذا أنا مُتُّ، فلا تَصحبْني نائحةٌ ولا نارٌ. فإذا دَفنتُموني فَشُنُّوا علَيَّ الترابَ شَنّاً، ثم أَقِيموا حول قبري قَدْرَ ما تُنحرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لحمُها؛ حتى أستأنسَ بكم، وأنظرَ ماذا أُراجِعُ به رسلَ ربِّي)(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/٥٥.

(٢) صحيح مسلم (١٢١).

وقد أثنى النبي ﷺ عليه وعلى أخيه وشهِد لهما بالإيمان؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ابنا العاصِ مؤمنانِ: عَمْرو وهشامٌ**»(١).

وعن عُقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَسْلَمَ الناسُ، وآمَنَ عَمْرو بنُ العاص**»(٢)!.

وعن طلحة بن عبيد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ عَمْرو ابنَ العاصِ من صالحي قريشٍ**»(٣).

وعمرو بن العاص رضي الله عنه من المهاجرين، والمهاجرون من أولهم إلى آخرهم ليس فيهم من اتهمه أحد بالنفاق؛ بل كلهم مؤمنون مشهود لهم بالإيمان(٤).

•• وقد أمَّر النبي ﷺ عمرو بنَ العاص على جيش (ذات السَّلاسِل)(٥) سنة (٨هـ)، وفي الجيش أبو بكر وعمر وأمثالهما من عِلْية الصحابة، وحسبك بذلك جلالةً ومنزلةً لعمرٍو عند النبي ﷺ وأصحابه .

وعن عَمْرو بن العاص قال: (بَعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «**خُذْ عليكَ ثيابَك وسلاحَك، ثم ائْتِني**» فأتيتُه وهو يتوضأ، فصَعَّد فيَّ النظرَ

---

(١) أخرجه أحمد: ٣٠٤/٢، ٣٥٣؛ وابن سعد: ١٩١/٤؛ والحاكم: ٢٤٠/٣، ٤٥٢؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦)، وصحيح الجامع (٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤١٧٩)، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه الترمذي (٤١٨٠)؛ وأحمد: ١٦١/١؛ وصحَّحه الألباني بشاهديه السابقين، في الصحيحة (٦٥٣)، وصحيح الجامع (٤٠٩٥).

(٤) مجموع الفتاوى: ٦٣/٣٥.

(٥) الحديث مختصر في الصحيحين: البخاري (٣٦٦٢)؛ ومسلم (٢٣٨٤).

ثم طَأْطأَه فقال: «**إنِّي أريدُ أن أبعثَكَ على جيشٍ، فَيُسلِّمُكَ الله ويُغَنِّمك، وأَزْعَبُ لك من المال زَعْبَةً صالحةً**» قال: قلت: يا رسول الله، ما أسلمتُ من أجلِ المال ولكنِّي أسلمتُ رغبةً في الإسلام وأن أكونَ مع رسول الله ﷺ! فقال: «**يا عَمْرو، نِعْمَ المالُ الصالحُ للمرءِ الصالحِ**»)[(١)].

ـ وولَّاه النبي ﷺ على (عُمَان)، وتوفي ﷺ وعمرو عاملٌ له عليها. وكان يعلِّم أهلَها الإسلام، ويجمع الصدقات[(٢)].

يقول التابعي الجليل الفقيه النبيل قَبِيصة بن جابر: (صحبتُ عمرو ابنَ العاص فما رأيتُ رجلاً أبينَ أو أنصعَ رأياً، ولا أكرمَ جليساً منه، ولا أشبهَ سريرةً بعلانيةٍ منه)[(٣)].

●● وفي خلافة أبي بكر شارك عمرٌو في حروب الردَّة والقضاء عليها، وقد عقد له الصديق لواءً.

ولمَّا تمَّ القضاء على حركة الردَّة، كتب أبو بكر إلى عمرو ـ وكان مقيماً بقُضَاعة، وهي شمال غرب السعودية ـ يخيِّره أن يبقى حيث هو، أو يسير إلى الجهاد في الشام، وكتب إليه:

(وقد أحببتُ ـ أبا عبد الله ـ أن أفرِّغَكَ لِما هو خيرٌ لك في حياتك ومعادِك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبَّ إليك).

---

(١) أخرجه أحمد: ١٩٧/٤؛ والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)؛ وابن حبان (٣٢١١)، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط. أزعب: أي أعطيك دفعة من المال، والزعب: الدفع.

(٢) تاريخ خليفة، ص ٩٧؛ كتابي: أبو بكر الصِّدِّيق، ص ٥٤٧.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥٧/٣؛ المعرفة والتاريخ: ٤٥٨/١.

فكتب إليه عمرو: (إني سهمٌ من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها، والجامعُ لها؛ فانظر أشدَّها وأخشاها وأفضَلَها فارمِ به شيئاً إنْ جاءك من ناحية من النواحي!).

وشارك في فتوحات الشام، وكان أحدَ قادة جيوش المسلمين الأربعة هناك، وولاه أبو بكر على فلسطين[1].

●● وفي عهد الفاروق عمر كان لعمرٍو منزلة رفيعة، فكان من أمراء الفتح في الشام، ثم كان له الشرف الباذخ السائر مدى الدهر بأن سار عن أمر عمر على رأس الجيش الفاتح إلى مصر ففتحها ونشر الإسلام فيها، وله من الأجر ما لا يعلمه إلا الله في ذاك العمل العظيم الذي اشتهر به على مر التاريخ بأنه (فاتح مصر)، وبقي واليها طيلة خلافة عمر!.

●● وفي خلافة عثمان بقي عَمْرٌو والياً على مصر مدة طويلة فأحسنَ السياسةَ على عادته، وتألَّب عليه السبئيون بعدما ضاقوا ذرعاً من قبضته على شؤون البلاد ومحاصرته لهم وملاحقته فلولَهم وإبطاله مؤامراتهم! فحاولوا الوشاية به عند أمير المؤمنين عثمان، فقطع ذو النورين دابرَ الفتنة فاستقدم عَمْراً إلى المدينة وولّى على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح.

هذه مكانة عَمْرو عند النبي ﷺ، وتلكم هي سيرته وأخلاقه وشمائله وهديه وإيمانه وورعه ونُبله ومؤهلاته الفذة كما جاءت في

---

(١) انظر كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٥٣١، ٦٤٣، ٦٧٨.

السُّنَّة الصحيحة، وهذه هي منزلته عند الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان؛ حيث ولي الولايات وقاد الجيوش وفتح الفتوح وساس العباد، وما كان في سيرته ما يُعاب إلا ما افتراه السبئيون وكتبه المفترون من الرواة.

ويكاد (التاريخ المكذوب) لا يَذكُر عن (عَمْرو المؤمن المهاجر الصحابي الأمير الفاتح المجاهد)؛ إلا أنه مخادعٌ خبير، وماكِرٌ كبير، ومقامرٌ بمصالح الإسلام والمسلمين، وحريص على الرئاسة والولاية والمنصب والمال، وقد حاكَ في سبيل ذلك المؤامراتِ وارتكب الجنايات!.

هذه هي (الصورة النمطية) التي قمَّشها أبو مِخْنَف ونصر بن مزاحم والكلبي وأمثالهم، ونقلها الطبري والمسعودي واليعقوبي، ثم ابن الجوزي وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير والذهبي وغيرهم... حتى وصلت إلى أقلام الفتَّانين والغُثائيين والمغرِضين من الكتّاب المعاصرين، ونشروه بين العامة والخاصة وفي مختلِف المنابر الإعلامية والكتب المدرسية، بعد أن غامَ وجهُ الحق والحقيقة، وغزا التاريخُ المشوَّه لرجالاتنا عقولَ أبنائنا، وأصبح مَن يتصدى لكشف تلك الأكاذيب كأنه يفعل شيئاً نُكْراً!.

وما ذكرتُه هنا هو نبذة مختصرة مضيئة في خِضمّ الروايات المظلمة، لذَيْنَك الصحابيين الإمامين الجليلين اللذين أُنيطت بهما (قضية التحكيم)، وتم تفويض أمر الأمة إليهما؛ لتكون هادياً للقارئ في فهم ما يقومان به، ومِسْباراً للروايات الكثيرة حول هذا الحدث الجليل.

٤ ـ نص وثيقة التحكيم:

روى نص الوثيقة أبو مِخنف ونَصْر بن مُزاحم وإسماعيل التَّيْمي والبَلاذُرِيّ، وجاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان؛ قاضى عليٌّ على أهل العراق ومَن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين: إنَّا ننزِل عند حكم الله ﷻ وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله ﷻ بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحيى ونُميت ما أمات.

فما وجد الحَكَمان في كتاب الله ﷻ ـ وهما: أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس، وعمرو بن العاص القرشي ـ عَمِلا به، وما لم يَجِدا في كتاب الله ﷻ فالسُّنَّة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخذ الحَكَمان من عليٍّ ومعاوية ومن الجندَيْن من العهود والمواثيق والثقة من الناس؛ أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه. وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقُه أنَّا على ما في هذه الصحيفة، وأنْ قد وجبتْ قضيتهما على المؤمنين، فإن الأمن والاستقامة ووضْعَ السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وشاهدِهم وغائبِهم.

وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يَحكُما بين هذه الأمة، ولا يَرُدَّاها في حرب ولا فُرقة حتى يُعصَيا، وأجَلُ القضاء إلى رمضان، وإنْ أحبَّا أن يؤخِّرا ذلك أخَّرا على تراضٍ

منهما. وإنْ توفي أحدُ الحكمين فإن أميرَ شيعته يختار مكانه، ولا يألو من أهل المَعْدلة والقِسط. وإنَّ مكانَ قضيتهما الذي يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل العراق وأهل الشام. وإنْ رضيا وأحَبَّا فلا يَحضرهما فيه إلا من أرادا، ويأخذ الحَكَمان من أرادا من الشهود، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصارٌ على مَن ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيه إلحاداً وظُلماً.

اللَّهمَّ إنَّا نستنصرُك على مَن تَرَكَ ما في هذه الصحيفة)[1].

وشهد من أصحاب علي: عبدالله بن عباس والأشعث بن قيس وحُجْر بن عَدي وآخرون.

وشهد من أصحاب معاوية: حَبيب بن مَسْلَمة وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وأبو الأعور السُّلَمي وغيرهم.

أ ـ وقفات مع الوثيقة ومضامينها:

١ ـ جاء في بعض الروايات أن الوثيقة افتُتِحتْ بوصف علي بأنه أمير المؤمنين: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه عليٌّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتُبْ اسمَه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأميرنا! فقال الأحنف: لا تكتبْ إلا أمير المؤمنين، فقال عليٌّ: امْحُ «أمير المؤمنين»، واكتب: هذا ما قاضى عليه

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥٣ـ٥٤؛ المنتظم: ٥/١٢٢ـ١٢٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧؛ الثقات، لابن حبان: ٢/٢٩٣ـ٢٩٤؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٥٣٨ـ٥٤٤.

علي بن أبـي طالب. ثم استشـهد علي بقصـة الحديبية حيـن امتنع المشركون من قبول كتابة: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله...)[١].

ويؤيد هذه الروايةَ حديثٌ صحيح أخرجه النسـائي وغيره؛ في قصة مناظرة عبدالله بن عباس للخوارج، قال ابن عباس: (وأَمَّا مَحْيُ نفسِه من أمير المؤمنين: فأنا آتيكم بما ترضَون؛ إن نبيَّ الله ﷺ يوم الحُديبية صالَحَ المشـركين، فقال لعلـيٍّ: «**اكتُـبْ يا عليُّ: هـذا ما صالـح عليه محمد رسول الله**»، قالوا: لو نَعلمُ أنك رسول الله ما قاتلناك! فقال رسول الله ﷺ: «**امحُ يا علي... واكتُبْ: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله**») الحديث[٢].

وفي هـذا فقهٌ عظيم من أميـر المؤمنين علـي رضي الله عنه، ورغبةٌ صادقة وحرصٌ تام على الصلح وحقنِ دماء المسلمين، وردٌّ على مَن يزعم أن عليّاً أُكرِه على التحكيم وأنه كان يرى خيار القتال والاستمرار فيه حتى النهاية.

٢ ـ عند كتابـة (صلـح الحديبية) ورفـضِ علـيٍّ أن يمحوَ صفة النبي ﷺ: (محمد رسـول الله)، أشـار الحديث النبوي إلى أنه سيكون لعليٍّ مثلُ هذا الموقف، فعندما قيل له: امحُ: محمد رسول الله، قال علي: (لا واللهِ لا أَمْحُها! فقال رسول الله ﷺ: «**أَرِني مكانَها**»، فأَرَيْتُه، فمحَاهَا، وقال: «**أَمَا إنَّ لك مثلها، ستأتِيها وأنت مُضطرٌّ!**»)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧.

(٢) السـنن الكبـرى، للنسـائي (٨٥٢٢)؛ وعبدالـرزاق (١٨٦٧٨)؛ والحاكـم: ٢/١٥٠ ـ ١٥٢، وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٥٢٣).

فكان في هــذا الموقف توطئــةٌ لأمير المؤمنين علــي وترغيبٌ له بالتنازل عــن بعض رأيه، وحضٌّ له على قبــول الصلح والتحكيم حقناً لدماء المسلمين، ولله تعالى في تقلبات الأحوال حِكَم وأمثال!.

٣ ـ وفي نــص الوثيقة دليلٌ واضح على ســلامة التحكيم وحياده، ورغبة الطرفين في الصلح، والتسامح في شروطه متمثلاً في موقف علي من رفضِ عمرٍو كتابة: (علي أمير المؤمنين)؛ فتسامح علي في هذا رغبةً في إمضاء الاتفاق ورجاءً لتمام الصلح.

٤ ـ عمدةُ الوثيقــة وأساسُــها ومرجعيتُها الكتاب الكريم والسُّــنَّة الشريفة، إليهما يرجع المســلمون في حالات السلم والحرب، والوفاق والخلاف، وهذا يؤكــد رغبةَ الفريقين في حل مســألة النــزاع، التزاماً بتوجيهات هذه المرجعية من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشــورى: ١٠]، وقــول النبــي ﷺ: «**عليكــم بالجماعة، وإياكم والفُرقة**»[1].

٥ ـ ثقة الطرفيــن بالحَكَميــن، وأنهما مؤتمنان علــى قضية الأمة ومفوَّضان فــي الحكم بما يُصلح حالها ويجمــع كلمتها، والتأكيد على أهليتهما وكفاءتهما ونُصحهما في معالجة هذا الأمر الخطير، ويدل على ذلك ما جــاء في الوثيقــة؛ (وأَخذ الحكَمــان من علــي ومعاوية ومن الجندَيْن مــن العهود والمواثيــق: أنهما آمنان على أنفســهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه...).

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه أحمد (١١٤، ١٧٧)؛ والنسائي في الكبرى (٩١٧٥)؛ والترمذي (٢٣٠٤) وقال: حسن صحيح غريب.

٦ ـ أعطت الوثيقة مدة طويلة نحو (٨ أشهر) لاجتماع الحكمين ومعهما رجال من الفريقين، وفي هذا رغبة صادقة وسعي جميل في إطالة مدة السلم والهدوء وإلقاء السلاح وتهدئة النفوس ومراجعة الأحداث والنظر في عواقب الخلاف، والاستفادة من وقع الآلام التي جرحت جسم الأمة؛ وهذه العوامل متعاضدة تدفع في اتجاه قبول الصلح والتحكيم.

٧ ـ لم يُذكَر في الوثيقة مسألتان كبيرتان: **الأولى**: خلافةُ علي وبيعتُه من قِبل أهل الشام، **والثانية**: المطالبةُ بإقامة حدِّ القصاص على قتلة عثمان ـ وفي طيِّ ذِكْرهما تأكيدٌ على حرص الفريقين على الصلح ووحدة الكلمة وجَمْع الصف، فإن إثارتهما ستعيد الخلاف من جديد، ولن يصل الحكمَان إلى نتيجة حاسمة. وهذا من عوامل التوفيق في صياغة الوثيقة ونُبْل مقصد من سعى إليها وأيَّدها، حيث تُركت المسائل الخلافية إلى رأي أعلام الصحابة.

ب ـ تاريخ التحكيم ومكانه ورجاله:

●● كتبت وثيقة التحكيم يوم الأربعاء في (١٧ صفر سنة ٣٧هـ)، ويكون الاجتماع للتحكيم في رمضان من السنة نفسها. وذكر بعضهم أن الحكومة كانت في رمضان من سنة (٣٨هـ)، وهو غلط[١].

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٢؛ تاريخ الطبري: ٥/٥٤، ٦٧؛ المنتظم: ٥/١٢٣؛ البداية والنهاية: ٧/٢٧٧، ٢٨٢. وانظر: طبقات ابن سعد: ٣/٣٣؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/٩١؛ مروج الذهب: ٢/٣٠٧.

واجتمع الحكمـــان في بلدة (أَذْرُح)، كما ذكـــره غير واحد ورجَّحه ياقــوت الحموي، وأذرح: بلدة فـــي الجنوب الغربي مـــن الأردن قرب البتراء. ويقال: في (دُومة الجَنْدَل) وتقع في أقصى شمال السعودية.

•• واجتمـــع الحكمان في الوقت المتفق عليـــه (بأَذرُح)، ومع كل منهما رجال كثيـــر: فبعث علـــي (٤٠٠ رجل) عليهم شُـــريح بن هانئ الحارثي، وفيهم أبو موســـى الأشـــعري، وبعث معهم عبدالله بن عباس وهو يصلي بهـــم ويلي أمورهـــم. وبعث معاوية عمرو بـــن العاص في (٤٠٠ رجل) من أهل الشام.

وشهد معهم: عبدالله بن عُمر وعبدالله بن الزبير والمغيرة بن شعبة في جماعة كثيرة. وروي أن سعد بن أبي وقّاص شهد التحكيم، وهو غلط[١].

٥ ـ حقيقة ما جرى في التحكيم، وأكاذيب الرواة والأخبار:

•• اجتمع الحكمـــان وتراوضا على المصلحة للمســـلمين، واتفقا علـــى أن (أمرَ الخلافـــة وإمامة المســـلمين) يُترك النظر فيهـــا إلى كبار الصحابة وأعيانهم، ويكون الأمر شـــورى بين المســـلمين. وقد أشـــار أبو موسى بعبدالله بن عُمر بن الخطاب، فأبَى عمرو بن العاص وطلب من أبي موســـى أن يقرَّ ابنَه عبدالله بن عمرو، فأبى أبو موسى ذلك لأن عبدالله كان مع أبيه في جند معاوية، ومع ذلك أثنى عليه خيراً[٢].

---

(١) تاريخ الطبـــري: ٦٧/٥؛ المنتظـــم: ١٢٦/٥؛ البداية والنهايـــة: ٢٨٢/٧ـ٣٨٣؛ مروج الذهب: ٣٠٧/٢.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة: ٧١٦/٣.

رشَّح أبو موسى الصحابيَّ الجليل عبدَ الله بنَ عمر ليقومَ بأمر الخلافة، كما ثبت ذلك في خبر صحيح؛ عن نافع مولى ابن عمر قال: (لمَّا قدِم أبو موسى وعَمرو بن العاص أيام حُكِّمَا، قال أبو موسى: لا أرى لهذا الأمر غيرَ عبدالله بن عمر، فقال عمرٌو لابنِ عمر: إنا نريد أن نُبايعَكَ، فهل لك أن تُعطى مالاً عظيماً على أن تَدَعَ هذا الأمر لمن هو أحرصُ عليه منك؟ فغضب ابن عمر فقام، فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال: يا أبا عبدالرحمن، إنما قال: تُعطِي مالاً على أن أبايعك، فقال ابن عمر: ويحكَ يا عمرو! قال عمرو: إنما قلتُ: أجرِّبك! فقال ابن عمر: لا والله لا أُعطِي عليها شيئاً، ولا أُعطَى ولا أَقبلها إلا عن رضاً من المسلمين)[1].

وأبَى ابنُ عمر أن يتولَّى الخلافة في ظروف اختلاف الأمة، وأكَّد أنه لا يقبلها إلا عن إجماع المسلمين، ولما قيل له: (إنك لو شئتَ ما اختَلَف فيك اثنان، قال: ما أحبُّ أنها أتتني ورجلٌ يقول: لا، وآخر يقول: نعم).

وقال له آخر: (لو أقمتَ للناس أمرَهم، فإن الناس قد رضوا بك كلّهم! فقال لهم: أرأيتم إنْ خالَفَ رجل بالمشرق؟!)[2].

●● وروى الدارَقُطْني بسنده عن الحُضَيْن بن المنذر ـ وهو من خواصِّ أمير المؤمنين علي الذين حاربوا معه ـ قال: (لمَّا عَزل عمرٌو معاويةَ، جاء ـ أي: حُضين بن المنذر ـ فضَرب فُسطاطه قريباً من

---

(١) حلية الأولياء: ١/٢٩٣ ـ ٢٩٤، وإسناده صحيح؛ وهو في سير أعلام النبلاء: ٣/٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤/١٥١، والأسانيد صحيحة، وانظر: ٤/١٦٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

فسطاط معاوية، فأرسل إليَّ فقال: إنه بَلَغني عن هذا ـ أي: عن عمرو ـ كذا وكذا[١]، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه. فأتيتُه فقلت: أخبرْني عن الأمر الذي وليتَ أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلتُ لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أَرى أنه في النَّفَر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إنْ يستعِنْ بكما ففيكما معونةٌ، وإنْ يستغنِ عنكما فطالَما استغنَى أمرُ الله عنكما! قال: فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسَه. فأتيتُه فأخبرته ـ أي: أتى حُضين معاويةَ فأخبره ـ أن الذي بَلَغه عنه كما بَلَغه)[٢].

•• هذا ما جرى في (مسألة التحكيم)، أما ما يرويه الأخباريون كأبي مِخْنَف ونَصْر بن مُزاحم وصاحب (الإمامة والسياسة)[٣]، ونقله الطبري والبَلاذُرِيّ وأبو حنيفة الدِّيْنَورِي واليعقوبي والمسعودي وآخرون، ثم من جاء بعدهم كابن الجوزي وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير والذهبي وغيرهم ـ قالوا:

قدَّم عمرو بن العاص أبا موسى ليتكلم بما اتفقا عليه، فتقدَّم أبو موسى فقال: (أيها الناس، إنَّا نظرنا في أمر هذه الأمة؛ فلم نرَ أصلَحَ

---

(١) أي: إن أبا موسى وعمراً لم يعزلا، ولم يوليا، ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة.

(٢) العواصم من القواصم، ص ١٨٠.

(٣) منسوب كذباً وزوراً للإمام ابن قتيبة.

لأمرها ولا أَلَمَّ لشعَثِها، من أمرٍ قد أجمع رأيـي ورأيُ عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، وتســتقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولُّوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قــد خلعتُ عليّاً ومعاوية، فاســتقبِلوا أمركم، وولُّوا عليكم مَن رأيتموه لهذا الأمر أهلاً. ثم تنحَّى.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال: إن هذا قد قال ما ســمعتم وخلَــع صاحبَه، وأنا أخلع صاحبــه كما خلعه، وأُثبِتُ صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالبُ بدمه، وأحقُّ الناس بمقامه).

فقال أبو موســى: (ما لــكَ؟! لا وفَّقكَ الله، غــدرتَ وفجرتَ، إنما مَثَلُك كمثلِ الكلب إنْ تحملْ عليه يَلهثْ أو تتركْه يلهثْ!.

قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً!).

وتمــادت هــذه الرواية التــي افتراهــا أبو مخنــف، فنَقلتْ مهاتـراتٍ للصحابة، وشتائمَ بعضهم بعضاً، وأن عليّاً كان يقنتُ ويلعنُ معاويةَ وعَمْــراً وجماعةً من جند معاويــة، فبَلَـغ ذلــك معاويةَ، فردَّ بالمثل فــكان يقنتُ ويلعــن عليّاً وابن عباس والحســن والحســين والأشتر[1]!.

---

(١) انظر: تاريخ الطبــري: ٥/٨٥ـ٥٩، ٦٧ـ٧١؛ المنتظــم: ٥/١٢٦ـ١٢٨؛ تاريخ الإســلام ـ عهــد الخلفــاء الراشــدين، ص ٥٤٨ـ٥٥١؛ البدايــة والنهايــة: ٧/٢٨٣ـ٢٨٤؛ الإمامة والسياســة، ص ١٢٨ـ١٣٢؛ أنساب الأشراف (ترجمة علــي)، ص ٣٥٠ـ٣٥١؛ الأخبار الطــوال، ص ١٩٩ـ٢٠١؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/٩٠؛ مروج الذهب: ٢/٣٠٨ـ٣١١.

وزاد المعثَّر أبو مخنف الأمرَ بجاحةً وزوراً وكذباً، فأخرج من (كيسه) رواية زجَّ فيها بابن عباس في أَتون افتراءاته في هذه القضية الخطيرة، ورمى أبا موسى بالغفلة وعمرو بنَ العاص بالغدر، قال أبو مخنف:

(فتقدم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابن عباس: وَيْحكَ! والله إني لأظنُّه قد خَدعَك، إنْ كنتما قد اتفقتما على أمر فقدِّمْه فليتكلَّمْ بذلك الأمر قبلك، ثم تكلَّمْ أنت بعده؛ فإن عَمْراً رجلٌ غادرٌ! ولا آمَنُ أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمتَ في الناس خالَفَك ـ وكان أبو موسى مغفَّلاً! ـ فقال له: إنا قد اتفقنا)[1].

●● **وعلاوة على وهاءِ تلك الروايات وبطلانها؛ لأن رواتها متهمون وهي مرسَلات ومنقطِعات لا تبلُغ درجةَ الضعيف فضلاً عن المقبول أو الحسن ـ فقد غالَطَ الناسُ قديماً وحديثاً في فهم (قضية التحكيم)، وقالوا: إن أبا موسى وعَمْراً اتفقا على خَلْع علي ومعاوية، فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية.**

وأصل المغالطة من تجاهل المغرضين المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذٍ خليفة، ولا هو ادعى الخلافة، حتى يحتاج أبو موسى إلى خلعها عنه، وأن يثبتها عمرو له دون علي!.

والحق أن أبا موسى وعَمْراً اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. واتفاقُ الحكمين على هذا

(١) تاريخ الطبري: ٥/٧٠؛ المنتظم: ٥/١٢٧.

لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة، ولم يقاتِل على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة؛ تناول التحكيم شيئاً واحداً هو (الإمامة والخلافة)، وأما التصرف العملي في إدارة البلاد، فعليٌّ متصرف في البلاد التي تحت حكمه، وكذا معاوية متصرف في البلاد التي تحت ولايته.

فالتحكيم لم يقع فيه خداعٌ ولا مكرٌ، ولم تتخلَّله بلاهة ولا غفلة، وكان يمكن أن يكون محلًّا للمكر والغفلة لو أن عَمْراً أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولَّى معاويةَ خلافة المسلمين، وهذا لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، رضي الله عنهما، ولم يقل به أحد في الأربعة عشر قرناً الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سُمِّي معاوية أمير المؤمنين، وسُمِّي ذلك العام ـ وهو عام (٤١هـ) ـ عامَ الجماعة؛ لاجتماع الكلمة على معاوية.

والذين يتهمون عَمْراً بالمكر والخديعة والمراوغة يفترون على هذا الصحابي الجليل، الذي امتدحه النبي ﷺ فقال: «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**»! وهذه الشهادة النبوية لا تكون إلا لرجل قد ملأ الإيمان قلبه، وختم له بالحسنى والعمل الصادق الصالح؛ فأين من هذا قول من يشكك في نيَّة عمرو وصدقِ مسعاه؟!.

إن عمراً لم يغالِط أبا موسى ولم يخادِعْه، ولم يعطِ معاوية شيئاً جديداً، ولم يقرِّر في التحكيم غير الذي قرَّره أبو موسى، ولم يخرج

عما اتفقا عليه معاً، فقد بقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يدِ عليٍّ كما كانت من قبل، كما بقيت الشام وما يتبعها تحت يد معاوية، أيضاً كما كانت من قبل، وتعلَّق أمرُ الخلافة بما سيكون من اتفاق رؤوس الصحابة عليها. وإذا كانت هذه النقطة الأخيرة لم تتم فما في ذلك تقصير من أبي موسى ولا من عمرو، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اقتناعهما واجتهادهما، ولو لم تكلفهما الطائفتان بهذه المهمة لَمَا تعرَّضا لها، ولا أبديا رأياً فيها.

وقد هزئ مؤرِّخو الإفك المفترى بعقول قرائهم، وأوهموهم أن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وأن اتفاق الحَكَمين كان على خلعهما معاً، فخلعهما أبو موسى، وأما عمرو فمكر به إذ قدمه للكلام أولاً، وخلع عليّاً وأثبت معاوية، وهذا إفك وبهتان وكذب وافتراء[1].

•• وزاد الوضاعون الأمر سوءاً فافتروا على رسول الله ﷺ حديثاً بشأن الحَكَمين، فرووا عن سُويد بن غَفَلَة قال: (إني لأمشي مع علي بشطِّ الفرات، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بني إسرائيل اختلَفوا، فلم يَزَل اختلافُهم بينهم حتى بعثوا حَكَمين، فَضَلَّا وأضَلَّا. وإن هذه الأمة ستختلف، فلا يزال اختلافُهم بينهم حتى يبعثوا حَكَمين فيَضِلَّان ويُضِلَّان مَن اتبعهما»!).

---

(١) انظر كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٦٠١ ـ ٦٠٣؛ تعليقات محب الدين الخطيب على: العواصم من القواصم، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

يقول ابن كثير: (حديث منكَر، ورفعُه إلى رسول الله ﷺ موضوع، إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين، حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس كما نطق به هذا الحديث)[١].

والحكمان أبو موسى وعَمْرو من فضلاء الصحابة ونُبلائهم وأشرافهم وأمرائهم، وقد نُصِّبَا وحُكِّمَا ليُصلحا بين الناس ويتفقا على أمرٍ فيه رفقٌ بالمسلمين وحقن لدمائهم، وكذلك وقع، ولم يَضِلَّ بسببهما إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على عليٍّ ومعاوية، وخرجوا عليهما وكفّروهما، حتى قاتلهم علي رضي الله عنه[٢].

●● **ومن المرارة أن طرفاً من تلك (الروايات التالفة) قد تسللت إلى (بعض كتب الحديث)؛ فهذا عبدالرزاق الصنعاني يروي في «مصنَّفه»**، عن شيخه مَعْمر بن راشد، عن الزهري (تلك المهاترات بين أبي موسى وعمرو)، والمشاتمات بينهما والاتهام بالمكر والغدر والخيانة[٣]!.

والخبر من (مرسَلات الزهري)، ومرسلاتُه ليست بشيء كما قال نقاد الحديث وجهابذته مثل يحيى بن سعيد القطّان ويحيى بن معين وغيرهما[٤].

---

(١) البداية والنهاية: ٦/٢١٥ـ٢١٦، ٧/٢٨٥. والحديث آفته زكريا بن يحيى الكندي الأعمى، قال ابن معين: ليس بشيء. وله رواية أخرى عن أبي موسى الأشعري، وهي باطلة أيضاً فيها راوٍ مجهول وآخر متروك. انظر: مجمع الزوائد: ٧/٢٤٥ـ٢٤٦.

(٢) البداية والنهاية: ٦/٢١٦.

(٣) مصنف عبدالرزاق: ٥/٤٦٤ـ٤٦٥.

(٤) قواعد في علوم الحديث، للتهانوي، ص ١٥٦.

والعجب أيضاً من الحافظ الناقد ابن كثير، ومن صديقه وشيخه الإمام الجهبذ النقاد الحافظ الذهبي كيف صدَّقا تلك الفرية، فقال الذهبي في أحداث سنة (٣٧هـ) من كتابه «العِبر»: (وفي رمضان: اجتمع أبو موسى الأشعري ومَن معه من الوجوه، وعَمْرو بن العاص ومن معه من الوجوه، بدُومة الجَنْدل للتحكيم، فلم يتفقا لأن عَمْراً خَلَا بأبي موسى وخَدَعه!). وقال في كتاب آخر: (فمكَر به عَمْرٌو وخَدَعه)[١].

وتابعه ابن كثير فقال في ترجمة أبي موسى: (وكان أحدَ الحَكَمين بين علي ومعاوية، فلما اجتمعا خَدَع عَمْرو أبا موسى!)[٢].

هذا حال أئمتنا الحفاظ النقاد، فما ظنُّك بالأخباريين والجمّاعين؟!.

واقرأ هذه العبارة لأحدِ كتّابنا المعاصرين، لترى فداحةَ الخَطْب الذي ابتُلي به المسلمون وتاريخُهم ورجالاتهم العظام، على أيدي من يوصفون برجال الفكر والثقافة والبحث! يقول عبدالكريم الخطيب تحت عنوان (ما بعد التحكيم):

(فالحَكَمان اللذان ارتضاهما المسلمون ليحكُما بكتاب الله، قد خانا عليّاً ومعاوية معاً، فلم يَضَعا كلَّ واحد منهما بموضعه! بل إنهما خانا كتاب الله، ولم يقضيا به، حين سوَّيَا بين أول الناس إسلاماً[٣] وآخرِ قريش دخولًا في الإسلام[٤]، ثم بين المهاجر والطَّليق، وبين من لم يضرب بسيفه إلا في

(١) العبر: ١/٣١؛ معرفة القرّاء الكبار: ١/٤٠.

(٢) البداية والنهاية: ٨/٦٠.

(٣) يعني عليّاً.

(٤) يعني معاوية.

سبيل الله ومَن ضَرب بسيفه في وجوه المؤمنين بالله! ثم لم يَرْعَيا ما لقرابةِ رسول الله والصِّهر إليه، من حق في ترجيح الأكفاء والنظراء)[1].

وقد تقدم منا الردُّ على مثل هذا (الكلام المَوْتور) بحقِّ الصحابة، ونترك هذا الرجل وأضرابَه إلى الله ليحاسبَهم بسوء كتاباتهم التي تطعن على صحابة نبينا ﷺ.

•• وضمن ركام **تلك الروايات** والكتب وأعمال المؤرخين والكتّاب قديماً وحديثاً، وتلك الظلمات من الافتراءات والأباطيل ـ **ينبثق شعاع صادق مخلص يقوى مع الزمن، يحمل أعباءَه كتّاب مخلصون غيورون، يبدِّدون مظالم التاريخ وظلمات الروايات وزيوف الكتّاب**، وهو يشبه ضياء الفَجْر عندما يتنفس الصبح ويمحو ظلام الليل الدامس إيذاناً بشروق الشمس التي تكشف الحقائق أمام كل من على عينيه غشاوة!.

٦ ـ نتائج التحكيم، وحال الحكمين، ووضع الفريقين:

•• انتهى الاجتماع في (أَذْرُح) وقد اتفق الحكمان على أن يُترك النظر في أمر (الخلافة) إلى أكابر الصحابة وشورى المسلمين كما قدمنا، ولم يُحسم الخلاف بين الفريقين بسبب صعوبة الحل بشأن المسألتين المختلَف عليهما: (بيعة أهل الشام للخليفة) و(إقامة الحد على قتلة عثمان)، وما يترتب على البتِّ فيهما من نتائج خطيرة على الطرفين.

---

(١) كتابه: علي بن أبي طالب، ص ٥١٣، وقد تجاوز فيه مفتريات الرافضة!.

ـ وجاء في رواية أبي مخنف، عن شيخه أبي جَنَاب الكَلْبي، بعد ذِكْر المكر والخديعة من عمرو، والسذاجة والغفلة من أبي موسى: أن أبا موسى انكسر واستحيى من علي، فركب راحلته ولحِق بمكة، والتمسه أهل الشام فما وجدوه، وانصرف عمرٌو وأهل الشام إلى معاوية وسلّموا عليه بالخلافة[١]!.

وأبو مخنف: لا يوثَق به، وأبو جناب: ضعَّفوه لكثرة تدليسه، والخبر مُعْضَل فعند حادثة التحكيم لم يكن أبو جَنَاب قد خُلق بعدُ. هذا مع بطلان المَتْن كما قدمنا، لأن معاوية لم يُبايَعْ بالخلافة إلا بعد استشهاد علي.

ـ وروى أبو مخنف أيضاً: أن عليّاً بعد الفراغ من التحكيم خطب أتباعه فقال: (أَلَا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكَمَين، قد نَبذا حكمَ القرآن وراء ظهورهما، وأحيَيَا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكَما بغير حجة بيِّنة ولا سُنَّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يَرشد، فبرئ اللهُ منهما ورسولُه وصالح المؤمنين. استعِدُّوا وتأهَّبوا للمسير إلى الشام، وأصبِحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين. ثم نزل)[٢].

ونقل مثلَه المسعودي، وزاد: (مَن دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله، ولو كان تحت عمامتي هذه!)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٧١/٥؛ المنتظم: ١٢٨/٥؛ البداية والنهاية: ٢٨٤/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٧٧/٥.

(٣) مروج الذهب: ٣١٢/٢.

ونحوه في «الإمامة والسياسة»[١]، وعنه نقل عبد الكريم الخطيب[٢].

وكل ذلك من الباطل الذي يترفع عنه أمير المؤمنين علي، وتأباه سيرة الحَكَمين الجليلين، وتدحضُه الروايات الصحيحة الثابتة من هديهما، وما صَحّ عن علي من قبوله التحكيم والحكمين كما فصَّلنا القول فيه.

والأكاذيب في هذا الباب كثيرة يكفي ما مثَّلْنا به، وما أَصَّلناه من حقائق لتكونَ مِسْباراً وميزاناً يُوزن به الرواة والروايات.

●● **وقد حضر عبد الله بن عمر بن الخطاب يومَ التحكيم بتشجيع من أخته أم المؤمنين حفصة، وكذلك حضره معاوية، ولم يحضر أمير المؤمنين علي.** وبعد انتهاء اللقاء بين الحكمين وما نتج عن تحاورهما، كان بين ابن عمر ومعاوية موقف رواه البخاري وغيره:

عن ابن عمر قال: (دخلتُ على حفصة ونَوْساتُها تَنْطُف، قلتُ: قد كان من أمر الناس ما تَرَيْنَ، فلم يُجعل لي من الأمر شيء! فقالت: اِلْحَقْ فإنهم ينتظرونكَ، وأخشى أن يكون في احتباسِكَ عنهم فُرْقة. فلم تَدَعْه حتى ذهب. فلما تفرّق الناس خطب معاوية فقال: مَن كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فَلْيُطْلِعْ لنا قَرْنَه، فَلنحنُ أحقُّ به منه ومن أبيه! قال حبيب بن مَسْلَمة: فهلَّا أجبتَه؟ قال عبد الله: فحَلَلْتُ حُبْوَتي وهممتُ أن أقول: أَحقُّ بهذا الأمر منك مَن قاتَلَك وأباكَ على

---

(١) ص ١٣١.

(٢) كتابه: علي، ص ٥١٣_٥١٥.

الإسلام، فخشِيتُ أن أقولَ كلمةً تفرِّقُ بين الجمع وتَسْفِكُ الدم ويُحمَل عنِّي غيرُ ذلك، فذكرتُ ما أَعَدَّ الله في الجِنَان! قال حبيبٌ: حُفِظْتَ وعُصِمْتَ)[١].

ومرادُ ابنِ عمر من قوله: (لم يُجعل لي من الأمر شيء): أنه يوم اجتماع الناس على الحكومة بينهم فيما اختلفوا فيه، فراسلوا بقايا الصحابة في الحرمين وغيرهما، وتواعدوا على الاجتماع لينظروا في ذلك، فشاور ابنُ عمر أخته في التوجه إليهم أو عدمه، فأشارت عليه باللحاق بهم خشية أن ينشأ من غيبته اختلافٌ يُفضي إلى استمرار الفتنة.

وقد كان معاوية يرى في الخلافة تقديمَ الفاضل في القوة والرأي والمعرفة على الفاضل في السبق إلى الإسلام والدين والعبادة، فلهذا أَطلق أنه أحقُّ. ورأيُ ابنِ عمر بخلاف ذلك، وأنه لا يُبايَع المفضولُ إلا إذا خُشي الفتنة، ولهذا بايع بعد ذلك معاوية، ثم ابنَه يزيد ونَهى بَنيه عن نقض بيعته، وبايع بعد ذلك لعبد الملك بن مروان[٢].

•• **وبقيت أوضاع الدولة على حالها: علي خليفة المسلمين، ومعاوية أمير الشام، ولم يبايَع معاوية بالخلافة إلا بعد استشهاد علي على يد الخوارج**، وكانت بيعته في بيت المقدس في شهر رمضان سنة (٤٠هـ)، بعد وصول خبر استشهاد علي رضي الله عنه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٨)؛ وعبد الرزاق: ٥/٤٦٥ـ٤٦٦، وغيرهما. **نوساتها**: ذوائبها. **تنطف**: تقطر ماء.

(٢) الفتح: ٩/٣٨١، ٣٨٢، شرح الحديث (٤١٠٨).

(٣) البداية والنهاية: ٨/١٣١؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٤٧٧.

وجاء في «تاريخ خليفة»: أن أهل الشام بايعوا معاويةَ بالخلافة في ذي القعدة من سنة (٣٧هـ)، وكذا رواه الطبري عن أبي مِخْنَف، ورجَّحه الذهبي في «تاريخه»[١].

وهذا لا يصحُّ البتَّةَ، بل الصواب أن بيعة معاوية بالخلافة كانت سنة (٤٠هـ)، وصالَحه الحسنُ بن علي وتنازل له عن الخلافة بعد ستة أشهر، من عام الجماعة سنة (٤١هـ)[٢].

•• وروى أبو مِخْنف ونَصْر بن مزاحم وغيرهما: أنه لمَّا تفرق الناس إلى بلادهم من صفِّين، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع علي إلى الكوفة على طريق هيت، فلما دخل الكوفة سمع رجلاً يقول: ذهب عليٌّ ورجع في غير شيء! فقال علي: لَلَّذين فارقناهم خير من هؤلاء، وأنشأ يقول:

أخوكَ الذي إنْ أَجْرَضَتْكَ مُلِمَّةٌ ... من الدهرِ لم يَبرحْ لِبَثِّكَ واجِما
وليس أخوكَ بالذي إنْ تشعَّبَتْ ... عليكَ الأمورُ ظلَّ يَلْحَاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة بالكوفة. **ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من (اثني عشر ألفاً) وهم الخوارج**، وأبَوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له: (حَرُورَاء)، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها[٣].

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٢؛ تاريخ الطبري: ٧١/٥؛ تاريخ الإسلام، للذهبي، ص ٥٥٢.

(٢) البداية والنهاية: ١٣١/٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٦٢/٥ ـ ٦٣؛ البداية والنهاية: ٢٧٩/٧. **أجرضَتْك**: أغصَّتْك. **يَلْحاك**: يلومك.

وذكر ابن سعد من طريق الواقدي: أنه بعد الذي جرى بين الحكمين، افترق الناس فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف والدَّغَل، فخرجتْ عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: لا حُكْمَ إلا لله، وعسكروا بِحَرُورَاءَ فبذلك سُمُّوا (الحَرُورِيَّة)[1].

•• وبالجملة فإن جيش أمير المؤمنين علي قد تضعضع وحدثت فيه انقسامات خطيرة؛ وذلك لسببين: الأوّل: مخالفة السبئية وقتلة عثمان عليه. الثاني: معارضة القرّاء ـ الذين صاروا خوارج ـ للتحكيم وخروجهم عليه وقتاله لهم.

أما الفريق الأول من السبئية وقتلة عثمان: فأشدُّ ما كان يُخيفهم هو الصلحُ بين علي ومعاوية، لأنه يعني توقف القتال والتفرغَ لهم والإحاطة بهم وقطْعَ فتنتهم، ومن ثم أخذهم وإقامة الحد عليهم على مهل!.

وهذا ما تشير إليه رواية أبي مخنف ونصر بن مزاحم، عن عُمارة بن ربيعة الجَرْميِّ قال: (لمَّا كُتبت الصحيفة دُعِي الأشتر، فقال: لا صَحِبَتْني يميني، ولا نفعتْني بعدها شمالي، إنْ خُطَّ لي في هذه الصحيفة اسمٌ على صلح ولا موادَعة! أَوَ لستُ على بيِّنة من ربي ومن ضلال عدوِّي؟! أَوَلستُم قد رأيتم الظَّفَر لو لم تُجمِعوا على الجَوْر؟! فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله ما رأيتَ ظَفَراً ولا جَوْراً، هلمَّ إلينا فإنه لا رغبةَ بك عنا، فقال: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٣٢.

سَفَكَ الله ﷻ بسيفي هذا دماءَ رجال ما أنتَ عندي خيرٌ منهم ولا أحَرمُ دماً!)[١].

وأما الفريق الثاني في جيش علي فهم القرّاء الذين خرجوا عليه لمَّا قبِل الصلح والتحكيم، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ومنها:

عن عُبيد الله بن أبي رافع: (أن الحروريَّة لمَّا خرجَتْ، وهو مع علي بن أبي طالب، قالوا: لا حُكْمَ إلا لله، قال علي: كلمةُ حق أُريد بها باطلٌ)[٢].

وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل التالي.

هذا هو السبب في تخلخل جيش أمير المؤمنين علي وتضعضعه واختلافه عليه، لا كما يدعي المزوِّرون والمغرِضون وأصحابُ الأهواء من المؤرخين والكتّاب قديماً وحديثاً؛ من أن السبب هو مكر عمرو بن العاص وأعمال معاوية في شراء الذمم، وغير ذلك من الأباطيل التي يفترونها.

تاسعاً: مع وقعة صفين (دروس وعبر، وحقائق وتوضيحات):

من خلال استعراض مقدماتِ وقعة صفين ومجريات أحداثها، ومواقفِ قادة الفريقين وعامة المسلمين فيها، وموبقات السبئية وقتلة عثمان، وما آلَتْ الأمور إليه من رفع المصاحف والتحكيم ونتائجه ـ يمكننا استخلاصُ دروس جليلة وعِبر كثيرة، وبيانُ حقائق ساطعة وتوضيحات هامة؛ نوجزها فيما يلي:

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥٤ـ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٦) (١٥٧)، وغيره.

١ ـ كان السبئيون منبثِّين في جيش علي، ومتمكِّنين من إدارة الأمور وتوجيه الناس لما يريدون، وعددُهم كبير ولهم قوة وسطوة. وهذا ما زاد معاويةَ ومن معه تمسُّكاً بموقفهم من التعجيل بقتل قتلة عثمان الذين زلزلوا دولة الإسلام! ثم كان لهم اليد الطولى في إثارة الفتن أيام البصرة وفي وقعة الجمل، وهاهم أولاءِ يَخِفُّون في الفتنة الثالثة؛ فكيف يَسهُل على معاوية وأهل الشام مبايعةُ علي وفي جيشه هؤلاء؟!.

٢ ـ كان الصحابة في الفريقين ومَن سار على هديهم من الأخيار ملتزمين بأخلاق الإسلام في قتالهم، فقد كان من وصايا علي لجيشه: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فأنتم بحمد الله ﷻ على حُجَّة، وتركُكم إياهم حتى يبدؤوكم حجَّة أخرى لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجهِزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل...).

بل كانوا إذا تحاجزوا، دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم.

وقال علي في قتلى الفريقين: (قتلانا وقتلاهم في الجنة).

ولمَّا قال رجل: كَفَر أهل الشام؛ أنَّبه عمار بن ياسر وقال: (لا تقولوا ذلك، نبيُّنا ونبيُّهم واحد، وقِبْلتُنا وقبلتُهم واحدة...).

وبعد الفراغ من صفين، وخروجِ الخوارج على عليٍّ، امتدح أمير المؤمنين أهلَ الشام فقال: قومٌ فارقناهم آنفاً خيرٌ من هؤلاء.

٣ ـ مع أن الخلاف بين الفريقين أدى إلى المواجهة والقتال وإزهاق الأرواح، بَيْدَ أنه لم يُذهِلِ الرجالَ عن شرف القتال وآداب الإسلام فيه، وقد تجلَّى ذلك في مواقف كثيرة، منها: قول علي في أهل الشام: (ربُّنا واحد، ودينُنا واحد، ودعوتُنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدُهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا).

ونَهى أتباعه عن سبِّ أهل الشام، وأمرهم أن يقولوا: (اللَّهمَّ احقِنْ دماءَنا ودماءهم، وأَصْلِح ذاتَ بيننا وبينهم).

ولما رجع من صفين قال: (أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتُموه لقد رأيتم الرؤوسَ تَنْدُر عن كواهِلها كالحنظل!).

وعن أبي مسلم الخَوْلاني: (أنه قال لمعاوية: أنتَ تُنازع عليّاً في الخلافة، أَوَأَنتَ مثلُه؟ قال: لا، وإني لأعلَمُ أنه أفضَلُ منِّي وأحَقُّ بالأمر)[(١)].

٤ ـ مما قدمناه عن هدي الصحابة وآدابهم في الأخبار الصحيحة: يتضح بطلان ما روي من (التلاعن بين الفريقين)، حتى زعم الخسَّاف المتهوِّر أبو مخنف ونصر بن مزاحم ومن سار على نهجهما: (أن عليّاً كان إذا صلَّى الغداة يقنتُ فيقول: اللَّهمَّ العَنْ معاوية وعَمْراً وأبا الأعور السُّلَمي وحَبيباً وعبدالرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد! فبلغ ذلك معاوية، فكانَ إذا قنت لَعن عليّاً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً)[(٢)].

---

(١) انظر ما تقدم مفصلًا: ص٥١٣ ـ ٥١٨، ٦٣٠ ـ ٦٣١، ٦٨٤ ـ ٦٨٦ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٧١.

وهذا الكذب الذي روَتْه كتبُ الشيعة وبعض تواريخ أهل السُّنَّة، هو مما يجب نبذُه ورميه والنعيُ على قائله وكاتبه ومروِّجه، فإنه لم يُروَ من طريق صحيح ولا مقبول بل ولا ضعيف، إنما يدبِّجه المتهمون والمتروكون ومن ليسوا بثقة، وقد زيَّفناه فيما تقدم(١).

وقد أخطأ شيخ الإسلام ابن تيمية حيث سلَّم بوجود (التلاعن)، فقال: (إن التلاعنَ وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم!)(٢).

٥ ـ ومن هذا القَبيل أخبارُ وأخلوقات المشاتمات بين الصحابة والمهاترات، والاتهامات بالغدر والخيانة وشراء الذمم والمؤامرات والكيد والعبث بمصالح الإسلام والمسلمين ودولتهم، ورميُ الصحابة بمساوئ الأخلاق ورذائل السجايا والشيم، مما لفَّقتْه روايات الكذابين وتناقلَتْه كتب التاريخ والأدب التي جمعت القليل من الحق في هذا الباب والكثير من الباطل... وهو ما يتناقض مع هدي الصحابة وفضائلهم وأخلاقهم وتربيتهم وتزكية القرآن لهم وثناء النبي ﷺ عليهم ونهيه عن سبِّهم أو شتمهم أو الإساءة إليهم.

وبَلَغ الإسرافُ والسفه والشطط واللَّجَاج في الباطل أن يزعم زاعم أن أصحاب الجمل وصفين الذين خالفوا عليّاً وحاربوه؛ هم: (في

---

(١) انظر: ص٦٣٣ ـ ٦٣٤ في هذا الكتاب.

(٢) منهاج السُّنَّة: ١٢٥/٣.

مصاف أبي جهل ومن إليه، حتى ولو تستروا بلفظ: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله). وهم (لصوص، وقطاع طرق، وأتباع إبليس!)[١].

٦ ـ دأبت السبئية وقتلة عثمان على إشعال الفتنة وتأجيج نار الحرب وسفك الدماء، وكانوا يستبسلون في القتال، ويحرِصون على استمرار النزاع والمواجهة، كما برهنت على ذلك وقائع معركة صفين ـ ومن قبلها الجمل ـ. ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنه لما رُفعت المصاحف وأَرسل عليٌّ إلى الأشتر النخعي يأمره بالتوقف عن القتال، تذمَّر من ذلك وقال للرسول: (قلْ له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزِيلني فيها عن موقفي، إني قد رجوتُ أن يُفتح لي، فلا تُعْجِلني!). وعندما كرَّر علي الأمرَ له، تبرَّم هو ومن معه وقال: (أمهلوني عَدْوَ الفرس، فإني قد طمعتُ في النصر!)[٢].

٧ ـ ويتفرع عن ذلك أن الذي يتحمَّل وِزْر إزهاقِ الأنفس وإراقة الدماء ـ الناجم عن استمرار القتال وتوسيع دائرته ـ هم السبئية وقتلة عثمان والغوغاء الذين ضَوَوْا إليهم وقاتلوا معهم في الفريقين. وكل من قُتل من المسلمين في الجمل وصفين؛ إنما إثمه على تلك الشراذم، لأنهم هم الذين فتحوا أبواب الفتنة وواصلوا تسعيرَ نارها! وهم الذين قتلوا عمار بن ياسر كما قتلوا من قبل طلحة والزبير وغيرهم من الأخيار، فهم (الفئة الباغية) التي عَنَاها النبي ﷺ؛ وحديث («**وَيْحَ عمار!**

---

(١) فضائل الإمام علي، لمحمد جواد مغنية، ص ١٥٥، ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٩/٥، ٥٠. وانظر ما تقدم: ص ٦٨٠ ـ ٦٨١ في هذا الكتاب.

تقتلُه الفئة الباغية» ليس نصّاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل يمكن أنه أُريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلَتْه، وهي طائفة من العسكر، ومَن رضي بقتل عمار كان حكمُه حكمَها)[1].

٨ ـ **ومن استقراء الأحداث يتأكد لدى الباحث رغبةُ الصحابة والتابعين لهم بإحسان والخيِّرين في الفريقين: بتفادي المواجهة والقتال، والسعي للصلح**، والدليل على هذا طولُ مدة المواقفة وكثرةُ المراسلة بينهما، وأوامرُ عليٍّ بعدم البدء بالحرب، وقِصرُ مدة الحرب ـ لما نشبت ـ على أربعة أيام، ولم يُثخِن فيه إلا دعاة الفتنة والسبئية وقتلة عثمان ومن تابعهم من الغوغاء، وكان يغلب على القتال المدافعة والدفاع عن النفس. ولما رُفعت المصاحف أسرع رؤساء الطرفين وعامة الناس إلى وقف القتال وقبول الصلح والتحكيم.

٩ ـ **قد تبيَّن باستعراض أحداث التاريخ، من لَدُن الخروج على أمير المؤمنين عثمان وقتله إلى موقعة صفين التي انتهت بالتحكيم وخروج الخوارج ـ أن سياسة عثمان في التسكين والكَفّ عن القتال وعدمِ إراقة ملْءِ مِحْجَمَةٍ من دم؛ هي أحسنُ وأفضلُ وأحكمُ من سياسة علي**؛ فإن فتنة عثمان انتهت باستشهاده وسفك دماء قليلة، أما في عهد علي فقد سالت دماء كثيرة لا يعلمها إلا علام الغيوب!.

وإلى هذا يشير قول ابن تيمية بعدما ذكر أحاديث القعود عن الفتنة وعدم المشي فيها والسعي إليها، ولزوم البيوت وكسر القِسيّ والسيوف؛ يقول:

---

(١) انظر ما قدمناه: ص ٦٨٧ ـ ٦٩٠ في هذا الكتاب.

(ولأجلِ هذه النصوص لا يختلف أصحابنا أن تَرْكَ عليٍّ القتالَ كان أفضلَ، لأن النصوص صرَّحَتْ بأن القاعد فيها خير من القائم، والبعدَ عنها خير من الوقوع فيها. قالوا: ورُجْحَان العمل يَظهر برُجْحان عاقبته، ومن المعلوم أنهم إذْ لم يبدؤوه بقتال، فلو لم يقاتلهم لم يقع أكثر مما وقع من خروجهم عن طاعته، لكن بالقتال زاد البلاء، وسُفكت الدماء، وتنافرت القلوب، وخرجت عليه الخوارج... فظهر من المفاسد ما لم يكن قبل القتال، ولم يحصل به مصلحة راجحة، وهذا دليل على أن تركه كان أفضل من فعله، فإن فضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها)[١].

١٠ ـ لقد أُثقِل كاهلُ التاريخ الإسلامي ـ وبخاصة عهودُ عثمان وعلي وبني أمية ـ بتراثٍ هائل خطير من الافتراءات والأكاذيب التي حملَتْها روايات تالفة ومكذوبة، يتحمل وزرها أخباريون يغلب عليهم الهوى، فضلاً عن منزلتهم الرديئة في ميزان الجرح والتعديل، ومعهم مؤرخون وكتَّاب تناقلوا (ذاك الموروث التاريخي) عبر الزمن حتى وصل إلى عصرنا. وتكاد كتب التاريخ وأعمال جمهرة المؤرخين والمؤلفين والباحثين؛ تُطْبق على خطوط عامة هي أقرب إلى تشويه عصر الصحابة والخلفاء الراشدين، وإدانة أعمالهم والطعن عليهم، وتصويرهم بصورة رجال لا يأبهون بدين ولا مبادئ، ولا مروءة ولا أخلاق ولا آداب، وتسلُب عنهم صفة الجيل الرباني الذي اختاره الله ﷻ لحمل الرسالة، ورباه النبي ﷺ على عينه، وتواترت تزكيته في القرآن والسُّنَّة وحقائق التاريخ!.

---

(١) مجموع الفتاوى: ٤/٤٤١ـ٤٤٢؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٤/٤٦٣ـ٤٦٤، وما تقدم: ص ٥٠٩ ـ ٥١٠ في هذا الكتاب.

ونحن نكرر ولا نسأم من تثبيت الحقيقة بأن جناية كبرى أصابت تاريخ تلك الحقبة، ترتبت عليها جناية أعظم على الصحابة وتاريخهم وسيرتهم وأعمالهم وإنجازاتهم!.

ولا نتردد بالتصريح المرّ بأن كثيراً من علمائنا ومؤرِّخينا قد شاركوا في تلك (الإساءة المزمنة)، ولا نجد عذراً للطبري وابن عساكر وابن الجوزي وابن الأثير والذهبي وابن كثير، وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم؛ في نقل ذلك السخف والباطل، ثم السكوت عليه في أغلب الأحيان، حتى أصبح (مرجعاً محترماً!) عند الخلف من المؤرخين والكتّاب المعاصرين، فأسرع أغلبهم إلى تصديقه واعتماده وترويجه، حتى أفسدَ القلوبَ وحيَّر العقول وسَمَّم الأفكار وطَمَس وجْهَ الحق!.

كما لا نجدُ عذراً لكل من يكتب في هذا الميدان بأن يقلِّد فلاناً أو فلاناً لأنه (مؤرخ كبير)؛ فالكلمة أمانة وخطرُها يكمن في سرعة انتشارها وكثرة متلقيها، مما يستوجب الدقة والنقد والتمحيص والإنصاف والإعذار والأدب، فالقرن الأول والثاني والثالث من الصحابة والتابعين؛ من أعزِّ ما نملك من رجال وسير طاهرة.

* * *

الفصل الخامس

علـي والخـوارج

لما رفع أهل الشـام المصاحف ودَعَوا إلى الصلح وتحكيمِ كتاب الله تعالى، قبِل ذلـك أمير المؤمنين عليٌّ وأكثر مـن كان معه، لكن اعترضَتْ عليه طائفة من جيشه كانوا يُسمَّون (القرَّاء)، وخرجوا عليه فعُرفوا بالخوارج.

وقد جـاء الحديث عنهم مطولاً ومفصلاً في كتب السُّـنَّة والتاريخ وغيرها، وفيها: أن رسـول الله ﷺ قـد أَمر بقتالهـم، وأوضح صفاتهم، وأخبر عليّاً بأنه سـيقاتلهم. وجـاءت الأحداث بمصـداق نبوءاته ﷺ، فقاتلهم علي وهزمهم وأطفـأ فتنتهم، لكن جذوة بدعتهـم لم تنتهِ بل استمرت دهراً طويلاً[1].

أولاً: إخبار النبي ﷺ بظهور الخوارج والطائفة التي تقاتلهم وتقتلهم، وذِكر صفاتهم، ونعتُ رجلٍ منهم يُسمَّى (ذا الثُّدَيّة):

١ ـ عن أبي سـعيدٍ الخُدْرِيِّ ؓ قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «**تَفْتَرِقُ أُمَّتي فِرْقَتَيْنِ، يَمْرُقُ بينَهما مارِقَةٌ، تَقْتُلُهـم أَوْلَى الطائِفَتَيْنِ بالحَقِّ**» لفظ النسائي.

(١) انظر كتابي: نبوءات الرسول ﷺ: ٢/١١٤ ـ ١٤١.

وفي رواية لمسلم وأحمد: «**يَقْتُلُهم أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ من الحَقِّ**».

وفي رواية أخرى لعبد الرزاق وأحمد والبغوي: «**لا تقومُ السَّاعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ، دَعْوَاهُما واحدةٌ، تمرُقُ بينهما مارِقةٌ، يَقْتُلُها أَوْلَى الطَّائفتينِ بالحقِّ**»[(١)].

٢ ـ وعن سُوَيْد بن غَفَلَة قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: (إذا حَدَّثْتُكُم عن رسولِ الله ﷺ حَديثاً، فواللهِ لأَنْ أَخِرَّ من السماءِ أَحَبُّ إليَّ من أنْ أَكْذِبَ عليه، وإذا حَدَّثْتُكُم فيما بَيْنِي وبَيْنِكُم فإنَّ الحربَ خدْعَةٌ. وإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**سَيخرُجُ قومٌ في آخِرِ الزمانِ: أَحْدَاثُ الأَسْنانِ، سُفَهاءُ الأَحْلامِ، يَقُولونَ من خيرِ قولِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهم حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كَما يَمْرقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ. فأَيْنَما لَقِيتُمُوهُم فَاقْتُلُوهُم؛ فإنَّ في قَتْلِهِم أَجْراً لِمن قَتَلَهُم يومَ القيامةِ**»)[(٢)].

٣ ـ وعن أبي سعيد الخُدْريِّ ﷺ قال: (بينما نحنُ عند رسولِ الله ﷺ، وهو يَقْسِمُ قَسْماً، أتاهُ ذو الخُوَيْصِرَة، وهو رجلٌ من بني تَميمٍ، فقال: يا رسول الله! اعْدِلْ! فقال: «**وَيْلَكَ! ومَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ؟! قد خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لم أَكُنْ أَعْدِلْ**». فقال عمر: يا رسولَ الله! ائْذَنْ لي

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥)؛ وأبو داود (٤٦٦٧)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٥٧)؛ وأحمد: ٢٥/٣، ٣٢، ٤٥، ٤٨، ٦٤، ٧٩؛ وعبد الرزاق (١٨٦٥٨)؛ وابن حبان (٦٧٣٥)؛ والبغوي (٢٥٥٥) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١) و(٦٩٣٠)؛ ومسلم (١٠٦٦)؛ وأبو داود (٤٧٦٧)؛ والنسائي في الكبرى (٣٥٥١)؛ وأحمد: ٨١/١، ١١٣، ١٣١؛ وابن حبان (٦٧٣٩)؛ والبغوي (٢٥٥٤)، وغيرهم.

فيه فأَضْرِبَ عُنُقَه، فقال: «دَعْهُ، فـإنَّ له أصحاباً: يَحْقِرُ أحدُكُم صلاتَهُ مع صلاتِهِم، وصيامَهُ مع صيامِهِم، يَقرؤونَ القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّـهْمُ من الرَّمِيَّةِ؛ يُنْظَرُ إلـى نَصْلِه فلا يُوجد فيه شيء، ثم يُنظرُ إلى رِصَافِه فما يوجدُ فيه شيء، ثم يُنظرُ إلى نَضِيِّه ـ وهو قِدْحُه ـ فلا يوجدُ فيه شـيء، ثم يُنظر إلى قُذَذِه فلا يوجدُ فيه شيء، قد سَبَق الفَرْثَ والدَّمَ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المرأةِ، أو مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، ويَخْرُجُون على حينِ فُرْقةٍ من الناس».

قال أبو سعيدٍ: فأشهدُ أنِّي سمعتُ هذا الحديثَ من رسولِ الله ﷺ، وأشـهدُ أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قاتَلَهُـم وأنا معه، فأَمَر بذلـكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فأُتِيَ به، حتى نظرتُ إليه على نَعْتِ النبيِّ ﷺ الذي نَعَتَهُ).

وفي رواية أخرى: «يَقرؤونَ القرآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُون من الدِّينِ مُرُوقَ السَّـهْم من الرَّمِيَّـةِ، يَقْتُلُونَ أهلَ الإسـلامِ، ويَدَعُونَ أهلَ الأَوْثانِ، لَئِنْ أنا أَدركْتُهم لأَقْتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ»[1].

٤ ـ وعن يُسَـيْر بنِ عَمْرو قال: (قلتُ لسَهْلِ بن حُنَيف: هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقولُ في الخوارجِ شـيئاً؟ قال: سمعتُه يقول، وأَهْوَى بيدِه قِبَلَ العراقِ: «يَخرجُ منه قومٌ يَقرؤون القرآنَ لا يُجـاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ من الإسلامِ مُروقَ السَّهْم من الرَّمِيَّة») لفظ البخاري.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤) وفيه أطرافه، و(٣٦١٠) واللفظ له؛ ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨)؛ وأبـو داود (٤٧٦٤)؛ والنسـائي فـي الكبـرى (٨٠٣٥)؛ وابن ماجه (١٦٩)؛ وعبدالـرزاق (١٨٦٤٩)؛ وأحمـد: ٦٠/٣؛ وابـن حبـان (٦٧٣٧)، وغيرهم.

وفي رواية لمسلم: «**يَتِيهُ قومٌ قِبَلَ المَشْرِقِ مُحَلَّقَةٌ رؤوسُهُم**»[1].

٥ ـ وعن سَلَمة بن كُهَيْلٍ قال: (حدَّثني زيدُ بن وَهْبٍ الجُهَنِيُّ: أنَّه كان في الجيشِ الذين كانوا مع عليٍّ رضي الله عنه، الذينَ ساروا إلى الخَوارجِ، فقال عليٌّ رضي الله عنه: أيها الناسُ! إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يَخْرجُ قومٌ من أمَّتي يَقرؤونَ القرآنَ، ليس قراءتُكم إلى قراءتِهِم بشيء، ولا صَلَاتُكُم إلى صَلَاتِهِم بشيء، ولا صِيَامُكُم إلى صيامِهِم بشيء، يَقرؤونَ القرآنَ يَحْسَبُونَ أنَّه لَهُم وهو عَليهم، لا تُجاوِزُ صَلاتُهم تَراقِيَهُم، يَمْرُقونَ من الإسلامِ كما يمرق السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ. لو يَعْلَمُ الجيشُ الذين يُصِيبُونَهُم ما قُضِيَ لهم على لسانِ نَبِيِّهم ﷺ؛ لاتَّكَلُوا عنِ العملِ. وآيةُ ذلك: أنَّ فيهم رجلاً لهُ عَضُدٌ وليس له ذِراعٌ، على رأسِ عَضُدِه مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عليه شَعَراتٌ بيضٌ**» فتَذْهَبُونَ إلى معاويةَ وأهلِ الشام، وتَتْرُكُون هؤلاءِ يَخْلُفُونَكُم في ذَرارِيِّكُم وأموالِكُم؟! واللهِ إنِّي لأَرْجُو أن يَكونوا هؤلاءِ القومَ؛ فإنَّهم قد سَفَكُوا الدَّمَ الحرامَ؛ وأَغارُوا في سرْحِ الناسِ، فسِيرُوا على اسْمِ اللهِ.

قال سَلَمة بن كُهَيْل: فَنَزَّلَني زيدُ بن وَهْبٍ مَنْزِلاً، حتى قال: مَرَرْنا على قَنْطَرةٍ، فلما الْتَقَيْنا وعلى الخوارجِ يومئذٍ عبدُ الله بن وَهْب الرَّاسِبِيُّ، فقال لهم: أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وسُلُّوا سُيُوفَكُم من جُفُونِها، فإنِّي أَخافُ أن يُنَاشِدُوكُم كما ناشَدُوكُم يومَ حَرُورَاءَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٤)؛ ومسلم (١٠٦٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٣٦)؛ وأحمد: ٤٨٦/٣.

فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا برِمَاحِهِم، وسَلُّوا السيوفَ، وشَجَرَهُمُ الناسُ برِمَاحِهِم. قال: وقُتِلَ بعضُهم على بعضٍ، وما أُصِيبَ من الناس يومئذٍ إلا رَجُلان.

فقال علي رضي الله عنه: الْتَمِسُوا فيهمُ المُخْدَجَ. فالتَمَسُوه فلم يَجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنَفْسِه، حتى أَتى ناساً قد قُتِل بعضُهم على بعضٍ، قال: أَخِّرُوهُم، فوَجَدُوه ممَّا يَلي الأرضَ! فكبَّر، ثم قال: صَدَقَ اللهُ، وبَلَّغَ رسولُه! قال: فقام إليه عَبِيدَةُ السَّلْمَانيُّ فقال: يا أمير المؤمنين! آللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هوَ؛ لَسَمِعْتَ هذا الحديثَ من رسول الله ﷺ؟! فقال: إِيْ واللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هو! حتى استَحْلَفَه ثلاثاً، وهو يَحْلِفُ له).

وفي روايةٍ عن عَبِيدَةَ السَّلْمانيِّ: (عن عليٍّ، قال: ذَكَر الخوارجَ، فقال: فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ، أو مُودَنُ اليدِ، أو مَثْدُونُ اليدِ، لولا أن تَبْطَرُوا لحدَّثْتُكم بما وَعَدَ اللهُ الذين يَقتُلونَهم، على لسانِ محمدٍ ﷺ. قال: قلت: أَنْتَ سمِعْتَهُ من محمدٍ ﷺ؟ قال: إِيْ ورَبِّ الكعبةِ، إيْ وربِّ الكعبةِ، إيْ وربِّ الكعبةِ)[1].

٦ ـ وفي حديث أبي سعيد الخدري السابق: «**آيَتُهم رجلٌ أسودُ، إِحدى عَضُدَيْه مِثْلُ ثَدْيِ المرأةِ، أو مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ**».

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦) (١٥٥) و(١٥٦)؛ وأبو داود (٤٧٦٣) و(٤٧٦٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥١٦)؛ وابن ماجه (١٦٧)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٥٠)؛ وأحمد: ٨٣/١، ٩٥، ١٤٤؛ وابن حبان (٦٩٣٨)، وغيرهم.

ثانياً: كلمة بين يدي هذه الأحاديث:

روى حديثَ الخوارج خمسةٌ وعشرون صحابيّاً، منهم: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وأبو ذر، وأبو سعيد الخدري، وأبو بَكْرة، وأنس بن مالك، وجابر، وحذيفة، وسعد بن أبي وقّاص، وعمار بن ياسر، وأبو بَرْزَة، وأبو هريرة. ومجموعها يفيد القطع بصحة خبرهم عن رسول الله ﷺ[1].

وفي حديث الخوارج جملة من معجزات رسول الله ﷺ، وعدد من أعلام نبوته ﷺ، أخبر بها، ففصَّل وأَجْمَل، وجاءت كلها تماماً كما أخبر، ومن ذلك:

١ - أنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين.

٢ - تقتلهم أولى الطائفتين بالحق.

٣ - أنهم أحداث أغرار.

٤ - سفهاء الأحلام والعقول.

٥ - يتعبدون كثيراً ويغالون مع تنطُّع وقلة فهم.

٦ - أنهم يحملون آيات الله على غير المراد منها.

٧ - أنهم يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان.

٨ - فيهم المخدج الذي إحدى يديه مثل ثدي المرأة.

وغير ذلك مما سيتضح خلال الشرح.

---

(١) الفتح: ١٦/٦٢، شرح الحديثين (٦٩٣٣، ٦٩٣٤).

ثالثاً: لمحة عن الخوارج ومعتقدهم[١]:

•• **الخوارج**: جمع خارجة؛ أي: طائفة، وهم قوم مُبتدِعون، سُمُّوا بذلك لخروجهم عن الدين، ولخروجهم على الجماعة وعلى خيار المسلمين.

وكان يُقال لهم: القرّاء؛ لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأوّلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدُّون برأيهم، ويتنطَّعون في الزهد والخشوع وغير ذلك[٢].

وكانوا في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فلما رضي بالتحكيم، أنكروا عليه ذلك، وخرجوا عليه فَسُمُّوا (الخوارجَ).

ولمَّا اتفق أهل الشام وأهل العراق على أن يجتمع الحَكَمان بعد مدة في مكان وسط بين الشام والعراق، ويرجع العسكران إلى بلادهم إلى أن يقع الحُكْم، فرجع معاوية إلى الشام، وعاد علي إلى الكوفة ـ فارقه الخوارج ونزلوا قريةً بظاهر الكوفة تسمى (حَرُورَاءَ)، فسُمُّوا (الحَرُورِيَّة).

---

(١) ما كتبته عن الخوارج مأخوذ من كتب السُّنَّة وشروحها عموماً: شرح السُّنَّة، للبغوي: ١٠/٢٢٤ـ٢٣٧؛ شرح مسلم، للنووي: ٤/١٧٠ـ١٨٧؛ الفتح: ٨/٥٢٦ـ٥٢٨ (٣٦١٠ـ٣٦١١)، ١٦/٣٣ـ٦٢ (٦٩٣٠ـ٦٩٣٤)؛ مجموع الفتاوى: ٣/٢٧٩، ٣٤٩ـ٣٥٠، ١٣/٣٠ـ٣٥، ٣٧، ٤٨ـ٤٩، ٢٨/٤٦٨ـ٤٧٦، ٣٥/٥٣ـ٥٧؛ تاريخ الطبري: ٥/٦٤ـ٩٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٨٥ـ٣١٠.

(٢) الفتح: ١٦/٣٤.

وأول بدعة حدثت في الإسلام هي بدعة الخوارج، ظهرت في أثناء خلافة علي رضي الله عنه، بل أولهم ظهر في حياة النبي ﷺ وهو ذو الخويصرة، الذي قال لرسول الله ﷺ: (يا محمد! اعدل!)[١].

ولبدعتهم مقدمتان:

الأولى: أن مَن خالَفَ القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه، فهو كافر.

الثانية: كفَّروا عثمان وعلياً وأهل الجمل وصفين ومن رضي بالتحكيم[٢].

وكانوا يتأوَّلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدُّون برأيهم، وطعنوا على عثمان رضي الله عنه، واعتقدوا كُفْره ومَن تابعه، واعتقدوا إمامة علي رضي الله عنه وكُفْر من قاتله من أهل الجمل، وقاتلوا مع علي أهل الشام بصفين، ولمّا رُفعت المصاحف ودُعي إلى التحكيم، ورضي علي؛ أنكروا عليه قبولَه، ثم خرجوا عليه، فراسَلَهم في الرجوع، فأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم ويتوب، ثم راسلهم أيضاً، فأرادوا قَتْلَ رسوله. ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم؛ يَكْفُر ويُباح دمه وماله وأهله. وانتقلوا إلى الفعل، فاستعرضوا الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين[٣].

ومن معتقداتهم الباطلة: إكْفَارُهم أهلَ الذنوب، وأنهم لا يتمسَّكون من السُّنَّة إلا بما فُسِّر مُجْمَلُها دون ما خالَفَ ظاهر القرآن عندهم[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٧٩/٣، ٣٥٠، ٣١/١٣ـ٣٢، ٤٧٦/٢٨.

(٢) الفَرق بين الفِرق، ص ٧٣؛ مجموع الفتاوى: ٣١/٣.

(٣) الفتح: ٣٥/١٦ـ٣٦.

(٤) مجموع الفتاوى: ٣٠/١٣، ٣٧، ٤٨.

وأبطَلُوا رجمَ المُحصَن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكَفَّروا مَن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة، وحُكْم مرتكب الكبيرة عندهم حُكم الكافر، وكَفُّوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن يُنسب إلى الإسلام، فالقتلُ والسبيُ والنهبُ: فمنهم من يفعل ذلك مطلَقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعو أولاً ثم يفتك[1]!.

رابعاً: خروجهم على أمير المؤمنين علي، ومناظرة علي والصحابة لهم، وقتاله لهم ثم قتلهم:

•• لمَّا وقع الرضا بالتحكيم، ورجع علي إلى الكوفة، اعتزل الخوارج بِحَرُوراءَ، وقالوا: (لا حُكْمَ إلا للهِ)، فقال علي: كلمةُ حقٍّ أُرِيد بها باطلٌ[2].

وجاء اثنان من رؤوسهم، وطَلَبا من علي أن يتراجع عن التحكيم، فأبى ذلك، فقال له أحدهما: (أَمَا واللهِ يا علي! لئن لم تَدَعْ تحكيمَ الرجال في كتاب الله ﷻ قاتلتُكَ، أطلبُ بذلك وجْهَ الله ورضوانَه! فقال له علي: بؤساً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تَسْفِي عليك الريح! قال: وَدِدْتُ أن قد كان ذلك. فقال له علي: لو كنتَ محِقّاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، إن الشيطان قد

---

(١) الفتح: ٣٦/١٦.

(٢) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٧)؛ السنن الكبرى، للنسائي (٨٥٠٩).

استهواكم، فاتقوا الله ﷻ، إنه لا خير لكم في دنيا تقاتِلون عليها. فخرجا من عنده يُحَكِّمان)[١].

●● وكان جملة من خرج على أمير المؤمنين علي ثمانية آلاف من قرّاء الناس، وانضم إليهم آخرون، فبلغوا نحو اثني عشر ألفاً!.

وقد ناظرهم علي ﷺ، وبعث إليهم حبر الأمة ابن عباس فناظرهم، فرجع كثير منهم إلى الحق.

عن عُبيد الله بن عياض بن عَمْرو القارِيّ قال: (جاء عبدالله بن شدَّاد فدخل على عائشة ﷺ ونحن عندها جلوس، مرجعَهُ من العراق ليالي قُتِل علي ﷺ، فقالت له: يا عبدالله بن شداد! هل أنت صادِقي عمَّا أسألُكَ عنه؟ تحدِّثُني عن هؤلاء القوم الذين قَتَلهم عليٌّ ﷺ؟ قال: وما لي لا أصدُقُك؟! قالت: فحدِّثْني عن قِصَّتِهم. قال: فإن عليّاً ﷺ لما كاتَبَ معاويةَ وحَكَم الحَكَمان، خَرج عليه ثمانيةُ آلاف من قرَّاء الناس، فنزلوا بأرضٍ يقال لها: حَرُورَاء من جانب الكوفة، وإنهم عَتبوا عليه فقالوا: انسلختَ من قميص[٢] أَلْبَسَكَه الله تعالى، واسمٍ[٣] سمَّاك الله تعالى به، ثم انطلقتَ فحكَّمْتَ في دين الله، فلا حُكْمَ إلا لله تعالى.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٧٢؛ البداية والنهاية: ٧/٢٨٥. **يحكِّمان**: يقولان: (لا حُكْمَ إلا لله).

(٢) يعني: الخلافة.

(٣) يعني: أمير المؤمنين.

فلما أن بَلَغ عليّاً ما عَتَبُوا عليه وفارَقُوه عليه، فأمر مؤذِّناً فأذَّن: أن لا يَدخُلَ على أمير المؤمنين إلا رجلٌ قد حَمَل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قرّاء الناس، دعا بمصحفٍ إمامٍ عظيمٍ، فوضعه بين يديه، فجعل يَصُكُّهُ بيده ويقول: أيها المصحفُ حَدِّثِ الناسَ! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما تسألُ عنه؟ إنما هو مِدادٌ في وَرَق! ونحن نتكلَّم بما رُوِّيناه منه، فماذا تُريد؟ قال: أصحابُكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتابُ الله؛ يقول الله تعالى في كتابه في امرأةٍ ورجلٍ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فأمةُ محمد ﷺ أعظمُ دماً وحُرمةً من امرأة ورجل. ونَقَموا عليَّ أن كاتبتُ معاويةَ: كتَبَ عليُّ بن أبي طالب، وقد جاءنا سُهيل بن عَمْرو، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحُدَيْبِيَة حين صالحَ قومَه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سُهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: «**كيف نكتُبُ؟**» فقال: اكتُبْ: باسْمِكَ اللَّهمَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**فاكتُبْ محمد رسول الله**»، فقال: لو أعلمُ أنك رسولُ الله لم أُخَالِفْكَ، فكتب: هذا ما صالَح محمدُ بن عبدالله قريشاً. يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبعث إليهم عليٌّ عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما، فخرجتُ معه، حتى إذا توسَّطْنا عسكرَهُم قام ابن الكَوّاء يخطُب الناسَ فقال: يا حَمَلَةَ القرآنِ! إنّ هذا عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما، فمن لم يكن يعرفهُ فأنا أُعَرِّفُهُ من كتاب الله ما يعرفُه به، هذا ممّن نَزَل فيه وفي قومه ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فَرُدُّوه إلى صاحِبه، ولا تُواضِعُوه كتابَ الله.

فقام خطباؤهم فقالوا: والله لَنُوَاضِعَنَّهُ كتابَ الله، فإن جاء بحقٍّ نعرفه لَنَتَّبِعَنَّه، وإنْ جاء بباطلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بباطِله.

فواضَعُوا عبدَ الله الكتابَ ثلاثة أيام، فرَجَع منهم أربعةُ آلاف كلُّهم تائبٌ، فيهم ابن الكَوَّاء، حتى أَدْخَلَهم على عليٍّ الكوفةَ.

فبَعثَ علي رضي الله عنه إلى بقيَّتِهم فقال: قد كان من أمرنا وأَمر الناس ما قد رأيتُم، فَقِفُوا حيث شِئْتُم حتى تجتمعَ أمةُ محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تَسْفِكوا دماً حراماً أو تَقْطَعُوا سبيلاً أو تَظْلِمُوا ذِمّةً، فإنكم إنْ فعلتُم فقد نَبَذْنا إليكمُ الحربَ على سواءٍ إن الله لا يحبُّ الخائنين.

فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا ابنَ شداد! فقد قَتَلهم، فقال: واللهِ ما بَعث إليهم حتى قَطَعُوا السبيلَ وسَفَكوا الدمَ واستحلُّوا أهلَ الذمة، فقالت: آللهِ؟ قال: آللهِ الذي لا إله إلا هو لقد كان)[1].

●● وبقي من بقي من الخوارج على رأيه وضلالته، حتى شتموا أمير المؤمنين وهو على المنبر، فبينما هو يخطُب ذات يوم، إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي! أشركتَ في دين الله الرجالَ، ولا حُكْمَ إلا لله! فتنادَوا من كل جانب: لا حُكْمَ إلا لله، لا حكم إلا لله! فجعل علي يقول: (هذه كلمةُ حقّ يُرادُ بها باطلٌ). ثم قال: (إن لكم علينا أن لا نمنَعَكم فيئاً ما دامت أيديكم معنا، وأن لا نمنَعَكم مساجدَ الله، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا).

(١) أخرجه أحمد (٦٥٦) واللفظ له؛ والحاكم: ٢/١٥٢ ـ ١٥٤ وصحّحه ووافقه الذهبي؛ وصحّحه ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/٢٨٠ ـ ٢٨١، وصحّحه أحمد شاكر.

واجتمعوا في بيت عبد الله بن وَهْب الراسِبيّ، فخطَبهم خطبة بليغة، زهَّدهم فيها في الدنيا، ورغَّبهم في الآخرة والجنة، وحَثَّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: (فاخرجوا بنا إخوانَنا من هذه القرية الظالمِ أهلُها إلى بعض كُوَرِ الجبال)(١).

واجتمع رأي هؤلاء الأشقياء المتنطِّعين في دين الله على الخروج من بين ظهراني المسلمين، وبَعثوا لكل من هو على رأيهم فاجتمعوا بالنَّهْرَوان، وصارت لهم شوكة ومَنَعَة، وفيهم شجاعة وبأس، وهم يعتقدون أنهم في كل ذلك متقرِّبون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ!.

وانتقلوا إلى الفعل فعاثُوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبيل، واستحلّوا المحارم، وقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومرَّ بهم عبد الله بن خَبَّاب بن الأرتّ ـ وكان والياً لعليٍّ على بعض تلك البلاد ـ ومعه سُرِّيَّةٌ وهي حامل، فقتلوه وبقروا بطن سُرِّيَّته عن ولد!.

ولقي بعضهم خِنزيراً لبعض أهل الذمة، فضربه بعضُهم فشَقَّ جلده، فقال له آخر: لِم فعلتَ هذا وهو لذميٍّ؟ فذهب إلى ذلك الذمي، فاستحلَّه وأرضاه.

ومروا بنَخْلٍ فسقطت تمرة من نخلة، فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذنٍ ولا ثمنٍ؟! فألقاها ذاك من فمه!.

فَبَلغ علياً ما فعلوه من قَتْل المسلمين، فتوجَّه إليهم بجيشه، وبعث بين يديه قيس بن سعد بن عُبادة، وبعث إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٧٣، ٧٤؛ كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٦٢٥.

إخواننا منكم حتى أقتلهم، ثم أنا تارِكُكم وذاهبٌ إلى الشـام، ثم لعلَّ الله أن يُقْبِل بقلوبكم، ويردَّكم إلى خير مما أنتم عليه. فبعثوا إلى علي يقولون: كلُّنا قتـلَ إخوانكم، ونحن مسـتحلُّون دماءهـم ودماءكم. فتقـدم إليهم قيس بن سعد فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم، والخَطْب الجسيم، فلم ينفع! ثم جاء أبو أيوب الأنصاري فأنَّبهم ووبَّخهم، فلم يَنْجَع. وتقدم إليهم أميـر المؤمنيـن علي، فوعظهـم وخوَّفهـم، وحذَّرهـم وأنذرهم وتوعَّدَهم، فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادَوا فيما بينهم: أن لا تُخاطبوهم ولا تكلِّموهم، وتهيؤوا للقاء الله عز وجل، الرواحَ الرواحَ إلى الجنة!.

وتقدَّمـوا واصطفُّوا للقتـال، وتأهَّبوا للنزال، ووقف علي بجيشـه أمامهم، وأمر أبا أيوب الأنصاري أن يرفع رايـة أمان للخوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، إنـه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا. فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف، فلم يبقَ منهم إلا ألف أو أقـلّ مع عبدالله بن وَهْب الراسـبيِّ. فزحفوا إلى علي، فقدَّم علي بين يديـه الخيل، وقدَّم منهم الرمـاة، وصفَّ الرجَّالة وراء الخيَّالـة، وقـال لأصحابه: كُفّوا عنهـم حتى يبدؤوكـم. وأقبلت الخوارج يقولون: لا حُكْمَ إلا لله، الرواحَ الرواحَ إلى الجنة. فحملوا على الخيالة الذين قدَّمهم علي، ففرَّقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة وأخرى إلى الميسـرة، فاستقبلَتْهم الرماة بالنبل، وعطفَتْ عليهم الخيالة من الميمنة والميسـرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم: عبدالله بن وهب، وحُرْقوص بن زهير، وشُريح بن أوفى، ولم ينجُ منهم إلا دون العشرة، ولا قُتل ممن مع علي إلا نحو العشرة.

وكان ذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين للهجرة(١).

وفي حديث زيد بن وَهْب ـ المتقدم ـ عن علي رضي الله عنه قال: (لمَّا كان يومُ النَّهْروان لقي الخوارجَ، فلم يَبْرَحوا حتى شَجَروا بالرماح، فقُتِلوا جميعاً. قال علي: اطلُبوا ذا الثُّدَيَّة. فطَلبوه، فلم يجدوه، فقال علي: ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، اطلُبوه! فطَلَبوه، فوجدوه في وَهْدةٍ من الأرض، عليه ناسٌ من القتلى، فإذا رجلٌ على يده مِثْلُ سَبَلات السِّنَّوْر، فكبَّر عليٌّ والناس، وأعجَبَهم ذلك)(٢).

وفي رواية: (فقال علي رضي الله عنه: التَمِسُوا فيهم المُخْدَجَ، فالتَمَسُوه فلم يجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنَفْسه، حتى أتى ناساً قد قُتل بعضُهم على بعضٍ، قال: أَخِّروهم، فوجدوه مما يَلي الأرض، فكبَّر ثم قال: صَدَق الله وبَلَّغ رسوله)(٣).

خامساً: علي يقاتل الخوارج على تأويل القرآن:

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: (كنَّا جُلوساً ننتظرُ رسولَ الله ﷺ، فخرج علينا مِن بعضِ بيوت نسائِه، قال: فقُمنا معه، فانقطَعَتْ نَعْلُه، فتخلَّف عليها عليٌّ يَخْصِفُها، فمضَى رسول الله ﷺ، ومضَيْنَا معه، ثم قام ينتظره وقُمنا معه، فقال: «**إنَّ منكم مَنْ يُقاتِلُ على تأويلِ هذا القرآنِ كما**

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٨١ـ٩١؛ البداية والنهاية: ٧/٢٨٨ـ٢٩٠؛ الفتح: ١٦/٣٦؛ كتابي: الخلفاء الراشدون، ص ٦٢٥ـ٦٢٧.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي (٨٥١٦). **والسنور**: حيوان من اللواحم يشبه الهر. **والسبلة**: الشارب.

(٣) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٦).

قاتَلْتُ على تَنْزيلِهِ»! فاستَشْـرَفْنا، وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «**لا، ولكنَّه خاصِفُ النَّعْلِ**» قال: فجِئنا نُبَشِّره، قال: وكأنه قد سمعه) لفظ أحمد.

وفي رواية للحاكم وغيره: (قال أبو بكر: أنا هُوَ يا رسـولَ الله؟ قال: «**لا**» قال عمر: أنا هُو يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكنْ خاصِفُ النَّعْلِ**» يعني: عليّـاً، فأتيناه فبشّـرناه، فلم يرفَـعْ به رأسَـه، كأنَّه قد كان سَـمِعَه من رسول الله ﷺ)[1].

وهذا الحديث يصِفُ قتالَ أمير المؤمنين علي للخوارج بأنه سيكون على (تأويـل القرآن)، وهكـذا كان؛ حيث ظهر ذلـك وتحقق بخروج الخوارج علـى الأمة، وانحرافهم فـي أقوالهم ومعتقداتهـم وأفعالهم، فكانوا يتأوَّلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدُّون برأيهم، ويتنطعون في مذهبهم ويقاتلون عليـه؛ فَهُم كما وصفهم الحديث: «**يقرؤون القرآن لا يجـاوز تراقيهم**»، فـلا تفهمه عقولهـم ولا تفقهه قلوبهـم، لحداثة أسنانهم وضيق تفكيرهم.

وأخبـر الحديث بأن عليّاً سـيكون إمام الأمة وقائـد الجيش الذي سـيتصدى لذلك الانحراف الفكري والعقدي، ويبين عُوار مذهب تلك الخارجة، ويقارعها بالبيان والحجة، ثم يقاتلها ويكسر فقارها، وكل ذلك وقع كما نطق به النبي ﷺ. وكان علي يعلـم ذلك كما أوضح الحديث: (فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ).

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/٨٢؛ والنسـائي في الكبـرى (٨٤٨٨)؛ وابن حبان (٦٩٣٧)؛ والحاكم: ٣/١٢٢ ـ ١٢٣؛ والبغوي (٢٥٥٧)، وغيرهم؛ وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي؛ وصحَّحه شعيب الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (٢٤٨٧).

سادساً: دروس وعبر[1]:

١ ـ في هذه الأحاديث منقبة جليلة لأمير المؤمنين علي في قتاله الخوارج، كما في الحديث: «**فإن في قتالهم أجراً لمن قتلهم**».

٢ ـ وفي قصة الخوارج منقبة رفيعة لحبر الأمة عبدالله بن عباس، في مناظرته للخوارج وبراعته وقوة حجته وحسن استدلاله، فاستنقذ الله به (أربعة آلاف) انتقلوا من الضلال إلى الهدى، وله بذلك أجر هدايتهم إلى الحق.

٣ ـ وفيها حرص الصحابة على الناس، وحب الخير لهم، وسعيهم الحثيث على هدايتهم، واستنقاذهم من براثن الهوى والتأويل الفاسد، وتبصيرهم بطريق الهدى والحق.

٤ ـ الكَفُّ عن قَتْل من يعتقد الخروجَ على الإمام، ما لم يَنصبْ لذلك حرباً أو يستعد لذلك؛ لقوله: «**فإذا خرجوا فاقتلوهم**». وحكى الطبري الإجماع على ذلك في حقّ مَنْ لا يكفر باعتقاده.

٥ ـ لا يجوز للحاكم قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم، بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم.

وقد التزم أمير المؤمنين علي بذلك إلى أبعد مدى، فقال لهم: (إنَّ لكم علينا أن لا نمنَعَكم فَيْئاً ما دامت أيديكم معنا، وأن لا نمنعكم مساجد الله، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا).

(١) استقيتُ بعض هذه الفوائد مما كتبه الحافظ في الفتح: ١٦/٥٧ـ٦٠.

وتقدم إليهم فنصحهم، وناظرهم، ودعاهم ورغَّبهم ورهَّبهم، ثم أرسل إليهم ابن عباس، ثم قدَّم بين يديه قيس بن سعد، ثم أمر أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان لهم ويعلن أن من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، فانصرف منهم نحو ثلاثة آلاف!.

٦ ـ لا يجوز أخذ أي إنسان بجريرة غيره؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]. وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وهذا أمير المؤمنين علي يقول للخوارج بعد أن قتلوا عبدالله بن خبَّاب وأم ولده وغيرهما: (ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم).

٧ ـ التحذير من الغلو في الدين والتنطع في العبادة وحمل النفس على أمور لم يأذن بها الشرع! فالشريعة سهلة سمحة، ودين الله متين، فيجب الإيغالُ فيه برفق، وحملُ أمور المسلمين على السلامة، وعدمُ الطعن في دينهم أو تكفيرهم والخروج عليهم بتأويل فاسد، وتفسير النصوص بغير المراد منها.

٨ ـ في ديننا مجال رحب للاجتهاد المنضبط من أهله وأصحابه، والاختلاف طبيعة البشر، وقد اختلف المسلمون قديماً وحديثاً، لكن يجب أن لا يؤدي ذلك إلى المنابذة، وشق عصا الطاعة، وتفريق كلمة المسلمين، والعبث بوحدتهم، ففي ذلك ضياع البلاد وسفك الدماء.

٩ ـ حرص الإسلام على وحدة الأمة، وحافظ على روح الجماعة، واستأصل جراثيم الفرقة، وحارب مظاهر الشذوذ، وشدد النكير على أصحابها.

❁ ❁ ❁

الفصل السادس

واقع الأمة والدولة بعد «النهروان» وقتل الخوارج

أولاً: ضَعفُ جيشِ علي، ونكولُ أتباعه عن نصرته، وتأنيبُه لهم وحثُّه عليهم:

قال أبو مِخْنَف وغيره: (كان علي لمَّا فرغ من أهل النَّهْروان، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن بكم، وأعزَّ نصركم، فتوجَّهوا من فَوْركم هذا إلى عدوكم! قالوا: يا أمير المؤمنين، نفِدَت نبالُنا، وكلَّتْ سيوفنا، ونصَلتْ أسنَّة رماحنا، وعاد أكثرها قِصَداً؛ فارجع إلى مِصرنا، فلنستعدَّ بأحسن عدَّتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عُدَّتنا عُدَّة من هلك منا، فإنَّه أوفى لنا على عدوِّنا! وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس.

فأقبل حتى نزل النُّخَيلة، فأمر الناسَ أن يَلزموا عسكرَهم، ويوطِّنوا على الجهاد أنفسَهم، وأن يُقلّوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم. فأقاموا فيه أياماً، ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وتُرك العسكر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رأيُه في المسير!).

زاد في رواية أخرى: (فتركهم أياماً، حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوهَهم فسألهم عن رأيهم وما الذي يُنظِرُهم؟ فمنهم المعتلّ، ومنهم المُكرَه، وأقلُّهم من نَشِط! فقام فيهم خطيباً فقال:

عبادَ الله، ما لكم إذا أمرتُكم أن تنفِروا إثَّاقلْتُم إلى الأرض؟! أَرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالذل والهوان من العِزّ؟! أَوَ كلما ندبتُكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سَكْرة، وكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تبصرون!...)[1].

وفيه ألفاظ منكَرة؛ كقوله: (عدوكم)، و(ندبتكم إلى الجهاد)، فأهل الشام ليسوا أعداء كما جاء في كلام علي وعمار وغيرهما، وقتالهم ليس جهاداً بل قتال فتنة.

ومع ضعف سند هذا الخبر وما فيه من ألفاظ منكرة، فقد جاء ما يؤيد عمومه في أخبار صحيحة:

روى إبراهيم بن سَعْد الزُّهري، عن شعبة، عن أبي عَوْن محمد بن عُبيد الله الثقفي، عن أبي صالح الحَنَفي قال: (رأيتُ علي بن أبي طالب أخذ المصحفَ فوضعه على رأسه، حتى إني لأرى ورقه يتقعقع، ثم قال: اللَّهمَّ إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه، فأعطِني ثوابَ ما فيه.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٨٩ـ٩٠؛ المنتظم: ٥/١٣٧؛ البداية والنهاية: ٧/٣٠٧ـ٣٠٨.
قِصَداً: قِطعاً منكسرة. **يُنْظِرهم:** يؤخّرهم ويبطئ بهم. **مألوسة:** من الأَلْس وهو اختلاط العقل.

ثم قال: اللَّهمَّ إني قد مَللتُهم وملُّوني، وأَبغضْتُهم وأبغَضُوني، وحَمَلوني على غير طبيعتي وخُلقي وأخلاقٍ لم تكن تُعرف لي! اللَّهمَّ فأبدِلْني بهم خيراً منهم وأبدِلْهم بي شرّاً منِّي، اللَّهمَّ أَمِثْ قلوبَهم مَيْثَ الملح في الماء! قال إبراهيم: يعني أهل الكوفة)[١].

وعن زهير بن الأقمر[٢] الزُّبَيْديّ قال: (خطَبَنا عليٌّ يوم جمعة فقال: نُبِّئتُ أن بُسْراً[٣] قد طلع اليمن، وإني والله لَأحسب أن هؤلاء القوم[٤] سيظهرون عليكم؛ وما يظهرون عليكم إلا بعصيانِكم إمامَكم وطاعتِهم إمامَهم، وخيانتِكم وأمانتِهم، وإفسادِكم في أرضِكم وإصلاحِهم! قد بَعثتُ فلاناً فخَانَ وغَدَر، وبعثتُ فلاناً فخَان وغَدَر وبَعث المالَ إلى معاوية! لو ائتمنتُ أحدَكم على قِدْح لأخذ عِلَاقَته!.

اللَّهمَّ سَئِمتُهم وسئموني، وكرهتُهم وكرهوني، اللَّهمَّ فأرِحْني منهم وأرِحْهم منِّي.

قال زهير: فما صلَّى الجمعة الأخرى حتى قُتل رضي الله عنه وأرضاه)[٥].

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٧٥١/٢؛ ابن عساكر: ٢٦٥/٣؛ البداية والنهاية: ١٢/٨؛ وبأخصر منه عند عبدالرزاق (١٨٦٧٠)؛ ومصنف ابن أبي شيبة: ٥٨٦/٨ من طرق أخرى، وأسانيدها كلها صحيحة. **ماث الملحَ في الماء**: أذابه.

(٢) تحرف في «البداية والنهاية» وغيره إلى: زهير بن الأرقم. انظر ترجمته في تهذيب الكمال: ٢١٩/٣٤.

(٣) هو بسر بن أبي أرطاة.

(٤) يعني: أهل الشام.

(٥) تاريخ ابن عساكر: ٢٦٥/٣ ـ ٢٦٦؛ البداية والنهاية: ٣٢٦/٧، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. وهو في نهج البلاغة، انظر: شرحه: ٢٨١/١.

بهـذا وَصف أمير المؤمنين جيشَه ومن يزعمون حبَّه ونُصرته، وبعكسه في الفضائل وَصف أهلَ الشام بالطاعة والأمانة والإصلاح، وليس بعد شهادة علي من قول، وهو ما يُضرب به وجوه الرافضة وأذنابهم الذين يَصِفون أهلَ الشام بالكفر والفسوق في الدين!.

وقد وصف ابن تيمية هذه الأخبار بأنها متواترة عن علي، فقال: (وتواتر عنه أنه كان يتضجَّر ويتململ من اختلاف رعيته عليه، وأنه ما كان يَظن أن الأمر يَبلُغ ما بَلغ!)[١].

بل جاءت هذه النصوص في «نهج البلاغة» أوثقِ كتاب عند عموم الشيعة، مع زيادات كثيرة. ومما قاله في ذمِّ أتباعه لنكولِهم عن نصرته، وقعودِهم عنه، وإخلادِهم للراحة والكسل، قال:

(يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ! حُلومُ الأطفال، وعقولُ ربَّاتِ الحِجَال؛ لَودِدتُ أني لم أَرَكم ولم أعرفكم معرفةً ـ والله ـ جرَّتْ ندماً وأَعقبتْ سَدَماً. قاتلكم الله! لقد ملأتُم قلبي قيحاً، وشَحنتُم صدري غَيْظاً، وجَرَّعتُموني نُغَبَ التَّهمام أنفاساً، وأَفسدتُم علَيَّ رأيي بالعِصيان والخِذْلان...

أيَّ دارٍ بعد داركم تمنعون؟ ومع أيِّ إمام بعدي تُقاتِلون؟ المغرورُ والله مَن غَرَرْتُموه، ومَن فاز بكم فقد فاز والله بالسهمِ الأخيبِ!)[٢].

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٤٦٤.

(٢) نهج البلاغة، شرحه لابن أبي الحديد: ١/٣٥٥، ٣٨٢. السدم: الحزن والغيظ. نُغَب: جمع نَغْبة وهي الجَرْعة. التَّهمام: الهمّ.

ثانياً: قوة جبهة أهل الشام، وتمدد سُلطانهم في دولة الخلافة:

في مقابل ضعفِ الجبهة العراقية، ووهنِ جيش أمير المؤمنين علي، وتخاذلِ جنده عن القيام بأوامره ـ فإن الجبهة الشامية تزداد قوة، والجيش الشامي يستمر في تماسكه وطاعته التامة لوالي الشام معاوية. ونتج عن ذلك مع عوامل أخرى: تمدُّدُ سلطان الشام شيئاً فشيئاً على أمصار كبيرة وبلدان كثيرة من ولايات دولة الخلافة.

فمعركة صفين لم تحسِم الموقف لأي من الطرفين، وتمخَّض عنها التحكيم الذي لم يبتَّ في المسائل الخلافية الأساسية، وكان من أخطر نتائجه وأبرزها الاعتراف الضمني والواقعي بأمير الشام والشاميين كقوة كبيرة مستقلة مؤثرة على مسرح الأحداث في دولة الخلافة مما لم يكن معهوداً في عصر الخلفاء الراشدين الثلاثة.

والذي مهَّد لذلك وأَسَّس له وأنتجه هو الأحداث التي وقعت أواخر عهد عثمان، والفتن التي اختلقها وأذكى جذوتها قتلةُ عثمان، واستمروا مع السبئية في المُضيِّ فيها حتى عهد علي وأحداثِ وقعتي الجمل وصفين ثم الخوارج ـ مما أَنهك قوى جيش علي وأحدث شروخاً في صفوفه، ورسَّخَ عدمَ الثقة بين قواه وقادته. ناهيك عن كثرة اختلافهم على الخليفة المبتلى بهم! مما فَتَّ في أعضادِ الجند، فَنَكَلوا عنه وخذلوه وتسلَّلوا منه لِواذاً، وتركوه في طائفة من أنصاره، حتى دعا عليهم من قلب يعتصر مرارة، وتنغَّصت عليه الحياة وأصبح ينتظر أجَلَه ويقول: (ماذا ينتظر أشقاها)؟!.

يقول ابن تيمية: (وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكاسات المُرّة ما لا يعلمه إلا الله، حتى دعا عليهم فقال: اللَّهمَّ قد

سـئمتُهم وسـئموني، فأبدِلْني بهم خيراً منهم، وأبدِلْهم بي شرّاً مني! وقد كانـوا يغشُّـونه ويكاتبون من يحاربـه، ويخونونه فـي الولايات والأموال)[1].

هذا فضـلاً عما حصل في كثير من الولايـات الكبيرة والبعيدة من فتن واختلاف على الولاة وانقلاب الأمراء والعمال عليه رضي الله عنه !.

هذه الظروف والعوامل التي حدثت في دولة الخلافة وأحاطت بها؛ أوهنت قواها وأضعفت روابطهـا وأفقدتها عوامل الصمود والمناعة أمام التحديات. وفي مقابل ذلك كانت مصدر قوة لجبهة الشـام التي تتمتع بجميع عوامل القوة والنجاح.

•• فالجزيرة الفراتية ـ التي بين نهرَي دجلة والفرات ـ هي إحدى الولايات التابعة للشـام في خلافة عثمان، وعند استشهاده كانت تحت سـلطان معاوية، مما جعلها محلَّ تنازعٍ عند استخلاف علي؛ لاتصالها بالشام من جهة، وبالعراق من جهة ثانية. وقد دخلت في سلطان الخلافة مدة، ثم عاد الاضطراب إليها بعد صفين والتحكيم، وتمكن معاوية من ضمِّها إلى سلطانه سنة (٣٩هـ).

•• والولاية الأهم والأخطر هي مصر لاعتبارات كثيرة: لقُربِها من الشام، ولكونها تشكل معه وحدة جغرافية وسياسية كبيرة وخطيرة، وهي بوَّابة المغرب العربي الإسلامي، وفاتحها والخبير بها وبأهلها هو الفاتح الكبير عمرو بـن العاص وهو الرجل الثاني في الجبهة الشـامية، وهي

---

(١) منهاج السُّنَّة: ١/٤٠٠ـ٤٠١.

(موطن الفتنة) التي عصفت بروح الشهيد عثمان بن عفان، وكانت مَباءةً للاختلاف على ولاته ثم على ولاة علي من بعده، وأهلها منقسمون بين (عثمانية) و(علوية)...

هذه العوامل كانت كفيلة بالاهتمام الشديد من قِبل الخليفة علي ووالي الشام معاوية: ففي أواخر عهد عثمان طَرَدَ أصحابُ الفتنة (وعلى رأسهم محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة) والي عثمان (عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح)، وانتزى على حكمها محمد بن أبي حذيفة. وعندما استُخلف علي أقرَّه مُدَيدَةً، ثم أرسل والياً عليها (الصحابي الداهية قيس بن سعد بن عُبادة) الذي تمكن من إدارة الصراع بين مكوناتها وساسَها أحسنَ سياسة. لكن أصحاب الفتنة أفسدوا ما بينه وبين أمير المؤمنين علي، فعزله وأرسل (الأشتر النخعي) الذي قُتل في الطريق، فولى عليها (محمد بن أبي بكر)!.

في هذه الظروف التي يعيشها ذلك المِصر الكبير، مع ظروف وقعة صفين والتحكيم؛ أوكل معاويةُ إدارة الصراع إلى فاتح مصر والخبيرِ بجميع شؤونها: عمرو بن العاص، فسار إليها في جيش من الشام ودخلها وتمكن من التغلب على محمد بن أبي بكر وقتله، وأضحى والياً عليها للمرة الثالثة (الأولى في عهد عمر، والثانية في خلافة عثمان).

وأصبحت مصر تابعةً لوالي الشام معاوية، وشكَّلت مع بلاد الشام قوة استراتيجية جغرافية وسياسية كبيرة وهامة ومتينة، والتي أَخذت مع مرور الزمن السريع تضمُّ إليها الأمصار واحداً تلو الآخر.

هذه هي حقيقة عملِ عمرٍو في ضَمِّ مصر إلى الشام، لا ما تروِّجُه الأخبار التالفة من أنه اشترط لانضمامه إلى معاوية أن يجعل (مِصر طعمةً) له ولولده[١]!.

•• وكذلك كانت (بلاد الحجاز) مناطق تنازع بين علي ومعاوية، حتى إنه حدث خلاف على إمرة الحج سنة (٣٨هـ)، حيث بعث كلٌّ من علي ومعاوية أميراً من قِبله ليحجَّ بالناس، ولم ينتهِ الخلاف إلا بالتصالح على أن يتولى رجل آخر على الموسم ليقيم للناس حجَّهم[٢].

وانحسرت سلطة الخلافة عن الحجاز في سنة (٤٠هـ)، ودخلت في سلطان معاوية.

•• وكانت اليمن أيضاً مسرحاً لصراع القوتين، وسيطرت عليها قوات معاوية مدة، ثم استعادها علي وأخضعها لسلطان الخلافة.

•• وجَرَتْ أيضاً صراعات محدودة على بعض المناطق في العراق؛ مثل هيت والأنبار والقُطْقُطانة قرب الكوفة.

إلى غير ذلك من الأحداث التي تشير بمجموعها إلى تنامي قوة أهل الشام وضعف قوة أهل العراق. وأمام هذا الواقع الجديد رأى الفريقان أن يتفقا على هدنة بينهما تُغمد فيها السيوف وتُحقن الدماء.

وقد ذكر الطبري ذلك في أحداث سنة (٤٠هـ)، ورواها بصيغة التمريض والضعف، فقال: (وفي هذه السنة فيما ذُكر جرت بين عليٍّ

(١) انظر ما تقدم: ص ٤٣١ ـ ٤٣٥، ٤٥١ ـ ٤٥٦ في هذا الكتاب.

(٢) تقدم: ص ٤٦١ في هذا الكتاب.

وبين معاويةَ المهادنة، بعد مكاتبات جرت بينهما: على وَضْع الحرب بينهما، ويكون لعليٍّ العراق ولمعاويةَ الشام، فلا يدخل أحدُهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو)[(١)].

وقد آلَمَ أميرَ المؤمنين عليّاً ما آلَتْ إليه الأمورُ، وزاد من حزنه ومرارة عيشه ما رآه من الخوارج الذين كانوا معه ثمّ خرجوا عليه وقاتلوه، فقتلهم، وبَقيتْ منهم بقيةٌ كانوا يتهدَّدونه بالقتل. وكان هو يعلم أنه سيُقتل غَدْراً، فضاقت عليه الدنيا وتنغَّصت الحياة، بعد أن اصطَلَحتْ عليه المِحن، فكان ينتظر أجَلَه ويقول: (ما يَحبس أشقاها؟! ما لَه لا يَقتُل؟!).

بهذا الفصل المأساوي الحزين الدامي كانت نهاية حياة أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين، وهذا ما سنفصله في الباب الأخير من هذا الكتاب.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري: ١٤٠/٥؛ البداية والنهاية: ٣٢٣/٧.



الباب الثامن

الأيامُ الأخيرةُ في حياةِ عليٍّ

- الاستشهاد.
- الوداعُ والمراثي.

• • •



الفصل الأول

الاستشهادُ

من فضل الله تعالى ومن حكمة الأقدار أن النفوس الكبيرة يُختَم لها بخاتمة جليلة شهيرة مدوّية. وأصحاب الفضائل الكثيرة والأعمال الجليلة يُجْزَوْنَ الجزاء الأوفى بما يكافئ مكانتهم وشموخ قامتهم ووزنهم في التاريخ وصناعة الأحداث ـ وهكذا كانت نهاية أمير المؤمنين علي.

وهل هناك أجَلُّ وأكرمُ وأشهرُ وأعظمُ من أن يُرزق المرء الشهادة ويُبشَّر بالجنة، ويَعلم هو ذلك ويتيقَّنه، ويَمضي في حياته والأحداث الجسام تحتوشه ولا تستطيع أن تزحزحه عن يقينه الصارم بالخاتمة الرائعة الدامية في الوقت نفسه؟! هكذا كان أمير المؤمنين علي، الذي مضى على سبيل الخلفاء الراشدين من قبله، فنال الشهادة والسعادة مثل ما نالها قبله الفاروق عمر وذو النورين عثمان!.

أولاً: الأحاديث في استشهاد علي:

١ ـ عن أبي الأسود الدُّؤَليّ: (عن عليٍّ قال: أتاني عبد الله بن سَلَام وقد وَضعتُ رِجلي في الغَرْز وأنا أريدُ العراقَ، فقال: لا تأتِ العراقَ

فإنك إنْ أتيتَهُ أصابَكَ به ذُبَابُ السَّيف! قال علي: وايْمُ اللهِ، لقد قالها لي رسولُ الله ﷺ قَبْل! قال أبو الأسود: فقلت في نفسي: يا للهِ! ما رأيت كاليوم؛ رجلٌ مُحارِبٌ يحدِّثُ الناسَ بمثلِ هذا!)[١].

٢ ـ وعن علي بن أبي طالب: (أن رسول الله ﷺ قال: «**أشقى الأوَّلِين عاقِرُ الناقة، وأشقى الآخِرين الذي يَطعَنُك يا عليّ**» وأشار إلى حيث يُطْعَن)[٢].

٣ ـ وعن عبدالله بن سَبُع قال: (سمعتُ علياً يقول: لَتُخْضَبَنَّ هذه من هذا، فما يَنتظِرُ بي الأَشقى؟! قالوا: يا أمير المؤمنين فأخبِرْنا به نُبِيرُ عِتْرَتَه! قال: إذنْ تاللهِ تقتلون بي غيرَ قاتلي! قالوا: فاسْتَخْلِفْ علينا، قال: لا، ولكنْ أترُكُكُم إلى ما ترَكَكُم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقولُ لربِّك إذا أتيتَهُ ـ أو: إذا لَقِيتَهُ ـ؟! قال: أقول: اللَّهمَّ تركتَني فيهم ما بَدَا لك، ثم قبضْتَني إليك وأنتَ فيهم، فإنْ شئتَ أصلحتَهم، وإنْ شئتَ أفسَدْتَهم)[٣].

٤ ـ وعن عمار بن ياسر قال: (كنتُ أنا وعليٌّ رفيقَيْن في غزوة ذات العُشَيْرة...)، فذكر قصة، ثم قال: (قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُحدّثكما بأشقى الناس؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أُحَيْمِرُ ثمودَ الذي عَقر**

---

(١) أخرجه الحميدي (٥٣)؛ وأبو يعلى (٤٩١)؛ والبزار (٢٥٧١)؛ وصحَّحه ابن حبان (٦٧٣٣)؛ والحاكم: ١٤٠/٣، واللفظ له، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٣٥/٣؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٨٨) بشواهده.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧٨) و(١٣٣٩)، واللفظ له؛ وابن سعد: ٣٤/٣؛ وابن أبي شيبة: ٥٨٧/٨، وصحَّحه أحمد شاكر.

الناقة، والذي يَضْرِبُك يا عليُّ على هــذه» ووضع يده على قَرْنِه، **«حتى يَبُلَّ منها هذه»** وأَخذ بِلحْيَتِه)[1].

٥ ـ وعن زيد بن وَهْب قال: (جاء رأسُ الخوارج إلى علي فقال له: اتقِ اللهَ فإنــك ميِّتٌ! فقال: لا والــذي فَلَق الحبَّة وبَرَأَ النَّســمة، ولكني مقتولٌ من ضربةٍ من هذه تَخْضِبُ هذه ـ وأشــار بيده إلى لحيته ـ عهدٌ معهودٌ، وقضاءٌ مقضيٌّ، وقد خاب مَن افترى!)[2].

ثانياً: عِلمُ عليٍّ بأنه سيُقتل شهيداً:

هذه الأحاديث تنص على أن عليّاً رضي الله عنه إذا خرج إلى العراق سيُصيبه ذُبَاب السيف؛ أي: حدُّه، ويموت قتلاً شهيداً، فيُضْرَب على هامته فيسيل الدم على لحيته حتى تبتل بدمه الزكي!.

وكان علي راســخَ اليقين بهذا الإخبار النبوي، فقد مرض ذات مرة حتى خاف عليه أصحابه، وجاؤوا يعودونه:

روى فَضالة بن أبي فَضَالة الأنصاري قــال: (خرجتُ مع أبي عائداً لعلي بن أبــي طالب من مــرض أصابه ثَقُــلَ منه، قال: فقــال له أبي:

---

(١) أخرجه أحمد: ٢٦٣/٤ (١٨٣٢١)؛ والنسائي في الكبرى (٨٤٨٥)؛ وابن هشام في الســيرة: ٥٩٩/١ـ٦٠٠؛ والطحاوي في شــرح مشــكل الآثــار (٨١١)؛ والحاكم: ١٤٠/٣ـ١٤١ وصحَّحه، وأقره الذهبي؛ وصحَّحه شعيب الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (١٧٤٣).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المســند (٧٠٣)؛ والطيالسي (١٥٧)؛ والحاكم: ١٤٣/٣، وصحَّحه أحمد شاكر.

ما يُقِيمُك في منزلك هذا؟! لو أصابك أجَلُكَ لم يَلِكَ إلا أعرابُ جُهينة! تُحمل إلى المدينة، فإنْ أصابك أجلُـك وَلِيَكَ أصحابُك وصلَّوا عليك، فقال علـي: إن رسـول الله ﷺ عَهِد إلـيَّ أن لا أموتَ حتـى أُؤَمَّر، ثم تُخضبَ هذه ـ يعني لحيتَه ـ من دم هذه ـ يعني هامَتَه ـ!)[1].

وروى زيد بن أَسْلم: أن أبا سِـنان الدُّؤَلي حدثه: (أنه عاد عليّاً في شكوى اشـتكاها، فقلتُ له: لقد تخوّفْنا عليك يا أبا الحسن في شكواك هذه! فقـال: ولكنِّـي والله ما تخوَّفْتُ على نفسـي منه؛ لأني سـمعتُ الصادقُ المصدوق ﷺ يقول: «**إنك ستُضرب ضربةً هاهنا وضربةً هاهنا**» وأشار إلى صدغيه، «**فيسيلُ دمُها حتى تُخضَبَ لحيتُك، ويكون صاحبُها أشقاها، كما كان عاقرُ الناقة أشقى ثمودَ**»)[2].

وكان رضي الله عنه يحدث الناس بذلك، ويقول: (لَتُخْضَبنَّ هذه من هذه، فما يَنتظر بي الأشقى؟!).

وقد كان له أيام الخوارج حراس يحرسـونه كل ليلـة، يبيتون في المسجد بالسلاح، فرآهم فقال: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: نحرسُك، فقال: أَمِنْ أهل السماء تحرسـون أم من أهل الأرض؟ قالوا: بل من أهل الأرض، قال: إنه لا يكون في الأرض شـيء حتى يُقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وُكِّل به مَلَكان يدفعان عنه ويَكْلآنه، حتى يجيء قَدَرُه، فإذا

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٢)، وصحَّحه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه عبد بـن حميد فـي المنتخب (٩٢)؛ وأبـو يعلـى (٥٦٩)؛ والحاكم ١١٣/٣ وصحَّحه؛ وصحَّحه شـعيب الأرنؤوط في هامش شرح مشكل الآثار: ٢٨٣/٢ (٨١١).

جاء قدرُه خَلَّيا بينه وبين قَدَرِه! وإن علَيّ من الله جُنَّةً حَصينةً، فإذا جاء أجلي كُشف عني، وإنه لا يجدُ عبدٌ طعمَ الإيمان حتى يعلمَ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[١].

ولما دخل شهر رمضان جعل علي يتعشَّى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر، لا يزيد على ثلاث لُقَم، ويقول: يأتي أمرُ الله وأنا خَمِيصٌ، وإنما هي ليلة أو ليلتان[٢]!.

وكان يتمثل بهذين البيتين:

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ ... فإنَّ الموتَ آتِيكا
ولا تَجْزَعْ من القَتْلِ ... إذا حَلَّ بِوَادِيكا[٣]

عن أبي مِجْلَز لاحِق بن حُميد قال: (جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد، فقال: احترِسْ، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك! فقال: إن مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مما لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خلَّيَا بينه وبينه، وإن الأجَلَ جُنَّة حصينة)[٤].

ولم يكن علي مفرِّطاً في حق نفسه، لأنه عَلِم من رسول الله ﷺ أنه سيُقتل، ولن يحول دون قدر الله تعالى حراس ولا حُجَّاب، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٢٨٩/٣ـ٢٩٢.
(٢) المعرفة والتاريخ: ٤٠١/٣؛ ابن عساكر: ٢٩٤/٣؛ البداية والنهاية: ١٢/٨ـ١٣.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣٣/٣؛ مجمع الزوائد: ١٣٨/٩. **الحيزوم**: هو الصدر، والكلام كناية عن التشمّر للأمر والاستعداد له.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣٤/٣. **جُنَّة**: وقاية.

ثالثاً: تنفيذ الجريمة الغادرة:

قام ثلاثة نفرٍ من الخوارج هم: عبدالرحمن بن مُلْجَم المُرادي، والبُرَكُ بن عبدالله التَّمِيمي، وعَمْرو بن بكر التميمي، فاجتمعوا في مكة، وتذاكروا قَتْلَ عليٍّ إخوانَهم من أهل النَّهْروان، فترحموا عليهم، وتعاقدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص! فقال ابن مُلْجَم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البُرَك: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عَمْرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. واتَّعَدوا لسبع عشرة من رمضان، أن يُبيِّت كل واحد منهم صاحبَه في بلده الذي هو فيه.

وسار ابن مُلْجَم إلى الكوفة لتنفيذ جريمته، وانضمَّ إليه هناك رجل من بني الرِّباب يقال له: وَرْدان، وآخر هو شَبيب بن بَجَرة الحَرُوريّ. فجاء هؤلاء الثلاثة وهم مشتمِلون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدَّة التي يخرج منها أمير المؤمنين علي، فلما خرج جعل يُنهِض الناسَ من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاةَ الصلاةَ، فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق[1]، فضربه ابنُ مُلجَم فأصاب جبهته إلى قَرْنه[2]، فسالَ دمُه على لحيته رضي الله عنه! ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حُكْمَ إلا لله، ليس لك يا علي ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

---

(١) **الطاق**: ما عطف وجعل كالقوس من الأبنية، والمقصود أنه لم يصبه.

(٢) **قرنه**: جانب رأسه.

ونادى عليٌّ: عليكم به. وهَرب وَرْدان، فأدركه رجلٌ من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فنَجَا بنفسه وفاتَ الناسَ، وأُخِذ ابنُ مُلْجَم فأُدخِل على عليٍّ، وقدَّم عليٌّ جعدةَ بنَ هُبيرة فصلَّى بالناس صلاة الفجر(١).

رابعاً: وقفة تأمل وعبرة:

ظاهر الروايات يشير إلى أن استهداف أمير المؤمنين عليٍّ من قِبل الخوارج كان انتقاماً منه وثأراً لإخوانهم الذين قتلهم يوم النَّهْروان، وأنه حادث فردي محدود. وهكذا تصوِّر الأخبار التي رويت في قتل الشهيد العظيم فاروق الإسلام عمر، وذي النورين عثمان!.

وعلى هذا السبيل الساذج يسير كثير ممن كتب عن هذه الأحداث الخطيرة، متعمدين أو غافلين عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراءها، وكشفِ المخطط الرهيب الذي انتَظَمتْ فيه الأحداث لتحقيق الهدف الخبيث في اغتيال الشهداء الثلاثة عمر وعثمان وعلي.

فالفاروق عمر قد وسِع بعدله المسلمين وغير المسلمين، وبسط رحمته للبهائم والعجماوات، لكن ضاق به حقد المجوس والصليبية، فائتمروا عليه بتخطيط من الهرمزان القائد الفارسي الذي أظهر إسلامه، فاجتمع بأبي لؤلؤة المجوسي وجُفينة النصراني ودبَّروا طريقة الاغتيال التي نفذها أبو لؤلؤة، وعندما أُخِذ نَحر نفسَه لتموت أسرار المؤامرة معه، والتي كُشفت فيما بعد.

---

(١) تاريخ الطبري: ١٤٣/٥ـ١٤٦؛ طبقات ابن سعد: ٣٥/٣ـ٣٨؛ البداية والنهاية: ٣٢٦/٧ـ٣٢٩.

وفي عهد عثمان اخترع أعداء الإسلام طريقاً جديداً تمثَّل في الطعن على الولاة والاختلاف عليهم ونشْر الشائعات ضدهم ثم الخروج عليهم، وجاء ابن سبأ فطَوَّر المخطط وأضاف إليهِ بُعْداً خطيراً فاخترع (أكذوبة الوصية لعليّ)، وروَّجَ لها بين الرَّعَاع حتى طارت في الأمصار وانتشرت في مصر والعراق، وانتهت المؤامرة بالخروج على أمير المؤمنين عثمان ثم محاصرته وسفك دمه وهو صائم يتلو القرآن الكريم.

واستمر قتلة عثمان في مخططهم الإجرامي في عهد علي، وكانوا السببَ الأول والأخير في إراقة الدماء وقتْل الأنفس في وقعتي الجمل وصفين التي انتهت بالتحكيم وولد من (رحمها السرطاني الخبيث) الخوارج الذين خرجوا على علي ثم قتلوه!.

وفكرة الخروج على الولاة وعلى أمير المؤمنين علي لم تكن بِدْعاً، بل هي لون آخر من طريقة الذين خرجوا على عثمان، والنتيجة واحدة.

وإذا كان علي (قد حكَّم آراءَ الرجال بالقرآن) كما يزعم الخوارج، مما اقتضى برأيهم تكفيرَهُ ومقاتلتَه، ثم هو الذي قتل إخوانهم يوم النهروان مما يُبيح الثأر منه ـ فلماذا قرَّر هؤلاء السفهاء المجرمون قتْلَ الصحابة الثلاثة: (علي ومعاوية وعمرو)؟ وما هو الجامع بين ثلاثتهم؟!.

إننا نرى أن لقتلة عثمان والسبئية يداً طولى في ذلك، وهي ليست بالخفيّة، لكن الروايات التاريخية أغفلَتْها: لطغيان (المدِّ الخارجي) آنذاك، ولأن الثلاثة الذين نفذوا الجريمة كانوا من الخوارج، وأيضاً لأن جيش علي قد انْخَزَل عنه وتركه لمصيره؛ مما أوحى ـ في الرواية التاريخية ـ بأن قتلة عثمان قد اضمحلَّ دورُهم في الأحداث الأخيرة.

لكنْ وضع الرجال الثلاثة الكبار (علي ومعاوية وعمرو) في مخطط الاغتيال، يشي بأن أكثر من جهة متضررة منهم وخائفة من بقائهم فضلاً عن اتفاقهم! فعليٌّ رضي الله عنه عدو الخوارج وقاتلُ أبنائهم وأحبتهم إذا قُتل فسوف يؤول أمر الخلافة إلى الوالي القوي الشهير معاوية، وهو عدو الخوارج لأنه دعا إلى التحكيم، كما أنه عدو لدود لقتلة عثمان والسبئية، حيث إن محورَ عملِه ومواقفِه إقامةُ الحد عليهم والقصاص منهم لدم الشهيد عثمان، فلا بدّ من قتله لهذا وذاك!.

أما عمرو بن العاص فهو عدوٌّ قديم للسبئية وقتلة عثمان منذ ولايته على مصر في عهد عثمان وكذلك في عهد علي، حيث أخذ بأنفاسهم وحاصرهم وقضى عليهم وقتل محمد بن أبي بكر هناك وأضحى أميرَ مصر من جديد، ولا يخفى إضافة إلى ذلك عداوته للخوارج لأنه صاحب فكرة (التحكيم)!.

وهكذا باستقراء الأحداث المتسلسلة من لَدُن أواخر عهد عمر حتى استشهاد علي؛ نرى المخطط الرهيب يسير بانتظام، وتتكامل عناصره وتتجمع أطرافه وتتوحد قواه لتصبَّ في اتجاه واحد هو هدمُ الخلافة ومحاربةُ الإسلام وإيقافُ مدِّه الدفَّاع وتفكيكُ عناصر قوته من الداخل، وقد نجح هذا المخطط ـ للأسف ـ في تحقيق بعض أهدافه!.

ومما يلفت نظرَ الباحث والدارس والمتابع لتلك الأحداث الخطيرة، أن الخلفاء الثلاثة قد نُفِّذت المؤامرة ضدهم واغتيلوا (في أوقات عبادة وهدوء وأمان):

فعمرُ طُعِن وهو يؤمُّ المسلمين في صلاة الفجر، وعثمان استُشهد محاصَراً في بيته وهو صائم يتلو القرآن، وعليٌّ نال الشهادة وهو صائم في السابع عشر من رمضان وقد خرج من بيته يوقظ المسلمين لصلاة الفجر!.

أتُراها مصادفة؟ أم أن الجُناة المجرمين قد مَشَوا على خطة واحدة واختاروا (أوقات الأمن لهم) من المراقبة والمتابعة والمواجهة، حيث قلوب المسلمين متفرِّغة للعبادة خاشعة في لقاء الله سبحانه وتعالى والوقوف بين يديه، في حين قلوب أعداء الإسلام تضطرم حقداً وتنفذ الجريمة في تلك الأوقات الهادئة الآمنة؟!.

خامساً: تاريخ استشهاده، ومدة خلافته، ومبلغ عمره:

طُعن علي رضي الله عنه يوم الجمعة سحراً، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة (٤٠هـ)، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وفاضت روحه إلى بارئها ليلة الأحد، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان.

واستمرت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وكان عمره يوم استُشهد ثلاثاً وستين سنة[١].

سادساً: غسله والصلاة عليه، وموضع قبره واختراع مشهده:

غسَّله ابناه الحسن والحسين، وعبدالله بن جعفر، وكفَّنوه في ثلاثة

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٩٨؛ طبقات ابن سعد: ٣٧/٣، ٣٨؛ تاريخ الطبري: ١٥٢/٥، ١٥٣؛ تاريخ بغداد: ١٣٤/١، ١٣٦؛ المستدرك: ١١٢/٣ـ١١٣، ابن عساكر: ١٨/١ـ١٩، ٣١٧/٣ـ٣٢٩، ٣٤٠ـ٣٤٥.

أثواب ليس فيها قميص، وصلَّى عليه ابنه الحسن ـ أكبر بنيه ـ ودُفن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا قبره. وفي رواية: أنه دُفن بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة، والمشهور الأول(1).

قال ابن كثير: (ومن قال: إنه حُمل على راحلته فذهبت به فلا يُدرى أين ذهب، فقد أخطأ وتكلَّف ما لا علمَ له به، ولا يُسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثيرٌ من جَهَلة الروافض من أن قبره بمشهد النَّجَف؛ فلا دليل على ذلك ولا أصل له)(2).

ونقل الخطيب البغدادي عن الحافظ محمد بن عبدالله الحَضْرمي المعروف بِمُطَيَّن: أنه (كان يُنكِر أن يكون القبر المَزور بظاهر الكوفة قبرَ علي بن أبي طالب عليه السلام. وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر مَنْ هذا لرجَمَتْه بالحجارة؛ هذا قبرُ المغيرة بن شعبة!)(3).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما المشهد الذي بالنجف: فأهلُ المعرفة متفقون على أنه ليس بقبر عليٍّ، بل قيل: إنه قبر

(1) تاريخ خليفة، ص ٢٠١؛ طبقات ابن سعد: ٣٨/٣؛ المستدرك: ١٤٣/٣؛ ابن عساكر: ٣٠٧/٣، ٣١٠ـ٣١٤؛ البداية والنهاية: ٣٢٩/٧ـ٣٣٠.

(2) البداية والنهاية: ٣٣٠/٧.

(3) تاريخ بغداد: ١٣٨/١؛ تاريخ ابن عساكر: ٣١٤/٣. وقد تكلم محققه الرافضي في هؤلاء العلماء الذين ذكروا موضع القبر؛ بأقذع الكلام وأنهم لا علم لهم بهذا، وهم (من شيعة آل أبي سفيان وأبناء الشجرة الملعونة في القرآن!)... إلى آخره كلامه!.

المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يَذكر أن هذا قبر علي، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاث مئة سـنة؛ مع كثرة المسـلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم، وحكمهم بالكوفة. وإنما اتخذوا ذلك مشهداً في مُلك بنـي بُوَيْه ـ الأعاجـم ـ بعد موت علي بأكثـر من ثلاث مئة سنة!)(١).

سابعاً: تركته:

ثبت عن الحسن بن علي أنه قال: لم يترك أبي إلا سبع مئة درهم، كان يَرصدها لخادم يشتريها لأهله(٢).

أي: لم يترك من النقـد، فقد ترك أراضي وعقـارات وقُرى ورقيقاً كثيـراً بِيَنْبُـع ووادي القـرى، وقد كتب وصيـة مطولـة مفصلة في (١٠ جمادى الأولى، سنة ٣٩هـ)(٣)، وأوصى بالخمس مما ترك(٤).

ثامناً: وصاياه:

دخل جُندب بن عبدالله على عليٍّ فقال: (يا أمير المؤمنين، إنْ فَقَدناك ـ ولا نَفْقِدك ـ فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمُركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. فردَّ عليه مثلَها، فدَعَا حسـناً وحسـيناً، فقال: أوصيكم بتقـوى الله، وألا تبغيا

---

(١) مجموع الفتـاوى: ٥٠٢/٤، وانظر: ٤٩٨/٤ـ٥٠٢، ٤٤٦/٢٧؛ منهاج السُـنَّة: ٨٨/٤.

(٢) الحلية: ٦٥/١؛ الاستيعاب: ٤٨/٣؛ ابن عساكر: ٣٣٠/٣.

(٣) مصنف عبدالرزاق (١٩٤١٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٦/٧.

الدنيا وإنْ بغَتْكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقُولَا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخـرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذْكما في الله لومة لائم.

ثم نظـر إلى محمد ابـن الحَنفيَّة فقال: هل حفظـتَ ما أوصيتُ به أخوَيْك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثلـه، وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهمـا عليك، فاتبع أمرَهمـا، ولا تقطع أمـراً دونهما. ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابنُ أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه.

وقال للحسن: أوصيك أي بُنَيَّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تُقبل صلاة من مانع زكاة. وأوصيك بغَفْر الذنب، وكَظْم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش)[1].

فلما حَضَرْت عليّاً الوفاةُ أوصى، فكانت وصيته: (بسـم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شـريك له، وأن محمداً عبده ورسـوله، أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظهرَه على الدين كلِّه ولو كره المشـركون. ثم إن صلاتي ونسـكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين، لا شريكَ له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين.

---

(١) تاريخ الطبري: ١٤٦/٥ـ١٤٧؛ مروج الذهب: ٣٢١/٢ـ٣٢٢؛ البداية والنهاية: ٣٢٨/٧. وانظر وصية مطولة جدّاً للحسن في «نهج البلاغة»: شرح نهج البلاغة: ٢٢٩/٨، ٢٦٣ـ٣١٠.

ثم أوصيك يا حسن وجميعَ ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا؛ فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**إنَّ صلاحَ ذات البَيْن أفضَلُ من عامة الصلاة والصيام**». انظروا إلى ذوي أرحامكم فَصِلُوهم يُهوِّن الله عليكم الحساب. اللهَ اللهَ في الأيتام، فلا تُعنوا أفواهَهم، ولا يَضيعُنَّ بحضرتكم. واللهَ اللهَ في جيرانكم فإنهم وصيةُ نبيكم ﷺ، ما زال يوصي به حتى ظَنَنَّا أنه سيورِّثه. واللهَ اللهَ في القرآن فلا يسبقنَّكم إلى العمل به غيرُكم. واللهَ اللهَ في الصلاة فإنها عمودُ دينكم. واللهَ اللهَ في بيت ربكم فلا تُخلوه ما بقيتم. واللهَ اللهَ في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم. واللهَ اللهَ في الزكاة فإنها تُطفِئ غضبَ الربِّ.... ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولَّى الأمرَ شرارُكم ثم تَدْعُون فلا يُستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

حفظكم الله من أهلِ بيتٍ، وحفِظ فيكم نبيَّكم، أستودِعُكم الله، وأقرأُ عليكم السلام ورحمة الله.

ثم لم ينطق إلا بـ«لا إلٰه إلا الله» حتى قُبِض ﷺ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين)[1].

وأوصى رضي الله عنه وأرضاه بأن لا يُمثَّل بقاتلِه؛ فعن محمد ابن الحنفيَّة، عن أبيه أمير المؤمنين علي: أنه قال في عبد الرحمن بن مُلْجَم:

(١) تاريخ الطبري: ٥/١٤٧ـ١٤٨؛ البداية والنهاية: ٧/٣٢٨ـ٣٢٩.

(إنه أسـيرٌ، فأحسِنوا نُزُلَه وأكرِموا مَثْواه، فإنْ بقيتُ قَتلتُ أو عَفوتُ، وإنْ مُتُّ فاقتُلوه قِتْلَتي، ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين!)[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن سعد: ٣٥/٣، ورجاله ثقات وإسناده صحيح؛ وهو في أسد الغابة: ٣٥/٤؛ وتاريخ ابن عساكر: ٢٩٨/٣.

الفصل الثاني

الوداعُ والمَراثي

ودَّع الصحابة والتابعون والأمة الإسـلامية بالحزن العميق والأسى الغامر والدموع السخية شهيدَ الإسـلام والحق والبطولة، أميرَ المؤمنين ورابعَ الخلفاء الراشدين أبا الحسـن رضي الله عنه وأرضاه... وامتدحوه وأطابوا الثناء عليه والمنافحة عنه في حياته وبعد وفاته.

- ومن أجلِّ مراثيه ما جاء عن ابنه الحسن السبط الكريم رضي الله عنه، فقد روى هُبَيْرة بن يَرِيم قال: سـمعتُ الحسـن بن علي قام فخطب الناس فقال: (يا أيها الناس، لقد فارقكم أمسِ رجلٌ ما سَبَقه الأوَّلون ولا يُدركه الآخِرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثُه المبعث فيُعطيه الرايةَ، فما يَرجعُ حتى يفتحَ الله عليه، جبريـلُ عن يمينه، ومِيكائيلُ عن شِـماله! ما تَرَكَ بيضاءَ ولا صفراءَ، إلا سبعَ مئةِ درهمٍ فَضَلتْ من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً)[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٩)؛ والنسـائي في الكبرى (٨٣٥٤)؛ وابن حبان (٦٩٣٦)؛ وابن أبي شـيبة: ٤٩٩/٧؛ وابن سـعد: ٣٨/٣ـ٣٩، وغيرهم، وصحَّحه أحمد شاكر.

ـ وعن مُغيرة بن مِقْسَم الضَّبِّي قال: (جاء نَعِيُّ علي إلى معاوية وهو قائل مع امرأته فاختة بنت قَرَظة، فقعد باكياً مسترجعاً! فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه؟! فقال: ويحكِ! أنا أبكي لِما فقد الناس من حِلْمه وعِلْمه).

وفي رواية: قال معاوية: (إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا فقدوا من العلم والحلم والفضل والفقه!)[١].

ـ ولمَّا بلَغتْ وفاتُه أمَّ المؤمنين عائشة، حزنَتْ عليه وقالت:

فألقَتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى كما قَرَّ عَيْناً بالإِيابِ المُسافِرُ[٢]

ـ وكانت ابنتُه أم كلثوم إذا حضرت صلاة الفجر هيَّمَتْ فؤادَها للذكريات الفاجعة وغَدْر الغادرين، فكانت تقول: (ما لي ولصلاة الغَداة! قُتل زوجي عمرُ أميرُ المؤمنين صلاة الغداة، وقُتل أبي أميرُ المؤمنين صلاة الغداة!)[٣].

ـ وقام أبو الأسود الدُّؤَلي يرثي أستاذه ومربِّيه، فقال[٤]:

ألا يا عينُ ويحكِ أَسْعِدينا ألا تبكي أميرَ المؤمنينا!
وتبكي أمُّ كلثوم عليه بعَبْرتها وقد رأتِ اليَقينا

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٣/٣٣٧ـ٣٤٠؛ البداية والنهاية: ٨/١٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٤٠.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٦٤٨ـ٦٤٩؛ البداية والنهاية: ٨/١٣.

(٤) الاستيعاب: ٣/٦٦ـ٦٧؛ أسد الغابة: ٤/٣٩ـ٤٠؛ تهذيب الكمال: ٢٠/٤٨٩.

ألا قُلْ للخوارجِ حيثُ كانوا ... فلا قرَّتْ عيونُ الحاسِدينا
أفي شهر الصيام فَجَعتُمونا ... بخير الناس طُرّاً أجمعينا[١]
قتلتُم خيرَ مَن ركب المَطايا ... وذَلَّلها ومَن ركب السَّفينا
وكلُّ مناقبِ الخيرات فيه ... وحِبُّ رسولِ ربِّ العالمينا

ـ ويقول هشام بن حسان القُرْدُوسِيّ البصري: (بينا نحن عند الحسن البصري، إذ أقبل رجل من الأَزارِقة فقال له: يا أبا سعيد، ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: فاحمرَّتْ وجنتا الحسن، وقال: رحمَ الله عليّاً؛ إنَّ عليّاً كان سهماً لله صائباً في أعدائه، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها من رسول الله ﷺ، وكان رباني هذه الأمة. لم يكن لمال الله بالسَّروقة، ولا في أمر الله بالنؤومة، أعطى القرآن عزيمة علمه فكان منه في رياض مونقة، وأعلام بيِّنة، ذاك علي بن أبي طالب يا لكع!)[٢].

ـ وقد امتدح عمران بن حِطّان الخارجيّ عبدَ الرحمن بنَ مُلجَم في قتله عليّاً، فقال:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أرادَ بها ... إلا لِيَبلُغَ من ذي العرش رِضوانا
إنـي لأذْكُره حيناً فأَحْسِبُه ... أوفَى البَرِيَّة عند الله ميزانا!

فعارَضَه العالم الفقيه المحدث الشاعر بكر بن حماد التاهَرْتي[٣]، فقال:

---

(١) يعني في زمانه، وكذلك ما جاء بعده.

(٢) الاستيعاب: ٤٧/٣؛ تاريخ ابن عساكر: ٢٠٣/٣ـ٢٠٤. والأزارقة: إحدى أكبر فِرق الخوارج.

(٣) نسبة إلى (تاهَرْت) بالجزائر، حياته (٢٠٠ـ٢٩٦هـ).

قُلْ لابــن مُلْجَمَ والأقــدارُ غالبةٌ ... هَدَمْــتَ ويلكَ للإســلامِ أركانا
قتلتَ أفضلَ من يمشي على قدمٍ[1] ... وأوَّلَ النــاسِ إســلاماً وإيمانــا
وأعلمَ النــاس بالقــرآنِ ثم بما ... سَنَّ الرســولُ لنا شَــرعاً وتِبْيَانا
صهرَ الرســولِ ومــولاه وناصرَه ... أضحــتْ مناقبُــه نــوراً وبُرْهانا
وكان في الحربِ سيفاً صارماً ذَكَراً ... لَيْثــاً إذا لقــيَ الأقــرانُ أقرانــا
ذكــرتُ قاتلَــه والدمــعُ مُنحدِرٌ ... فقُلتُ سبحانَ ربِّ الناسِ سُبحانا
إني لأَحْسِــبُه ما كانَ من بَشَــرٍ ... يَخشى المعادَ ولكنْ كانَ شيطانا
أشــقَى مــرادٍ إذا عُــدَّتْ قبائِلُها ... وأخسَــرُ الناسِ عنــد اللهِ ميزانا
كعاقرِ الناقــةِ الأولى التي جَلبَتْ ... على ثمودَ بأرضِ الحِجْرِ خُسْرانا
فــلا عَفَــا الله عنــه ما تحمَّلَــهُ ... ولا سَــقَى قبرَ عمرانَ بنِ حطَّانا
لقولِــه في شَــقيٍّ ظَــلَّ مُجترِماً ... ونــالَ ما نالَــهُ ظُلمــاً وعُدْوانــا
يا ضربةً مــن تقيٍّ مــا أرادَ بها ... إلا لِيبلُغَ من ذِي العرش رِضْوانا
بل ضربةً من غَوِيٍّ أَوردَتْهُ لظًى ... فسوفَ يَلقى بها الرحمنَ غَضْبَانا
كأنَّه لــم يُــرِدْ قصــداً بضربتِهِ ... إلا لِيَصْلَى عذابَ الخُلْدِ نِيرانا[2]

❁ ❁ ❁

(١) هذا التفضيل وما بعده مما هو من بابه إنما يعني في زمن علي.

(٢) الاستيعاب: ٦٢/٣ ـ ٦٣.



الخاتمة

تمثِّل حياة أمير المؤمنين علي نموذجاً متميزاً في سِيَر عظماء التاريخ؛ بما تضمَّنَتْه من خصائص متفردة وفضائل متنوعة وشمائل حميدة وأعمال مجيدة ونهاية عجيبة، قضى فيها على يدي سفيه أحمق موتور اغتال روحه الطاهرة وهو يوقظ المؤمنين لصلاة الفجر!.

وبمقدار ما كانت سيرته المشهودة حافلة بالأعمال الخالدة؛ كانت سيرته المكتوبة المنقولة مشحونة بالآلاف من الصفحات التي شَرَّق فيها الكاتبون وغرَّبوا، وجاروا وتزيَّدوا، وغالوا وانحرفوا، حتى تسرَّبت إلى ضمير التاريخ وعقول الناس وقلوبهم صورٌ عن عليٍّ تُناقض الحق وتُجافي الحقيقة!.

وأشهد أنني لم أتحمل من الأعباء والضيق في الكتابة عن عَلَم من الأعلام مثلَ ما تحملتُه في ترجمة سيدنا علي، ولا بَذلتُ من الوقت مثل الزمن الذي أمضيته في سيرته؛ قراءةً وبحثاً وتتبعاً وتنقيباً وتمحيصاً وتوجيهاً وردوداً على الترّهات والأباطيل والافتراءات، فاستغرق هذا الكتاب جهدَ سنتين من البحث والدرس، وهو ضعف ما تستغرقه الكتابة عن عَلَم آخر سواه.

وقد ألزمتُ نفسي بالصبر والمصابرة لقراءة كل ما وصلَتْ إليه يدي مما سطَّره المؤرخون والمصنفون والباحثون قديماً وحديثاً، على اختلاف مشاربهم وتنوع مناهجهم، وكنت أكبح جماحَ النفس عند نِفَارها مما كُتب في حالات كثيرة لا يحتملها كثير من الناس؛ لشناعتها أو سخافتها أو تهوُّرِها وافترائها! إذْ لم يكنِ من ذلك بُدٌّ، حتى أتمكن من رسم معالم واضحة للمتناقضات والأُخلوقات التي حُشرت في صفحات سيرة هذا السيد الكبير. والغاية المرجوة من وراء ذلك هي الوصول إلى الحقيقة أولاً، وإنصافُ العَلَم المترجَم ثانياً، ونفيُ الجَوْر عنه سواء بالزيادة أو النقصان ثالثاً، وأخيراً تقديمُ الصورة المجلوَّة الصادقة المتكاملة عنه، والتي تفيد جمهور القرّاء وتحترم عقولهم وآدابهم وقناعاتهم.

والذي أرجوه أن أكون قد حققتُ ما قصدتُ إليه من خدمة أمير المؤمنين علي في تجلية سيرته المباركة في أجمل معالمها وأسمى حقائقها، بما يرضي الله تعالى. ثم بعد هذا ومعه أن تضع عليّاً رضي الله عنه في المكان اللائق به والذي يستحقه بين إخوانه من الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة، وذلك في المرتبة الرابعة فلا يتقدم على أبي بكر ولا على عمر ولا على عثمان ـ تأسيساً وتأصيلاً على ما جاء في السنن الشريفة والتاريخ الصحيح الذي عاشه مع الصحابة وسجَّلَتْه الأخبار المستقيمة، فالصحابة رضوان الله عليهم كلهم مبجلون محترمون وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، والمسلم الصادق المنصف المعتدل يحبهم جميعاً ويترضى عنهم ويعطي كل ذي حق حقه.

إن أمير المؤمنين عليّاً رحل من الدنيا لكن سيرته باقية في قلوب المؤمنين جيلاً بعد جيل، وخرج من الدنيا ليدخل العالم الآخر من أوسع أبوابه، باب الشهداء والصديقين، ولقي وجه ربه وهو صائم ظامئ لينالَ هناك شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

فهنيئاً لك يا أبا الحسن الصحبة، ونِعمت الخاتمة، ولْتَهنِك المنزلة في الجنان مع آل بيتك في جوار رسول الله ﷺ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عبد الستار الشيخ

مساء يوم الخميس

٢٢/جمادى الآخرة/١٤٣٤هـ

٢/٥/٢٠١٣م

دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

المراجـــع

١ ـ **أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ**، د. إبراهيم شعوط، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢ ـ **أبو بكر الصديق**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٣ ـ **أبو تراب علي بن أبي طالب**، د. طلال الجنابي، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت.

٤ ـ **أخبار القضاة**، محمد بن خلف (وكيع)، عالم الكتب ـ بيروت.

٥ ـ **الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين**، د. نايف معروف، دار النفائس ـ بيروت.

٦ ـ **الأدب المفرد**، الإمام البخاري، باعتناء محمد هشام البرهاني، الإمارات.

٧ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبدالبرّ، طبع مع الإصابة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٨ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، دار الفكر ـ بيروت.

٩ ـ **الأسـرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، مـلّا علي القاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١١ ـ **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشـرية**، د. ناصر بن عبدالله القفاري، دار الرضا ـ مصر.

١٢ ـ **أعلام الحفاظ والمحدثين**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٣ ـ **إعلام الموقعين**، ابن القيم، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٤ ـ **الإمام علي، أسد الإسلام وقديسـه**، روكس بن زائد العزيزي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٥ ـ **الإمام علي في رؤية «النهج» و«رواية» التاريخ**، د. إبراهيم بيضون، بيسان ـ بيروت.

١٦ ـ **الإمام القائد**، بسام العسلي، دار النفائس ـ بيروت.

١٧ ـ **الإمامة والرد على الرافضـة**، أبو نعيم الأصبهانـي، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنوّرة.

١٨ ـ **الإمامة والسياسة**، منسوب لابن قتيبة، الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٩ ـ **الأموال**، أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٠ ـ **الإنصــاف فيما وقع في العصر الراشــدي من الخــلاف**، د. حامد محمد الخليفة، دار القلم ـ دمشق.

٢١ ـ **البداية والنهاية**، ابن كثير، مكتبة المعارف ـ بيروت.

٢٢ ـ **بيعة علي بن أبي طالــب**، أم مالك الخالدي وحســن المالكي، مكتبة التوبة ـ الرياض.

٢٣ ـ **تاريخ الإســلام**، الذهبي، تحقيق. د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢٤ ـ **التاريــخ الأوســط**، الإمام البخــاري، تحقيق محمد بــن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي ـ الرياض.

٢٥ ـ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٦ ـ **تاريخ الخلفاء**، السيوطي.

٢٧ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض.

٢٨ ـ **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، «**ترجمة علي**» تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف ـ بيروت.

٢٩ ـ **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر.

٣٠ ـ **تاريخ القضاء في الإسلام**، د. محمد الزحيلي، دار الفكر ـ دمشق.

٣١ ـ **التاريخ الكبير**، الإمام البخاري، دار الفكر ـ بيروت.

٣٢ ـ **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبدالأمير مهنا، الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٣ ـ **تبصير السوي ببطلان مرويات الوصي**، عبدالفتاح محمد سرور، دار أضواء السلف ـ الرياض.

٣٤ ـ **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، د. محمد أمحزون، دار السلام ـ القاهرة.

٣٥ ـ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، دار الباز ـ مكة المكرّمة.

٣٦ ـ **تفسير ابن عيينة**، جمع وتحقيق أحمد صالح محايري، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٣٧ ـ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، دار ابن كثير ـ دمشق.

٣٨ ـ **تنزيه الشريعة**، ابن عَرَّاق، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٩ ـ **تهذيب الأسـماء واللغات**، النـووي، دار الكتـب العلمية ـ بيروت.

٤٠ ـ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، دار الفكر ـ بيروت.

٤١ ـ **تهذيب الكمال**، المزي، تحقيق د. بشـار عواد معروف، مؤسسـة الرسالة ـ بيروت.

٤٢ ـ **الثقات**، ابن حبان، دار الفكر ـ بيروت.

٤٣ ـ **جامع الأصول**، ابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر ـ بيروت.

٤٤ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البرّ، دار الفكر ـ بيروت.

٤٥ ـ **الجامـع لأحكام القـرآن**، القرطبي، تحقيق عبد الـرزاق المهدي، مكتبة الرشد ـ الرياض.

٤٦ ـ **جمهرة أنسـاب العرب**، ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٧ ـ **حليـة الأوليـاء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤٨ ـ **حياة الصحابة**، محمد يوسف الكاندهلوي، دار القلم ـ دمشق.

٤٩ ـ **خصائص علي**، النسائي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي ـ بيروت، وبتحقيق أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلّا ـ الكويت.

٥٠ ـ **الخلفاء الراشدون**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٥١ ـ **الخلفاء الراشدون**، عبدالوهاب النجار، دار الأرقم ـ بيروت.

٥٢ ـ **خلفاء الرسول**، خالد محمد خالد، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥٣ ـ **دستور معالم الحكم من كلام علي**، القضاعي، دار القلم ـ دمشق.

٥٤ ـ **رجال الكشي**، شيخ الطائفة الطوسي، طهران.

٥٥ ـ **الرياض النضرة**، المحب الطبري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥٦ ـ **زاد المعاد**، ابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥٧ ـ **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ابن عقيلة المكي، الإمارات العربية ـ جامعة الشارقة.

٥٨ ـ **سبل الهدى والرشاد**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة.

٥٩ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦٠ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦١ ـ **السُّنَّة**، ابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٦٢ ـ **السنن الأربعة**، للأئمة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العلمية ـ دمشق، بيروت.

٦٣ ـ **السنن الكبرى**، البيهقي، وبذيله الجوهر النقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٤ ـ **السنن الكبرى**، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦٥ ـ **السياسة الشرعية**، ابن تيمية، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٦ ـ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق جماعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦٧ ـ **السيرة النبوية**، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.

٦٨ ـ **السيرة النبوية**، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٦٩ ـ **السيرة النبوية**، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم ـ دمشق.

٧٠ ـ **شرح السُّنَّة**، البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٧١ ـ **شرح صحيح مسلم**، النووي، دار أبي حيان ـ القاهرة.

٧٢ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار عالم الكتب ـ الرياض.

٧٣ ـ **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧٤ ـ **الشيعة وآل البيت**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة ـ لاهور ـ باكستان.

٧٥ ـ **الشيعة والتشيع**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور ـ باكستان.

٧٦ ـ **الشيعة والسُّنَّة**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة ـ لاهور ـ باكستان.

٧٧ ـ **الشيعة والقرآن**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور ـ باكستان.

٧٨ ـ **صحاح السنن الأربعة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

٧٩ ـ **صحيح البخاري**، طبعة السلطان عبدالحميد، دار الجيل ـ بيروت.

٨٠ ـ **صحيح الجامع الصغير**، الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨١ ـ **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٨٢ ـ **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة ـ بيروت.

٨٣ ـ **صورتان متضادتان**، أبو الحسن الندوي، دار البشير ـ جدة.

٨٤ ـ **الضعفاء الكبير**، العقيلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٥ ـ **ضعيف الجامع الصغير**، الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨٦ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، دار الفكر ـ بيروت.

٨٧ ـ **عبدالله بن سبأ**، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة ـ الرياض.

٨٨ ـ **العبر في خبر من عبر**، الذهبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٩ ـ **عبقرية الإمام علي**، عباس محمود العقّاد، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٩٠ ـ **عثمان بن عفان**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٩١ ـ **العشرة المبشرون بالجنة**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٩٢ ـ **عصر الخلافة الراشدة**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان ـ الرياض.

٩٣ ـ **عقائد الشيعة**، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مكتبة النافذة ـ مصر.

٩٤ ـ **علي بن أبي طالب**، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي ـ القاهرة.

٩٥ ـ **علي بن أبي طالب**، د. علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير ـ دمشق.

٩٦ ـ **علي وبنوه**، د. محمد يوسف النجرامي، دار المدني ـ جدة.

٩٧ ـ **علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين**، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ ـ دمشق.

٩٨ ـ **علي والخلفاء**، د. بشار عواد معروف، طباعة منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي.

٩٩ ـ **عمر بن الخطاب**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٠٠ ـ **العواصم من القواصم**، ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الجيل ـ بيروت.

١٠١ ـ **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، ابن الجزري، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٢ ـ **فتح الباري**، ابن حجر، دار أبي حيان ـ القاهرة.

١٠٣ ـ **فتح الملهم وتكملته ـ شرح صحيح مسلم**، شبير أحمد العثماني ومحمد تقي العثماني، دار القلم ـ دمشق.

١٠٤ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، دار المعرفة ـ بيروت.

١٠٥ ـ **فضائل الإمام علي**، محمد جواد مغنية، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

١٠٦ ـ **فضائل القرآن**، ابن كثير، دار الأندلس ـ بيروت.

١٠٧ ـ **فضائل القرآن**، النسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، دار القلم ـ دمشق.

١٠٨ ـ **القتال في الفتنة**، عبدالله بن عبدالعزيز السويد، دار الفضيلة ـ الرياض.

١٠٩ ـ **القول الجلي في فضائل علي**، السيوطي، مؤسسة نادر ـ بيروت.

١١٠ ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١١ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**، ابن عدي، دار الفكر ـ بيروت.

١١٢ ـ **لسان الميزان**، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١١٣ ـ **لماذا تأخر العرب**، د. أحمد التل، عمّان.

١١٤ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، أبو الحسن الندوي، الدار الشامية ـ بيروت.

١١٥ ـ **مجمع الزوائد**، الهيثمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٦ ـ **مجمـــل عقائد الشـــيعة والمراجعات فـــي الميـــزان**، أبو عبد الله النعماني الأثري، مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

١١٧ ـ **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، السعودية.

١١٨ ـ **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، محمد حميد الله، دار النفائس ـ بيروت.

١١٩ ـ **محاضرات في تاريخ الأمم الإســلامية**، محمــد الخضري، دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٠ ـ **محمد رســول الله ﷺ**، محمد الصــادق عرجــون، دار القلم ـ دمشق.

١٢١ ـ **مختصـــــر تاريـــخ ابن عســاكر**، ابن منظــور، دار الفكر ـ دمشق.

١٢٢ ـ **مدخل إلى تفســير القرآن وعلومه**، د. عدنان زرزور، دار القلم ـ دمشق.

١٢٣ ـ **المرتضى علي بن أبي طالب**، أبو الحســن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

١٢٤ ـ **مروج الذهب**، المسعودي، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٢٥ ـ **المستدرك**، الحاكم، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٢٦ ـ **مسند أحمد**، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة ـ وطبعات أخرى.

١٢٧ ـ **مسند الحميدي**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب ـ بيروت.

١٢٨ ـ **مسند الطيالسي**، دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٩ ـ **المصاحف**، ابن أبي داود، تحقيق د. محب الدين واعظ، وزارة الأوقاف ـ قطر.

١٣٠ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الفكر ـ بيروت.

١٣١ ـ **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٣٢ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، علي القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

١٣٣ ـ **المطالب العالية**، ابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٤ ـ **المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسـيرة**، محمد محمد حسن شراب، دار القلم ـ دمشق.

١٣٥ ـ **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٣٦ ـ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار الفكر ـ بيروت.

١٣٧ ـ **معرفة القرّاء الكبار**، الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٣٨ ـ **المعرفة والتاريخ**، الفسوي، تحقيق أكرم العمري، مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة.

١٣٩ ـ **مقاتـل الطالبيين**، أبو الفـرج الأصفهاني، تحقيق السـيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٤٠ ـ **الملل والنحل**، الشهرستاني، دار المعرفة ـ بيروت.

١٤١ ـ **المنتظم**، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤٢ ـ **المنتقـى من منهـاج الاعتـدال**، الذهبي، تحقيـق محب الدين الخطيب، دار عالم الكتب ـ الرياض.

١٤٣ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ـ الرياض.

١٤٤ ـ **موطأ مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٤٥ ـ **ميزان الاعتدال**، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٤٦ ـ **نبوءات الرسول ﷺ ـ دروس وعبر**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٤٧ ـ **النجوم الزاهرة**، ابن تغري بردي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤٨ ـ **نسب قرش**، مصعب الزبيري، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

١٤٩ ـ **النصوص التاريخية في مسند أحمد عن فترة الخلفاء الراشدين**، د. سعد بن موسى الموسى، دار القاسم ـ الرياض.

١٥٠ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

١٥١ ـ **نهج البلاغة**، وشرحه لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٥٢ ـ ولاة مصر، الكندي، دار صادر ـ بيروت.

١٥٣ ـ الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشـــدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمري، دار إشبيليا ـ الرياض.

١٥٤ ـ وغير ذلك كثيـــر من كتـــب الحديث، وشـــروحه، ومصطلحه، والرجال، والتفسير، والتاريخ والأدب، ومعاجم اللغة.

❁ ❁ ❁



الفهـــرس

الباب الأول

أخباره الشخصية وأسرته

ونشأته وإسلامه وحياته بمكة

الباب الثاني
حياته مع رسول اللّه ﷺ في المدينة
وجلائل أعماله

الباب الثالث

علمه وعبادته وشمائله وأخلاقه

الباب الرابع

فضائل علي ومكانته

الباب الخامس

علي في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله

الباب السادس

خلافة علي وسياسته في الحكم

الباب السابع

الفتن في عهد علي

الباب الثامن

الأيام الأخيرة في حياة علي

❁ ❁ ❁

هذا الكتاب

علي بن أبي طالـب أحد أكابر الصحابـة، ورابع الخلفـاء الراشدين، تحدَّر م
بني هاشـم، نَشَّأه النبيُّ ﷺ في حَجْره، وربَّاه على عَيْنـه، وزوَّجه ابنته، وألقى عا
الكساء، فكان لبنة ضخمة راسخة في بنيان أفضل جيل عرفته البشرية.

وَهَـب لدينه نفسه وعقله وماله وبنيه وكل طاقاتـه ومزاياه، وكانت حياته ملح
بطولات ومنبع مكرمات؛ فهو ليث الحروب، ومقدَّم المجاهدين، ومن أفذاذ العلم
الفقهاء، والزهاد الحكماء، فصيحاً لَسِناً، شاعراً خطيباً مِصْقَعاً، نُسب إليه «ديو
شعر» و«كتاب نثر» لا تصح نسبةُ أكثرهما إليه!!

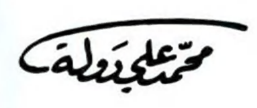
ومع كل تلك الفضائل والمواهـب والأعمال الماجدة والآثار الخالدة، فإن سير
المكتوبة قد شابهـا الكثير من الأباطيل، وغـامَ وجهها، وعَكِـر مَوردُها، واضطر
واردُها؛ لكثرة ما افتُري عليها بسبب نزعات مذهبية وأهواء منحرفة.

والحـقُّ أننـا لا نعرف (رجـلاً افتُري عليـه) مثل مـا افتُري على (علـي)، حد
تشاجـرت فيـه الآراء وتباعـد الاختلاف بينهـا: بين طائفـة تدعي لـه العصمة
الإلهية، وأخرى أكفَرتْه وخرجَتْ عليه وقاتلته، وبينهما فِرق وطوائف ومذاهب شتى

وجـزى الله مؤلف هذا الكتـاب خيراً، فقـد أحسن وأجاد في العرض والتحل
والنقـد والاستنتاج، وحقق الهدف فيما أراد، فقد بنـى كتابه على «منهج استقرا
شمولي تحليلي نقـدي» يضع تلك الشخصيـة العظيمة في مكانهـا الصحيح، ون
عنها الأكاذيـب والأضاليل، وبرهن علـى المحاور الثلاثة التي صـاغ منها العنوا
فعليٌّ أمير المؤمنين حقاً، ورابع الخلفاء الراشدين موقعاً ومكانةً، ومفترى عليه م
طوائف شتى..

ودار القلم يسعدها نشر هذا الكتاب، وتتمنى أن ينفع الله به عامة المسلمين.




ISBN 978-9933-29-060-3
9 789933 290603